شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام

تأليف قاضي مكة

الإمام العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد

ابن علي الفاسي المكي المالكي

(٧٧٥-٨٣٢ هـ)

حققه ووضع فهارسه

الدكتور عبد السلام تدمري

الناشر

دار الكتب العلمية

Marfat.com

شِفَاءُ الغَرَامِ

بأخبار البلد الحرام

تأليف قاضي مكة

الإمام العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد

ابن علي الفاسي المكي المالكي

(٧٧٥-٨٣٢ هـ)

حققه ووضع فهارسه

الدكتور عمر عبد السلام تدمري

الجزء الأول

الناشر

دار الكتاب العربي

Marfat.com

131751

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تلكس: ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

Marfat.com

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين ، والصـلاة والسـلام على محمـد سيّـد النبيّين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

فهـذه هي الطبعـة الثانيـة لهذا الكتـاب النفيس « شفاء الغـرام بـأخبـار البلد الحرام » لقاضي مكة المالكي العلاّمة الحافظ الإمام أبي الطيّب تقيّ الدين محمـد ابن أحمد بن علي الفاسي ، المولود سنة ٧٧٥ والمتوفّى سنـة ٨٣٢ هـ. وهي طبعة جديدة محقّقـة تحقيقاً جـديداً عن النسختين الخـطيّتين : في دار الكتب المصريـة رقم (٧٤٨٤) عمومية ـ ٥٠٤ تـاريخ ، والنسخـة المكية المخـطوطة المنقـولة عن نسخة دار الكتب المصرية التي نسخها الشيـخ عبد السـتار الدهلوي ، في جـزءين كبيـرين ، وقد اعتمـدت في التحقيق على النسخة المـطبـوعـة بـدار إحيـاء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٦ التي أشرف على تحقيقها لجنـة من العلماء والأدبـاء . وهي في عـداد الكتب النادرة النـافدة من المكتبـات ، رغم ما اعْتَـوَرَها من هَنَـاتٍ وأخـطاء في التحقيق والطبـاعة على السـواء ، فقـد دخـل عليهـا بعض التحـريف والتصحيف والوهم والغلط في مواضع متفرّقة ، قمت بتصويبها وتصحيحها والتنبيـه عليها في حواشي التحقيق الجديد ، وإن كنت لا أدّعي الكمـال في هذا العمـل ، فالكمال لله وحده ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وإذا كـان لي أن أضيف جديـداً إلى مقدّمـة النسخة المـطبوعـة سنـة ١٩٥٦

فأقول : إنّ المؤلّف هـو من علماء عصـر المماليـك ، الذي أَعْتَبِـرُهُ ـ بحقّ ـ عصرَ الموسوعات الإسلامية العربية في مختلف فنون العلوم والمعـرفة ، وقـد جاء نَفَسُـهُ طـويلاً في هـذا الكتاب . الـذي رتّبـه على أربعين بـاباً ، جَهِـد فيهـا لاستقصـاء المعلومات والأخبار والوقائـع ومجريـات الأحداث التي مـرّت بمكة المكـرّمة منـذ تأسيسها حتى أيـامه في الـربع الأول من القـرن التاسـع الهجري . ويتجلّى طـولُ نَفَسه في مناقشاته ونقْده المُسْهَب لروايات كثيرٍ من المؤرّخين والأخبـاريين ، حيث يُطيل في الردود والتعليقات والتـوضيحات التي نجـدها مفنَّـدة في أماكن كثيـرة من أبـواب الكتاب . ولا يكتفي بتمحيص ومنـاقشة الأمـور الرئيسـة فحسب ، بل هـو يتتبّـع دقائقَ الألفـاظ والمُفرَدات ، فيعلّق عليهـا وينْقُدُهـا نقْدَ العـالم المتمكّن من مـادّتـه ، فينبّـه إلى التحـريفـات والتصحيفـات التي تقـع من النُّسَّـاخ ، في نقـل المخطوطات ، مما يترتّب على تلك الأخطاء الموهِمة قلبُ الحقائق والمعلومات ، لتخـرج عن واقعها الصحيـح ، وهذا أمـر خطيـر لا يجهله المحقّقـون والبـاحثـون المدّققون .

ومـع أنّ المؤلّف هو أحـد قُضاة مكـة المـالكيّين، فـإنه لم يكن متقيّـداً بآراء مـذهبه ولم يجمـد عندهـا ، بل كـان واسع الأُفق ، رَحْب التـأتّي والاطّـلاع على المذاهب الأخرى ، فيعرض آراء الفقهاء واجتهـاداتهمْ في المسائـل التي تستوجب التوقّف عندها ، دون تَعنُّتٍ وجمود .

ويبـدو واضحاً أنّ « شفـاء الغـرام » كـان ثمـرةَ مـطالعـاتٍ كثيـرة للمؤلّف ، فـالقاريء لهـذا الكتاب سـوف تتجمّع لـديه محصّلة غنيّـة من المصادر والمـراجع القـديمة التي اعتمـد عليها صـاحبنا القـاضي الفاسي ، والتي أشـار إليها في ثنـايا الكتاب وتضاعيف أبـوابه ، حيث ذكـر أسماء عشـرات المؤلفّات المخـطوطة التي نقـل عنها كثيـرا من النصوص ، واعتمـد في كثير منهـا على طريقـة الإسنـاد عنـد الحُفّاظ والمحدّثين ، كما تناول بعضها بالجرح والتعديل على طريقة المؤلّفين في رجـال الحـديث . وإذا كـان أكثـر إعتمـاده جـاء على كتـابين في « أخبـار مكـة » للأزرقي ، والفاكهي ، فهو ينقل أيضاً عن عدّة مصـادر لا تزال في حكم المفقـودة

Marfat.com

حتى الآن . وهو لم يكتف بنقل روايات من سبقه والتـأليف بينها ، بـل أضاف إلى كتابه كثيراً من المعلومات والوقائع المعاصرة له ، والتي اعتمد فيها على مشاهداتـه الذاتية ، وخـاصّة فيمـا يتعلّق بأخبـار وُلاة مكّة ومـواسم الحجّاج في أواخـر القرن الثـامن وأوائل القـرن التاسـع الهجري ، وهـو يشيـر في بعض الأحيـان إلَى أوراق خاصة دوّنها بعض العلماء كمذكّرات لوقائع بارزة جـرت في مكة المكـرّمة ، وقف عليها ونقل نصوصها ، وهـو بهذا يضيف إلى المعلومـات التاريخيـة نصوصـاً نادرة يصعب الحصول عليها في مظانّ المصادر الأخرى . كذلك فإنـه قام بنفسـه بأخـذ قياسات الكعبـة المعظَّمـة « ضحوة يـوم الجمعة ثـاني عشر ربيـع الآخر سنـة أربع عشرة وثمانمائة »، وناقش روايات سابقيه الذين قاموا بذرْعها .

والقاضي الفاسي يستوجب منّا التقدير والاحترام لصدقه وتحرّيه في دقّة نقـل المعلومات من المصادر ، وهو لا يتحرّج من القول أنه نقـل في بعض الأحيان عن نسخٍ سقيمة من المصنّفـات ، منها نسخـة من كتاب « المشتـرِكْ وضْعاً والمفتـرِقْ صَقْعاً » لياقوت الحموي ، ويسمّيـه : « مختصر معجم البلدان » ، ومثـل ذلك في نسخة من « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ، أو « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودي ، ويسمّيه « تاريخ المسعودي »!

ولقد استغرق إخراج القاضي الفاسي لكتابه على هذا النحـو عدّة سنـوات ، وكان تاريخ مكة وأخبارها أهمّ ما يستحوذ على تفكيـره ، ولهذا بـدأ به مختصـراً ، ثم راح يزيد في أبوابه ومـادّته من حين لآخـر ، ويُصْلح في تبويبـه ومضمونـه كلّما أعـاد النـظر فيـه ، بـل إنـه قـام بـاختصـار المختصـر الأول من الكتـاب في سنـة ٨١١ هـ . واستمـرّ يُجري الإضـافات والتصحيحـات وإعادة التبـويب والترتيب في متـونه حتى سنـة ٨١٩ هـ. ومن أهم أسباب ذلـك هو وقـوفه متـأخّـراً على كتـاب « أخبار مكة » للفـاكهي ، لأنه لم يكن قـد ظفر بـه قبل ذلـك ، وقد أشـار إلى كلّ ذلك في الخاتمة التي وضعها لكتابه الجليل .

والكتاب في موضوعه ومادّته الغزيرة والمكثّفة عن مكة المكرّمة ، هـو صورة عن المصنّفات التي وُضعت عن المدن الاسلامية ، مثل « تاريخ بغداد » للخـطيب

Marfat.com

البغدادي ، و « تاريخ مدينة دمشق » للحافظ ابن عساكر الدمشقي ، وغيرهما ، وإذا كان « شفاء الغرام » لا يتضمّن تراجم للعلماء والأدباء الذين أخرجتهم مكة المكرّمة أو دخلوها ونزلوها ، ليكون شبيهاً بالكتابين المذكورين عن بغداد ودمشق ، فإن القاضي الفاسي قد وضع كتاب « العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين » في أربعة أجزاء ضخام ، ترجم فيه لولاة مكة وأعيانها وعلمائها وأدبائها منذ ظهور الإسلام إلى عصره ، ورتّبه على حروف المعجم ، وبدأه بالمُحَمَّدين والأحمدين ، وصدّره بسيرة رسول الله ﷺ . فكتاب « العِقْد الثمين » مع « شفاء الغرام » يكمّلان بعضهما ، ليكونا على غرار « تاريخ بغداد » و « تاريخ دمشق » وغيرهما .

مؤلّفاته :

وضع القاضي الفاسي إلى جانب هذا الكتاب « شفاء الغرام » وكتاب « العقد الثمين » المذكور قبل قليل ، عدّة كتب أخرى ، هي :

- « تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام »- وهو اختصار لكتاب « شفاء الغرام » ، ويسمّى أيضاً : « تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام » .

- « هادي ذوي الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام »- وهو مختصر من الكتاب السابق « تحفة الكرام » .

- « الزهور المقتَطَفَة في تاريخ مكة المشرَّفة » - وهو مختصر من كتابه السابق « هادي ذوي الأفهام » .

- « عُجالة القرى للراغب في تاريخ أمّ القرى »- وهو مختصر لكتاب العقد الثمين .

- « الجواهر السَّنيّة في السيرة النبويّة » .

- « مختصر حياة الحيوان » للدُمَيْري ، يسمّى : « مطلب اليقظان من حياة الحيوان » .

- « ذيل سِيَر أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي ، في مجلَّدَين .

Marfat.com

- « ذيل على التقييد لمعرفة رُواة السنـد والأسانيـد » لابن نقطة ، واختصـره في مختصَرَيْن : كبير وصغير .

- « ترويح الصدور بطيّبات الزهور » - وهو مختصر لشفاء الغرام .

- « بغيـة أهل البصـارة في ذيـل الإشـارة »- وهـو ذيـل على كتـاب الإشـارة للحافظ الذهبي .

- « إرشاد ذوي الأفهام إلى تكميل كتاب الإعلام بوفيـات الأعلام » للحـافظ الذهبي

- « المقنع من أخبار الملوك والخلفاء ووُلاة مكة الشرفاء »- وهو كتاب تـاريخ بسط فيه تراجم « بغية أهل البصارة » المذكور قبل قليل . ثم اختصره ، ثم اختصر المختصر .

- « كتاب في الأُخْريات » .

- « تذكرة ذوي النباهات لجملة من الأذكار والدعوات » .

وله في الفقه عدّة تصانيف ، منها في المناسك ثلاثة ، أحدها :

- « إرشاد الناسـك إلى معرفـة المناسـك » على مذهب الإمـامين : الشافعي ومالك .

- « جزء حديث لشمس الدين الحُبَيشي » .
- « جزء حديث لشمس الدين محمد بن علي بن سكر البكري » .
- « أربعون حديثاً متباينة المتن والإسناد »[1] .
- « فهرس مشتمل على المَرْوِيّات بالسماع والإجازة » .

---

(١) منه نسخة خطية بدار الكتب الظاهرية بدمشق ، ضمن مجموع رقم ٥٨ حـديث ، الأوراق ٧١ ـ ٨٥ (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، المنتخب من مخطوطات الحديث ـ محمد ناصر الألباني ١٧٠ رقم ٦١٥) ومنه جزء صغير في دفتر منوّعات بـدار الكتب الظاهـرية ، رقم ١١٤٧٨ تـاريخ ، الورقة ١٣ أ (فهرس التاريخ وملحقاته بالـظاهريـة ـ لخالـد الريّـان ـ ج ٢/ ٢٦٤ طبعة مجمـع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٣ هـ. /١٩٧٣ م.).

Marfat.com

مصادر ترجمته :

ترجم القاضي الفاسي لنفسه في كتابه « ذيل كتاب التقييد بمعرفة رُواة السُّنَن والأسانيد » لابن نقطة ، كما ترجم لنفسه في كتابه « العقـد الثمين في تاريـخ البلد الأمين » ترجمة طويلة ، وفي ذيل كتاب « شفاء الغرام » أيضاً .

وهناك مصادر أخرى لترجمته نذكر منها :

الضـوء الـلامـع ، للسخـاوي ٧/١٨ ـ ٢٠ ، البـدر الـطالـع ، للشـوكـاني ٢/١١٤ ، ١١٥ ، إنبـاء الغمـر بـأنبـاء العمـر ، للحـافظ ابن حجـر العسقـلّاني ٣/٤٢٩ ، وفيه ورد اسمه : « محمد بن علي » بإسقاط اسم أبيه « أحمد » ، لحظ الألحاظ ، للحافظ ابن فهد المكّي ٢٩١ ـ ٢٩٧ ، شذرات الـذهب ، لابن العماد الحنبلي ٧/١٩٩ ، نيـل الابتهـاج ، للتنبكتي ٣٠٤ ، كشف الـظنـون ، لحـاجي خـلـيـفـة ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٧٢ ، ٤٧٠ ، ٦٩٧ ، ١٠١٥ ، ١٠٥١ ، ١١٥٠ ، إيضـاح المكنـون ، للبغـدادي ١/٢٣٦ ، الأعـلام ، للزركلي ٦/٢٢٧ ، ٢٢٨ ، معجم المؤلّفين ، لكحّـالة ٨/٣٠٠ ، القـاموس الإسـلامي ، لأحمـد عـطيّـة الله ٤/١٢٢ .

Encyclopédie de L'islam - Brockelmann, II - 86, Les manuscrits arabes de L'Escurial 3 - 270, 271, verzeichniss der aranischen handschriften - Ahlwardt : IX - 259 - 261, Arabic manuscripts in the Princeton 195, 196, De Slane - Catalogue des manuscrits arabes: 376, Brockelmann - g, II- 172, 173, S, I: 552.

وفي دار الكتب الظاهرية ترجمـة خطّيـة كتبها لـه : شهاب الـدين أحمد بن عمـر بن عثمان الخـوارزمي الدمشقي الشـافعي ، الشهير بـابن قرا ، المُتَـوَفَّى في دمـشق سنـة ٨٦٨ هـ. / ١٤٦٤ م. ، رقمهـا ٣٨٦٣ تـاريـخ ، الأوراق ٩٣ ـ ١٠٦ ق[٢] .

---

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ التاريخ وملحقاته ـ وضعه خالد الريّان ٢/٦٣١ .

Marfat.com

مقدّمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى[1] الله على سيدنا محمد ، وعلى[2] آله وصحبه وسلّم ، وبه نستعين[3] ، ربّ يسِّر وأعِنْ يا كريم . (بجاه عروس القيامة والدّين القويم)[4] الحمد لله الذي جعل مكّة المشرَّفة أعظم البلاد شأناً . وصيَّرها محلاً مباركاً ، وأجزل للمتقرِّبين فيها العطيّة ، وكم لها في الفضل مزيّة ؛ لأنّ فيها البيت الحرام ، الذي هو للنّاس مثابة وقوام ، المغفور لمن حَجَّه أو طاف به من البريّة ، ما اقترفه من الخطيّة .

أحمده على منْحنا[5] جوار بيته المطهّر ، وأسأله استمرار ذلك إلى حين أُقبر .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله ، وحده لا شريك له[6] ، الذي جعل مكّة وما حولها حَرَماً ، وأغنى بماء زمزم عن الطعام ، وشفا به سَقَماً .

---

(١) في النسخة « م » : (صلّى) بدون واو .

(٢) في النسخة « م » (وآله) بدون على .

(٣) هذه العبارة زائدة في النسخة « ك » ولا توجد في النسخة « م » .

(٤) جملة (بجاه عروس القيامة) الخ : زائدة في النسخة « ك » ولا توجد في النسخة « م » .

(٥) في النسخة « م » : « على ما منحنا من جوار » .

(٦) جملة (وحده لا شريك له) من زيادة النسخة « ك » .

Marfat.com

وأشهد أنّ[1] سيّدنا محمداً أفضلُ مَنِ الحجرَ الأسودَ قبَّل ، وفي الطواف بالكعبة رمَل ، وصلّى خلف المقام الذي للخليل فيه أثر ، ووقف بعرفات والمشْعَر ، صلّى الله عليه وسلّم ما رُميت الجمار ، وما تضرّع داعٍ في الملتزَم والمُستجار[2] ، وما سعى بين الصفا والمَرْوَة مُحْرِم ، ورضي الله عن آله وأصحابه الذين توقيرُهم واجب على كلّ مسلم .

أما بعد : فإنّه لما وفّقني الله للاشتغال بالعلم الشريف تَشَوَّفَتْ نَفسي كثيراً إلى[3] ما كان بعد الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عُقْبَة بن الأزرق بن أبي شَمِر الغسّاني الأزرقي المكّي[4] مؤلّف « أخبار مكة » رحمه الله ، وفي [5] أخبار عمارة الكعبة المعظَّمة وخبر حِليتها ومعاليقها ، وما أُهدي لها في معنى الحلية ، وكسوتها ، وخبر الحجر الأسود ، وخبر عمارة المسجد الحرام ، وما فيه من عمارة موضع مقام سيّدنا[6] إبراهيم عليه السلام ، وحِجْر النبيّ إسماعيل عليه السلام ، وموضع زمزم ، وسقاية العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه، ومنابر المسجد الحرام، والمطاف ومقامات الأئمة، وابتداء وقت ترتيبهم للصلاة فيها ، وعمارة أماكن مباركة بمكّة المشرَّفة ، وهي مساجد قيل : إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم صلّى فيها ، ومولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ومولد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وغير ذلك من المواضع المعروفة بمكّة[7] بالمواليد ، والدُّور المباركة بمكّة ، كدار سيّدنا أبي بكر الصّدِّيق رضي الله عنه ، ودار خديجة بنت خُوَيْلِدْ أمّ المؤمنين رضي الله

---

(١) في النسخة « م » (واشهد أنّ نبيّه سيدنا محمداً) .

(٢) المراد بالملتزم والمستجار : البيت جميعه .

(٣) في النسخة « م » (إلى معرفة ما كان) .

(٤) توفي نحو ٢٥٠ هـ . راجع مقدّمة كتاب « أخبار مكة » تحقيق رشدي الصالح ملحس ج ١/١٢ طبعة دار الأندلس بيروت (الثالثة) ١٤٠٣ هـ . /١٩٨٣ م .

(٥) في النسخة « م » : « في أخبار » بدون واو .

(٦) لفظ « سيّدنا » زائد في النسخة « ك » ولا يوجد في النسخة « م » .

(٧) لفظ (بمكّة) من زيادة النسخة « ك » .

عنهـا ، ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخـزوميّ ، وهي الـدار المعـروفـة بـدار الخيزران ؛ وعمارة مساجدَ مباركة بظاهر مكّـة ، وهي مسجد البيعـة ، بيعة رسـول الله صلّى الله عليـه وسلّم ، والأنصار بقـرب عَقبـة مِني ، ومسجـد الخَيف بمنى ، وغيـر ذلك من المساجد بمنى، ومسجد أمّ المؤمنين عـائشة رضي الله عنهـا التي أحْرَمَتْ منه لمّا اعتمرت بعد حجّها بـالتنعيم ، وعمارة أنصـاب[1] حدود الحـرم ، ومشاعر الحجّ والعُمْرة ، وهي الصَّفا والمَرْوَة والمَشْعَـر الحرام ، وغيـر ذلك ، ومـا كان بعد أبي الوليد الأزرقي من الأوقاف على طلبة[2] العلم والفقهاء غير ذلـك من الربُطِ والمدارس وغيرِها وتـاريخ وقفهـا[3] ، وما كـان بعد الأزرقي من الأمـطار[4] والسيـول بمكّة . فعَـرَفْتُ طرفـاً جيّداً من ذلـك كلّه ، بعضـه من كتب التـاريـخ ، وبعضـه من رُخام وأحجـار وأخشاب مكتـوب فيها ذلـك ثابتـة في الأماكن المشـار إليهـا . وبعضه عَلِمتـه من أخبـار الثّقـات . وبعضـه شـاهـدتـه ، وَعَلِق ذلـك كلّه بذهني ، وقيّدته في أوراق مُفْرَدَة من غير ترتيب ، خِيفـة ذهاب ذلـك بالنِّسيـان لِمَا رُوي[5] عن أبي حمـزة أنس بن مالـك الأنصـاري خـادم رسـول الله ﷺ أنّـه كـان يقول : يا بَنيَّ قَيّدوا العلم بالكتابة[6] ، ثمّ بـدا لي أنْ أجمع ذلـك مرتّبـاً ، وأضمّ إليه من تاريخ أبي الوليد الأزرقي ما يلائمه من الأمور التي أشرنا إليها لما في ذلك من كمال الفائدة. ففعلتُ ذلـك وأضفتُ إلى ذلـك أحـاديث وآثـاراً في فضـائـل الكعبـة ، والأعمال المتعلّقـة بهـا ، وفي فضـل حجـر الأسـود والـرُكْن اليَمـاني ، والحجْر بسكون الجيم . والمقام ، والمسجد الحـرام ، ومكّة ، والحـرم ، وزمزم وغيـر ذلك من المـواضع المبـاركة بمكّـة وحَرَمِهـا مما ذكـره أبو الـوليد الأزرقي ،

---

(١) الأنصاب جمع « نُصُب » بضم النّون والصاد ، وهو العلامة .

(٢) في النسخة « م » (على أهل العلم) .

(٣) في النسخة « م » « وتاريخ وقف ذلك » .

(٤) في النسخة « م » (الأمصار) بدل (الأمطار) وهو خطأ إذ لا يستقيم المعنى به .

(٥) في النسخة « م » (روينا) .

(٦) في النسخة « م » (بالكتاب) .

Marfat.com

وأضفت إلى ذلك أموراً كثيرة مفيدة لم يذكرها الأزرقي ، بعضها مما عُني بجمعه الأزرقي ، وبعضها لم يُعْن به ، فمن الأوّل أحاديث نبوية وآثار عن الصحابة والسّلف وأخبار جاهلية لها تعلُّق بمكّة وأهلها وملوكها وغير ذلك ، ومن الثاني مسائل فقهيّة وحديثية ، وما علمته من المآثر بمكّة وحَرَمِها كالمدارس والربُط[1] وغير ذلك ، وما علمته من أخبار[2] وُلاة مكّة في الإسلام على سبيل الإجمال ، وأخبار إسلامية تتعلّق بمكّة وأهلها ووُلاتها ، والحُجّاج ـ وكثير من هذه الأخبار ـ ذكره الأزرقي ، وذكر بعض المآثر وبعض المسائل الفقهية ، وهذا القسم مما يكثر الاغتباط به لأنّ غالبه لم يحوه كتاب ، وإليه يتشوق ذوو الألباب ، وأضفت إلى ذلك أيضاً ما حرّرناه في ذَرْع الكعبة[4] والمسجد الحرام وأماكن فيه والأماكن المباركة بمكة . وحدود الحرم من جهاته المعروفة الآن بما فيها من العلامات المبيّنة لكون الذراع الذي حرّرناه به هو ذراع الحديد المستعمل في القماش بديار مصر والحجاز ، والذراع الذي حرّر به الأزرقي هو ذراع اليد ، فيُستفاد مما ذكرته ذرع ذلك بالوجهين ، وبعض ما حرّرناه ليس في كتاب الأزرقي تحرير له ، فلا يعرف تحريره إلا مما ذكرناه ، فجاء بحمد الله تأليفاً لأشتات الفوائد جامعاً ، وفي معناه إن شاء الله مفيداً نافعاً . ويُستغنى به عن كتاب الأزرقي والفاكهي ولا يغنيان عنه . وللإمام الأزرقي والفاكهي وهو محمد بن إسحاق بن العباس المكي أمور كثيرة مفيدة جداً ليست من معنى تأليف الأزرقي ولا من المعنى الذي ألّفناه ، وكانا في المائة الثالثة ، والفاكهي تأخّر عن الأزرقي قليلاً في غالب الظّنّ ، ومن عصرهما إلى تاريخه خمسمائة سنة[5] ونحو أربعين سنة وأزْيد ، ولم يصنّف بعدهما في المعنى الذي صنّفا فيه أحد ، وقد حدثت بعدهما

---

(١) الربط جمع رباط .

(٢) كلمة (أخبار) من زيادة النسخة « ك » .

(٣) في النسخة « م » (يتشوف) .

(٤) ذرع الكعبة والمسجد الحرام ، قياس مساحتها .

(٥) ولد الفاسي عام ٧٧٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٣٢ هـ وقد ألّف كتابه « شفاء الغرام » عام ٨١٦ هـ .

Marfat.com

في هـذه المدّة من المعنى الـذي ذكرنـاه عنهما أمـور مستكثـرة ، فلذلـك صـارت الإحاطة بجمعها متعذّرة ، وقد بذلنا الجهد في تحصيل ذلك فظفرنـا منه بـطرف ، وفي النفس على ما لم يظفر به أسف .

وإنّي لأعجب من إهمـال فضـلاء مكـة بعـد الأزرقي للتـأليف عَلى منـوال تـاريخه ، ومن تـركهم تأليفـاً لتاريـخ مكة يحتـوي على معرفـة أعيانهـا من أهلهـا وغيرهم من وُلاتها وأئمتها وقُضاتها وخطبـائها وعلمـائها ورواتهـا كما صنـع فضلاء غيرها من البلاد ، لبلادهم كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي[1] ، ومن بعده تـاريخ دمشق لابن عساكر[2] وتاريخ مصر للقطب الحلبي وغير ذلك من تواريخ البلاد .

وقـد وفّقني الله تعالى لجمـع شيء من هذا المعنى حـداني إلى جمعـه أنّي تشوّقت كثيراً لمعرفة ذلك وتتبّعت ما ألّفه الناس من التواريخ والـطبقات والمعـاجم والمشْيخات وغير ذلك من تعليق العلماء ، فـظفرت في ذلـك ببعض المطلوب ثم رتّبتـه على ما أدركتـه من الأمـور المنـاسبـة لـه على تـرتيب حـروف المعجم خـلا المحمَّدين والأحمدين ، فإنّهم مقدّمون على غيرهم ، لكـون ذلك من أسمـاء نبينا المصطفى ﷺ ، وهو ﷺ مذكور في أول التراجم مع شيء من سيرته الشريفة على وجه الاختصار للتبرّك بذلك .

وجعلت في أول هـذا الكتـاب مقـدّمـة لـطيفـة تحتـوي على مقـاصـد هـذا التـأليف ، لخّصتها منـه لكون التـأليف الذي هـذه المقدّمـة أوله جـامعاً لشيء من أخبار مكة وما فيها ، وشيء من أخبار أهلها ومَن أشرنا إليهم معهم ؛ وسمّيت هـذا التأليف « العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين » ثم إنّي استطلته بعد تسويدي لأكثره

---

(١) توفي الخطيب البغدادي عام ٤٦٣ هـ وجاء في المطبوع من شفاء الغرام ، ص ٤ (٤٠٦ هـ .) وهو خطأ .

(٢) ابن عساكر هو علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الحافظ ثقة الـدين أبو القاسم الدمشقي الشافعي المعروف بإبن عساكر ، ولد في محـرّم سنة ٤٩٩ هـ ، وتـوفي في رجب سنة ٥٧١ هـ . وله تصانيف كثيرة في الحديث . ومن أهم كتبه : التاريخ الكبير لدمشق وهو مشهور ويقع في عدّة مجلدات .

Marfat.com

وترتيب ما بقي منه بذهني ، فاختصرته في مقدار نصف الحجم ، وسمّيت هذا المختصر « عُجالة القِرى للراغب في تاريخ أمّ القرى » .

وأنا أسأل الله أن ييسّر لي تبييضهما وتحريرهما وأن ينفع بذلك وينفعني به ويثيبني عليه الثواب الجزيل .

وهذا التأليف المحتوي على التراجم لا يخلو من تقصير ، سببه ما ذكرته من كوني لم أر مؤلَّفاً في معناه ، ورأيت ما يدلّ على أنّ بعض الناس ألّف تاريخاً لمكة ، وهو الشريف زيد بن هاشم بن علي بن المرتَضَى العلَوي الحَسَني ، هكذا نَسَبَهُ الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الميُورْقِي[1] ، وترجمه بوزير مدينة الرسول ﷺ ، وذلك في رسالة كتبها زيد المذكور للشيخ أبي العباس المذكور رأيتها في كتاب « الجواهر الثمينة على مذهب عالم المدينة » لابن شاش المالكي بخطّ الميورقي ، ووقفه بوجّ الطائف ، وفيها مكتوب بعد البسملة : زيد بن هاشم بن علي ، ثم قال : وبعد فقد خدم بها العبد الضعيف في الثلاثاء منتصف شعبان ، وبخط المَيورقي فوق شعبان سنة سِتٍّ وسبعين وستمائة ، وذكر أشياء ثم قال : وقد خطر للضعيف مع المتاعب التي يعانيها من كل وجه إثبات تاريخ لمكة المشرّفة ، وقد أثبتُّ منه إلى الآن نحو خمس كراريس . انتهى . ولم أقف على هذا التاريخ وما عرفت على أيّ نمط هو ، هل هو تراجم فقط أو هو حوادث فيها ذِكْر شيء من أخبار مكة والكعبة المعظّمة مما يدخل في هذا التاريخ ؟[2] وسمّيت هذا التأليف « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » .

وترتيبه على أربعين باباً :

---

(١) مَيُورْقة : بالفتح ثم الضّمّ وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان وقاف : جزيرة في شرق الأندلس (معجم البلدانْ) وهو الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الميورقي المالكي المتوفّى سنة ٦٧٨ هـ في آخر ذي الحجّة ، ودفن في مقبرة ابن عباس تجاه ركن المسجد العباسي من خارجه ، وله رسالة في الطائف سمّاها « بهجة المُهَج ، في بعض فضائل الطائف ووج » وهي مخطوطة .

(٢) في النسخة « م » (التأليف) بدل التاريخ .

الباب الأول : في ذِكر مكّة المشرّفة وحكم بيع دُورها وإجارتها .

الباب الثاني : في أسماء مكة المشرَّفة .

الباب الثالث : في ذِكر حرم مكّة وسبب تحريمه وعلامته . وحدوده وما يتعلّق بذلك من ضبط ألفاظه في حدوده ومعاني بعض أسمائها .

الباب الرابع : في ذكر شيء من الأحاديث والآثار الدالّة على حُرْمة مكّة وَحَرَمِها وشيء في الأحكام المختصّة بذلك وشيء مما ورد من تعظيم الناس لمكّة وحرمها ، وفي تعظيم الذنب في ذلك ، وفي فضل الحرم .

الباب الخامس : في ذكر الأحاديث الدالة على أنّ مكة أفضل من غيرها من البلاد ، وأنّ الصلاة فيها أفضل من غيرها وغير ذلك من فضلها .

الباب السادس : في المجاورة بمكة والموت فيها وشيء من فضل أهلها وفضل جُدَّة ساحل مكة وشيء من خبرَها وشيء من فضل الطائف وشيء من خبره .

* الباب السابع : في أخبار عمارة الكعبة المعظَّمة .

* الباب الثامن : في صفة الكعبة وذَرْعها[1] وشيء من حليتها ومعاليقها وكسوتها وطيبها وخدّامها وأسمائهم وهدْم الحبشيّ لها ووقت فتحها في الجاهلية والإسلام وبيان جهة المصلّين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلّة القبلة بالآفاق المشار إليها .

الباب التاسع : في بيان مصلّى النبي ﷺ في الكعبة وبيان قدر صلاته هذه ووقتها ومن رواها من الصحابة ، ومن نفاها منهم رضي الله عنهم ، وترجيح رواية

---

(١) في النسخة « م » بعد ذلك (وشاذروانها) .

Marfat.com

من أثبتها على رواية من نفاها ، وما قيل من الجمع بين ذلك ، وعدد دخوله ﷺ الكعبة بعد هجرته إلى المدينة وأول وقت دخلها بعد هجرته .

الباب العاشر : في ثواب دخول الكعبة المعظّمة وفيما جاء من الأخبار الموهمة لعدم استحباب دخولها ، وفيما يطلب فيها من الأمور التي صنعها ﷺ فيها وحكم الصلاة فيها ، وفي اداب دخولها .

الباب الحادي عشر : في فضائل الكعبة وفضائل الحجر الأسود والركن اليماني .

الباب الثاني عشر : في فضائل الأعمال المتعلّقة بالكعبة كالطواف بها والنظر إليها والحجّ والعُمْرة وغير ذلك .

* الباب الثالث عشر : في الآيات المتعلقة بالكعبة المعظمة .

* الباب الرابع عشر : في شيء من أخبار الحجر الأسود .

الباب الخامس عشر : في الملتزم والمستجار والحَطيم وما جاء في استجابة الدّعاء في ذلك وغيره من الأماكن الشريفة بمكّة وَحَرَمِها .

الباب السادس عشر : في شيء من أخبار مقام إبراهيم الخليل عليه السلام .

الباب السابع عشر : في شيء من خبر حِجر إسماعيل عليه السلام ، وفيه بيان المواضع التي صلّى فيها النّبيّ ﷺ حول الكعبة .

* الباب الثامن عشر : في شيء من أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته وذَرْعِهِ .

الباب التاسع عشر : في عدد أساطينه[1] وصِفتها وعدد عقوده وشُرُفاته وقناديله وأبوابه وأسمائها ومنايره[2] وفيما صُنع فيه لمصلحة أو لنفع الناس به وفيما فيه الآن من المقامات وكيفية صلاة الأئمة بها وحكمها .

الباب العشرون : في أخبار زمزم وسقاية العباس رضي الله عنه .

الباب الحادي والعشرون : في ذكر الأماكن المباركة بمكّة وحَرَمها .

الباب الثاني والعشرون : في الأماكن التي لها تعلّق بالمناسك .

الباب الثالث والعشرون : فيما بمكة من المدارس والربُط والسقايات[3] والبرك المسبّلة[4] والآبار والعيون والمطاهر[5] وغير ذلك من المآثر وما في حرمها من ذلك .

الباب الرابع والعشرون : في ذكر شيء من خبر بني المحض بن جندل ملوك مكّة ونسبهم وذِكرِ شيء من أخبار العماليق ملوك مكة ونسبهم وذِكر ولايةِ طَسْمٍ للبيت الحرام .

الباب الخامس والعشرون : في ذكر شيء من خبر جُرْهم وُلاة مكّة وَنَسَبهم وذِكْر من ملك مكّة ، من جُرْهم ومدّة ملكهم لها ، وما وقع في نسبهم من الخلاف وفوائد متعلّقة بذلك ، وذِكْر من أخرج جُرْهُماً من مكة ، وكيفية خروجهم منها وغير ذلك من خبرهم .

الباب السادس والعشرون : في ذِكر شيء من خبر إسماعيل النبيّ عليه السلام وذكر ذبح إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام .

---

(١) الأساطين جمع أسطوانة، وهي العمود المستدير .
(٢) المنابر جمع منارة والصحيح مناور وهي المئذنة .
(٣) جمع سقاية ، وهي الأماكن التي يسقى فيها الماء .
(٤) المجعولة وقفاً يردها كل من يشاء .
(٥) جمع مطهرة ، وهي المكان المعدّ لقضاء الحاجات والوضوء والاستحمام وغيرهما من أنواع الطهارة .

Marfat.com

الباب السابع والعشرون : في ذكر شيء من خبر « هاجَر » أم إسماعيل عليه السلام . وذكر أسماء أولاد إسماعيل وفوائد تتعلّق بهم ، وذكر شيء من خبر بني إسماعيل وذِكر ولاية ثابت بن إسماعيل للبيت الحرام .

الباب الثامن والعشرون : في ذكر ولاية إياد بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان للكعبة وشيء من خبره ، وذكر ولاية بني إياد بن نزار للكعبة ، وشيء من خبرهم وخبر مُضَر ، ومَن وَلِيَ الكعبة من مُضَر قبل قريش .

الباب التاسع والعشرون : في ذكر من ولي الإجازة بالنّاس من عرفة ومُزْدَلِفَة ومِنَى من العرب في ولاية جُرْهم وفي ولاية خُزَاعة وقريش على مكة .

الباب الثلاثون : في ذكر من ولي إنساء[1] الشهور من العرب بمكة وذِكر صفة الإنساء وذِكر الحمس[2] والحلّة . والقَلَمُس[3] .

الباب الحادي والثلاثون : في ذكر شيء من خبر خُزاعة وُلاة مكة في الجاهلية ونسبهم ومدّة ولايتهم لمكة ، وأول ملوكهم بها وغير ذلك من خبرهم ، وشيء من خبر كلمة بن عامر ماء السماء الذي تُنسب إليه خزاعة على ما قيل وشيء من خبر[4] بنيه وغير ذلك .

الباب الثاني والثلاثون : في ذكر شيء من أخبار قريش بمكة في الجاهلية

---

(١) إنساء الشهور تأخير الأشهر الحرم إلى ما بعدها إستجلالاً للقتال فيها .

(٢) الحمس : قبائل من بني عامر وغيرهم تحالفت وتكتّلت وكانت لها شوكة وَهيبة في العرب .

(٣) كان في الأصل (الطلمس) ، والصواب ما أثبتناه ، كما ذكره المؤلّف في الباب الثلاثين . والقلْمس هو أول من نسأ الشهور على العرب واسمه حُذَيفة بن عبد بن فقيم بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، قال شاعرهم :

* وفينا ناسيء الشهر القلمّس *

والقلمّس : هو السيد العظيم المعطاء .

(٤) كلمة (خبر) من زيادة النسخة « م » .

Marfat.com

وشيء من فضلهم وما وُصفوا به وبيان نَسَبهم وسبب تسميتهم بقريش ، وابتداء ولايتهم للكعبة وأمر مكة .

الباب الثالث والثلاثون : في ذكر شيء من خبر بني قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة وتوليتهم لما كان بيده من الحجابة والسقاية والرفادة ، والندوة ، واللواء والقيادة وتفسير ذلك .

الباب الرابع والثلاثون : في ذكر شيء من خبر الفِجار والأحابيش .

الباب الخامس والثلاثون : في حلف الفُضُول وخبر ابن جدعان الذي كان هذا الحلف في داره ، وذكر أجواد قريش وحكّامهم في الجاهلية ؛ وتملّك عثمان ابن الحُوَيْرِث بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ عليهم ، وشيء من خبره .

الباب السادس والثلاثون : في ذكر فتح مكّة المشرَّفة وفوائد تتعلّق بخبر فتحها .

الباب السابع والثلاثون : في ذِكْر ولاة مكة المشرّفة في الإسلام .

الباب الثامن والثلاثون : في ذكر حوادث تتعلّق بمكة في الإسلام .

الباب التاسع والثلاثون : في ذكر شيء من أمطار مكة وسيولها في الجاهلية والإسلام وذكر شيء من أخبار الصواعق بمكة وذكر شيء من أخبار الغلاء والرخص والوباء .

الباب الأربعون : في ذكر الأصنام التي كانت بمكّة وحولها ، وشيء من خبرها ، وذكر شيء من خبر أسواق مكة في الجاهلية والإسلام ، وذكر شيء مما قيل من الشعر في التشوّق إلى مكّة المشرَّفة ، وذكر معالمها المنيفة .

وأنا أسأل من كل واقف على هذا المختصر وأصله المسامحة عما فيهما من

Marfat.com

التقصير وإصلاح ما فيهما من الغلط بعد التحرير فسبب الغلط في ذلك[1] النسيان، وقد جُبل عليه كل إنسان ، وسبب التقصير ما ذكرته من أني لم أر مؤلفاً في المعنى الذي قصدت جمعه مما كان بعد الأزرقي والفاكهي فأستغني به .

وأسأل الله أن يمنحني على ما قصدت الثواب الجزيل بمحمد سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين .

وقد رأيت أن أذكر إسنادي في تاريخ الأزرقي لكثرة المنقول منه في هذا الكتاب ، وإذا كان متّصلاً[2] إليه بالإسناد فهو ما يُستجاد ، وأخبرني به أبو المعالي عبد الله بن عمر الصوفي بقراءتي عليه في القاهرة عن أبي زكريا يحيى بن يوسف القُرَشي إجازةً إن لم يكن سماعاً : أن أبا الحسن علي بن هبة الله الخطيب وعبد الوهاب بن ظافر الأزدي أنبآه عن أبي طاهر أحمد بن محمد الحافظ ، قال : أخبرنا به المبارك بن عبد الجبار المعروف بإبن الطيُوري ، قال : أخبرنا به أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العِشاري ، قال : أخبرنا به أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي ، قال: أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال : أخبرنا به أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي فذكره .

---

(١) في النسخة « م » (في الغالب) بدل « في ذلك » .
(٢) في النسخة « م » « وذلك » بعد كلمة « متصلاً » .

131751

Marfat.com

الباب الأول

في ذكر مكّة المشرفة وحكم بيع دورها واجارتها

مكة المشرَّفة بلدة مستطيلة كبيرة تسع من الخلائق ما لا يحصيهم إلا الله عزّ وجلّ في بطن وادٍ مقدَّس ، والجبال محدقة بها كالسور لها ولها مع ذلك ثلاثة أسوار : سور في أعلاها ويعرف بسور باب المعلاّة[1] ، وفيه بابان أحدهما لا باب له ويكون في الغالب مسدوداً ، وسوران في أسفلها أحدهما يُعرف بسور بِاب الشبيكة[2] وفيه باب كبير وخَوخة[3] صغيرة لا باب لها ، والسور الآخر يعرف بسور باب الماجن[4] ، ويعرف أيضاً بسور باب اليمن لأنه على طريق البرّ إلى اليمن .

وكان أحسن هذه الأسوار على ما رأينا سور باب الشبيكة لكماله بالبناء فيما بين الجبلين اللذين بينهما السور المذكور ، ولا كذلك سور باب المعلاّة وسور باب الماجن ، والخلل في سور باب الماجن أكثر ولِقِصَر جُدُر هذين السورين في مواضع ، ولا كذلك سور باب الشبيكة ، وقد عُمّر سور باب المعلاّة وسور باب الماجن حتى كمل بناؤهما من الجبل إلى الجبل إلاّ أنّ في سور باب المعلاّة

---

(١) المعلاة : مرتفع بأعلى مكة على سفح جبل الحجون وبه مقبرة مكة المشهورة بقبور المُعَلاّة ، وينطقها المكيون بالتخفيف فيقولون : المعلى .

(٢) الشبيكة ـ هي الآن حي من أحياء مكة . واقعة بأسفل مكة ومنحرفة إلى الجهة الغربية منها .

(٣) الخوخة : هي الفتحة أو الباب الصغير .

(٤) الماجن ، أو الماجل ـ بأسفل مكة ، وبه الآن بركة يقال لها : بركة ماجل .

موضعاً متخللاً[1] من البناء مما يلي البركة المعروفة ببركة الصارم وارتفع جُدُر السّورَيْن عمّا كانا عليه ، ويذكر أنهما يرفعان أكثر ويُعمل لهما شرفات ، ويكمل الخلل الذي في سور باب المعلاّة وهذه العمارة في النصف الثاني من سنة ستّ عشرة وثمانمائة من جهة الشريف بدر الدين حسن[2] بن عَجلان الحَسَني نائب السلطنة ببلاد الحجاز أدام الله له الرفعة والإعزاز ، وسبب ذلك أنّ ابن أخيه السيد رميثة بن محمد بن عجلان هجم على مكة ودخلها في طائفة من أصحابه في ضحوة يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ومال إليه جماعة من المولّدين كانوا بمكة وخرجوا جميعاً منها ، ولم يُحْدِثوا بها كبير حَدَث لتخوّفهم من وصول السيد حسن بن عجلان إليهم فيستأصلهم لكثرة من معه وقلّتهم ، وكانت مدّة مكْثهم بمكّة ساعةً فلكية أو أزْيَد ، ولما توجّه رميثة لمكة لم يكن لعمّه عِلْم به ، ولما علم بذلك أتى مكة مسرعاً ودخلها من درب المعلاّة ، ورأى أوائل عسكره أصحاب رميثة خارجين من مكة فتبعهم السيد حسن في عسكره قليلاً ثم أعرض عنهم رحمة لهم ، وكان بين الفريقين بعد ذلك منازلات وأمور كثيرة ، ثم إنّ بعض عسكر السيد حسن هدم عدّة مواضع من سور باب المعلاّة من جانبيه ، منها موضع كبير يلي الجبل الشهامي عند البرج الذي هناك سعته نحو عشرة أذرع حتى اتّصل الهدم بالأرض ، ومنها موضع نحوه من الجانب الآخر متّصل ببركة الصارم وذلك في يوم الثلاثاء خامس وعشرين شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة ، ثم أعيد بناء جميع ما تهدّم من هذا السور كما كان ، في بقية شوال .

وفي أول ذي القعدة من السنة المذكورة وفي يوم هدم ذلك أحرق باب المعلاّة بالنار حتى سقط إلى الأرض ، وكان عُمل (بكلكته) من بلاد الهند فى سنة ستّ وثمانين وسبعمائة وأُهدي للسيد أحمد بن عجلان وركّبه على باب المعلاة

---

(١) هكذا بالأصل وصوابه متخلخلاً ، أو مختلاً .

(٢) مات الشريف حسن في ١٦ جُمادى الآخرة سنة ٨٢٩ هـ. وترجمته في : الضوء اللامع للسخاوي ٣/٢٠٣ ـ ١٠٥ رقم ٤١٧ .

Marfat.com

عنان بن مغامس بن رميثة في سنة تسعٍ وثمانين لما ولي إمرة مكة بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان ، وسبب إحراقه وهدم ذلك أن عسكر السيد رميثة بن محمد بن عجلان منعوا عسكر عمه السيد حسن من دخول مكة لما ولي إمرة مكة عِوَض رميثة في ثامن عشر من رمضان هذه السنة وبأمره كان بناء ما هدم ، وبأمره عوَّض عن الباب المحترق بباب جيّد ورُكّب في محلّه في يوم الجمعة ثاني عشر القعدة من السنة المذكورة ، وهذا الباب كان لبعض دُور السيد حسن بمكة ، وكان ينقص عن مقدار باب المعلاّة ، فزِيد فيه ما كمّله وأحكمت الزيادة فيه ، وكان لمكة سور مَن أعلاها دون سورها اليوم قريباً من المسجد المعروف بمسجد الراية[1] . وموضع باب هذا السور على ما ذكر لي غير واحد فيما بين الدارين المتقابلتين المنسوبتين لمسعود بن أحمد المعروف بالأزرق المكي التي بإحداهما الآن ذِيَب مشروعة لا سقف عليها في محاذاة ركني الدارين مما يلي الردم ، وإذا كان محل باب السور في محاذاة هذين الركنين فالظاهر والله أعلم أنّ محلّ بقية السور يحاذي بابه من جانبي الباب ، وأنه من الجبل الذي إلى جهة القرارة[2] ، ويقال له لعلع إلى الجبل المقابل له الذي إلى جهة السوق ، أي سوق الليل[3] ، لأنّ التحصّن بهذا السور لا يتم إلا بأن يكون هكذا ، وفي الجبلين المشار إليهما آثار بناء تدل على اتصال السور بهما ، وبعض هذا السور الآن على ما بلغني من بعض البيوت المحاذية له لأنّ بعض الناس أراني في بعض الدُور المنسوبة (للرالكيين[4]) جداراً عريضاً ذكر أنه من السور الذي كان هناك ونقل ذلك عن بعض أقاربه ، ويقال الآن لموضع باب السور المشار إليه الدرب الدارس ، ويقال لهذا السور فيما مضى السور الجديد ، لأنّي وجدت بخطّ مُسنِد مكة ومُوَثِّقها

---

(١) مسجد الراية : ما زال معروفاً إلى الآن بهذا الاسم وهو المسجد الواقع بالجودرية على يمين الصاعد من المدعا إلى المعلا ، وقد جُدّد عام ١٣٦١ هـ ، وعند حفر أساسه عُثر على حجرين مكتوبين يدلاّن على أنّ هذا المسجد هو مسجد الراية أحدهما تاريخه ٨٩٨ هـ والثاني سنة ألف هـ .

(٢) حيّ من أحياء مكة .

(٣) سوق الليل حيّ من أحياء مكة .

(٤) هكذا وُجدت بالأصل .

Marfat.com

عبد الرحمن بن أبي حرمي الكاتب العطار ما يقتضي ذلك .

ومن موضع باب السور المشار إليه بالأرض عند ركني الدارين المشار إليهما مما يلي الردم إلى الجدار القبلي من المسجد المعروف بمسجد الراية مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً وربع ذراع بالذراع الحديد يكون بذراع اليد الآتي تحريره مائة وأربعين ذراعاً وستّة أسباع ذراع . ومن موضع باب السور الذي أشرنا إليه إلى جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب بني شيبة تسعمائة ذراع (بتقديم التاء) وعشرون ذراعاً ونصف ذراع بالحديد . ويكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع واثنين وخمسين ذراعاً ، وما عرفت متى نشأت هذه الأسوار لمكة ولا من أنشأها ولا من عَمَّرها ، غير أنه بلغني أن الشريف أبا عزيز قتادة[1] بن إدريس الحَسَني أحد أجداد السيد حسن المذكور عمّرها، والله أعلم بصحة ذلك ، وأظنّ أنّ في دولته عُمِّر السور الذي كان بأعلى مكة ، وفي دولته سهلت العقبة التي بُني عليها سور باب الشبيكة وأصلحت ، وذلك من جهة المظفَّر صاحب إربل في سنة سبعٍ وستّمائة ، ولعلّه الذي بني السور الجديد الذي كان بأعلى مكة ، والله أعلم .

ورأيت في بعض التواريخ ما يقتضي أنه كان لمكة سور في زمن المقتدر بالله[2] العبّاسي ، وما عرفت هل هو هذا السور من أعلى مكة وأسفلها أو من إحدى الجهتين ؟ والله أعلم .

وطول مكة ، من باب المعلاّة إلى باب الماجن على خطّ الردم والمسعى

---

(١) هو أول من ولي مكة من الأشراف الحَسَنيين بعد الهواشم ، وكانت ولايته سنة سبعٍ ، وقيل ثمانٍ ، وقيل تسعٍ وتسعين وخمسمائة ، وقد وقع بينه وبين الخليفة في بغداد (وهو الخليفة الناصر لدين الله) نزاع ومناوشات . وقد حنق الملك عيسى بن العادل الأيوبي صاحب حلب على قتادة ونَصَر أمير المدينة عليه وأعانه بجيش كثيف فهزم قتادة هزيمة نكراء سنة ٦١٢ هـ . ويذكر ابن الأثير في تاريخه أنّ ولاية قتادة قد اتسعت من حدود اليمن إلى مدينة الرسول وكثر عسكره حتى خافته العرب ، وقد ظلّ على أمره حتى اختلف مع ابنه حسن فقتله حسن ونادى بنفسه أميراً على البلاد وذلك في سنة ٦١٨ هـ. (وانظر : الكامل في التاريخ ٤٠١/١٢).

(٢) ولي المقتدر الخلافة العباسية عام ٢٩٥ هـ وظلّ في الخلافة إلى عام ٣١٧ هـ .

Marfat.com

والسوق المعروف بسوق العلافة[1] ومسيل وادي إبراهيم ، أربعة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعاً (بتقديم السين) وذلك بذراع اليد الآتي ذكره في حدود الحرم وهو ينقص عن ذراع الحديد ثُمن ذراع الحديد .

وطول مكة من باب المعلاّة إلى باب الشبيكة على خطّ الردم والمسعى ومسيل وادي إبراهيم إلا أنه ينحرف عنه إلى باب الشبيكة في الزقاق الذي يخرج منه إلى[2] البيت المعروف ببيت ابن عرفة بالشبيكة . أربعة آلاف ذراع وستمائة ذراع واثنان وتسعون ذراعاً (بتقديم التاء[3]) وذلك بذراع اليد المشار إليه ، ومن باب المعلاّة إلى باب الشبيكة أيضاً على خطّ الردم يعدل منه من سوق البن والحشيش إلى السويقة ، ثم إلى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعاً (بتقديم السين) ، وذلك بذراع اليد المشار إليه ، وما عرفت أنّ أحداً قبلي اعتبر ذلك ، وذكرناه في أصل هذا الكتاب ويقع في بعض نُسخ ابن الحاجب لتشهيره[4] وقول من قال إنه : ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع وهو أصحّ ما قيل في الميل على ما ذكره ابن عبد البرّ فيما نقله عنه صاحب « التوضيح » الشيخ خليل المالكي وقول من قال إنه : أربعة آلاف وهو الذي يعتمده أهل الحساب وعليه أكثر الناس على ما قال القاضي أبو الوليد الباجي فيما نقله عنه صاحب « التوضيح » أيضاً ، وقول من قال : إنه ستّة آلاف ذراع . وهو قول الأصمعيّ ومتابعيه من الشافعية وغيرهم .

وذكر الفاكهي ما يقتضي أنّ الناس فيما مضى كانوا لا يتجاوزون في السُكْنَى البئر التي عند المسجد الذي عند الردم ، بأعلى مكة ، لأنه قال في الترجمة التي ترجم عليها بقوله : « ذكر المواضع التي تُستحبّ فيها الصلاة بمكة وآثار النبي ﷺ فيها وتفسير ذلك » . . ، ومنها مسجد بأعلى مكة عند الردم عند بئر جُبَيْر بن

---

(١) واسمه الآن السوق الصغير .

(٢) في النسخة ـ ك : (على) ، بدل : (إلى) .

(٣) أي تسعون .

(٤) أي عدّه مشهوراً .

Marfat.com

مُطْعم بن عديّ بن نـوفل ، ويقـال لها : البئـر العليا ، يقـال : إنّ النبيّ ﷺ صلّى فيه ، ثم قال سمعت بعض أهل مكة من الفقهاء يقولون : كان النـاس لا يجاوزون في السُكْنَى في قديم الدهر هذا البئر ، إنّما كان الناس فيما دونها إلى المسجد وما فوق ذلك خال من الناس ، وقال عمر بن أبي ربيعة أو غيره يذكر هذا البئر[1] :

نـزلت بمكـة في قبـائـل نـوفـل ... ونـزلت خلف البـئـر أبعـدَ مـنـزل
حـذراً عليهـا من مقـالـةِ كـاشـحٍ ... ذَرِبِ اللسـانِ يقـول مـا لم يفعـل

وسمعت أبا يحيى بن أبي ميسرة يقول : كان آخر البيوت عند الردم نحواً من هذا الموضع ، واحتجّ في ذلك بقول عطاء : إذا جاوز الردم « يعني الحاجّ » صنع ما شاء ا هـ .

والمسجد المشار إليه هو المسجد المعروف بمسجد الرايـة ، والبئر المشـار إليها لعلّها البئر التي عند هذا المسجد[2] وهي معروفة عند الناس ويستقون منها ، ويُحتمـل أن تكون البئـر التي كانت بقـرب بئر ابن المـرة بقرب هـذا المسجـد من أعلاه ، وهي الآن خافية لأنها طُمَّت من نحو اثني عشر عـاماً ، وهي منـه أبعد من البئر الموجودة الآن ، والأول أقرب ، والله أعلم .

وللناس اليوم منازل كثيرة مسكونة فوق هذا المسجد ، والبئر المشار إليها من جـانبي الـوادي ، وهي من الجـانب الـذي يكـون على يمين الصـاعـد من مكـة المشرفة[3] .

ومن الجبال المحدقة بمكة أخشباها ، وهمـا أبو قُبيس والجبـل الأحمر على ما ذكر الأزرقي[4] ، لأنه قال : أخشبا مكة أبـو قبيس ، وهو الجبـل المشرف على

---

(١) كذا في الأصل .
(٢) في النسخة ـ ك : (التي بقرب هذا المسجد) .
(٣) أي من طريق المدعا .
(٤) أخبار مكة ٢/٢٦٦ .

الصّفا إلى السويداء إلى الخندمة ، ثم قال بعد ذكر شيء من خبر أبي قبيس : والأخشب الآخر الجبل الذي يقال له الأحمر ، وكان يسمّى في الجاهلية « الأعرف » ، وهو الجبل المشرف وجهه على قعيقعان وعلى دور عبدالله بن الزُبير اهـ .

وذكر ابن الأثير والمحبّ الطبري في أخشبي مكة مثل ما ذكره الأزرقي ، وذكر القاضي عياض في المشارق ، وياقوت في مختصره لمعجم البلدان[1] ، ما يقتضي خلاف ذلك في الأحمر ، أما القاضي فلأنّه قال : الأخشبان جبلان يضافان مرّة إلى مكة ومرّة إلى المدينة ، أحدهما أبو قبيس والآخر قُعَيْقِعَان ، ويقال : بل الجبل الأحمر المشرف هنالك ويسميان الجَبْجَبَان[2] وقال ابن وهب : الأخشبان الجبلان اللذان تحت العقبة بِمنَى فوق المسجد اهـ . وقوله : ومرة إلى المدينة ، لعلّه ومرة إلى مِنَى ، بدليل ما حكاه عن ابن وهب ، والله أعلم .

وأما ياقوت فقال : باب : الأخشبْ موضعان ، الأخشب الشرقي والأخشب الغربي وهما الأخشبان ، فالشرقي هو أبو قبيس ، والغربي قعيقعان ، وقيل : بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك ، وقد بُسطا في المعجم[3] . اهـ .

وأبو قبيس : بقاف مضمومة وباء موحَّدة مفتوحة وياء مثنّاة من تحت ساكنة وسين مهملة ، واختُلف في سبب تسميته بذلك فقيل : سُمّي برجل من إياد على ما قيل يقال له أبو قبيس كان أول من بنى فيه ، فلما صعد فيه البناء سُمّي جبل أبي قبيس ، ذكر هذا القول الإمام الأزرقي[4] بمعنى ما ذكرناه ، قال : ويقال اقتبس منه الركن فسُمّي أبا قبيس ، والأول أشهرهما عند أهل مكة ، ولم يذكر الأزرقي في سبب تسميته أبا قبيس غير هذين القولين ، وقيل إنّ أبا قبيس الذي

---

(١) هو كتاب « المشترك وضعاً والمفترق صقعاً » ـ أنظر : ص ١٦ .
(٢) بجيم مفتوحة فباء موحدة ساكنة ثم جيم فباء .
(٣) راجع « معجم البلدان » ١/١٢٢ .
(٤) أخبار مكة ٢/٢٠٢ و ٢٠٣ .

Marfat.com

سُمّي بـه هذا الجبـل المشار إليـه من مذحـج ، ذكـر ذلـك النـووي نقـلاً عن ابن الجـوزي ، لأنه قـال في التهذيب : حكى ابن الجـوزي في سبب تسميته بـذلـك قولين الصحيح منهما أنّ أول من نهض يبني فيه رجل من مَذحِج يقال لـه أبو قبيس فلما صعد بالبناء فيه سُمّي أبا قبيس ، والثاني ضعيف أو غلط فتركناه .

والقول الذي ترك النووي ذِكْـره هو القـول الذي أشـار إليه الأزرقي بقـوله : ويقال اقتبس منه الركن فسُمّي أبا قبيس ، لأنّ المحبّ الـطبري قـال في القرى في الترجمة التي ترجم عليها بقوله : ما جاء في فضل مكة وحرمها وأنها خير أرض الله في الباب الأربعين : واختلف في سبب تسمية أبي قبيس بذلك فقيل . إنه أول من نهض يبني فيه رجل من مَذحِج يقال له أبو قبيس فسُمّي به وقيل : لأنه اقتبس منـه الركن فسُمّي بذلك ، والأول أصحّ ، ذَكَرَهُ في « مثير العـزم » انتهى ، ومثير العـزم هو « مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن » تأليف الحافظ أبي الفرج بن الجوزي على مـا هو مشهـور في نسبة هـذا الكتاب إلى ابن الجـوزي ، ويتـأيّـد ذلـك بـأنّ المحبّ الطبري قال في القرى بعد أن أخرج حديثاً في البـاب الأول منه : خـرجه ابن الجوزي مُسْنداً في كتاب « مثير العزم الساكن » . اهـ .

وإذا كان ما ذكـره المحبّ الطبـري في تسمية أبي قبيس مـذكوراً في « مثيـر العـزم الساكن » صـحّ ما ذكـرناه في بيـان القول الـذي تـرك النـووي ذِكـره ، والله أعلم .

وذكر الفاكهي القولين في الرجل الذي بنى في أبي قبيس أولاً ، هـل هو من إيـاد أو من مَذْحِـج ؟ وسمّاه قبيسـاً ، وهذا يخـالف مـا ذكـره الأزرقي من أنـه أبـو قبيس ، ولعلّه سقط لفظ أبي في كتاب الفاكهي ، والله أعلم ، فيتحصّـل في نسبه قولان وفي اسمه قولان ، وقيل في سبب تسمية هذا الجبل بأبي قبيس غير ما ذكـر لأنّ أبا القاسم السُهَيلي قال في روضته[1] : وثور جبل من جبال مكة ، وثبيـر أيضاً

---

(١) الروض الأُنُف ـ ج ١ ص ١٧٥ ط مطبعة الجمالية بمصر .

Marfat.com

جبل من جبالها ، ذكروا أنّ ثبيراً كان رجلاً من هذيل مات في ذلك الجبل فعُرف به الجبل ، كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالح رجل من جُرْهُم كان قد وشى بين عمرو بن مُضَاض وبين ابنة عمه مَيَّة ، فنذرت أنْ لا تكلّمه ، وكان شديد الكَلَف بها ، فحلف ليقتلنّ قبيساً ، فهرب منه إلى الجبل المعروف به وانقطع خبره ، فإمّا مات وإمّا تردّى منه ، فسُمّي الجبل أبا قبيس .

وذكر السُهَيلي[1] : أن ابن هشام ذكره في خبر طويل في غير السيرة لابن إسحق ، وقيل في سبب تسميته أنّ النار التي بأيدي الناس اقتبست منه ، وذلك أنّ سَرْحَتَيْن نزلتا من السماء فوقعتا ناراً فاقتبس منهما آدم النار التي بأيدي الناس ، ذكر ذلك محمد بن إبراهيم الورّاق في كتاب « مباهج الفِكَر ومناهج العِبَر » ، وهذا معنى ما ذكره ، وذكر الورّاق : أنه يقال له أبو قابوس وشيخ الجبال ، ولم أقف على هذا الكتاب الذي ذكر الورّاق فيه ما حكيناه عنه في أبي قبيس ، وإنما وجدته بخطّ بعض أصحابنا نقلاً عنه .

وأبو قبيس : اسم لموضعين أحدهما هذا الجبل ، والآخر حصن بحلب قبالة شَيْزَر ، ذكره ياقوت في مختصره لمعجم البلدان[2] ، وسنذكر من الأخبار المتعلّقة بأبي قبيس غير ما ذكرناه هنا عند ذكره في الباب الحادي والعشرين من هذا الكتاب .

والأحمر الذي قيل فيه إنّه أحد أخشبي مكّة بحاء وراء مهملتين بينهما ميم ، ومنه على ما قيل بنى الخليل إبراهيم عليه السلام الكعبة على ما رويناه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، ورويناه ذلك عن أبي قلابة في تاريخ الأزرقي[3] .

---

(١) الروض الأنف ـ ج ١/ ٢٢١ .
(٢) المشترك وضعاً ـ ص ١١ .
(٣) أخبار مكة ٢/ ٢٦٧ .

Marfat.com

والأحمر اسم لثلاثة مواضع على ما ذكر ياقوت في معجم البلدان[1] لأنه قال: باب : الأحمر ثلاثة مواضع ، الأول الأحمر ، جبل مشرف على قُعَيْقِعَان ، كان يُسمَّى في الجاهلية الأعرف ، الثاني الأحمر حصن بسواحل الشام ، كان يعرف بعَثليث[2] ، الثالث الأحمر ناحية بالأندلس من ناحية سَرَقُسْطَه يقال له البرج الأحمر !! .

وقُعَيْقِعَان الذي قيل إنه أحد أخشبي مكة ، قال ياقوت في تعريفه لما ذكر المواضع التي سُمّيت قُعَيْقِعَان : بضمّ القاف وفتح العين[3] . انتهى .

وذكر النووي ما يوافق ذلك لأنه قال بعد أنْ ذكر محلّه من الروضة ، هو بضمّ القاف الأولى وفتح العين وبعدها ياء مثنّاة من تحت ساكنة وكسر القاف الثانية : وهو جبل مكة المعروف ومقابل لأبي قبيس[4] . انتهى . وقوله : قول ياقوت في تعريف قعيقعان هذا : إنه مقابل أبي قبيس يُفهم أنه أخشب مكة الآخر ، والله أعلم .

والأخشب في اللغة : كل جبل خشن غليظ . ذكر ذلك ابن الأثير ، وهو في صحاح الجوهري[5] بمعنى ذلك، وسُمّي قعيقعان لقعقعة سلاح مُضاض بن عمرو الجُرْهُمي وقومه فيه لما خرجوا لقتال قَطُورا على ما سنذكر في خبرهم في الباب الخامس والعشرين ، وقيل لقعقعة سلاح تُبَّع لما قدم مكة لتعظيم حرمة البيت بعد أن كان له فيه رأي غير ذلك .

وقُعَيْقِعَان اسم لخمسة مواضع ، ذكر ياقوت في مختصره لمعجم البلدان[6] منها ثلاثاً : هذا ، ومنها موضع على اثني عشر ميلاً من مكة على طريق الجرف

---

(١) ج ١/١١٧ .
(٢) ورد في النسخة المطبوعة سنة ١٣٧٥ هـ . /١٩٥٦ م . ـ ص ١٦ : « بتلبب » وهو خطأ .
(٣) المشترك وضعاً ـ ص ٣٥٥ .
(٤) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ٢ ق ٢/ ١١٠ .
(٥) الصحاح ـ ج ١ باب الباء فصل الخاء .
(٦) يقصد كتاب « المشترك وضعاً والمفترق صقعاً » ـ ص ٣٥٥ .

Marfat.com

إلى اليمن ، ونقل ذلك عن عرام ، وعندها قرية بها ماء وزروع ونخيل ، ومنها جبل بالأهواز ، منه نُحِتت أساطين جامع البصرة . انتهى ما ذكره ياقوت بالمعنى ، والموضعان اللذان لم يذكرهما ياقوت هما موضع مشهور يليه واد مشهور قرب الطائف ، وحصن باليمن بين ذمار وإرياب[1] أفادَنيه من يُعتمد عليه من الأصحاب ، وفيه الجبال بمكة والخارجة عنها ، لا يعرف منها بما ذكره الأزرقي من أسمائها إلا القليل ، ولذلك أعرضنا عنها .

وبمكّة أبنية كثيرة ، ولم يذكر منها إلّا الأماكن المباركة والمآثر ، وإنما أعرضنا عن ذكر ما سوى ذلك من الأبنية لأنّها إنما تُعرف بمن هي في أيديهم ، وتعريفها بهم لا يجزيء إلّا في الوقت الحاضر لأجل نقلها من أيديهم بالبيع وغيره ، وتشتهر بمن صارت إليهم[2] وتنسى معرفتها بمن كانت به معروفة من قبل في الغالب ، كما جرى للأزرقي في تعريفه رباع مكة فإنها لا يعرف الآن منها بما ذكره الأزرقي إلا النادر كما سيأتي بيانه . ووقع فيما ذكرناه من أمر مكة ذكر المعلاّة فنذكر حدَّها وحدّ ما يعرف من مكة بالمسفلة[3] .

وقد ذكره الأزرقي في تاريخه[4] لأنّه قال « المعلاّة وما يليها من ذلك » :

حدّ المعلاّة من شقّ مكة الأيمن ما جاوز دار الأرقم بن أبي الأرقم ، والزّقاق الذي على الصّفا يُصعد منه إلى جبل أبي قبيس مُصعّداً في الوادي ، فذلك كلّه من المعلاّة ووجه الكعبة والمقام وزمزم وأعلى المسجد .

وحدّ المعلاّة من الشقّ الأيسر من زقاق البقر الذي عند الطاحونة ودار عبد الصمد بن علي اللّبان ، مقابل دار يزيد بن منصور الْحِمْيري خال المهديّ يقال

---

(١) ذمار وإرياب قريتان باليمن .
(٢) في النسخة (ك) إليه .
(٣) في النسخة (ك) (بالمسفل) .
(٤) أخبار مكة ٢/٢٦٦ .

لها : دار العروس مصعّداً إلى قعيقعان ، ودار جعفـر بن محمد ، ودار العجلة ومـا جاز سيل قعيقعان إلى السويقة وقعيقعان مصعداً فذلك كلّه من المعلاة .

وحدّ المسفلة من الشقّ الأيمن من الصفا إلى أجيادين فما أسفـل منه فـذلك كلّه من المسفلة .

وحـدّ المسفلة من الشقّ الأيسـر من زقـاق البقـر منحـدراً إلى دار عمـرو بن العاص ودار ابن عبد الرزاق الجمحي ودار زبيدة ، فذلك كلّه من المسفلة ، فهـذه حدود المعلاّة والمسفلة . انتهى .

وهـذه الدُور التي ذكـرهـا الأزرقي لا يُعـرف منهـا الآن غيـر دار الأرقم ودار العجلة ، وأما دار عمرو المشار إليها فلعلّها من الموضع المعروف بخرابة قريش ، لأنها بقرب باب المسجد الحرام الذي يقال له باب عمرو بن العـاص على ما ذكـر الأزرقي ، وهو الباب المعروف بباب السدّة[1] ، وتولّى بيع ذلك من عصرنا أنـاس كثيـرون من ذُرّيـة عمـرو بن العـاص رضي الله عنـه ، غـالبهم يسكن المـوضـع المعـروف بالـوهْط من بلاد الـطائف ، ومنهم صارتْ للشهـاب بركـوت[2] المكين وعمّر فيها عمارة حسنة جداً ، لا يوجد مثلها بمكّة ، وأدار عليها حائطاً مـرتفعاً من جميع جوانبها ، وكان ابتداء عمارته لذلك في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة .

---

(١) سُمّي بالسدّة لأنه سُد ثم فتح .

(٢) ذكره الحافظ السخاوي في « الضوء اللامع » ـ ج ٣/١٥ رقم ٦١ فقال :

« بركوت شهاب الدين عتيق سعيـد المكيني عتيق مكين الدين اليمني . كـان حبشياً كثيـر الأفضال محباً في أهل العلم وأهل الخير كثير البرّ لهم والتلطّف بهم ، لقي حظاً عظيماً من الدنيـا وتنقلت به الأحوال ، وبنى بعدن أماكن عديدة ، ثم تحوّل إلى مكة فسكنها وبنى بها داراً عظيمة ، وصاهر إلى بيت المحلّي التاجر فنكح ابنته آمنة واستولدها ، وكان كثير التزويج والأولاد بحيث مـات في حياتـه أكثر من خمسين ولداً ، وما مات حتى تضعضع حاله وذلك في ذي القعدة سنة ثـلاثين وثمانمـائة ، بعد أن وُلد له نحو الستّين ، ودُفن بالقطيع ، ومن مآثره بطريق أنس : سبيـل وحوض للبهـائم رحمه الله .

Marfat.com

ولعلّ زقاق البقر المذكور في حدّ المعـلاّة والمسفلة هو الـزقاق الـذي يصعد منه إلى الموضع المعروف بمعبد الجنيد والله أعلم .

وأظنّ أنّ دار العجلة ينقص مقـدارها عمّـا كان في زمن ابن الـزبيـر لكـونهـا ذُكـرت في حدّ المسفلة والمعـلاّة ، ولا يكون كـذلك إلاّ أنْ يكـون منها المـوضع المعروف بدار أبي سعيد ، والله أعلم .

وإذا خفي غالب الدُور التي ذكرها الأزرقي في حـدّ المسفلة والمعلاّة فكيف بما ذكره من تعريف رباع مكة كلها بمن تُنسب إليه ، وهذا يؤيّـد ما ذكـرناه من أنّ تعـريف رِباع مكـة بمن هي في أيديهم لا يُجـدي إلاّ في الـوقت الحـاضـر ، والله أعلم .

وحَوْز أهل المسفلة في عصرنا من جهة الصَّفا يمتـدّ إلى الميل الـذي بمنارة المسجـد الحرام المعـروفة بمنـارة باب علي ، وكـان يمتدّ حَـوْزُهُم إلى المـطهـرة الناصرية بالمسعى على ما قيل ، وحَوْزُهم من جهة دار العجلة إلى الدار المعروفـة بدار أبي سعيد ، وهي ملاصقة لدار العجلة .

وذكـر الفاكهي مـا يقتضي تفضيل المعـلاّة على المسفلة لأنـه قـال : « ذِكـر فضل المعلاة على المسفلة » الخ ، حدّثنا الزبير بن بكار قال حدثنا حمزة بن عُتْبـة اللهبي قال : سمعت أنّ النبيّ ﷺ لما حـدّ المشاعـر بالمعـلاّة والمسفلة والجمار والصّفا والمَرْوَة والسَّعْي والركن والمقام والحِجـر ، برز إلى أسفـل مكة فنـظر يميناً وشمـالاً فقال : « ليس لله تبـارك وتعالى فيمـا ههنا حـاجة » يعني من المشـاعـر ، انتهى .

وهذا خبر غريب ، ولذلك أوردناه ، والله أعلم بصحته .

وأول دار بُنِيَتْ بمكة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة دار الندوة بناها قُصَيّ بن كـلاب لما ملك مكّـة ليحكم فيها يجتمـع فيها هـو وقومـه للمشورة ، واقتـدت بـه قريش من بعده في الاجتماع للمشورة بها تبرّكاً برأيـه ، ودخلت كلّها في المسجـد

الحـرام دفعات ، وذكـر الزُبَيـر بن بكار عن أبي سفيـان بن أبي وداعـة السَّهْمي أن سعيـد بن عمرو بن هصيص السهمي أول من بنى بمكـة بيتاً ، وأنشـد لأبي سفيان شعراً يدلّ عليه وهو قوله :

فـأول مـن بـوّا بـمـكـة بـيـتـه وسـوّر فيهـا سـاكنـاً بـأثـاف[1]

ولم يذكر أنه جعل بابها إلى مسجد الكعبة ، والله أعلم .

وينبغي لمن بنى بمكـة بيتـاً أن لا يـرفـع بنـاءه على الكعبـة ، فـإنّ بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يأمر بهدمه ، وهذا في تـاريخ الأزرقي[2] لأنّ فيـه ما جـاء في أسماء الكعبـة ولِمَ سُمّيت الكعبة ، وأن لا يبنى بنـاء يشـرف عليهـا ، ثم قـال : حدّثني جـدّي عن ابن عُيَيْنَة عن ابن نبيـه الحجبي عن شيبة بن عثمـان أنه كان يُشرف فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلاّ أمر بهدمه ، ثم قال : قـال جَدّي : لما أنْ بنى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عبـاس رضوان الله عليهم داره التي بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر قوّامه أن لا يرفعوها فيشرفوا بها على الكعبـة ، وأن يجعلوا أعلاهـا دون الكعبة فتكـون دونهـا إعـظامـاً للكعبـة أن يشرف عليها ، قال جدّي[3] : فلم يبق بمكة دار لسلطان ولا لغيره حـول المسجد الحرام تشرف على الكعبة إلاّ هدمت أو خربت إلاّ هذه الدار فإنّها على حالهـا إلى اليوم .

وبمكة عين جارية من أعلاها إلى أسفلها ويختلف جريانها إذا كثر فيها الماء وصل إلى البركـة المعروفـة ببركـة الماجن وإذا قـلّ بلغ سوق الليـل ، وهذه العين

---

(١) ذكر القطبي في تاريخه هذا البيت وصدره :

* وأول مـن بـوّا بـمـكـة بـيـتـه *

راجع ص ٢٣ من تاريخ القطبي . وفي الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص ٢٦ أن حميد بن زهير أول من بنى بيتاً مربّعاً بمكة .

(٢) أخبار مكة ١ / ٢٧٩ .

(٣) أيّ جدّ الأزرقي ـ انظر أخبار مكة ١/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

Marfat.com

معروفة عند الناس بعين « بازان »[1] بباء موحّدة وزاي معجمة بينهما ألف .

وبمكة آبار[2] كثيرة غالبها مسبلة[3] ، وسقايات وبِرَكٌ ، وسيأتي ذكر ذلك كلّه بأوضح من هذا .

وبها حمَّامان ، أحدهما لأبي العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المُرِّي بأجياد وقفه على رباطه بالمَرْوَة ، والآخر لا أعرف من يُنسب إليه ، ولعلّه الحمام الذي بناه الجواد وزير صاحب الموصل . وكان بمكة على ما ذكره الفاكهي ستة عشر حماماً ، وبيّن الفاكهي مواضعها من البلد ، وليس منها الآن شيء معروف .

وذكر أنّ بأجياد منها ثلاثة ، وأن بشعب ابن عامر اثنين ، وشعب ابن عامر هو الشعب المعروف[4] بشعب عامر بأعلى مكة .

وذكر الفاكهي بعد عدِّه لهذه الحمامات حمّاماً آخر قال : يقال إنه بالصّفا فتصير به الحمامات التي كانت بمكة إنْ صحّ أمره سبعة عشر حماماً ، والله أعلم .

ولمكة مخاليف[5] كثيرة معروفة إلى الآن ، منها وادي الطائف ويشتمل على قرى كثيرة ، وسيأتي شيء من خبره ، ووادي لِيَّه ويشتمل على قرى كثيرة ، ووادي مرّ ، ويقال له مرّ الظهران والهَدَةُ[6] هدة لبني جابر ، ووادي نخلة ، وهذه الثلاثة

---

(١) لا تزال هذه العين باسم (بازان سوق الليل) موجودة إلى الآن ، ومعروفة بالسبع آبار .

(٢) في نسخة (ك) (آثار) بدلاً من آبار .

(٣) في النسخة (ك) (مسبل) .

(٤) في نسخة (ك) المعروف عند الناس إلى الآن .

(٥) المخاليف جمع مخلاف وهو مجموعة من القرى والبلاد .

(٦) قال ياقوت في معجم البلدان : الهدة بتخفيف الدال من الهَدْي أو الهُدَى بزيادة هاء ، بأعلى مَرّ الظهران . مَمدرة أهل مكة . والمدر طين أبيض يحمل منها إلى مكة الخ ، (ج ٥ / ٣٩٥ ، ٣٩٦) والهَدْة ، بالفتح ثم التشديد وهو الخسفة في الأرض ، والهدُّ الهدم وهو موضع بين مكة والطائف . والنسبة اليه هَدَويّ وهو موضع القرود ، وقد خفّف بعضهم داله (٥ /٣٩٥) وقال أيضاً : والهَدَى بالفتح موضع في نواحي الطائف (٥/٣٩٤) وقال أيضاً : والهداة : موضع بين عسفان ومكة (٥/٣٩٥) قلت: والمراد هنا الأول وهو المعروف في زماننا هذا بهَدْي الشام .

Marfat.com

الأودية تشتمل على قرى كثيرة فيها نخل وأشجار وعيون جارية ، وفيها مواضع كثيرة متخرّبة تدلّ على أنها كانت معمورة بالعيون وغير ذلك ، وما عرفت أول من أنشأ هذه العيون ، وأقدم قرى وادي مرّ ذكراً سرْوَعة[1] لأنها مذكورة في كتاب الفاكهي في ذكر فضل جدّه .

ورأيت لأرض حسان ذكراً في مكتوب مبيع فيها[2] في عشر السبعين بتقديم السين وخمسمائة وإلاّ ففي عشر الثمانين الشكّ مني .

وذكر السُهَيْلي خلافاً في تسميته بمَرّ قال : وسُمّي مراً لأن في عرق من الوادي من غير لون الأرض شبه الميم الممدودة بعدها راء خلقت كذلك ، قال ويذكر عن كثير : سُدميت من المِرار لها[3] ولا أدري ما صحّة ذلك[4] اهـ.

ونقل الحازمي عن الكِنْدي أنّ مَرّاً اسم للقرية ، والظهران اسم للوادي . اهـ .

ومن مَرّ إلى مكة فيما قال البكري : ستة عشر ميلا[5]. وقيل: ثمانية عشر ، وقيل : أحد وعشرون ، حكاه ابن وضّاح ، والله اعلم .

وبعض وادي نخلة يعرف بنخلة الشامية ، وبعضه يعرف بنخلة اليمانية فمن الشامية البردانُ ، والتنضب[6] وبشراك وخَيف بني عمير ، وما يلي ذلك ، ومن

---

(١) قال ياقوت : سروعة بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الواو وعين مهملة ، وقال : قال الأصمعيّ : سَرُوعَة جبل بعينه بتهامة لبني الـدُّؤل بن بكر ، وخبرني من أثق به من أهل الحجاز انّ سَرْوَعَه . بسكون الرّاء ، قرية بمَرّ الظّهران فيها نخل وعين جارية اهـ . (٢١٧/٣) .

(٢) في النسخة (ك) (منها بدل (فيها) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) الروض الأُنُف ١١٤/١.

(٥) معجم ما استعجم ١٢١٢/٤.

(٦) البردان ، والتنضب : قريتان أو عينان عليهما زروع ونخيل بأعلى نخلة الشمالية قال الشاعر :

ظلت بروض البرَدان تغتسلْ تشرب منها نهلات وتعلّ

اليمانية سُولَة[1] والزَّيْمَة[2] ويقال لنخلة : بستان ابن عامر ، ذكر ذلك ابن سيّد الناس في سيرته[3] لماّ ذكر سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة ،ويقال لنخلة : بستان بني عامر ، كذا في كتب الحنفية ولعلّه تصحيف ، والله أعلم .

ووادي نخلة من مكة على ليلة ، وقد ذكر ابن خرداذبه في كتابه « المسالك والممالك » في مخاليف مكة بما لم يذكر غيره فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة ، لأنه قال : ومخاليف مكة نجد والطائف ونجران ، قال الشاعر :

وكعبةُ نَجْرَانَ حتْمٌ عليك حتى تُناخي[4] بأبوابها

وقرن المنازل الذي يقول فيه الشاعر :

أَلَمْ تسألِ الربْعَ أنْ ينطِقا بقَرْنِ المنازلِ إن[5] أخْلَقَا

وبالغَيْل[6] وعكاظ[7] وليَّة[8] وتُرَبَة[9] وبيشة[10] وتَبالَة[11]

---

(١) سُولَة : قلعة على رابية بوادي نخلة تحتها عين جارية ونخل ، وهي لبني مسعود بطن من هُذيل .
قال محمد بن ابراهيم بن قربة :
مرتعي من بلاد نخلة بالصـ ـف بأكناف « سُولَة » و « الزَّيْمَة »
(معجم البلدان ٣/٢٨٥)

(٢) الزَّيْمَة : قرية قريبة من سولة وبها عين وبساتين وجميع المصطافين بالطائف يمرون بها في حالتي الذهاب والإياب . وبها أشجار الموز والليمون وكثير من الفواكه والخضار وهي أخصب من سولة في ذلك . وأكبر منها وأعمر لوقوعها في الطريق . ولانحراف سولة عن الطريق . وانظر : معجم البلدان ٣/١٦٥ .

(٣) عيون الأثر ١/٢٢٨.

(٤) في المطبوع-ج ١/٢١ « يناجي » ، والتصويب من « المسالك والممالك » ـ ص ١٣٣ .

(٥) في « المسالك والممالك » : « قد » بدل « إن » .

(٦) الغيل : موضع في صدر يلملم . ويَلَمْلَم واد في جنوب مكة على ليلتين منها ، وهو ميقات أهل اليمن ، وبه مسجد مُعاذ بن جبل رضي الله عنه . (معجم البلدان ٤/٢٢٢) .

(٧) عكاظ : نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال . (معجم البلدان ٤/١٤٢) وهو ما يُسمّى الآن بالسيل على أكثر الأقوال في طريق الطائف ، وبه عين وقليل من النخل ، وبه مقاهٍ ومساكن .

(٨) لِيَّة : وادي لِيَّة مشهور من جهة الشرق بالطائف . (معجم البلدان ٥/ ٣٠) .

(٩) تُرَبَة : بالضم ثم الفتح . واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها . (معجم البلدان ٢/ ٢١)

(١٠)بيشة : أيضاً واد من أودية الحجاز المشهورة ، من عمل مكة مما يلي اليمن . (معجم البلدان/٥٢٩) ورد في «المسالك ١٣٣»: (بَيْش).

(١١)تَبَا لَهَ:موضع في جنوب بيشة على مسيرة ليلة منها . (أنظر عنها : معجم البلدان ٢/ ٩ ، ١٠)

Marfat.com

والهجيـرة[1] ولنية[2] وجُـرَش[3] والسُّرَاة[4] ومخـاليفها بتهـامة مَلَكَـان[5] وعَشَم[6] ويُسُر[7] وعَكّ[8] انتهى .

وبعض مـا ذكره ابن خـرداذبه من هـذه المخـاليف لا يُعـرف ، ولا يبعـد أنّ يكون تصحيفاً . وقد ذكر جماعة من الفقهاء الشافعية أنّ الطائف ووجّاً وما ينضـاف اليهما منسوبة إلى مكة معدودة من أعمالها ، نقل ذلك النووي في الرّوضة ، ونصّ كلامه في كتاب عقد الجزية والهدنة ، قال الإمام : يعني إمام الحرمين أبا المعالي الجـويني قال الأصحـاب : الطائف ووجٌ وهـو وادي الـطائف ومـا ينضـاف اليهمـا منسوبة إلى مكة معدودة من أعمالها وخيبر[9] من مخاليف المدينة انتهى .

ونجـران ليست من الحجاز وإن كـانت من مخاليف مكـة فيما قيـل ، وممن ذكر أنها ليست من الحجاز الجوهري في صحاحه لأنه قال : نجران بلد بـاليمن ، انتهى .

وفي « التهـذيب » للشيخ أبي إسحـاق الشيرازي : وأمـا[10] نجران فيمـا قال

---

(١) الهجيرة : موضع بتلك النواحي .

(٢) لنية : لعلّها رَنْيَة قرب بيشة وتثليث . وبَمْبَمَ وعقيق تمرة . وكلّها لبني تميم . (معجم البلدان ٣/٧٤)

(٣) جُرَش : واقعة في المنطقة المسمّـاة بعسير اليوم . وهي بالضم ثم الفتح .

(٤) السُّرَاة : يطلق على جبال الحجاز الفاصلة بين تهامـة ونجد وبهـا سُمّي الحجاز حجـازاً . (معجم البلدان ٣/٢٠٥)

(٥) مَلَكَان : بالتثنية وفتح اللام جبل بالطائف . وبكسر اللام واد لهـذيل وكـلاهما بـالحجاز . (معجم البلدان ٥/١٩٤) وقد صحف في « المسالك ١٣٣» الى «ضنكان ».

(٦) عشم : قرية متيامنة من قرى تهامة . (معجم البلدان ٤/ ١٥٦)

(٧) يُسُر بضم الياء والسين : نقب تحت الأرض به ماء وموقعه بالدهناء . (معجم البلدان ٥/٤٣٦)

(٨) عـك : اسم قبيلة وربما كـانت من قبائـل عسير يضـاف اليهـا مخـلاف بـاليمن . (معجم البلدان ٤/١٤٢).

(٩) لعلّه يريد بخيبر الشمالية فهي لا شك من أعمال المدينة المنورة ، أما خيبر الجنوبية فهي من أعمـال مكة .

(١٠)في النسخة (م) زيادة لا بد منها وهي « فليست من الحجاز » .

النووي بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة ، وكانت منـزلاً للنصارى . اهـ .

وذكر النووي ما يقتضي أن فيما ذكره ابن خرداذبه من أنّ نَجران من مخاليف مكـة ، نظراً لأنّـه قال : وأمـا قـول الإمـام الحـافظ أبي بكـر الحـازمي في كتـابـه « المؤتلف والمختلف » في الأمـاكن : إنّ نجـران من مخـاليف مكـة من صـوب اليمن ، فيه تساهل[1] .

والتسـاهل الـذي في كلام الحـازمي يلزم مثله في كـلام ابن خـرداذبـه على مقتضى قول النووي ، وقـد يقال : لا تسـاهل في كـلام الحازمي لأنـه لا يلزم من قولهم إن نجران من مخاليف مكة من صوب اليمن أن يكون نجـران من الحجاز ، لجواز أن تكون مخـاليف مكة في الحجـاز واليمن وأنّ سبب عدِّ نجـران وما دونهـا إلى مكة في مخاليف مكة كون ولاية والى مكة فيما مضى كانت تمتـدّ إلى ذلك ، وهـذا لا مـانـع منـه ، لأنّ المـأمـون العبـاسي ولّى داود بن عيسى بن مـوسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس العباسيّ مكـة والمدينـة وأضاف اليهمـا بلاد عكّ ، ولعلّ ذلك اتفق لغيره من وُلاة مكة العباسيين ، ويتأيّد ما ذكره بما ذكره ابن خرداذبة في مخاليف مكة ، والله أعلم .

وكان النووي[2] يوهم أنّ بعد نجران من مكة لكونها باليمن يخرجهـا عن أن تكون من أعمال مكة وليس كذلك لأنّ مجرّد القرب من مكة لا يقتضي أن يُعدّ في أعمال مكة ما هو أقرب إليهما من نجـران كخُلَيص مثلاً لأن خُلَيْصا[3] لم تُعدّ في أعمـال مكـة وهي منهـا على يـومين ، وذكـروا أنّ منتهى عمـل مكـة من جهتهـا جنابذ بن صيفي بين عسفان ومَرّ الـظهران كمـا سيأتي في كـلام الفاكهي ، وليست

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات ـ ج ٢ ق ٢/١٧٦ .

(٢) في النسخة (ك) (رحمه الله) .

(٣) قرية في طـريق المدينـة المنورة بعـد عسفان ، وهي مشهـورة بهذا الاسم إلى الآن . وقـال صاحب معجم البلدان : حصن بين مكة والمدينة . (٢/٣٨٧)

Marfat.com

جنابذ بن صيفي معروفة الآن .

وإذا كان مجرّد القرب من مكة ليس موجباً لعـدّ ما قـرب منها من أعمـالها ، فالظاهر أنّ المُراعَى في عـدّ مـا ذكره العلماء في أعمال مكة ، وإن كان بعيداً عنها كثيراً ، كون ولاية والي مكة فيما مضى شملت ذلك فيقبل من الفاكهي وابن خرداذبه وغيرهم ما ذكروه في أعمال مكة ، وإنّ كان بعيداً جداً عنها لكونه في أطراف الحجاز وبلاد اليمن كنَجران وعَكّ وغير ذلك ، والله أعلم .

وذكـر الفاكهي شيئـاً مفيداً في مخـاليف مكة ، ونصّ مـا ذكره : ذِكْـر حدود مخاليف مكة ومنتهاها ، وتفسير ذلك وأعمـال مكة ومخـاليفها كثيـرة ، ولها أسمـاء نُقصر عن ذِكرها لاختصار الكتاب ، ولكنّا نذكر منتهى حـدودها التي تنتهي اليـه ، فآخر أعمـالها ممـا يلي طريق المـدينة مـوضع يقـال له جنـابذ بن صيفي فيمـا بين عسفان ومرّ ، وذلك على يوم وبعض يوم ، وآخر أعمالها مما يلي طريق الجادَّةِ في طريق العراق الغمر[1] وهو قـريب[2] من ذات عرق وذلـك على يوم وبعض يـوم ، وآخـر أعمـالهـا ممـا يلي طـريق اليمن في طـريق تِهـامـة اليـوم مـوضـع يقـال لـه ضنكان[3] ، وذلك على عشرة أيام من مكة ، وقد كان آخر أعمالها فيما مضى بلاد عَكّ داخلاً في اليمن إلى قريب من عدن ، وآخر أعمالها مما يلي اليمن في طريق النخل[4] ، وطريق صنعاء موضع يقال له نَجْران ، وهو آخر مخـاليفها ، وأبعـد من مكة نجران على عشرين يوماً من مكة ، وهي أرض طيّبة عذبة ، انتهى باختصار ، والله أعلم .

وأما قول الفاكهي : إنّ نجران على عشـرين يومـاً من مكة فهـو مخالف لمـا

---

(١) في النسخة (ك) (العمر) .

(٢) هذا من زيادة النسخة (ك) .

(٣) ضنكان : وادي في جنوب تهامة على سفوح جبال السـراة وينتهي بالبحـر الأحمر ويصبّ فيـه . وقد ذكره ابن خرداذبه بين مخاليف مكة . (المسالك ١٣٣) .

(٤) في النسخة (ك) (النحل) .

سبق من قول النووي : إنّ نَجْران من مكة على سبع مراحل ، انتهى .

والسبع المراحل لا تكون عشرين يوماً ، والله أعلم .

وكلام الفاكهي يوهم أنّ نجران من مكة أبعد مما بين بلاد عـكّ ومكة ، ولم يُرد ذلك الفاكهي لأنّ قوله وقد كـان آخر أعمـالها فيمـا مضى بلاد عـكّ داخلاً إلى اليمن إلى قـريب من عدن يقتضي أن بـلاد عكّ قـريبة من عـدن ؛ ونجران ليست بهذه الصفة .

وأما قول الفاكهي إنّ نجران أبعد مخاليف مكة فمراده به بعد بلاد عَكّ لأنهـا كانت أبعد أعمال مكة ، ثم صار أبعدها نَجران ، وأدرك ذلك الفاكهي فقـال : إنّ نَجران أبعد مخاليف مكة [1] وبذلك يُعلم أن لا تناقض في كلام الفاكهي ، وليس كل ما ذكره الفاكهي وابن خرداذبـه في مخاليف مكـة معدود اليـوم من أعمال مكـة لأن كثيراً من ذلك ليس لأمير مكة الآن فيه كلام ، وأبعد مكان عن مكة [2] لأميرها الآن فيه كلام الحَسَبَة بحاء وسين مهملتين وباء موحّـدة وهي بلدة في صوب اليمن على طريق تِهامة [3] وبينها وبين قَنَوْنا [4] يومان ، وبين حَلْي [5] يومان وكلامه فيها باعتبـار أنّ له على مزارعها كل سنة مائـة غرارة مكّيـة ، وله مثـل ذلك على بلدة يقـال لها دَوْقَة [6] على يوم من الحَسَبة ، وله مائتا غرارة على الواديَيْن ، ولـه مثل ذلـك على

---

(١) في النسخة (ك) (والله أعلم) .

(٢) هذه الزيادة من النسخة (ك) .

(٣) أنظر عنها : معجم البلدان ٢/٢٥٨ .

(٤) قنونا هي بلدة القنفذة : « جغرافية شبه جزيرة العرب لعمررضـا كحالـة صفحة ٢٨ » وهي ميناء من موانىء الحجاز الجنوبية . قال ياقوت : قَنَوْنَى : بالفتح ، ونونين ، بوزن فعَوْعَل . (معجم البلدان ٤/٤٠٩) .

(٥) بحاء مهملة مفتوحة ولام ساكنة كما جاء في صفة جزيرة العـرب للهمذاني صفحـة ١٢٠ طبعة أوربـا ١٨٨٣م . ويؤيد ذلك ما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي أنها بوزن (ظبي) ٢/٢٩٧

(٦) دَوْقَة : واد على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكـوا بينـه وبين يلملم ثلاثـة أيام (معجم البلـدان ٢/٤٨٥).

اللِّيث[1] ويبعث أمير مكة إلى كل من هذه الأماكن من يقبض ذلك من أهلها ، وأبعد مكان بعد هذه الأماكن عن مكة لأميرها فيه كلام الآن ، وادي الطايف ووادي لِيّه ، ولأمير مكة فيها من الكلمة والعادة على أهلها أكثر ممّاله على الأماكن السابق ذِكْرها ، ووادي الطائف ووادي لِيّه داخلان في ولاية قاضي مكة ، وله بهما نوّاب ، وأبعد مكان عن مكة في صوب المدينة لأمير مكة الآن فيه كلام وادي الهَدَّة هَدَة بني جابر ، وهو على مرحلة من مَرّ الظَّهْران .

ووُلاة مكة الآن يأخذون ما يغرق في البحر فيما بين جُدَّة ورابغ[2] ، ويرون أن ذلك يدخل في عملهم ، وجُدّة من أعمال مكة في تاريخه وفيما قبله ، وهي على مرحلتين من مكة ، وسيأتي ذِكر شيء من خبرها .

ومما يناسب ذكره في هذا الكتاب بيان الحجاز لتكرُّر ذكره فيه ، وهو مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها .

وبهذا فسّر الإمام الشافعي في « الأمّ » الحجاز فيما نقله عنه البند نيجي ، وفي دخول اليمن في الحجاز قولان[3] ، وقيل إن تبوك وفلسطين من الحجاز ، وقيل إنّ حدود الحجاز ما بين جبال[4] طيء إلى طريق العراق ، وسُمّي حجازاً لأنه حجز بين تِهامة ونجد ، قاله ابن الكلبي والأصمعي وغيرهما .

واليمامة المشار اليها من اليمن على مرحلتين من الطائف وعلى أربع من مكة ، قاله النووي في « تهذيب الأسماء واللغات »[5] فعلى هذا لا تكون البلاد المعروفة ببجيلة من الحجاز لأنها عن الطائف أبعد مما بين الطائف واليمامة .

---

(١) الليث بكسر اللام ثم الياء ساكنة . وينطقها أهل الحجاز اللِيت بالكسر المشدد في أوله وإبدال الثاء تاءاً . وهو واد بأسفل السراة يدفع في البحر . (معجم البلدان ٥/٢٨) .

(٢) في النسخة (ك) (ورابع) . وهو واد يقطعه الحاج بين البزواء والجُحْفَة دون عَزْوَر . (معجم البلدان ٣/١١)

(٣) في النسخة (ك) : (وجهان) .

(٤) في النسخة (ك) : جبلي طي .

(٥) ج ٢ ق ٢/٢٠١ .

Marfat.com

وبـلاد بجيلة واليمامـة في جهة واحـدة وهي جهة نجـد اليمن ، ولكنّ بـلاد بجيلة أكثـر دخولاً في اليمن من اليمـامة فـلا يستقيم عدّ بـلاد بجيلة في الحجاز ، والله أعلم .

وأهل مكة إلى الآن لا يطلقون الحجاز إلاّ على الطائف وما قرب منه كَلِيَّة ، ولا يـطلقون ذلـك على بلاد بجيلة ، وأصـل ذلك لكـونها داخلة في اليمن ، والله أعلم .

والمخاليف المذكورة في حدّ الحجاز هي مخاليف مكة والمدينة واليمامة .

والمخـاليف قرى مجتمعـة ، والمخاليف بفتـح الميم والخاء جمـع مِخْلاف بكسر الميم ، ومكّة من تِهامة ، قاله النووي[1] .

ذكر حكم بيع دور مكة وإجارتها

اختلف العلمـاء رحمهم الله في ذلك فحكى الشيـخ أبو جعفـر الأبهري عن الإمـام مالـك[2] : أنه كـره بيعها وكـراها فـإنْ بيعت أو أُكْـرِيَت لم يفسـخ ، وقـال اللخمي : اختلف قول مالك في كراء دور مكـة وبيعها فمنـع من ذلك مـرة ، نقل ذلك عن الأبهري واللخمي ابن رشد في مقدّماته ، وذكر أنه لم يختلف قول مالـك وأصحابه في أن مكة افتتحت عَنْـوَة ، وإنهم اختلفوا هـل منَّ بها على أهلهـا فلم تقسم لِمـا عـظّم الله من حُـرْمتهـا أو أقـرّت للمسلمين ، قـال : وعلى هــذا جـاء الاختلاف في كِراء بيوتها . اهـ

وجواز البيع والكِـراء في دُور مكة ينبني على القـول بالمنّ بهـا على أهلها ، ومَنْعُ ذلك ينبني على القول بأنّها فُرّقت للمسلمين ، وفي هـذا القول نـظر لأنّ غير واحـد من علماء الصّحـابـة وخُلَفـائِهم رضي الله عنهم عملوا بخـلافـه في أوقـات مختلفـة . وذلك أنّ أميـر المؤمنين عمر بن الخـطاب رضي الله عنـه اشتـرى دُوراً

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ١/٤٤.

(٢) في النسـخة (ع) (رحمه الله) .

Marfat.com

بمكة ووسّع بها المسجد الحرام ، وكذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وأمير المؤمنين عبد الله بن الزُبَيْر بن العوّام رضي الله عنه ، واشترى أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه دار الندوة ودار أمّ المؤمنين خديجة بنت خُوَيْلد رضي الله عنها بمكة ، وغير ذلك من دُورها ، وكل ذلك منقول من تاريخ الأزرقي[1] ، وبعضه في غيره[2] ، واشترى لعمر رضي الله عنه عاملُه على مكة داراً للسجن بها على ما رويناه في صحيح البخاري ، لأنّه قال : باب الربُط والحبس في الحرم، واشترى نافع بن عبد الحارث داراً للسجن بمكة من صفوان ابن أميّة على أن عمر إن رضي، وروى الأصيلي وأبو ذَرّ على أنّ عمر رضي، وروى القابسي على إنْ رضي عمر فالبيع بيعه ، وإنْ لم يرض[3] فلصفوان أربعمائة درهم[4] وعند أبي ذرّ في روايته أربعمائة دينار ، ورُوي في بعض النُسخ : المسجد بدل الحرام ، وفي بعض النُسخ دار السجن بالإضافة وفتح السين ، ورُوي أيضاً بالبيع ، فالبيع بيعه ، انتهى .

نقلت هذه الروايات من خطّ[5] مشايخنا ، وروينا ذلك متّصلاً في تاريخ الأزرقي ، وأفاد فيه غير ما في البخاري ، لأنّ الأزرقي قال فيما رويناه عنه : حدّثني جدّي قال : ثنا ابن عُيَيْنَة عن عمرو بن دينار ، عن عبد الرحمن بن فروخ ، أنّ نافع بن عبد الحارث ابتاع من صفوان بن أميّة دار السجن ، وهي دار أم وايل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بأربعة آلاف درهم ، فإنْ رضي عمر فالبيع له ، وإنْ لم يرض عمر فلصفوان أربعمائة[6] انتهى .

ونافع بن عبد الحارث هذا هو الخزاعي عامل عمر بن الخطاب [7] على مكة كان من كبار الصحابة وفُضَلائهم على ما ذكر ابن عبد البَرّ[8] ، ولا يمتري في أنه لم يقدر ما فعل إلا برضى أمير المؤمنين عمر بذلك وإذنه فيه ، ومن المعلوم

---

(١) أخبار مكة ٢/١٦٤ .
(٢) في النسخة (ك) : (من غيره) .
(٣) في النسخة (ك) : (يرض) بزيادة لفظ (عمر) .
(٤) في النسخة (ك) (أربعة آلاف) ،
(٥) في النسخة (ك) (بعض) .
(٦) أخبار مكة ٢/١٦٥
(٧) في النسخة (ك) ـ (رضي الله عنهما) ـ
(٨) الإستيعاب ٣/٥٣٩

Marfat.com

ضـرورة أنّ أمير المؤمنين عمـر رضي الله عنه كـان في العلم والـورع ، بـالمحـلّ الأعلى ، ولا ريب في أنـه ومَن ذكرنـا من علمـاء الصحـابـة رضي الله عنهم أعلم ممّن بعـدهم مما يصلح في أرض مكـة ، وأنه لـو كان عنـدهم علم عن النبي ﷺ بأنّها أُقِرّت للمسلمين لما أقدموا على ما فعلوا ،ويبعد جدّاً أنْ يصحّ ذلك عن النبي ﷺ ويخفى عليهم وعلى غيـرهم من علماء الصحـابـة رضي الله عنهم ، فـإنـه لم يُحفَظ عن غيرهم أنه أنكر على أحد منهم ما فعل ، ولـو كان عنـدهم علم بخلاف مـا فعل المشـار اليهم لَمَا سكتـوا عن الإنكـار عليهم ، وأمـا حـديث عبـد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه(١) من أكل من أجـر بيوت مكـة فإنمـا يأكـل ناراً ، فقـد اختُلف في رفعه إلى النبي ﷺ ووقفـه على عبد الله ، والصحيـح أنه مـوقوف عليه على ما ذكر ذلك الدارقُطْني(٢)، وعلى وقفه فلا حجّة فيه على تحريم كرائها، وبتقدير رفعه فليس ذلك لعدم المِلْك ، وإنما هو بحسب(٣) المكتسب، كما نهى ﷺ عن كسب الحجام ، وإنّما كان الكراء فيها خبيثاً ، لِمـا فيه من تـرْك مواسـاة المحتـاجين من الحجّـاج بـالسكُنْى ، وقـد قـال السُهَيْلِي بـوجـوب السكُنْى بمكـة للحجاج كما سيأتي بيانه ، وأما حديث علقمة بن نضلة(٤) الكناني ويقال الكِنْدي: تـوفي رسول الله ﷺ وأبـو بكر وعمـر رضي الله عنهمـا ومـا تُـدْعَى ربـاع مكـة إلا السوائب ، هكذا عند ابن ماجة(٥)،ولفظه عند الأزرقي كانت الـدُور والمساكن على عهـد النبي ﷺ وأبي بكر وعمـر وعثمان رضي الله عنهم مـا تُكـرى ولا تُبـاع ، ولا تُـدعى إلاّ السوائب ومن احتـاج سكن ، ومن استغنى أُسْكِن(٦) انتهى . فإنـه لا دلالة فيـه على نهيْ النبي ﷺ وأبي بكـر وعمر (٧) رضي الله عنهمـا عن بيـع دُور مكـة

---

(١) في النسخة (ك) (رضي الله عنهما)

(٢) سُنَن الدارقطني ١/٥٧ رقم ٢٢٦ .

(٣) في النسخة (ك) (بحيث) .

(٤) في المطبوع من الشفاء ١/٢٨ : « فضلة » بالفاء بدل النون ، وهو تصحيف .

(٥) سُنَن ابن ماجة ٢/١٣٧ باب أجر بيوت مكة ، رقم ٣١٠٧ ، وهو أيضاً في : سنن الدارقطني ١/٥٨ رقم ٢٢٨ وفيهما زيادة هي : « من احتاج سكن ، ومن استغنى أُسْكِنَ ».

(٦) أخبار مكة ٢/١٦٣ .

(٧) في النسخة (ك) وعثمان ـ رضي الله عنهم .

Marfat.com

وكرائها ، وإنّما فيه دلالة على عدم وقوع ذلك في زمن المشار اليهم ، ولا يلزم عن عدم وقوع ذلك في زمنهم منعه ، إذ الإنسان يترك ما يجوز له فعله دهراً طويلاً ، على أنّ دلالة حديث علقمة على عدم وقوع بيع دُور مكة وكرائها في زمن المشار اليهم ، معارضة بما وقع من شراء عمر وعثمان رضي الله عنهما لدُور مكة ، ووقع ذلك في عهد النبي ﷺ ، لأنّ الفاكهي قال في كتابه « أخبار مكة » : حدّثنا حسين بن الحسن قال : كتبت إلى عبد الرحمن بن مَهْدي أسأله عن كراء دُور مكة وشرائها ، قال : فكتب إليّ إنك كتبت إليّ : تسألني عن أشْرِية دُور مكة وكِرائها ، فأمّا الشراء فقد اشترى الناس وباعوها على عهد النبي ﷺ . انتهى .

وحسين بن حسن هو المَرْوَزِي صاحب ابن المبارك ، قال فيه أبو حاتم : صدوق[1] . وقد روى عنه التِرْمِذي والنسائي ، وإذا تعارض ذلك مع حديث علقمة فهو مقدّم على حديث علقمة ، لأنّ حديث علقمة حاصله الشهادة[2] . على نفي ذلك ، وفي مثل هذا يقدم المثبت ، ويتعيّن حمْل حديث علقمة على أن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان الغالب من فِعْل الناس بمكة تَرْكهم بيع دُورهم بمكة وكرائها لعدم الحاجة إلى ذلك ، وتَوْسِعة على الوافدين والمحتاجين ، ولما كان وقوع خلاف ذلك نادراً لم يستحضره علقمة في حال تحديثه بحال دُور مكة ، ونفاه في حديثه ، والله أعلم .

وعلقمة لا صحبة له ، وإن كان ابن عبد البَرّ قد ذكره في الصحابة في كتابه المسمّى بالاستيعاب[3] ، وذكره ابن حِبّان في أتباع التابعين ، وذكر ابن منده أنه تابعيّ . والله أعلم .

وفي شراء عمر ومَن ذُكر معه دلالة واضحة على أن مكة مملوكة لأهلها ، إما لمنِّ النبي ﷺ بها على أهلها ، كما هو أحد القولين عند القائلين بأنها فُتِحت

---

(١) أنظر (الجرح والتعديل ٣/٤٩ رقم ٢١٩) .
(٢) في النسخة (ك) شهادة .
(٣) ج ٣/١٢٦ على هامش الإصابة لابن حجر ، طبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ .

Marfat.com

عَنْوَةً ، أو لأنها فُتحت صُلْحاً ، والوجه الأول أصوب ، لأنّ فتحها صُلْحاً يخالف ظاهر الأحاديث الواردة في صفة فتح مكة ، ويخالف قول جمهور رحمهم الله في أنها فُتحت عَنْوة ، والله أعلم بالصواب .

وذكر السُهَيْلي[1] ما يقتضي ترجيح ما قيل من أنّ النبي ﷺ منَّ بمكة على أهلها مع كونه دخلها عَنْوة ، وسيأتي ذلك قريباً .

وقد نقل الإمَامَان : ابن الحاج وابن عطيّة المفسّران المالكيان عن الإمام مالك[2] ما يقتضي انها مملوكة لأهلها وذكرا بعض الحُجَّة على ذلك ، فأمّا ابن الحاجّ فإنه قال : وأباحت طائفة من أهل العلم بيع رباع مكة وكراء منازلها ، منهم طاووس ، وعمرو بن دينار ، وهو قول مالك والشافعي ، ثم قال : والدليل على صحة قول مالك ومَن قال بقوله فذكر دلائل على ذلك ، ثم قال : وقوله عليه الصلاة والسلام في حِجّة الوداع : هل ترك لنا عقيل منزلاً مما يدلّ أنه مِلْك لأربابه ، وأنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ابتاع دار السجن بأربعة آلاف درهم ، وأنّ دُور أصحاب رسول الله ﷺ فيها إلى اليوم بأيدي أعقابهم ، منهم أبو بكر الصِّدّيق والزُبَير بن العوّام وحكيم بن حزام وعمرو بن العاص وغيرهم رضي الله عنهم ، وقد بيع بعضُها وتُصُدِّق ببعضها ، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك إلاّ في أملاكهم ، وهم أعلم بالله ورسوله ممّن بعدهم انتهى .

وأمّا ابن عطية فإنّه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾[3] . أجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام ، واختلفوا في مكة فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وسفيان الثَّوْري وجماعة معهم إلى أنّ الأمر كذلك

---

(١) في الروض الأُنُف ٣/١٠٢

(٢) في النسخة (ك) (رحمة الله) .

(٣) سورة الحج ، الآية ٢٥ .

Marfat.com

في دُور مكة ، وأنّ القادم له النزول حيث وَجّه وعلى رب المنزل أنْ يؤويه شاء أو أبى ، وكان كذلك الأمر في الصدر الأول ، ثم قال : وقال جمهور من الأئمة منهم مالك : ليست الدُور كالمسجد ، ولأهلها الامتناع بها والاستبداد ، وهذا هو العمل اليوم ، ثم قال بعد أن ذكر الخلاف في فتحها : هل هو عَنْوة أو صُلْح ، فمن رآها صُلْحاً فإنّ الاستواء في المنازل عنده بعيد ، ومن رآها عَنْوة أمكنه أنْ يقول الاستواء فيهما قرّره الأئمة الذين لم يُقْطِعوها أحداً ، وإنّما سُكْنَى مَن أسكن من قبل نفسه ، قال : وظاهر قوله عليه الصلاة والسلام : وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟ يقتضي أنّ الاستواء بها وإنْ كانت متملّكة ممنوعة على النازلين ، ثم قال : ومن الحجة له بملك أهلها أنّ عمر رضي الله عنه اشترى من صفوان بن أميّة دار السجن بأربعة آلاف درهم ، ويصحّ مع ذلك أن يكون الاستواء في وقت الموسم للضرورة والحاجة ، فيخرج الأمر حينئذ عن الاعتبار بالعنوة أو بالصُلح ، انتهى .

وذكر السُهَيْلي ، وهو من أئمة المالكية المعتبرين ، ما يقتضي أنّ مكّة مملوكة لأهلها ، ونذكر كلامه لِما فيه من الفائدة ، ونصّه: فصل . « ونذكر ههنا طرفاً من أحكام أرض مكة وقد اختُلِف ، هل افتتحها رسول الله ﷺ عَنْوة أو صُلْحاً ؟ لنبني على ذلك الحكم هل أرضها مِلْكٌ أم لا ؟ وذلك أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دُور مكة إذا قدم الحاجّ ، وكتب عمر بن عبد العزيز[1] إلى عامله بمكة أنْ ينهى أهلها عن كراء دُورها إذا جاء الحاجّ ، فإنّ ذلك لا يحلّ لهم ، وقال مالك رحمه الله : إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدُور مكة لا ينهاهم أحد ، ورُوي أنّ دور مكة كانت تُدْعَى السوائب وهذا كله مُنْتَزَعٌ من أصلين : أحدهما قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ .

---

(١) تولّى عمر بن عبدالعزيز الخلافة سنة تسع وتسعين من الهجرة النبوية وكان عامله على مكة عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وقد توفي عمر سنة ١٠١ هـ وظل عبد العزيز بن عبدالله على مكة حتى وفاة عمر ، (الطبري جـ ٨ ص ١٣١ ـ ١٤١) .

Marfat.com

وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم : الحرم كله مسجد . والأصل الثاني أنّ رسول الله ﷺ دخلها عَنْوة ، غير أنه مَنَّ على أهلها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يقاس عليها غيرها من البلاد كما ظنّ بعض الفقهاء ، فإنها مخالفة لغيرها من وجهين ، أحدهما ما خصّ الله به رسوله ﷺ فإنّه قال ﴿ قُلِ ٱلْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1] . والثاني ما خصّ به الله مكة ، فإنّه جاء أنْ لا تحلّ غنائمها ولا يلتقط لقطتها وهي حَرَم الله وأمنه ، فكيف يكون أرضها أرض خراج ، فليس لأحد افتتح بلداً أنْ يسلك به سبيل مكة ، فأرضها إذاً ودُورها لأهلها ، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموا وأن لا يأخذوا منهم كراءً في مساكنها ، فهذا حُكمها ، فلا عليك بعد هذا فتِحت عَنْوة أو صلحاً . وإن كانت ظواهر الحديث أنها فُتحت عَنْوة انتهى »[2] .

وإيجاب السُكْنى بمكة للحجيج وترْك أخذ الأجرة منهم على ما ذكره السُهَيْلي لا يُنافي كون مكة مملوكة لأهلها ، لأنّ الإنسان يجب عليه بذْل ماله لحاجة غيره[3] إليه في مسائل كثيرة ، منها بذْل الخيط لخياطة جُرح ، وبذل فضل الطعام والماء لمن اضطُر إلى ذلك لسقي زرْع أو غيره ، وبذْل العُمُد والخشب لحفظ جدار الغير إذا خشي سقوطه ، ويجب الضمان في ذلك على مَن منع منهم ، وفي أخذهم الثمن عن ذلك خلاف ، وإيجاب ذلك حقّ للمواساة ، فينزل عليه ما قيل في دُور مكة ، والله أعلم . على أنّ كلام السُهَيْلي[3] لا يفهم أنّ ما ذكره من الحكم في دُور مكة يكون في حق غير الحاج ، وقد وافق السُهَيلي على الاستدلال باشتراء عمر وعثمان رضي الله عنهما الدُور بمكة لتوسعة المسجد ، على أنّ دُور مكة مملوكة لأهلها لأنه قال: وفي اشتراء عمر وعثمان الدُور التي زاداها دليل على أنّ رباع مكة مملوكة لأهلها يتصرّفون فيها بالبيع والشراء والكراء إن شاءوا ، في ذلك اختلاف انتهى .

---

(١) سورة الانفال : الآية ١ .

(٢) الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام لأبي القاسم السهيلي ج ٣/١٠٢ و١٠٣ طبعة دار المعرفة .

(٣) في النسخة (ك) (رحمه الله) .

Marfat.com

وحكى ابن رشد في كراء دُور مكـة أربع روايـات ، وهي إجازة ذلـك ، وهو الظاهر من مذهب ابن القاسم في « المدوّنة » ، ومنع ذلك ، وهو ظاهر قول مـالك في سماع ابن القاسم منه في كتاب الحجّ ، والكراهـة مطلقـاً ، والكراهـة في أيام المـوسم خـاصـــة ، حكـاه الـــداوودي عن مـالـــك ، انتهى بـالمعنى من كتـــاب « المقدّمات » لابن رُشد ، ونقل عنه ابن جماعة في منسكه ما يقتضي أنه حكاه في كتاب « البيان » الخلاف في بيع دُور مكة وإجارتهـا لأنه قـال : وذكر ابن رشـد في البيان والتحصيل عن مالك ثلاث روايات : منع بيع دُور مكة وكرائها ، والإباحة ، وكراهة كرائها في أيام الموسم خاصة انتهى .

وليس في كلام ابن رشد في البيان ما يُشْعِر بذِكـر خلاف في البيـع كما فهم ابن جمـاعة ، وليس في كـلام ابن رشد أيضـاً ما يُشْعِـر ببيـان القـول الأرجـح في الكـراء ، ونقل القـاضي عز الـدين بن جمـاعـة في منسكـه عن القـاضي أبي علي سند بن عنان المـالكي الأزدي[1] صاحب « الـطراز » ما يقتضي تـرجيحاً في ذلـك لأنـه قال عقب مـا نقله ابن رشـد : ونقـل سنـد في « الـطراز » أنّ مـذهب مـالـك المنع ، وفيه إنّ قصد بالكـراء الآلات والأخشاب جـاز ، إنْ قصد البقعـة فلا خيـر فيه ، انتهى .

وكـلام ابن الحاجّ في منسكـه يُشْعِـر بتـرجيـح القـول بجـواز بيـع دُور مكـة وإجـارتهـا على المـذهب ، لاقتصـاره على ذلـك في النقـل عن الإمـام مـالـك ، ولاستدلاله على صحّة ما نسبوه لمالك ، وكذلك ابن عطيّة لاقتصاره في النقل عن مالك ، على أنّ لأهـل دُور مكة الامتنـاع بها والاستبـداد ، ولا يبعد تـرجيح جـواز ذلك على القول بأنّ مكة فتحت عَنْوة كما ذكرناه من فِعْل خيار السَّلَف لـه ، وفِعْل الخيار من الخَلَف له في كل عصر ، وحيث جـاز بيع دُور مكـة فيجوز فيهـا الكراء والهِبَة والوقْف والشُفْعة والقسمة وغيـر ذلك من الأحكـام التي تجوز في الأمـلاك ،

---

(١) في النسخة (ك) (الأزدي المالكي) . بدل (المالكي الأزدي) .

Marfat.com

فإنْ قيل : يعارض ذلك بالنسبة إلى الشُفْعَة قولَ مالك رحمه الله في المدوَّنة : ولا شُفعة في أرض العَنْوة ولا يجوز بيعها ، انتهى . لأنّ هذا يقتضي أن يكون هو الحكم في مكة ، لأنها عنده فُتحت عَنْوة ، فالجواب أنّ مكة وإنْ كانت فُتحت عَنْوة فقد مَنَّ النبي ﷺ بها على أهلها ، كما هو الراجح في ذلك ، ففارقت بذلك غيرها من البلاد التي افتُتِحَتْ عَنْوة ، والله أعلم .

ويفارق مكة أيضاً غيرها من البلاد في كراء دُورها فإنّه مع القول بجوازه لا يخلو من كراهته ، خصوصاً في أيام الموسم ، لأجل التوسعة بذلك على الحجيج ، وورد عن كثير من السَّلَف كراهة كراء بيوت مكة ، وعن بعضهم التخفيف في ذلك في حقّ المضطر اليه ، والله أعلم[1] .

واختلف مذهب الإمام أبي حنيفة في أرض مكة فروى عنه كراهة بيعها ، فقيل : لا يجوز البيع وذكر قاضيخان أنه ظاهر الرواية ، وقيل : يجوز مع الكراهة ، وأجاز ذلك صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن ، وعليه الفتوى على ما قال الصدر الشهيد الحنفي ، وبه جَزم حافظ الدين النسفي في كتابه « الكنز » .

واختلف مذهب أبي حنيفة أيضاً في إجازة أرضها ، فروي عنه وعن محمد الحسن عدم جواز ذلك . وروي عنهما جواز ذلك مع الكراهة .

واختلف في ذلك أيضاً مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، فروي عنه جواز ذلك ومنعه ، . وذكر الموفّق ابن قُدامة الحنبلي أنّ رواية الجواز أظهر في الحجّة .

وذكر ابن المُنَجّا ، من الحنابلة ، أنّ رواية المنع هي المذهب ، ولم يختلف مذهب الشافعي في جواز بيع دُور مكة وإجارتها ، لأنها عنده فُتحت صُلْحا ، وقال بعضهم عنه : فُتحت بأمانٍ ، والأمان في معنى الصُلْح .

---

(١) ذكر أبو يوسف في كتابه الخراج - ص ٨٢ طبعة المطبعة السلفية الأحكام الشرعية المتعلقة بالأرض التي فُتحت عَنوة أو صلحا . وتعرّض لذلك الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية ص ١٣١ وما بعدها ، طبعة مطبعة السعادة .

وقال صاحب « الحاوي الكبير » القاضي أبو الحسن المعروف بالماوردي الشافعي : عندي أنّ أسفلها دخلها خالد بن الوليد عَنْوة ، وأعلاها فُتِح صُلْحا ، انتهى .

قال النووي : والصحيح الأول انتهى ، وفي صحتّه نظر ، لأن الفتح صُلحاً إنّما يكون بالتزام أهل البلد المفتَتَحة ترْك القتال ، ولم يلتزم ذلك أهل مكة عند فتْحها ، بل أعدّوا جميعاً لقتال المسلمين عند فتحها ، ولم يقبلوا تأمين النبي ﷺ لهم ، والدليل على ذلك ما رويناه في صحيح مسلم[1] من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فذكر حديثاً في فتح مكة قال فيه : ووبُّشَت قريش أوباشاً[2] لها وأتباعاً فقالوا : نقدم هؤلاء ، فإنْ كان لهم شيء كنا معهم ، وإنْ أصيبوا أعطينا الذي سئلنا . فقال رسول الله ﷺ : ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ، ثم قال : حتى توافوني بالصّفا قال : فانطلقنا فما شاء أحد منّا أنْ يقتل احداً إلا قتله ، وما أحد منهم يُوَجّه إلينا شيئاً ، قال فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله أبيحت[3] خضراء قريش ، لا قُريش بعد اليوم ، ثم قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. انتهى باختصار ، وفي هذا دلالة صريحة على ما ذكرناه من عدم التزام قريش تَرْك قتال المسلمين يوم فتح مكة ، وفي ذلك أيضاً دلالة على أنّ ذلك وقع منهم يوم دخل النبي ﷺ مكة ، وما كان ذلك منهم بعد تأمين النبي ﷺ وهو بمر الظهران لأنا روينا في مغازي موسى بن عقبة أن أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حِزام قالا للنبي ﷺ بعد أن أسلما بمَرّ الظهران : يا رسول الله ادْعُ الناسَ إلى الأمان أرأيت إنْ اعتركت قريش وكفّت أيديها آمنون هم يا رسول الله ؟ قال ﷺ : من كفّ يده وأغلق داره فهو آمن . قالوا فابعثنا نؤذّن فيهم بذلك ، قال : انطلقوا فمن دخل دارك يا أبا

---

(١) رقم ١٧٨٠ في الجهاد ، باب فتح مكة .

(٢) وَبُشَتْ أوباشها : الأوباش : الجموع من قبائل شتى ، والتوبيش : الجمع . أي جمعت لها جموعاً من أقوام متفرّقين في الأنساب والأماكن .

(٣) في الصحيح « أبيدت » . أي استؤصلت وأُهلِكت . وخضراؤها : سوادها ومعظمها .

سفيان ودارك يا حكيم وكفّ يده فهو آمن . قال : ودار أبي سفيان بأعلا مكـة ودار حكيم بأسفل مكة .

وروينا في سيرة ابن اسحاق تهذيب ابن هشام[1] وروايته عن البَكّائي عنه أنّ العباس بن عبد المـطلب رضي الله عنه قـال للنبي ﷺ بعد إسـلام أبي سفيان بمَـرّ الـظّهران : يـا رسول الله إنّ أبـا سفيان رجـل يحبّ الفخر فـاجعل لـه شيئاً قـال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهـو آمن ، ومن أغلق عليه بـابه فهـو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن »[2] انتهى .

وروينـا في هذين الكتـابين ما يقتضي أنّ النبي ﷺ استثنى في تـأمينه رجـالاً ونساءً من أهل مكة أمر بقتلهم وإنْ وُجِدوا تحت أستار الكعبـة لجرائم لهم اقتضت ذلك .

ومن الأحاديث الدالّة على عدم التزام قريش بمكـة ترْك قتـال المسلمين يوم فتحهـا ، وعلى عدم قبـولهم تأمين النبيّ ﷺ بعـد أن بلغهم تأمينـه لهم ، ما ذكـره الفـاكهي لأنه قـال : حدّثنـا محمـد بن إدريس بن عمـر من كتـابـه قـال : حـدّثنـا سليمان بن حرب قال : حدّثنا حمّاد عن أيوب عن عِكْرِمة ، فذكر حديثاً طويلاً في قصّة الفتح ، وفيه قال : فقال أبو سفيان واصباح قريش ، فقال العباس : يا رسول اللهلو أذِنْتَ لي فأتيت أهـل مكة فـدعوتهم وأمَّنتهم وجعلت لأبي سفيـان شيئاً يُـذْكَر به ؟ قال : فانطلق العباس رضي الله عنه حتى ركبَ بغلة رسـول الله ﷺ الشهباء ، فانطلق فقال ﷺ ردوا عليَّ عمّي فإنّ عمّ الـرجل صِنْـوَ أبيه قـال : فانـطلق العباس حتى قدم على أهل مكة فقال : يا أهل مكة أسلموا تَسْلَموا ، قد استبطنتم بأشهب بـازل ، قال : وقـد كان رسـول الله ﷺ بعث الزبيـر من قِبَـل أعـلا مكـة ، وبعث خالد بن الوليد من قِبَل أسفل مكة ، فقال لهم العباس : هذا الـزبير من قبـل أعلا

---

(١) تهـذيب سيـرة ابن هشـام ـ تحقيق عبـد السـلام هـارون ـ الـطبعـة الثـامنـة لمؤسسـة الـرسـالـة ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م . ص ٢٥٣ .

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٣٠٢١ و٣٠٢٢ في الخراج والإمارة ، باب ما جاء في خبر مكة .

Marfat.com

مكة وخالد بن الوليد من قبل أسفل مكة ، وخالد وما خالد ، وخُزاعة المُخزعة الأنوف ، قال : ثم قال : من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قال ثم جاء رسول الله ﷺ فتراموا بشيء من النَّبل ، ثم إنّ رسول الله ﷺ ظهر عليهم فأمَّن الناس إلا خزاعة عن بني بكر قال وذكر أربعة : مقيس بن صُبَابة ، وعبد الله بن أبي سرح ، وابن خطل ، وسارة مولاة بني هاشم ، قال حماد وسارة[1] لا أدري في حديث أيوب أو في حديث غيره قال : فقاتلتهم خُزَاعة إلى نصف النهار ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ ألا تقاتلون قوماً ﴾ . الآية والتي بعدها[2] ، ثم قال بعد قوله : ويشفِ صدورَ قومٍ مؤمنين ، قال خزاعة ويُذْهِب غيظَ قلوبهم ، قال خزاعة ويتوب الله على من يشاء ، قال خزاعة ، انتهى .

وفي هذا الخبر مخالفة لما ذكره ابن عقبة وابن إسحاق من أمر النبي ﷺ بالكف عن قتال من لم يقاتل يوم فتح مكة إلا من استثناهم ، وسيأتي ما يدلّ للخبر الذي ذكره الفاكهي ، والله اعلم .

ومن الأخبار الدالّة على جمع قريش بمكة لقتال المسلمين يوم فتح مكة ما ذكره موسى بن عُقْبة في مغازيه ، لأنّه قال في خبر الفتح : وبأسفل مكة بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مَنَاة وهُذَيْل ، ومن كان معهم من الأحابيش استنصرت قريش بهم ، فأمروهم أن يكونوا بأسفل مكة ، ثم قال : واندفع خالد بن الوليد حتى دخل مكة من أسفلها ، فلقيته بنو بكر بن وائل فقاتلوا ، فهُزِموا وقُتِل من بني بكر

---

(١) ذكر ابن هشام في كتابه السيرة النبوية هؤلاء الأربعة ضمن النفر الذين سمّاهم ﷺ يوم الفتح وأمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، وأمّن مَن عداهم ، وقد زاد ابن هشام على هؤلاء الأربعة ، الحويرث بن نقيذ بن وهب ، وجاريتين لعبدالله بن خطل كانتا تغنّيان بهجاء الرسول ، (سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٧٣ طبعة الجمالية بمصر).

(٢) الآيات ١٣ و١٤ و١٥ من سورة التوبة ومنّ ﴿ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمُّوا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحقّ أنْ تخشوه إن كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾ .

قريباً من عشرين ، ومن هُذَيْل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا .

وذكر ابن إسحاق في سيرته تهذيب ابن هشام ما يقتضي ترْك التزام قريش لقتال المسلمين يوم فتح مكة لأنه قال في خبر فتحها : وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أنّ صفوان بن أميّة وعكْرِمة بن أبي جهل وسُهَيْل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا، ثم قال ابن إسحاق بعد ذكره خبر الحماس بن قيس : فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كُرز بن جابر أحد بني محارب بن فِهْر ، وخنيس[1] بن خالد بن ربيعة بن أصرم[2] أحد حليف بني منقذ ، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذّا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه ، فقُتلا جميعاً ، ثم قال ابن اسحاق : وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر قالا : وأصيب من جُهَيْنة سَلَمَة بن الميلا من خيل خالد ، وأصيب ناس من المشركين قريباً من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا[3]، انتهى .

فإنْ قيل ما ذكره ابن إسحاق من جمع سهيل وصفوان وعِكْرِمة أُناساً لقتال المسلمين بمكة يوم فتحها لا يقتضي نسبة ذلك لغيرهم من قريش ، ويكون ذلك مبيّنا لما وقع مجملاً في حديث أبي هريرة من جمع قريش أو باشاً لقتال المسلمين يومئذ كما سبق ذِكْره ، فالجواب أنّه يبعد جدّاً أن يكون سهيل وصفوان وعكرمة انفردوا بذلك عن قومهم مع كراهة قومهم لذلك ، ولعلّ سبب نسبة ذلك إليهم دون مَن لم يذكر من قومهم كونهم الداعين لذلك ، ولو سلم كراهة غيرهم لذلك فلا يكفي ممّن ذكره[4] ذلك سكوته بل لا بدّ من إنكاره بالقول والفِعل بأنْ ينحاز عمّن فعل ذلك ويعلم به الإمام ، ولم يُرْوَ خبرُ تقوم به حُجَّة تدلّ على أنّ أحداً من أهل مكة أنكر على سهيل وصفوان وعكرمة فِعْلَهم هذا ، ولا على التزام مَن كان

---

(١) في المطبوع من الشفاء ٣٤/١: «حبيش» وهو تصحيف.
(٢) في المطبوع : «احزم» وهو تصحيف.
(٣) سيرة ابن هشام ٩١/٤ ، ٩٢.
(٤) في النسخة (ك) (كره). بدل (ذكره).

Marfat.com

بمكة من المشركين ترْك قتال المسلمين عند فتح مكة ، ولو وقع ذلك لَحُفِظَ كما حُفِظ ما كان يشبه ذلك مما جرى في عام الحُدَيْبية ، والله أعلم .

وإذا لم يقم دليل على التزام أهل مكة ترْك قتال المسلمين يوم فتْحها ، وقام الدليل على فِعْلهم بخلاف ذلك من جمعهم لقتال المسلمين تعيّن أنْ يكون فتح مكة عَنْوة ، كما هو ظاهر الأحاديث الصحيحة ، فمن ذلك قوله ﷺ في حديث أبي هريرة السابق : ترون أتباع قريش وأوباشهم . ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ، ثم قال : حتى توافوني بالصفا ، قال : فانطلقنا فما شاء أحد منّا أنْ يقتل أحداً إلا قتله ، وما أحد منهم يوجّه إلينا شيئاً ، قال فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، ثم قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، وقال مسلم في بعض طرق هذا الحديث : حدّثنا عبد الله بن هاشم ، حدّثنا بهز ، حدّثنا سليمان بن المغيرة بهذا الإسناد ، وزاد في الحديث : ثم قال بيديه بإحداهما على الأخرى احصدوهم حصداً .

ومن ذلك ما رواه مسلم[1] بسنده إلى عبد الله بن رباح أنه قال : يا أبا هريرة لو حدّثتنا عن رسول الله ﷺ [2] فقال : كنّا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح فجعل خالدَ بن الوليد على المُجَنَّبة اليمنى ، وجعل الزبيرٌ على المُجَنَّبة اليسرى ، وجعل أبا عبيدة على البياذِقة وبطن الوادي ، فقال : يا أبا هريرة ادع لي بالأنصار[3] فدعوتهم ثم جاءوا[4] يهرولون ، فقال : يا معشر الأنصار هل ترون أوباش قريش ؟ قالوا : نعم ، قال : فانظروا[5] إذا لقيتموهم غداً أنْ تحصدوهم حصداً ، وأخْفى بيده ، ووضع يمينه على شماله وقال : موعدكم الصّفا ، قال : فما أشرف يومئذ لهم أحد إلاّ أناموه ، قال : وصعِد رسول الله ﷺ الصفا ، وجاءت الأنصار

---

(١) رقم ١٧٨٠ في الجهاد ، باب فتح مكة .
(٢) سقط من الحديث : (حتى يدرك طعامُنا) . راجع صحيح مسلم .
(٣) في صحيح مسلم « الأنصار » من غير باء .
(٤) في صحيح مسلم « فجاؤ وا » .
(٥) في الأصل (ك) انظروا . وهو في صحيح مسلم .

Marfat.com

فأطافوا بالصفا ، فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله أُبيدت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم . قال أبو سفيان : يا رسول الله من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، وذكر بقية الخبر .

ومن ذلك ما ذكره أبو داود في سُنَنه[1] على ما رويناه عنه ، قال : حدّثنا مسلم بن إبراهيم قال : حدّثنا سلام بن مسكين قال : حدّثنا ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنّ النبيّ ﷺ لما دخل مكة سرَّح الزبير بن العوام وأبا عُبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد على الخيل وقال : يا أبا هريرة اهتف بالأنصار قال : اسلكوا هذا الطريق فلا يشرفنّ لكم أحد إلاّ انمتموه ، فنادى منادٍ : لا قريش بعد اليوم ، فقال رسول الله ﷺ من دخل دار أبي سفيان[2] فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، وعمد صناديد قريش فدخلوا الكعبة فغصّ بهم وطاف النبي ﷺ وصلّى خلف المقام ثم أخذ بجنبي الباب فخرجوا فبايعوا النبي ﷺ على الإسلام ، ويشير إلى بيان موضع الدلالة على أنّ فتح مكة عَنْوة من حديث أبي هريرة هذا ، فمن ذلك قوله فيه ، يعني النبي ﷺ بيديه بإحداهما على الأخرى ، احصدوهم حصداً ، كذا في رواية مسلم عن عبد الله بن هاشم عن بهز عن سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة ، ومن ذلك قوله فيه قال : يعني النبي ﷺ : انظروا إذا لقيتموهم غداً أنْ تحصدوهم حصداً وأخفى بيديه ووضع يمينه على شماله ، كذا في رواية مسلم عن الدارمي عن يحي بن حسّان عن حمّاد بن سلمة عن ثابت بسنده .

ووجه الدلالة من قول النبي ﷺ هذا ، وإشارته بيده أنّ ذلك متضمّن الحثّ على قتال المشركين بمكة عند إرادته فتحها .

---

(١) رقم ٣٠٢٤ في الخراج والإمارة باب ما جاء في خبر مكة .
(٢) كذا هنا ، وفي سنن أبي داود رقم ٣٠٢٤ في الخراج والإمارة ، باب ما جاء في خبر مكة ، من رواية ابن داسة واللؤلؤي : من دخل داراً . بالتنكير .

Marfat.com

ومن ذلك قوله فيه ، فما أشرف لهم يومئذ أحد إلاّ أناموه ، لأنّ معنى ذلك ما ظهر لهم أحد إلاّ قتلوه ، فوقع إلى الأرض ، أو يكون المعنى أسكتوه بالقتل كالنائم ، يقال : نامت الريح إذا سكتت ، وضربه حتى سكت أي مات ، ونامت الشاة وغيرها ماتت ، قال الفرّاء : النائمة المَيْتة ، وقيل في معنى أناموه معنى يخالف ما ذكرناه ، سنذكره فيما بعد مع بيان ما فيه من النظر ، ومن ذلك قول أبي سفيان بن حرب : يا رسول الله أُبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، وفي رواية أُبيدت ومعناها كمعنى أبيحت ، والمعنى في ذلك أي استؤصلت قريش بالقتل وأُفنيت ، وخضراؤهم بمعنى جماعتهم ، ويُعَبَّر عن الجماعة المجتمعة بالسواد والخُضْرة ، ومنه السواد الأعظم ، والإبادة على الوجه المشار إليه دليل على أنَّ فتح مكة عَنْوة ، لأنّ فتح مكة[1] صلحاً ينافي ذلك ، والله أعلم .

ومن ذلك سؤآل أبي سفيان من النبي ﷺ الأمان لمن دخل دار أبي سفيان ولمن ألقى السلاح[2] ولمن أغلق بابه ، وإجابة النبي ﷺ له إلى ما سأله .

وجه الدلالة من هذا على أنّ فتح مكة عَنْوة أنه لو كان فتحها صلحاً لم يسأل أبو سفيان أماناً مخصوصاً مع الاستغناء عنه بالأمان العامّ الذي هو مقتضى الصُلْح ، كيف وفي الحديث ما يدّل على أن الموجب لسؤآل أبي سفيان الأمان المخصوص هو ما رأى من إبادة المسلمين لجماعة قريش بالقتل يوم فتح مكة ، ولا يفعل المسلمون ذلك بالمشركين إلاّ حيث لم يكن لهم ذِمّة أو كانت لهم فنقضوها ، وهذا أظهر لأنّ النبي ﷺ أمَّن أهل مكة نحو التأمين الذي سأله فيه أبو سفيان حين سأله في ذلك العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بمَرّ الظّهران ، تكرمة لأبي سفيان ، وقد سبق ذكرنا لذلك .

وكان سؤآل أبي سفيان للنبي ﷺ في الأمان ، وذكره له حال قريش والنبي

---

(١) في النسخة (ك) فتحها . بدل (فتح مكة) .
(٢) في النسخة (ك) سلاحه . بدل (السلاح) .

Marfat.com

ﷺ على الصّفا بعد فتح الله عليه مكة ، لأنّ في حديث أبي هريرة قال : وصعد رسول الله ﷺ الصفا : وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا ، فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله أُبيدت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، قال أبو سفيان : يا رسول الله من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؟ وذكر بقية الخبر ، وقوله في الحديث الذي فيه هذا الكلام قبل ذِكْره : فما أشرف لهم يومئذ أحد إلاّ أناموه ، يردّ على مَن قال إنّ قوله ﷺ انظروا إذا لقيتموهم غداً أنْ تحصدوهم حصداً ، أنّ ذلك كان قبل الفتح بيوم ، ثم حصل الصلح في غده لِما تقدّم من أنّ معنى قوله فما أشرف يومئذ أحد إلاّ أناموه ، أي قتلوه ، ولم يكن ذلك إلاّ في يوم فتح مكة .

وقد أشار الإمام المازري إلى الردّ بذلك على قائل المقالة المشار اليها ، وأيضاً فلا يلزم من قوله إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً أن يكون ذلك وقع قبل الفتح بيوم لإمكان أن يكون ذلك وقع في آخر الليلة التي وقع الفتح في صبيحتها ، وأيضاً فما ادّعاه قائل هذه المقالة من حصول صلح في يوم فتح مكة قبل حصول القتال في هذا اليوم لا يقوم عليه دليل ، والله أعلم .

ونشير إلى ضبط ألفاظٍ في حديث أبي هريرة وهي المجنبة والبياذقة ، فأمّا المجنبة فبميم مضمومة وجيم مفتوحة ونون مكسورة ، وأما البياذقة فبباء موحدة ثم ياء مثناة تحتية وألِف وذال معجمة وقاف ، ووقع في بعض الطرق : الساقة بدل البياذقة ، وقال بعض الرواة : الشارفة بشين معجمة وألف وراء مهملة وفاء ، وفسّره بالذين يشرفون على مكة .

قال القاضي عياض : وليس هذا بشيء لأنهم أخذوا في بطن الوادي . والساقة : بسين مهملة بعدها ألف وقاف وهم الذين يكونون آخر العسكر على ما قاله القاضي : والبياذقة هم الحُسَّر ، كما في رواية مسلم عن شيبان عن سليمان بن المغيرة لأنّ المعنى فيهما واحد ، لأنّهم الرجال الذين لا دروع لهم ، والبياذقة فارسيّ مُعرَب على ما قيل ، وهم أصحاب رِكاب الملك ومن يتصرّف في

Marfat.com

أموره سمّوا بذلك لخفتّهم وسرعة حركتهم على ما قيل ، والحُسُر : بحاء مهملة مضمومة وسين مشدَّدة مهملة .

ومن الدلائل على أنّ فتح مكة عَنْوة ما رويناه عن أمّ هانيء بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت : ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل ، وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فسلّمت عليه ، فقال : من هذه ؟ قلت : أمّ هانيء بنت أبي طالب قال: مرحبا بأم هانيء، فلما فرغ من غسله قام فصلّى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلاً أَجَرْته فلان بن هبيرة ، فقال رسول الله ﷺ : قد أجرنا من أَجَرْتِ يا أمّ هانيء ، قالت أم هانيء وذلك ضُحىً ، أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ مسلم في صحيحه[1] وهو مما اتفق على صحّته ، ووجه الدلالة منه على أنّ مكة فُتحت عَنْوة وأنه لو كان فتحها صلحاً لم يخف ذلك على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمكانه من النبي ﷺ ، ولما أقدم على قتل من دخل في الأمان الذي هو مقتضى الصلح ، فإنّ ذلك يغني عن جيرة أمّ هانيء ، ولما سألت أمّ هانيء النبي ﷺ إنفاذ جيرتها.

وقد أشار الإمام المازري إلى نحو ما ذكرناه من الاستدلال بهذا الحديث على أنّ فتح مكة عَنْوة ، والرجل الذي أجارته أمّ هانيء كما في هذا الحديث قيل : إنه ابنها جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومي ، لأنّ الحافظ أبا القاسم السُهَيْلي لما ذكر أمّ هانيء بنت أبي طالب قال : ولها ابن من هبيرة آخر إسمه يوسف ، وثالث وهو الأكبر إسمه جعدة ، وقيل[2] إياه عَنَتْ في حديث مالك زعم ابن أمّي علي أنّه قاتل رجلاً أجرته فلان بن هبيرة ، انتهى .

ونقل ذلك الحافظ أبو الحجّاج المِزّي في تهذيبه[3] عن الحافظ بن عبد البَرّ،

---

(١) ذكر ذلك الحديث ابن هشام في كتابه السيرة النبوية جـ ٢ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢) في الأصل ، وقيل : (أنّ اباه عنت) فأثبتنا الصواب عن أبي القاسم السهيلي في الروض الأنف ج ٣/١٠٣ .

(٣) تهذيب الكمال ٤/٥٦٦ رقم ٩٣٠ وليس فيه العبارة الواردة في المتن .

Marfat.com

لأنّـه قـال في ترجمة جَعْدَة بـن هُبَيْرَة هـذا، وقال ابن عبد البَرّ أيضاً : يقال إنّه الذي أجارته أمّ هانيء يوم الفتح فلان بن هبيرة ، انتهى .

ولم أر كـلام ابن عبد البَـرّ في كتاب « الاستيعـاب » بعـد تتبُّعي لـذلـك في ترجمة جَعْدَة بن هُبَيْرَة ، وفي ترجمة أمّه أمّ هانيء في تراجمها الثلاث ، ولعلّه ذكر ذلك في غير الاستيعاب ، والله أعلم(١) .

وجـاء حديث عنهـا أنها أجـارت رجلين من بني مخزوم يـوم الفتح ، فتفلَّتَ عليٌّ ليقتلهمـا ، وهذان الـرجلان همـا الحارث بن هشـام وعبد الله بن أبي ربيعـة المخزوميان ، قاله الخـطيب البغدادي ، وقيـل هما الحـارث بن هشام وزهيـر بـن أبي أميّة بن المغيرة ، ذكره ابن أبي إسحق فيما حكاه ابن بشكوال ، والله أعلم .

ومما يدلّ لذلك أيضاً قوله ﷺ يوم فتح مكة في خطبته بها ، لما ذكـر حُرْمَـة مكة وأنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي ولم تحلّ لي إلاّ ساعة من نهار ، وذكر بقيّة الحـديث ، وهو مخـرَّج في الصحيحين من حديث ابن عبـاس رضي الله عنهما ، قال الخطابي : إنّما أُحِلّ لـه في تلك السـاعـة إراقة الـدماء لا دم صيـد وغيره ممـا حـرم به بـالحرم من قـطع شجر وتنفيـر صيد ، قـال المحبّ الـطبـري : ويحتمـل العموم ، فإنّ انتشار العسكر لا يخلو من تنفير صيدودوس خلا وقطْعه ، وغير ذلـك والعَمْد والخطأ فيه سواء ، وقد استدلّ بهذا من قال إنّ فتح مكة عَنْوة ، انتهى .

ومما يدلّ على أنّ مكة فُتحت عَنوة قوله ﷺ في خطبته بمكة يوم فتحهـا : يا

---

(١) أقول : الأمر كما قال المؤلف فقد تتبّعت ما تتبّعه فلم أجد ذلك في « الاستيعاب » ، أما نسبة ذلـك إلى ابن عبد البَرّ فهو صحيح ، فقـد نقل الـزرقاني في شـرح المواهب فقـال : وقيل إنّ الثـاني أي الذي أجارته أمّ هانيء ـ جعدة بن هبيرة ـ وفيه أنه كـان صغير السنّ ، فـلا يكون مقـاتلاً عـام الفتح حتى يحتاج إلى الأمان ، ولا يهتمّ عليٌّ بقتله ، وجوّز ابن عبد البَـرّ أنّ جعدة ابن لهبيـرة من غير أمّ هانيء ، مع نقله عن أهل النسب أنهم لم يذكروا له ولداً من غيرهـا أ هـ . قلت وحيث لم نجد مـا نُسب إلى ابن عبد البَرّ في الاستيعاب فمن أين يكون هذا النقل يا تُرى ؟ أقـول : لعلّه من كتابـه : الدرر في اختصار المغازي والسير . على أنّ ذلك متعقّب بقول أمّ هانيء نفسها في الحـديث الذي رواه أحمد ومسلم وابن إسحاق عنها أنها قالت : لما كان يوم الفتـح فرَّ إليَّ رجـلان من أحمائي من بني مخزوم ، الحديث بطوله ا هـ .

معشر قريش ما ترون أنّي فاعل فيكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، ثم قال : اذهبوا فأنتم الطُلَقاء ، وهذه الخطبة في السيرة لابن إسحق تهذيب ابن هشام[1] ، وتظهر الدلالة من ذلك على أنّ فتح مكة عَنْوة ببيان معنى قوله عليه الصلاة والسلام : أنتم الطُلُقاء ، ومعنى ذلك المطلوقون من الاسترقاق ، أشار إلى ذلك ابن الأثير في « نهاية الغريب » له لأنّ فيها قال في حديث حُنَيْن حين خرج إليها ومعه الطُلَقاء الذين خلا عنهم يوم الفتح فتح مكة أطلقهم ولم يسترقّهم ، وأحدهم طليق ، فعيل ، بمعنى مفعول ، وهو الأسير إذا أُطلق سبيله ، الطُلَقاء من قريش والعُتَقَاء من ثقيف كأنه ميّز قُرَيشاً بهذا الاسم حيث هو أحسن من العُتقاء ، انتهى .

وإذا كان هذا معنى الطُلقاء فخطاب النبيّ ﷺ لقريش بهذا الخطاب يقتضي أنهم كانوا حين خوطبوا بذلك في الأسر المقتضي للاسترقاق لولا أن النبيّ ﷺ تفضّل عليهم بالإطلاق ، ولولا ذلك لم يكن لاستعلامه ﷺ قريشاً عن ما يتوقعونه منه محلّ لخطاب قريش بذلك بعد تأمينهم ، وهذا من أظهر الدلائل على فتح مكة عنوة ، ويبعد الانفصال عنه بجواب شافٍ إلاّ أنْ يقال إنّ ذلك مُرْسَل ، والمُرْسَل لا يُحْتَجُّ به ، ولو سلّم ذلك ، فالدلالة على فتحٍ مكة عَنْوة ناهضة من غيره من الدلائل التي ذكرناها ، والله أعلم . .

وقد ذكر الأزرقي خطبة النبيّ ﷺ بمكة يوم فتحها بلفظ يقرب من لفظها السابق في المعنى وزيادة فيها ، ونصّ ما ذكره الأزرقي فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : حدّثني جدّي أحمد بن محمد وإبراهيم بن محمد الشافعي قالا : أخبرنا مسلم بن خالد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن عطاء بن أبي رباح والحسن بن أبي الحسن وطاوس أنّ النبيّ ﷺ دخل يوم فتح مكة البيت فصلّى فيه ركعتين ، ثم خرج وقد لبط[2] الناس حول الكعبة فأخذ بعضادتي الباب ، فقال

---

(١) ج ٢/٢٧٤ .

(٢) لبط : بمعنى اجتمع وبمعنى سعى ، والأول أرجح .

Marfat.com

ﷺ : الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ماذا تقولون وماذا تظنّون ؟ قالوا : نقول خيراً ونظنّ خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت فاسمح[1] قال : فإنّي أقول كما قال أخي يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[2] انتهى باختصار[3].

ومما يدلّ على أنّ فتح مكة عَنْوة ما رويناه في مُسْنَد الإمام أحمد بن حنبل ، لأنّه قال : حدّثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : لما فُتحت مكة على رسول الله ﷺ قال : كفّوا السلاح إلاّ خزاعة عن بني بكر ، فأذن لهم حتى صلّى العصر ، ثم قال : كفّوا السلاح ، الحديث بطوله[4].

وذكره الفاكهي لأنّه قال : حدّثنا حسين بن حسن أنّ ابن أبي عديّ حدّثنا حسين المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ لما فتح مكة قال : كفّوا السلاح إلاّ خزاعة عن بني بكر ، فأذن لهم حتى صلّى العصر ، ثم أمرهم أن يكفّوا السلاح ، حتى إذا كان من الغد لقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر بالمُزْدَلِفة فقتله ، فلما بلغ ذلك النبيَّ ﷺ قام فينا خطيباً وظهره إلى الكعبة فقال : إنّ أعتى الناس على الله من عَدَا في الحرم ومن قتل غير قاتله ومن قتل بذحول[5] الجاهلية . انتهى باختصار ، ويحيى شيخ الإمام أحمد بن حنبل هو يحيى ابن سعيد القطّان ، الإمام المشهور أحد الأعلام ، وحسين شيخه العَلَم ، وثّقه غير واحد ، وأخرج له الجماعة ، وعمرو[6] بن شعيب وإنْ لم يُخَرِّج له من الجماعة البخاري ومسلم فقد وثّقه يحيى بن مَعِين[7] وإسحق بن راهوية وصالح جزّره وغيرهم من الأئمّة وقد احتجّ به غير واحد من الأئمة لأنّي وجدت بخطّ الحافظ

---

(١) في النسخة (ك) (فاسجح) .
(٢) سورة يوسف ، الآية ٩١ .
(٣) أخبار مكة ٢/١٢١ .
(٤) مسند الإمام أحمد ٢/٢١٣ .
(٥) كان في الأصل بدخول ، وصوابه بذحول والذحل : الوتر وطلب المكافأة لجناية جنيت عليه والذحل العداوة أيضاً .
(٦) في المطبوع من الشفاء ٢/٤٠ : « عمر » وهو خطأ .
(٧) التاريخ لابن معين ٢/٤٤٥ ، ٤٤٦ .

الـذهبي في تاريـخ الإسلام[1] : قـال البخاري : رأيت أحمـد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحق بن راهوية يحتجّون بحديث عمرو بن شعيب ، قـال البخاري من الناس بعدهم ، وقال الشيخ محيي الـدين النووي : الصحيـح المختار الاحتجـاج به ، وقال الـدار قُطْني وغيره: قد ثبت سمـاع شعيب عن جدّه عبـد الله بن عمرو ، انتهى ما وجدته بخطّ الحافظ الذهبي .

وإذا تقرّر ذلك فيكون الحديث المشـار إليه صحيـح الإسناد ، ووجـه دلالته على أنّ فتح مكة عَنْوة أنّه يقتضي إباحة القتال فيها يـوم فتحها غـالب هذا اليـوم ، وذلك ينافي أنّ يكون صُلْحاً أو بأمان ، والله أعلم .

ومما يدلّ على أنّ فتـح مكة عَنْـوة ولو لم يقـع فيه قتـال أنّ دخول النبيّ ﷺ ومن معه إليها من المسلمين كان على وجه القهر لأهلها لأنّهم عدّوا دخوله ﷺ عـام الحُدَيبية عنـوة على ما ذكـره ابن إسحق في السيرة[2] ، لأنـه ذكر أنّ قـريشاً قـالوا لبديل بن ورقاء الخزاعي ومن معـه من خُزاعـة حين أبلغوهم عن النبيّ ﷺ أنـه لم يـأت لحرب ، وإنّمـا جاء زائـراً للبيت ، بذلـك عنا العـرب ، وذكر ابن إسحق[3] أيضاً أنّ عُروة بن مسعود الثقفي قال للنبيّ ﷺ لما بعثته إليه قريش بالحُدَيْبية : إنّها قريش خرجت معها العُوذ[4] المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، ويعاهـدون الله لا تدخلها عليهم عَنوة أبداً ، انتهى .

وإذا كان دخول النبيّ ﷺ عنـد أهل مكـة ، مع كـونه لم يقصـد فيه قتـالاً ، وإنّما قصد أداء نُسُك العُمْرة التي أحرم بها ، وعـورض في هذا ، فكيف بـدخولـه

---

(١) تاريخ الإسلام ٤/٢٨٥ .

(٢) تهذيب سيرة ابن هشام ٢٢٢ .

(٣) تهذيب السيرة ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤) العُـوذ : بالـذال المعجمة ، وقـد وردت في النسخة المـطبـوعـة « العـود » بـالـدال المهملة ، وهـو تحريف . وهي جمع عائذ ، وهي الحديثة النتاج من الإبل ، والمطافيل : التي معها أولادها . يريد أنهم خـرجوا بـذوات الألبان من الإبـل ليتزوّدوا ألبـانها ولا يـرجعوا حتى يناجزوا محمـداً . (أنظر تهذيب السيرة ، ص ٢٢١ ملحوظة ٤) .

ﷺ إلى مكة وقت فَتَحَهَا اللهُ عليه ، والقصد بدخوله يومئذ إظهار الإسلام بها ، وإنقاذها من المشركين ، ومعه من المسلمين في دخول مكة يوم الفتح أضعاف من كان معه من المسلمين يوم الحُدَيبية ، لأنّ عدد أصحاب الحُدَيبية ألف وأربعمائة على ما في مسلم وغيره ، وقيل : ألف وخمسمائة وعشرون ، وقيل : ألف وستمائة ، وقيل : ألف وثلاثمائة ، وعدد المسلمين يوم الفتح عشرة آلاف ، وقيل : اثنا عشر ألفاً ، والله أعلم .

وقد حاول النووي رحمه الله ، الجواب عمّا في حديث أبي هريرة ، وحديث أمّ هانيء من الألفاظ التي[1] تدلُّ على أنّ فتح مكة عنوة ، وفيما حاوله من الجواب نظر نُشير إليه بعد ذكر كلامه لأنه قال في الجواب عن أمر النبيّ ﷺ بحصد المشركين وقتل خالد لهم « وأما قوله ﷺ أحصدوهم ، وقتل خالد من قتل فهو محمول على من أظهر من كفّار مكة قتالاً » ، انتهى .

وتأويل النووي لقوله ﷺ : أحصدوهم ، إما أن يقتضي أنّ المأمور بحصدهم لإظهار القتال معروفون بأسمائهم أو غير معروفين بأسمائهم ، والأول لا يقوم عليه دليل ، والثاني مسلَّم ، وهو يقتضي أنّ المأمور بحصدهم غير محصورين ، فيكون الأمر بالحصد عامّاً في جميع المشار إليهم ، وهو دليل على الفتح عنوة ، لأنّ الصلح لو وقع منع من ذلك ، ولا يعارض كون الأمر بحصد المشار إليهم عامّاً في جميعهم الأمر الوارد بعدم مبادأة المشار إليهم بالقتال ، كما هو مقتضى الخبر الذي رويناه في مغازي موسى بن عُقْبة ، وسيرة ابن إسحق ، ولفظ ابن إسحق ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أنْ يدخلوا مكة ألاّ يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في نفرٍ سمّاهم أمر بقتلهم ، وإنْ وُجِدُوا تحت أستار الكعبة انتهى . لأنّ المنع في مبادأة المشار إليهم بالقتال لا يقتضي تخصيص أحد منهم بترك قتاله ، وإنّما عدم مبادأتهم بالقتال رِفْقاً بهم أجمعين ، رجاء إسلامهم ، فيكثر بهم عدد المسلمين ، ويحتمل

---

(١) في الأصل « الذي » .

أنْ يكون الأمر بعدم مبادأتهم بالقتال كان قبل أنّ يبلغ النبيّ ﷺ عن قريش أنهم لم يقبلوا تأمينه ، وجمعوا الأوباش لقتاله ، كما هو مقتضى حديث أبي هريرة السابق في فتح مكة ، لأنّ فيه : وَوَبَّشَت قريش أوباشاً وأتباعاً فقالوا : نقدم هؤلاء ، فإنْ كان لهم شيء كنّا معهم ، فإنْ أُصيبوا أعطينا الذي سُئلنا ، انتهى ، وأنه لما بلغ ﷺ ذلك عن قريش أمر بحصدهم ، كما في حديث أبي هريرة ، ويتأيّد ذلك بأنّ القتال المأذون فيه في حديث أبي هريرة أبلغ من القتال المأذون في الخبر الذي ذكر ابن إسحق ، لقوله في حديث أبي هريرة : أحصدوهم حصداً ، وذلك يقتضي الإبلاغ في القتل ، وإذا حُمِل الخبران على ما ذكرناه لم يبق بينهما تعارض ، والله أعلم .

وقال النووي في الجواب عن تأمين النبيّ ﷺ لمن دخل دار أبي سفيان ومن ألقى سلاحه وتأمين أمّ هانيء : وأمّا أمان من دخل دار أبي سفيان ومن ألقى سلاحه وأمان أمّ هانيء ، فكلّه محمول على زيادة الاحتياط لهم بالأمان ، انتهى .

وهذا الكلام يُشْعِر بأنّ النبيّ ﷺ أمّن أهل مكة أماناً عاماً ، وخصّ منهم بالتأمين من دخل دار أبي سفيان ، ومن ألقى سلاحه ، ومن أجارته أمّ هانيء . فإنّ زيادة الاحتياط لهؤلاء بالأمان لا يكون إلاّ بأنْ يكون تأمين النبيّ ﷺ أمّن أهل مكة أماناً عاماً ، وإنّما أمّنَ مَن دخل دار أبي سفيان ، ودار حكيم ، ومن دخل المسجد ، ومن أغلق بابه ، ومن ألقى سلاحه ، على ما يتحصّل من مجموع الأخبار التي سبق ذِكرها ، واستثنى من ذلك جماعة من الرجال والنساء بجرائم اقتضت ذلك .

وقال النووي في الجواب عن هَمّ علي بن أبي طالب بقتل الرجلين اللذين أجارتهما أمّ هانيء : وأمّا همُّ عليّ بن أبي طالب بقتل الرجلين اللذين أجارتهما أمّ هانيء فلعلّه تأول فيهما شيئاً أو جرى منهما قتال أو نحو ذلك ، انتهى .

وهذا الكلام يقتضي أنّ علياً أراد قتل الرجلين لتأوّله فيهما ما يوجب ذلك أو لأنّه جرى منهما قتال ، وغاية ما يتأوّل عليّ فيهما أنهما مستحقّان القتل لفعلهما ما

Marfat.com

يوجب ذلك من قبل ، والأصل خلاف ذلك ، ولو سلّم فمستحقّ القتل لا يقتل بغير مؤآمرة الإمام ، والأصل أيضاً أنّه لم يجر منهما قتال في يوم فتح مكة ، وإذا دار الأمر بين التأويل لسيدنا عليّ بشيء على خلاف الأصل ، وبين التأويل له بما يوافق الواقع ، فالتأويل له بالموافق أولى ، وهو كون الفتح عَنْوة ، ولا لوم في القتل فيهما ، والله أعلم .

وقال النووي في الجواب عن قوله في حديث فتح مكة : فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه ، ومن قال : فُتحت صُلْحاً ، يعني مكة ، يقول : أناموه أي ألقوه على الأرض من غير قتل إلاّ مَن قاتل ، والله أعلم ، انتهى ، وفي هذا التأويل نظر من أوْجُهٍ ، منها أنّ القصد بالإلقاء إلى الأرض من غير قتل هو الإرهاب ، وهو يحصل بدون ذلك ، مثل الإشارة بالسيف وشبهه ، فيجتزي بذلك إذا كان الفتح صُلْحاً ، ومنها أنّ الإلقاء إلى الأرض يبعد وقوعه من غير زيادة عليه في حقّ كلّ من عارض المسلمين يوم فتح مكة بقتال ، وإنّما يتأتّى ذلك من الراكب للراكب ، ومن الماشي للراكب ، ومن الماشي للماشي ، وأمّا من الراكب للماشي فيبعد تأتّيه في حقّ كل من عارض ، إلاّ أنْ ينزل الراكب عن فرسه ، وفي وقوع ذلك من كل راكب لكل ماشٍ عارض بقتال بُعْدٌ ، والله أعلم .

ومنها أنّ ما ذكره أبو سفيان من إشارة[1] قريش واستباحتها يقتضي أنّ المفعول فيهم يومئذ أعظم من إلقائهم إلى الأرض من غير قتال ، لأنّ ذلك لا يعبّر عنه بما ذكره أبو سفيان ، والله أعلم .

وقد ذكر النووي رحمه الله حجّة الشافعي على أنّ مكة فُتحت صُلْحاً ، قال : واحتجّ الشافعي بالأحاديث المشهورة أنه ﷺ صالحهم بمَرّ الظّهران قبل دخوله مكة ، انتهى . وهذا الصلح المشار إليه لا يخلو من أمرين ، أحدهما أنْ يكون المراد به تأمين النبيّ ﷺ أهل مكة على الصّفة التي سبق ذكرها ، والآخر .

---

(١) في النسخة (ك) (إثارة) . بدل (إشارة) وهي الأصحّ وبها يستقيم المعنى .

Marfat.com

أن يكـون عقد منهم[1] عقـد هدنـة كما وقـع في عام الحُـدَيْبيَّة ، فـإنْ كـان الأول فإطلاق الصلح إنّمـا يكون إذا انضمّ إليـه التزام أهـل مكة لمـوجب التأمين ، وهـو الكفّ عن قتـال المسلمين يوم فتـح مكة ، ولا يقـوم دليل على التـزام أهـل مكـة لذلك ، ويقوم الدليل على خلافه ، لأنّ في حديث أبي هريرة السابق في خبر فتح مكة . إنّ قريشاً جمعوا أوباشاً وقالوا نقدّم هؤلاء ، فإنْ كان لهم شيء كنّا معهم ، وإنْ أصيبوا أعطينا الذي سُئِلنا ، انتهى .

والذي سُئِلوا هو الكفّ عن القتال ، فدلّ ذلـك على أنّهم لم يلتزمـوه ، ولم يـرِدْ خبر يُشْعِـر بأنّ أحـداً من قريش أنكـر على سُهَيل بن عمـرو وصفوان بن أُميّـة وعِكْرمة بن أبي جهـل ، جمعهم لقتال المسلمين يـومئذ ، ولا أنّ أحـداً من قريش تبرأ مِمّن جمع لذلك ، مُشْعِرٌ بِرِضا الجميع بذلك ، والله أعلم .

وإنْ كان المراد الثاني ، فهو غير معروف ، فضلاً عن أنْ يكون فيـه أحاديث مشهـورة ، ويبعُدُ جـدّاً أنْ يكون في ذلـك حديث مشهـور ، ويخفى ذلك حتى لا يُعْرَف له محلّ في كتب العلماء ، وأيضاً فعقْد الهدنة إنّما يكون بسؤآل من اضـطرّ إليها ، والاضطرار إليها في الفتح للمشـركين ، لوفـور قوّة المسلمين يـومئذ ، ولم يسـأل المشركـون ذلك مشـافهة ولا مـراسلة ، لأنه لم يحضـر عنـد النبيّ ﷺ بمَرّ الظّهران ، مِمّن كـان على الشِرْك ، غيـر أبي سفيان بن حـرب وحكيم بن حزام ، وكان معهما بـديل بن ورقاء الخزاعي، ولم يكن حضورهم إليـه لأداء رسالـة عن قـريش ، وإنّما قـريش بعثهم ليتجسّسوا لهم أخبـار رسول الله ﷺ ، على مـا ذكره ابن إسحق ، فـإنّها غيّبت عليهم لأنّ النبي ﷺ سـأل الله عزّ وجـلّ عند تـوجُّهه من المدينة أنْ تُعمّى الأخبار عن قريش حتى يَبْغَتَهَا في دارها ، فاستجاب الله دعوته ، ولم يشعر بهم أحد من أهـل مكة ، إلاّ وهم بمَـرّ الظّهـران ، وكانـوا في وَجَلٍ من

---

(١) في النسخة (ك) (عنهم) .

Marfat.com

النبيّ ﷺ لنقضهم عهد الحُدَيْبية ، لأنّ بعضاً قاتل ليلاً مع كنانة خُزاعة حلفاء النبي ﷺ ، ورفد بعضهم كنانة بالسلاح[1] .

وذكـر موسى بن عُقْبـة ما يقتضي أنّ بعض المسلمين أخـذوا أبا سفيـان ومَن معه قهراً وأحضروهم إلى النبيّ ﷺ ؛ فأسلموا ، وأنّ أبا سفيان وحكيماً سألا النبي ﷺ الأمان لمن كفر من قريش عن قتالـه ، فأجـابهم النبيّ ﷺ إلى ذلك ، والـذي حملهم على ذلك الرغبة فيما يصلح لقومهما ، ولم يكن لمن خـرج مخرجهمـا أن يعقد على من وراءه عقدَ هـدنةٍ إلاَّ بعـد إعلام من وراءه بمـا رأى ، وأنْ يثق منهم في ذلك بالرضا ، وقد أنكر بعض العلماء أنْ يكون أهـل مكة عقـدوا مع النبيّ ﷺ صلحاً عند فتحها ، لأنّه ذكر أنّ حال أهل مكة جـرى في أرضها وفي أنفسهم وفي أموالهم مجرى حال أهل الصُلْح ، لا أنهم عقدوا معه صلحاً ، إذ لم يأت أثـر في شيء من هذا لمصالحتهم إيّاه ، وبالله التوفيق ، انتهى بلفظه إلاَّ قليـلاً فبالمعنى ، وهذا في شرح مسلم لـلإمام المـازري ، أو للقاضي عِياض على الشكّ منّي لبُعْـد العهد بذلك ، والله أعلم .

وقد ذكر النووي حجّة الشافعي على جواز بيع دُور مكة وإجارتها ، فقال قوله ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . استدلّ به الشافعي وموافقوه على أنّ دُور مكة مملوكة يصحّ بيعها وإجارتها ، لأنّ أصل الإضافة إلى الآدميين يقتضي الملك وما سوى ذلك مجاز ، انتهى .

وفي هذا الاستدلال نظر لأنه ليس في معنى قوله عليه الصلاة والسلام : من دخل دار أبي سفيان ، إشعار بإضافة غيرها من دُور مكة لأهلها من مسلمة الفتح ، حتى تكون دُورهم مملوكة لهم ، كملك أبي سفيـان ، وإذا كان كـذلك لم ينهض من قوله عليـه الصلاة والسـلام من دخل دار أبي سفيـان دلالة على ملك غيـر أبي

---

(١) ذكر السهيلي أن بني رزن الكنانيين هم من بني بكـر الذين رفـدتهم قريش بـالسلام ونـاصرتهم على خزاعة « الروض الأنف جـ٢ ص ٢٦٣ » .

Marfat.com

سفيان من مسلمة الفتح لدُورهم بمكة ، لكون ذلك لا يدلّ لملك غيره ، وهذا يخالف رأي من استدلّ به على أنّ دُور مكة مملوكة لأهلها ويبعد أنْ يُقاس على دار أبي سفيان غيرها من دُور مكة التي كانت لغيره من مسلمة الفتح ، لأنّ ملك أبي سفيان لداره لا ينبغي أن يُخْتَلَف فيه ، لكونه أسلم قبل أنْ يدخل النبيُّ ﷺ إلى مكة بمَرّ الظّهران ، وبإسلامه أحرز نفسه وماله ، ومثله في ذلك حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي ، لأنهما أسلما معه بمرّ الظّهران على خلاف في بديل ، فإنه قيل : أسلم قبل الفتح ، وغيره من مسلمة الفتح في ملكهم لدُورهم بمكة خلاف بين أهل العلم شبيه الخلاف في فتح مكة ، هل هو عنوة أو صلح ، وفي كونه صلحاً نظر سبق بيانه ، وأقرب ما يُستَدَلّ به على ملك دُور مكة ، كوْن النبيّ ﷺ مَنَّ بها على أهلها فلم يقسمها ، والله أعلم .

ورأيت في شرح مسلم المشار إليه ذِكرَ السبب الذي لأجله قيل إنّ مكة فُتحت صُلحاً ، لأنَّ فيه : وإنّما شُبِّهَ على القوم لأجل أنه ﷺ لم يستبح أموالها ولا قسمها بين الغانمين ، فلما رأى الشافعيّ هذا ، وخروجه عن الأصل اعتقد أنه صلح ، وهذا لا تعلُّق له فيه ، لأنّ الغنيمة لا يملكها الغانمون بنفس القتال على قول كثير من أصحابنا ، وللإمام أنْ يخرجها عن الغانمين ويمُنَّ على الأسرى بأنفسهم وحريمهم وأموالهم ، وكأنّه ﷺ رأى من المصلحة بعد الفتح والاستيلاء عليهم أنْ يُبْقِيَهم لحُرْمة العشيرة وحُرْمة البلد ، وما رجى من إسلامهم وتكثير عدد المسلمين بهم ، فلا يردّ ما قدّمناه من الأدلّة الواضحة بمثل هذا المحتمل ، ومن شرح مسلم المشار إليه .

وقال بعض أصحاب الشافعي بقوله : إنّ النبي ﷺ دخل مكة صلحاً ، أي فعل فيها فعله في من صالحه ، فملّكه نفسه وماله وأرضه ، لأنّه لم يدخلها إلاّ بعد أنْ أمّن أهلها كلّهم ، وهذا من قول أصحابه اعتذار من قوله الذي انفرد به ، ومَيْل إلى قول الجماعة من افتتاحها عنوة ، وإنما منّ عليهم وعفا عنهم وملّكهم أموالهم ، انتهى .

Marfat.com

وقد رأيت ما يدلّ على أنّ الإمام الشافعي تفرّد بقوله : إنّ مكة فُتحت صُلحاً لأنّي رأيت في نسخة من المهذّب للشيخ أبي إسحق الشيرازي ، بخطّ سليمان بن خليل ، حاشية أولها : ومذهب الشافعي أنّ رسول الله ﷺ فتح مكة صُلحاً بأمان قومه لهم قبل دخوله ، وروي ذلك عن أبي بن عبد الرحمن بن مجاهد[1] ، وذكر بقيّة الحاشية ، وفوقها مكتوب بخطّ ابن خليل أيضاً ، صورته من الشامل ، انتهى . وأظنّ أنّ الشامل للشيخ أبي نصر الصبّاغ[2] الشافعي ، وقد بيّض ابن خليل بين أبي وبين ابن عبد الرحمن ، وما عرفت مَن المشار إليه بذلك ، هل هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أو غيره ؟ والله أعلم .

وقد طال الكلام فيما يتعلّق بتحقيق فتح مكة ، ولكن يحصل بذلك من الفوائد ما لا يوجد مجتمعاً في غير هذا المحلّ ، وظهر بذلك رَجَحَانُ كونها فُتحت عنوة ، والله أعلم .

---

(١) في النسخة (ك) (ومجاهد) . بدل (ابن مجاهد) .
(٢) في النسخة (ك) (ابن الصباغ) .

Marfat.com

الباب الثاني

في أسماء مكّة المشرّفة

لمكة المشرَّفة أسماءٌ كثيرة ، وقد عُني الناس بجمعها ، ولم أر لأحد في ذلك مثل ما رأيت لشيخنا العلّامة اللغوي قاضي اليمن مجد الدّين الشيرازي ، ولكنّه أغْرَبَ فيما ذكره ، وفَاتَه مع ذلك أسماءُ أخرى .

أنبأني شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي ، أحسن الله إليه ، قال في كتابه « تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين » في باب النّون الناسّة والناشة من أسماء مكة شرّفها الله وعظّمها ، فيما ذكره كراع[1] النمل في المنتخب من تأليفه وهو من جهابذة اللغويين ، ثم قال بعد شرح معنى هذين الإسمين : ومن أسماء مكة شرّفها الله تعالى وعظّمها: العروض ، والسيل مثال خيل ونيل ، ومخرج صدق ، والبنية ، وهذه عن ياقوت ، والمعاد وأمّ رُحْم بالراء المهملة وأمّ راحم ، وأمّ زحم وهذي بالزاي ، وأمّ صبح وأمّ القرى ، والبلد ، والبلدة ، والبلد الأمين ، والبلد الحرام ، والرتاج ، والناسة ، والناشة ، وحرم الله تعالى ، وبلد الله تعالى ، وفادان ، وهذه عن ياقوت الحموي ، والباسّة ، والناسة[2] والبسّاسة ، وطيبة ، والقادس ، والمقدّسة ، وقرية النمل ، ونقرة الغراب ، وقرية الحمس ، وصلاح

---

(١) في النسخة (ك) (كواع) .

(٢) في النسخة (ع) النساسة ، وكذا في معجم البلدان ١٨٢/٥ .

كقَطَام منوَّنة ، والحاطمة ، وكوثى ، وسبّوحة ، والسلام ، والعذراء ، ونادرة ، والوادي ، والحرم ، والنجز ، والقرية ، وبكّة ، ومكة ، والعَرْش ، والعُرْش ، والعُرُش ، والعريش ، والعروش ، والحُرمة بالضمّ وبالكسر ، وهذه النسبة عن ابن عديس ، ذكره في كتابه الباهر .

قال شيخنا القاضي مجد الدين : وقد ذكرت في شرح صحيح الإمام البخاري رحمه الله ما يتعلق بإشتقاق كل إسم منها ، مقرونة بشواهد وفوائد ، فلْيُنْظَر إن شاء الله تعالى . قال : قرية النّمل ، ونقرة الغراب ، علامتان لموضع زمزم حين أمر عبد المطّلب بحفرها ، وَعَدَّها بعضُهم إسمين لزمزم مجازاً ، فإنْ كان شيخنا القاضي مجد الدين لحظ كونهما إسمين لزمزم ، وسمّى بهما مكة من باب تسمية الكلّ باسم البعض ، وهو مجاز شائع ، فيصحّ على هذا أنْ يذكر في أسماء مكة الصّفا والمروة والحَزْوَرَة ، وغير ذلك من المواضع المشهورة بمكة ، وقوله : وقرية الحُمْس إنْ كان لحظ في تسمية مكة بذلك أنّ الحُمْس كانوا سكّان مكة قبل[1] ، فيصحّ على هذا أنْ يذكر في أسماء مكة قرية العمالقة ، وقرية جُرْهُم لكونهما[2] كانوا سكان مكة قبل الحُمس ، اللّهمّ إلاّ أن يقال[3] إنّ تسمية مكة بقرية النمل ، ونقرة الغراب ، وقرية الحُمس ، منقولٌ عن أهل اللغة ، فلا يقاس عليه غيره ، والله أعلم .

ومن أسماء مكة التي لم يذكرها شيخنا القاضي مجد الدين : بره ، ومنها بساق ، ومنها البيت العتيق ، ومنها الرأس ، ومنها القادسية ، ومنها المسجد الحرام ، ومنها المعطشة ، ومنها المكّتان ، ومنها النابية ، ومنها أمّ رَوْح ، ومنها أمّ الرحمن ، ومنها أمّ كوني ، وسنذكر مَن ذكر هذه الأسماء من العلماء .

---

(١) في النسخة (ك) لا توجد كلمة (قبل) .
(٢) في النسخة (ك) « لكونهم » بدل « لكونهما » ، وكلاهما صحيح .
(٣) في النسخة (ك) « يكون » بدل « يقال إنّ » .

Marfat.com

ذكر معاني بعض أسماء مكة وعزو بعضها لأهل العلم

اختُلِفَ في مكة بالميم ، وبكّة بالباء ، هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين ؟ والأول قول الضّحّاك فيما حكاه المحبّ الطبري ، وقول مجاهد فيما حكاه عنه الماوردي ، واحتجّ ابن قتيبة لتصحيحه بأنّ الباء تُبدل من الميم ، كضرب لازم ولازب ، واختلف القائلون بالثاني ، فقيل : بكّة بالباء ، موضع البيت ، ومكة بالميم : القرية ، وهذا يُرْوى عن إبراهيم النخعي ، وقيل بكّة بالباء ، موضع البيت ، ومكة بالميم الحرم كله ، وهذا يُرْوَى عن يحيى بن أبي أنيسة ، وقيل : بكّة بالباء ما بين الجبلين ، ومكة ، بالميم الحرم كله ، وقيل بكة بالباء الكعبة والمسجد الحرام ومكة بالميم ذو طوى ، وهذا يُروى عن زيد بن أسلم ، وقيل بكة بالباء البيت وما حواليه مكة بالميم ، وهذا يروى عن مجاهد ، وهذه الأقوال رويناها في تاريخ الأزرقي ، ولم يبيّن فيه قائل القول الثالث من هذه الأقوال ، والله أعلم بالصواب(٢) .

واختُلف في معنى تسميتها مكة بالميم ، فقيل : لأنّها تمكّ الجبارين ، أي تُذْهب نخوتهم ، وقيل : لأنّها تمكّ الفاجر عنها أي تُخْرِجُهُ ، وقيل : كأنّها تُجْهِد أهلها من قولهم : تمكّكت العظم إذا أخرجت مخّه ، وقيل لأنها تجذب الناس إليها من قولهم : أمتكّ الفصيل ما في ضرع أمه إذا لم يُبْقِ فيه شيئاً ، وقيل : لقلّة مائها ، واختُلف في معنى تسميتها بكة بالباء فقيل : لأنها تبكّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها ، أي تدقّها ، والبكّ الدقّ ، وقيل لازدحام الناس بها ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبّرين ، قاله الترمذي ، وهذان الاسمان لمكة مأخوذان من القرآن العظيم، وأُخذ منه عدّة أسماء منها أمّ القرى ، قاله الضّحّاك في تفسير قوله تعالى ﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى ﴾ ، واختُلف في سبب

---

(١) الأحكام السلطانية ١٥٧ وما بعدها .

(٢) يظهر في سياق الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ إنّ أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين ﴾ رَجحان الرأي الأول ، وهو انّ بكة إسم من أسماء مكة ، وأنّ الباء أُبدلت من الميم ، وقد جرى على ذلك المفسّرون .

Marfat.com

تسميتها بذلك ، فقيل : لأنّ الأرض دُحِيَتْ من تحتها ، قالها ابن العباس ، وقيل : لأنها أعظم القُرى شأناً ، وقيل لأنّ فيها بيت الله ، ولما جرت العادة بأنّ الملك وبلده مقدّمان على جميع الأماكن سمّي أمّاً لأنّ الأمّ متقدّمة ، وقيل : لأنها قبلة تؤمُّها جميع الأمّة ، ومنها القرية ، قاله مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مثلاً قرْيَةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رِزقُها رَغداً منْ كلِّ مكانٍ ﴾ ، والقرية إسم لما تجمع جماعة كثيرة من الناس ، من قولهم قريت الماء في الحوض ، إذا جمعته فيه ، ويقال للحوض مقراة ، ومنها البلد ، قال الله تعالى ﴿ لا أُقسِمُ بهذا البلدِ ﴾ قال ابن عباس : هي مكة ، وقال بلغني أنّ النبيّ ﷺ قال : هي مكة ، ذكر ذلك عنه الفاكهي ونقل عن ابن [1] أنه قال . في تفسير هذه الآية : إنها مكة ، انتهى .

والبلد في اللغة الصدر[2] أي صدر القرى ، ومنها البلد الأمين ، قال الله تعالى : ﴿ وهذا البلدِ الأمين ﴾ . قال الفاكهي فيما رواه بسنده إلى ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وهذا البلدِ الأمين ﴾ قال : يعني مكة ، وروي ذلك بسنده عن زيد ابن أسلم .

ومنها البلدة ، قال الله تعالى : ﴿ إنّما أُمِرْتُ أنْ أعبدَ رَبَّ هذِهِ البلدةِ ﴾ ، قال الواحدي في الوسيط : هي مكة، وقاله ابن برجان في تفسيره ، وقال ياقوت في معجم البلدان « باب » البلدة ثلاثة مواضع ، الأول في قوله تعالى : ﴿ بَلدةٌ طيِّبةٌ وربٌّ غفورٌ ﴾ أراد بها مكة[3]، انتهى .

وذكر الفاكهي ما يخالف ذلك لأنه قال : حدّثنا أبو يحيى بن[4] ميسرة قال : حدّثنا خالد[5] بنّ يحيى قال : حدّثنا سفيان قال : إنّما أُمِرت أن أعبد ربّ هذه

---

(١) بياض بالأصل ، وقد ذكر ابن جرير في تفسيره أن ممن فسّر هذه الآية بأنها مكة : مجاهد وعطاء وقتادة وأبو زيد اهـ .

(٢) في النسخة (ك) والبلد في اللغة صدر القرى .

(٣) معجم البلدان ١/٤٨٣ .

(٤) في النسخة (ك) (ابن أبي ميسرة) بدل (ابن ميسرة) .

(٥) في النسخة (ك) (خلاد) بدل (خالد) .

Marfat.com

البلدة ، قال هي مِني ، قال أبو يحيى : وكذلك العرب تسمّيها البلدة إلى اليوم ، انتهى ، والله أعلم .

ومنها مَعَاد بفتح الميم ، لقوله تعالى ﴿ إنَّ الذي فَرَضَ عليك القرآن لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ ﴾ كما في صحيح البخاري عن ابن عباس ، لأنه قال : حدّثنا محمد بن مقاتل قال : أخبرنا يعلى قال : حدّثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لَرَادُّك إلى مَعَاد ، قال : إلى مكة ، انتهى . فهذه ثمانية أسماء لمكة مأخوذة من القرآن العظيم ، ولم يذكر المحبّ الطبري من أسمائها المأخوذة من القرآن إلاّ خمسة لأنه قال : سمّى الله تعالى مكة بخمسة أسماء ، بكة ، ومكة ، والبلد ، والقرية ، وأم القرى ، انتهى .

وأما تسمية مكة الباسّة بالباء الموحدة والسين المهملة فقاله مجاهد ، لأنها تبسّ من ألْحد فيها أي تُهْلكه أي تحطّه ، من قوله تعالى ﴿ وبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً ﴾ ذكره ابن جماعة[1].

وأمّا تسميتها الناسّة ، بالنّون والسين المهملة ، فذكره الماوردي قال: ومعناه أي تنسّ من ألْحد فيها ، أي تطرده وتنفيه . وحكاه صاحب « المطالع » والنووي[2] ،وذكره ابن جماعة قال : والنّاسة قيل لأنّها تنسّ الملحِدِ ، أي تطرده ، وقيل : لقلّة مائها ، والنّسّ اليبس .

وأمّا تسميتها النّسّاسة ، بالنون وتشديد السّين الأولى ، فهو مقتضى كلام المطالع ، والمعنى في ذلك ، والله أعلم كالمعنى في النّاسّة بالنون .

وأمّا تسميتها الحاطمة ، فذكره الأزرقي[3] عن إبراهيم[4] بن أبي يحيى ، وصاحب المطالع ، وابن خليل ، والنووي ،وقال: لحطْمها المُلْحِدين .

وأما تسميتها : صلاحِ ، بصاد مهملة مفتوحة ، وحاء مهملة ، فحكاه

---

(١) وانظر : الأحكام السلطانية ١٥٨ .

(٢) تهذيب الأسماء ج ٢ ق ٢/١٥٦ .

(٣) أخبار مكة ١/٢٨٢ .

(٤) في النسخة (ك) ابن يحيى .

Marfat.com

مُصْعَب الـزُبَيـري وقـال : سُمّيت بذلـك لأمنها ، وأنشـد له قـول أبي سفيان بن حرب بن أميّة لابن الحضرمي .

أبـا مـطرٍ هَـلُمَّ إلـى صـلاح فيكفيـك الـنَّـدَامَى مـن قـريش
وتـنـزل بـلدةً عَـزَّتْ قـديـمـاً وتـأمـن أنْ يـزورَك ربُّ جـيش (١)

وصـلاح مبنيّ على الكسر ، كحَـذَامِ وقَطَامِ ونـظائرهمـا ، وقـد يُصْـرَف ، واستُدِلّ على صرفه بقول أبي سفيان السابق .

وأمّا تسميتها العرش ، بعين مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة ، فذكـره كراع فيما حكاه عنه ابن جماعة ، وأشار إلى ذلك صاحب « المطالع » .

وأمّا تسميتها العـريش ، بزيـادة ياء مثنّـاة من تحت ، فذكـره ابن سيده فيمـا حكاه عنه ابن جماعة .

وأمّا تسميتها القادس فذكره صاحب « المطالع » قال : والقادس من التقديس لأنّها تطهّر من الذنوب .

وأمّا تسميتها المقدّسة فـذكره صـاحب « المطالـع » والنووي(٢)، والمعنى فيـه كالذي قبله .

وأمّـا تسميتها كُـوثى فـذكـره الأزرقي(٣) عن مجـاهـد والسُهَيْلِي ولم يُعْـزِهِ ، وصاحب المطالع إلاّ أنه قال : بإسم بقعـة ، منها منـزل بني عبد الـدار ، انتهى ، وأفاد الفاكهي أنّ كُوثى في ناحية قُعَيْقِعَان قال: وقيل كوثى ، جبل بمنَى ، انتهى . وكُوثى بكاف مضمومة وثاء مثلّثة .

وأمّـا تسميتهـا الحـرم بحـاء وراء مهملتين ، فـذكـره سليمـان بن خليـل في منسكه .

---

(١) الأحكام السلطانية ١٥٨ .
(٢) تهذيب الأسماء ج ٢ ق ٢/١٥٦ .
(٣) أخبار مكة ١/٢٨١ .

Marfat.com

وأما تسميتها رتاج ، براء مهملة وتاء مثنّاة من فوق وألِف وجيم ، فذكره المحبّ الطبري في شرح التنبيه ، فيما نقله عنه ابن جماعة .

وأمّا تسميتها أمّ رُحم براء مهملة مضمومة ، فذكره مجاهد فيما حكاه عنه الماوردي [1]، لأنّ الناس يتراحمون فيها ويتوازعون .

وأمّا تسميتها أمّ زحم ، بزاي معجمة من الازدحام ، فذكره الرشاطي [2] .

وأمّا تسميتها أمّ صُبْح ، فذكره ابن الأثير في كتابه « المرصّع »[3] على ما وجدت بخط قاضي طرابلس شمس الدين محمد بن أحمد النويري[4] .

وأمّا تسميتها بُساق ، فذكره ابن رشيق في العُمْدَة[5] في تفسير قول أُميّة بن حُرثان .

سأستعدي[6] على الفاروق رَبًّا له عَمَد الحجيجُ إلى بساق

---

(١) الأحكام السلطانية ١٥٨.

(٢) كان في الأصل الشاطي ، وهو الرشاطي فأثبتناه في الأصل على الصواب ، والرشاطي هو صاحب كتاب « الأنساب » واسمه : عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن أحمد الحافظ النسّابة أبو محمد اللخمي المُزَني المعروف بالرشاطي ، ألّف كتابه الحاوي المسمّى (باقتباس الأنوار والتماس الأزهار في التماس أنساب رواة الآثار) استشهد عند دخول العدوّ المرية في جُمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وخمسمائة ، وكان مولده في سنة ستٍّ وأربع مائة ، وقيل : في سنة خمس ، والأول أصحّ قاله الذهبي في تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٩٩ .

(٣) ص ٢٢٠ .

(٤) هو قاضي طرابلس الشام في سنة ٨٢٩ هـ وسنة ٨٣٧ وسنة ٨٣٨ هـ . (أنظر عنه: السلوك ج ٤ ق ٢/٩٢٨ ، حوليات دمشقية ١١٨ ، إنباء الغمر ٣/٥٣٨ ، نزهة النفوس والأبدان للصيرفي ٣/٣٠١ ، قضاة دمشق ١٦٤ ، الضوء اللامع ٦/١٣٥ ، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ٢/٦٢ رقم ٥٥ و ٥٩ و ٦١ ، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ـ ق ٢ ج ٣/٢٣٦ رقم ٩٤٩) .

(٥) ج ١ ص ٣١ وذكره أيضاً ياقوت في معجم البلدان ٢/٤١٣ فقال : بُساق بالضمّ وآخره قاف ، ويقال بصاق بالصّاد جبل بعرفات ، وقيل واد بين المدينة والجار ، وذكر الأبيات التي أنشدها أمية بن حرثان بن الأسكر عند عمر بن الخطّاب بشأن ابنه كلاب ، وذكر ياقوت قصّته وهي قصّة فيها عِبْرة . وقال بُساق أيضاً عَقَبة بين التيه وأيلة .

(٦) في النسخة (ك) « سأسادي » بدل « سأستعدي » وهو خطأ لا يستقيم به المعنى .

Marfat.com

ثم قال ابن رشيق : وقد قيل إنّ بُساق بلد بالحجاز ، انتهى : وبُساق موحّدة وسين مهملة وألِف وقاف .

وأمّا تسميتها بَرّة ، فذكره سليمان بن خليل في منسكه ولم يُعْزِه ، ولم يذكر له معنى .

وأمّا تسميتها البيت العتيق ، فذكره الأزرقي[1] عن إبراهيم بن أبي يحيى ، وصاحب المطالع ، وابن خليل ، ولعلّ ذلك من تسمية الكلّ بإسم البعض ، وهو مجاز شائع ، لكن يردّ على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبة كلّها إذا لحظ[2] هذا المعنى .

وأمّا تسميتها الرأس ، فذكره الإمام السُهَيْلِي[3]، وصاحب المطالع ، والنووي[4]، وقال : لأنها أشرف الأرض كرأس الانسان .

وأمّا تسميتها القادسية ، فذكره ابن جماعة ولم يُعْزِه .

وأمّا تسميتها المسجد الحرام ، فذكره ابن خليل في منسكه ، وفي القران العظيم ما يشهد له ، وحكاه عبد الله بن عبد الملك بن الشيخ أبي محمد المرجاني عن ابن مسدي .

وأمّا تسميتها المُعطّشة فذكره ابن خليل ولم يُعْزِه ، ولم يذكر له معنى .

وأمّا تسميتها المكتّان ، فذكره شيخنا بالإجازة أديب الديار المصرية برهان الدين القيراطي في ديوان شعره البديع ، ولعلّه أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الأسدي .

حديثك أنْ أرى منه خروجاً ببطن المكّتين على رجائي

---

(١) أخبار مكة ١ / ٢٨٠ .

(٢) في النسخة (ك) « لفظ » بدل « لحظ » وهو تحريف بلا شك لأنّ المعنى لا يستقيم به .

(٣) الروض الأُنُف ١/١٣٩ .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ٢/١٥٦ .

Marfat.com

وللسُهَيْلِي على ذلك كلام حسن ، لأنه قال بعد أن ذكر هذا البيت : ثَنَّى مكة وهي واحدة لأنّ لها بطاحاً وظواهر ، ثم قال : وإنّما مقصد العرب في هذه الإشارة إلى جانبي كلّ بلدةٍ ، أو الإشارة ، إلى أعلى البلد وأسفلها فيجعلونها اثنتين على هذا المعنى ، انتهى. وقال السُهَيْلي في موضع آخر ، بعد أن ذكر شيئاً من حال عبد الله بن سعد بن أبي سرح القُرشي العامري ، وهو الذي يقول في حصار عثمان بن عفان رضي الله عنه .

أرى الأمرَ لا يزداد إلاّ تفاقماً وأنصارنا بالمكّتين قليل
وأسلمنا أهلُ المدينةِ والهوى إلى أهل مصر والذليل ذليل[1]

وأمّا تسميتها النابية ، فذكره الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره على ما وجدت بخطّ بعض أصحابنا في حاشية كتاب « تحبير الموشّين » لشيخنا مجد الدين قاضي القضاة عند كلامه على أسماء مكة ، ونصّ الحاشية : « وذكر ابن كثير في تفسيره انّ من أسماء مكة النابية بالنون والباء »[2] .

وأمّا تسميتها أمّ رَوْح فقد قاله ابن الأثير في كتابه « المرصّع »[3] على ما وجدت بخطّ شمس الدين النويري المقدَّم ذِكْرُه .

وأمّا تسميتها أم الرحمن فذكره عبد الله بن عبد الملك[4] المرجاني وعزاه لابن العربي .

وأمّا تسميتها أمّ كوثى فذكره ابن المرجاني ولم يُعْزِه ، ولم يذكر له معنى ، وقد بان لِما ذكرناه في هذا التفصيل معرفة من ذكر الأثنَيْ عشر اسماً التي ذكرناها

---

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ٢٧٣ ط الجمالية بمصر .
(٢) ليس في تفسير ابن كثير هذا الاسم ، ولعلّه خطأ من الناسخ ، حيث قال ابن كثير لما ذكر أسماء مكة فأبلغها إلى إحدى وعشرين إسماً قال : والناسه بالنون وبالباء أيضاً ثم قال : والناسه فظنّ الناقل انّ التي بالباء النابية وصوابه الباسه ، والثالثة النسّاسة ، حيث ذكر قبلها الناسة ، والله أعلم .
(٣) ص ١٨٦ من الروح والرحمة .
(٤) في النسخة (ك) عبد الله بن المرجاني ، بدل عبد الله بن عبد الملك المرجاني .

Marfat.com

في أسماء مكة ولم يذكرها شيخنا القاضي مجد الـدين ، مع معنى بعضهـا ، وبان به أيضاً معرفة من ذكر بعض أسماء مكة التي ذكرها شيخنا القاضي مجد الدين مع بعض معانيها أيضـاً ، وبعض الأسماء الغـريبة التي لم أرهـا لغيره[1] إلاَّ في كـلام المعنى فيـه واضـح ، وهي أمّ راحم وأمّ الـرحم ، فـإنّ ذلـك في معنى أمّ رحم ، بالراء المهملة ، والبلد الحرام لحُرمـة مكة ، وبلد الله لاختيـاره لها على غيـرها ، وطيبة لطيبهـا ، وذكر هـذا الاسم في أسماء مكـة الحافظ عـلاء الدين مغلطاي في سيـرته ، وصلاحٍ منوّنة لأنهـا من معنى صـلاح بـلا تنـوين ، والسـلام من هـذا المعنى .

والوادي ، من قول عمر بن الخطاب لنافع بن عبـد الحارث الخـزاعي عامله على مكة لما لقيه بعسفان ، حين استخلف على أهل مكة مـولاه عبد الـرحمن بن أبزي : من استخلفتَ على أهل الوادي ؟

ولم يذكر النووي من أسماء مكة إلاّ ستة عشـر إسماً ، قـال : ولا يُعرف في البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أشرف الأرض[2]، انتهى باختصار.

قال عبد الله المرجاني في تاريخه للمدينة المسمّى (بهجة الأسرار في تاريخ دار هجرة النبيّ المختار)[3] بعد ذكره لأسماء مكة .

ومن الخواص قيل : إذا كتبت بالدم[4] على الجبين « مكة وسط الدنيـا والله رءوف بالعباد » انقطع الدم ، انتهى .

---

(١) في النسخة (ك) لم أرها إلاّ في كلامه .
(٢) تهذيب الأسماء ج ٢ ق ٢/١٥٦ ، ١٥٧ .
(٢) لا توجد هذه الجملة في النسخة (ك) .
(٣) في الجامع اللطيف لابن ظهيرة (إذا كتب بدم المرعوف) الخ .

Marfat.com

الباب الثالث

في ذكر حرم مكة وسبب تحريمه وتحديده وعلاماته وحدوده

وما يتعلّق بذلك من ضبط ألفاظ في حدوده ومعنى بعض أسمائها

ذكر الحرم وسبب تحريمه

أمّا حَرَم مكة فهو ما أحاط بها وأطاف بها من جوانبها ، جعل الله حُكْمه حُكْمَهَا في الحُرْمة تشريفاً لها ، أشار إلى ذلك الماوردي[1]، وابن خليل، والنووي[2]،واختُلِف في سبب تحريمه ، فقيل : إنّ آدم عليه السلام لما أُهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشيطان ، فاستعاذ بالله منه . فأرسل الله ملائكة حفُّوا بمكة من كل جانب ، ووقفوا في موضع أنصاب الحرم يحرسون آدم ، فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حَرَماً .

وقيل : لأنّ الخليل عليه السلام لما وضع الحجر الأسود في الكعبة حين بناها أضاء الحجر يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً فحرم الله الحرمَ من حيث انتهى نورُ الحجر الأسود .

وقيل : لأن الله سبحانه وتعالى حين قال للسموات والأرض : ﴿ائتيا طَوْعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ، لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ، ولذلك حرّمها .

---

(١) الأحكام السلطانية ١٥٧.

(٢) تهذيب الأسماء ج ٢ ق ٢/١٥٦.

Marfat.com

ذكر هذا القول السُهَيلي[1]، ذكر الأزرقي[1] في ما يشهد للقولين الأولين ، وقيل غير ذلك .

ذكر علامات الحرم

للحرم علامات بيّنة وهي أنصاب مبنيّة في جميع جوانبه خلا حَدَّه[3] من جهة جُدَّة وجهة الْجِعْرَانَة[4] فإنّه ليس فِيها[5] أنصاب .

وأول من نصب ذلك الخليل عليه السلام بدلالة جبريل له ثم قُصَيّ بن كلاب ، وقيل نصبها إسماعيل عليه السلام بعد أبيه الخليل ، ثمّ قُصَيّ ، وهذا يُرْوَى عن ابن عباس ، ذكره عنه الفاكهي ، وغيره ، وقيل : إنَّ عدنان بن أدّ أول من وضع أنصاب الحرم حين خاف أن يدرس الحرم ، ذكره الزُبَير بن بكّار ، ونصبتها قريش بعد أن نزعوها ، والنبيّ ﷺ بمكة قبل هجرته ، ونصبها النبي ﷺ عام الفتح، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ثم معاوية، ثم عبد الملك ابن مروان ، ثم المهديّ العباسيّ ، ثم أمر الراضي العباسي بعمارة العلمين الكبيرين اللَّذَيْن بالتنعيم في سنة خمس وعشرين[6] وثلاثمائة واسمه عليها مكتوب ، ثم أمر المظفّر صاحب إربل بعمارة العلمين اللَّذَيْن هما حدّ الحرم من جهة عَرَفَة في سنة ستٍّ وعشرين وستمائة ، ثم الملك المظفّر صاحب اليمن في سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة، ولم يذكر الأزرقي القول بتنصيب إسمعيل عليه السلام

---

(١) الروض الأُنُف ١/٢٢٢.

(٢) أخبار مكة ٢/١٢٧ .

(٣) حَدّه : منزل بين جدّة ومكة من أرض تهامة في وسط الطريق ، وهو وادٍ فيه حصن ونخل وماجارٍ من عين ، وهو موضع نزه طيب ، والقدماء يسمونه حدّاد ، بالمد . (معجم البلدان ٢/٢٢٩) .

(٤) الجِعْرَانَة : بكسر أوله . وهي ماء من بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبيّ ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعَه من غزاة حُنَين وأحرم منها ، وله فيها مسجد، وبها بئار متقاربة (معجم البلدان ٢/١٤٢ ، ١٤٣) .

(٥) في النسخة (ك) فيهما بدل فيها .

(٦) في النسخة (ك) عشرة بدل (وعشرين) وهو خطأ إذ أنّ الخليفة الراضي العباسي تولّى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ .

Marfat.com

لأنصاب الحرم، ولا نصْب عدنان، ولا نصْب المهديّ لها، ولا تاريخ السنة التي أمر فيها عمر بذلك ، وكان أمر عمر عثمان بنصب ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة ، وأمر عثمان بذلك في سنة ستٍّ وعشرين ، على ما ذكره ابن الأثير[1] فيهما .

وقال الأزرقي ما رويناه بالسَنَد المتقدّم : أنصاب الحرم على رأس الثَّنِيَّة ما كان في[2] وجهها من هذا الشقّ ، فهو حرم ، وما كان في ظهرها فهو حلّ .

وذكر الأزرقي علامة أخرى ، لأنّه قال رويناه عنه بالسَنَد المتقدّم ، وكلّ وادٍ في الحرم فهو يسيل في الحلّ ، ولا يسيل وادي الحلّ في الحرم إلاّ في موضع وادي التنعيم[3] عند بيوت نِفار[4] ، انتهى . ذكر ذلك الأزرقي في آخر الترجمة التي ترجم عليها بقوله ذكر الحرم وكيف حرم .

وذكر الفاكهي ما يقتضي أنّ سيل الحلّ[5] يدخل إلى الحرم من عدّة مواضع ، لأنه قال ذِكْر ما يسكب من أودية الحلّ في الحرم ، وبيّن هذه المواضع ، وذكرنا ذلك في أصل هذا الكتاب .

ذكر حدود الحرم وضبط ألفاظ فيها

ذكر الأزرقي رحمه الله حدود الحرم من جهاته الستّ[6] ، وذكرها غيره إلا أنه خالف الأزرقي في مقدار بعضها وأخلّ بذكر بعضها ، وقد تلخص لي مما رأيته للناس في حدود الحرم أنّ جميع حدوده مختلف فيها على ما سنبيّنه .

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/٥٣٧ و ٣/٨٧ .
(٢) في النسخة (ك) من بدل في .
(٣) يقع وادي التنعيم في الشمال الغربي لمكة . وقد كاد عمران مكة يصل إليه .
(٤) في أخبار مكة ٢/١٣٠ « غفار » .
(٥) الحل مكان خارج هذه الأنصاب من جميع الجهات .
(٦) أخبار مكة ٢/١٣٠ ، ١٣١ .

Marfat.com

فأما حدّه من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن نَمِرَة[1] ففيه أربعة أقوال : نحو ثمانية عشر ميلاً على ما ذكره القاضي أبو الوليد الباجي ، وأحد عشر ميلاً على ما ذكره الأزرقي[2] والفاكهي وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه الخراساني في كتاب «المسالك والممالك»[3] والمحبّ الطبري نقلاً عن الأزرقي وسليمان بن خليل ، إلاّ أنه ذكره بصيغة التمريض ، وتسعة أميال بتقديم التاء ، على ما ذكره شيخ المذهب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني في كتاب « النوادر » وسليمان بن خليل وصدّر به كلامه ، والمحبّ الطبري بعد أن حكى ما ذكره الأزرقي ، وسبعة أميال بتقديم السين على الباء على ما ذكره الماوردي في كتاب « الأحكام السلطانية»[4] له، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي في مهذّبه، والنووي في إيضاحه ، وتهذيب الأسماء واللغات[5] له ، وفي ما قالوه نظر قويّ يقتضي بُعد استقامة قولهم على ما سيأتي بيانه .

وذكر النووي في التهذيب أنّ الأزرقي إنفرد بما قاله في حدّ الحرم من طريق الطائف ، وقال : إنّ الجمهور قالوا ستّة ، انتهى بالمعنى ، ولم ينفرد الأزرقي بقوله بموافقة ابن خرداذبه له على قوله ، بل لا يُعرف له فيما قاله مخالف قبله ولا معاصر له ولا بعده غير الماوردي وصاحب المهذّب ، ولو خالف[6] الأزرقي غيرهما لنقل ذلك كما نقلت مخالفتهما للأزرقي ، وقد تبعهما على ذلك النووي وغيره من المتأخّرين ولم يذكر ذلك سليمان بن خليل ، ولا المحبّ الطبري ، وذلك مُشْعِرٌ بعدم رضاهما لهذا القول لأنّهما ذكرا في حدود الحرم ما قاله ابن أبي

---

(١) نَمِرة : بفتح أوله ، وكسر ثانيه . ناحية بعَرَفَة نزل بها النبي ﷺ . وقيل الحرم من طريق الطائف على طريق عرفة من نمرة على أحد عشر ميلاً . وقيل غير ذلك ، (معجم البلدان ٥/٣٠٤ ، ٣٠٥) .

(٢) أخبار مكة ٢/١٣١ .

(٣) المسالك والممالك ، ص ١٣٢ .

(٤) الأحكام السلطانية ١٦٤ ، ١٦٥.

(٥) تهذيب الأسماء ـ ج ٢ ق ٢/٨٢ .

(٦) في النسخة (ك) يخلف بدل (خالف) وهو خطأ لا يستقيم به المعنى .

Marfat.com

زيد وغيره ، وكان ذِكْرهما لذلك أولى ، لكون قائله من الشافعية ، ولا يقال لعلَّ ذلك خفي عليهما . فإنّ ذلك مشتهر جدّاً ، والله أعلم .

وأما حدّه من جهة العراق ففيه أربعة أقوال ، أحدها سبعة أميال بتقديم السين على ما ذكره الأزرقي ، وثمانية أميال على ما ذكره ابن أبي زيد المالكي في « النوادر » ، وعشرة أميال على ما ذكره سليمان بن خليل ، وستة أميال على ما ذكره أبو القاسم بن خرداذبه[1] ، وذكر الأزرقي أنّ الحدّ في هذه الجهة على ثنية[2] خَلّ بالمُقطَّع ، فأمّا خَل فبخاء معجمة مفتوحة ، وأما المُقَطَّع فبضمّ الميم وفتح الطّاء المشدّدة ، على ما وجدت بخط سليمان بن خليل فيهما .

ووجدت بخطّ المحبّ الطبري في « القرى » على الخاء من خَلّ نقطة من فوق وعلى اللّام شدّة ، ووجدت بخطّه ضبط المَقْطَع بفتح الميم وإسكان القاف .

ووجدت في غير[3] موضع من تاريخ الأزرقي على الخاء من خلّ نقطة من فوقها[4] ، ورأيت في « الإيضاح » للنووي و « تهذيب الأسماء واللغات »[5] له ، عوض خلّ جبل بجيم وباء موحدة ، ولا يبعد أن يكون ذلك تصحيفاً ، والله أعلم .

وذكر الأزرقي أنّ سبب تسمية اسم المُقطَّع بذلك أنهم قطعوا منه أحجار الكعبة في زمن ابن الزبير ، وقيل لأنهم كانوا في الجاهلية إذا خرجوا من الحرم علّقوا في رقاب إبلِهم من قشور شجر الحرم ، وإنْ كان رحل علق في رقبته فأمنوا حيث توجَّهوا ويقال : هؤلاء وفد الله تعظيماً للحرم ، فإذا رجعوا فدخلوا الحرم قطعوا ذلك فسمّي المَقْطَع[6] .

---

(١) المسالك والممالك ١٣٢ .

(٢) في المطبوع من شفاء الغرام ـ ص ٥٦ « بنية » .

(٣) في النسخة (ك) بإسقاط (غير) .

(٤) أخبار مكة ٢/١٣١ ويسمّى خلّ الصفاح ، وانظر ٢/٢٨٣ .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ٢/٨٢.

(٦) أخبار مكة ٢/٢٨٢ و ٢٨٣ .

وأما حدّه من جهة الجِعْرانة ففيه قولان : تسعة أميال بتقديم التاء كما ذكره الأزرقي[1] ويزيد ، واثنا عشر ميلاً على ما ذكره ابن خليل ، وحكايته لهذا القول بصيغة التمريض بعد ذكره للقول السابق ، والجِعْرانة بكسر الجيم وسكون العين وتخفيف الراء على ما هو الصواب في ضبطها ، وسيأتي لذلك مزيد بيان .

وذكر الأزرقي أنّ حدّ الحرم من جهة الجِعرانة في شعب آل عبدالله بن خالد بن أسيد[2] ، انتهى ، وعبدالله بن خالد بن أَسَيد المنسوب إليه هذا الشعب هو فيما أحسب ابن أخي عتّاب بن أسيد بن أبي العاص الأموي القُرَشي أمير مكة ، لأنه كان لعبدالله المذكور بمكة شهرة لولايته لأمر مكة وغير ذلك ، ونسب إليها مقبرة بأعلى مكة وهي التي دُفن فيها عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، والله أعلم .

وذكر سليمان بن خليل بن عبدالله المنسوب إليه هذا الشعب هو عبدالله بن خالد بن أسيد الخزاعي ، وذكر ابن جماعة ما يخالف ذلك أيضاً ، لأنه قال لما ذكر حدّ الحرم من هذه الجهة : ومن طريق الجِعرانة في شعب آل عبدالله القسري ، انتهى .

وما أشَرْنا إليه من نسبة هذا الشعب لعبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص أشبه بالصواب من نسبته لغيره ، لأنّ التعريف إنّما يكون في الغالب بأشهر الأحوال وليس لمن نسب إليه ابن الخليل هذا الشعب ، ولا لمن نسبه إليه ابن جماعة من الشهرة ، مثل ما لمن نسبناه إليه ، والله أعلم بالصواب .

وحدّ الحرم من هذه الجهة لا يُعرف موضعه الآن إلاّ أنّ بعض أعراب مكة زعم أنه في مقدار نصف طريق الجِعرانة ، وسُئل عن سبب معرفته لذلك فقال :

---

(١) أخبار مكة ٢ / ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه .

إنّ الموضع المشهور الذي أشار إليه في محاذاة أعلام الحرم من جهة نخلة ، وهي جهة العراق ، والله أعلم بصحة ذلك .

وأمّا حدّه من جهة التنعيم ففيه أربعة أقوال : ثلاثة أميال على ما ذكره الأزرقي[1] وابن خرداذبة[2] والماوردي[3]وصاحب المهذّب وغيرهم ، ونحو أربعة أميال على ما ذكره ابن أبي زيد في « النوادر » عن غير واحد من المالكية ، وأربعة أميال على ما قال الفاكهي ، وخمسة أميال على ما ذكره أبو الوليد الباجي ، ونصّ كلامه : وأما التنعيم فإني أقمت بمكة وسمعت أكثر الناس يذكرون أنها خمسة أميال ، ولم أسمع في ذلك اختلافاً مدّة مقامي بها ، ولو كان بين التنعيم ومكة أربعة أميال لَوَجَب أن يكون بين مكة والحُدَيبية على هذا التقدير قريب من خمسة عشر ميلاً ، لأنها أزيد من ثلاثة أمثالها ، انتهى .

وفي هذا القول نظر ، وكذا في القول الذي ذكره الفاكهي ، والقول الذي ذكره ابن أبي زيد على ما سيأتي بيانه ، ووقع فيما ذكره ابن أبي زيد في حدّ الحرم من هذه الجهة ما يقتضي أنه إلى منتهى التنعيم لأنه قال : ومن غير الموازنة لغير واحد من أصحابنا أنّ حدّ الحرم مما يلي المدينة نحو أربعة أميال إلى منتهى التنعيم ، انتهى .

وذكر الأزرقي ما يخالف ذلك لأنه قال : ذكر حدود الحرم عن طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت نِفار[3] على ثلاثة أميال[4] ، انتهى ، وذكر المحبّ الطبري في شرحه للتنبيه ما يرجّح ما ذكره الأزرقي لأنه ذكر أنّ التنعيم أمام الحلّ قليلاً ، وأنّ من فسّره بطرف الحل أطلق اسم الشيء على ما قَرُب منه ، انتهى .

---

(١) المصدر نفسه ٢ / ١٣٠ و ١٣١ .

(٢) المسالك والممالك ١٣٢ .

(٣) الأحكام السّلطانية ١٦٤.

(٤) وتسمّى (إضاءة بني غفار) كما ذكر ياقوت في معجم البلدان ١/ ٢١٤ .

(٥) أخبار مكة ٢ / ١٣٠ .

وإذا كان من فسّر التنعيم بطرف الحلّ متجـوّزاً في تفسيره فكيف بمن جعـل منتهى التنعيم أول الحلّ من جهة المدينة كما هو مقتضى ما ذكره ابن أبي زيد والله أعلم ، ونفـار المذكـورة في حدّ الحـرم من هذه الجهـة في كلام الأزرقي ، بنـون مكسورة وفاء وألِف وراء مهملة على ما ذكر غير واحد .

وأمّا حدّه من جهـة جُدّة ففيـه قولان : عشـرة أميال على مـا ذكر الأزرقي[1] وابن أبي زيد ، ونحو ثمانية عشر ميلاً على مـا ذكر البـاجي في مقدار مـا بين مكة والحُدَيبية بتخفيف الياء الثانية على الصواب فيها ، ومنتهى[2] حدّ الحـرم من جهة جـدّة ، كما نقـل ابن أبي زيد في « النـوادر » ، وذكر الأزرقي أنّ منتهى الحـدّ في هـذه الجهة منقـطع الأعشـاش[3] ، والأعشـاش جمـع عش ، وبعضهـا في الحـلّ وبعضها في الحرم ، وكذلك الحديبية على ما قاله الشافعي وابن القصّار .

وقـال الماوردي[4] إنها في طرف الحـلّ ، وقال مـالك إنهـا في الحرم ، وهي والأعشاش لا يُعرفان اليوم ، ويقال إنّ الحديبية هي البئر التي تعرف ببئر شميبي[5] في طريق جدّة ، والله أعلم .

وأما حدّه من جهة اليمن ففيه قـولان : سبعة أميـال بتقديم السّين ، على مـا ذكـره الأزرقي[6] وابن أبي زيد وسليمـان بن خليل ، وستّـة أميال على مـا وجـدت بخطّ المحبّ الطبري في « القـرى » ، ورأيت ذلك في ثـلاث نُسَخٍ من القـرى ، وأخشى أن يكون وهماً ولا يقال سَبْق قلم ، لأنه في القرى بعد ذكـره لذلـك القول الذي ذكره الأزرقي وابن أبي زيد ، والله أعلم .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) في النسخة (ك) ومنتهاها .

(٣) أخبار مكة ٢/١٣١ .

(٤) الأحكام السلطانية ١٦٥ .

(٥) في النسخة (ك) شميسي بدل شميبي وهو المعروف للآن . وانظر معجم البلدان ٣/٣٦٥ .

(٦) أخبار مكة ٢/١٣١ .

وموضع الحدّ في هذه الجهة طرف أضاة لِبْن[1] في ثنيّة لبن ، على ما ذكره الإمام الأزرقي[2] ، هذه الأَضَاة تُعرف اليوم بأضَاة ابن عقش ، وفيها علامة مبنيّة لحد الحرم ، والأضاة مستنقع الماء ، وهي بهمزة مفتوحة وضاد معجمة على وزن فتاة ولِبْن بكسر اللام وسكون الباء الموحّدة ، قاله الحازمي ، وضبطها سليمان بن خليل بفتح اللام والباء على ما وجدت بخطّه في غير موضع من منسكه ، والله أعلم . هذا ما رأيته للناس في حدود الحرم بالأميال ، ورأيت ذلك لبعض الحنفيّة ما يُستغرب جداً لأنّ القاضي شمس الدين السروجي الحنفي حكي في مناسكه عن أبي جعفر الهنداني أنه قال : مقدار حدّ الحرم من جهة المشرق ستة أميال ، ومن الجانب الثاني اثنا عشر ميلاً ، قال صاحب المحيط : وفيه نظر ، فإنّ ذلك هو التنعيم قريب من ثلاثة أميال من مكة ، ومن الجانب الثالث ثلاثة عشر ميلاً ، ومن الرابع أربعة وعشرون ميلاً انتهى ، والظاهر والله أعلم أنّ قائل هذا الكلام أراد بحدّه من جهة المشرق جهة العراق ، وبالحدّ الثاني جهة التنعيم ، وبالحدّ الثالث جهة اليمن ، وبالحدّ الرابع جهة جدّة ، وإنما كان ما ذكره هذا القائل مستغرَباً لنقصه في حدّه من جهة المشرق ، وكثرة الزيادة في حدّه من الجهات الثلاث ، وإنّما لم أذكر ذلك مع ما ذكره غيره في حدود الحرم ، لعدم تصريح قائل ذلك بجوانب الحرم التي حدّدها ، وقد اعتبرت بما قاله الناس في تحديد الحرم من جميع جهاته المعروفة الآن ، وهي جهة الطّائف على طريق عرفة من بطن نَمِرة[3] عُرنَة ، وطريق العراق ، وطريق التنعيم ، وطريق اليمن ، وكان اعتبارنا لذلك بجبل مقدَّر على الذراع المعتَبَر في أميال مسافة القصر ، وهو ذراع اليد على ما ذكره المحبّ الطبري في شرحه للتنبيه ، وذكر أنّ مقداره أربعة وعشرون أصبعاً ، كل أصبع ستّ شُعَيْرات مضمومة بعضها إلى بعض ، انتهى ،

---

(١) أَضَاة لِبْن جاء في معجم البلدان أنّ أضاة لِبْن حدّ من حدود الحرم على طريق اليمن . (ج ١ ص ٢٨٠) .

(٢) أخبار مكة ٢ / ١٣١ .

(٣) نَمِرة ، وردت في نسخة (ك) وفي نسخة (ع) غيره . والأول أصحّ ، فهي نمرة وادي عُرْنَة .

Marfat.com

كـذا وجدت بخـطّه ، وأشار إلى ذلـك النووي في تحـرير التنبيـه ، وغلط النـووي القدر[1] في قوله إنّ الأصبع ثلاث شُعَيرات ، ومقدار الذراع المشـار إليه من ذراع الحديد المستعمل في القماش بمصر ومكة الآن ذراع إلا ثُمْن ذراع ، هكذا اعتبره جماعة من أصحـابنا بـذراع أيديْهم ، ثم اعتبـروا ذلك بشعيـر معتدل مـرصوص ، فجاء كما قال المحبّ الطبري ومن وافقه ، وكان اعتبارهم لذلك بحضوري .

ذكر تحديد حدّ الحرم من جهة الطائف على طريق عَرَفَة من طريق[2] نَمِرة

من جدار باب بني شيبة إلى العَلَمَين اللذين هما علامة لحدّ الحرم من جهة عرفة سبعـة ، بتقديم السين ، وثـلاثون ألف ذراع ومـائة ذراع وعشـرة أذرُع وسُبْعا ذِراع بذراع اليد : يكون ذلك أميالاً عشرة أميال وثلاثـة أخماس ميـل وخُمْس سُبْع عشـر ميـل يـزيـد سبعي ذراع ، هـذا على القـول بـأنّ الميـل ثـلاثـة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ، وهو الذي ينبغي أن يُعتبر في حدود الحرم ، لكونـه غالبـاً أقرب إلى موافقة ما هو المشهـور في قدرهـا ، فإنّهـا إذا اعتبرت على القـول بأنّ مقـدار الميل ألفا ذراع يزيد مقدارها نحـو ميل على مـا هُو المشهـور فيها ، وإذا اعتبـرت على القـول بأنّ الميـل ستة آلاف ذراع ينقص مقـدارها عمّـا هو مشهـور فيها نحـو نصف ذلـك ، واعتبار ذلـك على هذين القـولين مشكل جـداً لكثرة الـزيادة وكثـرة النقص ، على أنّ اعتبار ذلك على القول بأنّ الميـل ثلاثـة آلاف ذراع وخمسمائـة ذراع لا يخلو من إشكال إلاّ أنّ الأمر فيـه قريب لتـأتّي الجواب عنـه ، ويتأيّـد كون اعتبار ذلك علىّ هـذا القول أولى لكـونه أصـحّ الأقاويـل في مقدار الميـل على ما ذكره ابن عبد البَرّ[3] والله أعلم .

---

(١) في النسخة (ك) القلعي بدل القدر .
(٢) في النسخة (ك) بطن نمرة بدل طريق نمرة ، وكلاهما صحيح .
(٣) في النسخة (ع) ابن عبد النبي . وما اثبتناه هو الصحيح .

Marfat.com

ولا يعكّر[1] على ما أشرنا إليه من ترجيح اعتبار هذا القول في حـدود الحرم ما يقع في الاعتبار عليه من الزيادة والنقص المقتضيين مخـالفة مـا هو مشهـور في حدود الحرم ، لأنّ الـزيادة والنقص يكـونان في الغـالب شيئاً يسيـراً ، وربما كـان ذلـك لشـدّة الحـدّ في الميـل المقيس بـــه وإرخـائـــه ، أو لأجـل ارتفـــاع الأرض وانخفاضها ، أو لأجل اعتبار غيرنا لـذلك من مـوضع غيـر الموضـع الذي اعتبـرنا منه ، مثل أن يكون اعتبارنا وقع من باب بني شيبة ، والأزرقي اعتبر من موضع بينه وبين المُعَلاّة في غير اعتباره لحدّ الحـرم من جهة عـرفة ، ومن عتبـة باب المعـلاّة إلى العلمين اللذين هما حدّ الحرم من هذه الجهة خمسة وثلاثون ألف ذراع وثلاثة وثمانون ذراعاً وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد يكون ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع عشرة أميال وسُبْع سُبْع ميـل وخُمْس سُبْع عشـر ميل وخُمْس خُمْس سُبْع عشر ميل .

ولم يعتبر الأزرقي حدّ الحرم من هذه الجهة من باب المُعَلاّة ، وإنّما اعتبـره من باب بني شيبة ، ووقع له ما يوهم أنّ حدّ الحرم من هذه الجهة ينتهي إلى دون قبلة مسجد نَمِرَة[2] بخمسة وعشرين ذراعاً لأنه ذكر أنّ حدّ الحـرم من هذه الجهـة على أحد عشر ميلاً ، وذكر مواضع هذه الأميال إلى عَرَفَة ، فقال في موضـع الميل الحادي عشر : وموضع الميل الحادي عشر في حدّ المكـان الذي يـدور حول قبلة مسجد عرفة مسجد إبراهيم خليل الـرحمن عليه السـلام وبينه وبين جُـدُر المسجد خمس وعشرون ذراعاً ، انتهى ، وذلك يقتضي أن يكون العَلَمَان المشار إليهما في غير الحدّ ، وذكـر الأزرقي ما يـوهم أنّ حدّ الحـرم من هذه الجهـة ينتهي إلى دون العلمين اللّذَيْن هما علامة حدّ الحرم من هذه الجهة ، بمقدار ستّمائة ذراع وواحد وستين ذراعا ، لأنه قال : ومن حدّ الحرم إلى مسجد عَرَفَة ألف ألف ذراع وستّمائة ذراع وخُمْسا ذراع ، انتهى .

---

(١) في النسخة (ك) يعكس .
(٢) في النسخة (ك) عرفة .

Marfat.com

وإنّما كان حدّ الحرم من هـذه الجهة ينتهي إلى دون العَلَمَين المشـار إليهما بالقدر الـذي ذكرنـاه ، لأنّا اعتبـرنا مقـدار ما بين العلمين المشـار إليهما والجـدار القبلي من مسجد عرفة ، فكان ذلـك ألف ذراع وسبعمائـة ذراع ، بتقديم السين ، وثلاثة أذرع بـذراع الحديـد ، ويكون ذلـك بذراع اليـد ألف ذراع وتسعمائـة ذراع بتقديم التاء ، وستة وأربعين ذراعاً ، وذلك يقتضي أن يكون العَلَمان المشار إليهما في غيـر الحدّ ، والعَلَمـان المشار إليهمـا هما اللذان إلى مكـة أقـرب من العَلَمين اللذين إلى عرفة أقرب ، وكون العلمين المشار إليهما علامة لحـدّ الحرم من هـذه الجهة ، أشبه بالصواب من كون حدّ الحرم دونهما إلى مكـة ، أو أمامهـا إلى جهة عَرَفَة قريباً من المسجد المنسوب إليهما ، كما يوهم كلام الأزرقي في المـوطنين ، لأنّ في العَلَمين المشار إليهما حجرين ، مكتوبٌ في كلٍّ منهما : اللّهُمَّ أيِّد بالنّصر والظفر عبدك الشاكر لأنْعُمك يوسف بن عمر فهو الآمر بتجديد هـذا العَلَم الفاصـل بين الحلّ والحرم ، وفيه مكتوب أيضاً أنّ ذلك في سنـة ثلاثٍ وثمـانين وستمائـة ، ويوسف بن عمر المشار إليه هو الملك المظفّر صاحب اليمن ، والعـادة جرت بـأنّ بناء مثل ذلك لا يكون إلا عن أخبار مستفيضة أو علامة قـديمة كـانت قبل ذلـك ، فخربت وجُدّد عوضها في محلّها ، والله أعلم ، وأما النّظر الذي أشرنا إليه في قول مَن قال إنّ قدْر الحـرم من هذه الجهـة على سبعة أميـال بتقديم السين ، فبيـانه أنّ قدر الحرم من هذه الجهة على القول بأنّ الميل ثلاثـة آلاف ذراع وخمسمائـة ذراع يـزيد على عشـرة أميال ، سـواء اعتبرت المسـافة من بـاب بني شيبـة أو من بـاب المعلاّة ، ومجرى هذه الزيادة يظهر[1] مما سبق قـريباً ، وإنّ قـدر الحرم من هـذه الجهـة على القول بـأنّ الميل أربعـة آلاف ذراع يكون لتسعـة أميـال بتقـديم التـاء وخُمس ميل وعشر ورُبْع عُشْر ميل يزيد سُبْعَي ذراع ، هذا إنْ اعتبـرنا المسـافة من باب بني شيبة ، وإنْ اعتبرنا المسافة على هذا القول من بـاب المُعَلاّة ، يكـون[2]

---

(١) في النسخة (ك) تظهر .
(٢) في النسخة (ك) تكون .

Marfat.com

قدْر الحرم من هذه الجهة ثمانية أميال وثلاثة أرباع ميل وخُمْس عُشْر ميل وسبعة أسباع عُشْر عُشْر ميل ، يزيد سُبْعَي ذراع ، وإنّ قدْر الحرم من هذه الجهة على القول بأنّ الميل ألف[1] ذراع ، يكون ثمانية عشر ميلاً وثلاثة أخماس ميل ونصف عُشْر عُشْرٍ ميل ، يزيد سُبْعي ذراع ، هذا باعتبار المسافة من باب بني شيبة ويكون ذلك على هذا القول باعتبار المسافة من باب المُعَلاّة سبعة عشر ميلاً ونصف ميل وخُمْس خُمْس وستّة أسباع خُمْس عُشْر عُشْر ميل ، وأنّ قدْر الحرم من هذه الجهة على القول بأنّ الميل ستّة آلاف ذراع يكون ستّة أميال وخُمس ميل وسُدْس عُشْر عُشْر ميل يزيد سُبْعَي ذراع ، هذا باعتبار المسافة من باب بني شيبة ، ويكون ذلك باعتبارها من باب المُعَلاّة على هذا القول خمسة أميال ونصف ميل وثُلث ميل وثلث خُمْس خُمْس ميل وخُمْسَيْ سُبْع عُشْر عُشْر ميل ، وإذا تقرّر أنّ مقدار الحرم من هذه الجهة ما ذكرناه على مقتضى الأقوال الأربعة في مقدار الميل ، ظهر بذلك بُعد استقامة قول من قال إنّ مقدار الحرم من هذه الجهة سبعة أميال بتقديم السين . لكون ذلك يخالف مقتضى هذه الأقوال باعتبار كثرة الزيادة على مقتضى الأقوال الأربعة في مقدار الميل غير القول بأنه ستّة آلاف ذراع ، وباعتبار كثرة النقص على مقتضى القول بأنّ الميل ستّة آلاف ذراع ، فإنّ النقص يكون على مقتضاه أربعة أخماس ميل إلاّ عشرة أذرُع باليد تقريباً ، في اعتبار المسافة من باب بني شيبة ، ويكون النقص على مقتضى هذا القول أيضاً في اعتبار المسافة من عتبة باب المعلاّة ميلاً وقريباً من سُدْس ميل ، والله أعلم .

واعلم أنه وقع للنووي رحمه الله ما يقتضي أنّ حدّ الحرم من هذه الجهة على خلاف قوله أنه سبعة أميال بتقديم السين ، لأنه قال في « الإيضاح » ، : واعلم أنّ بين مكة ومِنَى فرسخا ، وذكر معنى ذلك في غيره من كُتُبه ، وتظهر المخالفة بين ذلك وبين قوله إنّ جدّ الحرم من هذه الجهة على سبعة أميال بتقديم السين ببيان مقدار ما بين مكة ومِنَى ، ومقدار ما بين مِنَى والعَلَمين اللّذَين هما

---

(١) في النسخة (ك) ألفاً بدل ألف .

علامة حدّ الحرم من جهة عرفة ، فأما مقدار ما بين مكة ومِنَى فهو ثلاثـة عشر ألف ذراع وثلاثمائـة ذراع وثمانيـة وستّون ذراعـاً ، وذلك من جـدار باب بني شيبـة إلى طرف العَقَبَة التي هي حدّ مِنَى من أعلاهـا مما يلي جمـرة العَقَبَة ، وأمـا مقدار مـا بين مِنَى والعَلَمين المشار إليهما فـذلك ثـلاثة وعشـرون ألف ذراع وثمانمـائة ذراع واثنان وأربعون ذراعاً وسُبْعا ذراع ، وذلك من طرف العَقَبَـة[1] المشار إليهـا[2] إلى العلمين المشار إليهما ، وإذا تقرّر ذلك فـالذي من عقبـة مِنَى إلى العلمين المشار إليهما قدر ما بين مكة ومِنى ، باعتبار المسافة من باب بني شيبة مرّتين ينقص ألفي ذراع وثمانمائة ذراع وثلاثـة وتسعين ذراعاً بتقـديم التاء ، ويلزم على مقتضى قـول النـووي : أنّ بين مكـة ومِنى فـرسخـاً . أن يكـون مـا بين طـرف العقبـة المشـار إليها[3] ، والعلمين المشار إليهما خمسة أميال وثُلث ميل يزيد سبعة وسبعين ذراعاً بـاليد ، ويضمّ مقـدار ما بين عقبـة مِنى والعلمين المشار إليهمـا إلى مقدار مـا بين مكة وعقبة مِنى ، فيصير جملة ذلك ثمانية أميال وثُلث ميل وسبعة وسبعين ذراعاً ، ويكون ذلك مقدار الحرم من هذه الجهة على مقتضى قـول النووي : أنّ بين مكـة ومِنى فرسخاً ، ويتعارض ذلك مع القول للنـووي : إنّ حدّ الحـرم من جهة عـرفة سبعة أميال بتقـديم السين ، ويقوّي بـه النظر الـذي أشرنـا إليه فيمـا ذكره في حـدّ الحرم من جهة عرفة ، والله أعلم ، وربمـا كان مقْدار حدّ الحـرم من هذه الجهـة على مقتضى قول النووي أنّ بين مكة ومِنى فرسخاً أكثر من هذا المقدار ، إذا كان الاعتبار لما بين مكة ومِنى من باب المُعَلاّة ، لأنّ من عَقَبَة باب المُعَلاّة إلى طـرف العَقَبَة المشار إليه أحد عشـر ألف ذراع ومائتي ذراع وواحـداً وأربعين ذراعاً وسُبْـع ذراعٍ ، ومقدار ما بين مِنى والعَلَمين بالنسبة إلى مقدار ما بين مكـة ومِنى مرّتـان ، بـزيادة ألف ذراع وثـلاثمائـة وستّين ذراعاً ، يـزيد[4] ، فيكـون مقـدار مـا بين مِنى

---

(١) كان في الأصل (العقبة التي المشار) الخ .
(٢) في النسخة (ك) إليه بدل إليها .
(٣) في النسخة (ك) إليه بدل إليها .
(٤) في النسخة (ك) لا توجد كلمة (يزيد) .

Marfat.com

والعلمين المشار إليهما ستة أميال وثُلث ميل ، بزيادة مائة ذراع وأربعة عشر ذراعاً . إذا كان مقدار ما بين مكة ومِنى فرسخاً ، وكان الاعتبار لذلك من باب المُعَلّاة ويضمّ مقدار ما بين مِنى والعلمين إلى مقدار ما بين مكة ومِنى فيصير جملة ذلك تسعة أميال وثلث ميل . بزيادة مائة ذراع وأربعة عشر ذراعاً ، ويكون ذلك مقدار الحرم من هذه الجهة على قول النووي ، وإنّ بين مكة ومِنى فرسخاً ، والله أعلم .

واعلم أنّ قول النووي أنّ بين مكة ومِنى فرسخاً ، فيه إشارة إلى أنه لم يعتبر في ذلك قول من قال : إنّ الميل ستة آلاف ذراع ، لأنه لو اعتبر ذلك لزم أن يكون ما ذكره في مقدار ما بين مكة ومِنى غير مستقيم ، لأنّ المسافة تنقص عن الثلاثة الأميال ، وهي مقدار الفرسخ ميلاً وثُمن ميل وثمانية أذرع وستّة أسباع ذراع ، في اعتبار المسافة من باب المُعَلّاة ، وينقص في اعتبارها من باب بني شيبة ثلاثة أرباع ميل وسُدس ثُمن ميل وستّة أذرع وأربعة أسباع ذراع ، وإذا دار الأمر بين حمل كلام النووي على وجه مستقيم وحمله على وجه لا يستقيم فحمله على الأول أولى ، والله أعلم .

ذكر تحديد حدّ الحرم من جهة العراق

من جدار باب بني شيبة إلى العَلَمين اللّذَيْن هما علامة حدّ الحرم في طريق العراق ، وهما العلمان اللذان بجادّة وادي نخلة سبعة وعشرون ألف ذراع ومائة ذراع واثنان وخمسون ذراعاً باليد يكون ذلك أميالاً . على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : سبعة أميال بتقديم السّين وخمسة أسباع ميل وثلاثة أسباع عشر ميل يزيد ذراعين ، ومن عتبة باب المُعَلّاة إلى العَلَمين المشار إليهما خمسة وعشرون ألف ذراع . وخمسة وعشرون ذراعاً باليد ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : سبعة أميال بتقديم السّين وسُبع ميل ونصف سُبْع عُشْر ميل ، وما ذكره الأزرقي في مقدار الحرم من هذه

Marfat.com

الجهة يمكن أن يتمشّى على اعتبار المسافة من باب المُعَلاّة ليسارة الزيادة على السبعة الأميال في اعتبار المسافة من باب المُعَلاّة ، وما ذكره ابن أبي زيد في كون مقدار الحرم من هذه الجهة ثمانية أميال ، يمكن أن يتخرّج على اعتبار المسافة من باب بني شيبة ليسارة النقص عن الثمانية الأميال في اعتبار المسافة من باب بني شيبة ، ويبعد تخرّج ما ذكره خرداذبة[1] في أنّ مقدار الحرم من هذه الجهة ستّة أميال ، وأبعد من ذلك ما ذكره سليمان بن خليل في أنّ مقدار الحرم من هذه الجهة عشرة ، والله أعلم .

ذكر تحديد حدّ الحرم من جهة التنعيم

وهي طريق المدينة وما يليها ، من جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب العُمْرة إلى أعلام الحرم في هذه الجهة التي في الأرض لا التي على الجبل اثنا عشر ألف ذراع وأربعمائة ذراع وعشرون ذراعاً بذراع اليد ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وخُمْسَيْ ميل وسُبْع ميل وخُمْس خُمْس سُبْع ميل ، ومن عتبة باب الشبيكة إلى الأعلام المشار إليها عشرة آلاف ذراع وثمانمائة ذراع واثنا عشر ذراعاً ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وثلاثة أخماس سُبْع ميل وخُمْس عُشْر عُشْر ميل وسُبْع عُشْر عُشْر ميل ، وما ذكره الأزرقي في مقدار حدّ الحرم من جهة التنعيم ، لعلّه اعتبره من موضع باب الشبيكة أو ما قرب منه فإنّ الزيادة قليلة[2] في اعتبار المسافة من هذا الموضع ، على مقدار ما ذكره في حدّ الحرم من هذه الجهة ، وأمّا قول من قال : إنّ مقدار الحرم من هذه الجهة أربعة أميال فيبعد تخريجه على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ؛ لأنّا إنْ اعتبرنا المسافة من باب الشبيكة كان النقص عن الأربعة أميال أربعة أخماس

---

(١) في النسخة (ك) ابن خرداذبة ، بدل خرداذبة ، وهو الصحيح كما تقدّم .
(٢) في النسخة « ك » يسيرة .

Marfat.com

ميل وعُشْر ميل وعُشْر ميل[1] وثلاثة أذرع ، وإنِ اعتبرناها من باب العمرة نقصت المسافة نصف ميل إلاّ مائة وسبعين ذراعاً ، ويبعد أيضاً تخريج ذلك على القول بأنّ الميل أربعة آلاف ذراع لأنّ المسافة تنقص[2] عن ذلك ميلاً إلاّ عُشْر ميل ونصف عُشْر عُشْر ميل ، على اعتبار المسافة من باب العُمْرة ، وأما على اعتبارها من باب الشبيكة ، فينقص ميلاً وأزيد من رُبع ميل ، وكذلك يبعد تخريج قول من قال : إنّ قدر الحرم من هذه الجهة نحو أربعة أميال ، لأنه في معنى القول بالأربعة ، وأبعد من هذا كلّه ما ذكره الباجي من أنّ مقدار الحرم من هذه الجهة على خمسة أميال ، لأنه لا يتخرّج إلاّ على القول بأنّ الميل ألفا ذراع ، وفي التخريج عليه نظر ، وعلى أنّ الاعتبار في ذلك من باب الشبيكة ، ومع ذلك فتزيد المسافة على الخمسة الأميال مقدار خُمْسَيْ ميل ، وأمّا على اعتبار المسافة من باب العُمْرة فتزيد المسافة ميلاً ونحو رُبع ميل ، وهذا هو النّظر الذي أشرنا إليه في هذه الأقوال ، والله أعلم .

ذكر تحديد حدّ الحرم من جهة اليمن

من جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب إبراهيم إلى علامة حدّ الحرم في هذه الجهة أربعة وعشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وتسعة أذرُع بتقديم التاء . وأربعة أسباع ذراع ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : سبعة أميال يزيد سبعة أذرع وأربعة أسباع ذراع ، ومن عتبة باب مكة المعروف باب الماجن إلى حدّ الحرم في هذه الجهة اثنان وعشرون ألف ذراع وثمانمائة ذراع وستّة وسبعون ذراعاً بتقديم السين وأربعة أسباع ذراع ، ومقدار ذلك من الأميال على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : ستة أميال ونصف ميل ورُبع سُبْع ميل يزيد ذراعاً وأربعة أسباع ذراع ، وقد حرّرنا

---

(١) بهامش الأصل : ما نصّه ، كذا بالأصل . ولعلّها مكرّرة من النّاسخ .
(٢) في النسخة « ك » ينقص ، وهو خطأ نحوي .

Marfat.com

مقـدار الحرم من جميـع جهاتـه الأربع المعـروفة على مقتضى الأقـوال الأربعة في مقدار الميل ، وذكرنا ذلك في أصل هذا الكتاب .

واقتصرنا في هذا الكتاب على ذِكر ذلك على القـول بأنّ الميـل ثلاثـة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ، لرجحانـه وطَلَباً لـلاختصار ، وقـد نظم بعضهم في حـدود الحرم أبياتاً وهي :

وللحـــرم التحـديـــد من أرض طيبـــة ... ثـــلاثـــة أمـيـــال إذا رُمْـتَ إتـقـــانـــه
وسـبـعـــة أمـــيـــال عِـــراق وطـــائـف ... وجُـــدّة عَـشْـــر ثم تِـسْـــعٌ جِعـــرانـــه
ومـن يَمَـنٍ سبـــعٌ بـتقـديـم سيـنهـــا ... فَسَـلْ ربَّك الـوهّاب يرزقك غفـرانـه
وقـــد زيـــد في حـــدّ لـــطائف أربـــعٌ ... ولم يرض جمهور لـذا القول رجحـانه

والبيتان الأولان لا أعرف ناظمهما ، والبيتان الآخران لجـدّي لأبي[1] قاضي القضاة كمال الدين أبي الفضل محمـد بن أحمد النـويري الشـافعي ، قاضي مكـة وخطيبها وعالم الحجاز في عصره ، تغمّده الله برحمته ، على ما وجدت في تأليفٍ له بخطّ بعض مشايخنا يُسمّى المعلم بديـة[2] الحرّ المسلم ، وبعض النـاس يُنشد بيت جدّي الأول على غير ما ذكرناه فيقول :

ومن يَمَنٍ سبـــعٌ بتقـــديـم سيـنهـــا[3] ... وقـد كملت فاشكـر لـربـك إحسـانـه

وهذا هو المشهور عند الناس ، ويجمع بين هذا الاختلاف بأن يكون جـدّي قال ذلك على الوجهين ، وكان جدّي قصد بالبيت الأول في نظْمه إفادة حدّ الحرم من جهة اليمن لكـون ناظم البيتين الأولين لم يتعـرض فيهما لحـدّ الحرم من جهـة اليمن ، كمـا وقـع للمـاوردي في « الأحكـام السلطانية»[4]، والشيـخ أبي إسحـاق الشيرازي في مهذّبه ، وكان جـدّي قصد بـالبيت الثاني من نـظمه أن يفيـد في حدّ

---

(١) في النسخة (ك) لأمّي بدل لأبي .
(٢) في النسخة (ك) بدنه بدل بدية .
(٣) الشطر الأول غير مستقيم الوزن ـ وقد ورد هكذا .
(٤) أنظر الفصل الخاص بحدود الحرم ـ ص ١٧٣ .

Marfat.com

الحرم من جهة الطائف على طريق عَرَفة ، ما قيل من أنه أحد عشر ميلاً ، كما ذكره الأزرقي في تاريخه[1] ، وإنّ الراجح في حدّ الحرم في هذه الجهة قول مَن قال إنه سبعة أميال ، بتقديم السين على الباء ، كما قال الماوردي[2] والشيخ أبو إسحاق الشيرازي والنووي[3]، وقلّدهم جدّي في رَجَحَان ذلك ، وفي كون ذلك راجحاً نظرٌ لِما سبق بيانه من بعد استقامة قولهم ، خصوصاً . النووي رحمه الله ، لاضطراب كلامه في ذلك ، وسبب ذلك والله أعلم تقليدهم في ذلك مع بُعْدِهم عن المكان ، وعدم اعتبارهم لذلك ، ولو اعتبر كلٌ من هؤلاء الأئمة هذا الأمر كما اعتبرناه لَظَهَرَ له صحّة ما قلناه ، وإنّما قلّدوا في ذلك فلم يستقم قولهم ، وقد طال الكلام في هذا الأمر ، ولكن لموجبات اقتضت ذلك .

وكان شيخنا الكمال العلاّمة المفنّن[4] المصنّف المفتي كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدُّمَيْري المصري المكي الشافعي رحمه الله ينشد عن جدّي رحمه الله قوله : ومن يَمَنٍ سبع ،البيت، ثم يقول الأَوْلَى أن يقال :

ومن يمن سبع بتقديم سينها لذلك سيل الحَرْم[5] لم يعد بنيانه

وهذا النصف الأخير له على ما ذكره لي صاحبنا الإمام صلاح الدين خليل بن محمد الأقفهسي[6] أبقاه الله ، وذكر لي أنّ شيخنا كمال الدين كان يفعل[7] ذلك بما فيه من الفائدة في كون سيل الجلّ لا يدخل الحرم ، بخلاف شطر بيت جدّي فليس فيه إلا الدّعاء ، وهذه الفائدة ذكرها غير واحد من العلماء ، إلاّ أنها معترضة بما ذكره الأزرقي من أنّ سيل الحلّ يدخل الحرم من جهة التنعيم

---

(١) أخبار مكة ٢/ ١٣١ .
(٢) الأحكام السلطانية ١٦٥.
(٣) تهذيب الأسماء ج ١ ق ٢/٨٢.
(٤) كذا بالأصل ولعله المفتن .
(٥) في النسخة (ك) الحلّ بدل الحرم وهو الأصحّ .
(٦) أنظر ترجمته في الضوء اللامع ٣/٢٠٢ ـ ٢٠٤ رقم ٧٦٥ .
(٧) في النسخة (ك) يعلّل بدل يفعل وهو الصحيح .

Marfat.com

فقط ، وقد سبق كلام الأزرقي في هذا المعنى ، ويعارضها أيضاً ما ذكره الفاكهي وقد سبق ذكره .

وسمعت بعض أصحابنا ينشد بيت الشيخ كمال الدين هذا بتغيير في لفظه لأنه نقل عن شيخنا الدُميري أنه قال :

ومن يَمَنٍ سبع وكرز لها اهتدى لذلك سيل الحرم[1] لم يعد بنيانه

انتهى ، وذكر المشار إليه هو كرز بن علقمة الخُزاعي[2] وليس هو أول مَن نصبها في الإسلام ، لأنّ جماعة من الصحابة سبقوه إلى ذلك ، منهم تميم بن أسد عام الفتح بأمر النبيّ ﷺ ، ومنهم في زمن عمر حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، وسعيد بن يربوع ، ومخرمة بن نوفل ، وأزهر بن عوف الزُهْرِيان ، كذا في الأزرقي[3] والفاكهي ، وفي الفاكهي أيضاً عن الزُبَير بن بكار ، أنّ صبيحة بن الحارث بن جبلة بن عامر بن كعب بن سعيد بن تيم أحد القرشيين اللَّذَّين بعثهم عمر بن الخطاب يجدّدون أنصاب الحرم ، ومنهم في زمن عثمان حُوَيْطب بن عبد العُزَّى ، وسعيد بن يربوع[4] وعبد الرحمن بن هرمز[5] ونفر من قريش ، وكان هؤلاء يجدّدونها في كل سنة ، كذا في الأزرقي والفاكهي ، وليس فيهما ذِكر نصب كرز لأنصاب الحرم ، وإنّما ذكر ذلك ابن عبدُ البَرّ[6] ، وذكر أنّ ذلك وقع في زمن معاوية في ولاية مروان على مكة ، وما عرفتُ لأيّ معنى ذكر شيخنا الدُمَيري نصْب كرز دون غيره ممّن هو أشهر منه ، وكان الأَوْلَى أنْ يقول :

ومن يمن سبع تميم لها اهتدى لذلك سيل الحرم لم يعد بنيانه

لكون فعل ذلك بأمر النبيّ ﷺ ، وما مرّ للجاهلية فإنّ لتحديد بُعدها أثراً ،

---

(١) في النسخة (ك) الحلّ بدل الحرم ـ والشطر الأول غير مستقيم وزناً .
(٢) أنظر عنه في الجرح والتعديل ٧/ ١٧٠ .
(٣) أخبار مكة ٢/ ١٢٩ .
(٤) لا توجد جملة (وسعيد بن يربوع) في النسخة (ك) .
(٥) في النسخة (ك) أزهر بدل هرمز .
(٦) الإستيعاب ٣/ ٣١١ (على هامش الإصابة) .

Marfat.com

والله أعلم ، ولم أر أحداً تعرّض لمقدار الحرم إلاّ أبا القاسم بن خرداذبة الخراساني في كتابه « المسالك والممالك »[1] ، لأنه قال : وطول الحرم حول مكة سبعة وثلاثون ميلاً ، وهي التي تدور بأنصاب الحرم ، انتهى ، وهي فائدة حسنة إنْ صحّت ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

(١) ص ١٣٢ .

Marfat.com

الباب الرابع

في ذكر شيء من الأحاديث والآثار الدالة على حرمة مكة وحرمها

وشيء من الأحكام المختصة بذلك ، وذِكْر شيء مما ورد في تعظيم الناس لمكة وحرمها وفي تعظيم الذنب في ذلك وفي فضل الحرم

روينا في تاريخ الأزرقي عن مجاهد قال : إنّ هذا الحرم حرم حذاه من السموات السبع والأرضين السبع ، وروينا فيه عن قَتَادة قال : ذكر لنا أنّ الحرم حرم حياله إلى العرش[1].

وروينا في مُسْنَد الشافعي عن ابن شريح الكعبي أنّ رسول الله ﷺ قال : إنّ الله سبحانه حرّم مكة ولم يحرّمْها الناس ، ولا يحلّ لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجراً ، فإن ارتخص أحد فقال أُحلّت لرسول الله ﷺ . قال : إنّ الله سبحانه أحلّها لي ولم يحلّها للناس ، وإنّما أُحِلّت لي ساعةً من نهار ، ثمّ هي حرام حُرْمتها[2] بالأمس ، انتهى باختصار ، وأخرجه البخاري ومسلم[3] بالمعنى .

وروينا في مُسْنَد أحمد بن حنبل[4] عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ

---

(١) أخبار مكة ٢/١٢٤ ، ١٢٥.

(٢) في النسخة (ك) كحرمتها ، بدل حرمتها وكلاهما صحيح .

(٣) أخرجه البخاري ٦/١٧٦ و ١٧٧ في العلم ، باب ليبلّغ الشاهد الغائب، وفي الحج ، باب لا يعضد شجر الحرم ، وفي المغازي ، باب منزل النبيّ ﷺ يوم الفتح ، ومسلم رقم ١٣٥٤ في الحج ، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها .

(٤) ج ١/٢٥٩ .

Marfat.com

يوم فتح مكة : إنّ هذا البلد حرام ، حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحُرْمة الله إلى يوم القيامة ، ما أحل لأحد فيه القتْل غيري ، ولا تحلّ لأحد بعدي فيه حتى تقوم الساعة ، وما أحلّ لي منه إلاّ ساعة من نهار ، فهو حُرْمة الله عزّ وجلّ إلى أن تقوم الساعة ، لا يعضد شوكه ولا يُخْتَلَى خلاه ، ولا يُنَفَّر صيده ، ولا يُلْتَقَطُ لُقَطَتُه ، إلاّ لِمُعَرِّفٍ[1] ، قال : فقال العباس وكان من أهل البلد : قد علم الذي لا بدّ لهم منه إلاّ الإذخر يا رسول الله فإنّه لا بدّ لهم منه ، فإنّه للقبور والبيوت ، فقال رسول الله ﷺ : إلاّ الإذخر ، أخرجاه بالمعنى . وروينا في مُسْنَد أحمد بن حنبل[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ لما فتح مكة قال : لا يُنَفَّرُ صَيْدُها ولا يُخْتَلَى شوكُها : ولا تحلّ ساقطتُها إلاّ لمنشِد ، فقال العباس : إلاّ الإذخر ، فإنّما نجعله لقبورنا وبيوتنا ، فقال رسول الله ﷺ : إلاّ الإذخر ، أخرجاه أيضاً ، وفي لفظٍ لهما ولأحمد : لا يُعْضَدُ شجرُها بدل قوله لا يُخْتَلَى شوكُها وفي ألفاظ الأحاديث الواردة في هذا المعنى اختلاف ، وقد اقتضت هذه الأحاديث أموراً ، منها : منع اختلاء خلا مكة ، والخلا مقصور الكلأ الرطب ، فإذا يبس فهو حشيش وهشيم ، ما خلا الإذخر فإنه يجوز كما في الحديث للحاجة إليه في سقف البيوت والقبور والصباغة وما في معناه ، وهو نَبْت مشهور طيّب الرائحة ، وفي معنى الإذخر السنا للحاجة إليه في الدواء ، كما في المدوّنة والموازية من كتب أصحابنا المالكية ، والصحيح من مذهب الشافعي حلّ أخذ نبات الحرم لعلف الدابّة وللدواء ، ومنها منع عضد شجر مكة أي قطعها ، وأرخَصَ مالكُ في قطع العصا والعصاتين من شجر الحرم ، ومنها منْع تنفير صيد مكة أي لا يُصاح عليه فينفر ، قاله المحبّ الطبري ، ونقل عن عكرمة أنه قال لرجل : أتدري ما تنفير صيْدها ؟ هو أن تنحّيه من الظلّ وتنزل مكانه ، ونقل معنى ذلك عن سفيان بن عُيَيْنَة قال : ولا خلاف أنه لو نفّره وسلم فلا جزاء عليه . لكنه أثِم

---

(١) المعرِّف : هو الذي يعرِّف اللُقَطَة ويحتفظ بها إلى أن يحضر صاحبها .
(٢) ج ١/٢٥٩ و ٣١٦ و ٣١٨ .

بارتكابه النَّهْي ، ومنها منع اصطياد صيد مكة ، ومنها أنّ لُقَطَتها لا تُملك كما هو الأصحّ من مذهب الشافعي . وهو رأي بعض المالكية ، وعند الأئمة الثلاثة أنّ حكم مكة في لُقَطَتها كغيرها من البلاد ، وقد جاءت أحاديث تقتضي امتناع هذه الأمور بالمدينة النبوية ، لكن لمكة في ذلك على المدينة مزيّة من ثلاثة أوجه ، الأول : وجوب الجزاء في صيد مكة بالإجماع بخلاف المدينة ففيه خلاف ، الثاني : وجوب الجزاء في شجر مكة عند الشافعي وابن حنبل ، الثالث : أنه لم يقل أحد من علماء الأمة فيما علمت بعدم تملّك لُقَطَة المدينة .

ولمكة أيضاً أحكام تخصّها وأحكام تشاركها المدينة فيها ، فمن الأحكام التي تخص مكة أنّ الصلاة فيها تضاعف على الصلاة في غيرها ، لأحاديث صحيحة وردت في ذلك يأتي ذِكْرُها ، ومنها تضاعُف ثواب القُرُبَات بها ، الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما يأتي ذِكْره ، ومنها تضاعف السّيّئة بها ، كما قال مجاهد وأحمد بن حنبل فيما حكاه عنهما المحبّ الطبري في « القرى » ، ومثل ذلك نقل عن غيرهما ، والصحيح من مذهب العلماء أنّ السّيّئة بمكة كغيرها ، والله أعلم ، ومنها أنّ الانسان يؤآخذ بهمِّه بالسيئة بمكة وإن كان تائباً عنها ، كما هو مقتضى الحديث الذي رويناه في مُسْنَد الإمام أحمد بن حنبل[1] من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ولفظه في المُسْنَد : حدّثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا شُعْبة عن السُّدّي أنه سمع مرة أنه سمع عبدالله قال[2] شعبة ورفعه لي ولا أرفعه للمنقول في قوله عز وجل ﴿ ومَن يُرِدْ فِيهِ بإلْحادٍ بِظُلْمٍ ﴾[3] قال : لو أنّ رجلاً هَمَّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين[4] لأذاقه الله عذاباً أليماً ، انتهى .

ووجه اختصاص مكة بهذا الحُكم أنّ غيرها من البلاد إذا همّ الإنسان فيها

---

(١) ج ١/٤٢٨ .

(٢) في النسخة (ك) قال لي بدل قال ، بدون لفظ (لي) .

(٣) سورة الحج ، الآية ٢٥ .

(٤) عدن أبين : جزيرة باليمن أقام بها « أبين » رجل من حِمْيَر (تاج العروس) .

بسيّئة لا يؤآخذ بهـا إلاّ إذا عملها ، كمـا هو مقتضى حـديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ ، فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ في كتاب الحسنات والسيئات ، وإنْ هم بسيّئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة ، وإنْ هَمَّ بفعْلها[1] كتبها الله سيئة واحدة ، وهذا الحديث في الصحيحين ، وهو بظاهره يقتضي عموم البلاد في هـذا الحكم ، فيـدخـل في ذلـك مكـة ، ولكنّ حـديث ابن مسعـود المشـار إليـه يخصّها ، والله أعلم .

وكنت غفلت عن ذكر هذه الخصوصية فكتب إليّ بعض علمـاء عصرنـا ممّن وقف على بعض هـذا الكتاب يـذكرهـا لي ، ونصّ مـا كتبـه إليّ : رأيت مختصـر مـولانا لأخبـار مكة وذكـرتم تخصيص[2] الحرم بـأشياء ولم تتعـرّضوا لمن همَّ فيـه بسيّئة ، فإنّهم ذكروا في خصائصه العقوبة على مريـد السيئة ومَن همَّ بهـا ، ورووينا في ذلك حديثاً مرفوعاً وهو من حديث ابن مسعود في مُسْند أحمد[3] وغيره ، وهـو حديث إسنادُه صحيح ، ثم قال : وهذه المسألـة ذكرهـا ابن أبي حاتم في تفسيـره وبسط فيها القول ، انتهى باختصار .

وذكر ذلك أيضـاً أبو اليُمْن بن عسـاكر في فضـل مِنى ، عند الكـلام على ما اختصّت به مكة من الأحكام ، ونصّ كلامه : وإنّ من أراد فيها الإلحـاد ولم يعمل به أذاقه الله من أليم العذاب ، وزاد أيضاً من خصائصها عـدم استباحـة غنائمهـا ، ومنها أنّ صلاة النافلة التي لا سبب لها لا تُكره بمكة في وقت الكـراهة ، كمـا هو مذهب الشافعي رحمـه الله ، لحديثٍ من روايـة جُبَير بن مُـطْعَم عن النبيّ ﷺ في ذلك ، ولفظه عند الدارقُطْني : « يا بني عبد مَنَاف لا تمنعوا أحداً يصلّي عنـد هذا البيت أيَّـةَ ساعـةَ شاء من ليـلٍ أو نهار » وأخـرجه ابن حِبّـان بمعناه ، ولفـظه عنـد أصحاب السُنن الأربعة ، وابن حنبـل ، وابن حِبّان أيضـاً يا بني عبـد مناف [إنْ]

---

(١) في النسخة (ك) وإنْ همّ بها فعملها بدل : وإن همّ بفعلها .

(٢) في النسخة (ك) خصائص بدل تخصيص .

(٣) ١/٢٢٧ و ٣١٠ و ٣٦١ و ٢/٢٣٤ و ٢٤٢ و ٣١٥ و ٣١٧ و ٤١١ و ٤٩٨ و ٣/١٤٩ .

Marfat.com

وُلِّيتُم من هذا الأمر شيئاً فلا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلّى أيّ ساعة شاء من ليل أو نهار ، وجوّز البيهقي في المراد بالصلاة احتمالين : أحدهما أن يكون المراد بالصلاة صلاة الطواف خاصّةً ، وقال : إنه هو الأشبه بالآثار ، والاحتمال الآخر أنْ يكون المراد جميع الصلوات ، ولفظ حديث الدارقُطْني يرد الاحتمال الأول الذي ذكره البيهقي أنه أشبه بالآثار ، قاله القاضي عزّ الدين بن جماعة ، وتأوّل بعضهم الصلاة على الدعاء وفيه بُعد ، ومنع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهي ، كما هو مذهب المالكية والحنفية ، والله أعلم .

ومنها أنّ صلاة العيد تُصَلَّى بالمسجد الحرام لا في الصحراء كما في سائر البلاد ، ومنها وجوب قصْدِها في كل سنة على طائفة من الناس لإقامة شعائر[1] الحجّ .

ومنها أنّها لا تُدْخَل إلّا بإحرام على تفصيلٍ في ذلك مقرّر في كُتُب الفِقْه ، ومنها أنه لا يجوز إحرام المقيم في الحرم بالحجّ خارجه ، كما هو مذهب الشافعي ، على ما نقل النووي في الإيضاح ، وهذا لفظه .

ومنها اختصاصها بنحر هدايا الحجّ ، ومنها لزوم النّحر بمكة لنادرة فيها ، ومنها اختصاص حمام مكة في الجزاء بشاة من غير حُكم إذا أصيب في الحرم ، كما هو مذهب مالك والشافعي ، ومنها أنّ الخارج يتبع الصيد فإذا دخل الحرم تركه ، ذكر ذلك ابن الحاجّ عن بعض المفسّرين ، ومنها ائتلاف الظباء والسباع فيه ذكره المحبّ الطبري .

ومنها أمن الظباء والوحوش والسباع بها حتى إنّ الطيور لتجوز الحدّ فيعرض لها من السباع ما لا يعرض لها إذا جاز شيء منعها الحدود ، انتهى ، ذكر ذلك الحافظ وقال : قالوا : ومنها ، كون أهل مكة لا دَمَ عليهم في التمتُّع والقِران عند

---

(١) في النسخة (ك) شعيرة بدل شعائر .

Marfat.com

مالك والشافعي وأكثر العلماء ، لكونهم من حاضري المسجد الحرام ، خلافاً لأبي حنيفة ، ومنها : أنّ أهلها لا يقاتَلُون إذا بَغَوْا فيها عند بعض العلماء ، لكن يُضَيَّقُ عليهم حتى يرجعوا عن ذلك ، بل قال القفّال المَرْوَزِي وهو من كبار الشافعية : أنه يمتنع قتال الكفار بمكة إذا تحصّنوا فيها وهو مقتضى مذهب مالك على ما ذكره ابن شاش[1] وابن الحاجب ، ففي « الجواهر » لابن شاش[2] : ولا يجوز قتال الحاضر مسلماً كان أو كافراً ، وكذا في مختصر ابن الحاجب ، ومذهب أكثر العلماء جواز قتال الكفّار والبُغاة بمكة تقديماً لحقّ الله تعالى ، لأنّ قتال الكفار من الحقوق التي لا يجوز إضاعتها ، وصحّح ذلك النووي ، وأجاب عن الأحاديث الصحيحة الواردة في تحريم القتال بمكة أنّ معناها تحريم نصب القتال عليهم ، بما يعمّم[3] كالمنجنيق وغيره إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك ، بخلاف ما إذا تحصّن كفّار في بلد آخر فإنه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شيء ، وقال : إنّ الشافعيّ نصّ على هذا التأويل .

ومنها عند أبي حنيفة أنّ القاتل عَمْداً إذا لجأ إلى الحرم لا يُقْتل ما دام فيه . لكن يُضَيَّق عليه حتى يخرج منه ليُقْتَل خارج الحرم ، ومنها عنده أنّ الزّاني المُحْصَن إذا لجأ إلى الحرم لا يُقام عليه الحدّ ما دام فيه ، بل يُضَيَّق عليه حتى يخرج منه ليُقْتَلَ خارج الحرم ، ومنها عنده أنّ الحربيّ إذا لجأ إلى الحرم بغير أمان لا يُقتل فيه ، بل يُضَيَّق عليه حتى يخرج منه ، ومذهب أبي حنيفة في هذه الثلاث المسائل هو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل ، ومذهب مالك والشافعي أنّ الحرم لا يمنع من استيفاء القِصاص والحدود .

ومنها : أنّ القاتل في الحرم يغلظ عليه الدِّية بزيادة ثُلثها ، سواء كان القتل عمداً أو خطأً عند الشافعية والحنابلة ، على ما نقل عنهم ابن جماعة في منسكه ،

---

(١) في النسخة (ك) ساس بدل شاش .
(٢) في النسخة (ك) ساس بدل شاش .
(٣) في النسخة (ك) يعمّ بدل يعمّم .

وفيما نقله عن الشافعية نظر ، لأنّ الصحيح عندهم أنّ القاتل في الحرم يُغْلَظ عليه الدية باعتبار التثليث ، وهي أن تكون ثلاثين حقّة وثلاثين جذْعة وأربعين خلفة ، وذلك لا يفهمه نقل ابن جماعة ، والله أعلم .

ومنها أنه يمنع من خالف دين الإسلام من دخول الحرم مقيماً كان أو مارًّا كما هو مذهب الشافعي ، وأكثر الفقهاء على ما نقل الماوردي[1]، وجوّز ذلك أبو حنيفة إذا لم يستوطنوه ويجوز عند مالك للكافر دخول الحرم مجتازاً لتجارة وشِبْهها لا مستوطناً ، والأصل في ذلك ، ما روينا عن أبي داود عن رسول الله ﷺ قال : « أخرِجوا المشركين من جزيرة العرب » ووجه الدليل أنّ الحجاز هو نفس الجزيرة في قول طائفة من العلماء ، وقال طائفة منهم : إنّ الحجاز بعض الجزيرة ، وقالوا : إنّ المراد بما أطلقه عليه الصلاة والسلام من الجزيرة الحجاز لقوله عليه الصلاة والسلام : أخرِجوا المشركين واليهود من الحجاز وأهل نَجْران من جزيرة العرب ، ومنها . على ما قال ابن الصلاح من الشافعية : لا يجوز أخذ شيء من مساويك الحرم ، وذكر ابن الحاجّ من أصحابنا أنه لا بأس بأخذ السِّواك من الحرم .

ومنها أنّ المستنجي بحجارة الحرم مسيء على ما قال الماوردي ، ويجزيه ذلك ، ومنها أنه لا يحلّ حمْل السلاح بمكة لغير ضرورة وعند مالك والشافعي ، لحديث جابر رضي الله عنه لا يحلّ لأحد أن يحمل السلاح بمكة ، والحديث في الصحيحين .

ومنها أنه لا يجوز استقبال الكعبة ولا استدبارها عند قضاء الحاجة في الصحراء إذا لم يكن ثَمَّ ساتر ، لنهيْ النّبيّ ﷺ عن ذلك في رواية أبي أيّوب الأنصاري في الصحيحين ، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم وغيره .

ومنها أنّ الله أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج إذا قدموا مكة ، وأن

---

(١) الأحكام السلطانية ١٦٧.

Marfat.com

لا يـأخذوا منهم أجـراً على نزولهم في سـاكنهـا ، كمـا هـو مفهـوم من كـلام أبي اليُمْن بن عساكر في فضل مِنَى ، وتقدّم من كلام السهيلي في الباب الأول ما يؤيّد ذلك .

ومنها أنه يمتنع على المهاجر منها الإقامة بها إلاّ ثلاثة أيام بعد الصدر ، كما روى العـلاء بن الحضـري[1] عن النبيّ ﷺ بمعنـاه ، ومن الأحكـام التي تشـارك المـدينة فيهـا مكة تحـريم قـطع الـرّطِب من شجـرهـا وحشيشهـا وتنفيـر صيْـدهـا واصطياده ، وإن كان لا جزاء في صيد المدينـة كما سبق بيـانه لأحـاديث صحيحة في ذلك .

ومنها أنه يحرم دفْن المشرِك فيها ، فإنْ دُفن نُبِش مـا لم يتقطّع ، نقـل ذلك عن النووي الشيخ خليل الجندي المالكي في منسكه .

ومنهـا أنه يحـرَم إخراج[2] تـرابهما وحجـرهما ، على مـا نقل الشيـخ خليل الجنـدي عن ابن الصلاح ، ونصّ كـلامه لمـا ذكر خصـائص الحرمين : قـال ابن الصلاح : ويختصّان بتحريم إخراج الحجر والتراب ، ويُكره إدخال ذلك من الحلّ وخلط ذلـك بمثله ، ولا يجوز اتخـاذ المساويـك من أراك الحرم ، زاد النـووي : ويختصّان بتحريم دفْن المشـرك ، ولو دُفن نُبش مـا لم يتقطّع ا هـ ، ومـا ذكره ابن الصلاح من تحريم إخراج تراب الحـرم وحجارتـه إلى خارجـه نصّ عليه الشـافعي في « الجـامع الكبيـر » ، وفي « الأمّ » ، وصحّحه النـووي في « الروضـة » ، وإنْ كان نقل في شرح المهذّب عن الأكثرين من الشافعية . أنّ ذلك مكروه .

وقال المحبّ الطبـري : إنّ كراهيـة إخراج تـراب الحرم إلى الحـلّ كراهيـة تحـريم عندنـا ، انتهى ، والواجب على من أخـرج ذلك من الحـرم ردّه إليه ، ولا ضمان عليه في ترك الردّ ، وأما كراهية إدخال تراب الحلّ وأحجاره إلى الحرم فقد

---

(١) في النسخة (ك) الحضرمي بدل الحضري ، وهو الصحيح المعروف .
(٢) كذا بالأصل .

Marfat.com

نصّ عليه النووي في روضته ومناسكه ، وذكر في المجموع أنّ الأصحاب متّفقون على أنّ ذلك من باب الأولى ، وفيه نظر . لأنّ صاحب البيان نقل عن الشيخ أبي حامد أنه قال : لا يجوز إدْخال شيء من تراب الحلّ وأحجاره إلى الحرم ، انتهى ، والعلّة في كراهية ذلك لئلاّ تحدث لها حرمة لم تكن ، ومذهب الحنابلة : كراهة إخراج تراب الحرم وحَصَاه إلى الحلّ ، وإدخال ذلك من الحلّ إلى الحرم ، والإخراج أشدّ على ما قاله أحمد ، وحُكْم حَرَم مكة في ذلك حُكْم مكة من غير خلاف .

وقد اختلف العلماء في مكة وحَرَمها . هل صار ذلك حرماً آمناً من الجبابرة والخوف[1] والزلازل بسؤآل الخليل عليه السلام ، أم لم يزل ذلك حرماً آمناً منذ خلق الله السموات والأرض ، وهو الصحيح على ما ذكره النووي وغيره ، لحديث ابن عباس وأبي هريرة وابن شريح الخزاعي رضي الله عنهم ، وإنّما سأل الخليل عليه السلام ربَّه تبارك وتعالى أن يجعل ذلك آمناً من الجدْب والقحْط ، وأن يرزق أهله من الثمرات ، واحتجّ القائلون بالأول : بحديث عبدالله بن زيد بن عاصم أنّ النبيّ ﷺ قال : « إنّ إبراهيم حرَّم مكة وإنّي حرَّمت المدينة » الحديث . كما في الصحيحين[2] ، وأجاب القائلون بالثاني عن هذا الحديث . بأنّ إبراهيم أظهر التحريم بعد أن كان مهجوراً ، والله أعلم بالصواب .

ذكر شيء مما ورد في تعظيم الناس لمكة وحرمها وفي تعظيم الذنب في ذلك

روينا في تاريخ الأزرقي عن ابن عباس أنه قال : حجّ الحواريّون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيماً للحرم[3] ، وروينا فيه عن ابن جريج قال : كان الرجل يلقى

---

(١) في النسخة (ك) الخسوف بدل الخوف .

(٢) رواه البخاري ٤/٢٩٠ في البيوع ، باب بركة صاع النبيّ ﷺ ومُدّه ، ومسلم رقم ١٣٦٠ في الحج ، باب فضل المدينة .

(٣) أخبار مكة ٢/١٣٧ .

Marfat.com

قاتل أخيه أو ابنه في الكعبة أو في الحرم أو في الشهر الحرام فلا يعرض له[1] .

وروى أبـو علي بن السَكَن في سُنَنِه : أنّ النبيّ ﷺ لمـا كـان بمكـة إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس .

ويُروى أنّ الشيخ أبا عمرو الزّجّاجي أحـد كِبار الصُّـوفية جـاور بمكة أربعين سنة لم يَبُلْ ولم يتغوَّط في الحرم . ويُروى أنّ الإمام أبـا محمد عبيـدالله بن سعيد السنتجاني جاور بمكة دهراً ، وكان إذا أراد قضاء الحاجة خرج من الحرم .

ومن الأخبـار الواردة في تعـظيم الذنب في الحـرم ، مـا رويناه في تـاريـخ الأزرقي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنـه كان يقـول : إنّ من الإلحاد في الحرم أن يقول : كلا والله وبلى والله[2] ، وروينا عن عمر بن الخطاب أنه قال : يا أهل مكـة لا تحتكروا الـطعام فـإنّ احتكار الـطعام بهـا للبيع إلحـاد ، وروينا مثل ذلك عن ابنه عبدالله بن عمر ، وروينا عن عمر أنه قال : لأنْ أُخـطيء سبعين خطيئة بركية أحبّ إليّ من أنْ أخطيء خطيئة واحدة بمكة ، انتهى .

وركيـة محاذيـة لذات عِـرْق ميقـات أهـل العـراق ، وروينـا عن عبـدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمـا الإلحاد في الحـرم ظلم الخادم ، وقـد جاء في هلاك من ظلم بمكة من الأمم أو استخفّ بحُـرمتها أخبـار كثيرة سنـذكر منهـا شيئاً فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وجاء في النجاة من الذنب بالالتجـاء إلى الحرم حـديث رويناه عن جـابر بن عبدالله عن النبيّ ﷺ ولفظه قال : لما عقر ثَمُود النَّاقَةَ فأخذتهم الصَّيْحَـةُ ، لم يبق

---

(١) ج ٢/ ١٤٠ .
(٢) ج ٢/ ١٣٢ .

Marfat.com

تحت أديم السماء منهم أحد إلاّ أهلكته إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله عزّ وجلّ فمنعه الحرم . فقالوا : من هو يا رسول الله ؟ فقال : أبو رغال أبو ثقيف ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه ، أخرجه أحمد في مُسْنَده[1] ومسلم وأبو حاتم بن حبّان في صحيحيهما .

(١) مسند أحمد ٣/٢٩٦ .

Marfat.com

Marfat.com

الباب الخامس

في ذكر الأحاديث الدالة على أن مكة المشرفة أفضل من غيرها من البلاد

وأنّ الصلاة فيها أفضل من غيرها وغير ذلك من فضلها

أخبرني إبراهيم بن محمد الصوفي سماعاً بالمسجد الحرام قال : أخبرنا أحمد بن أبي طالب الصالحي عن أبي المنجا عبد الله بن عمر البغدادي وأبي بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب ، قالا : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ابن شعيب السنجري ، قال : أخبرنا الفقيه أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفّر الداودي قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد السرخسي قال : أخبرنا إبراهيم بن حزيم قال : أخبرنا عبد بن حميد الحافظ ، قال : أخبرني يعقوب بن إبراهيم الزهري قال : حدثني أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عديّ بن الحمراء أنه أخبره أنه سمع النبيّ ﷺ وهو على راحلته بالحَزْوَرَة بمكة يقول لمكة . ﴿ والله إنّك لخير أرضِ الله وأحبّ أرضِ الله إلَيَّ ، ولولا أنّي أُخرِجْتُ مِنكِ ما خرجت ﴾ .

وأخبرتني الأصيلة أمّ أحمد فاطمة بنت العزّ محمد بن أحمد الجيلي قراءة عليها وأنا أسمع بدمشق في الرحلة الثانية ، أنّ القاضي تقيّ الدين سليمان بن حمزة المقدسي أنبأها وتفرّدت عنه قالت : أخبرنا الحافظ ضياء الدين المقدسي قال : أخبرنا زاهر بن أحمد الثقفي قال : أخبرنا غانم بن خالد قال : حدّثنا الليث عن عقيل عن محمد بن مسلم أنّ أبا مسلمة أخبره عن عبد الله بن عديّ بن

Marfat.com

الحمراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ على راحلته واقفاً بالحَزْوَرَة يقول « والله إنـك لخير أرض الله وأحبّ أرض الله إلى الله ولـولا أني أخرجْتُ منـك مـا خرجت » .

وأخبـرتني عاليـاً أم محمد[1] بنت المُنَجّا سماعاً عن القـاضي أبي الفضـل المقدسي قال : أخبرنا الحافظ الضياء قال : أخبرنـا أبو جعفـر الصيدلاني وفـاطمة بنت سعد الخير قالا : أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله قـالت : أخبرنـا أبو بكـر محمد ابن عبد الله قال: أخبـرنا أبـو القاسم الـطبراني قـال : حدّثنـا أبو زُرْعَـة الدمشقي قال : حدّثنا أبو اليمـانيّ قال : حـدّثنا شعيب بن أبي حمـزة وبه قـال الطبـراني : وحدّثنا عبد الرحمن بـن جابر البحتري قال : حـدّثنا بِشْـر بن شعيب قال : حـدّثنا أبي عن الزُهري قال : أخبرني أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن أنّ عبـد الله بن عديّ بن الحمـراء أخبره أنـه سمع النبي ﷺ يقول ، وهو واقف بـالحزورة في شـرقيّ مكـة « والله إنّـكِ لخير أرضِ الله وأحبّ أرض الله إلى الله ولـولا أنّي أُخْرِجْتُ منـك ما خرجت » ، أخرجه الترمذي[2] والنسائي عن قُتَيْبَـة بن سعيد عن الليث ، وأخـرجه ابن ماجة[3] عن زغبة ، وأخرجه ابن حبّان في صحيحـه عن محمد بن الحسن بن قُتَيْبَة عن زغبة عن الليث ، فـوقع لنـا به بـدلاً للترمذي والنسائي ، ومـوافقته لابن ماجة وابن حِبّان ، مع العُلوّ في ذلك ، ولله الحمد .

وأخرجه النسائي عن إسحق بن مسعود الكوسج عن يعقـوب بن أبي إبراهيم الزهري ، فوقع لنا بدلاً له عالياً ، وقال الترمذي : إنّ حديث ابن الحمراء حـديث حسن صحيـح على ما نقـل عنـه المحب الـطبـري في القـرى ، ومن خـطّه نقلت ذلـك ، ولما ذكـر هذا الحـديث قال : وعن عبـد الله بن عـديّ بن الجمـراء ، ثم رأيت فوق الحمراء حفر باب وفـوق الضرب مـا صورتـه الخيار وهـذا عجب منه ،

---

(١) في النسخة (ك) أحمد بدل محمد .

(٢) رقم ٣٩٢١ في المناقب ، باب ما جاء في فضل مكة .

(٣) رقم ٣١٠٨ في المناسك ، باب ما جاء في فضل مكة .

فإنّ الحديث مشهـور عن ابن الحمراء ، والله أعلم ، وقـال الترمـذي عقب حديث ابن الحمراء رواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة : وحديث الزهري عندي أصحّ (انتهى) .

ورويناه في « المعجم الكبير » للطبراني من حديث محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري ابن أخي الزُهْري عن عمه محمد بن مسلم الزُهْري عن محمد بن جبير عن عبد الله بن عديّ ، وشذّ ابن أخي الزهري في ذلك على ما قال صاحبنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، أمتع الله بفوائده ، وما ذكره الترمذي من أنّ محمد بن عمرو رواه عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، لم أره هكذا ، وإنّما رأيته عنه عن أبي سلمة عن النبيّ ﷺ مرسلاً ، هكذا رويناه في الجزء الثاني من حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعْفر عن محمد ابن عمرويه، وفي تاريخ الأزرقي عن جدّه عن سعيد بن سالم القدّاح عن عثمان ابن ساج عن محمد بن عمرويه ، ولعلّ محمد بن عمرو في الرواية التي ذكرها عنه الترمذي سلك فيها جادّة إسناده المتكرّر في غير ما حدثت له عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، والله أعلم .

وفي رواية محمد بن عمرو المرسَلَة التي في تاريخ الأزرقي ، أنّ النبيّ ﷺ قال ذلك عام الفتح على الحَجُون[1] ، ولا تضادّ بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها ، وبين الرواية التي فيها أنّ النبيّ ﷺ قال ذلك وهو واقف بالحَزْوَرَة لإمكان الجمع بين الروايتين ، بأن يكون قاله على الحَجُون في الفتح وبالحَزْوَرَة حين خرج من مكة في عُمْرة القضية ، لأنه أراد الإقامة بمكة ليبني فيها بزوجته ميمونة بنت الحارث الهلالية ، فأبت عليه قريش ذلك ، وظنّ بعض طُرُق الحديث التي أخرجناها أنّ النبيّ ﷺ قال ذلك وهو على راحلته بالحَزْوَرَة ، ولم يكن النبيّ ﷺ بهذه الصفة حين هاجر إلى المدينة لأنّ الأخبار الواردة في هجرته ﷺ تقتضي أنه

---

(١) أنظر أخبار مكة ٢/١٥٦ .

Marfat.com

ﷺ خرج من مكة مستخفياً ، ولو ركب بالموضع المشار إليه لأشعر ذلك بسفره ، والقصد خلاف ذلك ، والله أعلم .

والحَزْوَرَة بحاء مهملة مفتوحة وزاي معجمة ، وعَوَامّ مكة يُصَحِّفُون الحَزْوَرَة ويقولون : عَزْوَرَة بعين مهملة ، وهذا التصحيف من قديم ، لأنّي رأيت ذلك مكتوباً في حجر رباط رامشت بمكة ، وتاريخه سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة ، والحَزْوَرَة الرابية الصغيرة والجمع الحزاور ، وكان عندها سوق الحنّاطين بمكة ، وهي في أسفلها عند منارة المسجد الحرام التي تلي أجياد ، وما وقع للطبراني من أنّ الحَزْوَرَة في شرقيّ مكة تصحيف ، صوابه : سوق مكة ، كما وقع مصرّحاً به فى مُسْند أحمد بن حنبل من حديث عبد الله بن عدي[1] ابن الحمراء ، وما ذكرناه في موضع الحَزْوَرَة هو المشهور المعروف على ما ذكره الأزرقي[2] ، وذكر عن بعض المكيين أنّ الحَزْوَرَة بفناء دار الأرقم ، يعني دار الخيزران التي عند الصفا ، ونقل عن بعضهم أنها بحذاء الردم في الوادي ، والله أعلم ، والحَزْوَرَة مخففة على وزن قَسْوَرَة ، وذكر الدارقُطْني أن تخفيف الحزورة هو الصواب ، وأنّ المحدّثين يفتحون الزاي ويشدّدون الواو وهو تصحيف ، نقل ذلك عنه صاحب « المطالع » قال : وقد ضبطناه بالوجهين عن ابن سرّاج ، انتهى .

وأفاد الفاكهي سبب تسمية الحزورة لأنه قال : لما ذكر ولاية ابن نزار للكعبة وبيته ، فكان أمر البيت إلى رجل منهم يقال له وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، فبنى صرحاً بأسفل مكة عند سوق الخنّاطين اليوم وجعل فيه أمَةً له يقال لها الحازورة ، فبها سُمِّيت حازورة مكة ، انتهى .

وقد روينا نحو حديث ابن الحمراء من رواية أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فأمّا حديث أبي هريرة رضي الله عنه فأخبرني به الحافظان أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين وأبو الحسن علي بن أبي

---

(١) في النسخة المطبوعة « عدني » ص ٧٦ وهو خطأ .
(٢) أخبار مكة ٢/٢٥٤ .

Marfat.com

بكر المصريّان سماعاً بالقاهرة قالا : أخبرنا عبد الله بن محمد المقدسي قال : أخبرنا علي بن أحمد الحنبلي عن محمد بن معمر القُرَشي وأخته عائشة قالا : أخبرنا سعيد بن أبي الرجاء قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن النعمان قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم المقري الحافظ . قال : أخبرنا إسحاق بن أحمد الخزاعي قال : أخبرنا محمد بن يحيى بن أبي عمر قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وقف رسول الله ﷺ على الحَزْوَرَة فقال : « قد علمت أنكِ خير أرضِ الله وأحبّ الأرض إلى الله ، ولولا أنّ أهلكِ أخرجوني ما خرجت » ، أخرجه النسائي عن سَلَمة بن شبيب عن عبد الرزاق بن همّام ، فوقع لنا بدلاً له عالياً ، ورواه أحمد ابن حنبل في مُسْنَده . عن عبد الرزاق به . وعن إبراهيم بن خالد الصنعاني . عن رباح بن زيد عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة . عن بعض الصحابة . ولم[1] وذكر صاحبنا الحافظ أبو الفضل العسقلاني ، أبقاه الله . أنّ رواية معمر شاذّة ، يعني روايته لهذا الحديث عن الزُهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال : والظاهر أنّ الوهم فيه من عبد الرزّاق لأنّ معمراً كان لا يحفظ إسم صحابيه كما جاءت رواية رباح عنه ، وعبد الرزاق سلك الجادّة فقال : عن أبي سلمة عن أبي هريرة ثم قال : وإذا تقرّر ذلك علم أنّ لا أصل له من حديث أبي هريرة ، والله أعلم . انتهى .

وروينا نحوه في الثالث من حديث المخلص السقا ابن أبي الفوارس ، وفي « المنتقى » من سبعة أجزاء من حديث المخلص أيضاً من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أخبرني به القاضي المفتي أبو بكر بن الحسين الشافعي سماعاً بطِيبة عن أحمد بن أبي طالب إذناً وكتابة ، وأنبأني به محمد بن عبد الرحمن القضاعي في كتابه أنّ أحمد بن أبي طالب أخبره سماعاً . قال : أخبرنا أحمد بن يعقوب المارستاني إذناً ، قال : أخبرنا أبو المعالي بن

---

(١) يوجد بالأصل بياض بعد كلمة (ولم) .

Marfat.com

النحاس عن أبي القاسم بن البشري قال : أخبرنا أبو طاهر المخلص قال : حدّثنا يحيى بن محمد قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن سنان قال : حدّثنا مؤمّل بن إسماعيل قال . حدّثنا حماد بن سلمة قال : حدّثنا ثابت عن عبد الله بن رباح الأنصاري قال : خرجت في وفدٍ فيه أبو هريرة . فذكر عن أبي هريرة في حديث ذكره أنه قال : لما قدمنا مكة أتته الأنصار وهو قائم على الصّفا فجلسوا حوله فجعل يقلّب بصره في نواحي مكة وينظر إليها ويقول : واللهِ لقد عرفت أنّك أحبّ البلاد إلى الله وأكرمها على الله ولولا أنّ قومي أخرجوني ما خرجت ، وبه إلى المخلص قال : حدثنا يحيى بن محمد قال : حدثنا أحمد بن سنان بالرملة قال : حدّثنا مؤمّل بن إسماعيل قال : حدّثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا ثابت قال : حدّثنا عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ مثله ، وبه قال ابن صاعد : هذان الخبران لم يأت بهما في هذا الحديث إلا مؤمّل بن إسماعيل انتهى ، وإسناد هذا الحديث فيه نظر ، لأنّ مؤمّل بن إسماعيل الذي تفرّد به كثير الخطأ على ما قال أبو حاتم(١) ، وفيه نظر أيضاً . لمكان غيره فيه ، وإنّما أوردناه لغرابته ، والله أعلم .

وأمّا حديث ابن عباس رضي الله عنهما . فأخبرني به المسندان الإمام المفتي أبو أحمد إبراهيم بن محمد اللّخمي ومحمد بن حسن بن علي القرشي المصريّان سماعاً على الثاني وأجازه مشافهة من الأول أنّ الحافظ أبا الفتح اليعمري أخبرهما سماعاً قال : قرأت على أبي حفص عمر بن عبد المنعم القوّاس(٢) من غوطة دمشق : أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري قال : أخبرنا أبو الحسين بن المسلم قال : أخبرنا الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب(٣) قال : أخبرنا ابن جُمَيْع قال : حدّثنا إبراهيم بن معاوية قال : حدّثنا عبد الله

---

(١) الجرح والتعديل ٨/ ٣٧٤ رقم ١٧٠٩ .

(٢) في المطبوع « هوسل » ، ص ٧٧ وهو تصحيف . وقد ترجم له الذهبي في العِبَر ٥/ ٣٨٨ .

(٣) في المطبوع « كلاب » والصحيح ما أثبتناه ، وهو أبو نصر القرشي . وُلد في صيدا بساحل الشام سنة ٣٨٩ هـ . وتوفي بظاهر دمشق سنة ٤٧٠ هـ . (تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر (مخطوطة التيمورية) .

ابن سليمان قال : حدّثنا نصر بن عاصم قال : حدّثنا الوليد قال : حدّثنا طلحة عن عطاء بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أما والله إني لأخرج منكِ وإنّي لأعلم أنك أحبّ بلاد الله وأكرمها على الله ، ولولا أني أُخْرِجْتُ منكِ ما خرجت[1] ، وعالياً عمر بن حسن المزّي في إذنه العام ، قال : أخبرنا عمر بن عبد المنعم المذكور بسنده السابق ، أخرجه الترمذي[2] في المناقب عن محمد بن موسى البصري عن فضيل بن سليمان ، وأخرجه ابن حِبّان في صحيحه عن الحسن بن سفيان عن فضيل بن الحسين الجحدري عن فضيل بن سليمان عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير وابن الطفيل كلاهما عن ابن عباس ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب في هذا الوجه .

وأما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، فذكره الفاكهي في كتابه « أخبار مكة » ولفظه : وحدّثنا ميمون بن الحكم الصنعائي قال : حدّثنا محمد بن جعشم عن ياسين بن معاذ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : بعث رسول الله ﷺ عتّاب بن أسيد على أهل مكة فقال له رسول الله ﷺ : أتدري أين بعثتك ؟ بعثتك على أهل الله . ليس بلد أحبّ إلى الله عزّ وجلّ ولا إليّ منها ولكنّ قومي أخرجوني فخرجت ، ولو لم يُخْرِجوني لم أخرج . وحدثنا عبد الله بن عمران قال : حدّثنا سعيد بن سالم قال : حدّثنا عثمان بن ساج قال : أخبرني يحيى بن أبي أنيسة عن ابن شهاب الزهري قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ بنحوٍ من حديث ميمون ، انتهى .

وحديث عبد الله بن عديّ بن الحمراء السابق هو حجّة القائلين بأفضليّة مكة على غيرها من البلاد والأماكن ، ما خلا المكان الذي دُفن فيه النبيّ ﷺ فإنه أفضل بقاع الأرض بالإجماع ، على ما نقل القاضي عِياض في شرح مسلم ،

---

(١) رواه ابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ ـ مخطوطة ليدن ـ ص ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) رقم ٣٩٢١ باب ما جاء في فضل مكة .

Marfat.com

حتى إنه أفضل من موضع الكعبة على ما صرّح به أبو اليُمْن بن عساكر في إتحافه ، وممّن قال بأفضلية مكة على غيرها من البلاد الإمام أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل في أصحّ الروايتين عنه ، وابن وهب وابن حبيب من المالكية ، وقال العبدي : إنه مذهب أكثر الفقهاء ، وقال ابن عبد البَرّ : إنّ ذلك يُرْوَى عن عمر وعليّ وابن مسعود وأبي الدرداء وجابر وغيرهم من الصحابة ، قال : وهم أوْلَى أن يُقلَّدوا ممن جاء بعدهم قال : وحسْبك بفضل مكة أنّ فيها بيت الله الذي رضي بحطّ الأوزار للعباد بقصده في العمر مرّة ، ولم يقبل من أحدٍ منهم صلاةً إلاّ باستقبال جهته إنْ قدر على التوجّه إليها ، وهي قِبلة المسلمين أحياءً وأمواتاً ، انتهى ، قلت : الفضل الثابت لمكة ثابت لجميع حَرَمها كما ذكره المحبّ الطبري في « القرى » (لقاصد أم[1] القرى منسكه) ، وضعّف ابن عبد البَرّ بعضَ الأحاديث المستدَلّ بها على أنّ المدينة أفضل من مكة، وذلك الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه[2] على الصحيحين عن النبيّ ﷺ أنه قال حين خرج من مكة إلى المدينة : اللهم إنّك تعلم أنهم أخرجوني من أحبّ البلاد إليّ فاسكنّي أحبَّ البلاد إليك . الحديث ، قال فيه ابن عبد البَرّ أنه لا يصحّ ولا يختلف أهل العلم في نكارته ووضْعِهِ ، انتهى .

وعلى تقدير صحّته فلا دلالة فيه لمن استدلّ به على ما ذكره المحبّ الطبري ، لأنه لما ذكر اختلاف العلماء في تفضيل المدينة على مكة في الفضْل الذي عقده لفضل مسجد المدينة والصلاة فيه ، قال : وما احتجّوا به من قوله ﷺ : أخرجتَني من أحبّ البلاد أو البقاع إليّ فأسْكِنّي في أحبّ البقاع إليك . محمول على أنه أراد أحبَّ البقاع إليك بعد مكة ، بدليل حديث النسائي وابن حِبّان المتقدّم في فضل مكة ؛ يعني حديث عبد الله بن عديّ بن الحمراء ، فإنه دلّ على أنها أحبّ أرض الله إلى الله ، على أنّ هذا الحديث نفسه لا دلالة فيه ، لأنّ قوله : وأسْكِنّي في أحبّ البقاع إليك ، هذا السياق يدلّ في العرف على أنّ

(١) في النسخة (ك) لا يوجد ما بين القوسين .
(٢) في كتاب الهجرة - ج ٣/٣ .

Marfat.com

المراد بعد مكة، فإنّ الإنسان لا يسأل عما خرج منه ، فإنْ قال : أخرجتني فأَسْكِنّي ، يدلّ على إرادة غير الخرج[1] منه ، فيكون مكة مسكوتاً عنها في الحديث ، انتهى ، وحديث رافع بن خُدَيْج رضي الله عنه : أشهدُ لَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : المدينة خير من مكة كما في مُعْجَم الطبراني، قال فيه ابن عبد البَرّ ضعيف الإسناد ولا يحتجّ به ، وقيل إنه موضوع ، وذكره الذهبي في فضل البلدان وقال : حديث واهٍ مُنْكَر الحديث ، وهذان الحديثان أشهر الأحاديث المستدَلّ بها على أنّ المدينة أفضل من مكة ، وممّن قال بذلك الإمام مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه ، خلا مَن ذكرنا ، ونقل القاضي عِياض ذلك عن عمر بن الخطاب وبعض الصحابة وأكثر أهل المدينة ، والله أعلم . ولا ريب في أنّ مكة والمدينة أفضل من سائر البلاد ، لإجماع الناس على ذلك ، كما ذكره القاضي عِياض ، كما أنّ بيت المقدس أفضل من سائرها بعد مكة والمدينة للإجماع ، ومستند الإجماع في ذلك أحاديث مشهورة ثابتة في الصحيحين وغيرهما ، والله أعلم .

ذكر الأحاديث الدّالة على أنّ الصلاة بمسجد مكة أفضل من الصلاة في غيره من المساجد

روينا في ذلك أحاديث من حديث أنس بن مالك وجابر بن عبد الله الأنصاريَّين وعبد الله بن الزُبير بن العوّام وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبي هريرة وأبي الدرداء وأمّ الدرداء وعائشة رضي الله عنهم ، وقد أخرجنا هذه الأحاديث في أصل هذا الكتاب بأسانيدنا ، ونقتصر هنا على عَزْوِهَا لكتب أهل العلم ، فأمّا حديث أنس وجابر رضي الله عنهما ففي سُنُن ابن ماجة[2]، وإسناده في حديث جابر صحيح ، على ما قال ابن جماعة في منسكه ، وحديث ابن الزبير في مواضع يأتي ذكرها ، وحديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما في مُسْنَد ابن حنبل[3]،

---

(١) لعلّها المخرج .

(٢) سُنَن ابن ماجة ١/٤٥١ باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ ، رقم ١٤٠٦.

(٣) مُسْنَد ابن حنبل ٢/٥٢٨.

Marfat.com

وحـديث أبي الدرداء رضي الله عنـه في « المعجم الكبير»[1] الطبراني بسَنَدٍ حَسَن على ما قال بعض مشايخنا ، وحديث أم الدرداء رضي الله عنهـا في الإتحاف لابن عسـاكر، وحـديث عائشـة رضي الله عنهم[2] في « المعجم الأوسط » للطبـراني ، وحديث ابن الزبيـر رضي الله عنهما عنـدي أعلاهـا ، وقد أخبـرني به إبـراهيم بن محمد الصوفي سماعاً بمكة أنّ أحمد بن أبي طالب الصالحي أخبره عن ابن اللّتّي وابن بهروز قالا : أخبرني أبو الوقت قال : أخبرنا الداودي قال : أخبـرنا الحمـوي قـال أخبرنـا إبراهيم بن حـزيم قال : حـدَّثنا عبـد بن حميد الحـافظ قال : حـدّثنا سليمان بن حرب قال : حدّثنا حماد بن زيد عن حبيب المعلّم عن عطاء عن عبد الله الزُبير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي هـذا أفضل من ألف صـلاة فيما سـواه إلاّ المسجد الحـرام، وصلاة في المسجـد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة .

وأخبرنيه أعلى من هذا عليّ بن محمد الخطيب عن أبي بكر الـوشتي قال : أخبرنا الحافظ بن خليل قال : أخبرنا الرازي قال : أخبرنا الحداد قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال : أخبرنا عبد الله بن فارس قال : أخبرنا يونس بن حبيب قـال : حدّثنا أبو داود الطيالسي قال : حدّثنا الربيع بن صبيح قال : سمعت عـطاء بن أبي رباح يقول : بينما ابن الزبير يخطبنا إذ قال رسول الله ﷺ . صلاة في مسجـدي : هـذا أفضل من ألف صـلاة فيما سـواه إلاّ المسجد الحـرام، وصلاة في المسجـد الحـرام تفضُل بمـائة صـلاة . قال عـطاء: فكانت مـائة ألف ، قـال قلت: يا أبـا محمد هذا الفضل الذي يُذْكَر في المسجد الحرام وحده أو في الحَرم ؟ قـال : بل في الحـرم فإنّ الحـرم كلّه مسجد ، ورأينـاه في « إتحاف الـزائـر » لأبي اليُمْن بن عساكر من حديث شبابة بن سواد عن الربيع بن صبيح به ، إلاّ أنّ فيه : وصلاة في المسجـد الحرام تعـدل مائـة ألف ، ورأينـاه في مُسْنَـد ابن حنبـل والبـزّار ومعجم الـطبراني الكبيـر بألفـاظٍ مختلفة ، ويتحصّـل من طرق حـديث ابن الـزُبيـر ثـلاث

(١) المعجم الكبير ١٥١/٢ رقم ١٦٠٥ ـ ١٦٠٧ .
(٢) كذا بالأصل ولعلّه عنها .

Marfat.com

روايات ، أحدها أنّ الصلاة بالمسجد الحرام تفضل على الصلاة بمسجد المدينة بمائة صلاة كما في مُسْنَد عبد بن عبيد[1] وابن حنبل والبزّار ، وإحدى روايتي الطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح ، والرواية الأخرى أنّ الصلاة في المسجد الحرام تفضل على الصلاة بمسجد المدينة بألف صلاة كما في مُسْنَد الطيالسي وإتحاف ابن عساكر ، وحديث ابن الزُبير من رواية حماد بن زيد أخرجه ابن حِبّان في صحيحه عن الحسن بن سفيان عن محمد بن عبد الله بن حسان عن حمّاد بن زيد، فوقع لنا عالياً، وقد روي موقوفاً على ابن الزبير، ومن رفعه فهو أحفظ وأثبت من جهة النقل على ما قاله ابن عبد البَرّ ، وصحّح هذا الحديث وقال : إنه الحجّة عند التنازع ، وإنه نصّ في موضع الخلاف قاطع عند من أُلْهِمَ رُشْدَه ولم تملْ به عصبيّته (انتهى) .

وحديث كلٌ من أنس وجابر وأبي الدرداء رضي الله عنهم في الصلاة في المسجد الحرام يقتضي تفضيل الصلاة بالمسجد الحرام على الصلاة بمسجد المدينة كحديث ابن الزُبَير الذي في « مُسْنَد الطيالسي » وإتحاف ابن عساكر ، وحديث ابن عمر ليس فيه بيان ما تفضل الصلاة به في المسجد الحرام على الصلاة في غيره ، وإنّما يقتضي أنّ الصلاة فيه أفضل من غيره ، وحديث أبي هريرة يقتضي أنّ الصلاة فيه أفضل من الصلاة في مسجد المدينة بمائة صلاة ، هذا مُقْتَضَى حديث ابن عمر وأبي هريرة في كتاب الفاكهي .

وقد ورد في فضل الصلاة بالمسجد الحرام ثواب أكثر من هذا ، لأنّ الفاكهي قال : حدّثني عبد الله بن منصور عن عبد الرحيم بن زيد العمّي عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : من صلّى في المسجد الحرام حول بيت الله الحرام في جماعة خمسة وعشرين مرّة ، كتب الله له مائة ألف صلاة يكون ألفي ألف صلاة ، ومن صلّى في المسجد الحرام أو في بيته أو في الحرم ، كتب الله له مائة ألف صلاة ، قيل له أو قال رجل من التابعين : أَعَنْ رأيك هذا يا ابن

---

(١) عبيد كذا ، ولعلّه حميد .

Marfat.com

عبـاس ، أو عـن رسول الله ﷺ ، قال : بـل عـن رسول الله ﷺ انتهى ، وعبد الرحيم ضعيف. وقال الفاكهي أيضاً: وحدثني محمد بن صالح البلخي قال: حدثنا أبو مطيع الحَكَم بـن عبد الله القُرَشي قال : حدّثنا المسيّب عن المبـارك بن حسّان عن الحسن ومعاوية بن قُرَّة قـالا : الصلاة في المسجـد الحرام بـألفي ألف صلاة وخمسمائة صلاة والصلاة في الحرم كلّه بمائة ألف صلاة . انتهى .

وروينا عن الجندي في كتاب « فضائـل مكة » لـه قال : حـدثنا إسحـاق بن إبراهيم قال : حدّثنا إسمعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمـد بـن مغفل عن وهب ابن منّبه قال: وجـدت مكتوبـاً في التـوريـة[1] : من شهـد الصلوات الخمس في المسجـد الحرام كتب الله لـه بها اثنـا عشر[2] ألف ألف وخمسمـائة ألف صـلاة ، وروى الجندي في تفسير قوله تعالى ﴿ إنَّ في هذا لبلاغاً لقومٍ عابدين ﴾[3] حديثاً يقتضي أنّ المـراد بذلـك الصلوات الخمس جماعـةً في المسجد الحـرام ولفظه : حدّثنا عبد الله بن أبي غسان حدّثنا عبد الرحيم بن زيـد العمي عن أبيه عن سعيـد ابن جبير عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قرأ : إنَّ في هذا لبلاغاً لقومٍ عـابدينَ . ثم قال : هي الصلوات الخمس في الجماعة في المسجد الحرام .

ولْنذكر فوائد تتعلّق بحديث ابن الزُبَير رضيَ الله عنهما ، وما شاهـد منها أنّ ابن كنانة المالكي وغيره من المالكية قالوا في قوله ﷺ : صـلاة في مسجدي هـذا أفضل من ألف صلاة فيمـا سواه إلاّ المسجـد الحرام . كمـا في الصحيحين[4] إنه يقتضي أنّ الصلاة بمسجده ﷺ أفضل من الصلاة في سائر المسـاجد بـألف صلاة خلا المسجد الحرام ، فإنّ الصلاة في مسجده ﷺ أفضل من الصلاة في المسجـد

---

(١) في النسخة (ك) التوراة بدل التورية وهو الصحيح .

(٢) الصحيح « اثني » .

(٣) سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٦ .

(٤) رواه البخاري ٣/٥٤ في التطوع ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينـة ، ومسلم رقم ١٣٩٤ في الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة .

Marfat.com

الحرام بدون الألف ليستقيم لهم بذلك ما رووا من تفضيل الصلاة بالمدينة على الصلاة بمكة ، وحديث ابن الزبير وما شابهه من الأحاديث التي ذكرناها يدفع هذا التأويل لأنها تقتضي تفضيل الصلاة بمكة على الصلاة بالمدينة ، والله أعلم ، ومنها أنّ النقاش المفسّر حسب الصلاة بالمسجد الحرام على مقتضى حديث : إنّ الصلاة فيه أفضل من الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف صلاة ، فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عُمْر خمسٍ وخمسين سنة وستّة أشهر وعشرين ليلة ، وصلاة يوم وليلة وهي خمس صلوات في المسجد الحرام عمر مائتي سنة وسبعة وتسعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال انتهى .

قلت : رأيت لشيخنا بالإجازة الإمام بدر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الصاحب المصري الإشاري كلاماً حسناً في هذا المعنى ، لأنه قال فيما أنبأنا به أنّ كل صلاة بالمسجد الحرام فُرادَى بمائة ألف صلاة كما ورد في الحديث ، وكل صلاة فيه جماعة بألفي ألف صلاة وسبعمائة ألف صلاة ، والصلوات الخمس فيه بثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة صلاة ، وصلاة الرجل منفرداً في وطنه غير المسجدين المعظَّمين ، كل مائة سنة شمسية بمائة وثمانين ألف صلاة ، وكل ألف سنة بألف ألف صلاة وثمانمائة ألف صلاة ، فتلخّص من هذا أنّ صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعةً يفضُلُ ثوابُها على ثواب من صلّى في بلدة فُرَادَى ، حتى بلغ عمر نوح عليه السلام نحو الضِّعْف ، وسلام على نوح في العالمين . وهذه فائدة تساوي رحلة ، ثم قال : هذا إذا لم تُضِف إلى ذلك شيئاً من أنواع للبرّ ، فإنْ صام يوماً وصلّى الصلوات الخمس جماعة وجعل فيه أنواعاً من البرّ وقلنا بالمضاعفة ، فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه ، انتهى ، ومنها أنّ للعلماء المالكية وغيرهم خلافاً في هذا الفضل هل يعمّ الفرض والنفل ، أو يختص بالفرض ؟ وهو مقتضى مشهور مذهبنا ومذهب أبي حنيفة ، والقول بالتعميم مذهب الشافعي على ما صرّح به النووي ، ومنها أنّ للعلماء خلافاً في المراد بالمسجد الحرام ، فقيل : مسجد الجماعة الذي يحرم على الجُنُب الإقامة فيه ، حكاه

Marfat.com

المحبّ الطبري ، وذكر أنه يتأيّد بقوله ﷺ : صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام . والإشارة بمسجده إلى مسجد الجماعة فينبغي أن يكون المستثْنَى كذلك ، انتهى .

وقيل المراد بالمسجد الحرام الحرم كلّه ، قال المحبّ الطبري : ويتأيّد بقوله تعالى : ﴿ والمسجد الحرام الذي جعلناهُ للناسِ سواءً العاكفُ فيه والبادِ ﴾ . أو قوله تعالى : ﴿ سبحانَ الذي أسرَى بعبده ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى ﴾ . وكان ذلك من بيت أمّ هانيء ، انتهى .

وقيل : المراد بالمسجد الحرام الكعبة خاصّة ، ذكره المحبّ الطبري عن بعضهم وأنبِهم له ، قال : واختاره بعض المتأخّرين من أصحابنا ، وذكر أنه يتأيّد بحديث أبي هريرة رضي الله عنه : صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاّ الكعبة . أخرجه النسائي[1] انتهى باختصار .

وذكر بعض الحُفّاظ من أصحابنا أنّ في بعض طُرُق هذا الحديث إلاّ مسجد الكعبة ، وعلى هذا فلا تستقيم الدلالة بالحديث الذي ذكره المحبّ الطبري على أنّ المراد بالمسجد الحرام الكعبة خاصّة ، والله أعلم . ومنها هذا التضاعف بالنسبة إلى الثواب لا بالنسبة إلى إسقاط الفوائت كما يتخيّله كثير من الجُهّال ، ولذلك نبّهنا عليه . وممن صرّح بذلك النووي في شرح مسلم ، وقد ظهر بما ذكرناه من الأحاديث وكلام العلماء تفضيل مكة على سائر البلاد ، وأنّ ثواب الصلاة فيها أفضل من ثوابها في غيرها ، وجاءت أحاديث تدلّ على تفضيل ثواب الصوم وغيره من القُرُبات بمكة على ثواب ذلك في غيرها ، إلاّ أنّها في الثبوت ليست كأحاديث فضل مكة والصلاة فيها ، وحديث تفضيل الصوم بمكة على غيرها . رويناه في مسند ابن ماجة[2]، وفي تاريخ الأزرقي[3] وفي « المجالس

---

(١) ٢/٣٣ في المساجد ، باب فضل الصلاة في المسجد الحرام ، وهو حديث صحيح .
(٢) سُنن ابن ماجة ٢/١٠٤١ رقم ٣١١٧.
(٣) أخبار مكة ٢/٢٣ .

Marfat.com

المكية » للميانشي ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وعنه ورد تضاعُفُ حسناتُ الحرم على غيرها ، لأنّا روينا عن زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال : من حجّ من مكة ماشياً حتى يرجع إليها كتب الله له بكلّ خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم . فقال بعضهم لابن عباس : وما حسنات الحرم ؟ قال : كل حسنة بمائة ألف حسنة . انتهى . رواه البيهقي بسنده إلى عيسى بن سوادة عن إسماعيل بن أبي خالد عن زاذان وقال : تفرّد به عيسى بن سوادة ، وهو مجهول ، انتهى . قلت : لم ينفرد به عيسى بن سوادة كما ذكر البيهقي لأنّا رويناه في الأربعين المختارة لخطيب مكة : الحافظ ابن مسدي ، وغيرها من حديث سفيان بن عُيَيْنَة عن إسماعيل بن أبي خالد الذي رواه عنه ابن سوادة . وقال ابن مسدي : هذا حديث حسن غريب . انتهى . ورواه الحاكم من الوجه الذي رواه البيهقي وصحّح إسناده[1] ، وقال المحبّ الطبري بعد أن أخرج هذا الحديث : وهذا الحديث يدلّ على أنّ المراد بالمسجد الحرام في فضل تضعيف الصلاة الحرم جميعه ، لأنه عمّ التضعيف في جميع الحرم ، وكذلك حديث تضعيف الصلاة عمّن في جميع مكة ، وحكم الحرم ومكة في ذلك سواء بإتفاق ، إلاّ أنْ يخصّ المسجد بتضعيف زائد ذلك ، فبقدر كل صلاة بمائة ألف صلاة فيما سواه ، والصلاة فيما سواه بعشر حسنات فتكون الصلاة فيه بألف ألف حسنة ، والصلاة في مسجد النبيّ ﷺ بمائة ألف حسنة ، ويشهد لذلك ظاهر اللفظ ، والله أعلم . قال : وعلى هذا تكون حسنة الحرم بمائة ألف حسنة وحسنة مسجده : إمّا مسجد الجماعة وإمّا الكعبة على اختلاف القولين بألف ألف ، ويقاس بعض الحسنات على بعض أو يكون ذلك خِصّيصاً للصلاة ، والله أعلم ، انتهى .

وروينا عن الحسن البصْري ما يقتضي تضاعف الحسنة بمكة إلى مائة ألف

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/٤٦١ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه (يعني البخاري ومسلم) .

Marfat.com

حسنة لأنه قال : صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف ، وكل حسنة بمائة ألف ، انتهى .

وذكر المحبّ الطبري أنّ فيما تقدّم من أحاديث مضاعفة الصلاة والصوم بمكة دليلاً على اطّراد التضعيف في جميع الحسنات إلحاقاً بهما . قال : ويؤيّد ذلك قول الحسن ، انتهى .

Marfat.com

الباب السادس

في المجاورة بمكة والموت بها وشيء من فضل أهلها

وشيء من فضل جدة ساحل مكة وشيء من خبرها وشيء من فضل الطائف وشيء من خبره

ذكر المجاورة بمكة

المجاورة بمكة مُسْتَحَبَّة عند أكثر العلماء ، منهم الشافعي ، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة ، وابن القاسم صاحب مالك لأنه قال : إنّ جوار مكة ممّا يُتَقَرَّبُ به إلى الله كالرباط والصلاة ، نقل ذلك عنه ابن الحاجّ المالكي في منسكه ، واستحبّها أيضاً أحمد بن حنبل ، لأنه رُوي عنه أنه قال : ليت لي الآن مجاورة بمكة .

وممّن كره المجاورة بمكة أبو حنيفة ، وفهم ذلك ابن رشد المالكي من كلام وقع لمالك ، وسبب الكراهة عند من رآها من العلماء على ما قال المحبّ الطبري في « القرى » : خوف الملل وقلّة الاحترام لمداومة الأُنس بالمكان ، وخوف ارتكاب ذنب هنالك ؛ فإنّ المعصية ليست كغيرها وتهيّج الشوق بسبب الفراق .

قال أبو عمرو الزّجّاجي : من جاور بالحرم وقلبه متعلّق بشيء سوى الله تعالى فقد ظهر خُسْرانُه .

وقال المحبّ أيضاً : ولم يكره المجاورة أحمد بن حنبل في خلق كثير ، وقالوا إنها فضيلة ، وما يخاف من ذنب ، فيقابل بما يرجى لمن أحسن من

Marfat.com

تضعيف الثواب ، وقد نزل بها من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة وخمسون رجلاً سردهم المحبّ في « القرى » وذكر النووي في « الإيضاح » أنّ المختار استحباب المجاورة بمكة ، وعلّل كراهة من كرهها في العلماء بنحوٍ مما قال المحبّ . ثم قال : وأما مَن استحبّها فَلِما فيها من تضاعف الحسنات والطاعات ، وقد جاور بها ممن يُقتدَى به من سلف الأمّةِ وخَلَفِها خلائق لا يحصون ، انتهى .

قلت : يدلّ لاستحباب المجاورة بمكة رغبة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم في سكناها ، كما في حديث عبد الله بن الحمراء وابن عباس وأبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم .

وتمنّى بلال رضي الله عنه العود إلى أماكن ، بعضها بمكة وبعضها حولها ، حيث يقول :

ألا ليت شِعْرِي هل أبيتنَّ ليلةً ... بفخٍّ وحولي إذْخِرٌ وجليلُ ؟
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّة ... وهل تَبْدُوَنَّ[1] لي شامة وطفيل ؟

هكذا رويناه في تاريخ الأزرقي[2] .

وفي البخاري : بوادٍ ، عوض قوله بفخّ . وقد سبق أنّ الإذخر نَبْتٌ معروف طيّب الرائحة ، والجليل النمام وقبل النمام إذا جلّ ، وفخّ هو وادي الزاهر لأنّ ياقوتاً في معجم البلدان[3] قال لما ذكر فخّ : قال السيد عُلَيّ بن وهاس العلوي : فخّ وادي الزاهر ، فيه قبور جماعة من العلويين قُتلوا فيه في وقعة كانت لهم مع أصحاب موسى الهادي بن المهدي بن المنصور في ذي الحجّة سنة تسعٍ وستين ومائة وللشعر فيه ميزات كثيرة . انتهى .

وعُلَيّ بن وهاس هذا من فُضلاء مكة ممّن أخذ عن الزمخشري ، ولأجله

---

(١) في أخبار مكة « يَبْدُوْن » وكذا في معجم البلدان ٣/٣١٥ .
(٢) أخبار مكة ١/١٩١ .
(٣) ٤/ ٢٣٧ .

Marfat.com

صنف « الكشّاف » على ما قيل ، ومدحه الزمخشري في « الكشاف » .

وسيأتي في الباب الأربعين إن شاء الله تعالى ذكر مَجَنَّة وشامة وطُفَيْل ، ويدلّ لذلك قول عائشة رضي الله عنها : لولا الهجرة لسكنتُ مكة ، إنّي لم أر السماء بمكانٍ أقرب إلى الأرض منها بمكة ، ولم يطمئنّ قلبي ببلد قطّ ما اطمأنّ بمكة ، ولم أر القمر بمكان قطّ أحسن منه بمكة . ورينا ذلك في تاريخ الأزرقي[1] ويدلّ لذلك ما رويناه عن الجندي في فضائل مكة له ، قال : حدّثنا أبو صالح محمد بن زنبور قال : حدّثنا سفيان بن عُيَيْنَة عن مطر عن أبي الطُفَيل قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : أقِمْ بمكة وإنْ أكلت بها العضاة ، يعني السمر ، ويدلّ لذلك أمور أُخَر ذكرناها في أصل هذا الكتاب مع أشياء أُخَر تتعلّق بحكم المجاورة بمكة ، وفيما ذكرناه هنا من ذلك كفاية .

ذكر شيء مما جاء في الموت بمكة

روينا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ فذكر أحاديث ثم قال : ومن مات بمكة فإنّما مات في سماء الدنيا . إسناده ضعيف .

وروينا عن الحَسَن البصْري في رسالته المشهورة أنّ النبيّ ﷺ قال : من مات بمكة فكأنّما مات في سماء الدنيا .

وروينا في « فضائل مكة » للجندي عن محمد بن قيس بن مَخْرَمَة عن النّبِيّ ﷺ قال : من مات بمكة بعثه الله في الآمنين يوم القيامة . وروينا فيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً من جملة حديث يتعلّق بالكعبة قال فيه : إنّ آدم عليه السلام سأل ربّه عزّ وجلّ ، فقال : يا رب ، أسألك من حجّ هذا البيت من ذرّيتي لا يشرك بك شيئاً أنْ تُلْحِقَهُ بي في الجنة ، فقال الله تعالى : ﴿ من

---

(١) أخبار مكة ٢/١٥٣

مات في الحَرَم لا يُشْرِك بي بعثته آمناً يوم القيامة . وروينا فيه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من مات من أحد الحرمين بُعِثَ يوم القيامة في الآمنين . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من مات بمكة أو في طريق مكة بُعِثَ من الآمنين ، ذكره ابن جماعة في منسكه . قال : يُرْوَى أنّ سيدنا رسول الله ﷺ سأل الله تعالى عن ما لأهل بقيع الغَرْقَد ؟ فقال : لهم الجنّة . فقال : يا ربّ ما لأهل المُعَلاَّة ؟ قال : يا محمد سألتني عن جوارك فلا تسألني عن جواري . انتهى .

وسيأتي ذِكْر شيء من فضل معبرة المُعَلاَّة ؟ قال : يا محمد سألتني عن جوارك فلا تسألني عن جواري . انتهى .

وسيأتي ذِكْر شيء من فضل مقبرة المُعَلاَّة في الباب الحادي والعشرين .

وروينا في مُسْنَد الطيالسيّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله تعالى من الآمنين يوم القيامة .

وروى حاطب بن أبي بلتعة عن النبيّ ﷺ أنه قال : من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات في أحد الحرمين بُعِث في الآمنين يوم القيامة . أخرجه هكذا ابن الحاجّ المالكي في مناسكه . وعن سلمان الفارسي عن النبيّ ﷺ أنه قال : من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين . أخرجه ابن جماعة .

ذكر شيء مما جاء في فضل أهل مكة

روينا في كتاب « النسب » للزُبَير بن بكّار قاضي مكة وفي غيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : بعث رسول الله ﷺ عَتّاب بن أَسَيْد على مكة فقال له : هل تدري إلى من أبعثك ؟ أبعثك إلى أهل الله .

Marfat.com

وروينا في تاريخ الأزرقي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزل عامله نافع بن عبد الحارث الخُزاعي لاستعماله على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزي قارئاً لكتاب الله تعالى[1] .

ووجدت بخطّ بعض أصحابنا فيما نقله من خطّ الشيخ أبي العباس المَيُورقي ورد أنّ سفهاء مكة حَشْوُ الجنّة ، واتّفق بين عالمين في الحرم منازعةٌ في تأويل الحديث وسنده ، فأصبح الذي طعن في الحديث ومعناه ، قد طُعِنَ أنفُهُ واعْوَجَّ ، وقيل له : إيْ واللهِ سفهاء مكة من أهل الجنّة ، سفهاء مكة من أهل الجنة ، سفهاء مكة من أهل الجنة . فأدركه رَوْعٌ وخرج إلى الذي كان مكابره في الحديث من علماء عصره ، وأقرّ على نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وفيما لا يحيط به خُبْراً . انتهى باختصار .

وبلغني أنّ الرجل المنكِر للحديث هو الإمام تقي الدّين محمد بن إسماعيل ابن أبي الصيف اليمني الشافعي نزيل مكة ومفتيها ، وبلغني أنه كان يقول : إنّما الحديث أسْفَى مكة أي المحزونون فيها على تقصيرهم ، والله أعلم .

ومن الأخبار الواردة في فضل أشراف مكة ، ما ذكره الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الغفّار ابن القاضي معين الدين أبي العباس أحمد بن عبد المجيد الشهير بابن نوح الأنصاري الخزرجي الأقصري المولد القوصي الدار في كتابه « المنتقى من كتاب الوحيد في سلوك طريق أهل التوحيد والتصديق والإيمان بأولياء الله تعالى في كل زمان » لأنه قال : وأخبرتني الحاجّة أم نجم الدين بنت مطروح ، وكانت من الصالحات ، وكانت زوجة القاضي سراج الدين قالت : حصل لنا غلاء بمكة شرّفها الله تعالى ، وأكل الناس الجلود ، وكنّا ثمانية عشر نفراً ، فكنّا نعمل ما مقداره نصف قدح حَسْوَة ، فبينما نحن كذلك إذا جاءنا أربعة عشر قطعة دقيق ، وجاء خلفها أهل مكة شرّفها الله تعالى ، فاقتطعت منها أربع

---

(١) أخبار مكة ٢/١٥١ .

Marfat.com

قطع وقلت له : أنت تريد تقتلنا بالجوع ، وفرَّق العشْرَ القِطع على أهل مكة ، فلما كان الليل قام من منامه مرعوباً ، وربما قالت فبكى ، فقلت له : ما بالك ؟ قال : رأيت الساعة ، أو رأيت في منامي فاطمة بنت النبيّ ﷺ ورضي عنها وهي تقول : يا سراج تأكل البُرَّ وأولادي جياع . !! فقام وفرَّق الأربع قِطَع على الأشراف ، وبقينا بلا شيء ، وما كنا نقدر على القيام من الجوع . انتهى .

وروينا في أصل هذا الكتاب من تاريخ الأزرقي وغيره أخباراً أُخر تدلّ على فضل أهل مكة ، تركنا ذِكْرها هنا اختصاراً .

ذكر شيء من فضل جُدّة ساحل مكة وشيء من خبرها

قال الفاكهي : حدّثنا عبد الله بن منصور عن سليم بن مسلم عن المثنّى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله ﷺ : مكة رباط وجدّة جهاد . حدثنا إبراهيم بن أبي يوسف حدّثنا يحيى بن سُلَيْم عن ابن جُرَيْج قال : سمعت عطاء[1] يقول : إنّما جُدَّه حرانة مكة ، وإنّما يؤتى به إلى مكة ولا يُخْرَجُ به منها . حَدّثنا ابن أبي يوسف قال : حدّثنا يحيى بن سُلَيم عن أبي جُرَيْج قال : مكة رباط وجدّة جهاد . قال ابن جُرَيْج : إنّي لأرجو أن يكون فضل مُرابِط جُدَّة على سائر المرابط ، كفضل مكة على سائر البلدان .

حدّثنا محمد بن علي الصايغ حدّثنا خليل بن رجاء قال : حدّثنا مسلم أبو يونس قال : حدّثني محمد بن عمر عن حنو بن فجر قال : كنت جالساً مع عَبَّاد بن كثير في المسجد الحرام فقلت : الحمد لله الذي جعلنا في أفضل المجالس وأشرفها ، قال وأبي عن جدّه : الصلاة فيها سبعة عشر ألف ألف صلاة ، والدرهم فيها مائة ألف ، وأعمالها بقدر ذلك ، يغفر للناظر فيها مدّ بصره قال : قلت رحمك الله مما يلي البحر ؟ قال : مما يلي البحر . ثم قال الفاكهي : حدّثنا

---

(١) هو عطاء بن أبي رباح ، كما ورد في خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ص ١٢٥ .

Marfat.com

إبـراهيم بن أبي يوسف قـال : حـدّثنـا يحيى بن سليم قـال : سمعت عبـد الله بن سعيـد بن قنديـل قال : جـاءنا فـرقد السنجي بجُـدَّة فقال : إنّي رجـل أقـرأ هـذه الكتب ، وإنّي لأجَد فيما أنزل الله عزّ وجلّ من كتبه جُدّة أو جديد يكون بهـا قتلى وشهداء ، لا شهيد يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم . وقال بعض أهل مكـة : إنّ الحبشة جاءت جُدَّة في سنة ثلاثٍ وثمانين في مصدرها ، فوقعوا بـأهل جُـدَّة ، فخرج الناس من مكـة إلى جدّة وأميـرهم عبد الله بن محمـد بن إبراهيم ، فخـرج الناس غُزاةً في البحر ، واستعمل عليهم عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي . وجدتُ هذا في كتاب أعطانيه بعض المكّيّين عن أشياخه يذكر هذا. انتهى. وإبراهيم جدّ عبدالله ابن محمد أمير مكـة ، هـذا هو إبراهيم المعروف بالإمـام بـن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أخو السفّاح والمنصور حفيده عبـد الله هذا ولي مكـة للرشيد بن المهدي بن المنصور العبـاسي . وعلى هذا فسنـة ثلاث وثمـانين المشار إليهـا في هذا الخبر سنة ثلاث وثمانين ومائة .

وفي بعض الكتب أنّ إسم عبد الله هذا عُبَيد الله ، والله أعلم بالصواب .

وجُدّة هي الآن ساحـل مكة الأعـظم . وعثمان بن عفـان رضي الله عنه أول من جعلها ساحـلاً ، بعد أن شـاور الناس في ذلـك ، لما سئـل فيه في سنـة ستٍّ وعشرين من الهجرة ؛ وكانت الشُعَيْبَة ساحل مكة قبل ذلك .

وذكر ابن جُبَيْر أنه رأى بجُدَّة أثـر سور مُحْـدِق بها ، وذكـر أنّ بها مسجـدين يُنْسبـان لعمر بن الخـطّاب رضي الله عنه ، وأنّ أحـدهما يقـال له مسجـد الأبنوس لسـاريتين فيه من خشب الأبنـوس . وهذا المسجـد معروف إلى الآن ، والمسجـد الآخر غير معروف ، ولعلّه والله أعلم المسجد الذي تقام الجمعة فيه بجـدّة ، وهو من عمارة الملك المظفّر صاحب اليمن على مـا بلغني ، وذكر ابن جُبَيـر أيضاً أنـه كـان بجدّة مـوضعٌ فيـه قبّة مشيّـدة عتيقة يـذكر أنهـا منزل حـوّاء أم البشر زوج آدم

Marfat.com

عليهما السلام[1] . انتهى . ولعلّ هذا الموضع هو الموضع الذي يقال له قبر حوّاء ، وهو مكان مشهور بجدّة أن لا مانع من أن تكون نزلت فيه ودُفنت فيه ، والله أعلم . وأستبعد أن يكون قبر حوّاء بالموضع المشار إليها لكنّ ابن جبير لم يذكره ، وما ذاك إلاّ لخفاية عليه ، فهو فيما بعد رحلته من الزمن أخفى ، والله أعلم .

وروى الفاكهي بسنده إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ قبر حوّاء بجدّه . انتهى باختصار ، وبها دُور كثيرة .

ذكر شيء من فضل الطائف وخبره

أخبرني أبو هريرة بن الحافظ الذهبي بقراءتي عليه في الرحلة الأولى بغوطة دمشق أنّ يحيى بن محمد بن سعد الأنصاري أخبره سماعاً وتفرّد بالسماع منه قال : أخبرنا أبو المنجّا بن اللّتي وغيره قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد البزّار قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درْستَوَيْه النحوي قال : أخبرنا أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفَسَوِي[2] قال : حدّثنا أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي القرشي ثم الأسدي قال : حدّثنا عبد الله بن الحارث بن عبد الملك المخزومي قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن إنسان عن أبيه عن عروة بن الزبير عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيَّةَ . قال الحُمَيْدِي : مكانٌ بالطائف ، حتى إذا كنّا عند السدْرة وقف رسول الله ﷺ عند طرف القرن الأسود حذوها فاستقبل نَجِباً ـ قال الحميدي : مكان بالطائف يقال له نخب ـ ببصره ، ثم وقف حتى اتفق الناس ، ثم قال : إنّ صيد وَجّ وعضاهه حرم محرّم لله عَزّ وجلّ ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً . روينا هذا الحديث هكذا في الأول من مشيخة الفَسَوي[2] عن الحُمَيدي ، وهو في سُنن أبي داود[3]

---

(١) رحلة ابن جبير ـ ٥٣٥٥ ـ طبعة دار صادر ، بيروت ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م .

(٢) هو صاحب كتاب « المعرفة والتاريخ » ، وورد في المطبوع « العسوي » وهو تحريف .

(٣) في المناسك ٩٣ .

Marfat.com

ومُسْنَد ابن حنبل[1] ، وإسناده ضعيف على ما قال النووي ، وقال : قال البخاري : لا يصحّ ، وقال في « الإيضاح » ويحرم صيد وَجّ ، وهو وادٍ بالطائف ، لكنْ لا ضمان فيه ، انتهى .

وذكر المحبّ الطبري في تحريم صيد وجّ احتمالين لأنه قال : وتحريمه يحتمل أن يكون على وجه الحمى له ، وعليه العمل عندنا ، ويحتمل أن يكون حرمه في وقت ثم نُسِخ . قال : ونَخِب بفتح النون وكسر الخاء المعجمة ، وادٍ بالطائف ، وقيل هو وادٍ بأرض هذيل قال : والقرن جبل صغير ورأسه مشرف على وهدة . قال : ووَجّ بفتح الواو وتشديد الجيم ، قيل هو أرض الطائف نفسه يسمى بوَجّ ابن عبد الحق من العمالقة . انتهى .

ووَحّ بالحاء : ناحية نعمان . ذكره الحازمي من الأماكن فيما حكى عنه النووي [2] ، وذكر أنّ وَجّاً بالجيم ربما اشتبه بوَحّ بالحاء . قال : وقال الحازمي : وَجّ إسم لحصون الطائف ، وقيل لواحد منها ، قال : وقال في « المهذّب » هو وادٍ بالطائف . انتهى .

وقال صاحب « المَطَالع » : هو وادي وَجّ على يومين من مكة . انتهى .

قال المحبّ الطبري ، وقد جاء في الحديث أنّ وَجّاً مقدّس . انتهى .

وروى الفاكهي : حدّثنا من رواية خَوْلَة بنت حكيم أمرأة عثمان بن مظعون أنّ النبيّ ﷺ قال : إنّ آخر وطأة وطئها الله تعالى بوَجّ ، وقال الفاكهي : قال سفيان يعني ابن عُيَيْنَة في تفسيره : آخر غُزاة غزاها رسول الله ﷺ غزوة الطائف ، لقتاله أهل الطائف في « الصحاح » للجوهري : آخر وطأة وطئها الله بوَجّ ، وأحسن ما قيل في ذلك ما كان شيخنا أبو محمد محمد بن الحافظ عبد العظيم بن

---

(١) ج ١/١٦٥ .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ٢/١٩٨ .

Marfat.com

عبد القويّ المنذري يقول : آخر غزوة وطأ الله بها أهـل الشرك غـزوة الطائف بـإثر فتح مكة شرّفها الله تعالى. ذكر ذلك المَيُورقي في جزء ألّفه سماه : « بهجة المُهَج في بعض فضـائـل الـطائف ووَجّ » ، وفيـه أسئلة غـريبـة . ومما ذكـره في فضـل الـطائف ، وروي في قـولـه عـز وجـل ﴿ ويُتِمَّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْـكَ ﴾ أي بفتـح مكـة ، والطائف أهم البلاد عليه وأحبّها إليـه . وقال المفسّـرون في قولـه تعالى : ﴿ لـولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجلٍ من الْقَرْيتين عَظيم ﴾[1] قـالوا : همـا مكة والـطائف ، فقرن الله جل جلاله الطائف ببيته ، وفي ذلك غاية الفخر الـذي تعجز العبـارة عن كنهه وقدره وماهيته . انتهى .

. وقال الفاكهي : في الآية الأخيرة أنهـا نزلت في مكـة والطائف فيمـا يقال ، وحكى في الرجل قولين[2] : أحدهمـا أنّ عُتْبة بن ربيعـة بن عبد شمس ، والآخـر أنـه مسعود بن مُعْتِب الثقفي ، قـال : وأما الـطائف فهي من مخاليف مكـة ، وهي بلد طيّب الهواء بارد الماء ، كان له خطر عند الخلفاء فيمـا مضى ، وكان الخليفـة يولّيها رجلاً من عنده ، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة . انتهى .

وبالطائف آثار تُنسب للنبيّ ﷺ ، منها السِّدْرة التي انفرجت لـه نصفين حتى جاز بينهما ، وبقيت على ساقين ، وذلك لما اعترضته في طريقه وهو سـاير وسنـان ليلاً في غزوة الطائف ، على ما ذكره ابن فُوْرَك [3] ، فيما حكاه عنه القاضي عِياض

---

(١) سورة الزخرف ـ الآية ٣١ .

(٢) قال الخازن : اختلفـوا في هذا الـرجل العـظيم ، قيل الـوليد بن المغيـرة بمكة ، وعـروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة ، وكنانة بن عبد ياليـل الثقفي من الطائف . وقـال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكـة ، ومن الطائف حبيب بن عميـر الثقفي ، وفي عبارة الأمـل ارتباك مرجعه إلى سقوط تتمّة القولين .

(٣) هـو أبو بكـر محمد بن الحسن الأصبهـاني المتكلّم . تـوفي سنـة ٤٠٦ هـ . (أنـظر عنـه : الـوافي بالوفيات ٢/٣٤٤ ، الرسالة القشيـرية ٣١٠ ، تبيين كـذب المفتري ٢٣٢ ، إنبـاه الرواة ٣/١١٠ ، ١١١ ، وفيات الأعيان ٤/٢٧٢ ، ٢٧٣ ، العبر ١/٩٥ ، سير أعلام النبلاء ١٧/٢١٤ ـ ٢١٦ ، مرآة الجنان ٣/١٧ ، ١٨ ، طبقات الإسنوي ٢/٢٦٦ ، ٢٦٧ ، النجوم الزاهرة ٤/٢٤٠ ، تـاج التراجم ٤٦ ، شذرات الذهب ٣/ ١٨١).

Marfat.com

في « الشفا » وبعض هذه السدرة باقٍ إلى الآن ، والناس يتبرّكون به ، ومنها مسجد ينسب للنبيّ ﷺ في مؤخّر المسجد الذي فيه قبر السيد عبد الله بن العباس[1] رضي الله عنهما ، لأنّ في جداره القِبلي من خارجه حجراً مكتوباً فيه : أمرت السيدة أم جعفر بنت أبي الفضل[2] أمّ وُلاة عهد المسلمين أطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله ﷺ بالطائف وفيه أنّ ذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة ، والمسجد الذي فيه قبر ابن عباس رضي الله عنهما أظنّ أن المستعين العباسي عمّره مع ضريح ابن عباس رضي الله عنهما ، واسمه مكتوب في المنبر الذي في هذا المسجد ، واسم الملك المظفّر صاحب اليمن مكتوب في القبّة التي فيها ضريح ابن عباس رضي الله عنهما بسبب عمارته لها ، وبالطائف مواضع أُخَر تُنسب للنبيّ ﷺ معروفة عند أهل الطائف .

وذكر الحافظ أبو محمد القاسم ابن الحافظ أبي القاسم علي بن عساكر خبراً في فضل أهل الطائف نقله عن المحبّ الطبري في « القرى » ونصّ ذلك على ما في القرى عن عبد الملك بن عَبّاد بن جعفر ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل المدينة وأهل الطائف . انتهى .

واختلف في سبب تسمية الطائف بالطائف فقال السُهَيْلي : ذكر بعض أهل النَسب أنّ الدمُّون بن الصّدف ، وإسم الصدف مالك بن مالك بن مربع بن كندة من حضرموت ، أصاب دماً من قومه ، فلحق ثقيفاً فأقام بها وقال لهم : ألا أبني لكم حائطاً يطيف بدمدم ، فبناه فسُمّي به الطائف[3] ذكره البكري[4] واعترض عليه السُهَيْلي فما ذكره في نسب الدمُّون ، وأفاد شيئاً من خبره وخبر ولده : وذكر ابن الكلبي ما يوافق هذا القول .

---

(١) توفي عام ٦٨ هـ بالطائف .

(٢) يريد بها السيدة زبيدة زوج الرشيد وأمّ وليّ عهده الأمين ، ونُسب المأمون والمعتصم إليها تجوُّزاً ، وكانت قد زارت الحجاز وأدخلت فيه بعض الاصلاحات وبَنَت العمائرَ وأجلّها عين زبيدة التي بمكة .

(٣) الروض الأنف ٤/١٦١ .

(٤) معجم ما استعجم ٢/٥٥٧.

Marfat.com

وقيل في تسمية الطائف أنّ جبريل عليه السلام طاف به حول الكعبة على ما ذكر بعض المفسّرين لأنه قال في تفسير قوله تعالى في سورة (ن) ﴿ فطاف عليهم طائف من ربّك وهم نائمون ﴾[1] أنّ جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ، ثم أنزلها الله تعالى حيث الطائف اليوم فسُمّيت بإسم الطائف الذي طاف عليها وطاف بها . انتهى باختصار من كتاب السُهَيْلي .

ونقل المَيُورقي عن الأزرقي : أنّ الطائف سُمّي بالطائف لطواف جبريل به سبْعاً حول البيت لما اقتلعه من الشام ، لدعوة الخليل عليه السلام حيث يقول : « وارْزُقْ أهله من الثمرات » الآية[2] ، والله أعلم بالصواب .

وقد أتينا على جملة من فضل الطائف وخبره ، ومن غريب خبره ما ذكر المَيُورقي عن الفقيه أبي محمد عبد الله بن حموا النجاري عن شيخ الخدّام بالحرم النبوي بدر الشهابي أنه بلغه أنّ ميضاه وقعت في عين الأزرق في الطائف ، فخرجت بعين الأزرق بالمدينة على ساكنها السلام .

---

(١) سورة ن ـ الآية ١٩ .

(٢) ١٢٦ من سورة البقرة .

(٣) هذه الروايات وأشباهها من نقل جبريل للطائف من الشام ، وظهور الميضاه التي سقطت في عين الأزرق بالطائف فظهرت بالمدينة ، من الأساطير القديمة وأوهام العوّام التي لا دليل عليها ولا يصدّقها العقل .

الباب السابع

في أخبار عمارة الكعبة المعظّمة

لا شكّ أنّ الكعبة المعظَّمة بُنيت مرات ، وقد اختلف في عدد بنائها ، ويتحصّل من مجموع ما قيل في ذلك أنها بُنيت عشر مرّات : منها بناء الملائكة عليهم السلام ، ومنها بناء آدم عليه السلام ، ومنها بناء أولاده ، ومنها بناء الخليل إبراهيم عليه السلام ، ومنها بناء العمالقة ، ومنها بناء جُرْهُم ، ومنها بناء قُصَيّ بن كِلاب ، ومنها بناء قريش، ومنها بناء عبد الله بن الزُّبير بن العوّام الأسدي رضي الله عنه ، ومنها بناء الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وإطلاق العبارة بأنه بنى الكعبة تجَوُّزٌ لأنه لم يبن إلاّ بعضها كما سيأتي بيانه ، ولم أذكر ذلك إلاّ لكون السُّهَيْلي والنووي ذكرا ذلك في عدد بناء الكعبة[1] .

ووجدت بخط عبد الله بن عبد الملك المرجاني أنّ عبد المطّلب جدّ النبيّ ﷺ بنى الكعبة بعد قُصَيّ وقبل بناء قريش ، ولم أر ذلك لغيره ، وأخشى أن يكون وهماً ، والله أعلم .

فأمّا بناء الملائكة للكعبة فذكره الأزرقي في تاريخه[2] وذكر أنّ ذلك قبل خلق آدم عليه السلام ، واستدلّ على ذلك بخبر رواه عن زين العابدين ، وذكر من

---

(١) أنظر الروض الأنف ١/٢٢١ . وتهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ٢/١٢٤ .
(٢) أخبار مكة ١/٣٢ ، ٣٣ .

Marfat.com

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً ما يدلّ لبناء الملائكة للكعبة .

وذكر النووي في « تهذيب الأسماء واللغات »[1] بناء الملائكة للكعبة ، وعدَّ ذلك أول بنائها ، ولم يذكر بناء آدم للكعبة ، وذلك عجيب منه ، لأنّ بناءآدم في الشهرة كبناء الملائكة أو أشهر ، وإنْ كانا غير ثابتين ، وكلا البنايتين على تقدير صحّتهما تأسيس ، والله أعلم .

فأما بناء آدم عليه السلام فروينا فيه خبراً مرفوعاً في كتاب « دلائل النبوّة» للبيهقي ، ولفظه : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : حدّثنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي قال : حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال : حدّثنا أبو صالح الجهني قال : حدّثني ابن لهيعة عن يزيد عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما : أبنيا لي بيتاً ، فخطّ لهما جبريل ، فجعل آدم يحفر وحوّاء تنقل التراب حتى أجابه الماء فنودي من تحته : حسبك يا آدم فلما بناه الله إليه أن تطوف به ، وقيل له : أنت أول الناس وهذا أول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجّة نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه . قال البيهقي : تفرّد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً .

وذكر الأزرقي بناء آدم للكعبة واستدلّ له بخبرين رواهما عن ابن عباس رضي الله عنهما في أحدهما أنه بناه من خمسة أجبُل : لبنان ، وطُور زيتا ، وطور سيناء ، والجوديّ ، وحِراء ، حتى استوى على الأرض[2] وفي الآخر : كان آدم عليه السلام أول من أسس البيت وصلّى فيه[3] ، وفي مصنّف عبد الرزّاق أنّ آدم بنى البيت من هذه الخمسة الجبال وأنّ مربضه كان من حراء .

---

(١) ج ٢ ق ٢/١٢٤ .
(٢) أخبار مكة ١/٣٧ .
(٣) أخبار مكة ١/٣٧ .

قال المحبّ الطبري : والمربض هنا هو الأساس المستدير بالبيت .

وذكر الأزرقي بسنده إلى ابن اسحاق ما يـدلّ لبناء آدم الكعبـة في أثناء خبـر بناء الخليل عليه السلام للكعبة[1] واختُلِفَ هل بنـاء الملائكـة قبل بنـاء آدم أو بناء آدم قبل الملائكة ؟ وذكر الأزرقي رحمـه الله ما يشهـد للقولين . وذكـرنا ذلـك في أصل هذا الكتاب .

ذكر البيت المعمور الذي أنزله الله على آدم وشيء من خبره

روينا في تاريخ الأزرقي عن مقاتل يرفـع الحديث إلى النبيّ ﷺ في حـديث حدّث به أنّ آدم عليـه السلام قـال : أي ربّ إنّي أعرف شقـوتي : إنّي لأرى شيئاً من نـورك يتعبّد فيـه فأنـزل الله عزّ وجـلّ عليـه البيت المعمـور على عـرض البيت وموضعه من ياقوتة حمراء ، ولكنّ طولها كمـا بين السماء والأرض وأمـره أن يطوف بها ، فأذهَبَ الله عنه الغمّ الذي كان يجد قبل ذلك ، ثم رُفع على عهد نـوح[2] . وأما بناء آدم للكعبة فذكـره الأزرقي لأنه روى بسنـده إلى وهـب بن منبّه قـال : لما رُفعت الخيمة التي عرّى الله بهـا آدم عليه السـلام من حلّته الجنـة حين وُضعت له بمكة في موضع البيت ، ومات آدم عليه السلام ، فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتاً بالطّين والحجارة ، فلم يزل معموراً يعمرونه هم ومن بعدهم ، حتى كان زمن نوح عليـه السلام ، فنسفـه الغرق[3] وغيّـر مكانـه حتى بُوِّيء لابـراهيم عليه السـلام ، انتهى .

وقال الحافظ أبو القاسم السُهَيلي[4] في الفصل الذي عقـده لبنيان الكعبة :

---

(١) أخبار مكة ١/٦٤ .
(٢) أخبار مكة ١/٥١ .
(٣) أخبار مكّة ١/٣٨ .
(٤) الروض الأنف ١/٢٢١ .

وكـان بنـاؤ هـا في الـدهـر خمس مـرات : الأولى حين بنـاهـا شيث بن آدم عليـه السلام ، انتهى .

قلت : هـذا يخالف مـا تقدّم في من بنى الكعبـة أولاً هل هـو المـلائكـة أو آدم ؟ ولعل السبب عند من قال : إنَّ شِيثاً أول من بنى الكعبـة كون بنـائه كـان بيتاً بالطّين والحجـارة ، بخلاف بنـاء آدم ، فإنـه كان بنـاء لأساس البيت كمـا في خبر بنيانه ، وأنزل الله عليه من الجنة البيت الذي كان يطوف به ، وهو البيت المعمـور كما سبق ، ولعلّه الخيمة المشار إليها في خبر وهب بن منبّه ، والله أعلم .

ولعلّ سبب نسبة هذا البناء لشِيث بن آدم كونه كـان وصيّ أبيه ، كمـا يُرْوَى عن وهب بن منبّه ، والله أعلم . وأما بناء الخليل عليـه السلام فهـو ثابت كمـا في القرآن العظيم والسّنّة الشريفة ، وهو أول من بنى البيت على مـا ذكر الفـاكهي عن علي بن أبي طـالب رضي الله عنـه ، وجـزم بـه الشيـخ عمـاد الـدين بن كثيـر في تفسيره ، وقال لم يجيء خبر عن معصوم ، إذ البيت كان مبنيّاً قبل الخليل انتهى .

وروينـا في تاريـخ الأزرقي عن ابن إسحاق أنّ الخليـل لما بنى البيت جعـل طـوله في السمـاء تسعة أذرع وعـرضه في الأرض اثنين وثـلاثين ذراعـاً من الـركن الأسود إلى الركن الشامي الذي عنده الحجر من وجهه، وجعل عرض ما بين الـركن الشامي إلى الركن الغـربي اثنين وعشرين ذراعـاً ، وجعل طـول ظهرهـا من الركن الغربي إلى الركن اليمـاني أحداً وثـلاثين ذراعاً ، وجعـل عرض شقّهـا اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرين ذراعاً، وجعل بابهـا بالأرض غيـر مبوّب ، وحفـرهـا في بـطن البيت على يمين من دخله يكـون خـزانـة للبيت ، وكـان يبني وإسماعيل ينقل له الحجارة على رقبته[1] .

وذكر ابن الحاجّ المالكي في منسكه شيئاً من خبر بنـاء إبراهيم عليـه السلام الكعبة فقال : وكان صفة بناء إبراهيم عليه السلام للبيت أنه كان مدوّراً من ورائه ،

---

(١) أخبار مكة ١/ ٦٤ ، ٦٥ .

Marfat.com

وكان له ركنان وهما اليمانيان فجعلت قريش حين بنوه أربعة أركان . انتهى .

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أما والله ما بنياه بقصب[1] ولا مدر ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه ولكنهما أعلياه وطافا به .

وروينا عن عثمان بن ساج أنه بلغه أنّ الخليل بنى الكعبة من سبعة أجبُل .

وروينا عن أبي قُلابة أنه بناه من خمسة أجبل : حراء ، وثَبير[2] ، ولبنان ، والطوْر ، والجبل الأحمر .

وروينا عن قَتَادة قال : ذكر لنا أنه يعني الخليل بناه من خمسة أجبل : من طور سيناء ، وطور زيتا[3] ، ولبنان ، والجُودِيّ[4] ، وحراء . قال : وذكر لنا أنّ قواعده من حراء . انتهى . ويروى أنه أسس البيت من ستة أجبل : من أبي قُبَيْس ، ومن الطُور ، ومن القدس ، ومن ورقان ، ومن رَضْوَى ، ومن أُحُد[5] . انتهى .

قلت : هذا يعكّر على الحكمة التي ذكرها السُهَيلي في كون الخليل بنى الكعبة من خمسة أجبُل على ما قيل ، لأنه قال بعد أن ذكر أنّ الخليل عليه السلام بنى الكعبة من خمسة أجبل هي : طور زيتا ، وطور سيناء ، والجودي ، ولبنان ،

---

(١) القصب : الغاب ، والمَدَر : الحجارة .

(٢) ثبير : إنّ الأثبرة بمكة كثيرة منها ثبير الأعرج ، وثبير غَيْنَى ، يقول ياقوت وهما (حِرَاء) والجبل الذي بمنى على يمين الهابط من مزدلفة إلى منتهى منى عند جمرة العقبة . يقال له ثبير أيضاً ، وبمزدلفة جبل يقال له ثبير ، وهو على يسار الذاهب إلى منى . وهناك أثبرة أخرى أيضاً منها الجبل الذي بين خندمة وأبي قبيس . ومنها جبل الزنج يقال له ثبير الزنج وهو الجبل المعروف عند أهل مكة الآن بجبل الحفائر كما يغلب على الظن . (معجم البلدان ٢/٧٢ ، ٧٣) .

(٣) « طور زيتا » جبل في القدس مشرف على المسجد الأقصى .

(٤) « الجودي » . جبل يطلّ على دجلة وعلى جزيرة ابن عمر وهي قرية من أعمال الموصل . وعلى هذا الجبل استوت سفينة نوح عليه السلام لما نضب ماء الطوفان .

(٥) وأنظر ما رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٢/١٢٠ ـ ١٢٤ من أحاديث عن جبال الجنة أو التي بُنيت بها الكعبة . وكذلك ما رواه ابن شداد في الأعلاق الخطيرة ٢/٣٥ .

Marfat.com

وحراء : « وانتبه لحكمة الله تعالى كيف جعل بناءها من خمسة أجبل : فشاكل ذلك معناها ، إذ هي قبلة الصلوات الخمس وعمود الإسلام ، وقد بُني على خمس[1] . انتهى .

وأما بناء العمالقة وجُرْهُم للكعبة فذكره الأزرقي لأنه روى بسنده عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال في خبر بناء إبراهيم للكعبة : ثم انهدم فبنته العمالقة ، ثم انهدم فبنته قبيلة من جُرْهُم ، ثم انهدم فبنته قريش[2] . انتهى .

وذكره الفاكهي لأنه روى بسنده عن علي رضي الله عنه قال : أول من بنى البيت إبراهيم ، ثم انهدم فبنته جُرْهُمْ ، ثم هُدِم البيت فبنته العمالقة ، ثم هُدم فبنته قريش .

قلت : هذا يقتضي أنّ جُرْهُماً بَنَتْ البيت قبل العمالقة ، والخبر الأول يقتضي أنّ العمالقة بَنَتْه قبل جُرْهُم ، وبه جزم المحبّ الطبري في « القرى » والله أعلم .

وذكر المسعودي[3] ما يقتضي أنّ الذي بنى الكعبة من جُرْهُم هو الحارث بن مُضاض الأصغر ، لأنه لما ذكر خبرهم قال فيه : إنّ الحارث هذا زاد في بناء البيت ورفعه كما كان عليه من بناء إبراهيم . انتهى ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

وأما بناء قُصَي بن كِلاب ، فذكره الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب « النسب » لأنه قال : وقال غير أبي عبيدة من قريش بن عبد العُزَّى بن عمران العنبسي : أخذ قُصَيّ في بنيان البيت وجمع نفقته ثم هدمها فبناها بنياناً لم يبن أحد ممّن بناها مثله ، وجعل وهو يبنيها يقول :

---

(١) الروض الأنف ١/٢٢٣ .
(٢) أخبار مكة ١/٦٢ .
(٣) مروج الذهب ٢/٤٧ طبعة السعادة بمصر ١٩٦٤ .

Marfat.com

ابـني وبـيـتـي الله يـرفـعـهـا ... وليبـن أهــل ورّاثهــا بـعــدي
بيتـاً بهـا وتمــامهـا وحجــابهـا ... بيــد الإلــه وليس بــالعبــدي

فبنـاها وسَقَفَهـا بخشب الدّوم الجيّـد وبجريـد النخل ، وبنـاها على خمسـة وعشرين ذراعاً ، فلذلك يقول أعشى بكر بن وائل :

فـإني وثـوبي راهب اللّجّ والتي ... بناها قُصَيٌّ والمضاض بن جُرْهُم
لئن جـدّ أسبـاب العـداوة بيننـا ... لترحلنّ منّي على ظهر شيهم[1]

وذكر الزبير بن بكار في مـواضع أُخـر ما يشهـّد له . وسيـأتي ذكره في خبـر قُصَيّ ، ونقل ذلك كلّه عن الزبير ، الفاكهي في كتاب أخبار مكة ، وقال بعد ذكره لخبر عبد العزيز بن عمران : يعني بالشيهم : القنفذ .

وذكر الفاكهي بنـاء قُصيّ عن غير الـزبير لأنـه قال في خبـر قُصَيّ ، وحدثني عبــدالله بن أبي سلمـة حــدّثنـا عبــدالله بن يـزيــد عن ابن لهيعـة عن محمــد ابن عبـدالرحمن أبي الأسـود قال : بلغني أنّ قُصَيّ بن كـلاب بنى البيت بعـد بنـاء ابراهيم ثم بنته قريش . انتهى .

وذكر أبو عبـد الله محمد بن عـائذ الـدمشقي في مغازيـه أنّ قُصَيّ بن كِلاب بنى البيت ، وجزم به الماوردي في « الأحكام السلطانية » لأنه قال : فكأنّ أول من جدّد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم ﷺ قُصَيّ بن كلاب وسَقَفَها بخشب الـدُوم وجـريد النخل[2] . انتهى . ولم يـذكـر ذلـك الأزرقي رحمـه الله والله أعلم بحقيقـة ذلك .

وأما قول عبد العزيز بن عمران في الخبر الذي ذكره الزبير بن بكّار : وبنـاها على خمسـة وعشرين ذراعـاً ، ففيه نـظر ، لأنه إنْ أراد بـه أنّ قُصَيّاً جعـل ارتفـاع الكعبة خمسة وعشرين ذراعاً كان مخالفاً لما اشتهر في الأخبار من أنّ الخليل عليه

---

(١) الشيهم : القنفذ ، وسيأتي في المتن بعد قليل . وانظر البيتين في « الأحكام السلطانية ٦٠ » ففيه اختلاف في الألفاظ .
(٢) الأحكام السلطانية ١٦٠ .

Marfat.com

السلام جعل طولها تسعة أذرع ، وأنّ قريشاً زادت في طولها تسعة أذرع ، وإن أراد قُصَيّاً جعل عرضها خمسة وعشرين ذراعاً فالمعروف أنّ عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعاً في بناء الخليل لها ، بل يزيد على خلاف في مقدار الزيادة ، وإذن أراد عرضها من الجهة الشامية واليَمانية فعرضها في هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعاً ثلاثة أذرع أو أزْيَد ، وكل من بنى الكعبة بعد إبراهيم لم يبنها إلاّ على قواعده ، غير أنّ قريشاً اقتصرت من عرضها في الجهة الشرقية والغربية أذرُعاً عن أساس إبراهيم عليه السلام ، لأمر اقتضاه الحال ، وصنع ذلك الحجّاج بعد ابن الزُبير عِناداً ، كما سيأتي بيانه .

وأما بناء قريش الكعبة فهو ثابت كما في السُنّة الشريفة الصحيحة عن النبي ﷺ وحضره ﷺ وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، كما جزم به ابن إسحاق وغير واحد من العلماء ، وقيل ابن خمس وعشرين سنة : كما جزم به موسى بن عقبة في مغازيه وابن جماعة في منسكه ، ونقله مغلطاي عن تاريخ يعقوب بن سفيان ، وقيل ابن ثلاثين سنة حكاه ابن خليل في منسكه وجزم به ، وهذا القول غير معروف وأظنّه سقط من كتابه لفظة « خمس » بين ابن وبين ثلاثين ، والله أعلم .

وقيل إنه ﷺ كان حين بناء قريش للكعبة غلاماً ، ذكر هذا القول الأزرقي لأنه قال في ترجمةٍ ترجم عليها بقوله : ذكر ما كان عليه ذرع الكعبة حين صار إلى ما هو عليه إلى اليوم من خارج وداخل ، ثم بَنَتْها قريش في الجاهلية والنبي ﷺ يومئذ غلام . انتهى .

وذكر الفاكهي ما يوافق ذلك وفيما ذكره بيان لِسِنِّ النبي ﷺ حين كان غلاماً لأنّ الغلام يقع على الصّبّي من حين يولد إلى حين يبلغ ، وما ذكره الفاكهي في ذلك مذكور في الترجمة التي ترجم عليها بقوله : ذكر ما كانت عليه الكعبة في عهد إبراهيم عليه السلام من الطول والعرض إلى يومنا هذا ، لأنه قال : ثم بَنَتْها قريش في الجاهلية ، وقد كتبنا بناءها في موضع بناء قريش الكعبة والنبي ﷺ يومئذ قد ناهز الحلم . انتهى .

Marfat.com

وهذا القول والقول الذي ذكره ابن خليل غريبان لمخالفتهما المشهور في سِنّه ﷺ حين بَنَتْ قريش الكعبة ، وهو ما ذكره ابن إسحاق أو ما ذكره ابن عقبة ، ولم أر من ذلك القول الذي ذكره ابن خليل ، والله أعلم . وهو ﷺ الذي وضع الحجر الأسود موضعه من الكعبة حين اختلفت قريش في ذلك ، وكان سبب بنائهم لها لونها من الحريق الذي أصابها حين جمرت ، والسيل العظيم الذي دخلها وصدع جدرانها بعد توهّنها بالحريق ، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأرض ثمانية عشر ذراعاً ، منها تسعة أذرُع زائدة على طولها حين عمّرها الخليل عليه السلام ، واقتصروا من عرضها أذرُعاً جعلوها في الحجر ، لقصر النفقة الحلال التي أعدّوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ورفعوا بابها ليُدْخِلُوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، وكبسوها بالحجارة وجعلوا في داخلها ستّ دعائم في صفَّين ثلاث في كل صف من الشقّ الذي يلي الحجر الى الشقّ اليماني ، وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يُصْعَد منها إلى سطحها ، وجعلوها سطحاً ، وجعلوا فيه مِيزابا يصبّ في الحجر ، هذا ملخّص بالمعنى مختصر مما ذكره الأزرقي في خبر بناء قريش[1] ، وقد ذكرناه بكماله في أصل هذا الكتاب ، مع ما ذكره ابن اسحاق في ذلك وفوائد أُخر تتعلّق بذلك .

وذكر الأزرقي والفاكهي في القدر الذي زادته قريش في طول الكعبة على بناء الخليل عليه السلام أمراً يُسْتَغْرب . أما الأزرقي فإنه قال في الترجمة التي ترجم عليها بقوله ما جاء في ذكْر بناء قريش الكعبة في الجاهلية : حدّثني جدّي عن داود بن عبد الرحمن العطّار قال : حدّثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم القاري عن أبي الطَفَيْل فذكر خبراً في بنيان قريش للكعبة ، وفيه : ثم هدموها وبنوها عشرين ذراعا طولها . انتهى .

وأما الفاكهي فإنه قال : وحدّثني عبد الله بن أبي سلمة بن زهر قال : حدّثنا

---

(١) راجع في ذلك أخبار مكة ١/١٥٧ وما بعدها .

Marfat.com

ابراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان عن أبيه عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال : قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان عالماً بأمر الجاهلية وبنيان البيت قال : إنّ قريشاً لما هدمت الكعبة فجعلوا يبنونها بأحجار الوادي تحملها قريش على رقابها ، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً ، وكانوا ينقلون الحجارة من أجياد[1] . انتهى باختصار . ووجه الغرابة في ذلك مخالفته لما ذكر الأزرقي والفاكهي وغيرهما ، من أنّ قريشاً جعلوا طول الكعبة لما بنوها ثمانية عشر ذراعاً .

وذكر الفاكهي أيضاً في من وضع الحجر الأسود في الكعبة حين بَنَتْها قريش أمراً يُسْتَغْرب أيضاً لأنه قال في أثناء خبر ذِكره : وزعم عَبّاد بن عبد الرحمن الأعرج مولى ربيعة بن الحارث قال : حدّثني من لا أتّهم عن حسّان بن ثابت ، وكان قد شهد بناءها قال : رأيت عبد المطلّب بن هاشم جالساً على سور الكعبة ، وهو شيخ كبير قد رُنِط له حاجباه ، وهم يختصمون في الركن ليرفعوه إليه ، فلما قضى فيه رسول الله ﷺ ما قضى ، ورفعته قريش في الثوب حتى وضعه رسول الله ﷺ بيده ، فرفعه إلى عبد المطّلب ، وكان هو الذي وضعه بيده ، فقال له محمد بن علي حين حدّثه : والله ما سمعت هذا من أحد من أهل بيتي ، وما سمعت أحداً يذكر إلاّ أنّ رسول الله ﷺ هو الذي وضعه بيده[2] . قال عثمان : قال محمد : وحُدِّثْتُ عن بعض أهل العلم أنّ عبد المطلب أخذ بيده وجعلت قريش أيديهما تحت يده ، ثم رفعوا حتى انتهوا به إلى موضعه ، فوضعه النبيّ ﷺ بيده ، كل ذلك قد سمعناه في الركن . انتهى .

ووجه الغرابة في كون عبد المطّلب وضع الحجر الأسود في الكعبة حين بَنَتْها قريش ، فمخالفته لما شتهر من أنّ النبيّ ﷺ هو الذي وضع الحجر الأسود بيده في الكعبة حين بَنَتْها قريش على ما هو مشهور وفي خبر بنائهم ، ويتأيّد ذلك

---

(١) لعلّه يريد وادي ابراهيم لقربه من الكعبة ومن أجياد كما ذكر بعد .

(٢) هذه الرواية بيّنة الضَعْف لأنّ الثابت أنّ عبد المطّلب توفي ورسول الله ابن ثمان سنوات .

Marfat.com

بأنّ عبد المطلّب مات وللنبي ﷺ ثمان سنين ، وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة أيام وقيل تسع سنين وقيل عشر سنين ، وقيل ست سنين ، وقيل ثلاث سنين . والكعبة بُنيت وللنبيّ ﷺ خمس وثلاثون سنة ، وقيل خمس وعشرون سنة على ما هو المشهور في سنّه حين بَنَتْها قريش[1] . وإذا كان كذلك فلا يكون عبد المطلّب وضع الحجر الأسود بيده حين بَنَتْها قريش ولا حضر بناءهم لها ، على أنّ الفاكهي ذكر في موضع آخر ما يقتضي أنّ عبد المطلّب حضر بناء قريش ذكر ذلك في خبر تبع .

وأما بناء ابن الزبير للكعبة فإنه ثابت مشهور . وسبب ذلك توهُّن الكعبة من حجارة المنجنيق التي أصابتها حين حُوصِر ابن الزبير بمكة في أوائل سنة أربع وستّين من الهجرة لمعاندته يزيد بن معاوية وما أصابها مع ذلك من الحريق بسبب النار التي أوقدها بعض أصحاب ابن الزبير في خيمة له ، فطارت الرياح بلهب تلك النار ، فأحرقت كسوة الكعبة والساج الذي بني في الكعبة حين عمرتها قريش ، فضعفت جدران الكعبة ، حتى إنها لينقض من أعلاها إلى أسفلها ويقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها ، ولما زال الحصار عن ابن الزبير لإدبار الحُصَين بن نُمَير من مكة بعد أن بلغه موت يزيد بن معاوية رأى ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها فوافقه على ذلك نفر قليل وكره ذلك نفر كثير ، منهم ابن عباس رضي الله عنهما . ولما أُجمع على هدمها خرج كثير من أهل مكة إلى مِنى مخافةَ أن يصيبهم عذاب ، وأمر ابن الزبير رضي الله عنهما جماعة من الحبشة فهدمتها رجاء أن يكون فيهم الحبشيّ الذي أخبر النبيّ ﷺ أنه يهدمها ، فهدمت الكعبة أجمع حتى بلغت الأرض ، وكان هدْم ابن الزبير لها يوم السبت في النصف من جُمادى الآخرة سنة أربع وستين ، وبناها على قواعد إبراهيم وأدخل فيها ما أخرجته منها قريش في الحجر ، وزاد في طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش في طولها

---

(١) المشهور أنّ الرسول كانت سنّه حينئذ خمسا وثلاثين سنة كما رواه ابن اسحاق « الروض الأنف جـ ١ ص ٢٢١ » .

Marfat.com

على بناء الخليل وذلك تسعة أذرُع ، فصار طولها سبعة وعشرين ذراعاً بتقديم السين وهي سبعة وعشرون مدماكاً[1] ، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض أحدهما بابها الموجود اليوم والآخر المقابل له المسدود ، واعتمد في ذلك وفي إدخاله في الكعبة ما أخرجته قريش منها في الحجر حين أخبرته به خالته عائشة رضي الله عنها يأتي ذكره ، وجعل فيها ثلاث دعائم في صفّ واحد وجعل لها درجة في ركنها الشامي يصعد منها إلى سطحها ، وجعلَ فيها ميزاباً يصبّ في الحجر ، وجعل فيها روازن للضوء . هذا ملحق بالمعنى مختصر مما ذكره الأزرقي في خبر بناء ابن الزبير للكعبة[2] ، وما ذكره من أنّ زيادة ابن الزبير تسعة أذرُع في طول الكعبة هو المشهور .

وروينا في صحيح مسلم[3] من حديث عطاء بن أبي رباح أنّ ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في طول الكعبة عشرة أذرُع ، وفيه ما يقتضي أنه لم يهدم الكعبة في الوقت الذي ذكره الأزرقي .

وصرّح ابن الأثير في « كامله »[4] بأنّ عمارة ابن الزبير للكعبة كانت سنة خمسٍ وستين ، ثم قال : وقيل كانت عمارتها في سنة أربع وستين ، وهذا يوافق ما ذكره الأزرقي ، والقول الأول موافق لما في مسلمٍ ، لأنّ فيه من حديث عطاء بن أبي رباح قال : لما احترق البيت زمان يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام ، وكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس في الموسم ، فلما صدر الناس قال : يا أيها الناس أشيروا عليّ في الكعبة أنقضها ثم أبنيها أو أصلح ما وهى منها ؟ . فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : إنّي أرى أن تصلح ما وهى منها وتدع بيتاً أسلم الناس عليه وحجارة أسلم الناس عليها ، وبُعث عليها النبيّ

---

(١) المدماك مقياس قديم لأهل مكة .
(٢) أخبار مكة ١/٢٠١ وما بعدها .
(٣) رقم ١٣٣٣ في الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها .
(٤) الكامل في التاريخ ٤/٢٠٧ .

Marfat.com

ﷺ ، فقال ابن الزبير : لو أنّ أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدّده ، فكيف ببيت ربّكم ؟ إنّي مستخير ربّي ثلاثاً ثم عازم على أمري ، فلما مضت الثلاثة أجمع رأيه أن ينقضها ، فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد عليه أمر من السماء حتى صعد رجل فألقى منه حجارة ، فلما لم ير الناس أصابه شيء تتابعوا ، فنقضوه حتى بلغ به الأرض . انتهى باختصار . ووجه مخالفة هذا لِما ذكره الأزرقي أنه يقتضي أنّ ابن الزبير لم يهدم البيت حتى صدر الناس من الموسم ، وصدورهم منه كان بعد حجّهم ، وزمن الحجّ غير الزمن الذي ذكره الأزرقي أنّ ابن الزبير هدم فيه البيت ، وقد سبق ذلك قريباً ، والله أعلم بالصواب . وتكون عمارة ابن الزبير للبيت على مقتضى حديث عطاء في آخر ذي الحجّة من سنة أربع وستين ، وفي سنة خمسٍ وستين ، وذلك يوافق ما جزم به ابن الأثير من بناء الكعبة ، والله أعلم .

ولم أر في تاريخ الأزرقي ذِكْر الوقت الذي فرغ فيه ابن الزبير من بناء الكعبة وهو سنة خمس وستين على ما ذكره المسبّحي في تاريخه على ما وجدت بخطّ الحافظ رشيد الدين بن الحافظ زكيّ الدين المنذري في اختصاره لتاريخ المسبّحي ، والله أعلم .

وذكر المحبّ الطبري ما يقتضي أنّ فراغ ابن الزبير من عمارة الكعبة كان في ليلة سابع عشر من رجب من سنة أربعٍ وستين ، لأنه قال في الترجمة التي ترجم عليها بقوله : ما جاء في عُمرة التنعيم في الباب الثامن والثلاثين من القرى بعد أن ذكر اعتماد ابن الزبير من التنعيم لما فرغ من بناء الكعبة .

وذكر أبو الوليد أنّ هدم الكعبة كان يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة أربعٍ وستين ، والظاهر أنّ ابتداء البناء عقيبه بعد الفراغ منه ، وأهل مكة يعتمرون في ليلة سبعٍ وعشرين من رجب في كل سنة ، وينسبون هذه العُمْرة إلى ابن الزبير ، ولا يبعد أن يكون بناء الكعبة امتدّ الى هذا التاريخ ، فإنّ تطابق الناس على ذلك يأثره الخلف علن السلف ، وفعله كل سنة بأسبابه تدلّ على

Marfat.com

صحّة النسبة إليه ، وانه اعتمر في ذلك الوقت ، وأنّ الفراغ من بناء الكعبة كان في هذا التاريخ ، والله أعلم .

وقد اختلفت الأخبار فيمن وضع الحجر الأسـود في موضعـه من الكعبة حين بناها ابن الزبير ، فقيل وضعه عبد الله بن الزبير بنفسه . ذكر ذلك الأزرقي في خبر رواه عن الواقدي بسنده لأنّ فيه : فلما بلغ البناء موضع الركن جاء ابن الزبير حتى وضعه بنفسه وشدّه بالقصبة انتهى . وقيل وضعه عبّاد بن عبد الله بن الزبيـر ، وهذا في خبر رواه الأزرقي[1] ذكر فيه أنّ عبد الله بن الزبير أمر ابنه عَبّاداً وجُبَير بن شَيْبـة أن يجعلا الركن في ثـوبٍ ويُخْرجـاه وهو يصلّي بـالناس في صـلاة الظهـر في يوم شـديد الحـر ، لئلاّ يعلم النـاس بذلـك فيتنافسـوا في وضعه فيـه : ففعلا ذلـك ، وفيه : فكان الذي وضعه في موضعه هذا عَبّاد بن عبد الله بن الزبير ، وأعانـه عليه جبيـر بن شيبة ، وقيـل وضعه حمـزة بن عبد الله بن الـزبير بـأمر أبيـه ، نقـل ذلـك السهيلي[2] عن الزبير بن بكار .

ورأيت في تاريخ الأزرقي وكتاب الفاكهي ما يقتضي أنّ الحَجَبَة وضعـوه في موضعه ومعهم حمزة بن عبد الله بن الـزبير ، والله أعلم بـالصواب . فيتلخّص من ذلك أربعة أقوال فيمن وضع الحجر الأسود حين بنى ابن الزبير الكعبة ، وأما بنـاء الحَجّاج للكعبة فهو أيضاً ثابت مشهور ، ذكـره الأزرقي وغيره ، وملَخّص ذلـك أنّ الحَجّاج بعد محاصرتـه ابن الزبيـر وقتْله كتب إلى عبد الملك بن مـروان يخبره أنّ ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها باباً آخر ، واستأذنه في ردّ ذلـك على ما كان عليه في الجاهلية ، فكتب اليه عبد الملك أن يسدّ بابها الغربيّ ويهدم ما زاد فيها ابن الزبير من الحجـر ، ويكبسها بـه على ما كـانت عليه ، ففعـل ذلك الحجّـاج وبناؤه في الكعبـة الجدار الـذي من جهة الحجـر بسكون الجيم والبـاب

---

(١) أخبار مكة ١/٢٠٨

(٢) الروض الأنف ١/٢٢٨

Marfat.com

الغربي المسدود في ظهر الكعبة عند الركن اليَماني وما تحت عتبة الباب الشرقي ، وهو أربعة أذرُع وشبر على ما ذكر الأزرقي ، وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير . وهذا ملخّص مما ذكره الأزرقي في ذلك بالمعنى(١) ، وكان ذلك في سنة أربع وسبعين من الهجرة على ما ذكره ابن الأثير(٢) ، وقيل سنة ثلاثٍ وسبعين على ما ذكر الذهبي في العِبَر(٣) . ثم إنّ عبد الملك بن مروان ندم على ما وقع منه في أمر الكعبة ، وقال : ودِدْتُ واللّهِ أنّي كنت تركت ابن الزبير وما تحمّل حين أخبره الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميٰ أنه سمع من عائشة رضي الله عنها حديثا عن النبي ﷺ الذي اعتمده ابن الزبير فيما فعله في الكعبة .

أخبرني بحديث عائشة رضي الله عنها الزاهد عبد الرحمن بن أحمد المقري سماعاً بالقاهرة في الرحلة الأولى : أنّ يونس بن ابراهيم العسقلاني أخبره سماعاً عن أبي الحسن علي بن الحسين البغدادي عن أبي بكر ابن الزاغوني ونصر بن نصر العكبري ، قال الزاغوني : أخبرنا ابن نصر الزينبي وقال العكبري : أخبرنا أبو القاسم ابن البسري قالا : أخبرنا أبو طاهر المخلص قال : حدّثنا يحيى قال : حدّثنا بكار بن عُيَيْنَة قال : حدّثنا أبو داود الطيالسي قال : حدّثنا سليم بن حِبّان قال : حدّثنا سعيد بن مثنّى عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : أخبرتني عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال لها : لولا أنّ قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة وألزقتها بالأرض وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، ولزدت ستة أذرع من الحجر في البيت فإنّ قريشاً استقصرت، ذلك لما بَنَتْ البيت(٤) ، وقد اختلفت الروايات فيما تركته قريش من الكعبة في الحجر ، وسنذكر ذلك في أخبار الحجر .

---

(١) أخبار مكة ١/ ٢١٠

(٢) الكامل في التاريخ ٤/ ٣٦٥

(٣) العِبَر في خبر من غبر ـ ج ١ وفيات سنة ٧٣ هـ .

(٤) أخرجه مسلم كما مرّ .

ذكر شيء من حال الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجاج وما وضع فيها من العمارة وما عُمل لها من الأساطين والميازيب والأبواب بعد ابن الزبير والحجّاج

اعلم أنه لم يغيّر أحد من الخلفاء والملوك فيما مضى من الزمان وإلى الآن[1] ما بناه ابن الزُبَير والحجّاج فيما علمناه ، ولو وقع ذلك لنُقِل ، فإن ذلك مما لا يخفى لعِظَم أمره ، والذي غيّر فيها بعدهما ميزابها غير مرة وبابها غير مرة كما سيأتي بيانه ، وبعض أساطينها ، وما دعت الضرورة الى عمارته في جُدُرِها وسقفها ودرجتها التي يُصْعَد منها إلى سطحها وعتبتها ورخامها ، وهو مما حدث في الكعبة بعد ابن الزبير والحجّاج .

وذكر الأزرقي أنّ الوليد بن عبد الملك أول من فرش الكعبة بالرخام وأزّر به جدْرانها ، ونقل ذلك عن ابن جُرَيْج لأنه قال : قال ابن جُرَيْج : وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأحمر والأخضر والأبيض الذي في بطنها ، فوزّر به أيضاً جدرانها ، وفرشها بالرخام ، وأرسل به من الشام ، ثم قال الأزرقي : فجميع ما في الكعبة من الرخام ، فهو من عمل الوليد بن عبد الملك ، انتهى[2] .

وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان يحبّ أنْ يردّها على ما بناها ابن الزبير ، حين أخبره بذلك خليفته الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان لما سأله عن ذلك ، ولم يمنع سليمان من ذلك إلاّ كون الحجّاج صنع ذلك بأمر أبيه عبد الملك بن مروان ، ذكر هذا الخبر الأزرقي[3] .

---

(١) أي إلى وقت تأليف تقي الدين الفاسي لكتابه هذا في سنة ٨١٦ هـ .
(٢) أخبار مكة ١/٢١٣
(٣) أخبار مكة ١/٢٢٠

ويـروى أنّ الخليفة الـرشيد ، وقيـل جدّه المنصـور أراد أن يغيـر مـا صنعـه الحجّاج في الكعبة ، وأن يردّها إلى مـا صنع ابن الـزبير ، فنهـاه عن ذلك الإمـام مـالـك بن أنس رحمـه الله ، وقـال لـه : نشـدتـك الله لا تجعـل بيتَ الله ملعبـةً للملوك ، لا يشأ أحد منهم أن يغيّـره إلاّ غيَّره ، فتـذهب هيبته من قلوب النـاس . انتهى بـالمعنى ، وكان مـالك لَحَظَ في ذلـك ، كون درء المفـاسد أولى من جلب المصالح ، وهي قاعدة مشهورة معتَمَدة .

ونشيـر إلى ما علمنـاه من العمارات التي وقعت في الكعبـة بعد ابن الـزبيـر والحجّاج . فمن ذلك انفتـاح الجدار الـذي بناه الحجّـاج من وجه الكعبـة ودُبُرِهـا وتـرميمه . ذكـر ذلك إسحـاق بن أحمد الخـزاعي أحـد من روى عن الأزرقي في تاريخه ، ونصّ كلامه وأنا رأيتها ، وقـد عمّر الجـدار الذي بنـاه الحجّاج ممـا يلي الجدار فانفتح من البناء الأول الذي بناه ابن الزبير مقـدار نصف أصبع من وجههـا ومن دُبُـرِها وقـد رمّم بـالجص الأبيض . انتهى . وذكـر ذلـك من انفتـاح الجـدارِ وتـرميمه وقـع في عصره ، والآخـر أن يكون وقـع ذلك قبله ورآه كمـا ذكـر ، والله أعلم .

ووقـع فيما ذكـره الأزرقي ما يقـرب من هذا ، ومن ذلـك ما وقـع في سطح الكعبة على ما ذكر الأزرقي لأنه قال : وكانت أرض سطح الكعبة بالفسيفساء ، ثم كـانت تكفّ عليهم إذا جاء المـطر ، فقلعتـه الحجبـة بعـد سنـة مـائتين ، وسـدّوه بالمرمر المطبوخ والجصّ شيد به تشييداً .

ومن ذلك عتبة بابِ الكعبة السفلى ، على مـا ذكره الأزرقي لأنـه قال : لمـا ذكـر العمارة المتعلّقـة بالكعبـة في زمن المتـوكـل العبـاسي وهي في سنـة إحـدى وأربعين ومـائتين ، وكانت عتبـة باب الكعبـة السفلى قطعتين من خشب السـاج قد برتا ونُجِرَتَا من طول الزمان عليهما فأخرجهما ، يعني المندوب للعمـارة إسحاق بن سلمـة الصايـغ ، وصيّر مكـانهمـا قـطعـة من خشب السـاج ، وألبسهمـا صفـائـح

Marfat.com

فضّـة[1] . انتهى . ومن ذلك رخـامتان أو ثـلاث في جـدران الكعبـة ، قلع ذلـك إسحاق بن سَلَمَة ، وأعاد نصبه بجصّ صُنـع في التاريـخ المشار اليـه . ذكر ذلـك الأزرقي[2] أيضاً ،ومن ذلك ما وقع بعد الأزرقي ، وهو عمارة سقف الكعبة والـدرجة التي بباطنها وكلاهما في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .

ومن ذلـك عمارة رخـامها في عُشْـر الخمسين وخمسمائـة في غـالب ظنّي ، وهـذه العمارة من جهـة الوزيـر جمـال الـدين المعـروف بـالجـواد وزيـر صـاحب الموصل .

ومن ذلك ما وقع في سنة تسع وعشرين وستمائة وما عرفت المعمور في تلك السنة من الكعبة هل هو في سقفهـا أو أرضها وجُدُرِها كـإصلاح رخـامه في ذلـك وغيـره ، والله أعلم . وهـذه العمـارة من جهـة المستنصـر العبـاسي لأنّ في جُـدُر الكعبـة اليَماني من داخلهـا رخامـة مكتوبـاً فيها بعـد البسملة : أمـر بعمـارة البيت المعظّم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ، وفيها بعد الدعاء له في شهور سنة تسعٍ وعشرين وستمائة .

ومن ذلك رخام الكعبة بأمر الملك المظفّـر صاحب اليمن ، واسمـه مكتوب بسبب ذلك في الكعبة في رخـامة في وسط الجـدار الغـربي ، ونصّ المكتـوب : أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظّم العبد الفقير إلى رحمة ربّه يـوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وفيها بعد الدعاء له بتاريخ شوال سنة ثمانين وستمائة .

ومن ذلك إلصاق رخام خُشِي سقـوطه في بعض جـدرانها من داخلهـا في آخر سنة إحدى وثمان مائة أو في أول سنة اثنتين وثمان مائة .

ومن ذلك مواضع في سطحها كان يكثر وكف المطر منهـا إلى سفلها ، منهـا موضع عند الطابق الذي في هذا الموضع متسـع مضرّ يصـل الماء منـه إلى الجُدُر

---

(١) أخبار مكة ١/٣٠١

(٢) ج ١/٣٠٦ ، ٣٠٧

Marfat.com

الشامي من الكعبة ، لقـربه منهـا ، وينزل المـاء منه في وسط الجـدار ، ومواضـع بقرب بعض الروازن التي للضوء . وكان إصلاح المواضع المذكـورة بالجبس بعـد قلع الرخام الذي هناك وأعيد في موضـع وأبدل بعضـه بغيره ، وأصلحت الـروازن كلها بالجبس ، وكانت الأخشاب المطبّقة بأعلى الروازن التي عليها البناء المـرتفع في سطح البيت قد تخرّبت فعوّضت بخشب سوى ذلك ، وأعيـد البناء الـذي كان عليهـا كـما كـان ، إلاَّ أنّ الـروزن الـذي يـلي بـاب الكعبـة فـإنّ خشبـه لم يغـيّر ، وكـان الـروزن الـذي يـلي الـركن الغـربي ، قـد تخـرّب بعض الخشب الـذي في جوفه مما يلي السقف والكسوة التي في جـوف الكعبة ، وكـانت الكسوة التي تليـه قـد زال تشبكها فشمـرت ، وكان الـروزن الذي يلي الـركن اليماني منكسـراً فقُلع وعُوّض بروزن جيد ، وُجدّ في أسفل الكعبة وأُصلح في الدرجة أخشاب متكسّرة ، وشاهدت إصلاح كثير من هذه الأمور وأنا بسطح الكعبة مع من صعد لعمل ذلك ، وذلـك في أيام متفـرّقة في العُشْـر الأوسط من شهور رمضـان سنة أربـعٍ وعشـرين وثمانمائة عقب مطر عظيم حصل بمكة في أوائل هذا العُشْر ، وصـار يخرج بسببهِ من باب الكعبة لاألى الطواف كأفواه القِرَب .

ومن ذلك أنّ في النصف الأخير من ذي الحجّـة سنة خمس وعشـرين وثمثة أصلحت الروازن التي بسطح الكعبـة ورخامـة تلي ميزابهـا ، لأنّ الماء كـان ينتقع عليها لخراب ما تحتها ، فقُلعت وأزيل ما تحتها من الخراب ، وأُعيد إلصاقهـا بعد إحكام هذا الإصلاح .

ومن ذلـك في هذا التـاريخ أنّ الأخشـاب التي بسطح الكعبـة المعدَّة لـربط كسوتها تخرّبت فقُلِعت وعُوِّض عنها بأخشـاب جيّدة محكمـة ، ورُكّبت فيها الحَلَق الحـديـد التي يشـدّ بهـا كسـوة الكعبـة ، ووُضعت الأخشـاب بسـطح الكعبـة في مواضعها قبل ذلك .

ومن ذلك أنّ في صفر سنـة ستٍ وعشرين وثمـانمائـة قلع الرخـام الذي بين جُذر الكعبة الغربي والأساطين التي بالكعبة لتخرُّبه ، وأعيد نصْبه محكمـاً كما كـان

بالجصّ ، وأصلح رخام آخر في بعض جدران الكعبة لتخرّبه ، وكتب بسبب ذلك في لوح رخام يقابل باب الكعبة ، ومعنى المكتوب فيه : تقرّب إلى الله تعالى برخام هذا البيت الشريف المطهّر العبد الفقير إلى الله تعالى الملك الأشرف برسباي[1] في سنة ستٍّ وعشرين وثمانمائة . انتهى . والملك الأشرف المشار اليه هو صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين في هذا التاريخ زاده الله نصراً وتوفيقاً .

ومن ذلك أنّ الأسطوانة التي تلي باب الكعبة ظهر بها مَيْل فخِيف من أمرها ، فاجتمعنا بالكعبة الشريفة مع جماعة من قُضاة مكة والأمير المندوب من مصر في السنة الماضية لعمارة المسجد الحرام ، أحسن الله إليه ، وغيره من الأعيان بمكة والعارفين بالعمارة ، وكشف من فوق السارية المذكورة ، فوُجدت صحيحة ، فحمدنا الله تعالى كثيراً على ذلك ، ورُدَّت حتى استقامت ، وأُحكم ذلك كما كانت أولاً ، فلله الحمد ، والأمير المشار اليه هو الجناب العالي السيفي مقبل القديدي الملكي الأشرفي صاحبنا ، أحسن الله إليه . وكان إصلاح هذه الأسطوانة في يوم السبت سادس عشر صفر سنة ستٍّ وعشرين وثمانمائة ، وإصلاح الرخام في أيام من الشهر المذكور .

ومما غُيّر في الكعبة بعد ابن الزبير والحجّاج عتبة الباب السفلي ، لأنّ الأزرقي ذكر أنها جُعلت قطعةً واحدةً من خشب الساج ، كما سبق ذكره . وعتبة الكعبة الآن السفلى حجر منحوت وما ندري متى كان ذلك . وقد خفي علينا من المعنى الذي ذكرناه من أمر عمارة الكعبة كثير لعدم تدوين من قبلنا لذلك ، ويدخل في المعنى الذي ذكرناه من عمارة الكعبة العمارة الواقعة في شاذروانها ، وقد بيّنا ما علمناه من ذلك في الباب الذي بعد هذا في الترجمة المتعلّقة بالشاذروان .

---

(١) هو سلطان المماليك في مصر والشام ، تولّى السلطنة سنة ٨٢٥ وفي عهده فُتحت قبرس ، وتوفي سنة ٨٤١هـ . (الضوء اللامع ٣/٨ ـ ١٠).

وأما الأساطين فواحدة فيما علمت ، على ما ذكر الفاكهي ، لأنه قال : حدّثني أبو علي الحسن بن مكرم قال : حدّثنا عبد الله بن بكر قال : حدّثني أبي بكرُ بن حبيب قال : جاورت بمكة فعابت اسطوانة من أساطين البيت ، فأُخرجت ، وجيء بأخرى ليُدْخِلُوها مكانها ، فطالت عن الموضع ، وأدركهم الليل ، والكعبة لا تُفتح ليلاً ، فتركوها مائلة ليعودوا من غد فيصلحوها ، فجاؤ وا من غد فأصابوها أقوم من القدح . انتهى . ولم يذكر ذلك الأزرقي ، ولم أر من ذكر ذلك غير الفاكهي ، وهو غريب جداً ، والله أعلم . وفيه كرامة للبيت زاده الله شرفا .

وأما الميازيب فميزاب عمله الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط المشهور بمكة وصل به خادمة مثقال بعد موته مع تابوته في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وميزاب أبعده الخليفة المقتفي العباسي[1] في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أو في التي بعدها ، وجُعَل عِوَض ميزاب رامشت ، ومنها ميزاب عملهِ الناصر[2] العباسي ، وهو الآن في الكعبة لأنّ اسمه مكتوب فيه ، وهو خشب مبطّن برصاص في الموضع الذي يجري فيه الماء ، وظاهره مما يبدو للناس مطليّ بفضّه ، وأصلح الموضع الذي يجري فيه الماء منه في العُشْر الأوسط من شهر رمضان سنة أربع عشرة وثمانمائة ، بعد قلع اللوح الذي فوقه ستر مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان ، وطول هذا الميزاب بما منه في جدار الكعبة ، يزيد على أربعة أذرع بالحديد ، مقدار ثُمْن الذراع أو أكثر ، الشكّ منّي في مقدار الزيادة بعد تحريري لذلك في التاريخ الذي ذكرنا فيه إصلاحه ، وأحدث عهد حلّي فيه هذا الميزاب سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين المقتفي لأمر الله بن المستظهر ، بويع بالخلافة سنة ٥٤٠ واستمر إلى أن توفي سنة ٥٥٥هـ .

(٢) هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء ، بويع بالخلافة سنة ٥٧٥هـ وظلّ بها إلى أن توفي سنة ٦٢٢هـ .

وأما الأبواب فباب عمله الوزير جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور المعروف بالجواد ، سنة خمسين وخمسمائة ، ورُكّب عليها في سنة احدى وخمسين ، وكُتب عليه اسم الخليفة حليته ، على ما ذكر ابن جبير في أخبار رحلته[1] ، وذكر فيها صفة حليته .وكلام ابن الأثير يوهم أنّ الذي صنع للكعبة الباب في هذا التاريخ الخليفة المقتفي لأنه قال في أخبار سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة :فيها قلع الخليفة المقتفي لأمر الله باب الكعبة وعمل عِوَضه باباً مصفَّحاً بالنّقرة المذهبّة ، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتاً يُدفن فيه إذا مات[2] . انتهى .

وليس ما ذكره ابن الأثير من نسبة هذا الباب للمقتفي معارضاً لما ذكره ابن جُبُير من نسبته للجواد ، لأنّ الجواد إنّما صنعه بأمر المقتفي ، وأضاف اليه هذا الباب بكتابة اسمه عليه ، وإنّما نبّهنا على ذلك ، لئلاّ يُتوهَّم أنّ كلاًّ منهما صنع للكعبة باباً ، لأنه يبعد أن يعمل كل منهما للكعبة باباً في تاريخ واحد بسبب واحد وهو اتخاذ الباب الأول تابوتاً للدفن ، فإنّ الجواد عمل تابوتاً على ما قيل من الباب الذي كان قبل بابه ، حُمل فيه إلى المدينة الشريفة ودُفن بها ، ولم يكن يتمكّن من ذلك إلاّ بموافقة المقتفي عليه ، وإظهاره أنّ للمقتفي رغبة في عمل الباب الذي قبل بابه تابوتاً ، ولأجل ذلك نُسب هذا الأمر للمقتفي كما ذكر ابن الأثير ، والله أعلم .

ومنها باب عمله الملك المظفّر صاحب اليمن ، وكان عليه صفايح فضة زنتها ستون رطلاً ، وصارت لبني شيبة ، ومنها باب عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون[3] صاحب مصر ، ورُكّب على الكعبة بعد قلع باب الملك المظفّر في

---

(١) رحلة ابن جبير ١٠٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢٢٨/١١ .

(٣) هو سلطان المماليك في مصر والشام ، تولى السلطنة دُفعات أولها سنة ٦٩٣ وعمره تسع سنين فلبث فيها سنة إلا ثلاثة ايام ، ثم تسلطن سنة ٦٩٨ وبقي الى سنة ٧٠٨ ثم عاد الى السلطنة سنة ٧٠٩ وبقي الى ان توفي ٧٤١هـ . (راجع الدرر الكامنة ١٤٤/٤ - ١٤٨) .

Marfat.com

ثامن عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وكان عليه من الفضّـة خمسة وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم على ما ذكره البرزالي ، وذكر أنّ هذا الباب من السّنْط الأحمر .

ومنها باب عُمـل في سلطنة ولـده الملك الناصـر حسن[1] ، وذلك في سنـة إحدى وستين وسبعمائة ، وهو من خشب الساج عُمل بمكة واستمر في الكعبة إلى تاريخه ، إلّا أنه في سنة ستٍّ وسبعين وسبعمائة ، قُلع منها لعمل الحليـة التي هي فيـه الآن ، وعُوِّض عنـه بـبـاب قـديم كـان للكعبـة ، وهـو الآن في حـاصـل بيت الحرم ، ولعلّه باب الكعبة الذي عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أعيـد إليها الباب الذي عُمل بمكة في دولة الناصر حسن بعـد تحليته في التـاريخ الـذي ذكرناه على ما أخبرني بـه والدي أعـزّه الله ، وذكر أنّ مقـدار هذه الحليـة لما كـان مشـارفاً على عملهـا ، وأظنّ أنه حُلّي في سنـة إحدى وثمـانين وسبعمـائـة ، والله أعلم .

واسم الملك النـاصر محمـد بن قلاوون مكتـوب في هـذا البـاب بـأسفله ، واسم حفيده الملك الأشرف شعبـان بن حسين[2] في بعض فيارٍ من البـاب ، وفي بعض فياري الباب ، وهـو الجانب الـذي يكون على يمين الـداخل إلى الكعبـة ، مكتـوب إسم الملك المؤيَّد أبي النّصـر شيخ[3] صـاحب مصر ، نصـره الله ، لأنَّ بعض خـواصّـه قـدم إلى مكـة في أول يـوم من ذي الحجّـة سنـة ستّ عشـرة وثمـانمائـة ، فرأى جـانب الباب المشـار إليه محتـاجاً إلى الحليـة ، فحلّاه بفضّـة وطلاها بالذهب ، وكتب في ذلك إسم الملك المؤيَّد نصـره الله ، ومقدار الفضّـة التي حلّى بهـا الموضـع المشار إليـه مائـة درهم ونيّف وتسعون درهمـاً ، على مـا

---

(١) تـولّى سلطنة الممـاليك سنـة ٧٤٨ حتى سنـة ٧٥٢ ثم أعيـد سنـة ٧٥٥ وبقي حتى سنـة ٧٦٢ هـ . (الدرر الكامنة ٢/٣٨ ـ ٤٠) .

(٢) تولّى السلطنة سنة ٧٦٤ إلى أن قُتل سنة ٧٧٨ هـ . (بدائع الزهور ـ ج ١ ق ٢/١٨١) .

(٣) هو السلطان شيخ المحمودي ، تسلطن من سنة ٨١٥ حتى مـات في أوائل سنـة ٨٢٤ هـ . (بدائـع الزهور ٢/٦٠) .

Marfat.com

أخبرني به بعض من صـاغ ذلك ، وكـان عمل ذلـك والفراغ منـه قبل الـطلوع إلى عَـرَفَة في أيـام من العُشْر الأول من ذي الحجّـة من سنة ستّ عشـرة وثمانمـائـة ، واستحسن ذلـك ممن صنعه ، فـالله يزيـده رفعة ، وإسم الملك المـظفّـر صـاحب اليمن على مفتاح قفل باب الكعبة الآن ، وفي القفل أيضاً فيما أظنّ لأن فيه كتـابة ممحوَّة ، والله أعلم .

ولْنختم هـذا الفصل بفـائدة في بيـان أول من بوب الكعبـة : أول من بوَّبهـا أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، على ما ذكر الزبير بن بكار لأنـه قال : وقـال محمد بن حسن : حدّثني عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : أنوش بن شيث بن آدم أول من غرس النخلة وبوَّب الكعبة وزرع الحبّة . انتهى .

وذكر ذلك السهيلي رحمه الله لأنه قال : أنوش وتفسيره الصادق وهو بالعربية أنش ، وهو أول من غرس النخلة وبوّب الكعبة وبذر الحبة[1]. انتهى .

وروينا في تاريخ الأزرقي ما يقتضي أنّ تُبّعـا الْحِمَيري أول من بـوّب الكعبة لأنه قال في أثناء خبر نقله عن ابن إسحاق في بناء إبـراهيم الكعبة : وجعـل بابهـا في الأرض غير مبوّب الكعبة حتى كان تُبَّع أسعد الْحِمَيري هو الذي جعل لها باباً وعلقاً فارسيّاً ، وذكر معنى ذلك في موضع آخر[2].

وذكـر الفاكهي مـا يخالف ذلـك لأنه قـال : وحدّثنـا أحمـد بن صـالـح عن الواقدي قال : كان البيت قد دخله السيل من أعلا مكة ، فانهدم ، فأعادتـه جُرْهُم على بناء إبراهيم ، وجعلوا لـه مصراعين وقفـلاً ، فاستخفّت جُـرْهُم بأمـر البيت ، وعملوا أموراً وأحدثوا أحداثاً لم تكن . انتهى .

ووجـه مخالفـة هذا لمـا ذكره الأزرقي أنـه يقتضي أنّ جُرْهُمـاً جعلوا للكعبة

---

(١) الروض الأُنف ١/١٤.
(٢) أخبار مكة ١/١٣٤ و ٢٥٠ .

Marfat.com

باباً ، وهو المصراعان المشار إليهما في هذا الخبر ، والزمن الذي ضيّقوا فيه ذلك هو زمن ولايتهم للكعبة ، وولايتهم لها قبل ولاية خُزاعة ، وولاية خزاعة لها قبل ولاية قريش ، والباب الذي عمله تُبَّع هو في زمن ولاية قريش على ما أشار إليه الفاكهي وغيره في خبر تُبّع الذي صنع باب الكعبة الذي ذكره الأزرقي ، والله أعلم .

وذكر بعضهم ما يخالف ما ذكره الزبير والسُهَيلي في كون أنوش أول من بذر الحبّة ، لأنّ القطب الحلبي ذكر أنه رأى بخطّ أبي علي الحسين بن الأشرف أحمد ابن القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني أول من زرع الحبة آدم عليه السلام ، فإنه كان يحرث ويزرع . روي أنّ الشعير من زرع حوّاء ، والحنطة من زرع آدم عليه السلام ، وإنّها تألّمت في ذلك ، وقال : ذكروه في كتب التاريخ[1] . انتهى .

(١) أنظر : تاريخ الرسل والملوك للطبري ١/١٢٨ .

Marfat.com

الباب الثامن

في الكعبة المعظمة وذرعها وشاذروانها وحليتها ومعاليقها وكسوتها وطيبها وأخدامها وأسمائها

وهدم الحبس لها ووقت فتحها في الجاهلية والإسلام

وبيان جهة المصلّين إلى الكعبة

من سائر الآفاق ومعرفة أدلّة بالآفاق المشار إليها

ذكر صفة الكعبة وما أُحدث فيها من البدعة

أما أرض الكعبة وجدرانها من داخلها فمرخَّمة برخام ملوّن ، وقد ذكر الأزرقي رحمه الله عدد الرخام الذي في أرض الكعبة وجدرانها وألوانه ، ونقل عن ابن جُرَيْج أنّ الوليد بن عبد الملك بن مروان أول من رخّم أرض الكعبة وجدرانها برخام بعث به من الشام[1] .

وفي الكعبة الآن ثلاث دعائم من ساج على ثلاثة كراسي ، وفوقها ثلاثة كراسي ، وعلى هذه الكراسي ثلاث جوائز من ساج ، ولها سقفان بينهما فُرْجَة ، وفي السقف أربعة روازن ، نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل للوضوء ، وفي ركنها الشامي درجة من خشب يُصْعَد منها إلى سطحها ، وعدد الدرج الذي فيها ثمانٌ وثلاثون مَرْقَاة ، وسقفها الأعلى مما يلي السماء مرخّم برخام أبيض ، وطُلي بنوره[2] في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة بأمر أمير يقال له باشه من أمراء مصر ، لما ندبه لعمارة المسجد وغيره بمكة الأمير[3] مدبر المملكة

---

(١) أخبار مكة ١/٢٩٧ و ٣٠٤ .

(٢) النورة عند الحجازيين يسميها المصريون الجير الأسمر .

(٣) بياض بالأصل . وقد ذكر ابن أياس في حوادث سنة ٧٨١ هـ . (ج ١ ق ٢/٢٥٣) ما يلي

Marfat.com

بالديار المصرية مع الملك الظاهر قبل سلطنته . ثم كشطت النورة في سنة إحدى وثمانمائة بأمر الأمير بيسق[1] ، ويطيف بسطحها إفريز مبنيّ بالحجارة على جُدُرها من جميع جوانبها يأتي تحرير ذَرْعُه فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ويتّصل بهذا الإفريز أخشاب فيها حلق من حديد ، يربط بها كسوة الكعبة ، وبابها من ظاهره مصفّح بصفائح فضّة مموّهة بالذهب ، وكذلك فياريز الباب وعتبته العليا مطليّة بفضّة ، زنتها على ما بلغني ألف درهم وثمانمائة درهم ، وفيها مكتوب اسم مولانا السلطان الملك الناصر فرج[2] بن الملك الظاهر صاحب الديار المصرية ، واسم أبيه الملك الظاهر[3] ، وأضيف إلى كلٍّ منهما الأمر بعمل هذه الحلية ، وفيها مكتوب أيضاً إسم الأمير أيتمش[4] الذي جعله الملك الظاهر أتابكاً[5] لولده واسم الأمير يشبك[6] الذي كان خازندار[7] الملك الظاهر ثم لابنه الملك الناصر ، ثم

« جاءت الأخبار من مكة المشرّفة ، بأنْ جرت العين المستَمَدّة من عرفة إلى باب السلام ، وجدّد الأتابكي برقوق ميضأة عند باب بني شيبة ، ورَبْع وحوانيت ، وأصلح بئر زمزم ، وحِجْر إسماعيل ، والميزاب ، وسطح الكعبة ، وكل ذلك على يد الأمير باشاه ، دوادار الأمير بركة الجوباني » .

(١) قال ابن أياس في حوادث سنة ٨٠١هـ . (ج ١ ق ٢/٥٢٠) : « وبرز الأمير بيسق الشيخي ، بالريدانية ليكون أمير حاج الرجبية ، ورُسم له بعمارة ما تهدّم من المسجد الحرام ، وخرج معه المعلم شهاب الدين أحمد بن الطولوني المهندس » .

(٢) تسلطن سنة ٨٠١ حتى سنة ٨٠٨ هـ . (بدائع الزهور ـ ج ١ ق ٢/٨٣٤ وانظر السلوك ج ٣/١١٧٨) .

(٣) تسلطن من سنة ٧٨٤ حتى سنة ٧٩١ ثم عاد للسلطنة سنة ٧٩٢ حتى سنة ٨٠١ هـ . (السلوك ج ٣/٩٣٨ ، بدائع الزهور ج ١ ق ٢/٥٢٦) وهو السلطان برقوق .

(٤) في المطبوع « أنتمش » بالنون ـ ج ١ / ١٠٧ ، والصحيح ما أثبتناه ، وهو (أيتمش البجاسي) انظر : بدائع الزهور ـ ج ١ ق ٢/٣٢١ .

(٥) اتابك : أصله أطابك ومعناه الولد الأمير . وأول من لُقّب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوّض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ بالقاب منها هذا ، وقيل أطابك معناه أمير أب ، والمراد : أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدّمين بعد النائب الكافل ، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي ، وغايته رفعة المحلّ وعلو المقام . (صبح الأعشي ٤/١٨) .

(٦) في المطبوع « لشبك » باللام ج ١/١٠٧ والصحيح ما أثبتناه . (بدائع الزهور ج١ ق ٢/٥٢٥).

(٧) الخازندار : وظيفته التحدّث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك . (صبح الأعشى ٤/٢١) .

Marfat.com

صار دواداراً[1] للملك الناصر وأتابكاً له ، واسم الأمير بيسق الأمر بهذه الحِلية .

وأما ما أُحدث فيها من البدعة فهو البدعة التي يقال لها العروة الوثقى ، والبدعة التي يقال لها سرّة الدنيا ، وقد ذكرها الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله لأنه قال : وقد ابتدع من قريب بعض الغجر والمحتالين في الكعبة المكرمة أمرين باطلين عظم ضررهما على العامّة .

أحدهما ما يذكرونه من العروة الوثقى ، عمدوا إلى موضع عالٍ من جدار البيت المقابل لباب البيت فسمّوه بالعروة الوثقى ، وأوقعوا في قلوب العامّة أنّ من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى ، فأحوجوهم إلى أن يقاسوا في الوصول إليها شدّةً وعناءً ، ويركب بعضهم فوق بعض ، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولامست الرجال ولامسوها ، فلحقهم بذلك أنواع من الضرر دنيا ودِيناً .

الثاني مسمار في وسط البيت سرّته سُرَّة الدنيا ، وحملوا العامّة على أن يكشفوا أحدهم عن سرّته وينبطح بها على ذلك الموضع حتى يكون واضعاً سرّته على سُرَّة الدنيا ، قاتل الله واضع ذلك ومختلقة وهو المستعان . انتهى بنصّه من منسك ابن الصلاح ، ونقل ذلك عنه النووي في « الإيضاح » ما يخالف بعض ذلك في اللفظ ويوافقه في المعنى .

قلت : وهذان الأمران لا أثر لهما الآن في الكعبة ، وكان زوال البدعة التي يقال لها العروة الوثقى في سنة إحدى وسبعمائة ، لأنَّ الإمام جمال الدين المطري فيما أخبرني عنه القاضي برهان الدّين بن فرحون ذكر أنّ الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي بن محمد المعروف بابن حناء توجّه إلى مكة في أثناء سنة إحدى وسبعمائة ، فرأى فيها ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام ، ويتعلّق الناس بعضهم على بعض ، وحمل النساء على أعناق الرجال للاستمساك

---

(١) الدوادار : صاحب الدّواة وحاملها للسلطان أو الأمير ، وهو يقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوى إليه . (صبح الأعشى ٥/٤٩٢) .

Marfat.com

بالعروة الوثقى في زعمهم ، فأمر بقلع ذلك المثال ، وزالت تلك البدعة والمنّة لله تعالى . انتهى .

ذكر ذَرْع الكعبة من داخلها وخارجها

روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي[1] قال : ذَرْع البيت من خارج طولها في السماء سبعة وعشرون ذراعاً ، وذَرْع طول وجه الكعبة من الركن الأسود إلى الركن الشامي خمس وعشرون ذراعاً ، وذَرْع ظهرها من الرُكن اليَماني إلى الركن المغربي خمس وعشرون ذراعاً ، وذرع شقّها اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرون ذراعاً ، وذرع شقّها الذي فيه الحجر من الركن الشامي إلى الركن الغربي أحد وعشرون ذراعاً ، وذرع جميع الكعبة مكسّراً أربعمائة ذراع وثمانية عشر ذراعاً ، وذرع نقد جدار الكعبة ذراعان ، والذراع أربعٌ وعشرون أصبعاً . ثم قال الأزرقي : ذَرْع طول الكعبة في السماء من داخلها إلى السقف الأسفل مما يلي الكعبة ثماني عشرة ذراعاً ونصف ، وطول الكعبة في السماء إلى السقف الأعلى عشرون ذراعاً ، وذَرْع داخل الكعبة من وجهها من الركن الذي فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامي ، وفيه باب الكعبة تسعة عشر ذراعاً وعشر أصابع ، وذرْع ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي وهو الشقّ الذي يلي الحجر خمسة عشر ذراعاً وثماني أصابع ، وذرْع ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي وهو الشقّ الذي يلي الحجر خمسة عشر ذراعاً وثماني عشرة أصبعاً ، وذرع ما بين الركن الغربي إلى الركن اليماني وهو ظهر الكعبة عشرون ذراعاً وستّ أصابع ، وذرع ما بين الركن اليماني إلى الركن الغربي إلى الركن اليماني وهو ظهر الكعبة عشرون ذراعاً وثماني عشرة أصبعاً ، وذرع ما بين الركن الغربي إلى الركن اليماني وهو ظهر الكعبة عشرون ذراعاً وستّ أصابع ، وذرع ما بين الركن اليماني إلى

---

(١) أخبار مكة ١/ ٢٨٩ و ٢٩٠ .

Marfat.com

الركن الأسود ستة عشر ذراعاً وستّ أصابع[1] . وذكر الأزرقي رحمه الله : ذرع ما بين الأساطين التي في الكعبة ، فقال فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : ذرْع ما بين الجدار الذي بين الركن الأسود والركن اليماني إلى الأسطوانة الأولى أربعة أذرُع ونصف ، وذرع ما بين الأسطوانة الأولى إلى الأسطوانة الثانية أربعة أذرُع ونصف ، وذرْع ما بين الأسطوانة الثانية إلى الأسطوانة الثالثة أربعة أذرُع ونصف ، وذرع ما بين الأسطوانة الثالثة إلى الجدار الذي يلي الحجر ذراعان وثماني أصابع[2] . انتهى .

وقد حرَّر ذرْعَ الكعبة الفقيه أبو عبد الله محمد بن سراقة العامري في كتابه « دلائل القبلة » لأنه قال : اعلم أنّ الكعبة البيت الحرام مربّعة البنيان ، في وسط المسجد ، ارتفاعها من الأرض سبعة وعشرون ذراعاً ، وعرض الجدار وجهها قرابة أربعة وعشرين ذراعاً ، وهو بناء الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما حين ولي مكة جعل عرضه ثلاثين ذراعاً يزيد على ذلك أقلّ من ذراع ، بعد أن كشف عن قواعد إبراهيم الخليل عليه السلام وبنى عليها . ثم قال : وعرض وجهها وهو الذي فيه بابها أربعة وعشرون ذراعاً ، وعرض مؤخّرها مثل ذلك ، وعرض جدارها الذي يلي اليمن ، وهو فيما بين الركن اليماني والركن العراقي ، وهو الذي فيه الحجر الأسود عشرون ذراعاً . ثم قال : وعرض جدارها الذي يلي الشام ، وهو الذي فيما بين الركن الشامي والركن العراقي أحد وعشرون ذراعاً . انتهى .

وإنما ذكرنا ما ذكره ابن سراقة العامري من ذرْع الكعبة ، لأنّ فيه مخالفة لما ذكره الأزرقي في ذرْع شقّها الشرقي وشقّها الغربي ، وذلك ينقص عما ذكره الأزرقي في ذرْع ذلك ذراعاً . وفي النسخة التي رأيتها من كتاب ابن سراقة لحن

---

(١) أخبار مكة ١/ ٢٩٠ .
(٢) أخبار مكة ١/ ٢٩٢ .

Marfat.com

في التعبير عن ذرْع بعض ما نقلته عنه ، فكتبته هنا على ما وجدته في النسخة وذلك واضح لمن تأمّله .

وذكر ابن جبير في أخبار رحلته ما يستغرب في طول الكعبة ، لأنه ذكر أن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن الشيبي زعيم الشيبيين الذين لهم سدانة البيت أخبره أن ارتفاعه في الهواء من الصفح الذي يقابل باب الصفا وهو بين الحجر الأسود واليماني تسع وعشرون ذراعاً وسائر الجوانب ثمان وعشرون بسبب انصباب السطح إلى الميزاب[1] . انتهى بنصّه . وما عرفت كيف يستقيم هذا الذرع ، وذكر ذرْع جهات الكعبة وأموراً يتعلّق بها بالأقدام والخطا . وقد ذكرنا كلامه في أصل هذا الكتاب .

وذكر ابن خرداذبة في عرض الكعبة ما يخالف ما ذكره الأزرقي لأنه قال عند ذِكر الكعبة : طول البيت أربعة وعشرون ذراعاً وشِبْر في ثلاثة وعشرين ذراعاً وشِبْر ، ثم قال : وسمكه في السماء سبعة وعشرون ذراعاً[2] . انتهى . وهذا الكلام يقتضي أن قوله أولاً طول البيت المراد به عرضه لقوله فيما بعد : وسمكه في السماء فإنّ هذا ذرْع طوله ، وإذا تقرّر ذلك فإنْ أراد ابن خرداذبه بقوله : طول البيت بيان ذرع شقّه الشرقي والغربي فقد خالف الأزرقي في ذلك لأنّ الأزرقي ذكر أنّ ذرع كلٍّ من هذين الشقّين خمسة وعشرون ذراعاً ، وإنْ أراد بذلك بيان ذرع شقّها الشامي واليماني ، فقد خالف في ذلك ما ذكره الأزرقي ، لأنه ذكر أنّ ذرع الشقّ الشامي واحد وعشرون واليماني عشرون . والوجه الأول أقرب إلى مراد خرداذبه ، وإنّما ذكرناه لغرابته ، والله أعلم .

وقد حرّر طول الكعبة من داخلها وخارجها القاضي عزّ الدين ابن جماعة بذراع القماش المستعمل بمصر في زمنه ، وهو المستعمل في زمننا ، وذلك في سنة ثلاثٍ وخمسين وسبعمائة فقال فيما أخبرني به عنه خالي رحمهما الله :

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٥٩ .
(٢) المسالك والممالك ١٣٢ و ١٣٣ .

Marfat.com

ارتفاعها من أعلى الملتزم إلى أرض الشاذروان ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع وثلث ذراع . وبين الركن الذي فيه الحجر الأسود وبين الركن الشامي ، ويقال له العراقي من داخل الكعبة ثمانية عشر ذراعاً وثُلث أذرُع وقيراطان ، ومن خارجها خمسة أذرُع وثُلث ، وعرضه من داخلها ثلاث أذرُع ورُبع وثُمن ، ومن خارجها ثلاثة أذرع وربع ، وعرض العتبة نصف ذراع وربع . وارتفاع الباب الشريف عن أرض الشاذروان ثلاثة أذرُع وثُلث وثمن ، ومن الركن الشامِي والغربي من داخل الكعبة خمسة عشر ذراعاً وقيراطان . ومن خارجها ثمانية عشر ذراعاً ونصف وربع ، وبين الغربي واليماني من داخلها ثمانية عشر ذراعاً وثلثا ذراع وثُمن ذراع ، ومن خارجها ثلاثة وعشرون ذراعاً ، ومن الركن اليماني والركن الأسود ، ومن داخلها خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع ، ومن خارجها تسعة عشر بتقديم التاء على السين وربع . انتهى .

ووقع فيما ذكره ابن جماعة تسمية الركن الشامي الذي يلي وجه الكعبة بالعراقي ، وذلك يخالف ما ذكره ابن سراقة في الركن العراقي ، ورأيت ما يدلّ لما ذكره ابن جماعة كما سيأتي ذكره في الباب الخامس عشر من هذا الكتاب .

وذكر ابن جبير في غير موضع من رحلته ما يوافق ما ذكره ابن جماعة في ذلك[1] والله أعلم . وقد حرّرت ما حرّره الأزرقي وابن جماعة من ذرع الكعبة ، مع أمور أُخر تتعلّق بها ، وفيما حرّرناه مخالفة لبعض ما حرّره .

ونذكر ما حرّرناه لبيان معرفة الاختلاف ، ومعرفة أمور أُخر تتعلّق بالكعبة حرّرناها لم يحرّرها الأزرقي ولا ابن جماعة ، وكان تحريرنا لذلك بذراع الحديد الذي حرّر به ابن جماعة ، ومنه يظهر معرفة ما حرّره الأزرقي ، لأنّ تحريره كان بذراع اليد ، وهو ينقص عن ذراع الحديد ثُمن ذراع بالحديد كما تقدّم بيانه في باب حدود الحرم، واتّفق تحريرنا لذلك في ضحوة يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثمانمائة .

---

(١) رحلة ابن جبير ، ص ٥٩ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٧ إلخ .

Marfat.com

ذكر ذَرْع الكعبة من داخلها بذراع الحديد

طـول جدارهـا الشرقيّ من السقف الأسفـل إلى أرضهـا سبعـة عشـر ذراعـاً بتقديم السين ونصف ذراع إلاّ قيراطاً . وعرضه من الركن الذي فيه الحجـر الأسود إلى جدار الدرجة الذي فيه بابهـا خمسة عشـر ذراعاً وثُمن ذراع . وذرْع بقيّـة هذا الجـدار يُعرف تقـريباً من جـدار الدرجـة الغـربي ، لكـونـه في محـاذاة بقيّـة هـذا الجدار ، وذرْع جدار الدرجة الغـربيّ المشار إليـه ثلاثـة أذرع وقيراط فيكـون ذرْع الجدار الشرقيّ على التقريب ثمانية عشر ذراعاً وسُدس ذراع .

وطول الجدار الشامي من سقفها الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعاً بتقديم السين أيضـاً ، وعرض هـذا الجدار من جـدار الـدرجـة الغـربيّ إلى ركن الكعبـة الغربيّ أحد عشـر ذراعاً وقيـراط ، وذرع بقيّة هـذا الجدار يُعـرف تقريبـاً من جدار الدرجة اليماني ، لكونه في محاذاة بقيّة هذا الجدار ، وذرْع جدار الدرجة المشـار إليـه ثلاثـة أذرُع إلاّ ثُمناً ، فيكـون ذرْع الجدار الشـاميّ على التقريب أربعـة عشر ذراعا إلا قيراطين .

وطول جدارها الغربي من سقفها الأسفل إلىءأرضها سبعة عشر ذراعاً بتقديم السين أيضاً ، ورُبع ذراع وثُمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن الغـربي إلى الركن اليماني ثمانية عشر ذراعاً وثلث ذراع .

وطول جدار الكعبة اليماني من سقفها الأسفل إلى أرضهـا سبعة عشـر ذراعاً بتقديم السين ونصف ذراع وقيراطان . وعرض هذا الجدار من الـركن اليماني إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود أربعة عشر ذراعاً وثلثا ذراع .

ومن وسط جدار الكعبة الشامي إلى وسط جدارها اليماني ثمانية عشـر ذراعاً وثلث .

ومن وسط جـدارها الشـرقي إلى وسط جدارهـا الغـربي أربعـة عشـر ذراعـاً ونصف ذراع وثُمن ذراع ، ومـا بين الجدار الشرقي وبين كـرسيّ الأسـطوانـة الأولى

Marfat.com

التي تلي اليمن ، وباب الكعبة سبعة أذرع بتقديم السين على البـاء ، وثُمن ، وكذلك ما بينه وبين كرسيّ الأسطوانة الوسطى ، وما بينه وبين كرسي الأسطوانة التي تلي الحجر سبعة أذرُع بتقديم السين أيضاً وقيراط ، وبين كلٌ من كراسي هذه الأساطين وما يقابله من الجدار الغربي سبعة أذرع بتقديم السين أيضاً ، إلاَّ أنه ينقص في ذرْع ما بين كرسي الإسطوانة الوسطى ، وما يحاذيها من الجدار الغربي المذكور قيراطين ، وبين كرسي الأسطوانة الأولى التي تلي باب الكعبة ، وبين جدار الكعبة اليماني أربعة أذرُع وثُلث ، وما بين كرسيّها وكرسي الأسطوانة الوسطى أربعة أذرع ورُبع وثُمن ، وما بين كرسي الوسطى وكرسي الأسطوانة الثالثة التي تلي الحجر بسكون الجيم أربعة أذرُع ونصف ، وما بين كرسي هذه الإسطوانة الثالثة والجدار الشمالي الذي يليها ذراعان وربع .

وذرْع تدوير الإسطوانة الأولى التي تلي الباب ذراعان ورُبع وثُمن ، وذرْع تدوير الوسطى ذراعان ونصف ذراع ورُبع ذراع ، وذرْع تدوير الأسطوانة التي تلي الحجر ذراعان ونصف وقيراطان ، وهي مثمَّنة ، وطول فتحة الباب من داخله مع الفياريز[1] ستّة أذرع ، وطوله من خارجه بغير الفياريز ستة أذرع إلاَّ ربع[2] وذرع فتحة الباب من داخل الكعبة مع الفياريز ثلاثة أذرع وثلث إلاَّ قيراط ، وطول كلٌ من فردتي الباب ستة أذرع إلا ثُمن ، وعرض كلّ منهما ذراعان إلاَّ ثلث ، وذرْع عرض القبّة ذراع إلاَّ ربع ، وسعة فتحة باب الدرجة الذي يُصعَد منه إلى أعلا الكعبة من أسفله ذراع وقيراطان ، ومن أعلاه ذراع وثُمن ، وارتفاع الباب عن الأرض ذراعان ونصف ذراع وسُدس ذراع وثُمن ذراع .

ذِكْر ذرْع الكعبة من خارجها بذراع الحديد

طول جدارها الشرقي من أعلا الشاخص على سطحها إلى أرض المطاف ثلاثة وعشرون ذراعاً وثُمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن الذي فيه الحجر

(١) الفياريز : مفردها إفريز .
(٢) بياض بالأصل .

Marfat.com

الأسود إلى الركن الشامي الذي يقال له العراقي أحد وعشـرون ذراعاً وثُلث ذراع ، ومن عتبـة باب الكعبـة إلى أرض الشاذروان تحتهـا ثلاثـة أذرُع ونصف ، وارتفـاع الشاذروان تحتها رُبع ذراع وقيراط ، وطول جدارها الشامي من أعـلا الشاخص في سطحها إلى أرض الحجر ثلاثة وعشرون ذراعاً إلا ثُمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن الشامي إلى الركن الغربيّ سبعـة عشر ذراعـاً بتقديم السين ونصف ذراع ورُبع ذراع ، وطول جـدارها الغـربي من أعلا الشـاخص في سطحهـا إلى الأرض ثلاثة وعشرون ذراعاً ، وعرض هذا الجدار من الركن الغربي والركن اليمـاني أحد وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع ، وطول جدارها اليماني من أعلا الشاخص في سطحهـا إلى الأرض كالجهة الشرقية ثلاثة وعشرون ذراعاً وثمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن اليماني إلى الركن الذي فيـه الحجر الأسـود ثمانيـة عشر ذراعـاً وسُدس ذراع .

ذكر ذرْع سطح الكعبة

من وسط جدارها الشرقي إلى وسط جدارها الغربي أربعـة عشر ذراعـاً ورُبع ذراع وثُمن ذراع ، ومن وسط جـدارها الشـامي إلى وسط جدارهـا اليماني ثمـانيـة عشر ذراعاً إلاَّ ثُمن ذراع ، وارتفـاع الشاخص في الجهـة الشرقيـة ذراع إلاَّ ثُمن ، وعـرضه ذراعـان إلاَّ سُدُس ، وارتفـاع الشاخص في الجهـة الشاميّـة ذراع وثُمن ، وعـرضه ذراعـان إلاَّ ثُمن ، وارتفاع الشـاخص في الجهة الغـربيّة ذراع ، وعـرضه ذراع ونصف وثُمن ، وارتفاع الشاخص في الجهة اليمانية ثُلُثا ذراع ، وعرضه ذراع ونصف وقيراط ، وما ذكرناه في ذرْع عرض الكعبة من داخلها وخارجها ينقص عما ذكره ابن جماعة في ذلك ، وما ذكرناه في طولها من خارجها ينقص عما ذكـره ابن جماعة في ذلك ، لأنّ ما ذكرناه ينقص في طولها من خارجها ثلثي ذراع وقيـراطاً ، وينقص في ذرع عرض جدارها الشرقي من خارجها ذراعين إلاَّ قيـراطين ، وينقص في عرضه من داخلها نصفاً وقيراطاً ، وينقص في ذرع عـرض جدارهـا الشامي من خارجها ذراعـاً ، وينقص في عرضـه من داخلها ذراعـاً وسُدسـاً ، وينقص في ذرْع

Marfat.com

عـرض جدارهـا الغربي من خـارجها ذراعـاً وثُلث ذراع ، وينقص في عـرضـه من داخلهـا ثلث ذراع وثُمن ذراع ، وينقص في ذرع عـرض جـدارهـا اليمـاني من خارجها ذراعـاً وقيراطين ، وينقص في عـرضه من داخلهـا ثلثي ذراع ، وكل ذلـك بذراع الحديد .

ذكر شاذروان الكعبة وشيء من خبر عمارته

أما شاذروان الكعبة فهو الأحجار الملاصقة بالكعبة التي عليها البنـاء المسنّم المـرخّم في جوانبهـا الثلاثـة : الشرقي والغـربي واليماني وبعض حجـارة الجانب الشرقي لا بناء عليه ، وهو شاذروان أيضاً . وأما الحجارة الملاصقة بجـدار الكعبة الذي يلي الحجر فليست شـاذرواناً ، لأنَّ مـوضعها في الكعبـة بلا ريب كمـا سبق بيانه ، والشاذروان هو ما نقصته قـريش من عرض جـدار أساس الكعبـة حتى ظهر على الأرض كمـا هو عـادة الناس في الأبنيـة ، أشار إلى ذلـك الشيخ أبـو حـامـد الأسفرائيني وابن الصلاح والنووي . ونقل ذلـك عن جماعـة من الشافعيـة وغيرهم والمحبّ[1] الطبري . وذكر أنّ الشافعي أشار إلى ذلك في « الأم »[2] ، ونقـل عنه أنه قال : إنْ طاف عليه أعاد الطواف . انتهى .

وقـد اختلف العلماء في حكم الشـاذروان ، فذهب الشـافعي وأصحابـه إلى وجوب الاحتراز منـه وعدم إجـزاء طواف من لم يحتـرز منه ، وهـو مقتضى مذهب مالك على ما ذكر ابن شاش وابن الحاجب وشارحه الشيـخ خليل وتلميـذه صاحب الشامل وغيرهم من متأخّري المالكيـة ، وأنكر ذلـك بعض متأخّـري المالكيـة ولم يثبتـه في المـذهب . ومـذهب الحنـابلة أنّ الاحتـراز منـه مـطلوب ، إلاَّ أنّ عـدم الاحتراز لا يفسد الـطواف ومذهب أبي حنيفـة أنه ليس من البيت على مقتضى مـا

---

(١) ورد هذا النصّ في كتاب تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٤٥ وعبارته : كالمحبُّ الطبري .
(٢) الأم - ج ٢/ ١٧٠ .

Marfat.com

نقـل القاضي شمس الـدين السروجي من الحنفيـة عنهم وهـو اختيـار جمـاعـة من محققي العلماء على ما ذكر القاضي عز الدين بن جماعة .

قلت : ينبغي الاحتراز منه لأنه إنْ كان من البيت كمـا قيل ، فـالاحتراز منـه واجب ، وإلاَّ فلا محذور في ذلـك ، كيف والخروج من الخـلاف مطلوب ، وهـو هنا قويّ ، والله أعلم ، وبعض النـاس يعارض القـول بأنّ الشاذروان من البيت ، بكون ابن الزبير رضي الله عنه بنى البيت على أساس إبراهيم عليه السلام كما جاء في خبر بنيانه ، وهذا المعـارض لا يخلو من حالتين : أحـدهما أن يـدّعي أنّ ابن الزبير استـوفى البناء على جميـع أساس جـدران البيت بعد ارتفـاعه عن الأرض ، والآخر أن يدّعي أنّ البناء إذا نقص من عرض أسـاسه بعـد ارتفاعـه عن الأرض لا يكون مبنيّاً على أساسه ، والأول لا يقوم عليه دليـل لأنّ ما ذكـر من صفة بنـاء ابن الزبير البيت لا يقتضي أن يكون بناء البيت مستوفياً على جميع أساس جدرانه بعـد ارتفـاعها عن الأرض ، ولا نـاقصاً عن أسـاسها ، ووقـوع هذا في بيـانه أقـرب من الأول ، لأنّ العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لما في ذلك من مصلحة البناء ، وإذا كان هذا مصلحـة البناء فـلا مانـع من فعله في البيت لما بني في زمن ابن الـزبير رضي الله عنـه ، والله أعلم . نعم في بناءابن الـزبيـر لـه على أسـاس إبراهيم دليـل واضح على أنـه أدخل في البيت مـا أخرجتـه منه قـريش في الحجر ، فإنّ بناء ذلك على أساس إبراهيم لا أساس قريش ، والثاني غير مسلّم ، لأنّ الجدار إذا اقتصر من عرضه بعد ارتفاعه عن الأرض لا يخرجـه ذلك عن كـونه مبنيّاً على أساسـه . وهذا ممـا لا ريب فيه وإنكـاره مكابـرة ، والله أعلم . ولم أدر متى كان ابتداء البناء في الشاذروان ، ولم يُبْن مرّة واحدة وإنّما بُني دفعات ، منهـا في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، ولم أدر ما بُني منه في هذه السنـة . ومنها في سنة ست[1] وثلاثين وستمائة ، على ما ذكر ابن خليـل في منسكه ، ونصّ[2] لمـا

---

(١) كان موضعها بياض في الأصل ، وقد أكملنا النصّ من كتاب تاريخ الكعبة المعظمـة ص ١٤٦ حيث ذكر كلام الفاسي كاملاً .

(٢) هكذا بالأصل ولا معنى لها .

Marfat.com

بين ستة وثلاثين . وذكـر أنّ في هذه السنـة خُتم الشاذروان عنـد الحجر الأسـود ، ومنهـا في آخر عُشـر الستين وستمائـة أو في أوائـل عُشـر السبعين وستمـائـة ، لأنّ القـاضي بدر الـدين ابن جماعـة ذكـر أنـه رأى الشـاذروان في سنـة ستٍّ وخمسين وستمائة ، وهي مصـطبة يـطوف عليها بعض العـوامّ . ورآه في سنة إحـدى وستين وقـد بُني عليه مـا يمنع من الـطواف عليه على هيئـة اليوم . هكـذا نقل عنـه ولـده القاضي عزّ الدين ، فيما أخبرني به عنه خالي ، رحمهم الله تعالى .

وذكر القاضي عزّ الدين ابن جماعة فيما أخبرني عنه خالي أيضاً ، أنّ ارتفاع الشاذروان عن أرض المطاف في جهة باب الكعبة ربع ذراع وثُمن ذراع ، وعـرضه في هذه الجهة نصف وربع .

وذكر الأزرقي أنّ طول الشاذروان في السماء ستة عشر أصبعاً ، وعرضه ذراع انتهى[1] . وقـد نقص عرضـه كما ذكـر الأزرقي في بعض الجهات وأفتى المحبّ الطبري عالم الحجاز في وقته ، بوجوب إعادة مقداره على ما ذكـره الأزرقي ، وله في ذلك تأليف نحو نصف كرّاس سمّاه « استقصاء البيان في مسألة الشاذروان » .

ذكر حلْية الكعبة المعظمة

أول من حـلّاهـا في الجـاهليـة على مـا قيـل عبـد المـطلب جـدّ النبيّ ﷺ بـالغزالين الـذهب اللذين وجدهمـا في زمـزم حين حفـرهـا . ذكـر ذلـك الأزرقي واضطرب كلامه في أول من حلّاها في الإسلام، فنقل عن جدّه أنّ الوليد بن عبد الملك ابن مـروان أول مـن ذهّب البيت في الإسلام . وذكـر في موضـع آخـر بما يخالف ذلك لأنـه قال : وبعث عبـد الملك بن مروان بـالشمسيّتين ، وقد حين من قـواريـر ، وضـرب على الأسـطوانـة الـوسـطى الـذهب من أسفلهـا إلى أعـلاهـا صفايح[2] ، انتهى .

---

(١) أخبار مكة ١/٣٠٩ .

(٢) أخبار مكة ١/٤ ٢١٠ و ٢٢٤ .

وذكر المسبّحي ما يقتضي خلاف ما ذكره الأزرقي في أول من حلّى الكعبة في الإسلام ، لأنه قال في أخبار سنة خمس وستين من الهجرة : وفيها استتمّ ابن الزبير بناء الكعبة ، قال : إنَّ بناءها بالرصاص المذوَّب المخلوط بالورس ، وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب ومفاتحها ذهب ، انتهى . نقلت ذلك هكذا من خطّ الحافظ رشيد الدين ابن الحافظ ركن الدين المنذري في اختصاره لتاريخ المسبّحي ، وإنّما ذكرنا ذلك بنصّه لِما فيه من إفادة تاريخ عمارة ابن الزبير للكعبة ، ولما فيه من أنه بناها بالرصاص مع الورس ، وذلك مما لم يذكره الأزرقي في خبر عمارته ، والله أعلم .

وذكر الأزرقي صفة الحِلية التي عُملت بأمر الوليد ومقدارها لأنه قال : فلما كان في خلافة الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسْري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابَيْ الكعبة صفائح الذهب ، وعلى ميزاب الكعبة ، وعلى الأساطين التي في باطنها وعلى الأركان في جوفها[1] . وذكر الأزرقي أنّ الأمين محمد بن هارون الرشيد الخليفة العباسِي أرسل إلى سالم بن الحجّاج[2] عاملٍ له على صوافي مكة بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفايح الذهب على بابي الكعبة ، فقلع ما كان على الباب من الصفايح ، وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار ، فضرب عليه الصفائح التي هي عليه اليوم ، يعني في زمنه ، والمسامير وحلْقَتَيْ باب الكعبة ، وعلى الفياريز والعقب[3] . وذكر الأزرقي أنّ الحَجَبَة كتبوا إلى الخليفة المتوكل العباسي رقعة ذكروا فيها أنّ زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبَّستين[4] ذهباً وزاويتين فضة ، وأنّ ذلك لو كان ذهباً كلّه كان أحسن وأزين ، وأنّ قطعة مركّبة على بعض جدران

---

(١) أخبار مكة ١/٢١٢ و٢١٣ .

(٢) في أخبار مكة « الجراح » .

(٣) أخبار مكة ١/٢١٢ .

(٤) كذا في الأصل ، والصحيح « ملبّستان » .

Marfat.com

الكعبة شبه المنطقة فوق الإزار الثاني من الرخام ، وذكروا أنه لو كان بدل تلك القطعة فضة في أعلا إزار الكعبة في تربيعها كان أبهى وأحسن . وذكر الأزرقي أنّ المتوكل أنفذ لعمل ذلك ، ولعمل ما كتب به إليه إسحاق بن سلمة الصائغ . قال : وعمل إسحاق الذهب على زاويتي الكعبة من داخلها فكان ما كان هنالك من الفضّة ملبّساً وكسر الذهب الذي كان على الزاويتين الباقيتين وأعاد عمله فصار ذلك أجمع على مثال واحد منقوشة مؤلّفة ثابتة وعمل منطقة من فضّة ، وركّبها فوق إزار الكعبة في تربيعها كلّها منقوشة مؤلّفة جليلة ثابتة يكون عرض المنطقة ثلثي ذراع ، وجعل لها طوقاً من ذهب منقوشاً متّصلاً بهذه المنطقة . ثم قال : وفي أعلا[1] هذه المنطقة رخام منقوش ، فما لبس ذلك الرخام ذهباً رقيقاً من الذهب الذي يُتَّخذ للسقوف . قال : وكان في الجدار الذي في ظهر الباب يمنة من دخل الكعبة رزّة كُلّاب من صفر يُشَدّ به الباب إذا فتح بذلك الكلّاب ، لئلاّ يتحرّك عن موضعه ، فقلع ذلك الصفر وصيّر مكانه فضّة ، وألبس ما حول باب الدرجة فضّة مضروبة . قال : وكانت عتبة الباب السفلى قطعتين من خشب الساج قد رَثتا ونُخِرَتا من طول الزمان عليهما ، فأخرجهما وصيّر مكانهما قطعة واحدة من خشب الساج وألبسها صفائح فضّة .

قال الأزرقي : وأخبرني إسحاق بن سلمة الصايغ أنه بلغ ما كان في الزوايا من الذهب والطوق الذي حول الجزعة نحوٌ من ثمانية آلاف مثقال ، وأنّ ما في منطقة الفضّة وما كان على عتبة الباب السفلى من الصفائح وعلى كرسي المقام من الفضّة نحوٌ من سبعين ألف درهم ، وما ركب من الذهب الدقيق على جدران الكعبة وسقفها نحو من مائة حُقّ يَكون في كل حُقّ خمسة مثاقيل ، هذا ما ذكره الأزرقي من خبر حِلية الكعبة[2] ، وأفاد السُهَيلي في تحليلة الوليد بن عبد الملك للكعبة أمراً لم يفده الأزرقي ، وفي كلامه ما يقتضي أنه ليس أول من حلاها في

---

(١) كذا في الأصل .
(٢) أخبار مكة ١/ ٣٠١.

Marfat.com

الإسلام ، ولنذكر كلامه لإفادة ذلك ، ونصّه : ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد في حليتها ، وصرف في ميزابها وسقفها ما كان في مائدة سليمان عليه السلام من ذهب وفضّة ، وكانت قد احتُمِلت على بغل قويّ فتفسخ تحتها ، فضرب منها الوليد حِلْية الكعبة ، وكانت قد احتُملت إليه من طُلَيْطِلَة من جزيرة الأندلس ، وكانت لها أطواق من ياقوت وزبرجد[1] . انتهى .

ولنذكر ما علمناه من خبر حليتها بعد الأزرقي على الترتيب ، فمن ذلك أنّ وفد الحَجَبَة كتبوا إلى الخليفة المعتضد العباسي يذكرون أنّ بعض عمال مكة كان قد قلع ما على عضادَتَيْ باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير واستعان به على حرب وأمور كانت بمكة بعد العلويّ الخارجي بها في سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فكانوا يسترون العضادتين بالديباج ، وأنّ بعض العمال بعده قلع مقدار الربع من أسفل ذهب بابَيْ الكعبة وما على الأنف ، واستعان به على فتنةٍ كانت بين الحنّاطين والجزّارين بمكة في سنة ثمانٍ وستّين ومائتين ، وجعل ذلك فضّة مضروبة مموّهة بالذهب ، على مثال ما كان عليها ، فإذا تمسّح به في أيام الحجّ ، بدت الفضّة حتى تجدّد تمويهها في كل سنة ، وأنّ المعتضد أمر بعمل ذلك ، وعمل ما رُفع إليه ، فعمل ذلك ، ومن ذلك أنّ أمّ المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤ بأن يلبّس جميع الأسطوانة الأولى التي تلي باب الكعبة الذهب ، لأنّ التي تليها كانت ملبّسة بصفائح الذهب ، وبقيّتها مموّهة ، وذلك في سنة عشر وثلثمائة ، ومن ذلك أنّ الوزير جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر أنفذ في سنة تسعٍ وأربعين وخمسمائة رجلاً من جهته يقال لة الحاجب ، ومعه خمسة آلاف دينار لعمل صفائح الذهب والفضّة في داخل الكعبة وفي أركانها .

وممّن حلاّها الملك المظفّر صاحب اليمن وحِلْيته لبابها ، وقد تقدّم مقدار

---

(١) الروض الأنف ١/٢٢٤ .

Marfat.com

الحِلْية التي كانت على الباب الذي صنعه لها ، وحلّاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن ، وأُخبِرْتُ عمّن رأى اسم الملك المجاهد مكتوب[1] بقلم غليظ في أعلى الحائط الذي فوق باب الكعبة من داخلها ، وقد تقدّم أنّ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلّى باب الكعبة الذي عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم وثلاثمائة درهم ، وأنّ حفيده الملك الأشرف شعبان بن حسين حلّى باب الكعبة في سنة ستٍّ وسبعين وسبعمائة ، فهذا ما علمته من حِلْية الكعبة بعد الأزرقي .

ذكر معاليق الكعبة وما أُهدي إليها في معنى الحِلية

قال المسعودي في أخبار الفُرس : وكانت الفُرس تُهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان وجواهر ، وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذَهَباً كثيراً ، فدُفن في زمزم ، وقد ذهب قوم من مصنّفي الكتب في التواريخ وغيرها من السِيَر أنّ ذلك كان لجُرْهُمْ حين كانت بمكة ، وجُرْهُمْ لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها ، ويُحتمل أن يكون لغيرها[2] ، والله أعلم انتهى .

ويقال إنّ كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَضْر بن كِنانة القُرَشيّ أول من جعل في الكعبة السيوف المحلّاة بالذهب والفضّة ذخيرة للكعبة ، وذكر ذلك صاحب « المورد العذْب الهني ».

وذكر الأزرقي رحمه الله أشياء أُهديت للكعبة لأنه قال : حدّثنا محمد بن يحيى عن الواقدي عن أشياخه قال : لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه مداين كسرى كان مما بُعث إليه هلالان ، فبعث بهما فعلّقهما في الكعبة ، وبعث

---

(١) كذا بالأصل والصحيح « مكتوباً » .
(٢) مروج الذهب ١/٢٤٢ .

Marfat.com

عبد الملك بن مروان بالشمسيّتين وقَدَحَيْن من قوارير ، ثم قال : وبعث الوليد بن عبد الملك بقدحين ، وبعث الوليد بن يزيد بالسرير والكرسي[1] وبهلالين ، ثم قال : وبعث أبو العباس ، يعني السفّاح ، بالصفحة الخضراء ، وبعث أبو جعفر ، يعني أخاه المنصور ، بالقارورة الفرعونية ، وبعث المأمون بالياقوتة التي تعلّق كل سنة في وجه الكعبة في الموسم سلسلة من ذهب ، وبعث أمير المؤمنين جعفر المتوكّل بشمسيّة عملتها من ذهب ، مكلّلة بالدرّ الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد ، وسلسلة تعلّق في وجه الكعبة في كل موسم .

وقال الأزرقي : حدّثني سعيد بن يحيى البلخي قال : أسلم ملك من ملوك البيت[2] وكان له صنم من ذهب يعبده في صورة إنسان ، وكان على رأس الصنم تاج من ذهب مكلّل بخرز الجواهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد ، وكان على سرير مرتفع[3] عن الأرض على قوائم والسرير من فضّة ، وعلى السرير فرشة الديباج ، وعلى أطراف الفرش آزار[4] من ذهب وفضّة مرخاة ، والآزار[4] على قدر الكرسي في وجه السرير ، فلما أسلم ذلك الملك ، أهدى السرير والصّنم إلى الكعبة ، هذا ما ذكره الأزرقي في معاليق الكعبة ، وما أُهدِي إليها في معنى الحِلية ، ومما أُهدي لها من هذا القبيل في عهد الأزرقي ، ومما لم يذكره : قفل فيه ألف دينار ، أهداه إليها المعتصم العباسي ، ذكر ذلك الفاكهي لأنه قال : ذِكْر قفل الكعبة ، وقال بعض المكّيين إنّ أمير المؤمنين المعتصم بالله بعث إلى الكعبة بقفل فيه ألف دينار في سنة تسع عشر[5] ومائتين ، وعلى مكة يومئذ صالح بن العباس ، فأرسل صالح إلى الحَجَبَة فدعاهم ليقبضهم القفل ، فأبى[6] أن

---

(١) في أخبار مكة ١/٢٢٤ (الزيني) بدل (الكرسي) .
(٢) في أخبار مكة ١/٢٢٥ « التّبت » ولعلّ هذا هو الصحيح ، فيكون أحد الملوك بتلك البلاد .
(٣) في النسخة « ك » (مربّع مرتفع) وكذا في أخبار مكة ١/٢٢٥ .
(٤) في أخبار مكة ١/٢٢٥ « أزرار » .
(٥) في النسخة « ك » عشرة .
(٦) في النسخة « ك » (فأبى الحَجَبَة) وهو الذي يقتضيه سياق الكلام .

يأخذوه ، فأجبرهم على ذلك ، وأراد أن يأخذ قفلها هـذا الذي عليهـا ، وأعطاهم القفل الذي كان بعث إليها ، فقسموه بينهم ، انتهى .

وذكر المسبّحي هذا القفل ، وفيما ذكره ما يُفْهَم منه غير ما ذكره الفـاكهي : لأنه قال في أخبار سنة تسع عشر[1] ومائتين منهما وصل طاهر بن عبد الله بن طاهر حاجّاً في عدد كثير منَ الجند بقفل فيه ألف مثقال مَن ذهب ، فقفل به البيت ونزع قفله الـذي كان عليـه ، وكان مـطليّاً ، ويقـال إنّ الحجّـاج عمله ، انتهى . نقلت ذلك من خطّ الرشيد بن المنذري في اختصاره لتاريخ المسبّحي .

ومما أُهدي لها من هذا القبيـل في عهد الأزرقي أو بعـده بقليل ، طـوق من ذهب مكلّل بالزُّمُرُّد والياقوت وغير ذلك ، مع ياقوتة خضراء كبيرة ، ذكره الفـاكهي ، لأنـه قال : وأسلم ملك من ملوك السنـد في سنة تسعٍ وخمسين ومـائتين ، فبعث إلى الكعبـة بطوق من ذهب فيـه مائـة مثقال مكلّل بـالزُمـرُّد والياقـوت وبالمـاس ، وياقوتـة خضراء وزنهـا أربعة وعشـرون مثقالاً ، فـدفعها إلى الحَجَبَـة ، فكتبوا في أمرها إلى أمير المؤمنين المعتمد على الله ، وأخذوا الدُّرَّة فأخرجوها وجعلوهـا في سلسلة من ذهب ، وجعلوها في وسط الطوق مقابلة الياقوت والزُمرُّد ، فجاء كتـاب أميـر المؤمنين بتعليقهـا ، فعُلّقت مـع معـاليق الكعبـة في سنـة تسـعٍ وخمسين ومائتين ، انتهى .

ومما عُلِّق في الكعبة في عهد الأزرقي أو بعده بقليـل ، قصبة من فضّـة فيها كتاب ، فيه بيعة جعفر بن المعتمد وبيعة أبي أحمد الموفّق ، ذكر ذلك الفـاكهي ، لأنـه قـال : ثم قـدم الفضـل بن عبـاس الهـاشمي مكـة في مـوسم سنـة إحـدى وستّين[2] ، ومعـه كتاب فيـه بيعة جعفـر بن أميـر المؤمنين المعتمـد ، وبيعـة أبي أحمد الموفّق بالله أخي أمير المؤمنين ، ومـا عقد لـه أمير المؤمنين المعتمـد على الله ، فعمل لذلك قصبة من فضّة ، فيها ثلاثمائة وخمسون درهماً فضّة ، ثم أدخل

---

(١) في النسخة « ك » عشرة .
(٢) أي سنة إحدى وستّين ومائتين .

Marfat.com

الكتاب فيها ، وجعل على رأس القَصَبَة ثلاث رزان ، وجعل الرزان ثلاث سلاسل من فضّة ، ثم دخل الكعبة يوم الإثنين لأربع ليالٍ خَلَوْن من صفر ، ومعه محمد ابن يحيى صاحب شرطته ، وهو يومئذ على الخراج والبريد والصوافي ، فأقاما فيها حت عُلّقت[1] هذه القصبة مع معاليق الكعبة ، وذلك في صفر سنة اثنتين وستين ومائتين ، انتهى .

وأفاد الفاكهي في صفة الياقوتة التي بعثها المأمون ما لم يفده الأزرقي ، وهي أنها أكبر من الدُّرة اليتيمة ، لأنه قال : وبعث أمير المؤمنين بالياقوتة التي كانت تعلق كل سنة في وجه الكعبة بسلسلة من ذهب ، وهي أكبر من الدُّرة اليتيمة . حدّثني حسن بن حسين الأزدي ، حدّثنا إسماعيل بن مجمع قال : وَزَنْتُ الدُّرّة اليتيمة فوجدتها ، فإذا وزنها مثقالان ونصف ورُبع وعُشر ، انتهى .

ومما أُهدي لها من هذا القبيل بعد الأزرقي قناديل بعث بها المطيع العباسي[2] ، كلّها فضّة ، خلا قنديلاً منها كان ذَهَباً ، زنته ستمائة مثقال ، وذلك في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، ومن ذلك قناديل ومحاريب أهداها إلى الكعبة صاحب عُمَان ، على ما ذكر أبو عبيد الله[3] البكري في كتاب « المسالك والممالك » ونصّ كلامه : وقد أهدى صاحب عُمان إلى الكعبة بعد العشرين وأربعمائة محاريب مبنيّة زِنة المحراب أزْيَدُ من قنطار ، وقناديل في نهاية الإحكام ، وسُمِّرت المحاريب في الكعبة مما يلي بابها ، انتهى .

ومن ذلك قناديل ذهبٍ وفضّة ، أهداها للكعبة الملك المنصور عمر بن علي ابن رسول صاحب اليمن في سنة اثنين وثلاثين وستمائة ، ومن ذلك قفل ومفتاح أهداه إليها الملك الظاهر بيبرس[4] صاحب مصر ، وركّب عليها القفل المذكور ، ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصّعتان باللؤلؤ والبلخش ، كل حلقة وزنها ألف

---

(١) في النسخة « ك » « حتى علّقا » .
(٢) تولّى الخلافة سنة ٣٣٤ وبقي إلى سنة ٣٦٣ هـ .
(٣) كذا هنا والصواب (أبو عبيد) .
(٤) ولي السلطنة سنة ٦٥٨ حتى مات سنة ٦٧٦ هـ . (شذرات الذهب ٥/ ٣٥٠).

Marfat.com

مثقال ، وفي كلّ حلقة ستّ لؤلؤآت فاخـرات ، وبينها ستّ قـطع بلخش فاخـر ، بعث بذلك الوزير علي شاه وزير السلطان أبي سعيـد بن خدا بنـده ملك التتر على يد الحاجي مولا واخ، في سنة ثمان عشرة وسبعمائة، ولما أراد تعليق ذلك بباب الكعبة منعه منه أمير الركب المصري في هذه السنة، وقال: هذا لا يمكن إلا بإذن السلطان، يعني صاحب مصر، إذا ذاك وهو الناصر محمد بن قلاوون، فقال الحاجي مولا واخ: إنّ الوزير علي شاه كان نَذَر متى ظفر بخواجه رشيـد الدولـة وقتله أنْ يعلّق على باب الكعبـة حلقتين ، فيقال إنه أذِنَ له في تعليقهما زمنـاً قليلاً ، ثم رُفعتـا ، وأخذهمـا إذ ذاك رميثـة بن أبي نُمَيّ[1] من آل قتادة ، ومن ذلـك ما أخبـرني به بعض فقهـاء مكة : أربعة قناديل كبار ، كل قنديـل منها على مـا ذكر في مقـدار الدروق ، بمكـة اثنان منهـا ذَهَب ، واثنان فضّـة ، والمُهْـدي لـذلـك هـو السلطان شيـخ أُوَيْس صـاحب بغداد ، وذلك في أثناء عُشْر السبعين وسبعمائة على مـا ذكر ، وذكـر أنّ ذلك عُلّق في الكعبـة زمناً قليـلاً ، ثم أُزيـل ، وأخـذه أميـر مكّـة عَجْـلان بن رميثـة ، انتهى بالمعنى . وأهدى الناس بعد ذلك للكعبة قنـاديل كثيـرة ، والذي في الكعبـة الآن من المعـاليق ستة عشـر قنديـلاً ، منها ثـلاثة فضّـة ، وواحد ذهب ، وواحـد بلّور واثنان نحاس ، والباقي زجاج حلبي ، وهو تسعة بتقـديم التاء ، وليس في الكعبـة الآن شيء من المعاليق التي ذكرها الأزرقي . ومما لم يذكره مما ذكرنا سوى الستة عشـر قنديـلاً وليس فيها شيء من حلقـة الذهب والفضّـة التي كانت في أسـاطينها وجدرانها ، بسبب[2] توالي الأيدي عليه من الوُلاة، وغيرهم على ما ذكـر الأزرقي في تاريخه ، ووقـع ذلك بعـده أيضاً ، فمن ذلـك ما وقـع لأبي الفتوح الحسن بن جعفـر العلوي[3] حين خرج عن طـاعة الحـاكم بأمـر الله ، ودعا لنفسـه بالإمـامـة وتلقّب بالراشد ، لأنه أخـذ من حلْيتها وضـربها دنـانير ودراهم . وهي التي تسمّى الفتحية ، وأخذ بعد ذلك المحاريب التي أهداها للكعبة صاحب عُمَان .

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١١٨/١ : « ثمن » وما أثبتناه هو الصحيح ، عن الدرر الكامنة ١١١/٢ .
(٢) في النسخة « ك » (وسبب ذلك توالي) .
(٣) هو أمير مكة ، تولّاها مرتين ، الأولى ٣٨٤ ـ ٤٠١ والثـانية ٣ ـ ٤ ـ ٤٢٠ هـ . (أنـظر عنه : الكـامل في التاريخ ٣٣١/٩ ـ ٣٣٢ ، وفيات الأعيان ١٧٤/٢ ، ١٧٥ ، العقد الثمين ٦٩/٤) .

Marfat.com

ومن ذلك ما وقع لمحمد بن جعفر المعروف بـابن أبي هاشم الحسيني[1] ، لأنه في سنة اثنتين وستّين وأربعمائة أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لما لم يصله شيء من جهة المستنصر[2] العُبَيْدِي صاحب مصـر لاشتغالـه عنه بمـا هو فيه من القحط الذي كاد بسببه يتولّى[3] الخراب على إقليم مصر.

وقد ذكر الأزرقي في عقوبة من اجترأ على ذلك وفي التحذير منه أخباراً منها ما نقله عن جدّه أحمد بن محمد الأزرقي عن عبد الله بن زرارة أنه كان مال الكعبة يُدْعَى الأبرق ، ولم يخالطه مالٌ قطّ إلاّ محقه ، ولم يـرزأ منه أحـد إلاّ بان النقص من مـاله ، وأدنى مـا يصيب صاحبـه أن يشـدّد عليـه المـوت ، ومنهـا أنّ فتىً من الحَجَبَة حضرتـه الوفـاة ، فاشتـدّ عليه النـزْع جداً ، حتى مكث أيـاماً ينتـزع نزعـاً شديداً ، فقال له أبوه : لعلّك أصبت من الأبرق شيئاً ، يعني مال الكعبة ، فقال : أربعمائة دينار فأشهـد أنّ عليه للكعبـة أربعمائـة دينار ، فسُـرِّي عن الفتى ، ثم لم يلبث أن مات[4] . هذا معنى الخبرين باختصـار ، وبالجملة فـلا يجوز أخـذ شيء من حِلْيـة الكعبة لا للحـاجة ولا للتبـرُّك ، لأنّ ما جُعـل للكعبة وسُبـل لهـا جـرى مجرى الأوقاف ، ولا يجوز تغييرها عن وجوهها ، أشار إلى ذلك المحبّ الطبـري في « القرى » ، قال : وفيه تعظيم للاسلام وترهيب على العدوّ ، انتهى .

ذكر كسوة الكعبة المعظمة

كُسيت الكعبـة في الجاهليـة والإسـلام أنـواعـاً من الكسي ، منهـا الخصف والمعافر والملاء والوصائل والعصب[5] كساها ذلـك تُبَّع الْحِمْيـري ، على ما ذكـر

---

(١) ولي مكة سنة ٤٦١ إلى سنة ٤٨٧ هـ . (إيقاظ الحنفاء ـ ٢/٢٦٩) .

(٢) تولّي خلافة مصر من سنة ٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ . (إتعاظ الحنفاء ٢/١٨٤ ، ١٨٥) .

(٣) في النسخة « ك » (يستولي) وهو الصحيح .

(٤) أخبار مكة ١ / ٢٤٧ .

(٥) العصب برود يمانية ، والوصائل جميع وصيلة وهي ثوب أحمر مخطّط يمـاني ، والملاء جمـع ملاءة =

Marfat.com

ابن اسحق[1] . وذكر ابن جُرَيْج أنه كساها العصب ، وأنه أول من كسى الكعبة كسوة كاملة . وذكر السُهَيْلِي أنه كساها المُسوَحَ والأنطاع[2] ، ومنها على ما ذَكَرَتْ أمّ زيد بن ثابت الأنصاري مطارف خزّ خُضْر وصُفْر وكِرار وأكسية من أكسية الأعراب ، وسقاف شعر ، ومنها على ما ذكر عمر بن الحكَم السلَمي ، وصايل وأنطاع وكِرار خزّ ونمارق عراقية ، ومنها حبَرَات يمانية ، كساها ذلك أبو ربيعة المخزومي ، وكساها ذلك قريش حين بنوا الكعبة كما في خبر أبي نجيح ، وفي روايةٍ أنهم كسوها حينئذ الوصايل ، ومنها أنماط ، فهذه كسوتها في الجاهلية على ما ذكره الأزرقي[3] ، وأما كسوتها في الإسلام على ما ذكر الأزرقي فثياب يمانية كساها النبي ﷺ ذلك، وقباطي من مصر كساها ذلك عمر وعثمان ، وكساها عثمان أيضاً بُرُوداً يمانية ، وهو أول من ظاهر لها بين كسوتين ، وكساها عبد الله بن عمر ابن الخطاب ما كان يحلّي به بدنه من القباطيّ والحبرات والأنماط ، وكساها معاوية الديباج والقباطي والحبرات ، فكانت تُكْسَى الديباجَ يوم عاشوراء والقباطيّ في آخر رمضان للفِطر[4] .

وكساها يزيد بن معاوية الديباج الخسرواني ، وكساها الديباج أيضاً ابن

وهي ثوب ليّن رقيق ، والمعافر اسم بلد سُمّيت به الثياب المعافرية التي تصنع فيه ، والخصف جمع خصفة وهي الثوب الغليظ .

(١) روى ابن هشام نقلاً عن ابن إسحق أنّ تُبّعاً أول من كسا البيت وأوحى به وُلاته من جُرْهُم وأمرهم بتطهيره . وجعل له باباً ومفتاحاً (ج ١ ص ٢٧ ط الجمالية) .

(٢) المُسوح : جمع مسح ، وهو ثوب من الشعر غليظ ، والأنطاع جمع نَطْع ، وهو بساط من الجلد . وقد ذكر الفاسي رواية السَهَيْلي مقتَضَبَة وتكملتها أنه كساها بالخصف ثم كساها بالمُسُوح والأنطاع ، ثم كساها بالملاء والوصائل ، ومن قوله حين كسى البيت :

وكسونا البيت الذي حرّم اللـ ـهُ ملاءً مُعضداً وبرودا
فأقمنا به من الشهر عَشْراً وجعلنا لبابه إقليداً
ونحرنا بالشعْب ستةَ آلف فترى الناسَ نحوهنّ ؟ورُوداً
ثم سرنا عنه نَؤُمُّ سُهَيلاً فرفعنا لواءنا معقوداً

والقصيدة طويلة . (الروض الأنف ١/٤٠ ، ٤١)

(٣) أخبار مكة ١/٢٤٩ وما بعدها .

(٤) ذكر ابن هشام أن اول من كسى الكعبة بالديباج الحجاج بن يوسف وأنها كانت تُكْسَى قبل ذلك بالقباطي والبرود (جـ ١/١٣٢)، وانظر : أخبار مكة ١/٢٥٣ و٢٥٤ .

الزبير وعبد الملك بن مروان ، ويقال في كلٍّ من هؤلاء إنه أول من كسى الكعبة الديباج ، وكساها ابن الزبير حين فرغ من بنائها القباطيّ ، وكساها المأمون ثلاث كسيّ ، الديباج الأحمر يوم التَّروية ، والقباطيّ يوم هلال رجب ، والديباج[1] الذي أحدثه المأمون يوم سبع وعشرين من رمضان للفطر ، وهكذا كانت تُكْسَى في زمن المتوكّل العباسي ، وكساها حسين الأفطس العلوي كسوتين من قزّ رقيق ، إحداهما صفراء ، والأخرى بيضاء أمر بعملها أبو السرايا ، هذا ملخّص بالمعنى مما ذكره الأزرقي في كسوة الكعبة في الجاهلية والاسلام .

وممن ذكر الأزرقي أنه كسى الكعبة أبو بكر الصّديق رضي الله عنه ، ولم يذكر صفة كسوته ولا وقت كسوة عبد الله بن عمر بن الخطاب للكعبة ، ولا أنّ عليّ بن أبي طالب كسى الكعبة[2] ، ولم أر من صرّح بأنه كساها . ولعلّه اشتغل عن ذلك بحروبه في تمهيد أمر الدين مع الخوارج ، والله أعلم .

ووقع فيما ذكره الأزرقي من كسوة الكعبة ذكره القباطيّ والوصايل والحَبْرات والعصب والأنماط ، فأما القباطيّ فهي جمع قبطية بالضم ، وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض ، كان منسوباً إلى القبط وهم أهل مصر ، والضّم فيها من تغيير النسب ، وهذا في الثياب ، وأما في الناس فقبْطيّ بالكسْر لا غير ، وأما الوصايل فثياب حُمْر مخطَّطة يمانية ، وأما الحَبرات فجمع حَبْرة ، وهو ما كان من البُرُود مخطَّطاً يقال له بُرْد حَبْرة ، وبُرْد حَبْرٍ على الوصف وعلى الإضافة ، وهو من ثياب اليمن ، وأما العصب فهو بُرُود يمانية يُعْصَب غَزْلُها أي يُجمْعَ ويُشَدّ ثم يُصْبَغ ويُنْسَج فناى موسى لبقايا عصب منه أبيض ثم يأخذه صبغ يقال له بُرد عصب وبُرودٍ عصيب بالتنوين والإضافة ، وأما الأنماط فضرْب من البُسُط ، واحدها نمط ، ذكر تفسير ذلك كلّه على ما ذكرنا من يُعتَمَد من العلماء .

---

(١) في الأصل (والديباج الأبيض) .
(٢) راجع أخبار مكة ١/٢٥٣ .

Marfat.com

وممن كسى الكعبة على ما قيل ولم يذكره الأزرقي : إسماعيل النبيّ عليه السلام ، أخبرني خالي عن ابن جماعة قال : وقد روى عبد الرزاق عن ابن جُرَيْج قال : وزعم بعض علمائنا أنّ أول من كسى الكعبة اسماعيل النبيّ عليه السلام ، والله أعلم بذلك ، انتهى باختصار .

ومنهم عدنان بن أدّ وهو أول من كساها على ما قيل ، لأنّ الزبير بن بكار قال في كتابه « النسب » ويقال : إنّ عدنان بن أدّ خاف أن يُدْرَس الحَرَم ، فوضع أنصابه ، فكان أول من وضعها وأول من كسى الكعبة أو كُسيت في زمانه ، انتهى .

ومنهم خالد بن جعفر بن كلاب على ما ذكر السُهَيْلي[1] نقلاً عن الماوردي ، ونصّ كلام السُهَيْلي بعد أن ذكر شيئاً في كسوة الكعبة ، ويزيد هنا ما ذكره الماوردي[2] قال: أول من كسى الكعبة الديباج خالد بن جعفر بن كِلاب وجد لطمة يحمل البر[3] . ووجد فيها انماطاً فعلّقها على الكعبة ، انتهى .

وسبقهما إلى ذلك الفاكهي لأنه قال: وحدّثنا محمد بن أبي عمر وعبد الجبّار بن العلاء يزيد أحدهما على صاحبه، فقال: حدثنا سفيان عن مسعر عن خشرم قال : أصاب خالد بن جعفر لطمة في الجاهلية فيها نمط من ديباج ، فأرسل به إلى الكعبة وبُسِط عليها ، انتهى .

ومنهم أمّ العباس بن عبد المطلب كسَتْها الحرير والديباج على ما ذكر أبو عبيدة فيما نقله عنه ابن الحاجّ في منسكه ، ونقل عن أبي عبيدة أنّ سبب كسوتها للكعبة أنها أضلّت العباس صغيراً ، فنذرت إذا وجدته أن تكسو الكعبة ، فلما وجدته كستها ذلك ، وهيّ أول عربية كست الكعبة الديباج على ما ذكر السُهَيْلي

---

(١) الروض الأنف ١/٢٢٤

(٢) الأحكام السلطانية ١٦٢.

(٣) كذا في الأصل ، والعبارة غامضة ، وفي الأحكام السلطانية : « أصاب لطِمة في الجاهلية وفيها نمط ديباج فناطه بالكعبة » .

Marfat.com

وغيره ، وذكر الزبير بن بكار أنّ الذي أضلّته أمّ العباس ، ونذرت أن تكسو البيت إنْ ردّه الله عليها ابنها ضرار بن عبد المطّلب شقيق العباس ، وذكر أنها كانت تنشده بأبيات ، ثم قال : فأتاها به رجل من الخُدّام فكست البيت ثياباً[1] والله اعلم .

وكُسِيَ الكعبة بعد الأزرقي أنواعاً من الكساء ، فمن ذلك الديباج الأبيض الخُراساني والديباج الأحمر الخراساني ، على ما ذكر ابن عبد ربّه في « العقد » ولنذكر كلامه بنصّه لإفادته ذلك وغيره من أمر كسوة الكعبة ، قال بعد أن ذكر شيئاً من خبرها ، والبيت كلّه مستوفى[2] إلا الركن الأسود فإنّ الأستار تُفْرِج عنه مثل القامة ونصف ، وإذ دنا وقت الموسم كُسِي القباطيّ وهو ديباج أبيض خُرَاساني ، فيكون في تلك الكسوة ما دام الناس مُحْرمين ، فإذا أحلّ الناس ذلك يوم النحر حلّ البيت فكُسي الديباج الأحمر الخراساني ، وفيه دارات مكتوب فيها حَمْدَ الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه ، فيكون كذلك إلى العام المقبل ، ثم يُكْسَى أيضاً على حال ما وصفت ، فإذا كثُرَت الكسوة فخُشِي على البيت من ثقلها خُفِّف منها ، فأخذ ذلك سَدَنَةُ البيت وهم بنو شيبة ، انتهى كلام صاحب العِقْد بنصّه[3] . وكانت وفاته سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة على مَا ذكره الذهبي في « العبر »[4] وغيرها . ورأيت في كتابه « العِقْد ما يقتضي أنه عاش بعد ذلك سنين كما بيّناه في أصل هذا الكتاب، والله أعلم .

ومن ذلك الديباج الأبيض في زمن الحاكم العُبَيْدي ، وفي زمن حفيده المستنصر العُبَيْدِي ، كساها ذلك الصُلَيْحي صاحب اليمن ومكة ، وكساها أبو النّصْر الأستراباذي كسوة بيضاء من عمل الهند في سنة ستٍ وستين وأربعمائة ،

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) في العقد الفريد « مستور » .

(٣) العقد الفريد ٦/٢٥٧ ، ٢٥٨

(٤) العِبَر في خبر من غبر ٢/٢١١ ، ٢١٢

Marfat.com

وكُسِيَتْ في هذه السنة الديباج الأصفر ، وهذه الكسوة حملها السلطان محمد بن سبكتكين ، ثم ظفر بها نظام الملك وزير السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، فأرسل بها إلى مكة ، وجعِلَتْ فوق كسوة أبي النّصر ، وكُسِيَت أيضاً كسوة خضراء ، وذلك في مبدأ خلافة الناصر العباسي ، ولعلّها كانت تُكْسَى ذلك من قبل ، والله أعلم . وكُسيت في زمنه أيضاً كسوة سوداء ، وفيها طراز أصفر ، وكان قبل ذلك أبيض ، واستمرّت فيما أحسب تُكْسَى الديباج الأسود إلى الآن ، إلاّ أنّ في سنة ثلاث واربعين وستمائة كُسيت ثياباً من القطن مصبوغة بالسواد ، كساها ذلك العفيف منصور بن منعة البغدادي شيخ الحرم بمكة لما تمزقت كسوتها من الريح الشديدة التي وقعت بمكة في هذه السنة ، ووجدتُ بخطّ المَيُورقي ما يقتضي أنّ هذه الريح كانت في سنة أربع وأربعين وستمائة[1] والله أعلم .

ولما عُرِيَتْ الكعبة في هذا التاريخ أراد صاحب اليمن الملك المنصور أن يكسوها ، فقال له ابن منعة لا يكون هذا إلا من جهة الديوان ، يعني الخليفة العباسي ، ولم يكن عند ابن منعة شيء لأجل ذلك ، فاقترض ثلاثمائة مثقال ، واشترى بها الثياب المشار اليها ، وصبغها بالسواد ، وركّب فيها الطرز القديمة التي كانت في كسوة الكعبة ، وكساها بذلك .

وفي سنة عشر وثمانمائة أُحدِثت في جانب الكسوة الشرقيّ من الكعبة جامات منقوشة بالحرير الأبيض ، وصُنع ذلك في سنة إحدى عشرة وفي سنة اثنتي عشرة ، وفي سنة ثلاث عشرة ، وفي سنة أربع عشرة ، وترك ذلك في سنة خمس عشرة وثمانمائة وجُعلت كسوة هذا الجانب كلّها سوداء من غير جامات كما كانت أولاً وكذلك في سنة ستّ عشرة وثمانمائة ، وفي سنة سبع عشرة وثمانمائة ، وفي سنة ثماني عشرة وثمانمائة ، ثم جُعلت في كسوة الجانب الشرقي جامات منقوشة من الحرير الأبيض فيما تحت الطراز إلى تحت الكسوة في كلّ شقّة من هذا

---

(١) راجع في ذلك : البداية والنهاية ١٣/ ١٧١ ، ١٧٢

Marfat.com

الجانب ، وذلك في سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وعُمل في هذه السنة لباب الكعبة ستارة عظيمة الحُسْن أحسن من الستاير الأولى التي شاهدناها ، والجامات المشار اليها مكتوب فيها : لا إله إلّا الله محمد رسول الله . بالبياض ، وكان ذلك مكتوباً في الشقاق التي أحدثت سنة عشرة وثماني عشرة ، ثم أزيلت وعُوِّض عنها بجامات سُود في سنة خمس وعشرين وثمانمائة .

وفي كسوة الكعبة طراز من حرير أصفر ، وكان قبل ذلك أبيض على ما أدركناه ، وأول ما عُمل أصفر قبل سنة ثمانمائة بسنة أو سنتين ، وفي الطراز مكتوب آيات من القرآن العظيم في الجانب الشرقي قوله تعالى : ﴿ إنَّ أولَ بيتٍ وُضِع للناس لَلَّذِي ببكّةَ مبارَكاً وهُدًى للعالمينَ . فيه آياتٌ مَقَامُ إبراهيم ومن دَخَله كان آمناً وللّهِ على الناسِ حجُّ البيت منِ استطاع إليه سبيلاً ومن كفرَ فإنّ الله غنيٌّ عن العالَمينَ ﴾[1] . وفي الجانب الغربي : ﴿وإذْ يرفَعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ واسماعيلُ ربَّنا تقبّلْ مِنَا إنَكَ أنتَ السميعُ العليمُ . ربّنا واجعلْنا مسلمَيْن لك ومن ذُرّيتنا أُمّةً مُسلمةً لك وأرِنا مناسكَنَا وتُبْ علينا إنّك أنتَ التوّابُ الرحيمُ ﴾[2] . وفي الجانب اليماني : ﴿جعلَ اللّهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناس والشهرَ الحرامَ والهدْيَ والقلائدَ ذلكَ لتعلموا أنَّ الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأنّ الله بكلِّ شيءٍ عليم﴾[3] وفي الجانب الشامي اسم صاحب مصر وأمْرُه بعمل الكسوة ، وهذا الطراز المذكور في نحو الرُبْع الأعلى من البيت . وذكر بعض العلماء حِكمةً حسنةً في سواد كسوة الكعبة ، لأنّا روينا عن ابن أبي الصيف مفتي مكة أنّ بعض شيوخه قال له : يا محمد تدري لِمَ كُسِيَ البيت السواد ؟ فقال : لا ، قال : كأنه يشير إلى أنه فَقَدَ أُناسا كانوا حوله فلبس السواد حُزناً عليهم ، وهذا معنى كلام ابن أبي الصيف . ولمهَلْهل الدمياطي الشاعر في سواد كسوة الكعبة والقفل :

يروق لي منظر البيت العتيق إذا بدا

---

(١) آل عمران : الآية ٩٦ و٩٧

(٢) البقرة الآية ١٢٧ و١٢٨

(٣) المائدة : الآية ٩٧

Marfat.com

كـأنّ حِلْيتهـا السـوداء قـد نُسِجتْ
من حبّة القلب أو من أسود المُقَل[1]

وكسوتها في هذه السنة ، وفيما قبلها من سبعين سنة من الوقف الـذي وَقَفَه السلطان الملك الصالح[2] اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون صـاحب مصر أيام سلطنته . على كسوة الكعبة في كل سنـة ، وعلى كسوة الحجـرة النبويّـة والمنبر النبويّ في كـل خمس سنين مرّة ، وهـذا الوقف قـرية بنـواحي القاهـرة في طرف القليوبية مما يلي القـاهرة اشتـراها الملك الصـالح من بيت المـال ، ووقفها على ما ذكر فيها ، ولم يكسها أحـد من الملوك بعد ذلـك إلاّ أخوه الملك النـاصر حسن ، إلاّ أنّ كسوته لم تكن لـظاهر الكعبـة ، وإنّما هي لبـاطنها ، وهي الكسـوة التي في جوفها الآن . وبلغني أنّهـا كانت أطـول من هذا بحيث تصـل إلى الأرض ، وهي الآن سـاترة لمقـدار النصف الأعلى وسقفها ، وهي حـرير أسـود ، وفيهـا جامات مزركَشَة بـالذهب ، مـا خلا شقّـة من السقف بين الأسطوانتين اللَّتَيْن تليـان الباب ، فإنّها كمخة حرير حمـراء ، وفي وسطهـا جامـة كبيرة مـزركَشَة بـالذهب ، وكان إرسال السلطان حسن بهذه الكسوة في سنة إحدى وستّين وسبعمائة .

وبلغني أنه كان في جوف الكعبة قبلها كسوة للملك المظفّر صاحب اليمن ، والملك المظفّر أول من كسـا الكعبة من الملوك بعـد انقضاء دولـة بني العباس من بغداد ، وذلك في سنة تسعٍ وخمسين وستمائة ، واستمـر يكسوهـا عدّة سنين مـع ملوك مصر ، وانفرد بكسوتها في بعض السنين ، وكان المستولي لذلك غالباً .

وأول من كسـاهـا من ملوك مصـر بعـد بني العبـاس الملك الـظاهـر بيبـرس البُنْدُقْداري الصالحي . وأول سنة كسى فيها الكعبة سنـة إحدى وستين وستمـائة . وممن كسا الكعبة من غير الملوك الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة ،

---

(١) كذا ورد في الأصل .

(٢) هو أبو الفداء عماد الدين . تولّى السلطنة من سنة ٧٤٣ ـ ٧٤٦هـ . (أنظر عنه كتاب : النور اللائح والدّرّ الصادح في اصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح ، تـأليف ابراهيم بن القيسـراني ـ وهو من تحقيقنا ـ طبعة دار الإنشاء بطرابلس ١٩٨٢) .

Marfat.com

كساها من الخيرات وغيرها ، فكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار مغربية[1] : على ما قال ابن الأثير[2] وقيل بأربعة آلاف دينار ، وذلك في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

والكعبة تُكْسَى في عصرنا هذا يوم النحر من كل سنة ، إلّا أنّ الكسوة في هذا اليوم تُسْدَل عليها من أعلاها ، ولا تُسْبَل حتى تصل إلى منتهاها على العادة ، وهي شاذروان الكعبة إلّا بعد أيام من النحر ، ويأخذ سَدَنَتُها بنو شيبة يوم النّحر ما بقي على الكعبة من كسوتها القديمة ، وهو مقدار نصفها الأعلى ، وأخذهم للنصف الأسفل في سابع عشري[3] ذي القعدة من كل سنة .

وذكر ابن جُبْير في أخبار رحلته ما يُفهم أنّ كسوة الكعبة تُشْمَّر في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة ، ولا تُقْطَع لأنه قال بعد أن ذكر فتح الكعبة في هذا اليوم فتحاً عاماً للسرور : « في هذا اليوم المذكور الذي هو السابع والعشرون من ذي القعدة شُمِّرت أستار الكعبة المقدسة إلى نحو قامة ونصف من الجدار من الجوانب الأربعة ، ويسمُّون ذلك إحراماً لها ، فيقولون أَحْرَمَتْ الكعبة . وبهذا جرت العادة دائماً في الوقت المذكور من الشهر[4] ، انتهى .

وفي هذا مخالفة لما يفعله الحجبة اليوم من وجهين . أحدهما : أنهم يشمِّرون كسوة الكعبة في اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة في كل سنة من جوانبها الأربعة ، إلى عتبة الباب السفلى ، وكانوا يصنعون ذلك بعد العصر في هذا اليوم ، ثم صاروا يصنعونه في أول النهار ، والوجه الثاني أنهم في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة في كلّ سنة يقطعون كسوة الكعبة من فوق الباب مع ما شمّروه من قبل . وكلام ابن جُبَير لا يقتضي قطع ذلك في السابع والعشرين ، وإنما يقتضي تشميره فيه ، ولعلّ ذلك لكون الحُجّاج الذين تكثر

---

(١) في النسخة «ك» (مصرية) .
(٢) الكامل في التاريخ ١١/٦١٥
(٣) أي (٢٧) وهذا يؤيده ما بعده .
(٤) رحلة ابن جبير ص ١٤٣

رغبتهم في تحصيل كسوة الكعبة بالشراء وغيره ، وهم الحجّاج العراقيون لا يصلون للحجّ غالباً إلا مُوافين ليوم عَرَفَةَ ، ويقصدونها قبل مكة ، خيفة فوات الوقوف ، وإذا كان كذلك فلا فَوْت على الحَجَبَة في ذلك الزمان في تأخيرهم قطْع كسوة الكعبة في السابع والعشرين ، وتأخير قطعها إلى أيام منى ، أو أخذ الكسوة فيها جملة عند وصول الكسوة الجديدة ، ولعلّ سبب قطْع الحَجَبَة للكسوة أي كسوة الكعبة في السابع والعشرين من ذي القعدة كون الحُجّاج من مصر والشام صاروا يقدْمون إلى مكة في أوائل العُشْر الأول من ذي الحِجّة فإذا أخّر الحَجَبَة قطْع ذلك أو أخذوا الكسوة جملةً إلى أيام مِنى فات الحَجَبَةَ بعضُ مقصودهم من بيع الكسوة في العُشْر الأول من ذي الحِجّة والله أعلم .

وذكر ابن جُبَيْر ما يقتضي أنّ الكعبةَ لا تُكْسَى في يوم النّحْر ، وإنّما تُكْسَى في يوم النّفْر الثاني لأنه قال : وفي يوم النّحر المذكور سيقت كسوة الكعبة المقدَّسة من عمل[1] الأمير الى مكة على أربعة جمال تقدّمها[2] القاضي الجديد بكسوة الخليفة السَّوَاديّة[3] والرايات على رأسه والطبول تهِرّ[4] وراءه » ثم قال : « فوُضِعتْ الكسوة في السطح المكرم أعلى[5] الكعبة » فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك اشتغل الشيبيّون بإسْبالها خضراء يانعة تُقَيّد[6] الأبصار حُسْناً ، ثم قال بعد وصفه للكسوة : « فكملت كسوتها وشُمِّرت أذيالها الكريمة صَوْناً[7] لها من أيدي الأعاجم وشدّة اجتذابها وقوّة تهافتهم عليها وانصبابها »[8] انتهى .

---

(١) كذا في الأصل ، وعند ابن جبير « محلة » .
(٢) في النسخة، المطبوعة ـ ص ١٢٥ « يقدمها » والتصحيح عن ابن جبير .
(٣) في النسخة المطبوعة : « السواد به » والتصحيح عن ابن جبير .
(٤) في المطبوع « تهز » وما أثبتناه عن ابن جبير ، بمعنى : تصخب .
(٥) في المطبوع « على » .
(٦) في المطبوع « تفيد » .
(٧) في المطبوع « ونالها » .
(٨) رحلة ابن جبير ١٥٧ و١٥٨ .

Marfat.com

وهذا يخالف ما يُفْعَل اليوم من إسدال الكسوة على الكعبة وتشميرها في يوم النَّحْر، وما يُفْعَل اليوم من كسوة الكعبة في يوم النّحر يوافق ما ذكره ابن عبد ربه[1]، وفي هـذا العصـر مـن نحـو أربع سنين لا يُؤتَى بكسوة الكعبـة مـن مِنَى في يوم النّحر ، وإنّما يأتي أمير الحاجّ المصري ومعه أعلام والدبادب والبوقات تضرب معـه حتى يدخـل المسجد ، ويخـرج اليه كسـوة الكعبـة من جـوفهـا ، فتُنْشـر في المسجـد في صحنه ممـا يلي الشقّ اليماني تبـرز كسوة كـلّ شقّ ، ويرفعهـا أعوان الأمير مع الحَجَبَة إلى أعلا الكعبة ، حتى تكمل ، وتُسْدَل على الكعبة على الصفة السابقة ، وموجب وضْعها في الكعبة قبل الحجّ صَوْنهـا من السرقـة لأنه قبـل ذلك سُـرق بعضُها من محـلّ الأمير بمنى ، ثم عـادت اليه بشيء بَـذَلَه ، وصـار الأمراء بعده يضعونها في الكعبة عند توجُّههم من مكة إلى الموقف . وفي سنة ثماني عشر وثمـانمائـة كُسِيت الكعبة في رابـع ذي الحجّـة إسبـالاً على نصفهـا الأعلى ، ولم تُكْس في سنة تسع عشر إلاّ في يوم النّحـر ، على العادة القـديمة التي أدركنـاها ، وكُسِيت في سنة عشرين وثمانمائة في ثالث ذي الحجّة ، وكذلـك في سنة إحـدى وعشرين وثمانمائة ، ثم كُسِيت في سنـة خمس وعشرين وثمـانمائـة في يوم النّحـر ضُحىً .

٤

وتُختتم هذه الترجمة بمسألة تتعلّق بكسوة الكعبـة ، وهي أنّ العلماء اختلفـوا في جواز بيع كسوة الكعبة ، فنُقِل جواز ذلـك عن عائشـة وابن عباس وجمـاعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم ، ومنع من ذلك ابن القاضي وابن عبدان من الشافعية .

وذكر الحافظ ابن صـلاح الدين خليـل بن كَيْكَلْدي العلائي[2] الشـافعي في قواعده أنه لا يتردّد في جـواز ذلك الآن ، لأجـل وقف الإمام ضيعـة معينّة على أنْ يُصْرف رَيْعُها في كسوة الكعبة ، والـوقف بعد استقـرار هذه العـادة ، والعلم بها ،

---

(١) العقد الفريد ٦/٢٥٧

(٢) راجع ترجمته في الدرر الكامنة ٢/ ٩٠ ـ ٩٢ رقم ١٦٦٦

Marfat.com

فينزل لفظ الواقف عليها قال : وهـذا ظاهـر لا يعارضـه المنقول المتقـدّم ، انتهى باختصار .

وكان أمراء مكة يأخذون من السَّدَنَة ستارة باب الكعبة في كل سنة ، وجـانباً كبيراً من كسوتها ، أو ستّة آلاف درهم كاملة عوضاً عن ذلك ، فسمـح لهم بذلـك الشريف عنان بن مغامس بن رميثة[1] بن أبي نُمَيّ[2] لما ولي إمارة مكة في آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وأرى على ذلك الأمراء من بعده في الغالب ثم إنّ السيد حسن بن عجـلان بعد سنين من ولايتـه لمكة صـار يأخـذ منهم ستارة بـاب الكعبة وكسوة مقام إبراهيم ويهدي ذلك[3] يرجوه من الملوك وغيرهم .

ذكر طيب الكعبة وأخذامها

وروينا من تاريخ الأزرقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : طيّبوا البيت فإنّ ذلك من تطهيره . وروينا فيـه عنها أيضـاً قالت : لأنْ أطيب الكعبـة أحبّ إلي من أنْ أُهدي لها ذهباًوفضّة. وروينا فيه عن أبي نجيح أنّ معاوية بن أبي سفيان أجرى للكعبة وظيفة الطيّب بكلّ صـلاة ، وكان يبعث لهـا بالمجمـر والخُلُوق في الموسم وفي رجب ، وأَخْـدَمَها عبيـداً ثم اتبعت ذلك الـوُلاةُ بعده[4] . وروينـا في تـاريـخ الأزرقي أنّ عبد الله بن الزبير كان يجمر الكعبة كل يوم بـرطل من مجمـر ، ويُجمْر الكعبة كل جمعة برطلين من مجمر[5] .

وقال المحبّ الطبري : المجمر ما يتجمّر به وهو العُود الرطب ، وبالضمّ ما يُتَخَمّـر به والخُلُوق طيب معـروف يُتَّخذ من الـزعفران وغيـره من أنـواع الـطّيب ، ويغلب عليه الصُفْرة والحُمْرة . وقال : قال الإمام أبو عبد الله الحليمي : رُوي عن سعيـد بن جبير أنـه كان من طيب الكعبـة يُسْتَشْفَى به ، وقـال : قال عـطاء : كـان

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/٢٦ : « رميسة » وهو تصحيف.
(٢) في المطبوع : « ثمن » وهو غلط .
(٣) كذا بالأصل ولعله من يرجوه .
(٤) أخبار مكة ١/٢٥٤
(٥) أخبار مكة ١/٢٥٧

Marfat.com

أحدنا إذا أراد أن يستشفي به جاء بطيب من عنده فمسح به يؤخذ من طيب الكعبة يُسْتَشْفَى به ، وقال : قال عطاء : كان أحدنا إذا أراد أن يستشفي به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر ، ثم أخذه ، ذكره ابن الصلاح في منسكه ، انتهى .

وذكر النووي أنه لا يجوز أخْذُ شيءٍ من طِيب الكعبة لا للتبرُّك ولا لغيره ، ومن أخذ شيئاً من ذلك لزمه ردّه ، فإنْ أراد التبرُّك أتى بِطيبٍ من عنده ، فمسحها به ثم أخذه ، انتهى .

ذِكْر أسماء الكعبة المعظَّمة

للكعبة المعظَّمة أسماء شريفة : منها الكعبة ، ومنها بكة بالباء الموحَّدة ، ومنها البيت الحرام ، ومنها البيت العتيق ، ومنها قادس ، ومنها نادر[1] ، ومنها القرية القديمة ، وهذه الأسماء الأخيرة الثلاثة مذكورة في تاريخ الأزرقي .

وسُميّت الكعبة بالكعبة لتكعيبها وهو تدويرها .

قال القاضي عياض في « المشارق » لما ذكر الكعبة قال : الكعبة هو البيت نفسه لا غير ، سُمّي بذلك لتكعيبها وهو تربيعها ، وكل بناء مرتفع مربّع كعبة .

وقال النووي : سُمّيت بذلك لاستدارتها وعُلُوّها ، وقيل لتربيعها في الأصل[2] . انتهى . وممن قال إنّها سُمّيت بالكعبة لكونها على حلقة الكعب ابن أبي نجيح وابن جُرَيْج ، وسُمّيت بكّة لأنّها تبكّ أعناق الجبابرة ، وقيل غير ذلك ، واختُلف في معنى البيت العتيق فقيل : لأنّ الله تعالى أعتقه من الجبابرة فلم ينله جبّار قطّ ، أو لم يقدر عليه جبّار ، وقيل غير ذلك ، والصحيح الأول على ما ذكر ابن جماعة .

---

(١) في أخبار مكة « ناذر » بالذال المعجمة . (ج ١/ ٢٨٠)
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ق ٢/ ١٢٤

Marfat.com

ومن أسمائها البُنَيّة بباء موحّدة ونـون وياء مثنّـاة من تحت مشدّدة ، ذكـر هذا الاسنم لها القاضي عياض في « المشارق » لأنه قال في حـرف الباء لمـا ذكر البيت العتيق : والبُنَيّة اسم للكعبة انتهى .

وذكـر ابن الأثير في«النهاية»[1] مـا يدلّ لـذلـك ، لأنـه قـال : وفي حـديث البَراء بن مَعْرُور : رأيت أنْ لا أجعل هذه البُنَيّـة منّي بظهـر يريـد الكعبة ، وكـانت تُدْعَى بُنيّة إبـراهيم عليه السـلام لأنه بنـاها ، وقـد كَثُر قَسَمُهُم بـربّ هذه البُنَيّـة ، انتهى . وذكر الأزرقي ما يشهد بذلك ، لأنه روى خبراً عن الواقدي فيه أذان بـلال للظُهْر يوم فتح مكة على ظهر الكعبة ، وسماع قريش لذلك ، وإنكارهم له . وفيـه وقال الحكم ابن أبي العاص هـذا والله الحديث الجليـل أنْ يصبح عبـد بني جُمَح ينهق على بُنَيّة أبي طلحة[2] انتهى .

وأبو طلحة هـو عبد الله بن عبـد العُزّى بن عثمـان بن عبد الـدار بن نصر بن كِلاب حاجب الكعبة ، ولذلك أضافها الحكم إليه ، والله أعلم .

ومن أسمائها الدُوّار بضم الدال المهملة وفتحهـا وتشديـد الواو وبعـدها ألف وراء مهملة ، ذكـر ذلـك يـاقـوت في مختصـره لمعجم البلدان[3] ، وذكـر أنّ ابن القـطّان حكى الـوجهين اللذين ذكـرهمـا في ضبـطه ، وذكـر أنّ دوّار : شجـرة باليمامة ، وضبطه بالوجهين أيضاً ، وذكر هـذا الاسم شيخنا القـاضي مجد الـدين الشيرازي في كتابه « الوصْل والمُنى في فضل منى » .

ومن أسمـائها المسجـد الحرام لقـوله تعـالى ﴿ فولِّ وجهـكَ شطرَ المسجـدِ الحرام ﴾ والمراد به الكعبة بلا خلاف . وقد ورد اطلاق المسجد الحرام على غير الكعبة ، وبيّنا ذلك في الباب الخامس .

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ١ / باب الباء مع النون ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٨٣ هـ /١٩٦٣ م.

(٢) أخبار مكة ١/٢٧٥

(٣) المشترك وصنعاً والمفترق صقعاً ـ ص ١٨٣

Marfat.com

ذكر هدم الحبش الكعبة في آخر الزمان .

روينا في مُسْنَد أحمد بن حنبل[1]، وفي « المعجم الكبير » للطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبيّ ﷺ قال : يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، وتسلبها حِلْيتها وتجرّدها من كسوتها ، ولَكَأَني أنظر إليه أصبلع أقرع[2] يضرب عليها بمِسْحاته ومِعْوَلِهِ .

وروينا في تاريخ الأزرقي عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول : كأنّي به أُصَيْلَع أُقَيْرَع[3] قائماً عليها يهدمها بمسْحَاته .

وروينا في تاريخ الأزرقي أيضاً انه قال : والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى صفته في كتاب الله عزّ وجلّ أُفَيْحَج[4] أُصَيْلَع ، قائماً يهدمها بمِسْحاته[5] . وروينا في تاريخ الأزرقي عن عليّ بن أبي طالب أنه قال : استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يُحال بينكم وبينه ، فكأنّي أنظر اليه جيشاً أُصَيْلع أُصَيْمَع[6] قائماً عليها يهدمها بمسْحاته .

وروينا فيه وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة[7] .

وروينا في صحيح البخاري عن ابن عباسؓ عن النبي ﷺ قال : كأنّي به أسود أفحج يقلعها حَجَراً حجراً[8] .

---

(١) ج ٢/ ٢٢٠

(٢) في الأصل (أبدع) .

(٣) في أخبار مكة ١/ ٢٧٦ « افيدع » .

(٤) أُفَيْحَج تصغير أفحج ، يقال : فحجّ في مشيته إذا تدانى صدور قدميه وتباعد عَقِباه فهو أفحج .

(٥) أخبار مكة ١/ ٢٧٦ .

(٦) في المطبوع ١/ ١٢٨ « أصيلع » مكررة ، والصحيح ما أثبتناه عن أخبار مكة ١/ ٢٧٦

(٧) رواه البخاري ٣/ ٣٦٨ في الحج ، باب هدم الكعبة ، وباب قول الله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ . ومسلم رقم ٢٩٠٩ في الفِتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء .

(٨) ٣/ ٣٦٨ في الجمع ، باب هدم الكعبة .

Marfat.com

وجزم السُهَيْلي بأنّ تخريب الحبشة للكعبة يكون بعد رفع القرآن ، وذلك بعد موت عيسى عليه السلام على ما ذكر ابن جماعة ، قال : وصحّحه بعض العلماء المتأخرّين ، ونقل عن الحليمي أنّ ذلك في زمن عيسى عليه السلام ، والله أعلم .

ذكر وقت فتح الكعبة في الجاهلية والإسلام

روينا في تاريخ الأزرقي عن سعيد بن عمرو الهذلي عن أبيه قال : رأيت قريشاً في الجاهلية يفتحون الكعبة يوم الاثنين والخميس[1] وذكر ذلك الفاكهي ، وذكر أيضاً أنّها كانت تُفتح في الجاهلية يوم الجمعة لأنه قال : حدّثنا أحمد بن صالح بن سعيد عن محمد بن عمرو السلمي ، حدّثني عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو عن أبيه قال : رأيت قريشاً في الجاهلية يفتحون البيت يوم الإثنين ويوم الجمعة ، انتهى . وروينا فتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس عن عثمان بن طلحة الحجين من طريق ابن أسعد .

وذكر ابن جبير في رحلته ، وكانت سنة تسع وسبعين وخمسمائة أنّ الكعبة تُفْتَح كل يوم اثنين ويوم جمعة إلاّ في رجب فتُفْتح كل يوم[2] . انتهى .

قلت : وفتْحها يوم الجمعة مستمرّ إلى الآن ، وفتْحُها يوم الإثنين متروك ، إلاّ أنه وقع في شهر رمضان وشوّال وذي القعدة من سنة إحدى وثمانمائة ، واختصّ النساء بدخولها في هذا اليوم لأمر أوجب ذلك ، وتُفتح الكعبة غير يوم الجمعة أيضاً ، وذلك في أوقات متعدّدة من كل سنة منها في بكرة اليوم الثاني عشر من ربيع الأول من كل سنة ، ومنها في بكرة اليوم التاسع والعشرين من رجب من كل سنة ، ويختصّ النساء بدخولها في هذا اليوم أكثر من الرجال ، وذلك قبل

---

(١) أخبار مكة ١/١٧٤ .
(٢) رحلة ابن جبير ١١٣

غسْلها ، ومنها في بكرة يوم عيد الفطر ، ومنها في بكرة السادس والعشرين من ذي القعدة ، ولا يدخلها في هذا اليوم إلاّ الأعيان من الناس ، وفتحها في هذا اليوم لأجل غسلها ، ومنها في زمن الموسم ، في بعض ليالي الثمان الأول من ذي الحجة من كل سنة ، وفي بعض هذه الأيام ، وفتْحها في هذه الأوقات لأجل البِرّ الذي تأخذه الحَجَبَة ممن يرغب في دخولها ، ثم لا تفتح فتحاً عاماً إلاّ بعد انقضاء ذي الحجّة في أول جمعة من السنة التي تلي ذلك ، إلاّ أنّ في سنة أربع عشرة وثمانمائة فُتِحت الكعبة بعد سفر الحجّاج من مكة ، وقبل دخول سنة خمس عشرة وصنع مثل ذلك الحَجَبَة في سنة خمس عشرة ، وذلك للرغبة في أخذ البِرّ من الداخلين إليها .

وذكر ابن جبير من أوقات فتح الكعبة التي أشرنا اليها فتحها في اليوم التاسع والعشرين من رجب ، وذكر أنها تغسل في ثاني هذا اليوم لأجل ما لعلّه أن يكون وقع من حَدَثِ الصغار الذين يدخلون مع أمّهاتهم في اليوم التاسع والعشرين من رجب ، وذكر أنّ للنساء احتفالاً كثيراً في دخول الكعبة في هذا اليوم[1] . وذكر ابن جبير فتْح الكعبة أيضاً في يوم عيد الفطر بُكْرَةً[2] ، ولم يذكر فتحها في السادس والعشرين من ذي القعدة ، وذكر أنها تفتح في السابع والعشرين من ذي القعدة فتحاً عاماً ، وأنّ في هذا اليوم شُمِّرت كسوتها من جوانبها الأربعة التشمير الذي يسمّونه إحرام الكعبة ، ثم قال : ولا تفتح من حين إحرامها إلاّ بعد الوقفة ، ثم قال بعد أن ذكر أن كسوة الكعبة وُضِعت على سطحها في يوم النّحر وأسبلت عليها في يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المذكور وشمّرت أذيالها صوناً لها من أيدي الأعاجم ، وفي هذه الأيام يُفتح البيت الكريم كلّ يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم من الواصلين مع الأمير العراقي[3] . انتهى . وفي هذا دلالة على أنّ الكعبة

---

(١) رحلة ابن جبير - ص ١١٣ و١١٥

(٢) ص ١٣٤

(٣) ص ١٤٤

Marfat.com

تُفتح في أيام الموسم ، وهو في زمن ابن جُبَير بعد الحجّ لأنّ الحجّاج العراقيّين ما يصلون غالباً إلاّ موافين ليوم عرفة .

ولنختم هـذه الترجمـة بحُكْم سِدَانـة الكعبة وحُكْم مـا يأخـذه سَدَنَتُهـا ممن يدخلها ، وللمحبّ الطبري في ذلك كلام شـافٍ فنذكـره ونصّ كلامـه : الحجابـة منصب بني شيبـة ، ولاّهم رسول الله ﷺ إيّـاهـا ، كمـا ولّى السقـايـة للعبـاس ثم قال : وسِدَانة البيت خِدْمته ، وتولّي أمره وفتْح بابه وإغلاقه ، ويقال : سَدَن يسْدُن سدَانة فهو سادن ، والجمـع سَدَنَـة ،ثم قال :قال العلماء: لا يجوز لأحد أن ينـزعها منهم قالوا : وهي ولاية رسول الله ﷺ ، وأعظم مالك أن يشرك معهم غيرهم .

قلت : ولا يَبْعُـدُ أن يقال هـذا إذا حافـظوا على حُرْمتـه ولازموا في خـدمتـه الأدب ، أمّا إذا لـم يحافظوا على حُرْمته فلا يبعـد أن يجعل عليهم مشـرف بمنعهم من هتْك حُرمته ، وربّما تعلّق الجاهل الغبيّ البـذي المعكوس الفهم بقـوله ﷺ : « وكلوا بـالمعروف » ، فـاستباح أخـذ الأجرة على دخـول البيت ، ولا خـلاف بين الأمة في تحريم ذلـك ، وأنه من أشنـع البدَع وأقبـح الفواحش ، وهـذه اللفظة إنْ صحّت روايـة فيُسْتَـدَلّ بهـا على إقامـة الحُـرْمـة ، لأنّ أخـذ الأجـرة ليس من المعروف ، وإنّما الإشارة ، والله أعلم ، إلى ما يقصـدون به من البـرّ والصّلة على وجه التبرّر ، فلهم أخذه ، وذلك أكل بالمعروف لا محالة ، أو إلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يقومون به من خدمته ، والقيام بمصالحه ، فلا يحلّ لهم منه إلاّ قدر ما يستحقّونه ، والله أعلم . ثم قال بعد أن ذكر أحاديث تتعلّق بالحِجْر بسكـون الجيم ، وفيها ما يقتضي أنّ سبب رفع قريش لباب الكعبة ليمنعوا من شاءوا ، وفي قوله ﷺ : فعل ذلك قومك ليُدْخِلُوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، وقوله : وألصق بـابهـا بـالأرض ، دلالـة على أنّ النـاس غيـر محجوبين عن البيت ، وأنـه لا يحـلّ منعهم ، وما يأخذه السَدَنَة على ذلك لا يطيب لهم إلاّ بطِيب نفْس من الـدافعين ، وإنّما تجب أجرتهم على ما يتولّونه من القيام بمصالحه من بيت المال .

قال أبو العالية الرياحي في قوله : « فإنَّ لله خُمُسه » قال : السهم المضاف إلى الله تعالى إنّما هو لبيت الله تعالى ، وأكثر أهل العلم على أنه أضاف الخُمس إلى نفسه لشرفه ، ومنهم الله وسهم رسول الله ﷺ واحد . انتهى . ذكر ذلك مفرقاً في موطنين من الباب الثامن والعشرين من كتابه « القرى » . وعزا المحبّ الطبري الخبر الذي فيه ، « كلوا بالمعروف » إلى سُنَن سعيد بن منصور ، وهو في طبقات محمد بن سعد كاتب الواقدي من حديث عثمان بن طلحة ، وسيأتي ذلك في الباب السابع والثلاثين من هذا الكتاب إن شاء الله .

والأصل في غسل الكعبة لتطهيرها في الجملة ، ذكر الفاكهي ما يدلّ له لأنه قال في ترجمة ترجم عليها بقوله : ذِكْر أذان بلال بن رباح على الكعبة وُرقِيّه فوقها يوم الفتح للأذان : حدّثني محمد بن علي المَرْوزِي حدّثنا عبد الله بن موسى حدّثنا موسى بن عُبَيْدَة بن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : أمر رسول الله ﷺ بلالاً فرقي على ظهر الكعبة فأذّن بالصلاة ، وقام المسلمون فتجرّروا في الأزر وأخذوا الدِّلاء ، وارتجزوا على زمزم فغلسوا الكعبة ظَهْرَها وبطْنها ، فلم يدعوا أثراً من آثار المشركين إلاّ محوه وغسلوه ، انتهى . وإنما ذكرنا هذا الخبر في هذه الترجمة لِما وقع فيها من غسل الحَجَبَة ، ويكون هٰذا الخبر كالشاهد بذلك ، والله أعلم .

ذكر بيان جهة المصلّين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلّة القبلة بالآفاق المشار إليها

أخبرني بذلك خالي قاضي الحرمين محبّ الدين النُّوَيري سماعاً عن القاضي عزّ الدين بن جماعة سماعاً ، أنه نقل ذلك من خطّ والده في الدائرة التي ذكر فيها صفة الكعبة ، وما يحتاج إلى معرفة تصويره ، وأنّ والده قال : إنه كتبها في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وستمائة قال : جهة القبلة لأهل البصرة والأهواز وفارس وكرمان وأصبهان وسجستان وشمالي بلاد الصين وما على سمْت

Marfat.com

ذلـك من باب الكعبـة إلى الحجر الأسـود ، فمن جعـل القـطْب على أذنـه اليمنى والشـولـة إذا تـدلّت للغـروب بين عينيـه ، ومشـرق الصيف خلف كتفـه الأيمن والدبور[1] على خدّه الأيمن والجنوب على خدّه الأيسر فقـد استقبل القبلة إن شـاء الله تعالى .

وجهة القبلة لأهل الكوفة وبغداد وحلوان والقادسية وهمدان والريّ ونَيْسَابـور وخُراسان وَمَرْو وخُوَارزم وبُخَارَى ونسا وفـرغانه والشـاش وماهـان ، وما كـان على سمْت ذلـك ما بين مصلّى آدم إلى قـرب باب الكعبـة ، فمن جعل بنـات نعش[1] الكبـرى إذا طلعت خلف أذنـه اليمنى والهَقْعَة[2] إذا طلعت بين كتفيـه إلى خلف أذنـه اليسرى ، والقـطب على كتفه الأيمن ، وريـح الصبا على الأيسـر ، والشمال على عاتقه الأيمن والجنوب على خدّه الأيسر ، استقبل القبلة إن شاء الله تعالى .

وجهة القبلة لأهل الرُّها والمَوْصل ومَلَطْيَة وسميشاط وسنجار والجزيـرة وديار بكر ، وما كان على سمْت ذلك إلى القبلة يستقبلون من الـركن الشامي إلى مصلّى آدم ، فمن جعل فيها القطب على أذنه اليسرى ومشرق الشتـاء خلف أذنه اليسـرى وريـح الصبا على كتفـه الأيسـر والشمـال على خـدّه الأيمن والجنـوب على عينـه اليسرى استقبل القبلة إن شاء الله .

وجهة القبلة لأهل الشـام كلّهم إلاّ ما ذكـر عن اليمين ودمشق في هذا القسم وهي حمص وحماه وسَلمية وحلب ومنبج وحَرَّان ومَيّا فارقين وما والاها من البلاد ، وسـواحل الـروم ما بين الميـزاب والركن الشـامي ، موقفهم مـوقف أهل المـدينـة ودمشق كما تقدم ، لكنّهم يتيـاسرون شيئـاً كثيراً ، والجهـة شاملة للجميـع إن شاء الله تعالى .

---

(١) الدبور : هي الريح الغربية .

(١) سبعة كواكب : أربعة منها نعش لأنها مربعة وثلاث بنات نعش (تاج العروس ٤/٣٥٧) .

(٢) الهَقْعَة : بفتح الهاء وسكون القاف وفتح العين ، ثلاثة كواكب منيرة قريب بعضها من بعض ، فـوق منكس الجـوزاء كأنهـا الأثافي وهي من منـازل القمر إذا طلعت مـع الفجر اشتـدّ حرّ الصيف (تـاج العروس ٥/٥٨٨) .

Marfat.com

وجهـة القبلة لأهل جـانب الشام الغـربي ووسط غزّة والـرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة ودمشق وفلسطين وعكّا وصيدَا وما والى ذلـك من السواحـل على سمْته ، وهي من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربي فمن جعـل بها سُهَيـلاً إذا طلع بين عينيه وبنات نعش إذا غربت خلفه ، والنسـر الواقـع إذا طلع على أذنه اليسرى ، فقد استقبل هذا في الجانب الغربي من الشام ، أما المدينة ودمشق ومـا والاهـا من أوسط الشـام . فمن جعـل بنـات نعش الكبـرى إذا طلعت خلف أذنـه اليسرى والجذْي على قفا ظهره مائلاً إلى عينه قليلاً والهَقْعَة إذا طلعت عن شمالـه والصّبـا على خدّه الأيسـر والجنـوب تلقـاء وجهـه فقـد استقبـل القبلة إن شـاء الله تعالى .

وجهـة القبلة لأهل مصـر والصعيد الأعلى وسـواحلها السفلى أسـوان وإسناد قـرص والفسطاط والاسكنـدرية والمحلّة ودميـاط وتنّيس وبـرقـة وطـرابلس وصفـد وسـاحل المغـرب والأندلس ، ومـا كان على سمتـه ، وهو مـا بين الـركن الغـربي والميزاب ، فمن جعل بنات نعش إذا غربت خلف كتفه الأيسر ، وإذا طلعت على خدّه الأيسر والقطب على أذنه اليسرى ، ومشرق الشتاء تلقاء وجهـه والدَبُـور خلف كتفه الأيمن ، فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى .ء

وجهة القبلة لأهل الشام من بلاد البُجَاة والنُّوبـة وأواسط المغرب من جنـوب الواحات إلى بلاد أفريقية وأوسط بلاد البربر وبلاد الجريـد إلى البحر المحيط وهي جهة حدة وعيذاب وجنوب أسوان ، وهي من دون الركن الغـربي بثلث الجدار إلى الركن الغربي ، فمن جعل بها الثـريّا إذا طلعت على عينـه اليسرى ، والصَّبـا على عينه اليمنى[1] .

وجهـة القبلة لأهل جنـوب بلاد البُجـاة ، وبلاد دهلك وسـواكن وبلاد البلين والنوبة إلى بلاد التكرور ومـا وراء ذلك ومـا على سمته من بـلاد السودان وغيـرهم

---

(١) بياض بالأصل .

إلى البحر المحيط ، وهي من دون الباب المسدود إلى ثلثي الجدار ، فمن جعل بها الثريّا إذا طلعت بين عينيه والقطب على عينه اليسرى وخدّه الأيسر والصبا على عينه اليمنى ، والدَبور خلف أذنه اليسرى ، ومغرب الشولة خلف كتفه الأيمن ومشرق الشتاء على خدّه الأيمن ومشرق الصيف على الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى .

وجهة القبلة لأهل الحبشة والزنْج والزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرسان وما والاها من البلاد وكان على سمتها وهي من الركن اليماني إلى ثلثي الجدار وهو آخر الباب المسدود ، فمن جعل بها الثريا إذا طلعت على جنبه الأيمن والقطب على الأيسر ، والصبا على خدّه الأيمن ، والدبور على كتفه الأيسر ، والجنوب على الأيمن ، ومغرب الشولة خلف كتفه الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى .

وجهة القبلة لأهل اليمن بأسره ظفار وحضرموت وصنعاء وعُمان وَصَعْدَة والشحر وسبأ وما والاها وما كان على سمتها ، وهي من دون الركن اليماني بسبعة أذرع إلى الركن اليماني فمن جعل فيها القطب بين عينيه وسهيلاً إذا طلع خلف أذنه اليمنى ، وإذا غرب خلف اليسرى ومشرق الشتاء على أذنه اليمنى ومغرب الشتاء على اليسرى والشمال تلقاء وجهه والجنوب خلف ظهره والصبا على خدّه الأيمن والدَبُور على الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى .

وجهة القبلة لأهل بلاد السند وجنوب بلاد الهند وجنوب بلاد الصّين وأهل التهائم والسندين والبحرين وما والاها وكان على سمتها ، وهي من دون مصلّى النبيّ ﷺ إلى ثلثي هذا الجدار ، فمن جلّ بنات نعش إذا طلعت على خدّه الأيمن ومطلع النسر الواقع على أذنه اليمنى ومغرب بنات نعش بين عينيه فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى

Marfat.com

وجهـة القبلة لأهل بـلاد الصين وأهل واسط والهنـد والمهـرجـان وكـابُـل[1] والتتار والمسفر والقندهار وما والاها وكان على سمتها ، وهو من الركن الأسود إلى دون مصلّى النّبيّ ﷺ ، فمن جعـل بها بنـات نعش الكبرى اذا طلعت على خـدّه الأيمن والقطب على عاتقه الأيمن والصبا خلف أذنـه اليمنى فقد استقبـل القبلة إن شاء الله تعالى . انتهى ما ذكره القاضي عزّ الدين بن جماعة عن أبيه من بيـان جهة المصلّين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلّة القبلة بالآفاق المشار إليها .

ووجدت في الكتاب الذي ألّفه الفقيه أبو عبد الله محمد بن سراقة العـامري لمعرفة دلائل القبلة في جميع البلدان باباً في هذا المعنى وعرضه على ما ذكره ابن جماعة ، فإذا بين ما ذكره ابن سراقة وابن جماعة اختلاف كثيـر في اللفظ والمعنى والـزيادة والنقص وغيـر ذلك ، فـرأيت أن أذكر مـا ذكره ابن سـراقة ليحيط بـذلـك علماء النظر في هذا الكتاب .

أنبأني بكتاب ابن سراقة المُسْنِـدان محمد بن محمـد بن عبد الله وإبـراهيم ابن أبي بكر بن عمر الصـالحيـان إذناً مكـاتبـة عن أبي القـاسم شهـاب بن علي المحسبي أنّ أبا محمد عبد الوهاب بن ظافر الأزدي أخبره سماعاً قال : أخبرنـا أبو طـاهر أحمـد بن محمد الحـافظ قال : أخبـرنا أبـو عبـد الله محمـد بن أحمـد بن إبـراهيم الـرازي قـال : أخبـرنـا أبـو صـالـح محمـد بن أبي عيسى بن الفضـل السمرقندي بمصر قال : أخبرنا الفقيه محمد بن سـراقة العـامري قـال : باب ذكـر البلدان ومـواقفها من جهـات الكعبة ومـا يستدلّ بـه أهل كـل بلد عليها : أعلم أنّ أهـل القادسيـة والكوفـة وبغداد وحلوان وهمـدان والرّيّ ونَيْسـابور ومُـرْو وخُـوارزم وبُخَارى والشاش وفرغانه وما كان من البلاد على سمت ذلـك يستقبلون من الكعبة من مصلّى آدم إلى بـابها ، فمن كـان في إحدى هـذه البـلاد أو على خـطّهـا وأراد التـوجُّه إليهـا جعـل بنـات نعش الكبـرى إذا طلعت على أذنـه اليمنى والهَقْعَـة إذا

---

(١) في الأصل : والهدبان .

Marfat.com

طلعت بين كتفه إلى خلف أذنه اليسرى والقطب على كتفه الأيمن وريح الصبا على كتفه الأيسر والشمال على عاتقه الأيمن إلى قفاه والدبور على صفحة خدّه الأيمن والجنوب على خدّه الأيسر ، فمن استدلّ ببعض هذه الدلائل في إحدى هذه البلدان أو فيما كان على سمتها من البلاد من برّ أو بحر أو سهل أو جبل فقد استقبل جهة القبلة[1] التي أمر باستقبالها .

واعلم أنّ أهل البصرة والأهواز وفارس وأصبهان وكرمان وسجستان وبُسْت إلى بلاد الصين وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون في صلاتهم من باب الكعبة إلى الركن العراقي ، فمن كان في إحدى هذه البلاد وفيما كان على سمتها وأراد التوجُّه إلى الكعبة جعل القطب على أذنه اليمنى والنسر الواقع خلفه والشولة إذا نزلت للغروب بين عينيه أو مشرق الصيف خلف كتفه الأيمن ومَهَبّ الصبا على كتفه الأيسر والشمال على أذنه اليمنى والدَبُور على خدّه الأيمن والجنوب على عينه اليسرى ، فمتى فعل ذلك فقد استقبل جهة الكعبة .

واعلم أنّ أهل السند والهند والمهرجان وكابل والقندهار والنسان وما كان على سمت ذلك من البلاد فهم يستقبلون في صلاتهم من الركن العراقي إلى مصلّى النّبيّ ﷺ ، فمن جعل في إحدى هذه البلاد ومن كان من البلاد على سمتها بنات نعش إذا طلعت على خدّه الأيمن والقطب على عينه اليمنى وريح الصبا خلف أذنه اليمنى والشمال على خدّه الأيمن والدَبُور على خدّه الأيسر والجنوب على كتفه الأيسر فقد استقبل جهة الكعبة .

واعلم أنّ أهل اليمن والسدير والتهائم إلى عدن والبحرين إلى عُمان وحَضْرَمَوْت والشحر وصنعاء وهي[2] وصعدة وما كان على سمت ذلك من البلاد يستقبلون في صلاتهم من موضع مصلّى النّبيّ ﷺ إلى الركن اليماني ، فمن كان

---

(١) وفي نسخة (الكعبة) .
(٢) بياض بالأصل .

Marfat.com

في إحدى هذه البلاد فجعل القطب بين عينيه أو سُهَيلاً إذا طلع على أذنه اليمنى ، وإذا غـرب خلف أذنه اليسـرى ومشرق الشتـاء على أذنه اليمنى والصبـا على كتفه الأيمن والشمال تلقاء وجهه والدبـور على جنبه الأيسـر والجنوب على كتفـه الأيسر فقد استقبل جهة الكعبة .

واعلم أنّ أهل بلاد الحبشة وجزائـر وفرسـان وما كـان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون في صلاتهم من الركن اليماني إلى الباب المسدود ، فمن كـان في إحدى هذه البـلاد أو فيما كـان من البلاد على سمتهـا فجعل الثـريّا إذا طلعت بين عينيه والشِعْري والعيوق إذا طلعت على جنبه الأيمن أو القـطب على أذنه اليسـرى أو ريح الصبا على عينيه والشمال تلقاء وجهه أو الدبور عن شماله أو الجنـوب خلفه كان مستقبلاً لجهة الكعبة .

واعلم أنّ بلاد أهل النوبة إلى البحر المحيط وما وراء ذلك من بلاد السودان وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون في صلاتهم من الباب المسـدود إلى دون الركن الغربي بسبعة أذرع ، فمن جعل في إحدى هذه البلاد أو فيما كان على سمتها من البلاد العيّوق إذا طلع بين عينيه أو الثريّاعلى عينه اليمنى أو الشولـة إذا غـربت بين كتفه أو القـطب على صفحة خـدّه الأيسر أو مشـرق الصيف قبـالتـه أو مغرب الشتاء خلفه أو ريح الصبا على عينه اليمنى أو الشمال على حاجبه الأيسر أو الدبور على أذنه اليسرى أو الجنوب على كتفه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة .

واعلم أنّ أهـل الأندلس والمغـرب من أهل أفـريقية وطـرابلس وما كـان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون في صـلاتهم من دون الركن الغـربي بسبعة أذرع إلى الركن الغربي فمن جعل في إحدى هذه البلاد ومـا كان على سمتهـا الثريّـا إذا طلعت بين عينيه والشعرى على عينه اليمنى أو العَيّوق إذا غرب خلف قفاه أو ريـح الصبا قبالته ، أو الدبـور خلف ظهره أو الشمـال على كتفه الأيسـر أو الجنوب على كتفه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة .

Marfat.com

واعلم أنّ أهـل الإسكندريـة ومصر إلى القيـروان إلى[1] والسوس والمغـرب الأقصى إلى البحـر الأسـود ومـا كـان من البـلاد على سمت ذلـك يستقبلون في صـلاتهم من الركن الغـربي إلى ميزاب الكعبـة ، فمن جعـل إحـدى هـذه البـلاد الأحمـرة إذا طلعت بين عينيـه أو بنـات نعش إذا غـربت على كتفـه الأيسـر ، وإذا طلعت على أذنه اليسرى أو الشمـال خلف أذنه اليسـرى أو ريح الصبـا على جبينه الأيسر أو الشمال خلف أذنه اليسرى أو الدبور خلفـه أو الجنوب على عينـه اليمنى فقد استقبل جهة الكعبة .

واعلم أنّ أهل مـدينـة رسـول الله ﷺ وأهـل[2] والـرملة وبيت المقـدس وفلسطين وما كان على سمت ذلك من البلاد يستقبلون في صلاتهم ميـزاب الكعبة ولهـذا نهى رسول الله ﷺ عن استقبـال القبلتين بـالغـائط أو بـالبـول لأنَّ من كـان بالمدينة واستقبل الكعبة فقد استـدبر صخـرة بيت المقدس وقـد كانت قبلة ، ومن استدبر الكعبة فقد استقبل الصخرة ، وكأنَّ في نهيه عن استـدبار القبلتين نهيـاً عن استقبال الكعبة واستـدبارهـا ، ثم قال : ولكن شـرّقوا أو غـرّبوا لتكـون الكعبة عن يمينه وبيت المقدس عن شماله أو الكعبة عن شماله وبيت المقدس عن يمينه فهذا خاصّ لأهل المدينة وما كان على سمتهم ، فمن كان في إحدى هذه البلاد فجعـل بنات نعش إذا غربت خلفه أو سهيلاً إذا طلـع بين عينيه أو النسـر الواقـع إذا طلع على أذنه اليسرى ، وإذا غرب خلف أذنه اليمنى أو ريـح الصبا على عينـه اليسرى أو الشمال خلف أذنه اليسـرى أو الدبـور خلف أذنه لليمنى والجنـوب على حاجبـه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة .

واعلم أنّ أهل الشمال كلهـا خلا الـرملة وبيت المقدس ومـا كان من البـلاد على سمت ذلك يستقبلون في صلاتهم من ميـزاب الكعبة إلى الـركن الشامي فمن

---

(١) بياض بالأصل .
(٢) في الأصل (الحجاز) .

Marfat.com

جعل في إحدى هذه البلاد بنـات نعش الكبرى إذا طلعت خلف أذنـه اليسرى ، أو الجـدي إذا علا على منكبـه الأيسر ، أو الهَقْعَـة إذا طلعت عن شمالـه ، أو الصبا على صفحة خدّه الأيسـر ، أو الشمال على مـرجع الكتف الأيمن ، أو الدَبُور على أذنـه اليمنى ، إلى ما يلي قفـاه ، أو الجنوب تلقـاء وجهـه ، كـان مستقبـلاً لجهـة الكعبة .

واعلم أنّ أهل مَلَطية وسميساط والمرس وأرمينيا إلى باب الأبواب ، وما كان من البلاد على سمْت ذلك منهم يستقبلون في صـلاتهم الركن الشـاميّ إلى مُصَلّى آدم عليه السلام ، فمن كـان في إحدى هـذه البلاد ، ومـا كان من البـلاد ، وعلى سمتهـا العيّـوق إذا طلع خلف أذنــه اليسـرى إلى قفــاه ، وإذا غـرب على جنبــه الأيمن ، أو القطب على أذنه اليمنى إلى خلف قفاه ، أو مشرق الشتاء على العظم الـذي خلف أذنه اليسـرى ، أو ريـح الصّبـا على كتفـه الأيسـر ، أو الشمـال على صفحة خدّه الأيمن أو الدبُور على عاتقه الأيمن ، أو الجنوب على عينه اليسـرى ، فقد استقبل جهـة الكعبة ، ولا بـدّ لمن أراد استعمال مـا ذكرتـه في كتابي هـذا أو العمل به من معرفة ما ذكرته من الكواكب ، وهي يسيرة فيعرفها بأعيانها ، وكـذلك الرياح ومهابها فإنه يصل إلى بغيته ومراده إن شاء الله تعالى . انتهى .

ووقع فيما ذكره ابن جماعة وابن سراقة ما يقتضي أنّ مصلّى آدم عليه السلام في جهة الكعبة الشرقية فيما بين بابها والركن الشامي الذي يلي الحِجْـر ، بسكون الجيم ، وأنّ مصلّى النبيّ ﷺ فيمـا بين الركن اليمـاني والحجـر الأسـود ، وذلـك يحتاج إلى زيادة بيان رجاء معرفته ، فيحصل الفوز بـالصلاة فيـه ، وليس في كلام ابن جماعة ما يقتضي ذلك ، وفي كلام ابن سراقـة ما يقتضي زيـادة بيان في ذلـك لأنه قال في أوائل كتابه المذكور : ومن الباب أي باب الكعبة إلى مصلّى آدم عليه السلام حين فرغ من طوافه ، وأنزل الله عليه التوبة وهي مـوضوع الحلوق من آزار الكعبـة أرجح من تسعـة أذرع ، وهناك كـان موضـع مقام إبـراهيم عليه السـلام ، وصلّى النبيّ ﷺ عنـده حين فرغ من طـوافه ركعتين ، ثم قـال ابن سـراقـة : وبين

موضع الحلوق وهي مصلّى آدم عليه السلام وبين الركن الشامي ثمانية أذرع انتهى .

وقال ابن سراقة في بيان مصلّى النبيّ ﷺ بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وعرض جدارها يعني الكعبة التي[1] يلي اليمن ، وهو فيما بين الركن اليماني والركن العراقي وهو الذي فيه الحجر الأسود عشرون ذراعاً ، وإلى وسط هذا الجدار كان يصلّي النبيّ ﷺ قبل هجرته إلى المدينة انتهى .

والذراع الذي أشار إليه ابن سراقة في ذرْع ما بين الركن الشامي ومصلّى آدم عليه السلام أن يكون مصلّى آدم ظنّاً بقرب الحُفْرة المرخَّمة التي في وجه الكعبة ، بحيث يكون من المصلّى إلى الحُفْرة ثلاثة أذرُع إلاَّ ثُلُث ذراع بالحديد ، ويُعرف أيضاً مصلّى آدم بأنّ بينه وبين الحُفْرة المشار إليها ستّ رخامات من الرخام الذي هو الآن من شاذروان الكعبة إلاَّ أربع أصابع ، وتحت الرخام ثلاثة أحجار صُفْر إلاَّ أنّ الحجَر الثالث يزيد على السّتّ الرخامات فوقه قليلاً ، وكان تحريري لذلك مع من يُعتَمَد عليه من أصحابنا في شهر ربيع الأول سنة ستّ عشرة وثمانمائة ، بعد أن اعتبرنا ما ذكره ابن سراقة في ذلك ، فوافق لأنّا ذرعنا مقدار ثمانية أذرُع ، ووضعنا عند طرف ركن الكعبة الشامي ومددناه إلى حيث انتهى من جدار الكعبة ، ثم ذرعنا ذلك بذراع الحديد فجاء سبعة أذرع بتقديم السبعين وثُمن ذراع بالحديد ، فعرفنا ذلك أنّ موضع منتهى الثمانية الأذرُع باليد أو السبعة بتقديم السين والثُمن بالحديد موضع مصلّى آدم ظنّاً ، وهو الموضع الذي أشرنا إليه ، والله أعلم .

وحرّرنا في التاريخ المذكور موضع مصلّى النبيّ ﷺ بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وعلى مقتضى ما ذكره ابن سراقة من أنه في وسط هذا الجدار ، فإذا هو موضع الرخامة البيضاء المكتوب فيها : أمر بتحديد المطاف الشريف العبد

---

(١) في الأصل (الذي) وهو الصحيح .

Marfat.com

الفقير الراجي عفو ربّه الغفور الملك المنصور لاجين[1] . وبعد ذلك سطر مكشوط ، وإنّما كان هذا الموضع موضع مصلّى النبيّ ﷺ في هذه الجهة على ما ذكر ابن سراقة في تحريره ، لأنا ذرعنا ما بين الحجر الأسود وهذه الرخامة فوجدناه ثمانية أذرع وثُمن بالحديد ، وكذلك ما بين هذه الرخامة وبين الركن اليماني ، فعرفنا بذلك أنّ هذه الرخامة وسط هذا الجدار ، وأنها على مقتضى ما ذكر ابن سراقة موضع مصلّى النبي ﷺ في هذه الجهة، والله أعلم . على أنّي رأيت ما يدلّ للخلاف ما ذكره ابن سراقة موضع مصلّى آدم في الجهة الشرقية ، وهو أيضاً يخالف ما ذكره ابن جماعة في ذلك ، لأنَّ الأزرقي قال فيما رويناه عنه : حدّثني محمد لن يحيى قال : حدّثني هشام بن سليمان المخزومي عن عبدالله بن أبي سليمان المخزومي أنه قال : طاف آدم عليه السلام سبعاً بالبيت حين نزل ، ثم صلّى وجاه باب الكعبة ركعتين ، ثم أتى الملتزَم فقال : اللهم إنّك تعلم سرّي وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنوبي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤآلي ، اللهم إنّي أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلاّ ما كتبت لي ، والرضا بما قضيت عليّ ، قال : فأوحى الله إليه يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ، ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلاّ كشفت غمومه وهمومه ، وكففت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغِنَى بين عينيه واتجرت له من وراء تجارة كل تاجر ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، وإن كان لا يريدها[2] .

وروينا في « دلائل اليقين » لابن أبي الدنيا بسنده ، عن عوف بن خالد قال : وجدت في بعض الكتب أنّ آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليماني

---

(١) هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين سلطان الديار المصرية ، تسلطن في عاشر صفر سنة ٦٩٦ هـ ، وقتل في عاشر ربيع الآخر سنة ٦٩٨ هـ .

(٢) أخبار مكة ١/ ٤٤ .

Marfat.com

ركعتين ثم قال : اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلاَّ ما كتبت لي رضيت بما قسمت لي ، فأوحى الله إليه : يا آدم إنه حق عليّ أن لا يلزم أحد من ذرّيتك هذا الدعاء إلاَّ ما كتبت لي رضيت بما قسمت ، لي فأوحى الله إليه : يا آدم إنه حق عليّ أن لا يلزم أحد من ذرّيتك هذا الدعاء إلاَّ أعطيته ما يحبّ ونجّيته مما يكره ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغِنى بين عينيه وملأت جوفه حكمة .

وهذان الخبران يقتضيان أنّ موضع مصلّى آدم غير الموضع الذي يقتضيه كلام ابن سراقة وابن جماعة ، فإنّ الخبر الذي ذكره الأزرقي يقتضي أنه وجاه باب الكعبة ، والخبر الذي ذكره ابن أبي الدينا يقتضي أنه عند الركن اليماني ، وعلى مقتضى هذا الخبر فركوع آدم عند الركن اليماني يحتمل أن يكون عند الركن اليماني مما يلي الحجر الأسود ، ويحتمل أن يكون عند الركن اليماني مما يلي الجهة الغربية في المستجار ، وقد رأيت ما يدلّ على أنه صلّى في المستجار لأنّ الفاكهي قال : ذِكْر الموضع الذي تاب الله تعالى فيه على آدم عليه السلام وهو بين الركن والحِجْر . وتفسيره وكان يذكر بعض أهل مكة عن أشياخه أنّ الموضع الذي تاب الله تعالى فيه على آدم موضع الشقة الثالثة من كسوة الكعبة في وجه الباب الذي يلي الركن الشامي عند باب الحجر .

وقال بعض الناس إنّ الموضع الذي تاب الله فيه على آدم دُبُر الكعبة عند الباب الذي فتح ابن الزبير من دُبُرها عند الركن اليماني ، والقول الأول أحبّ إليهم وأعجب من أجل الحديث ، انتهى . وفيه دِلالة لِما ذكر ابن سراقة في موضع مصلّى آدم في الجهة الشرقية ، والله أعلم .

وللنبيّ ﷺ مصلّيات أُخَر عند الكعبة في جهتها الشرقية وغيرها ، يأتي التنبيه عليها في الباب السابع عشر إن شاء الله تعالى .

Marfat.com

Marfat.com

الباب التاسع

في بيان مصلى النبي صلّى اللّه عليه وسلم في الكعبة المعظّمة

وقدر صلاته فيها ، ووقتها ، ومن رواها من الصحابة ، ومن نفاها منهم ، وترجيح رواية من أثبتها على من نفاها وما قيل من الجمع بين ذلك وعدد دخوله بعد هجرته إلى المدينة وأول وقت دخلها بعد هجرته .

ذكر بيان مصلًى النبيّ في الكعبة

أخبرني إبراهيم بن محمد المؤذّن سماعاً بالمسجد الحرام أنّ أحمد بن أبي طالب الحجّار الصالحي أخبره عن ابن[1] وابن هارون قالا : أخبرنا أبو الوقت السجزي قال : أخبرنا أبو الحسن الداودي قال : أخبرنا أبو محمد بن حمدية قال : أخبرنا إبراهيم بن حزيم قال : أخبرنا عبد بن حميد قال : حدّثني سليمان ابن حرب قال : حدّثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قدم رسول الله ﷺ يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة ، وبعث إلى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح ، ففتح له الباب ، فدخل رسول الله ﷺ البيت وعثمان بن طلحة وأسامة وبلال ، فلما خرجوا ابتدرهم الناس ، فقلت لبلال : أصلّى رسول الله ﷺ في البيت ؟ قال : نعم . قلت : أين ؟ قال : بين العمودين المقدّمين تلقاء وجهه . أخرجه مسلم في صحيحه[2] عن قتيبة بن سعيد وأبي الربيع الزهري وأبي كامل الجحدري عن حماد فوقع له[3] عالياً بدرجة .

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) ورواه بروايات مختلفة رقم ١٣٢٩ في الحج ، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره والصلاة فيها والدعاء في نواحيها كلها .

(٣) في الأصل (لنا) بدلاً من له .

ووقع لنا أعلى من هذا بدرجة ، من حديث إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي عن نافع عن ابن عمر ، أخبرني به أبو هريرة بن الذهبي الحافظ بقراءتي عليه بغوطة دمشق في الرحلة الأولى : أنّ عيسى بن عبد الرحمن بن المُطْعَم أخبره سماعاً في الثالثة وأجازه ، والقاضي تقي الدين سليمان بن حمزة الحنبلي إجازة قالا : أخبرنا ابن اللّتّي قال : أخبرنا أبو الوقت قال : أخبرتنا لُبْنى بنت عبد الصمد العرثمية قالت : أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال : أخبرنا أبو القاسم البغوي قال : حدّثنا مُصْعَب قال : حدّثني مالك عن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقها عليهم ومكث فيها ، قال عبد الله بن عمر : فسألت بلالاً حين خرج ماذا صنع رسول الله ﷺ ؟ قال : جعل عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاث أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلّى ، هذا حديث مُتَّفَقٌ عليه على صحّته وثبوته من حديث مالك ، ووقع لنا عالياً جدّاً من حديثه ، وقد أوضح ابن عمر رضي الله عنه موضع مصلّى النبيّ ﷺ في الكعبة إيضاحاً أكثر مما في هذا الحديث ، لأنّ البخاري قال فيما رويناه عنه : حدّثنا أحمد بن محمد قال : حدّثنا عبد الله قال : حدّثنا موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حتى يدخل ويجعل الباب قِبَل الظَهْر ، يمشي حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قِبَل وجهه قريب من ثلاثة أذرع ، فيصلّي بنواحي المكان الذي أخبره بلال أنّ رسول الله ﷺ صلّى فيه ، وليس على أحد بأس أن يصلّي في أيّ نواحي البيت شاء[1] .

وروينا في تاريخ الأزرقي أنّ معاوية استدعى ابن عمر وهو في الكعبة فقال : يا أبا عبد الرحمن أين صلّى رسول الله ﷺ عام دَخَلَها ؟ فقال : بين العمودين المقدّمين ، اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة[2] انتهى باختصار .

---

(١) ذكر ابن هشام ذلك في سيرته جـ ٢ ص ٢٧٥ ط الجمالية مع اختلاف يسير .
(٢) أخبار مكة ١ / ٢٧١ .

Marfat.com

ولشيخنا الحافظ الحُجّة أبي الفضل العراقي كلام حسن في تعيين مصلّى النّبيّ ﷺ في الكعبة لأنه قال فيما أنبأنا به بعد ذِكْر الأحاديث الواردة في هذا المعنى فتلخّص من هذه الطرق : أنّ مصلّى النبيّ ﷺ من البيت أنّ الداخل من الباب يسير تلقاء وجهه حتى يدخل إلى أن يجعل بينه وبين الحائط ثلاثة أذرُع أو ذراعين أو ما بينهما لاختلاف الطرق فيه ، قال : وينبغي أن لا يجعل بينه وبين الجدار أقلّ من ثلاثة أذرع ، فإن كان الواقع أنه ثلاثة فقد صادف مُصَلاَّهُ ، وإن كان ذراعين فقد وقع وجه المصلّى وذراعاه في مكان قدمي النبيّ ﷺ . فهذا أولى من التقديم عنه ، والله أعلم .

ذكر قدر صلاة النبيّ في الكعبة في دخولها هذا

أما قدر هذه الصلاة فركعتان على ما رويناه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعن بلال من رواية ابن عمر، وعن جابر بن عبد الله ، كما رويناه في « شرح معاني الآثار »للطحاوي[1]،وعن عمر أيضاً كما رويناه فيه عن عبد الرحمن ابن صفوان عن عمر وجماعة ممن كان مع النبيّ ﷺ حينئذ ، وعن عثمان بن طلحة أيضاً ، كما رويناه فيه ، وهو مقتضى حديث شيبة بن عثمان الحجبي - يوجد في الأصل (وعبد الله بن عباس ولا يثبت عنه وعبد الرحمن بن صفوان القرشي وعثمان بن طلحة الحجبي) وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين كما سيأتي مبيّناً في الترجمة التي بعد هذه الترجمة ، وليشير هنا لحديث ابن عمر وبلال لموجب اقتضى ذلك .

فأما الحديث المرويّ عن ابن عمر في ذلك من غير ذِكْر بلال فيه ، فإنّا رويناه في مسْنَد أحمد بن حنبل[2] ، لأنّ عبد الله بن أحمد بن حنبل قال في مُسْنَد أبيه : وجدت في كتاب أبي : حدّثنا يزيد قال : أخبرنا شعبة عن سماك ، يعني

---

(١) شرح معاني الآثار ٣٩١/١ طبعة دار الكتب العلمية ١٣٩٩ هـ./١٩٧٩ م.
(٢) ج ١٥/٦ .

Marfat.com

الحنفي ، قـال : سمعت ابن عمـر يقـول : صلّى رسـول الله ﷺ في الكعبـة ركعتين .

وأما الحديث الذي رويناه عن بلال في ذلك من رواية ابن عمر ففي صحيح البخاري ، لأنه قال في كتاب الصلاة : حدّثنا مسدّد قال : حدّثنا عيسى[1] عن سيف قال : سمعت مجاهداً قال : أتى ابن عمر فقيل له : هذا رسول الله ﷺ دخل الكعبة ، فقال ابن عمر : فأقبلت والنبيّ ﷺ قد خرج ، فوجد بلالاً قائماً بين الناس ، فسألت بلالاً فقلت : هل صلّى رسول الله ﷺ في الكعبة ؟ فقال : نعم ركعتين بين الساريتين اللتين عن يسارك إذا دَخَلْتَ ، ثم خرج فصلّى في وجه الكعبة ركعتين ، وأخرجه النسائي أيضاً فقال : أخبرنا سليمان قال : حدّثنا أبو نُعَيم قال : حدّثنا سيف بن سليمان فذكره ، وروينا ذلك في سُنَن النّسائي أيضاً من رواية السائب بن عمر عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر ، أنه سأل بلالاً : هل صلّى رسول الله ﷺ في الكعبة ؟ فقال : نعم ركعتين بين الساريتين .

وروينا في « سُنَن الدارقُطْني » من رواية زهير بن معاوية عن ابن الزبير عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر في حديث ابن الزبير ، فسألت بلالاً فأخبرنا أنّ رسول الله ﷺ : صلّى ركعتين .

وروينا في حديث الصحيحين ما يقتضي أنّ ابن عمر نسي أنّ يسأل بلالاً عن قدر صلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة ، وذلك من حديث أخرجه البخاري عن شريح ابن النعمان عن فليح عن نافع عن ابن عمر ، وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد وأبي الربيع الزهري وأبي كامل الجحدري كلّهم عن حماد بن زيد عن أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر ، وروينا ذلك أيضاً في سُنَن ابن ماجة ، وفي رواية ابن ماجة : ثم لمت نفسي أن لا أكون سألته ، يعني بلالاً ، كم صلّى رسول الله ﷺ ؟ . فتكون هذه الأحاديث معارضة للأحاديث التي تقتضي أنّ ابن

---

(١) في الأصل : يحيى .

Marfat.com

عمر سأل بلالاً عن قدر صلاة النبيّ ﷺ هذه . وقد سبق ذِكر هذه الأحاديث .

وذكر شيخنا العراقي في الجمع بين هذا الاختلاف ثلاث احتمالات واستبعد منها اثنين وسكت عن الثالث ، وهو على ما قال فيما أنبأني به ، ويُحتمل أنّ ابن عمر وإن كان سمع من بلال أنه صلّى ركعتين لم يكتف بذلك في أنه لم يصلّ غيرها ، لأنّ من صلّى أربعاً أو أكثر يصدُق عليه أنه صلّى ركعتين ، على القول بأنّ مفهوم العدد ليس بحجّة كما هو المرجّح ، فلعلّ الذي نسي أن يسأل عنه بلالاً في أنه هل زاد على الركعتين شيئاً أم لا ؟ والله أعلم .

ذكر من روى صلاة النبي ﷺ في الكعبة يوم فتح مكة من الصحابة ومن نقلها منهم

روى هذه الصلاة بلال وجابر بن عبد اللهوشيبة بن عثمان الحجبي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس على ما قيل وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبو هريرة وعائشة وعبد الرحمن بن صفوان القرشي وعثمان بن طلحة الحجبي وعمر بن الخطاب ، ونفاها أسامة على المعروف عنه والفضل بن عباس وأخوه عبد الله بن عباس على ما صحّ عنه ، وليس في حديث أكثر الصحابة المثبتين لهذه الصلاة والنافين لها في أنّ ذلك وقع في يوم فتح مكة ، وإنّما ذلك مبيَّن في حديث ابن عمر السابق وحديث جابر كما سيأتي وغيره ، فيحمل على ذلك حديث من لم يقع في حديثه بيان زمن الصلاة المشار اليها ، لأنّ الأحاديث تفسّر بعضها بعضاً ، والمجمل منها يردّ إلى المبيّن ، وقد أشار الى ذلك النووي في شرح مسلم ، لما تكلّم على قوله في حديث ابن عمر : قدم رسول الله ﷺ يوم الفتح ونزل بفناء الكعبة ، هذا دليل على أنّ المذكور في أحاديث الباب من دخوله ﷺ الكعبة وصلاته فيها كان يوم الفتح ، وهذا لا خلاف فيه ، ولم يكن يوم حجّة الوداع انتهى .

ويتأيّد ذلك بما رويناه في تاريخ الأزرقي قال حدّثني جدّي قال : سمعت

Marfat.com

سفيان يعني ابن عُيَيْنَة يقول : سمعت غير واحد من أهل العلم يذكرون أنّ رسول الله ﷺ ، إنّما دخل الكعبة مرّة واحدة عام الفتح ثم حجّ ولم يدخلها[1] انتهى .
وإذا تقرّر ذلك فنشير إلى شيء من أحاديث الصحابة المشار اليهم .

فأمّا حديث بلال ففي الصحيحين وغيرهما من رواية ابن عمر عنه .

وأما حديث جابر بن عبد الله ، فرويناه في « شرح معاني الآثار » للطحاوي قال : حدّثنا فهد قال : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدّثنا شبابة عن مغيرة بن مسلم عن ابن الزبير عن جابر قال : دخل النبيّ ﷺ[2] يوم الفتح فصلّى فيه ركعتين .

وأما حديث شيبة فرويناه في « معجم ابن قانع » ولفظه : حدّثنا حامد بن محمد ، حدّثنا القواريري : حدثنا محمد بن حمدان ، حدثنا أبو بشر عن مسافع ابن شيبة عن أبيه قال : دخل النبي ﷺ الكعبة فصلّى فيها ركعتين ورأى فيها تصاوير فقال : يا شيبة اكفني هذا ، فاشتد ذلك على شيبة فقال له رجل : إطْلِهِ بزَعْفَران ، ففعل ، وسيأتي شيبة في الباب الذي بعده في حديث آخر في المعنى .

ورويناه أيضاً في « شرح الآثار » للطحاوي[3] ونصّه : حدّثنا ابن أبي داود قال : حدّثنا محمد بن الصباح قال : حدّثنا أبو إسماعيل المؤدّب عن عبد الله بن مسلم عن هرمز عن عبد الرحمن بن الزّجّاج قال : أتيت شيبة بن عثمان فقلت : يا أبا عثمان إنّ ابن عباس يقول : إنّ رسول الله ﷺ ، دخل الكعبة فلم يصلّ ، قال : بلى ، صلى ركعتين عند العمودين المقدّمين ، ألزق بهما ظهره ، حدّثنا فهد قال : حدّثنا محمد بن سعيد أخبرنا عبد الرحيم بن سليمان عن عبد الله بن مسلم فذكره .

---

(١) أخبار مكة ١/٢٧٣
(٢) في الأصل : البيت ، وهو الذي يقتضيه سياق الكلام .
(٣) شرح معاني الآثار ١/٣٩٢ باب الصلاة في الكعبة .

Marfat.com

وأما حديث ابن الزبير فرويناه في مُسْنَد أحمد بن حنبل ، ولفظه : حدّثنا عثمان قال : حدّثنا حماد عن عبد الله بن أبي مليكة انّ معاوية قدم إلى مكة فدخل الكعبة ، فبعث إلى ابن عمر يسأله اين صلى النبي ﷺ ؟ فقال : صلّى بين الساريتين بحيال الباب ، فجاء ابن الزبير فرجّ الباب رجاً شديداً ففتح له ، فقال لمعاوية : أما أنك قد علمت أني كنت أعلم مثل الذي تعلم ولكنّك حسدتني .

وأما حديث ابن عباس فروياه في « سُنَن الدارقُطْني » ولفظه : حدّثنا الحسين بن اسماعيل قال : حدّثنا عيسى بن أبي حرب الصفّار قال : حدّثنا يحيى بن أبي بكير عن عبد الغفار بن القاسم قال : حدّثني حبيب بن أبي ثابت قال : حدّثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فصلّى بين الساريتين ركعتين ، ثم خرج فصلّى بين الباب والحِجْر ركعتين ، ثم قال : هذه القبلة ، ثم دخل مرة أخرى ، وأقام فيه يدعو ، ثم خرج ولم يصلّ ، وكتب الدارقُطْني على حاشية هذا الحديث : عبد الغفار ضعيف . انتهى .

وروينا هذا الحديث في « معجم الطبراني الكبير » وفي إسناده أبو مريم ، روى عن صغار التابعين ، وبقيّة رجاله وُثّقوا ، وفي بعضهم كلام وروينا عن ابن عباس ما يدلّ لذلك أيضاً في مُسْنَد بلال للحسن بن محمد الصباح الزعفراني ، ولفظه : حدّثنا سعيد بن سليمان قال : حدّثنا عبد الله بن المؤمّل قال : سمعت ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : ﷺ في الكعبة . وكان بلال والفضل على الباب فقال بلال : سجد ، وقال الفضل : إنّما كان يركع .

وأما حديث عبد الله بن عمر من غير ذكر بلال فاخبرني به الحافظ أبو أحمد بن الحسين الحاكم إجازة إن لم يكن سماعاً قال : أخبرنا به محمد بن أزبك البدري بقراءتي عليه بظاهر دمشق في الرحلة الثالثة قال : أخبرنا محمد بن عبد المؤمن الصُّوري قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن قدامة قال أخبرنا احمد بن المقرّب الكَرْخي ونفيسة بنت أبي طالب البزّار قالا : أخبرنا طراد بن محمد القرشي قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون النرسي قال : حدّثنا محمد بن

Marfat.com

عمرو بن البَخْتَري قال : حدّثنا أبو أحمد الفرج بن عبيد الجشمي قال : حدّثنا غارم أبو النعمان قال : حدّثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال : إنّ رسول الله ﷺ صلّى في جوف الكعبة . هكذا رواه عن غارم عن حماد ، وخالفه قتيبة لأنه رواه عن حماد فزاد في إسناده بلالاً ، ورواية قتيبة أخرجها الترمذي عنه وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الطحاوي في « شرح معاني الآثار»[1]: حدّثنا أبو مرزوق قال : حدّثنا وهب هو ابن جرير قال : حدّثنا شعبة عن سماك الحنفي قال : سمعت ابن عمر يقول : صلّى رسول الله ﷺ في البيت . وسيأتي من ينهاك فلا تسمع قوله يعني ابن عباس ، وقال أيضاً حدّثنا فهد حدّثنا أبو نعيم حدّثنا مسعر عن سماك الحنفي قال : سمعت ابن عباس يقول : لا تجعل سائر البيت خلفك وائتمّ به جميعاً وسمعت ابن عمر يقول : صلّى رسول الله ﷺ فيه .

وأما حديث عبد الرحمن بن صفوان فروِيناه في « معجم الطبراني الكبير » ولفظه قال : رأيت رسول الله ﷺ وأصحابه ، فدخلت بين رجلين منهم فقلت : كيف صنع رسول الله ﷺ حين دخل البيت ؟ قال : صلّى ركعتين بين الأسطوانتين عن يمين البيت. ورجال الطبراني رجال الصحيح على ما ذكر شيخنا أبو الحسن الحافظ .

وروِيناه في « مُسْنَد البزّار » ولفظه قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة قلت : لألبسنّ ثيابي ، وكانت داري على الطريق فذكر الحديث ، إلى أن قال : فلما خرج رسول الله ﷺ سألت من كان معه : أين صلّى رسول الله ﷺ ؟ قال : ركعتين عند السارية الوسطى عن يمينها ، وروِيناه في « سُنَن أبي داود السجستاني » وروِيناه عن شيوخه عن جماعة لم يسموه في « شرح معاني الآثار » للطحاوي قال : حدّثنا ربيع الحبري قال : حدّثنا عبد الله بن الحميدي قال : حدّثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن يزيد بن أبي الزناد عن مجاهد عن ابن صفوان

---

(١) ج ١/ ٣٩١ باب الصلاة في الكعبة .

أو عبد الله بن صفوان قال : سمعت أنّ رسول الله ﷺ يوم الفتح قد قدم ، فجمعت عليّ ثيابي فوجدته قد خرج من البيت ، فقلت : أين صلّى رسول الله ﷺ من البيت ؟ قالوا : تجاهك ، قلت : كم صلّى ؟ قالوا : ركعتين .

وأما حديث عثمان بن طلحة فهو في « صحيح مسلم » على الشكّ ، لأنه روى بسنده إلى ابن عمر قصة دخول النبيّ ﷺ . الكعبة ، ثم قال : فأخبرني بلال أو عثمان بن طلحة أنّ رسول الله ﷺ صلّى في جوف الكعبة ، ووقع في بعض نُسَخ مسلم على ما قال النووي : بلال وعثمان بن طلحة ويعضد ذلك رواية في مسلم يأتي ذكرها ، ولكنْ فيها علّة ، وهي أنّ بعض رُواتها نُسب فيها إلى الوهم .

وروينا حديث عثمان بن طلحة في المعنى من غير شكّ في مُسْنَد أحمد بن حنبل ، ولفظ حديثه : أنّ النبيّ ﷺ في البيت . قال : حسن في حديثه وجاهك حين تدخل بين الساريتين ، ورجال أحمد رجال الصحيح . ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » أيضاً .

وروينا أيضاً في « مُعْجَم ابن قانع » ولفظه : حدّثنا محمد بن يونس قال : حدّثنا مسلم بن إبراهيم قال : حدّثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عثمان بن طلحة أنّ رسول الله صلّى[1] بين الساريتين .

وروينا أيضاً في « شرح معاني الآثار » للطحاوي ، ونصّه : حدّثنا علي بن عبد الرحمن حدّثنا عفان قال : حدّثنا حماد بن سلمة قال : أخبرنا هشام بن عروة عن عروة عن عثمان بن طلحة أنّ رسول الله ﷺ دخل البيت فصلّى فيه ركعتين وِجاهك بين الساريتين ، وحسّن شيخنا أبو الفضل الحافظ الحديث الذي من رواية ابن قانع .

وأما حديث عمر بن الخطاب فروِيناه في « سُنَن أبي داود السجستاني » ولفظه : حدثنا زهير بن حرب قال : حدّثني جرير عن يزيد بن أبي الزناد عن مجاهد

---

(١) في الأصل « في البيت » بعد كلمة صلّى .

Marfat.com

عن عبدالرحمن بن صفوان قال: قلت لعمر بن الخطّاب: كيف صنع رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة ؟ قال : صلّى ركعتين ، ورواه الطّحاوي في « شرح الآثار » فقال : حدّثنا علي بن شيبة قال : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال : أخبرنا جرير فذكره بلفظه ، إلاّ انه قال : قال ابن أبي الزناد ولم يقل ابن الخطاب ، وقال أيضاً : حدّثنا ابن أبي داود حدّثنا أبو الوليد حدّثنا جرير بن عبد الحميد ، فذكره بإسناده مثله ، غير أنه قال : عبد الله بن صفوان .

وأما حديث أبي هريرة فروِيناه في « مُسْنَد البزّار » ولفظه قال : لما كان يوم الفتح بعث رسول الله ﷺ إلى أمّ عثمان بن طلحة أن ابعثي بالمفتاح ، أي مفتاح الكعبة فقالت : لا ، واللاّت والعُزّى لا أبعث به إليك ، فقال قائل[٢] إليها قسراً فقال ابنها عثمان : يا رسول الله إنها حديثة عهد بكُفْر فابعثني إليها حتى آتيك به، قال : فذهب فقال : يا أَمَتَاه إنه قد جاء أمر غير الذي كان ، وإنه إنْ لم تُعْط المفتاحَ قُتِلْتِ قال : فأخرجته فدفعته إليه ، فجاء به يسعى ، فلما دنا من النّبيّ ﷺ فابتدر المفتاح بين يديه فقام النّبيّ ﷺ ، فجثا عليه بثوبه فأخذه ، ثم جاء إلى الباب أحسبه قال : ففتحه ، ثم قام عند أركان البيت وأرجائه يدعو ، ثم صلّى ركعتين بين الأسطوانتين ، في إسناد هذا الحديث في « مُسْنَد البزّار»: زيد بن عوف وهو ضعيف .

وأما حديث عائشة فروِيناه في « سُنن البيهقي » ولفظه : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال : حدّثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن عبد الجبار بن مالك اللخمي بتنِيّس قال : حدّثنا عمرو بن أبي سلمة التنّيسي حدّثنا زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله أنّ عائشة قالت : دخل رسول الله ﷺ الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج

---

(١) ج ١/٣٩١ باب الصلاة في الكعبة .

(٢) كذا ، والصواب : ابعث اليها قسراً . كما في « مجمع الزوائد » للهيثمي .

Marfat.com

منهـا ، وأخرج هـذا الحديث الحـاكم في « المستدرك » بهـذا الإسنـاد ، وقـال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه[1] .

وأما حديث أسامة الموافق لهم في إثبات الصلاة فروينـاه في « شرح معـاني الآثار » للطحاوي أيضاً قال : حـدّثنا حسين بن نصـر قال : حـدّثنا بن أبي شـريح قال : أخبرني محمد بن جعفر قـال : أخبرني العـلاء بن عبد الـرحمن قال : كنت مع أبي فلقيت عبد الله بن عمـر فسألـه أبي وأنا اسمـع : أين صلّى رسول الله ﷺ حين دخل البيت ؟ فقال ابن عمر : دخل النبيّ ﷺ بين أسامة[2] وبلال فلما خرجا سألتهما أين صلّى ؟ يعني رسول الله ﷺ فقال : على جهته حدّثنا بن خزيمة حدّثنا أحمد بن أشكاب حـدّثنا أبـو معاويـة عن الأعمش عن عمارة عن أبي الشعثـاء عن ابن عمـر قـال : رأيتـه دخـل البيت حتى إذا كـان بين السـاريتين مضى حتى لـزق بالحائط فقام فصلّى فجئت فقمت الى جنبه ، فصلّى أربعاً فقلت : أخبِرْني أين صلّى رسول الله ﷺ من البيت؟ فقال : ههنا أخبرني أسامة أنّ رسول الله ﷺ صلّى[3] . فهذه أحاديث الصحابة المثبتُين لصلاة النبيّ ﷺ في الكعبة .

وأما أحاديث الذين نفوها فإنّ حديث أسامة منها روينـاه في « سُنَن النّسائي » ولفظه : أخبرنـا حاجب بن سليمـان المنبجي عن عبد المجيـد[4] بن أبي رواد حدّثنـا ابن جُرَيْج عن عطاء[5] عن أسامة بن زيد قال : دخل رسول الله ﷺ الكعبة فسبّـح في نواحيها وكبَّر ولم يُصَلِّ ، ثم خرج فصلّى خلف المقام ركعتين ، ثم قال : هذه القِبْلَة . وروينـاه في صحيـح مسلم من روايـة عـطاء عن عبـد الله بـن عبـاس عن أسامة .

وأما حديث الفضل بن عباس في نفي الصلاة فرويناه في كتاب « الـطبقات »

---

(١) في الأصل أسامة بن زيد .
(٢) المستدرك على الصحيحين ١/٤٧٩ .
(٣) شرح معاني الآثار ١/٣٩١.
(٤) في المطبوع من الشفاء « عبد الحميد » وهو تصحيف .
(٥) هو عطاء بن أبي رباح .

Marfat.com

لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ولفظه : حدّثنا موسى بن داود عن حمّاد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن الفضل أنّ النبي ﷺ دخل البيت فكان يسبّح ويكبّر ويدعو ولا يركع ، قال شيخنا أبو الفضل الحافظ بعد إخراجه لهذا الحديث من هذا الطريق : ورجاله رجال مسلم إلاّ أن موسى بن داود الصيتي قاضي طرطوش تكلّم فيه ، وقد قيل إنه تفرّد عن حماد بن سلمة ، وأخرجه أيضاً شيخنا أبو الفضل الحافظ من مُعْجَم بن قانع ثم قال بعد إخراجه له من طريقه : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ورويناه في « مُسْنَد أحمد بن حنبل » ولفظه : عن ابن عباس أنّ الفضل بن عباس أخبر أنه دخل مع النبي ﷺ وأن النبي ﷺ لم يصل في الكعبة ولكنه لما خرج نزل فصلّى[1] ركعتين عند باب الكعبة . ورواه الطبراني بمعناه في « الكبير » ، ورجاله رجال أحمد ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

وأما حديث عبد الله بن عباس في نفي الصلاة من غير إسناده ذلك إلى أسامة وأخيه الفضل فرويناه في صحيحي البخاري ومسلم ، أما البخاري فأخرجه عن إسحاق بن نصر عن عبد الرزاق عن ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عباس قال : لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلّها والمشهور عن عبد الرزاق بهذا الإسناد عن ابن عباس عن أسامة ، وكذا رواه النسائي وغيره ، وأما مسلم فقال : أخبرنا شيبان بن فروخ قال : حدّثنا هُمام قال حدّثنا عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل الكعبة وفيها ستّ سَوَارٍ ، فقام عند كل سارية فدعا ولم يُصَلّ .

ذكر ترجيح رواية من أثبت صلاة النبي في الكعبة على روايـة من نفاها وما قيل في الجمع بين ذلك

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البَرّ رواية ابن عمر عن بلال أنّ النبي ﷺ صلّى في الكعبة أولى من رواية ابن عباس عن أسامة أنه لم يصلّ لأنّها زيادة مقبولة ، وليس قول من قال من لم يفعل بشهادة إلى آخر كلامه ، وقال السُهَيْلي في « الروض الأُنُف » : وأما دخوله صلّى الله عليه وسلم الكعبة وصلاته فيها فحديث

---

(١) في النسخة (ك) فركع ركعتين .

Marfat.com

بلال أنه صلّى فيها ، وحديث ابن عباس أنه لم يصلّ فيها وأخذ الناس بحديث بلال لأنه أثبت الصلاة وابن عباس نفاها ، وإنّما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافي ومن تأوّل قول بلال إنه صلّى أي دعا فليس بشيء لأن في حديث ابن عمر أنه صلّى فيها ركعتين ، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان لأنه عليه الصلاة والسلام دخلها يوم النحر فلم يصلّ ، ودخلها من الغد فصلّى فيها ، وذلك في حجة الوداع ، وهو حديث مَرْوِيّ عن ابن عمر بإسناد حسن أخرجه الدارقُطْني وهو من فوائده[1] انتهى .

وقال الشيخ محيي الدين النووي : أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مُثْبَت ، فمعه زيادة علم ، فوجب ترجيحه قال : وأما نفي أسامة فيشبه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء ، فرأى أسامة النّبي ﷺ . يدعو ، ثم اشتغل أسامة في ناحية من نواحي البيت والنّبي ﷺ في ناحية ، وبلال قريب منه ، ثم صلّى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ، ولم يره أسامة لبُعده واشتغاله بالدعاء ، وكانت صلاته خفيفة ، فلم يرها أسامة لإغلاق الباب ، مع بُعْده واشتغاله بالدعاء وجاز له نفيها عملاً بظنّه ، وأما بلال فتحقّقها وأخبر بها ، والله أعلم . انتهى من شرح مسلم .

وقال في المجموع وهو شرح المهذّب : قال العلماء : الأخذ برواية بلال في إثبات الصلاة أولى ، لأنه مُثْبَت وقُدِّم على النافي ، فإنّ بلالاً كان قريباً من النّبي ﷺ حين صلّى معه ، وراقبه في ذلك فرآه يصلّي ، وكان أسامة متباعداً مشتغلاً بالدعاء والباب مغلق ولم ير الصلاة ، فوجب الأخذ برواية بلال لأنّ معه زيادة علم انتهى .

وقال المحب الطبري : وقد اختلف بلال وأسامة في صلاة النبي ﷺ في البيت ، وحكم العلماء ترجيح حديث بلال لأنه أثبت ، وضبط ما لم يضبطه

---

(١) الروض الأنف ٤/٤

Marfat.com

أسامة ، والمثبت مقدم على النافي ، ثم قال : ويحتمل أن يكون أسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته وقد روى ابن المنذر عن أسامة أنّ النبي ﷺ رأى صوراً في الكعبة ، فكنت آتيه بماء في الدلو يضرب به الصور ، فأخبر أنه كان يخرج لنقل الماء ، وكان ذلك في يوم الفتح وصلاته ﷺ في الكعبة إنما كانت يوم الفتح لا في حجّة الوداع . قال أبو حاتم بن حِبّان: والأشبه عندي أن يُحْمَل الخبران على دخولين متغايرين أحدهما يوم الفتح وصلى فيه والآخر في حجة الوداع ولم يصلّ فيه من غير أن يكون بينهما تضاد انتهى .

وقال القاضي عزّ الدين بن جماعة في هذا المعنى فيما أخبرني به خالي عنه : قال يعني أحمد بن حنبل : حدّثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء قال : قال أسامة بن زيد : دخلت مع رسول الله ﷺ البيت فجلس فحمد الله وأثنى عليه وكبّر وهلّل وخرج ولم يصلِّ ، ثم دخلت معه في اليوم الثاني فقام ودعا ثم صلى ركعتين ، ثم خرج فصلّى ركعتين خارجاً من البيت مستقبل وجه الكعبة ، ثم انصرف وقال : هذه القبلة . وكذلك رواه احمد بن منيع في مُسْنَده والدارقُطني وغيرهم وهو كلام شافٍ كافٍ في الجمع بين الأحاديث ، فنحمد الله على التوفيق للجمع به ، فإنّ ذلك من أجلّ الفوائد ، فإنّ بعض كبار العلماء قال يحتمل أن يكون أسامة غاب عنه صلّى الله عليه وسلم بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته .

قال ابن جماعة بعد أن ذكر كلاماً للنووي في « المجموع » في الجمع بين حديث بلال وأسامة سبق ذِكْرنا له وهذا يحتاج إلى نقل ولم أقف عليه ولا ضرورة تدعو إليه ، والله أعلم . ثم قال بعد أن ذكر كلام ابن حِبّان السابق في الجمع بين اختلاف بلال وأسامة ، وكلامه وكلام الشيخ محيي الدين يعني النووي ومن نقل عنهم يدلّ على أنّهم لم يطّلعوا على ما جمعنا به انتهى .

وقال الطحاوي في « شرح معاني الآثار»[1] فإنْ كان هذا الباب يؤخذ من طريق تصحيح تواتر الأخبار فإنّ الأخبار قد تواترت أنّ رسول الله ﷺ قد صلى في

(١) ج ١/٣٩٢ باب الصلاة في الكعبة .

Marfat.com

الكعبة ما لم يتواتر بمثله أنه لم يصلّ ، وإن كـان يؤخذ بـأن اسامـة بن زيد الـذي حكى عنه ابن عباس أنّ رسـول الله ﷺ حين دخل الكعبـة خرج منهـا ولم يصلّ ، فقد روى عنه ابن عمر وبلال وجابر وشيبة بن عثمان وعثمان بن طلحة ما يوافق مـا روى ابن عمر عن أسامة ، فذلك أولى مما تفـرّد به ابن عبـاس عن أسامـة . وقال الطحاوي أيضاً : فكان ينبغي لما تضادَّت الروايات عن أسـامة وتكافأت أن يرفع، ويثبت ما روى عن بلال إذا كان لم يختلف عنه في ذلك .

هذا ما رأيتـه للناس من تـرجيح حـديث بلال في إثبـات صلاة النبي ﷺ في الكعبة على حديث من خالفه في ذلـك وما قيـل في الجمع بين هـذا الاختلاف ، وما ذكروه من الترجيح يتّجه ، ومما لعلّه أن يكون مرجّحاً لذكر[1] أيضاً من حديث المعنى على ما ظهر لي أنّ الكعبة المعظّمة كالمسجد الحرام في استحبـاب التحيّة لمن دخلها ، والتحية للمسجد الحرام الـطواف لمريـده أو الصلاة فيـه ، والطواف بالكعبة من داخلهـا غير مشـروع فلم يبق لها تحيّـة إلاّ الصلاة فيهـا ، كتحيّة سـائر المساجد ، فكيف يـدخلها النبيّ ﷺ ولا يصلّي فيهـا مع بُعْـد عهده من دخـولها، فـإنه من حين هـاجر إلى المـدينة لم يـدخلها ، وبين هجـرته ودخـوله هـذا ثمـان سنين ، ومع طول مكْثِه ﷺ في الكعبة في دخوله هذا ، فإنّ مسلم من حـديث ابن عمـر في قصـة دخـول النبي ﷺ الكعبـة ومن معـه أنهم لبثـوا في البيت مليًا قـال النووي : أي طويلاً .

في البخاري عن ابن عمر من رواية نافع أنّ النبي ﷺ مكث نهاراً طـويلاً في الكعبـة حين دخلها يـوم الفتح وطـوّل المكث بمكان يستـدعي الجلوس فيه غـالبـاً ويبعد كل البُعد أنّ النبي ﷺ لم يجلس في الكعبة في دخوله هـذا ، أو أن يجلس فيهـا بغيـر صـلاة ، وقـد نهى ﷺ فيمـا صلّى[2] عنـه الـداخـل إلى المسجـد عن الجلوس فيـه من غير صـلاة ، ومما يؤيّـد كـونـه صلّى الله عليـه وسلم صلّى في

---

(١) في النسخة (ك) لذلك ، وهو الصحيح .
(٢) في النسخة (ك) فيما صح عنه .

الكعبة في دخوله هذا إغلاق الباب عليه فيه كما في الصحيحين[1] وغيرهما ، من حديث ابن عمر للحكمة التي ذكرها العلماء في إغلاق الباب في دخوله هذا ، وهي لئلا يُكْثر الناس عليه ، فلا يتمكن من الصلاة في الكعبة على ما يريد ﷺ . وقيل الحكمة في ذلك ليصلّي صلّى الله عليه وسلم إلى كل جهة من الكعبة فإنّ الباب إذا كان مفتوحاً وليس أمامه قدر مؤخرة الرَّحْل لم تصحّ الصلاة إليه لعدم استقبال شيء من الكعبة ، ذكر هذين القولين المحبّ الطبري في « القرى » واستظهر القول الأولى ، وذكر أنه يتأيّد بكون النبي ﷺ لم يصلّ في الكعبة أكثر من ركعتين على ما صحّ عنه .

وأما الأوجه التي نقلناها عن العلماء في الجمع بين اختلاف خبر بلال وأسامة وابن عباس في صلاة النبي ﷺ . فإن أقر بها إلى الصواب ما قيل أنّ النبي ﷺ صلّى في الكعبة لما غاب عنه أسامة ليأتيه بماء يمحو به الصور التي رآها في الكعبة فرأى ذلك بلال . فأثبت الصلاة ، ولم يره أسامة فنفاها ، وإنّما كان هذا الوجه أقرب إلى الصواب من الوجوه ، لقيام الدليل على ما يؤيده ، وهو الحديث الذي رويناه في « مُسْنَد ابن أبي داود الطيالسي » ولفظه : حدّثنا ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران قال : حدّثني عمير مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد قال : دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة ، ورأى صُوَراً ، فدعا بدلو من ماء ، فأتيته به ، فجعل يمحوها ويقول : قاتل الله قوماً يصوّرون ما لا يخلقون . قلت : رجال هذا الحديث ثقات ، قال ابن أبي ذئب : هو محمد بن عبد الرحمن الإمام المشهور وشيخه عبد الرحمن بن مهران ، وثّقه النسائي وابن سعد وابن حِبّان وشيخه عمير روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ، ويتأيّد هذا الحديثِ

---

(١) راجع البخاري٣/٣٧١ و٣٧٢ في الحج ، باب إغلاق البيت وباب الصلاة في الكعبة ، وفي القبلة ، باب قول الله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّي ﴾ ، وفي المساجد ، باب الأبواب والغلق للكعبة والمساجد ، وفي سترة المصلّي ، باب الصلاة بين السواري في غير جماعة وفي التطوع ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، في الجهاد باب الردف على الحمار ، وفي المغازي ، باب حجة ، الوداع . ومسلم رقم ١٣٢٩ في الحج ، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره .

Marfat.com

بالحديث الذي رواه ابن المنذر في هذا المعنى ولم أر سنده فيه ، والله أعلم .

وأما الوجه الذي ذكره النووي في الجمع بين الاختلاف في صلاة النبي ﷺ في الكعبة فإنه وإنّ جاز وقوعه ، ففيه بُعْدٌ لأنّ النّبيّ ﷺ لما دخل الكعبة هو وأسامة وبلال ومن دخل ، إمّا أن يكون اشتغل بعد دخوله بالصلاة فيها قبل اشتغاله بغيرها مما صنعه في الكعبة ، أو بدأ قبل الصلاة بالذِكْر والدعاء ونحو ذلك مما صنعه في الكعبة ، فإنْ كان الأول فكيف يخفي صلاته على أسامة ؟ وإن كان الثاني وهو مقتضى كلام النووي فالحال يقتضي أنّ أسامة يلزم النبي صلّى الله عليه وسلم ليقتدي به فيما يسمعه من دعواته الخيرية الجامعة النافعة وحسن ثنائه على الله تعالى ، وأن لا ينفرد عنه بمكان في الكعبة يدعو فيه ويذكر حتى لا يعلم ما يصنعه النبيّ ﷺ . وأما الوجه الذي ذكره ابن حِبّان في الجمع بين الاختلاف في صلاة النبي ﷺ في الكعبة فإن فيه نظراً لأنّ النبي ﷺ دخل الكعبة يوم فتح مكة ، ودخل يومئذ معه أسامة وبلال وعثمان وطلحة والفضل بن عباس على خلاف في الفضل ، وحديث دخول الفضل معهم في مسند أحمد بن حنبل « وسُنَن النسائي » ولفظ أحمد حدّثنا هشيم قال : أخبرنا غير واحد وابن عوف عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ البيت ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال ، الحديث . وإسناد هذا الحديث صحيح ، ولكن في صحيح مسلم ما يخالفه ، على ما سيأتي بيانه وثبت من حديث ابن عمر أنّ بلالاً أثبت صلاة النبي ﷺ في الكعبة لما دخلها يوم فتح مكة ، وثبت من حديث أسامة والفضل نفي صلاة النبي ﷺ في الكعبة ، وليس في حديثهما التصريح بالزمن الذي نفيا فيه الصلاة فيه وهو يحتمل أن يكون الوقت الذي ثبت دخولهما فيه مع النّبي ﷺ الكعبة وأن يكون في حجة الوداع لما قال ابن حِبان ، والأول أشبه بالصواب لأنه إذا دار الأمر بين حمل حديثهما من نفي الصلاة على زمن ثبت دخولهما فيه إلى الكعبة ، وبين حمل ذلك على زمن لم يثبت لهما فيه دخول ، فحمله على الزمن الذي ثبت دخولهما فيه أولى وفي حمله على الوجه الذي ذكره ابن حبان اشكال ،

Marfat.com

لأنّ ذلك يستلزم دخول النبي ﷺ الكعبة في حجة الوداع ، ودخول أسامة ومن نفى معه صلاة النبي ﷺ في الكعبة ولم يرضها يُشْعر بذلك ، فكيف يحمل على ذلك حديث من نفى الصلاة في الكعبة كما قال ابن حِبّان ، ولا يعارض ذلك الحديث ، حديث عائشة المقتضي لدخول النبي ﷺ الكعبة في حجّة الوداع ولفظه : قالت : خرج النبي ﷺ من عندي وهو قرير العين طيّب النفس فرجع إليّ وهو حزين ، فقلت له : فقال : إنّي دخلت الكعبة وودِدْتُ أنّي لم أدخلها[1] إنّي أخاف أن أكون اتعبت أمّتي من بعدي ، لأن في إسناد هذا الحديث مَن نُسِب إلى الضَّعْف ، وهو إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصغير[2] المكّي راويه عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، قال فيه ابن معين وأبو حاتم : ليس بالقوي . ورواه ابن مهدي . وقال يحيى القطان : تركته ثم كتبت عن سفيان ، نقل هذا كلّه الذهبي في « الميزان » وذكر له هذا الحديث . وحديث آخر له عن ابن أبي مليكة عن عائشة أيضاً : ما رأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه حتى يبدو ضبعاه[3] إلاّ لعثمان بن عفّان إذا دعى له[4] ، وذِكْرُهُ لهذين الحديثين مُشْعِرٌ بأنّ في صحّتهما نظراً وذلك ـ والله أعلم ـ لكون الترمذي صحح هذا الحديث وحسنه ، وكذا الحاكم ، لأنه أخرجه في مُسْتَدْرَكه على الصّحيحين ، ومما يقوّي النظر في صحة هذا الحديث أن أفعال النبي ﷺ في حجته نُقلت بأسانيد صحيحة لا وهن فيها ، ولم يُذكر فيما نُقل من أفعاله ﷺ في حجّته بمثل ذلك دخوله ﷺ إلى الكعبة في حجته ، ولو وقع ذلك لَذُكِر كما ذُكِر بالإسناد الصحيح مجيئه ﷺ إلى زمزم ، وإرادته النزع منها وشربه

---

(١) في النسخة (ك) لم أكن دخلت .

(٢) كذا في الاصل وفي المطبوع ـ ص ١٤٩ وهو «الصُّفَيْر». بضمّ الصاد المهملة . والفاء المفتوحة ، مصغّراً ، وقيل « الصُفَيْراء » . أنظر : التاريخ لابن معين ٢/٣٥ ، الجرح والتعديل ٢/١٨٦ ، التاريخ الكبير ٢/٣١٧ ، المعرفة والتاريخ ٣/١٠٨ ، المجروحين ١/١٢١ ، ميزان الاعتدال ١/٢٣٧ ، الإكمال ٥/١٨٧ ، الكاشف ١/٧٥ ، تهذيب الكمال ٣/١٤١ ، المغني في الضعفاء ١/٨٥ ، تهذيب التهذيب ١/٣٩٦ ، تقريب التهذيب ١/٧٢ ، العقد الثمين للتقي الفاسي ٣/٣٠١ خلاصة تذهب الكمال ٣٥ .

(٣) في ميزان الاعتدال (ضبعيه).

(٤) في الميزان (إذ دعا له) .

Marfat.com

من السقاية ، ودخول النبي ﷺ الكعبة في حجته لو وقع ، أولى بالذكر من هذه الأمور ، ولا يعارض ما أشرنا اليه ما ذكره البخاري في صحيحه في باب الزيارة يوم النّحر ، لأنه قال : ويذكر عن أبي حسان عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يزور البيت أيام مِنَى ، لأنّ زيارة البيت لا تستلزم دخوله ، ويصدق على الطواف به ، وأيضاً فإنّ هذا تعليق بصيغة التمريض والاحتجاج به يتوقّف على ثبوته والله أعلم .

ومما يقوّي النظر في حديث عائشة المشار اليه ، إنكار غيرْ واحدٍ من أهل العلم دخولَ النبي ﷺ في حجّته على ما ذكر عنهم سفيان بن عُيَيْنَة ، والله أعلم . وبتقدير صحتّه فليس فيه ما يُشْعِر بأنّ مَن نفى الصلاة ، أي صلاةَ النّبي ﷺ في الكعبة دخل مع النبي ﷺ الكعبة في حجّة الوداع ، حتى يكون من نفى صلاة النبي ﷺ في الكعبة محمولاً على هذا الزمن كما قال ابن حِبّان ، ولا يقتضي التعارض بين حديث من أثبت صلاة النبي ﷺ في الكعبة وحديث من نفاها ، بالتوفيق الذي ذكره ابن حِبّان ، لِفَقْد دليل يدلّ على ما ذكره من أنّ الزمن الذي أثبت فيه بلال ومن وافقه الصلاة في الكعبة غير الزمن الذي نفي فيه أسامة ومن وافقه الصلاة ، والزمن الذي نفى فيه أسامة ومن وافقه الصلاة بلال ومَن وافقه الصلاة ، والزمن الذي نفى فيه أسامة ومن وافقه الصلاة به ، متّجه ، وهو يوم فتح مكة ، كما سبق بيانه ، ويتعارض حينئذ خبرُ بلال ومَن وافقه وخبر أسامة ومَن وافقه في ذلك ، ويضاف إلى الترجيح أو التوفيق بما هو متّجه كما سبق بيانه .

وبالجملة ، فقد خُولف ابن حبان فيما نحاه إليه من دخول النبي ﷺ الكعبة في حجّة الوداع ، كما ذكر سفيان بن عُيَيْنَة ، وفي كون النبي ﷺ لم يصل في الكعبة لما دخلها في حجّة الوداع ، كما ذكر البيهقي والله أعلم بالصواب وأما الوجه الذي ذكره السُهَيلي[1] في الجمع بين اختلاف حديث بلال وابن عباس في

---

(١) في الروض الأنف ـ ٤/١٠٤ .

Marfat.com

صلاة النّبي صلّى ﷺ في الكعبة ففيه نظر من أوجُه :

الأول أنّ كلامه يقتضي حمل حديث بلال في إثبات الصلاة على زمن ، وحمل حديث ابن عباس في نفيها على زمن غيره ، وفي ذلك من النظر مثل النظر الذي فيما ذكره ابن حِبانّ ، وهو حمل حديث من أثبت الصلاة على زمن ، وحديث من نفاها على زمن ، لاتحاد الزمان الذي وقع فيه ذلك .

والوجه الثاني : إنّ كلام السُهَيْلي يقتضي أنّ إثبات الصلاة ونفْيها في زمنين في حجّة الوداع ، ووجه النّظر في ذلك أنه لا ريب في أنّ إثبات بلال لصلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة كان يوم الفتح كما رُوي حديث عمر في الصحيحين وغيرهما ، وابن عباس إنْ كان المراد به الفضل فنفيه للصلاة محمول على الزمن الذي ثبت فيه دخوله ، وهو زمن الفتح ، وإنْ كان المراد به عبد الله بن عباس فلم يثبت له دخول في الفتح ، ولا في حجة الوداع ، فيكون نفْيه لصلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة ، مستنداً إلى قول أخيه الفضل وأسامة ، فإنه روى عنهما ذلك ، وقد سبق أنّ نفْيهما محمول على الزمن الذي ثبت فيه دخولهما إلى الكعبة ، وهو زمن الفتح ، فيكون كذلك نفي عبد الله بن العباس ، وإذا تقرّر ذلك لم يستقم ما ذكره السُهَيْلي من أنّ إثبات بلال للصلاة في الكعبة ، ونفْي ابن عباس لها في حجّة الوداع ، وأنّى يستقيم ما ذكره ، وهو يقتضي إثبات دخولين للنبيّ ﷺ في حجّة الوداع إلى الكعبة ، وفي إثبات دخوله إليها مرّة واحدة في حجّة الوداع نظرٌ سَبَقَ بيانُه ، فكيف بدخوله فيها مرّتين ؟ وليس في الحديث الذي أشار إليه السُهَيْلي في الجمع لما ذكر ما يقتضي أن ذلك في الزمن الذي ذُكِرَ ، ويظهر ذلك بذِكْر الحديث ، ولفظه في كتاب الدار قُطْني : حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدّثنا وهب ابن منبّه عن خاله عن ابن أبي ليلى عن عكرمة بن خالد عن يحيى بن جعدة عن عبد الله بن عمر قال : دخل النّبيّ ﷺ البيت ، ثم خرج وبلال خلفه ، فقلت لبلال : هل صلّى رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، فلما كان الغد دخل ، فسألت بلالاً هل صلّى ؟ قال : نعم ركعتين ، استقبل الجذعة وجعل السارية الثانية عن يمينه .

Marfat.com

وكتب الدار قُطْني على حاشية هذا الحديث : ابن أبي ليلى ليس بالحافظ ، انتهى . فهذا الحديث كما ترى ليس فيه بيانُ زمن دخول النّبيّ ﷺ إلى الكعبة ، فإنّ حملنا الحديث على أنّ ما فيه مِن الدخولَين والصلاة في أحدهما جرى في حجّة الوداع في يوم النّحر ، ومن الغد كما فهم السُهَيْلِي لم ينهض من الحديث دلالة على ذلك لاحتمال أنْ يكون اليومان اللّذان دخل فيهما النّبيّ ﷺ ، وجرى فيهما ما ذُكِرَ في الحديث هما يوم النّحر ويوم النفر الأول ، أو يوم النفر الأول ويوم النفر الثاني ، أو هما فيما بين قدومه مكة وخروجه منها للوقوف بعرفة ، وكان قدومه بمكة صبيحة الرابع من ذي الحجّة ، وليس في الحديث الذي ذكره الدارقُطْني على تقدير حمله على حجّة الوداع ما يمنع من هذه الاحتمالات : إلاّ أنّ في البخاري ما يمنع الاحتمال الأخير، وإنْ احتمله الحديث الذي ذكره الدارقُطْني لأنه في صحيحه : حدّثنا محمد بن أبي بكر حدّثنا فضيل حدّثنا موسى بن عقبة قال : أخبرني كريب عن عبد الله بن عباس قال : قدم النّبيّ ﷺ مكة فطاف وسعى بين الصفا والمَرْوَة ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة .

وروى البخاري ذلك أيضاً في موضع آخر في صحيحه بهذا الإسناد ومع أمور أُخَر تتعلّق بحجّة النّبيّ ﷺ ، وإذا امتنع الاحتمال الأخير نفى ما عداه ، مع احتمال آخر ، وهو ما ذكره السُهَيْلي ، وكون ما ذكره هو الواقع ، مع تجويز غيره يحتاج إلى دليل ترجيح ما ذكره وهو متعدّد ، والله أعلم .

وإنْ حَمَلْنا الحديث الذي ذكره الدارقُطْني على أنّ ما فيه من الدخولين ، والصلاة في إحداهما جرى في زمن الفتح لم يستقم ، كما ذكره السُهَيْلي من أنّ النّبيّ ﷺ دخل الكعبة في يوم النّحر من حجّة الوداع ، ولم يصلّ بها في هذا اليوم ودخلها في ثاني يوم النّحر وصلّى بها فيه ، لكون ذلك مخالف[1] مقتضى ما

(١) كذا في الأصل والصحيح « مخالفاً » .

Marfat.com

يُحْمَل عليه الحديث ، من أنّ ما فيه جرى في زمن الفتح ، ويخالف أيضاً ما صحّ عن بلال من كون النّبيّ ﷺ صلّى في الكعبة لما دخلها يوم فتح مكة كما سبق .

الوجه الثالث أنّ كلام السُهَيْلِي يقتضي أنّ إسناد الحديث الذي أشار إليه حَسَن ، وذلك لا يستقيم لضعْفٍ في إسناد الحديث ، وفي علّة أخرى وهي النكارة في متنه ، لأنّا إذا حملناه على زمن الفتح فإنّه يقتضي أنّ النّبيّ ﷺ لم يصلّ في الكعبة حين دخلها يوم فتح مكة ، وإنّما صلّى فيها حين دخلها في اليوم الثاني ، وذلك يخالف ما صحّ عن ابن عمر من دخول النّبيّ ﷺ الكعبة في يوم فتح مكة وصلاته بها في هذا اليوم ، على ما أخبر به بلال كما هو مقتضى الحديث السابق ، وهو في « صحيح مسلم » .

وروينا مثل ذلك من حديث أيّوب السختياني عن نافع عن ابن عمر في « مُسْنَد الحُمَيْدي »[1] . وعن عُبَيْد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب في « سُنَن البيهقي » وإذا كان كذلك فالحديث الذي أخرجه الدارقُطْنِي فلأجل رواية محمد بن أبي ليلى[2] بسبب سوء حِفْظه واضطراب حديثه وكثرة أخطائه فيه ، وإنْ كان صَدُوقاً ، قال عنه شُعْبة : ما رأيت أحداً أسوأ حِفْظاً من ابن أبي ليلى . وقال أحمد بن حنبل : كان سيء الحِفْظ ، مضطّرب الحديث . وقال أبو حاتم[3] : كان سيء الحِفْظ شُغِل بالقضاء وساء حِفْظُه لا يُتَّهَم بشيء من الكذب ، إنّما يُنْكَر عليه كثرة الخطأ يُكْتَب حديثه ولا يُحْتَجُّ به . وقال ابن حِبّان[4] : كان رديء الحِفْظ فاحش الخطأ ، فكثُر الخطأ في حديثه . فاستحقّ التّرْك . وقال الدارقُطْني : رديء الحِفْظ كثير الوهم . وقال أبو أحمد الحاكم : غالب أحاديثه مقلوبة . انتهى . وَمن كان في الحفظ بهذه الصفة فالحجّة به غير

---

(١) ج ١/٨٢ رقم ١٤٩ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ولي القضاء لبني أميّة ثم لبني العبّاس . مات سنة ١٤٨ هـ .

(٣) في الجرح والتعديل ٧/٣٢٢ .

(٤) في كتاب المجروحين ٢/٢٤٣ .

Marfat.com

ناهضة ، فيما يرويه من الحديث ، فكيف إذا عارض ما يرونه حـديثاً صحيحـاً كما في هذه المسألة ، وحينئذ إنّمـا يحتجّ بـالحديث الصحيـح ، لأنّ له مـزيّةً تُـوجِب الترجيح ، على أنّي لم أر ما يدلّ لرواية ابن أبي ليلى عن عكـرمة بن خـالد ، ولا لـرواية عكـرمة عن يحيى ين جعـدة ، ولا لروايـة يحيى عن ابن عمر ، والله أعلم بصحّة ذلك .

ومن أوجُـه النظر فيمـا ذكره السُهَيْلي من الجمـع ، مـا أشـار إليـه من حمله حديث ابن عباس في نفْي صلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة ، على أنه نفى ذلك في يوم النّحْـر من حجّة الـوداع لكونـه لم يرِدْ عن ابن عبـاس ما يُشْعِـر بدخـول النّبيّ ﷺ الكعبة في حجّة الـوداع ، بل ورد عن ابن عبـاس ما يقتضي خـلاف ذلك على مـا رويناه في « معجم الطبراني » ولفظ الحديث الـوارد عنه في ذلـك : حدّثنـا محمد ابن حاجهان الجُنْدَيْسابوري قال : حدّثنا محمود بن غيلان قـال : حدّثنـا يحيى بن آدم قال : حدّثنا زهير عن جابر عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال : إنّ النّبيّ ﷺ لم يدخل البيت في الحجّ ودخل عام الفتح ، فلمـا نزل صلّى أربـع ركعات أو قـال : ركعتين بين الحِجْـر والباب ، مستقبـل الكعبة ، وقـال : هذه القبلة ، وجـابـر هـو الجُعْفي[1] ضعّفه جماعة ووثّقه شُعْبة .

وأمـا الوجـه الذي ذكـره ابن جماعـة في الجمع بين اختـلاف حـديث بـلال وأسـامة فـإنّ في استقامتـه نظراً لأنّ الحـديث الذي جمـع به يقتضي أنّ النّبيّ ﷺ دخل الكعبة مرّتين ، فصلّى في الثانية ولم يصلّ في الأولى ، وهو محمول على أنّ ذلك كان في زمن الفتحِ ، لما سبق من كلام النووي ، وإذا كان كذلـك فالصـلاة

---

(١) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجُعْفي . مات سنة ٢٨ هـ . كان شيعياً . أنظر عنه : الطبقات الكبرى ٣٤٥/٦ ، التاريخ لابن معين ٧٦/٢ ، تاريخ خليفـة ٣٧٨ ، طبقات خليفـة ٢٦٣ ، التاريـخ الكبير ٤١٠/٢ ، الضعفـاء للبخـاري ٢٥٥ ، المعـرفـة والتـاريـخ ٢٩٧/١ و ٥٣٩ ، تـاريخ أبي زرعـة ٢٩٦/١ ، الضعفـاء للنسائي ٢٨٧ ، الجـرح والتعديـل ٤٩٧/٢ ، الكاشف ١٧٧/١ ، المغني في الضعفاء ١٢٦/١ ، تاريخ الإسلام ٥٢/٥ ، تهذيب الكمال ٤٦٥/٤ ، تهذيب التهذيب ٤٦/٢ .

Marfat.com

التي نفاها أسامة في اليوم الأول إن كانت هي الصلاة التي أثبتها بلال في يوم فتح مكة ، على ما ذكر ابن عمر . فأسامة وبلال مختلفان في هذه الصلاة ، ولا ينتفي اختلافهما فيها بإثبات أسامة صلاة النّبيّ ﷺ في غير اليوم الذي أثبت بلال فيه الصلاة ، لكونها غير الصلاة التي أثبتها بلال ، واختلافهما إنّما هو في الصلاة في اليوم الأول لا في اليوم الثاني ، وإنّما كان يتّجه الجمع بالحديث الذي جمع به ابن جماعة ، لو ورد من حديث ابن عمر أنّ الصلاة التي أثبتها بلال كانت في زمن الفتح ، من غير تعرُّض لبيان اليوم الذي وقعت فيه ، وأما مع تبيين ابن عمر اليوم الذي أثبت بلال فيه الصلاة فإنّ الجمع بالحديث المشار إليه لا يستقيم . والله أعلم .

وقد رُوي عن أسامة خبر يُوهم أنّ النّبيّ ﷺ صلّى في الكعبة في دخوله إليها يوم الفتح ، ورويناه في مُسْنَد بلال ، للحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، وفي صحيح مسلم ، ولفظ مسلم : وحدّثني حميد بن مسعدة قال : حدّثنا خالد يعني ابن الحرث قال : حدّثنا عبد الله بن عون عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه انتهى إلى الكعبة ، وقد دخلها النّبيّ ﷺ وبلال وأسامة ، وأجاف عليهم عثمان بن طلحة الباب قال : فمكثوا فيه مليّاً ، ثم فتح البابُ ، فخرج النّبيّ ﷺ ، فرقيت الدرجة ودخلت البيت ، فقلت : أين صلّى رسول الله ﷺ ؟ قالوا : ههنا . وأُنسِيت أن أسألهم كم صلّى ؟ وهذا الحديث يقتضي أنّ ابن عمر سأل بلالاً وأسامة وعثمان عن صلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة في دخوله هذا ، وأنهم جميعاً أخبروا ابن عمر بها ، وذلك وهْم من بعض رُواة هذا الحديث ، لأنّ القاضي عِياض نقل عن الدارقُطْني أنه قال : وَهِم ابن عَوْن هنا ، وخالفه غيره ، فأسندوه عن بلال وحده. قال القاضي : وهذا هو الذي ذكره مسلم في باقي الطرق ، فسألت بلالاً فقال : ألا إنه وقع في رواية حرملة عن ابن وهب ، فأخبرني بلال أو عثمان بن طلحة أنّ رسول الله ﷺ صلّى في جوف الكعبة ، هكذا هو عند عامّة شيوخنا . وفي بعض النُسَخ : وعثمان بن أبي طلحة . قال : وهذا يقصد رواية

Marfat.com

ابن عون . والمشهور إنفراد بلال برواية ذلك . والله أعلم . انتهى .

وقد طال الكلام في ترجيح خبر بلال على خبر أسامة ، وما قيل من الجمع بين ذلك ، ولكنْ لموجِبات اقتضاها الحال ، واشتمل ذلك على فوائد يغتبط بها مَن له على تحصيل العلم إقبال .

وأما ترجيح خبر بلال على خبر الفضل بن عباس المعارَض بخبر بلال في صلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة يوم فتح مكة ، فلصحّة حديث بلال على خبر الفضل ابن عباس المعارَض بخبر بلال في صلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة يوم فتح مكة ، فلصحّة حديث بلال في ذلك عند أهل الحديث من غير اختلاف بينهم في ذلك ، واختلافهم في صحة حديث الفضل ، لاختلاف حديث ابن عمر في دخول الفضل الكعبة يوم فتح مكة مع النّبيّ ﷺ وأسامة وعثمان بن طلحة ، فإنّا روينا في صحيح مسلم في صحيح ابن شهاب الزُهْري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، ولم يدخلها معهم أحد ، ثم أغلقت عليهم ، وذكر الحديث إلى آخره . وهذا يقتضي أنّ الفضل لم يدخل مع المذكورين الكعبة . وفي مُسْنَد أحمد بن حنبل ما يعارض ذلك ، لأنه قال فيما رويناه عنه . حدّثنا هُشَيْم أخبرنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ البيتَ ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد ، وذكر الحديث . وروى ذلك النّسائي لأنه قال فيما رويناه عنه : أخبرنا يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا هُشَيْم عن ابن عون فذكره ، وهذا الإسناد وإنْ صحّ ففيه نظر ، لأنَّ رواية هُشَيْم له شهادة على ما ذكر شيخنا الحافظ العراقي عن بعض مشايخه ، ونقل عنه تضعيف حديث الفضل ، وأيضاً ، فإنّ للحديث الذي يرويه مسلم مزيّة في الصّحّة على ما يرويه غيره من الأحاديث الصحيحة غير ما في صحيح البخاري فإنّه أميز في الصّحّة مما في مسلم عند محققي أهل الحديث ، وعلى تقدير ثبوت دخول الفضل الكعبة مع النّبيّ ﷺ ومَن ذُكِر معه ، وثبوت حديثه في نفي صلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة في دخوله إليها يوم الفتح ، فلا

Marfat.com

معارضة بين حديث الفضل وبـلال في الصّلاة المشـار إليها ، لأنّ نفي الفضـل لها إنّما هو باعتبار كونه لم يرها لا باعتبار كونها لم تقع ، لأنا روينا في تاريـخ الأزرقي عن عبد المجيد بن أبي رواد أنّ الفضل دخل مع النّبيّ ﷺ الكعبة يوم الفتح وبعثه النبي ﷺ فأتى بذنـوب من ماء زمـزم ليطمس بـه الصُّوَر التي في الكعبـة[1] . قال عبد المجيد : فصلّى خلافه ولذلك لم يره صلّى .

وروينا فيه أيضاً ما يؤيّد ذلك لأنّ فيه من حديث الزُهْري أنّ النّبيّ ﷺ دخـل البيت يوم الفتح ، وأرسل الفضل بن عبـاس فجاء بمـاء زمزم ، ثم أمـر بثوب فبـلّ الماء ، فأمر بطمس تلك الصُّوَر[2] انتهى . فتكون صلاته ﷺ كانت في الكعبة يوم الفتح حين غاب الفضل عنه للأمر الـذي ندبـه إليه ، ويتّفق بـذلك خبـره مع خبـر بلال ، والله أعلم .

وأمّا ترجيح خبر بلال على خبر عبـد الله بن عباس في نفيـه لصلاة النّبيّ ﷺ يوم الفتح ، فلأنّ بلالاً حضر مع النّبيّ ﷺ حين صلّى وشاهد صـلاته ، وأخبـر بها وابن عبـاس لم يحضـر مـع النّبيّ ﷺ ، واعتمـد في كـون النّبيّ ﷺ لم يصـلّ في الكعبة على خبر أسامة له بذلك ، كما ثبت في صحيـح مسلم ، ورواية من حضـر القصّـة مقدّمـة على مَن غاب عنهـا ، وقد أشـار إلى ترجيـح خبر بـلال على خبـر الفضل بن عباس وأخيه عبد الله بما ذكره شيخنا الحافظ العراقي رحمه الله .

ذكر عدد دخول النبي الكعبة الشريفة بعد هجرته إلى المدينة وأول وقت دخل الكعبة فيه بعد هجرته

أما عدد دخول النّبيّ ﷺ الكعبة بعد هجرته ، فروينا في ذلك أخباراً يُتَحَصَّل من مجموعها أنّ النّبيّ ﷺ دخـل الكعبة بعـد هجرتـه أربع مـرات ، وهو يـوم فتح

---

(١) أخبار مكة ١/١٦٥ .

(٢) المصدر نفسه .

Marfat.com

مكة ، وفي ثاني يوم الفتح ، وفي حجّة الوداع . وفي عُمْرة القضية ، وفي كلٍّ من هـذه الدخـلات خلاف ، إلاّ الـدخول الـذي في يوم الفتـح . ونشيـر إلى الأخبـار الواردة في هذه الدخْلات ، فـأمّا دخـوله في يـوم الفتح فـرويناه في صحيـح مسلم وغيره ، كما سبق في حديث ابن عمر ، ولفظ حـديثه عن مسلم : قـدم رسول الله ﷺ يوم الفتح فنزل بفنا ء الكعبة ، وأرسل إلى عثمان بن طلحة ، فجـاء بالمفتـاح ففتح الباب ، قال : ثم دخل النّبيّ ﷺ وبلال وأسامة بن زيد وعثمـان بن طلحة ، وذكـر الحديث . ولا تضـادّ بين حديث ابن عمـر هذا وحـديثـه في صحيـح مسلم الذي قال فيه : أقبل رسـول الله ﷺ عام الفتـح على ناقـةٍ لأسامـة حتى أناخ بفنـاء الكعبة ، ثم دخل عثمان بن طلحة فقال ائتني بالمفتاح الحديث ، في صفـة دخول النّبيّ ﷺ الكعبة وصلاته فيها ، لأنّ المراد بعام الفتح في هذا الحـديث يوم الفتـح كما في الحديث السابق ، لأنّ الأحاديث تفسّر بعضها بعضـاً ، والمجمل منهـا يرد إلى المبين .

وقد أشار الإمام النووي إلى إتفاق الخبرين لأنه قال في شـرح مسلم : قولـه قدم رسول الله ﷺ يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة هذا دليل على أنّ هذا المذكور في أحـاديث الباب من دخـوله ﷺ الكعبـة ، وصلاتـه فيها كـان يوم الفتـح ، وهـذا لا خلاف فيه ، ولم يكن يوم حجّة الوداع . انتهى .

وفي هذا الدخول وقع الاختلاف في كون النّبيّ ﷺ صلّى فيه ، وأما دخـوله ﷺ في ثاني يوم الفتح ، ففي مُسْنَد أحمد بن حنبل مـا يدلّ لـه لأنه قـال : حدّثنـا هُشَيْم قال : أخبرنا عبد الملك عن عـطاء قال : قـال أسامـة بن زيد : دخلت مـع رسـول الله ﷺ البيت ، فجلس فحمـد الله وأثنى عليـه وكبّـر وهلّل ، وخـرج ولم يصلّ ، ثم دخلت معه في اليوم الثاني ، فقام ودعا . الحديث ، وقد سبق في هذا الباب بكماله . وأما دخوله ﷺ في حجّة الوداع ، فـرويناه في سُنَن أبي داوود وابن ماجة وجامع الترمذِي والمستدرك للحاكم ، من رواية إسمعيل بن عبـد الملك بن أبي الصغير عن ابن أبي مليكة عن عائشة ، وسبق ذلك في الترجمة التي قبل هـذه

Marfat.com

وعن سعيد بن المسيّب أنّ رسول الله ﷺ لما قضى نُسُكَه دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذّن بلال بالظُهْر على ظهر الكعبة ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً ، فلما كان ظهر اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو بن حُوَيْطب بن عبد العُزّى ، ورسول الله ﷺ جالس في مجلس الأنصار يتحدّث مع سعد بن عُبَادة ، فقال : يا محمد قد انقضى أجلك فاخرج عنّا ، قال : وماذا عليكم لو تركتموني فأعرست عندكم وصنعت لكم طعاماً ؟ وكان قد تزوج بميمونة الهلالية من طريقه ، وذكر مناشدة سهيل النّبيّ ﷺ في الخروج من مكة ، وخروج النّبيّ ﷺ إلى سرف ، وتعريسه فيه بميمونة ، ولم يذكر المحبّ الطبري مَن خرّج هذا الخبر ولا الخبر الأول ، وهما يقتضيان دخول النّبيّ ﷺ الكعبة في عُمْرة القضية ، وخبر سعيد بن المسيّب أصرح لما فيه من القضايا التي وقعت في عُمْرة القضيّة على ما جاء في غير هذا الخبر ، وهي تزويج النّبيّ ﷺ ميمونة وسؤال سهيل بن عمرو النّبيّ ﷺ في الخروج من مكة وجواب النّبيّ ﷺ له على نحو ما في هذا الخبر ، ولست واثقاً بصحّة ما فيه من دخول النّبيّ ﷺ الكعبة وأذان بلال الظهر عليها ، وعلى تقدير صحّتها فلأنّهما يخالفان ما رويناه في الصحيحين ، عن إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : أدَخَلَ النّبيّ ﷺ فِي عُمْرته ؟ قال : لا ، انتهى . والمراد بهذه العُمْرة عُمْرة القضيّة على ما قال العلماء ، كما قال النووي منهم في شرح مسلم وغيره .

وسيأتي ذِكْر السبب الذي لأجله لم يدخل النّبيّ ﷺ الكعبة في هذه العُمْرة ، ولم أر أحداً من أهل العلم قال بدخول النّبيّ ﷺ الكعبة في عُمْرة القضيّة ، كما هو مقتضى هذين الخبرين وإنّما ذكرناهما لغرابتهما ، وأما قوله ﷺ يوم الفتح وحجّة الوداع فهو رأي أبي حاتم بن حِبّان ، لأنه جمع بذلك بين اختلاف بلال وأسامة في صلاة النّبيّ ﷺ في الكعبة ، ونصّ كلامه والأشبه عندي أنْ يُحمل الخبران على دخولين متغايرين ، أحدهما يوم الفتح وصلّى فيه ، والأخرى في حجّة الوداع ولم يصلّ فيه ، انتهى .

Marfat.com

وأما أول وقت دخل فيه النّبيّ ﷺ الكعبة بعد هجرته ، فيوم فتح مكة لأنه لم يدخلها في عُمْرة القضية على مقتضى حديث ابن أبي أوفى السابق ذِكْره في الصحيحين ، ولا يعارض ذلك الخبران المقتضيان لدخول النّبيّ ﷺ الكعبة في عُمْرة القضيّة ، لأنهما لو صحّا لكان ما في الصحيحين الخ ، مقدّماً عليهما فكيف وفي صحّتهما نظر .

وأما السبب الذي لم يدخل النّبيّ ﷺ لأجله الكعبة في عُمْرة القضية ، فذكر النووي فيه كلاما لغيره لا يخلو من نظر ، لأنه قال لما تكلّم على حديث ابن أبي أوفى : قال العلماء وسبب عدم دخوله ﷺ ما كان في البيت من الأصنام والصُّوَر ، ولم يكن المشركون يتركونه لتغييرها ، فلما فتح الله تعالى عليهم مكة دخل البيت وصلّى فيه ، وأزال الصُّوَر قبل دخوله ، والله أعلم . انتهى . قلت ، في هذا الكلام ما يقتضي أنّ النّبيّ ﷺ لم يدخل الكعبة يوم فتح مكة حتى أخرج منها ما كان ينبغي إخراجه من الصُّوَر وغير ذلك ، ووقع في مُسْنَد أبي داود والسجستاني من حديث ابن عباس ما يدلّ لذلك .

وقد روينا ما يخالف ذلك لأنّ ابن أبي داود الطيالسي قال في مُسْنَدِه : حدّثنا ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران قال : حدّثني عُمَيْر مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد ، قال : دخلت مع رسول الله ﷺ في الكعبة ، ورأى صُوَراً فدعا بدلوٍ من ماء ، فأتيته به ، فجعل يمحوها ويقول : قاتل الله قوماً يصوّرون ما لا يخلقون . ورجال هذا الحديث يُحْتَجّ بهم ، وهو يقتضي أنّ النّبيّ ﷺ دخل الكعبة في الفتح والصُّوَر فيها ، وأنه أزالها بعد دخوله ، ويدلّ لذلك أيضاً ما رويناه في تاريخ الأزرقي عن عبد العزيز بن[1] أبي رواد ، من أنّ النّبيّ ﷺ بعث الفضل بن عباس بعد دخوله معه الكعبة ليأتي بماء ليطمس به الصُّوَر التي في الكعبة[2] ويدلّ

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، وهو يشير إلى الرواية التي وردت في ص ٢٤٤ وهي عن عبد المجيد بن أبي رواد لا عن عبد العزيز .

(٢) أخبار مكة ١/١٦٥ .

لذلك أيضاً قول ابن إسحاق في السيرة في قصّة الفتح : فلما قضى يعني النّبيّ ﷺ طوافه دعا بعثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففُتِحَت له . فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، انتهى . وهذا يقتضي أنّ النّبيّ ﷺ دخل الكعبة وفيها الصُّوَر ، وأنه دخل الكعبة حين فُتِحَت له في هذا التاريخ ، ولم يشتغل بشيء سوى ذلك ، والله أعلم .

Marfat.com

الباب العاشر

في ثواب دخول الكعبة المعظّمة

وفيما جاء من الأخبار الموهمة لعدم استحباب دخولها وفيما يطلب فيها من الأمور التي صنعها النّبيّ وفي حكم الصلاة فيها وفي آداب دخولها .

أخبرني أحمد بن عمر البغدادي بقراءتي عليه بالقاهرة ، والقاضي المفتي أبو بكر بن الحسين الشافعي بقراءتي عليه بطِيبة ، كلاهما عن الحافظ أبي الحجّاج المزّي قال : أخبرنا الدَّرَجي[1] قال : أنبأنا الصيدلاني قال : أخبرتنا فاطمة الجوزانية قالت : أخبرنا ابن زيدة قال : أخبرنا الطبراني قال : حدّثنا أحمد ابن يحيى الحلواني قال : حدّثنا سعيد بن سليمان الواسطي عن عبد الله بن المؤمّل قال : حدّثنا عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء عن ابن عباس قال : قال : رسول الله ﷺ : من دخل البيت فصلّى فيه دخل في حَسَنَة وخرج من سيّئة مغفوراً له . وفي لفظ : مَن دخل البيت خرج مغفوراً له .

وروى الفاكهي أخباراً في فضائل دخول البيت[1] والصلاة فيه ، لأنه قال : حدّثنا سعيد بن عبد الرحمن قال : حدّثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عمر في دخول البيت دخول في حسنة وخروج من سيّئة مغفوراً له .

حدّثنا محمد بن أبي عمر حدّثنا سفيان عن عبد الكريم وحدّثنا أبو بشر

---

(١) في المطبوع ، ص ١٥٨ « الدرحي » بالحاء المهملة ، وهو تحريف .
(٢) في النسخة (ك) الكعبة بدل البيت .

حدّثنا ابن أبي الصيف حدّثنا إسماعيل بن كثير أبو هاشم جميعاً عن مجاهد قال : دخول البيت حسنة وخروجه خروج من سيّئة مغفوراً له .

وقال الفاكهي أيضاً : حدّثني أحمد بن محمد القرشي عن يوسف بن خالد قال : حدّثنا غالب القطّان عن هند بن أوس قال : حججت فلقيت ابن عمر فقلت إنّي أقبلت من الفجّ العميق أردت البيت العتيق ، وأنه ذكر لي أنّ مَن أتى بيت المقدس يصلّي فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال ابن عمر : رأيت البيت من دخله ، فصلّى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وقال الفاكهي : حدّثنا سلمة بن شبيب قال : حدّثنا الغازيان قال : حدّثنا سفيان عن ابن جُرَيْج عن عطاء قال : لأنْ أصلّي ركعتين في البيت أحبّ إليّ من أنْ أصلّي أرْبَعاً في المسجد الحرام .

وقال الفاكهي : حدّثنا أحمد بن حميد عن الحسين بن الوليد قال : حدّثنا عبّاد بن راشد عن الحسن قال : الصلاة في الكعبة تعدل مائة ألف صلاة . انتهى .

٤

وروينا عن الحسن البصري في رسالته المشهورة قال : قال رسول الله ﷺ : من دخل الكعبة ، دخل في رحمة الله عزّ وجلّ ، وفي حمى الله تعالى وفي أمن الله عزّ وجلّ ، ومَن خرج خرج مغفوراً له انتهى . وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السِّلَفي لنفسه بعد دخول الكعبة :

أَبُعْدَ دخول البيت والله ضامن ... بنفي قبيح ، والخطايا الكوامنُ
فحاشاه ، كلّا ، بل يسامح كلّها ... ويرجع كلٌّ ، وهو جذلان آمن

وقد اتّفق الأئمة الأربعة على استحباب دخول البيت[1] واستحسن مالك كثرة

---

(١) في النسخة (ك) الكعبة ، بدل البيت .

Marfat.com

دخولها[1] لأنّ في مناسك ابن الحاجّ قال ابن حبيب : وأخبرني مُطْرف عن مالك أنه سُئل عن الصلاة في البيت وعن دخوله كلّما قدر عليه الداخل ، فقال له ذلك واسع حسن . انتهى .

وروينا ذلك في « تاريخ الأزرقي » عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب أحد الفقهاء السبعة بالمدينة على ما قيل ، وصدقة بن يسّار ، ووردت أخبار استدلّ بها بعض العلماء على عدم استحباب دخول الكعبة ، وقد ذكرها المحبّ الطبري مع الجواب عنها في كتاب « القرى » ، وذكرنا ذلك بنصّه في أصل هذا الكتاب ، ونشير هنا لشيء من ذلك : أنبأت عمّن أنباه المحبّ الطبري قال : باب دخول الكعبة وهو الباب الثامن والعشرون من كتابه « القرى » ، حجّة من قال : لا يستحبّ ، عن عائشة ، قالت : خرج رسول الله ﷺ من عندي وهو قرير العين طيّب النفس ، ثم رجع إليّ وهو حزين فقلت له فقال : إنّي دخلت الكعبة ووددت أنّي لم أكن فعلت ، إنّي أخاف أن أكون أتعبت أمّتي من بعدي . أخرجه أحمد ، والتِرْمِذي[2] وصحّحه ، وأبو داود[3] .

وقد استدل بهذا الحديث مَن كره دخول البيت ولا دلالة فيه ، بل نقول دخوله ﷺ ، دليل على الاستحباب ، وتمنّيه عدم الدخول فقد علّله بالمشقّة والشفقة على أمّته، وذلك لا يرفع حكم الاستحباب، ثم قال المحبّ: وعن عبدالله ابن أبي أوفى قال : اعتمر رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلّى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس ، قال له رجل : أَدَخَلَ رسول الله ﷺ الكعبة ؟ ، قال : لا ، أخرجاه وبَوَّب عليه البخاري ، باب من لم يدخل الكعبة ، وأجاب المحبّ الطبري عن هذا الحديث بأنّ عدم دخول النّبي صلّى الله عليه وسلّم الكعبة في عُمْرته هذه يجوز أن يكون لعذر ، قال : ولعلّه تركه شفقةً على

---

(١) الضمير عائد إلى الكعبة .

(٢) رقم ٨٧٣ في الحج باب ما جاء في دخول الكعبة .

(٣) رقم ٢٠٢٩ في المناسك ، باب دخول الكعبة .

Marfat.com

أمّته ، كما دلّ عليه الحديث المتقدّم . انتهى ، قلت : هذا الاحتمال بعيد ، والاحتمال الأول هو الصوّاب ، لموافقته ما ذكره العلماء في سبب كون النّبيّ ﷺ لم يدخل الكعبة في عُمْرته المشار إليها ، وهو عدم تمكّنه ﷺ من أنْ يزيل من الكعبة ما كان فيها من الأوثان والصُّوَر ، لكون مكّة في أيدي المشركين وحكمهم إذا ذاكروا ، والله أعلم .

وأما ما يُطلَب في الكعبة من الأمور التي صنعها النّبيّ ﷺ ، فهو التكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله عزّ وجلّ ، والدعاء والاستغفار ، لأحاديث وردت في ذلك منها ما رويناه عن أسامة بن زيد : أنّ رسول الله ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلّها ولم يصلّ حتى خرج ، فلما خرج ركع قبل البيت ركعتين وقال : هذه القبلة ، أخرجه البخاري[1] ومسلم[2] . وفي مسلم عن ابن جُرَيْج قلت لعطاء : ما نواحيه ؟ أفي زواياه ؟ قال : بل في كلّ قبلة من البيت ، وعند النّسائي[3] في هذا الحديث سبّح في نواحيه وكبّر ، وقوله : قُبُل البيت ، وهو بضمّ القاف والباء الموحّدة ، ويجوز إسكان الباء كما في نظائره ، ومعناه على ما قيل : ما استقبلك فيها ، وقيل مقابلها .

وفي معنى قوله ﷺ « هذه القبلة » ثلاثة احتمالات ، أوّلها أنّ معنى ذلك أنّ أمر القبلة قد استقرّ على استقبال هذا البيت فلا يُنْسَخ بعد اليوم وصلّوا إليه أبداً .

والاحتمال الثاني أنّ معنى ذلك أنّ النّبيّ ﷺ علّمهم سُنّة موقف الإمام ، وأنه يقف في وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها ، وإنْ كانت الصلاة في جميع جهاتها مُجْزِية ، وهذان الاحتمالان أبداهما الإمام أبو سليمان الخطّابي الخ .

---

(١) ٣/٣٧٥ في الحج ، باب من كبّر في نواحي الكعبة ، ٨/١٤ في المغازي ، باب أين ركز النبيّ ﷺ الراية يوم الفتح .

(٢) رقم ١٣٣٠ و ١٣٣١ في الحج ، باب استحباب دخول الكعبة للحاج .

(٣) ٥/٢١٩ و ٢٢٠ في الحج باب الذكر والدعاء في البيت ، وباب موضع الصلاة من الكعبة .

Marfat.com

والاحتمال الثالث أبداه الإمام النووي في « شرح مسلم » بعد ذِكْره لهذين الاحتمالين ، وهو أنّ معناه هذه الكعبة هي المسجد الحرام الذي أُمرتم باستقباله لا كلّ الحَرَم ولا مكة ، ولا كل المسجد الذي حول الكعبة بل هي الكعبة نفسها فقط ، والله أعلم ، انتهى . ومعنى قول عطاء : بل في كل قبلة من البيت أي في كل موضع من البيت قبلة أو كل موضع من البيت قبلة ، ذكر ذلك المحبّ الطبري ، قال : ويكون قد دار النّبيّ ﷺ في البيت جميعه داعياً ذاكراً .

ومن الأحاديث الواردة في المعنى الذي أشرنا إليه ما رويناه في « سُنَن النّسائي » أيضاً من حديث أسامة بن زيد أنه دخل مع النّبيّ ﷺ البيت ، فمضى ، يعني النّبيّ ﷺ حتى إذا كان بين الأسطوانتين اللذين[1] يليان باب الكعبة جلس فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ، ثم قام حتى أتى ما استقبل من دُبُر البيت فوضع وجهه وخدّه عليه فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ، ثم انصرف إلى كلّ ركن من أركان الكعبة فاستقبله بالتكبير والتهليل والتسبيح والثناء على الله والمسألة والاستغفار ثم خرج ، انتهى باختصار .

وروينا من حديثه أيضاً في « سُنَن النّسائي » قال : دخلت مع رسول الله ﷺ البيتَ فجلس فحمد الله وأثنى عليه وكبّر وهلّل ثم قام إلى ما بين يديه من البيت فوضع صدره عليه وخدّه ويديه ، ثم هلّل وكبّر ودعا ، ثم فعل ذلك بالأركان كلّها ، ثم خرج . انتهى باختصار ، وأخرجه أحمد أيضاً .

وروينا عن ابن عباس قال : دخل النّبيّ ﷺ الكعبة وفيها ستّ سواري[2] فقام عند كل سارية فدعا ولم يصلّ . أخرجه البخاري[3] ومسلم[4] وأحمد بن حنبل[5] ، وروينا في مُسْنَده عن الفضل بن عباس أنّ رسول الله ﷺ قام في الكعبة

---

(١) في الأصل ،والصحيح « اللتين تليان » .
(٢) هكذا في الأصل ، والصحيح « سوار » .
(٣) ٣/٣٧٥ في الحج .
(٤) ١٣٣٠ في الحج .
(٥) المسند ١/٢٣٧ و ٣١١ و ٥/٢٠٨ .

Marfat.com

وسبّح وكبّر ودعا الله عزّ وجلّ واستغفر ولم يركع ولم يسجد ، وروينا عن الفضل أيضاً أنه كان مع رسول الله ﷺ حين دخل الكعبة ، قال : فلم يصلِّ فيها ولكنه لما دخلها وقع ساجداً بين العمودين ثم جلس يدعو ، انتهى ، ولا تضادّ بين قوله في هذا الحديث : وقع ساجداً ، وبين قوله في الحديث الذي قبله : ولم يسجد ، لاحتمال أن يكون أراد بقوله : ولم يسجد أي في صلاة ، ويؤيّده قوله ولم يركع والركوع إنّما يكون في صلاة ، ويكون سجود النّبيّ ﷺ في الكعبة على تقدير ثُبوت الحديث المتضمّن لذلك شكراً لله تعالى ، وقد أشار المحبّ الطبري إلى التوفيق بين هذين الحديثين بما ذكرناه ، والله أعلم .

ومن الأمور التي قيل إنّ النّبيّ ﷺ صنعها في الكعبة ، صبُّه الماء على جسده ﷺ ذكَرَ ذلك الفاكهي لأنه قال : حدّثنا سَلَمَةُ بن شبيب أبو عبد الرحمن قال : حدّثنا زيد بن الحُبَاب قال : سمعت أبا قدامة عامر الأحول يقول : إنّ رسول الله ﷺ دعا بدلْوٍ من ماء فصبَّه عليه في الكعبة . انتهى ، وهذا غريب جداً ، ولذا ذكرناه ، والله أعلم بصحّته ، ولا أعلم أحداً من أهل العلم قال باستحبابه ، والله أعلم .

ومن الأمور التي صنعها النّبيّ ﷺ في الكعبة على ما قيل : إنه ألصق بها بطنه وظهره كما رويناه في مُعْجَم ابن قانع لأنه قال : أخبرنا حسين بن اليماني قال : حدّثنا سهل بن عثمان العسكري قال : أخبرنا عبد الرحمن بن سليمان عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن عبد الرحمن الزّجّاج قال : أتيت شيبة بن عثمان . فقلت : يا أبا عثمان ، زعموا أنّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة فلم يصلّ فيها ، فقال : كذبوا لقد صلّى بين العمودين ركعتين ثم ألصق بها بطنه وظهره ، انتهى .

وقد أشار شيخنا الحافظ العراقي إلى استحباب هذا الفِعْل في الكعبة ، ويدلّ لذلك ما رويناه في مُسْنَد الشافعي عن عُرْوة بن الزُبَير أنه كان إذا طاف بالبيت استلم الأركان كلّها وألصق بطنه وظهره وجنبه بالبيت ، الخ ، ورأيت لغير واحد من العلماء ما يقتضي عدم استحباب ذلك ؛ لأنّ المحبّ الطبري قال في

Marfat.com

« القرى » : ما جاء في كراهية أن يلصق ظهره إلى الكعبة : عن عطاء ، وقد سئل عن ذلك فكرّهه ، وعن إبراهيم قال : كانوا يكرهون أن يسند ظهره ، أخرجهما سعيد بن منصور ، انتهى . ورأيت أيضاً لإمامنا مالك ما يقتضي أنّ ذلك غير مطلوب ، لأنه قال : لا يعتنق شيئاً من أساطينه ، يعني البيت ، وقد دخله ﷺ ولم أسمع أنه اعتنق شيئاً من أساطينه ، انتهى ، والدلالة من كلام مالك على كراهيته ذلك ظاهرة ، لأنّ اعتناق أساطين الكعبة كإلصاق البطن والظهر بها ، والله أعلم ، وأما ما سوى ذلك من الأمور التي صنعها رسول الله ﷺ في الكعبة كما هو مذكور في هذه الأحاديث ، فلا أعلم بين أهل العلم اختلافاً في استحبابه ، إلاّ سجدة الشكر في الكعبة ، كما هو مقتضى حديث الفضل ، ففيها خلاف بين أهل العلم : فإنّ مشهور مذهب مالك أنّ سجود الشكر مكروه من حيث الجملة ، ومقتضى ذلك أن لا يفعل في الكعبة ، على أنّ حديث الفضل الذي في هذه السجدة مختَلَفٌ في ثبوته ، والله أعلم .

ذكر حكم الصلاة في الكعبة

استحبّ جمهور العلماء الصلاة في الكعبة لأنه ثبت أنّ النّبيّ ﷺ صلّى فيها ، ومنع طائفة من العلماء منهم ابن عباس كما حكاه عند القاضي عِياض ، ونقله النووي عن جماعة من العلماء وفي شرح مسلم لأنه قال : وقال محمد بن جرير ، وأصبغ المالكي وبعض أهل الظاهر : لا تصحّ فيها صلاة أبداً لا فريضة ولا نافلة ، قال : ودليل الجمهور حديث بلال ، انتهى ، واختلف المستحبّون للصلاة في الكعبة ، فبعضهم قال بذلك في الفريضة والنافلة بشرط يأتي ذِكْره في الفريضة ، وبعضهم قصر ذلك على النفل غير المؤكّد ، وهذا مذهب الإمام مالك ، ولم أر فيما وقفت عليه من كتب المالكية ما يشهد لصحّة ما نقله النووي عن أصبغ بن الفرج أحد أئمة المالكية ، والذي رأيته منقولاً عنه في كتب المذهب أنّ من صلّى الفريضة في الكعبة أعاد أبداً من غير نظر إلى كون المصلّي فيها عامداً أو ناسياً ، وقد اختلف المذهب ، وصحّح صلاة الفريضة في الكعبة ابن

عبد الحكم ، واستحبّ أشهب ألاّ تُصَلّى الفريضة في الكعبة فإنْ صُلّيَتْ فيها صحّت ، وصوّب هذا القول اللخمي لأنه لما ثبت أنّ النّبيّ ﷺ صلّى في الكعبة النافلة وجب مساواة الفريضة لها ، فإنّ أمرهما في الحضر واحد من جهة الاستقبال ، ومشهور المذهب أنّ صلاة الفريضة لا تصحّ في الكعبة وإنْ صلاّها فيها أعاد الصلاة ، واختلف شيوخ المذهب في الإعادة هل تكون في الوقت أو أبداً ؟ وهو مقتضى قول أصبغ ، واختلف في الإعادة في الوقت هل هي في حقّ الناسي وهو قول ابن حبيب ورأي ابن يونس وجماعة ، وقيل إنّ ذلك في حقّ العامد والناسي وهو رأي القاضي عبد الوهاب واللخمي وابن عتاب ، ويلحق بالفريضة نوافل في كونها لا تُصَلّى في الكعبة ، وهي السنن كالعيدين والوِتْر وركعتي الفجر وركعتي الطواف الواجب ، فإنْ صُلّيَتْ هذه النوافل في الكعبة فلا تجزي على المذهب المشهور ، وتجزي على رأي أشهب وابن عبد الحكم .

واختلف الحنابلة في صحّة صلاة الفريضة في الكعبة ، والأصحّ عندهم أنها لا تصحّ فيها ، وكذلك عندهم النذْر المُطْلَق قالوا : فإنْ نَذَرَ الصلاة في الكعبة صحّت فيها ، وعندهم خلاف في صحّة النافلة في الكعبة ، والأصحّ عندهم فيها الصّحّة وعندهم في كونها في الكعبة مستحبّة أوجائزة روايتان ، ولم يخالف مذهب الشافعي في جواز الصلاة في الكعبة ، سواء كانت فريضة أو نافلة ، ومقتضى مذهبه إنّ فِعْل النافلة في الكعبة أفضل من فِعْلها في المسجد خارج الكعبة ، وكذلك الفريضة بشرط أن لا يرجو المصلّي مجيء جماعة خارج الكعبة . قال الشافعي : ما فريضة تفوتني في جماعة فأصلّيها في موضع أحبّ إليّ منه ، يعني البيت الحرام ، لأنّ البقاع إذا فضلت بقربها منه فبطنه أفضل منها .

ومذهب أبي حنيفة جواز صلاة النافلة والفريضة في الكعبة ، وأنّ النافلة في الكعبة مستحبّة ، وحيث صحّت الصلاة في الكعبة فللإنسان أن يصلّي في جوفها إلى أيّ جوانبها شاء ، هكذا في النوادر من كتب أصحابنا المالكية ، وفيه أحبّ إلى أن يجعل الباب خلف ظهره ثم يصلّي إلى أيّ موضع شاء بعد أن يستدبر

Marfat.com

الباب ، وكذلك فعل النّبيّ ﷺ ، انتهى ، وهذا مذهب الشافعي ، وعند الحنابلة أنّ الصلاة إلى الباب صحيحة إذا كانت له عتبة شاخصة ، وعندهم وجهان فيما إذا صلّى إلى سترة في لبن منظوم أو شبيهة غير متّصل إتّصال البناء ، وصحّح أبو البركات الصّحّة في هذه الصور ، وإذا أقيمت الجماعة في الكعبة فلمن ائتمّ بالإمام فيها خمسة أحوال في الوقت : الأول أن يكون وجه المأموم إلى وجه الإمام ، الثاني أن يكون ظهره إلى ظهره ، الثالثِ أن يكون وجه المأموم إلى ظهر الإمام ، الرابع أن يكون بجنبه غير متقدّم عليه ، الخامس أن يكون ظهر المأموم إلى وجه الإمام ، فيصحّ في جميع الأحوال غير الحالة الخامسة فلا يصحّ فيها على الأصحّ من مذهب الشافعي ، ومذهب أبي حنيفة في هذه المسألة كمذهب الشافعي .

وعند الحنابلة وجهان في صحّة صلاة المأموم إذا تقابل هو الإمام ، وقاس أبو البركات من الحنابلة المنع على ما إذا كان قفاء المأموم في وجه الإمام ، وإذا حفرت في الكعبة حفرة وصلّى فيها إنسان صحّت صلاته فيها كما قال بعضُ الشافعية فيما نقل مجلي في ذخائره ، قال مجلي : وذلك إذا لم تجاوز الحفرة قواعد البيت فإن جاوزتها بحيث لا تحاذي ببدنه شيئاً منها لم يصحّ ، وإلا فهو كالصلاة على ظهرها إلى السترة القصيرة ، وذكر ابن الرفعة أنّ فيما قاله مجلي نظراً ، وذكر أنه لا فرق بين أن يتجاوز القواعد إلى سترة أولاً كما أطلقه الأصحاب .

قال ابن جماعة : وعندي ينبغي أن يفصل فيقال : إنْ صلّى في الحفرة ولم يحاذ ببدنه شيئاً من الكعبة أو قواعدها وكان قادراً على إصابة عين البناء لم تصحّ الصلاة ، وإلاّ صحّت والله أعلم ، انتهى .

واختلف العلماء أيضاً في الصلاة على سطح الكعبة ، والمشهور من مذهب مالك منع الصلاة على ظهرها ، وأنه أشدّ من منعها في بطنها ، وذلك لأنّ المصلّي في بطنها يعيد في الوقت والمصلّي على سطحها يعيد أبداً ، وقيل : إنّ

Marfat.com

الصلاة على سطحها كالصلاة في بطنها فَتُعاد في الوقت ، وهذا القول حكاه ابن محرز عن أشهب ، وقيل : إنّ الصلاة على سطحها تصحّ ولا إعادة على من فعل ذلك ، وهذا القول حكاه اللّخمي عن أشهب وهو قول ابن عبد الحَكَم ، وقيل : إنّ الصلاة على سطحها تصحّ إن أقام المصلّي شيئاً يقصده ، وهذا تأويل القاضي عبد الوهاب على المذهب ، وقيل : تصحّ الصلاة على سطحها إذا كان بين يدي المصلّي قطعة من السطح ، وهذا الاختلاف في الفريضة وأما النافلة على سطح الكعبة فلا تصحّ على مقتضى مشهور المذهب إذا كانت الصلاة متأكّدة كالسُنَن والوِتْر وركعتي الفجر وركعتي الطواف الواجب ، لمساواة هذه النوافل للفريضة في حكم الصلاة في جوف الكعبة ، وفي صحّة النفل غير المؤكّد في سطح الكعبة نظر على مقتضى رأي أكثر أهل المذهب في حملهم النهي الوارد عن النّبي ﷺ عليه وسلّم في الصلاة على سطح الكعبة .

وأما على رأي ابن عبد الحَكَم ومن وافَقَه فيصحّ النفل مطلقاً على سطح الكعبة ، وحديث النّهْي الوارد عن الصلاة فيه رويناه في مُسْنَد عبد بن حميد بالسند المتقدّم إليه في الباب التاسع ، ولفظه : حدّثنا عبد الله بن يزيد المقري حدّثنا يحيى بن أيوب عن زيد بن جَبِيرة[1] عن داود بن حصين عن نافع عن ابن عمر قال : إنّ رسول الله ﷺ نهى أن يُصَلّى في سبعة مواطن : المَزْبَلَة والمَجْزَرَة والمَقْبَرَة وقارعة الطريق وفي الحمّام ومعاطن الإبل وفوق ظهر بيت الله عزّ وجلّ ، أخرجه الترمذي عن محمود بن غيلان[2] ، وابن ماجة عن محمد بن إبراهيم الدمشقي ، كلاهما عن المقري ، فوقع لنا بدلاً لهما عالياً بدرجة بالنسبة إلى روايتنا العالية لكتابيهما بدرجتين بالنسبة إلى روايتنا لهما المتّصلة بالسماع ، وزيد ابن جبيرة متروك الحديث[3] .

---

(١) في المطبوع - ص ١٦٤ « جبير » وهذا خطأ .

(٢) رقم ٣٤٦ في الصلاة ، باب ما جاء في كراهية ما يصلّى إليه وفيه . قال الترمذي ، وإسناده ضعيف .

(٣) جاء في المطبوع « زيد بن جبير » والصحيح كما أثبتناه « ابن جبيرة » لأن ابن جبير محدّث ثقة ، =

Marfat.com

وروينا هذا الحديث من غير طريقه في سُنَن ابن ماجة بإسناد يقوم بمثله الحجّة ، ولفظه : حدّثنا علي بن داود ومحمد بن أبي الحسن قالا : أخبرنا أبو صالح قال : حدّثنا الليث قال : حدّثنا نافع عن ابن عمر بن الخطاب قال : إنّ رسول الله ﷺ قال : سبع مواطن لا يجوز فيها الصلاة : ظاهر بيت الله والمقبرة والمزبلة والمجزرة والحمّام ومعاطن الإبل ومحجّة الطريق ، انتهى .

وذكر ابن بشير من أصحابنا المالكية أنّ المذهب اختلف في الصلاة على ظهر الكعبة ، هل هي منهيّ عنها على الإطلاق ؟ أو بشرط أن لا يجعل المصلّي عليها قائماً يقصده ؟ والأول رأي جماعة من أهل المذهب ، والثاني تأويل القاضي عبد الوهاب على المذهب ، انتهى .

ومذهب الشافعي صحّة صلاة الفريضة والنافلة على سطح الكعبة بشرط أن يكون بين يدي المصلّي شاخص قدر ثلثي ذراع تقريباً من نفس الكعبة ، هذا هو الصحيح من مذهب الشافعي ، وفي مذهبه وجه أيضاً : يصحّ في السطح وإن لم يكن الشاخص قدر ثلثي ذراع ، وقيل : إنّما تصحّ فيه بشرط أن يكون الشاخص قدر قامة المصلّي طولاً وعرضاً ، ومذهب الحنفية أنّ الصلاة على السطح جائزة وإن لم يكن بين يدي المصلّي سترة فإنّ الصلاة في السطح مكروهة لِما فيه من ترك التعظيم ، وعندهم أنّ الصلاة على جدار الكعبة صحيحة إذا كان المصلّي متوجّهاً إلى سطحها ولا تصحّ إذا جعل السطح وراءه ، ومذهب الحنابلة أنّ صلاة الفريضة لا تصحّ في سطح الكعبة ، وأنّ النافلة فيه تصحّ ، وأنّ حكم النافلة على سطحها حكم الفريضة في بطنها إذا كان الباب مفتوحاً ، ومقتضى ذلك أنها لا تصحّ في السطح إلاّ إذا كان هناك شاخص .

= وابن جبيرة هو متروك الحديث . أنظر عنه : التاريخ الكبير ٣/٣٩٠ رقم ١٢٩٩ ، الجرح والتعديل ٣/٥٥٩ رقم ٢٥٢٨ ، المعرفة والتاريخ ٣/١٣٨ المغني في الضعفاء ١/٢٤٥ رقم ٢٢٦٤ ، الكاشف ١/٢٦٤ ، رقم ٧٤٤ في ميزان الإعتدال ٢/٩٩ رقم ٢٩٩ ، تهذيب التهذيب ٣/٤٠٠ رقم ٧٣٦ .

Marfat.com

وقـد حرّرنـا ارتفاع الشـاخص في سطح الكعبـة وهو ذراع إلاّ ثُمن ذراع في الجهة الشرقية وفي جهة الحِجْر ـ بسكون الجيم ـ ذراع وثُمن ، وفي جهـة المغرب ذراع ، وفي جهة اليمن ثُلُثا ذراع ، وقد سبق تحريرنا لذلك طولاً وعرضاً في الباب الثامن ، وقد أثبتنا فيما يتعلّق بالصلاة في وجه الكعبة وعلى سطحها بما فيه كفـاية في ذلك ، ويوجد به من الفوائد ما لا يوجد مجتمعاً في تأليف ، ونسأل الله التوفيق لكلّ خير .

وأما آداب دخول الكعبة فكثيرة منها: الإغتسال، لِما رويناه عن عبدالكريم ابن أبي المخـارق ومنهـا نزع الخُفّ والنَّعْل ، لِمـا روينا في سُنَن سعيد بـن منصور عن عطاء وطاوس ومجاهد ، وكره مالك دخولها بالخُفَّيْن والنّعلين وهو قـول الحنابلة ، ومنها أنه لا يرفع بصره إلى السقف لحديثٍ في ذلك رويناه عن عائشـة أخـرجه الحـاكم في « المستدرك »[1] وقـال : صحيح على شـرط الشيخين ، وقد تقدّم هذا الحديث في الباب التاسع ؛ وإنّما كره رفـع البصر في الكعبـة لأنه يـولد الغفلة واللّهو عن القصد ، أشار بذلك المحبّ الطبـري في « القِرى » ، ومنهـا أن لا يـزاحم زحمة شـديدة يتـأذّى بها أو يؤذي بهـا أحداً ، أشـار إلى ذلـك النـووي وغيره ، ومنها أن لا يكلّم أحـداً إلا لضرورةٍ أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهْيٍ عن مُنْكَـر ، ومنها أن يُلْزِم قلبَه الخشوعَ والخضوعَ وعينيـه الدمـوع إن استطاع ذلـك وإلاّ حاول صـورتها ، ذكـر هذين الأمـرين المحبّ الطبـري وهذا لفْـظُه ، ومنهـا أن لا يسـأل مخلوقاً لِما رويناه عن سفيان بن عُيَيْنة قال : دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر بن الخـطاب فقال : سلني حـاجتك قـال : أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره .

وذكـر الفاكهي مـا يقتضي أنّ التارك بسؤآل هشـام في الكعبة غيـر سالم بن عبد الله لأنه قال : حدّثنـا محمد بن أبي عمـر قال : قـال سفيان بن عُيَيْنـة سمعت

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/٤٧٩ .

Marfat.com

بعض من يذكر أنّ بعض الخلفاء هشام بن عبد الملك أو غيره دخل الكعبة عام حجّ فلم يدع في الكعبة غير منصور الحجبي، فقال له هشام : سل حاجتك ، قال منصور : ما دنت لأسأل غير الله في بيته ، فلم يسأله شيئاً ، انتهى ، وحُكْم النساء في دخولهنّ الكَعبة حُكْم الرجال من غير خلاف أعلمه في ذلك .

Marfat.com

Marfat.com

الباب الحادي عشر

في ذكر شيء من فضائل الكعبة وفضائل ركنيها الحجر الأسود واليماني

ذكر شيء من فضائل الكعبة

لا شكّ أنّ فضل الكعبة مشهور لـوروده في القرآن العـظيم في غير مـا آية ، ووروده في السُّنَّة الشريفة الصحيحة ، وإنّما أردنا بذكره ههنا للتبرُّك ، فمن الآيات الواردات في ذلك قـول الله تعالى ﴿ إنَّ أولَ بيتٍ وُضـع للنّاس لَلَّذِي ببكَّـةَ مُبَارَكـاً وهُدًى للعالمينَ . فيهِ آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمناً ﴾[1] .

واختلف في معنى كونه أول بيت وُضِع للناس على قولين : أحدهما أنه أول بيت وُضع للعبادة وكان قبله بيوت لغيرها ، وهـذا يُرْوَى عن عليّ بن أبي طـالب ، والآخر أنه أول بيت كان في الأرض .

قال المحبّ الطبري : وقوله مباركاً أي كثير الخيـر لِما يحصـل لمن حجَّه أو اعتمـره أو عكف عنده وطـاف حولـه من الثواب . وقـولـه : وهُـدًى للعـالمين أي مُتَعَبَّدهم وقبلتهم ، وقوله : فيه آيات بيّنات مقـام إبراهيم : مقـام عطف بيـان على آيات وبين الجمع بالواحـد لاشتمالـه على آيات أثـر قدميـه في الصخرة : وبقـاؤه وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين ، واختلف في أمن الداخل ، فقيل من دخله

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٩٦ .

Marfat.com

كـان آمناً من الـذنوب التي اكتسبهـا قبل ذلـك ، وقيل : من دخله لقضـاء النُّسُـك معظّماً لحُرْمته عارفاً بحقّه متقرّباً إلى الله عزّ وجلّ كان آمناً يوم القيامة ، كما جاء : مَن كَثُرَتْ صلاتـه بالليـل حسُن وجهه بـالنهار[1] . يعني نهـار يوم القيـامة ، وقيـل معناه ، أمْن مَن دخله ، أي لا يُقْتَصّ منه ، كما هو مذهب أبي حنيفة ، ويُلجأ إلى الخروج منه وقيل : معناه غير ذلك .

ومن الآيـات قـولــه تعـالى : ﴿ جَعَــلَ اللَّهُ الكعبـةَ البيتَ الحــرامَ قِيـامــاً للنّاس ﴾[2]، قال المحبّ الطبري : أي قـواماً لهم في أمـر دينهم ودنياهم ، فـلا يـزال في الأرض دين ما حُجَّت ، وعنـدها المعـاش والمكاسب ، قـال : والمـراد بتحريم البيت ، سائر الحرم ، ونُقل عن الضّحّاك أنـه قال : قيـاماً للنـاس : قيامـاً لدينهم ومعالم حجّهم ، قال : ويُرْوَى نحوه عن السُّدّي وقال : قال عكرمة : قياماً للناس نظاماً لهم .

ومن الأحاديث الواردة في ذلـك ما رويناه عن الأزرقي بالسنـد المتقدّم إليـه قـال : حدّثني جـدّي عن الزنجي عن أبي الـزُّبَير المكي عن جـابر بن عبـدالله أنّ رسول الله ﷺ قال : إنّ هذا البيت دعامة الإسلام ، ومن خـرج يؤمّ هذا البيت من حاجٍّ أو مُعْتَمِر كان مضموناً على الله عزّ وجلّ إنْ قبضه أن يُـدْخِله الجنّة ، وإنْ ردّه أن يردّه بأجرٍ وغنيمة .

ومنهـا ما ورد في تنـزيل الـرحمات على الكعبـة كما في « المعجم الكبيـر » للطبراني من حديث ابن عبـاس عن النّبيّ ﷺ ، ولفظه : إنّ الله ينـزل في كلّ ليلة

---

(١) رواه ابن مـاجة في سننـه ، وخرّجـه الحافظ الصـوري من طريق جـابر ، وأورد القضـاعي الكثير من طرقه . وقد ردّ ابن عديّ على ذلـك ، وقال ابن طـاهر : ظنّ القضـاعيّ أن الحديث صحيـح لكثرة طرقه ، وهو معذور لأنه لم يكن حافظاً . واتفق الأئمة : ابن عديّ والدارقـطني والعقيلي وابن حبّان والحاكم على أنه من قـول « شريـك » لـ « ثابت » . وقـال ابن حجر المكي في « الفتـاوى » أطبقوا على أنـه موضـوع مع أنـه في سنن ابن ماجـه . (الفوائـد المنتقـاة ـ انتخـاب الصـوري ـ مخـطوط الظاهرية ـ ص ١٣٤ ب ، كشف الخفاء ومـزيل الإلتباس ٢ / ٣٦٠ رقم ٢٥٨٧) .

(٢) سورة المائدة ـ الآية ٩٧ .

Marfat.com

ويوم عشرين ومائة رحمة . ينزل على هذا البيت ستّون للطائفين وأربعون للمصلّين وعشرون للناظرين[1] ، ورواه في الأوسط إلاّ أنه قال : على هذا المسجد مسجد مكة ، وفي رواية : وأربعون للعاكفين بدل المصلّين . وأخرجه الأزرقي في تاريخه ، يعني رواية الطبراني في الكبير .

ووقع لنا عالياً جدّاً أخبرني به ابن الذهبي بقراءتي عليه قال : أخبرنا عيسى المطعم حضوراً وإجازة قال : أخبرنا ابن اللّتّي قال : أخبرنا أبو الوقت قال : أخبرتنا لُبْنَى قالت : أخبرنا ابن شريج قال حدّثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال : حدّثنا عبدالله بن عمران المخزومي بمكة قال : حدّثنا يوسف بن الفيض قال ابن صاعد ، هكذا كان يسميه وإنّما هو يوسف بن السفر أبو الفيض عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ لله عز وجل في كلّ يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على أهل هذا البيت ، فستّون للطائفين وأربعون للمصلّين وعشرون للناظرين .

وذكر الشيخ محبّ الدين الطبري أنه لا تضادّ بين الرواية التي فيها أنّ الرَّحَمات تنزل على هذا البيت ، وبين الرواية التي فيها أنّها تنزل على مسجد مكة ، لأنه يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت ، ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[2] ، ويجوز أن يريد مسجد الجماعة وهو الأظهر ، ويكون المراد بالتنزيل على البيت التنزيل على أهل المسجد ، وكذلك قُسّمت الرحمات على أنواع العبادات الكائنة في المسجد قال : وقوله : فستّون للطائفين إلى آخره ، يحتمل من تأويل القَسم بين كلّ فريقين وجهين : الأول قسمة الرحمات بينهم بالسويّة على المسمّى لا على العمل بالنظر إلى قلته وكثرته وضعْفه ، وما زاد على المسمّى فله ثواب من غير هذا الوجه ، ونظير هذا الكلام : أعط الداخلين بيتي مائة دينار ، فدخل واحد مرّة وآخر مراراً ،

---

(١) المعجم الكبير ١١/١٢٤ و ١٢٥ رقم ١١٢٤٨ و ١٩٥ رقم ١١٤٧٥ .
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠ .

Marfat.com

فلا خلاف في تساويهما في القسم ، الوجه الثاني وهو الأظهر ، قسمها بينهم على قدر العمل ، لأنّ الحديث ورد في سياق الحثّ والتحضيض وما هذا سبيله لا يستوي فيه الآتي بالأقلّ والأكثر ، واستدلّ المحبّ الطبري على ذلك بأمور معنويّة ظاهرة ، انتهى .

ومنها ما رويناه في « معجم الطبراني الكبير » عن ابن عباس قال : نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة فقال : لا إله إلاّ الله ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حُرْمتك ، والمؤمن أعظم حُرْمَةً منك ، إنّ الله جعلك حراماً وحرّم من المؤمن ماله ودمه وعِرْضَه وأَنْ يُظَنَّ به ظَنًّا سيّئاً .

ذكر شيء من فضائل الحجر الأسود وما جاء في كونه من الجنة

روينا عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لاضاءآ ما بين المشرق والمغرب ، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده[1] ، وابن حِبّان في صحيحه ، والترمذي في جامعه[2] وقال : حديث غريب : ونقل السُهَيلي عن الترمذي هذا الحديث إلا أنه قال فيه : إنّ الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان ، وذكر بقية الحديث بالمعنى ، وما نقله السهيلي من أنّ في هذا الحديث والركن اليماني غير معروف ، والمعروف فيه الحجر الأسود والمقام ، ولعلّ ذلك من السهيلي سبق قلم ، وقد رأيت ما نقلناه عنه في غير نسخة من تأليفه قال بعد ذِكْره لهذا الحديث : وفي رواية غيره ولإبراء من استلمهما من الخرس والجذام والبرص ، انتهى .

وروينا من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « نزل الحجر

---

(١) مسند أحمد ٢/٢١٣ و ٢١٤ .
(٢) في الحج ٤٩ .

Marfat.com

الأسـود من الجنة وهـو أشدّ بيـاضاً من اللّبن فسـوّدَتْه خـطايا بني آدم » ، أخـرجـه الترمذي وقال : حسن صحيح .

وروينـا عن ابن عبـاس أنّ النّبيّ ﷺ قـال : « الحجـر الأســود من الجنـة » أخرجه النسائي .

وروينا عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال : « لولا مـا طبع الله من الـركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها لاشتفى به من كـل عاهـة ولألفاه كهيئتـه يوم خلقـه الله تعالى ، وإنّما غيّره بالسواد لئلاّ ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة وأنّها لياقوتة بيضـاء من ياقوت الجنة » .

قلت : ذكر شيخنا بالإجازة الإمام بدر الدين أحمد بن محمد المعروف بـابن الصاحب المقري في كون الحجر الأسود من ياقوت الجنة دون غيـره من جواهـرها حكمة حسنة لأنه قال فيما أنبأنا به : فإن قلت ما الحكمة في كونـه من ياقـوتها ولم يكن من غيره من جواهرها قلت : له سرّ غريب نبّهت عليه في كتاب « الرمـوز في كشف أغطية الكؤوس » ، وأنا ضنين بذلـك ، ولكن ألوِّح بشيء هنـا من قشوره ، وذلك أنّ الشمس في الفَلَك الرابـع المتوسّط ولـو لم يكن وسط الدنيـا أحسنها مـا اختارت الشمس في أفلاكها الوسطى وهي الممتدّة لما فوقها وما تحتها من الأفلاك والمعدّة في الفَلَك الرابع من الأنفس وهي الممتدّة لِما فوقها وتحتها ويقصرها على النار ، ولهذا قال : رسول الله ﷺ : « المَعِـدة بيت الدّاء خلق الله فيهـا عيناً نبّـاعة تحضّ معينـة على الهضم والتبريـد » . ومكة في الفلك المتـوسّط من الدنيـا وهي محلّ النار وهي الممتدّة للدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ جعلَ اللَّهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للنَّاسِ ﴾ أي قواماً لدينهم ودنياهم ، وجعل الحجر من ياقوت الجنّة الذي لا يبالي بالنار ويحصل منه التبريد المعنوي والحسّي :

وطـالمـا أحمي اليـاقـوتَ جمـرُ غضـا ثم انـطفى الجمر واليـاقـوت يـاقـوت

ثم سرّ آخر ، وهو أنه نقطة الدائـرة الياقـوتية ، وهـذه نكتة من كشف أغـطية

Marfat.com

الكونين ، من أراد كشفها فليُصْغِ حتى أُسْمِعُه ، فمن ذلك من الميراث النبوي ما لا يسمعه من غيري في هذا الزمان ، والله الموفّق انتهى .

ذكر ما قيل من الحكمة في اسوداد الحجر الأسود بعد بياضه

قال السهيلي بعد أن ذكر شيئاً مما يتعلّق بالحجر الأسود ، وأشار ههنا إلى الحكمة في أنْ سوّدته خطايا بني آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها ، وذلك أنّ العهد الذي فيه بمعنى الفطرة التي فُطر الناس عليها من توحيد الله فكلّ مولود يولد على الفطرة ، وعلى ذلك فلولا أنّ أبويه يهوّدانه وينصّرانه ويُمجسّانه حتى لَيَسْوَدّ قلبه بالشرك لما حال من العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلاً لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلاً لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق قياساً ، فاسودّ من الخطايا قلبُ ابن آدم بعد ما حاد عما كان عليه من ذلك العهد ، واسودّ الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت الخطايا سبباً في ذلك ، حكمة من الله سبحانه انتهى .

وقال المحبّ الطبري وقد اعترض بعض الملاحدة فقال : كيف يسوّدُ الحجرَ خطايا أهل الشرك ولا يبيّضه توحيد أهل الإيمان ؟ فالجواب عنه من ثلاث :

الأول ما تضمنّه حديث ابن عباس المتقدّم آنفاً : أنّ الله عزّ وجلّ إنّما طمس نوره ليستر زينته عن الظلمة ، وكأنه لما تغيّرت صفته التي كانت كالزينة له بالسواد كان ذلك السواد له كالحجاب المانع من الرؤية وإنْ نوى حرمه ، إذ يجوز أن يطلق عليه أنه غير مرئيّ ، كما يطلق على المرأة المستترة بثوب أنها غير مرئية .

الثاني أجاب به ابن حبيب فقال : لو شاء الله لكان ذلك وكما علمت أيها المعترض من أن الله تعالى أجرى العادة بأنّ السواد يصبغ ولا ينصبغ والبياض ينصبغ ولا يصبغ .

Marfat.com

الثالث وهو منقاس أن يقال إنّ بقاءه أسود ، والله أعلم . إنّما كان للاعتبار ليعلم أنّ الخطايا إذا أثّرت في الحجر فمباشرها بالقلوب أعظم ، انتهى .

ذكر ما رؤي من البياض في الحجر الأسود بعد اسوداده

ذكر ابن جبير في خبر رحلته : أنّ في الحجر الأسود نقطة بيضاء صغيرة مشرقة[1] ولم يذكر سواها ، وكانت رحلته في سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

وقال الفقيه سليمان بن خليل العسقلاني في منسكه بعد ذِكره لشيء يتعلّق بالحجر الأسود : قلت وأنا لقد أدركت في الحجر الأسود ثلاث مواضع[2] بيض : في الناحية التي تلي باب الكعبة المعظّمة وهي إحداهما أكبر حبة في قدر حبّة الذُّرَة الكبيرة ، والأخرى إلى جنبها وهي أصغر منها ، والثالثة إلى جنب الثانية وهي أصغر من الثانية فإنها في قدر حبّة الدّخن ، ثم إني أتلمّح تلك النقطة فإذا هي كل وقت في نقص ، انتهى .

ونقل القاضي عزّ الدين بن جماعة في منسكه كلام ابن خليل هذا ، وذكر أنه رأى الحجر الأسود في سنة ثمان وسبعمائة وفيه نقطة بيضاء ظاهرة وأنه لم يرها في سنة ستّ وثلاثين إلا بعد جهد انتهى .

وكنت ذاكرتُ بهذا الأمر من نحو خمس عشرة سنة بعض مشايخنا فذكر أنّ في الحجر الأسود نقطة بيضاء خفيّة جدّاً انتهى . ولم يذكر لي موضعها من الحجر ولعلّها النقطة الموجودة فيه الآن ، فإنّ في جانبه مما يلي باب الكعبة من أعلاه نقطة بيضاء قدر حبّة سمسمة على ما أخبرني به ثلاثة نفر يُعتمد عليهم من أصحابنا الفقهاء المكّيين في يوم الجمعة خامس عشر جُمادى الأول سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، إلّا أنّ بعضهم لم يخبرني بذلك إلّا في يوم السبت ثاني تاريخه ،

---

(١) رحلة ابن جبير ـ ص ٦٧ .

(٢) هكذا وردت بالأصل ، والصواب : ثلاثة مواضع .

Marfat.com

وأخبرني الثلاثة أنهم رأوا ذلك في يوم الجمعة المذكور وشكرت لهم ، فالله يثيبهم .

ما جاء في شهادة الحجر الأسود يوم القيامة لمن استلمه بحق

روينا في مسند الدارمي عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قال : ليبعثنّ الله الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحقّ ، وفي رواية : على من استلمه بحقّ ، أخرجه الترمذي وابن حبّان وقال : له لسان وشفتان ، وروينا ما يدلّ لذلك من حديث عبدالله بن عمرو عن النبيّ ﷺ ، وروينا ذلك من حديث سلمان الفارسي موقوفاً عليه ـ ما جاء في تقبيل النبيّ ﷺ للحجر الأسود واستلامه له ـ : وروينا عن عبدالله بن عمر أنه سئل عن استلام الحجر فقال : رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبّله ، أخرجه البخاري[1] ومسلم[2] .

وروينا في تقبيل النبيّ ﷺ الحجر من حديث عمر بن الخطاب وجابر بن عبدالله وغيرهما ما جاء في السجود عليه .

وروينا في الترمذي عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ سجد على الحجر : وزوينا في سنن البيهقي عنه قال : رأيت عمر بن الخطاب قبّله وسجد عليه ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا .

وروينا عن ابن عباس في مسند الإمام الشافعي : أنه قبّل الركن وسجد عليه ثلاث مرات[3] . وروينا ذلك أيضاً عن طاوس في تاريخ الأزرقي والبيهقي وغيرهما ، ولم ير الإمام مالك السجود على الحجر وهو بدعة ، وخالفه الجمهور في ذلك ، والله أعلم .

---

(١) ٣/٣٧٩ في الحج ، باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين ، وباب الرمل في الحج والعمرة ، وباب تقبيل الحجر .

(٢) رقم ١٢٦٧ في الحج ، باب استحباب استلام الركنين اليمانيين .

(٣) مسند الإمام الشافعي ١٢٦ .

Marfat.com

ما جاء في الإكثار من استلامه

روينا في تاريخ الأزرقي بالسند المتقدّم إليه : قال حدّثني جدّي قال : حدّثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرني زهير بن محمد عن منصور بن عبد الرحمن الحجبي عن أمه عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه ، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا وقد فقدوه ، إنّ الله تعالى لا يترك شيئاً من الجنة في الأرض إلاّ أعاده فيها قبل يوم القيامة[1] .

ما جاء في مفاوضة الحجر الأسود

روينا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن ، أخرجه ابن ماجة .

قال المحب الطبري : وقوله فاوض أي لامس وخالط من مفاوضة الشريكين وتفويض كل منهما إلى صاحبه ، انتهى .

ما جاء في أنّ الحجر الأسود يمين الله يصافح بها عباده واستجابة الدعاء عنده

روينا في تاريخ الأزرقي بالسند المتقدّم إليه قال : حدّثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن أبي إسماعيل عن عبد الملك بن عبدالله بن أبي حسين عن ابن عباس قال : الركن يمين الله عزّ وجلّ يصافح بها خلقه ، والذي نفس ابن عباس بيده ما من امريء مسلم يسأل الله تعالى عنده شيئاً إلاّ أعطاه إياه[2] انتهى .

---

(١) أخبار مكة ١/٣٤٢ و ٣٤٣ .
(٢) أخبار مكة ١/٣٢٦ .

Marfat.com

ورُوي هـذا عن النبيّ ﷺ لأنّ أبي[1] عبيد القـاسم بن سـلام روى أنّ النبيّ ﷺ قـال : الحجر الأسـود يمين الله في الأرض ، ورواه أبـو طـاهـر المخلص في فوائده في الجزء الثاني من التاسع وزاد : فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ ومسح الحجـر الأسود بيـده فقد بـايـع رسـول الله ﷺ ، قـال المحبّ الـطبـري : ومعنى الحـديث والله أعلم أنّ كـل ملك إذا قـدم عليـه قبّلت يمينـه ، ولمـا كـان الحـاجّ والمعتمر أول ما يقدمان يسنّ لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك ويـده ، ولله المثل الأعلى ، وكذلك من صافحه كان له عند الله عهد ، كمـا أنّ الملوك تعطي العهـد بالمصافحة والله أعلم .

أنشـدني العلاّمـة بدر الـدين أحمد بن محمـد بن الصاحب المصـري لنفسه إجازة قوله :

لـلحـجـر الأســود كــم لاثـم ... وســاجــد مــرّغ فيــه الجبــاه
تــزدحــم الأفــواه فــي وِرْدِه ... كــأنــه ينبــع[2] مــاء الحيــاه

وقوله فيما أنبأنا به في الحجر الأسود :

كــم أودعــت أســرار أنس ... فــيءٌ عــلوم الــغــيــوب
يــزدحـم الأفــواه فـي لـثمـه ... كــأنــه يـلفظ قـوت الـقـلوب

وقوله فيما أنبأنا به :

لــلحــجــر الأســود ســرّ خــفــي ... وقــد بــدا لـلعيـن فيــه[3] شـهــود
قــد ضــمّــت قــلوب الــورى ... كــأنــه قــلب ســواد الــوجــود

وقوله فيما أنبأنا به :

---

(١) هكذا بالأصل ، والصواب : لأن أبا عبيد .
(٢) كذا بالأصل ، ولعله ينبوع .
(٣) في الأصل (منه) .

أقـول وقـد زوحمت عن لثم أسـود من البيت إن تحجّب فما السرّ يحجب
فـإنـك منّي بـالمحـلّ الـذي بـه محـلّ سـواد العين أو أنـت أقـرب

ذكر فضل الركن اليماني وما جاء في تقبيله ووضع الخدّ عليه

روينـا في « سُنَن الـدارقُـطْني » عن ابن عبـاس قـال : كـان النّبيّ ﷺ يقبّـل الركن اليماني ويضع خدّه عليه .

وروينـا في تاريـخ البخـاري عن ابن عبـاس قـال : كـان رسـول الله ﷺ إذا استلم الركن اليماني قبّله .

وروينا في تاريخ الأزرقي عن مجاهد قال : كان رسول الله ﷺ يستلم الركن ويضع خدّه عليه[1] .

قلت : تقبيل النبيّ ﷺ الركن اليماني ووضع خدّه عليه . . الخ ، لا يثبت ، وأما استلامه له فثابت .

ما جاء في استلام النبيّ للركن اليماني

روينا في مسند أحمد بن حنبل[2] وغيره عن ابن عمر أنّ رسـول الله ﷺ كان لا يدع أن يستلم الركن اليمـاني والحجر الأسـود في كل طـوافه وكـان هو يفعله ، أخـرجـه أبـو داود[3] والنسـائي[4] ، وقـال المحبّ الـطبـري بعـد إخـراجـه لهــذا الحديث : وفيه دلالة على استحباب التقبيل والاستلام في كـل طواف ، واستحبّـه بعضهم في كل وتر وروي ذلـك عن الشافعي ، انتهى . وقـوله : وفيـه دلالة على

(١) أخبار مكة ١/٣٣٨ .
(٢) ٢/١٨ .
(٣) رقم ١٨٧٤ في المناسك ، باب تقبيل الحجر .
(٤) ٥/٢٣١ و ٢٣٢ في الحج ، باب استلام الركنين في كل طواف .

Marfat.com

استحباب التقبيل يعني في الحجر الأسود لا في الركن اليماني والاستلام فيها ، والله أعلم .

ما جاء في المزاحمة على استلام الركن اليماني والحجر الأسود وأنّ مسحهما كفارة للخطايا

روينا عن ابن عمر أنه كان يزاحم على الركنين ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنْ أفعل فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن مسحهما كفارة للخطايا . أخرجه الترمذي . وروينا عن ابن عمر أنّ النبيّ ﷺ قال : مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطّ الخطايا حطًّا ، أخرجه أحمد بن حنبل[1] وابن حِبّان في صحيحه .

ما جاء في عدم استحباب ذلك للنساء بحضرة الرجال

روينا عن عطاء عن عائشة أنها قالت لامرأة : لا تزاحمي على الحجر إنْ رأيتِ خلوة فاستلمي وإنْ رأيتِ زحاماً فكبّري وهلّلي إذا حاذيت ولا تؤذي أحداً ، أخرجه سعيد بن منصور .

وروينا عن عائشة بنت سعد أنها قالت : كان أبي يقول : إذا وجدتِ فُرْجَةً من الناس فاستلمي وإلاّ فكبّري وامضي . أخرجه الإمام الشافعي . وفي البخاري عن عطاء عن عائشة ما يقتضي ترك استلام الحجر للنساء ، وهو محمول على ما إذا حضر الرجال كما هو مقتضى الخبر الذي رواه سعيد بن منصور في سُنَنه ، والله أعلم .

ما جاء في إكثار النبيّ من استلامه واستغفار الملائكة لمن استلمه

روينا في تاريخ الأزرقي عن عطاء قال : قيل يا رسول الله : نكثر من استلام

---

(١) المسند ٣/٨٩ و ٩٥ و ٤/١٢٣ .

Marfat.com

الركن اليماني ؟ قال ﷺ : ما أتيت عليه قطّ إلاّ وجبريل عليه الصلاة السلام قائم عنده يستغفر لمن استلمه[1] .

ما جاء في تأمين الملائكة على الدعاء عنده واستجابة الدعاء عنده

روينا عن أبي هريرة أنّ النبيّ ﷺ قال : وُكّل به سبعون ملكاً ، يعني الركن اليماني ، فمن قال : اللهم إنّي أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار ، قالوا : آمين ، أخرجه ابن ماجة[2] وغيره .

وروينا في تاريخ الأزرقي عن ابن عمر قال : على الركن اليماني ملكان يؤمّنان على دعاء من مر بهما وإنّ على الحجر الأسود من الملائكة ما لا يُحصى . وروينا فيه عن مجاهد قال : من وضع يده على الركن اليماني ثم دعا استجيب له[3] .

وسيأتي في خبر المستجار وهو عند الركن اليماني شيء من هذا المعنى .

ما جاء في أنّ الركن اليماني باب من أبواب الجنة

روينا في تاريخ الأزرقي عن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : يا بنيّ أدْنِني من الركن اليماني فإنه كان يقال : إنه باب من أبواب الجنة[4] .

وروينا نحوه عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

وذكر السُهيلي شيئاً في سبب تسمية الركن اليماني بالركن اليماني لأنه قال :

---

(١) أخبار مكة ١/٣٣٨ .
(٢) أخبار مكة ١/٣٣٩ .
(٣) سُنن ابن ماجة ٢/٩٨٥ رقم ٢٩٥٧ .
(٤) أخبار مكة ١/٣٣٨ . سنن ابن ماجة ٢/٩٦٤ رقم ٢٨٨٧ باب فضل الحج والعمرة .

Marfat.com

وأما الركن اليماني فسُمّي باليماني فيما ذكر القتبي[1] لأنّ رجلاً من اليمن بناه اسمه أُبَيّ بن سالم وأنشد :

لنا الركن اليماني[2] من البيت الحرام وراثة بقية ما أبقى أُبَيّ بن سالم[3]

انتهى .

(١) في المطبوع من شفاء الغرام ج ١/ ١٧٤ « العيني » والتصحيح عن الروض الآنف .
(٢) اليماني ، ليست في الروض الأنف .
(٣) البيت في الروض الأنف ١/ ٢٢٤ .

Marfat.com

الباب الثاني عشر

في فضائل الأعمال المتعلقة بالكعبة

كالطواف بها والنظر إليها والحج والعُمرة وغير ذلك

ذكر ما ورد في ثواب الطواف عموماً من غير تقييد بزمن

أخبرني ابن أبي المجد الخطيب عن الدشتي قال : أخبرنا ابن خليل الحافظ قال : أخبرنا الرازي قال : أخبرنا الحدّاد قال : أخبرنا أبو نُعيم الحافظ قال : أخبرنا ابن فارس قال : أخبرنا يونس بن حبيب قال : أخبرنا أبو داود الطيالسي قال : حدّثنا همّام عن عطاء بن السايب عن عبد الله بن عُبيد بن عُمَير عن أبيه عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : من طاف بهذا البيت سبعاً يحصيه كُتِب له بكل خطوة حسنة ومُحيت عنه سيّئة ، ورُفعت له درجة ، وكان له عدل رَقَبَة ، أخرجه الترمذي وحسَّنه ، وأخرج النسائي بعضه ، ولفظه : من طاف بالبيت سبعاً فهو كعدل رقبة . وكذلك أخرجه ابن ماجة ، إلاّ أنه قال : من طاف بالبيت وصلّى ركعتين[1] ، وفي بعض طرق الحديث : خلف المقام ، ومعنى يحصيه أي يتحفّظ فيه لئلاّ يغلط قاله ابن وضّاح وغيره .

وروينا في صحيح ابن حِبّان وغيره عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في مسجد الخيف فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلّما عليه ودعوا له دعاءً حسناً ثم قالا : جئناك يا رسول الله نسألك ، الحديث بطوله ،

---

(١) سنن ابن ماجة ٢/٩٨٥ رقم ٢٩٥٦ باب فضل الطواف.

Marfat.com

وفيه : أنّ النبيّ ﷺ قال للأنصاري : وأما طوافك بالبيت ، فإنك لا تضع قدماً ولا ترفعها إلا كتب الله تعالى لك بها حسنة ومحابها عنك خطيئة ورفعك بها درجة ، وأما ركعتيك[1] بعد الطواف فكعتق رقبة وأما طوافك بالبيت بعد ذلك يعني الحج فإنك تطوف ولا ذنب عليك .

وأنباني أبو بكر بن محمد بن عبدالرحمن المزي[2] ابن أخي الحافظ أبي الحجّاج المزّي[2] أنّ أحمد بن أبي طالب الصالحي الحجّار أخبره سماعاً وأخبرني المفتي أبو بكر بن الحسين الشافعي سماعاً بطيبة عن أحمد بن أبي طالب إذناً قال : أنبأنا أحمد بن يعقوب المارستاني قال : أخبرنا ابن النحّاس عن أبي القاسم بن اليسري قال : أخبرنا أبو طاهر قال : حدّثنا يحيى هو ابن جماعة قال : حدّثنا سفيان هو ابن وكيع قال : حدّثنا ابن يحيى بن يمان عن شريك عن أبي اسحاق عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . أخرجه الترمذي عن سفيان بن وكيع فوقع لنا موافقة له عليه ، وقال : حديث غريب انتهى . والمراد بالخمسين مرة خمسون أسبوعاً ، لأنّا روينا عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : من طاق بالبيت خمسين أسبوعاً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وهذه الرواية في معجم الطبراني ، وساقها منه المحبّ الطبري بسنده وعزا ذلك أيضاً لمصنَّف عبد الرزاق وقال : قال أهل العلم وليس المراد أن يأتي بها متوالية في آن واحد وإنما المراد أن يوجد في صحيفة حسناته ولو في عمره كلّه . انتهى .

وذكر المحبّ الطبري أنّ بعض أهل العلم ذكر أنّ لعدد الطواف سبع مراتب ، الأول : خمسون أسبوعاً في اليوم والليلة للحديث المتقدّم ، الثاني :

---

(١) كذا في الاصل ، والصحيح « ركعتاك » .
(٢) في المطبوع ١/١٧٥ « المري » بالراء المهملة ، وهو تحريف .

Marfat.com

إحدى وعشرون فقد قيل سبعة أسابيع بعمرة وورد ثلاث عُمَر بحجّة ، الثالث : أربعة عشر فقد ورد عُمْرتان بحجّة ، وهذا في غير رمضان لأنّ العُمرة فيه كحجّة ، الرابع : اثنا عشر أسبوعاً خمسة بالنهار وسبعة بالليل كما تقدم من فعل آدم وفعل ابن عمر . الخامس : سبعة أسابيع ، السادس : ثلاثة أسابيع ، السابع : أسبوع واحد ، والله أعلم . نقل هذا عن المحبّ الطبري القاضي عزّ الدين بن جماعة في منسكه وهذا لفظه بحروفه ، والأحاديث الواردة في فضل الطواف أكثر من هذا وإنّما اقتصرنا على هذه الأحاديث الثلاثة لأنها أجود إسناداً من غيرها ، وفي أخبار مكة للأزرقي وأخبارها للفاكهي وفضائلها للجندي ورسالة الحسن البصري جُمَل كثيرة من فضائل الطواف ، وقد ذكرنا بعض ذلك في أصل هذا الكتاب وفيما ذكرناه هنا كفاية .

ما جاء في فضل الطواف في الحَرّ

روينا في أخبار مكة للجندي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : من طاف حول البيت سبعاً في يوم صايف شديدٍ حَرُّهُ وحسر عن رأسه وقارب بين خطاه وقلّ التفاته وغضّ بصره وقلّ كلامه إلّا بذكر الله تعالى واستلم الحجر في كل طواف من غير أن يؤذي أحداً كتب الله له بكلّ قدم يرفعها ويضعها سبعين ألف حسنة ويعتق عنه سبعين رقبة ثمن كل رقبة عشرة الآف ، ويعطيه الله سبعين ألف شفاعة إن شاء في أهل بيته من المسلمين وإن شاء في العامة وإن شاء عُجّلت له في الدنيا وإن شاء أُخّرت له في الآخرة . هذا حديث ضعيف الإسناد جداً .

Marfat.com

ما جاء في الطواف في المطر

أخبرني ابن الذهبي قال : أخبرني المطعم حضوراً وإجازة قال : أخبرنا ابن اللّتّي قال : أخبرنا أبو الوقت قال : أخبرتنا لُبْنَى قالت : أخبرنا ابن أبي شريح قال : حدّثنا يحيى هو ابن صاعد قال : حدّثنا عبد الله بن عمران العايدي قال :

حدّثنا داود بن عجلان عن أبي عقال قال : طفت مع أنس بن مالك في يـوم مطيـر فقال أنس : طفت مع النَبي ﷺ في يوم مطير فقال : ائتنفوا[1] العمل فقد كُفِيتم ما مضى ، أخرجه ابن ماجه[2] وأخرجه الأزرقي عن جدّه وابن أبي عمر عن داود فـوقع لنا بدلاً له عالياً بدرجتين وهو حديث ضعيف الإسناد جدّاً ، لمكان أبي عقال وهو هلال بن يزيد .

ما جاء في الطواف إذا وقع بعد صلاة الصبـح أو العصر وانقضى مع طلوع الشمس أو غروبها

روينا في تاريخ الأزرقي بالسند المتقدّم إليه قال : حدّثني جدّي عن عبدالرحيم[3] بـن زيـد العمي[4] عـن أبيه عـن أنس بن مالك وسعيد بن المسيّب قالا : قال رسول الله ﷺ : طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلاّ خرج من ذنوبه[5] كلّها بالغةً ما بلغت : طواف بعد صلاة الصبح وفراغه مع طلوع الشمس ، وطواف بعد صلاة العصر وفراغه مع غروب الشمس .

قال المحبّ الطبري بعد إخراجه لهذا الحديث : ويحتمل أن يريد بالبعـدية ما قبل الـطلوع والغروب ولـو بلحظة لِتَسَـع أسبوعـاً ، ويحتمل أن يـريد استيعـاب الـزمنين بالعبـادة ولعلّه الأظهر وإلاّ لقـال قبل الـطلوع وقبل الغـروب ، وعلى هـذا فيكون حجّة على من كرهه في الوقتين ، انتهى .

وقـال المحبّ الطبـري لما تـرجم على هذا الحـديث : مـا جـاء في فضـل الـطواف عند طلوع الشمس وغـروبها ، وهكـذا تـرجم عليـه الأزرقي مـا جـاء في تفضيـل الطواف على الصـلاة . قال الفـاكهي : حدّثنـا محمد بن نصـر المصـري

---

(١) كذا في المطبـوع ، وفي أخبار مكـة « استأنفـوا » (٢/٢١) . في المطبـوع ١/١٧٧ أثبت في المتن

(٢) سنن ابن ماجة ٢/١٠٤١ باب الطواف في مطر.

(٣) في المطبوع ١/١٧٧ أثبت في المتن « عبد العزيز » وأشار في الحاشية الى ان في الأصل (عبد الرحيم) .

(٤) في المطبوع « العمري » وهذا خطأ ، والتصحيح من تهذيب التهذيب ٦/٣٠٥ رقم ٥٩٩ .

(٥) هنا نقص عن ما جاء عند الأزرقي : « كيوم ولدته أمه فيغفر له ذنوبه » (٢/٢٢) .

قال : حدّثنا أيوب بن سويد الرملي قال : حدّثنا محمد بن جابر عن عبد الله بن عمر قال : كان أحبّ الأعمال إلى النبي ﷺ إذا قدم مكة الطواف بالبيت ، انتهى .

وروينا عن النبي ﷺ حديثاً يدلّ على تفضيل الطواف على الصلاة ولكنّ الحديث لا يقوم به حجّة لضعف إسناده فإنّ فيه يوسف بن السفر وهو متروك[1] . وقد تقدّم هذا الحديث في الباب الحادي عشر ، وهو حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ لله عزّ وجلّ في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على أهل البيت ، فستّون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين[2] . وقد استدلّ به على تفضيل الطواف على الصلاة الماوردي وسليمان بن خليل . وقال المحبّ الطبري لما تكلّم على هذا الحديث بعد أن ذكر كيفية قسمة الرحمات بين كل فريق إذا تقرّر ذلك ، فالتفضيل في الرحمات بين المتعبّدين بأنواع العبادات الثلاث أول دليل على أفضلية الطواف على الصلاة ، والصلاة على النظر إذا تساووا في الوصف . هذا هو المتبادر إلى الفهم عند سماع ذلك فيختصّ به .

ومما ورد من الأحاديث المتقدمة في ذكر فضل الطواف عموم قوله ﷺ : واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة ، الصلاة غير موضوع ، أو يقول : الطواف نوع من الصلاة بشهادة ما تقدّم من الأحاديث في أركان الشروط ، فيكون داخلاً في عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن ، ولا ينكر أنّ بعض الصلاة أفضل من بعض ، وأورد على ذلك سؤآلاً وأجاب عنه ، ثم قال : ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع بيوت الأحصية[3] له بمتعلّق الثلاثة وهو البيت الحرام ولا خفاء بذلك ، وبذلك بدأ به في الذكر هنا وفي قوله تعالى ﴿ وطَهِّرْ بَيْتِيَ للطائفين ﴾ في الآيتين ، ولما كانت الصلاة على

---

(١) الجرح والتعديل ٩/٢٢٣ .
(٢) أخبار مكة ٢/٨ .
(٣) هكذا في الأصل ، والصواب « ثبوت الأخصّية ».

تنـويعها لم تُشَـرَّع إلاّ عبادة ، والنـظر قد يكـون عبادة إذا قصـد التعبُّد بـه وقـد لا يكون ، وذلك إذا لم يقترن به قصد التعبّد به تأخر في الرتبة .

وقـولنا إذا تسـاووا في الـوصف يحتـرز ممـا إذا اختلف وصف المتعبّـدين ، فكان الطائف ساهياً غافلاً والمصلّي والناظر خاشعاً يعبـد الله كأنـه يراه أو كـأنّ الله يراه كان المتّصف بـذلك أفضـل من غير المتصف بـه إذ ذلك الـوصف لا يعد لـه عمل جارحـة خاليـاً منه وهـو المشار اليـه . والله أعلم في قولـه تعالى : ﴿ إنّـا لا نضيعُ أجرَ منْ أحسنَ عملاً ﴾ ، وسُئل ﷺ عن الإحسان فقال :«أنْ تَعبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تكن تـراه فإنـه يراك » ، وكثيـر من العلماء يـذهب في توجيـه اختلاف القسم بين الطائفين والمصلّين والناظرين ، بأنّ الرحمات المائة والعشـرين قُسّمت ستـة أجزاء ، فَجُعِـل جـزء للنـاظـرين وجـزآن للمصلّين ، لأنّ المصلّي نـاظـر في الغالب ، فجزء للنظر وجزء للصلاة والطائف لما شتمل على المعاني الثلاثة ، كان له ثلاثة أجزاء : جزء للنظر وجزءٌ للطواف ، وهذا القـائل لا يثبت للطواف أفضليـة على الصلاة وإنما يثبت بقوله كثرة الرحمات له بسبب اشتمـاله على الصـلاة ، وما ذكرناه أولى وفيما ذكره نـظر فإنّ الـطائف الأعمى وكذلـك المصلّي ينالهـا ما يثبت للطائف والمصلي ، وإن لم ينـظرا ، وكذا المعتمـد ترك النـظر فيها لا ينقص قسم بسبب ذلـك ، فدلّ ذلـك على أنّ المراد صـلاة غيـر ركعتي الـطواف ، فـإنّ كثـرة الطواف منسوبة إليه إما وجوباً أو ندْباً فهي منه ، وأما النظر فيه فإنْ لم يقترن بقصد التعبّد فلا أثر له ، وإن قصد به التعبّد فالظاهر أنـه ينال بـه أجر النـاظر زائـداً على أجر الطواف والله أعلم . انتهى كلام المحبّ الطبري وهو كلام نفيس متّجه شـاف في هـذه المسألـة ، وفرّق فيهـا بعض العلماء بين الغـرباء وأهـل مكـة فقـال : إن الطواف للغرباء أفضل لعدم تأتيه لهم كل وقت والصلاة لأهل مكـة أفضل لتمكّنهم من الأمـرين وهو مـذهب مالـك وأبي حنيفة وغيـر واحـد من العلمـاء ، والله أعلم بالصواب .

Marfat.com

ما جاء في تفضيل الطواف على العُمْرة

روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : حدّثنا جدّي ، قال : حدثنا الزنجي عن ابن جُريج قال أخبرني قدامة بن موسى بن قدامة بن مظعون أنّ أنس بن مالك قدم المدينة فركب إليه عمر بن عبد العزيز فسأله عن الطواف للغرباء أفضل أم العُمرة ؟ فقال : بل الطواف[1] . قال المحبّ الطبري بعد إخراجه لهذا الحديث : ومراد أنس والله أعلم ، أنّ تكرار الطواف أفضل من العمرة ، ولا يريد به طواف أسبوع واحد فإنه موجود في العمرة ، وقد ذهب قوم من أهل عصرنا إلى تفضيل العمرة عليه ويرون الاشتغال بها أفضل من تكراره والاشغال به ، ويستفرغون وسعهم فيها بحيث لا يبقى في أحدهم منه يستعين بها على الطواف وذلك خطأ ظاهر ، وأول دليل على خطئه مخالفة السلف الصالح في ذلك، قولاً وفعلاً إذْ لم ينقل تكرارها والإكثار منها عن النبيّ ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابع التابعين ، واستدل على ذلك المحبّ الطبري ثم قال : وقد أفردنا الكلام في هذه المسألة تأليفاً وبسطنا القول فيه على أن لا يدّعي كراهة تكرارها بل يقول إنها عبادة كثيرة الفضل عظيمة الخطر لكن الاشتغال بكثرة الطواف وتكرارها في مثل مدّتها أفضل من الاشتغال بها ، والله أعلم ، انتهى كلام المحبّ الطبري وتأليفه المشار اليه هو المسمّى [عواطف النصرة في تفضيل الطواف على العمرة] .

وقال القاضي عزّ الدين بن جماعة في منسكه بعد أن ذكر كلام المحبّ الطبري هذا : وهو حسن ثم قال : وكيف يكون حال من يجعل نفسه قصيّاً متعبّداً لينال فضيلة القصد والزيارة أفضل من حال من هو بالحضرة مشاهد مقيم يتردّد دخول المقصود والمزار بخطوات ترفع الدرجات وتكسب الحسنات وتمحو الأوزار ؟ ولهذا كان رأي السلف الصالح تعهّد العمرة دون الاشتغال بها عن الطواف بحيث لا تصير مهجورة ، والله أعلم . والخير في اتباعهم ، انتهى كلام

---

(١) أخبار مكة ٢/٣

Marfat.com

ابن جماعة . وقد أخبرني عنه خالي سماعاً وقد صنج إلى ذلك أيضاً على ما بلغني بعض العلماء المعاصرين لابن جماعة وهو العلامة شمس الدين أبو أمامة محمد بن علي المعروف بابن النقاش الشافعي أو لقيت بخط بعض أصحابنا أنّ لأبي أمامة بن النقاش هذا تأليفاً جليلاً في المنع من العمرة ، فإنه لا وجه لذلك ، ولعلّ تأليفه في عدم استحباب تكرار العمرة والله أعلم .

وللإمام الكبير تقيّ الدين ابن تيمية[1] كلام يقتضي عدم استحباب تكرار العمرة من مكة وإنكاره لأنه قال : ولم يكن على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أحد يخرج من مكة ليعتمر إلاّ لعذر ، ولا في رمضان ولا في غيره ، والذين حجُّوا مع النبي ﷺ ليس فيهم من اعتمر بعد الحجّ إلا عائشة لعذر ، ولا كان هذا من فعل الخلفاء الراشدين ، انتهى .

وخالف في ذلك من أهل عصره على ما بلغني خطيب دمشق جمال الدين محمود بن جملة الشافعي والشيخ العلاّمة الولي العارف عبد الله اليافعي وصنّف في ذلك كتاباً سمّاه [الدّرّة المستحسنة ، في تكرار العمرة في السنة] .

وسُئل شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني عن العمرة والطواف أيهما أفضل ؟ وما الذي يفتي به في ذلك ؟ فقال : والمفتَى به في ذلك أنّ تكرار العمرة أفضل ولا سيما في رمضان ، انتهى ، وكذلك قال تلميذه العلاّمة زين الدين الفارسكوري وصنّف في ذلك أنّ تكرار العمرة أفضل ولا سيما في رمضان ، انتهى ، وكذلك قال تلميذه العلاّمة زين الدين الفارسكوري وصنّف في ذلك كتاباً سمّاه [الإنصاف في تفضيل العمرة على الطواف] .

وسمعت بعض مشايخنا يحكي عن بعض العلماء أنّ المعتمر يمتاز عن الطائف بأمرين ، أحدهما الدخول في دعوة النبي ﷺ بالرحمة للمحلّقين والمقصّرين ، والآخر دعوته عليه الصلاة والسلام للحاجّ والمعتمر بزيادة التشريف

---

(١) وُلد بحرّان سنة ٦٦١هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٢٨هـ .

Marfat.com

والتكريم والتعظيم والبرّ ، هذا معنى ما سمعته من مشايخنا ، وهو كلام متجه لأنه كلما اعتمر فاز بذلك ، ومعظم الفوز بذلك بتكراره ، والله اعلم .

ولعل محلّ الخلاف ما إذا اشتغل إنسان بالعمرة حتى فرغ منها ، وآخر بالطواف مدّة اشتغال المعتمر بالعمرة وليس في محلّ الخلاف الاشتغال عن الطواف بالعمرة في جميع الزمن أو أكثره بأن يكرّر الخروج للتنعيم للعمرة في اليوم الواحد أو الليلة فلا يبقى فيه بعد ترويج بدنه للطواف إلاّ نشاط قليل ، ولا سيما إنْ كرَّر ذلك في الأيام والليالي كما يصنع كثير من الناس في شهر رمضان ، حتى إن بعضهم يخرج إلى التنعيم للعمرة في اليوم الواحد ثلاث مرات ، ويُحكى عن بعضهم أكثر من ذلك ، وكل هذا لا يُعرف مثله عن السلف المقتدى بهم ، هذا سيّد الأولين والآخرين ﷺ وأصحابه أقاموا بمكة بعد أن فتح الله عليهم بضع عشرة ليلة أولها العشر الأخير من رمضان ، فما نقل أخباريّ عنه ﷺ ولا عن أحد من أصحابه أنه خرج في هذه المدة إلى التنعيم للاعتمار ، ولو وقع ذلك لنُقل كما نُقل غيره من أفعالهم ، ولم ينقل عمن كان بمكة بعد النبي ﷺ من الصحابة والتابعين تكرار الخروج في اليوم الواحد الى التنعيم ولا الخروج إليه للعمرة في كل يوم إلاّ ما يُرْوَى عن علي وابن عمر أنّهما كانا يعتمران في كل يوم وهذا عنهما في بعض كتب الفقه فيما ذكره القاضي عزّ الدين ابن جماعة في منسكه الكبير ، قال : وليس لذلك أصل في كتب الحديث ، انتهى . والذي صحّ عن بعض الصحابة والتابعين الخروج الى التنعيم للعمرة من غير تكرار فالاقتصار على فعل مثل ما نقل عنهم أولى لأنهم أعزّ في الناس بأفضل العبادات وأشدّهم حرصاً على فعل أفضلها ، والله أعلم بالصواب .

ما جاء في فضل الطائفين

أخبرني ابن الذهبي بقراءتي عليه قال : أخبرنا الأمين بن النحّاس حضوراً وإجازة قال : أخبرنا الساوي قال : أخبرنا السلفي قال : أخبرنا العلاّف قال :

أخبرنا ابن بشران قال : أخبرنا الآجري قال : حدّثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال : حدّثنا يحيى بن أيوب العابد قال : حدّثنا محمد بن صبيح بن السماك عن عابد بن بشير عن عطاء قال : قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : إنّ الله تعالى يباهي بالطائفين .

وعن أبي هريرة أنّ النبيّ ﷺ قال : أكرم سكان السماء على الله الذين يطوفون حول بيته وأكرم سكان الأرض الذين يطوفون حول بيته . ذكر هذا الحديث هكذا سليمان بن خليل في منسكه ، ورويناه في رسالة الحسن البصري عن النّبيّ ﷺ ، وروينا فيها من قول الحسن : وإنّ الله عزّ وجلّ ليباهي بالطائفين ملائكته ، ولو أنّ الملائكة صافحت أحداً لصافحت الطائفين حول بيت الله ، انتهى باختصار .

قلت : إذا كان الطائف بهذه المزّية فينبغي له إخلاص النية وحفظ اللسان عما يؤدّي إلى النقصان ، وما أحسن قول الشيخ محبّ الدين الطبري : واعلم أنّ التحدّث في الطواف على غير النحو المتقدّم في الفصل قبله خطأ كبير وغفلة عظيمة ، ومن لابس ذلك فقد لابس ما يمقت عليه خصوصاً أنه صدر ممن يطلب العلم[1] والدين ، فإنه إذا أنكر على من دونه واحتجّ به فصار فتنة لكل مفتون ، ومن أمر محادثة المخلوق في أمر الدنيا والإقبال عليه والإصغاء لحديثه على ذكر خالقه والإقبال عليه وعلى ما هو متلبس به من عبادته فهو عين الرأي لأنّ طوافة بجسده ، وقلبه لاهٍ ساهٍ وقد غلب عليه الخوض فيما لا يعنيه حتى استرسل في عبادته كذلك فهو إلى الخسران أقرب منه إلى الربح ، ومثل هذا خليق بأن يشكوه البيت الى الله عزّ وجلّ وإلى جبريل ، ولعلّ الملائكة تتأذّى به وكثير من الطائفين متبرئون منه ، فعلى الطائف أن يبذل جهده في مجانبة ذلك انتهى .

---

(١) في النسخة «ك» ينسب الى العلم .

Marfat.com

وقال سليمان بن خليل : وليحذر أن يكون ممن وصفه بعض العلماء العاملين فقال :

يا من يطوف ببيت الله بالجسد ... والجسم في بلد والروح في بلد !
ماذا فعلت وماذا أنت فاعله ... مهرّج في اللقا للواحد الصمد
إنّ الطواف بلا قلب ولا بصر ... على الحقيقة لا يشفي من الكمد

ذِكر بدء الطواف بهذا البيت العظيم وما ورد من طواف الملائكة

روينا في تاريخ الأزرقي أنّ بعض أهل الشام سأل بمكة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن بدء الطواف بهذا البيت فقال له علي بن الحسين : أما بدء الطواف بهذا البيت فإنّ الله تعالى قال للملائكة : ﴿ إنّي جَاعِلٌ في الأرضِ خليفة ﴾ قالت الملائكة : يا رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون ؟ أي رب اجعل ذلك الخليفة منّا ، فنحن لا نفسد فيها ، ولا نسفك الدماء ، ولا نتحاسد ، ولا نتباغض[1] ونحن نسبّح بحمدك ، ونقدّس لك ، ونطيعك ولا نعصيك . قال الله تعالى : ﴿ إنّي أعلم ما لا تعلمون ﴾ قال : فظنّت الملائكة إنما قالوا ردّاً على ربّهم عزّ وجلّ وأنه قد غضب من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرّعون ويبكون إشفاقاً لغضبه ، وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتاً على أربعة أساطين من زبرجد وغشاهنّ بياقوتة حمراء وسمّي البيت الضُراح[2] ثم قال الله عزّ وجلّ للملائكة : طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش . قال : فطافت الملائكة بالبيت وتركوا

---

(١) في أخبار مكة قدّم « نتباغض » على « نتحاسد » وزاد « ولا نتباغى » .

(٢) في المطبوع من شفاء الغرام ١/١١٨ « الصراح » بالصاد المهملة ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه .

قال ياقوت : الضُراح : بالضم ثم التخفيف . بيت في السماء حيال الكعبة . وهو البيت المعمور . . وقيل : هي الكعبة رفعها الله وقت الطوفان إلى السماء الدنيا فسميت بذلك لضرحها عن الأرض أي بُعدها . (معجم البلدان ٣/٤٥٤ و٤٥٥) .

Marfat.com

العرش وصار أهون عليهم وهو البيت المعمور الذي ذكره الله عزّ وجلّ يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا ، ثم إنّ الله عزّ وجلّ بعث ملائكة فقال : ابنوا لي[1] بيتاً في الأرض بمثاله وقدره ، وأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور . فقال الرجل : بأبي أنت يا ابن بنت رسول الله ﷺ[2] . انتهى .

وروينا نحوه بالمعنى مختصراً في كتاب النّسب للزبير بن بكار قاضي مكة . وروينا في تاريخ الأزرقي وغيره أخباراً أُخَر تدلّ على طواف الملائكة بالبيت . فهذا ما رواه الأزرقي بسنده إلى وهب بن منبّه قال : وقرأت في كتاب من الكتب الأولى ذكر فيه الكعبة فوجد فيه أنه ليس من مَلَك بعثه الله إلى الأرض إلاّ أمره بزيارة البيت فينقضّ من تحت العرش مُحرِماً ملبّياً حتى يستلم الحجر ، ثم يطوف سبعاً ويركع في جوفه ركعتين ثم يصعد[3] .

ومنها ما رواه بسنده عن محمد بن المُنكدر قال : كان أول شيء عمله آدم عليه السلام حين أهبط من السماء طاف بالبيت الحرام فلقيته الملائكة فقالوا :[4] يا آدم طفنا بهذا البيت قبلك بألفي سنة .

ذكر طواف بعض الجنّ والدوابّ والطير بالكعبة

روينا في تاريخ الأزرقي أيضاً خبراً فيه أنّ بعض الجنّ طاف بالبيت سبعاً وصلّى خلف المقام ثم انقلب إلى أهله فقتله شاب من بني سهم ، فثارت بمكة غيرة وفتنة بين الجنّ وبين بني سهم[5] . وروينا في تاريخ الأزرقي أيضاً خبراً فيه

---

(١) في المطبوع ١/١٨٢ « إليّ » .
(٢) أخبار مكة ١/٣٣ و٣٤ ، الروض الأنف ١/٢٢ و٢٢٢ .
(٣) أخبار مكة ١/٣٩
(٤) هنا نقص عما في أخبار مكة ، حيث قال : « فقالوا : بُرّ نُسُكَكَ يا آدم طفنا . . » (١/٤٥) .
(٥) أخبار مكة ٢/١٥ و١٦ .

Marfat.com

أنّ أنمار هو الحيّة الذكر طاف بالبيت سبعاً وصلّى ركعتين وراء المقام ثم كوّم برأسه كومة بطحاء فوضع ذنبه عليها فسما إلى السماعاري[1] ، وروينا في تاريخ الأزرقي أنّ طيراً طاف على منكب بعض الحجّاج أسابيع والناس ينظرون إليه وهو مستأنس منهم ، ثم طار وخرج من المسجد الحرام وذلك في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ستٍّ وعشرين ومائتين[2] .

ما جاء من أنّ شرعية الطواف لإقامة ذكر الله

روينا في مُسْنَد الدارمي بسند صحيح عن عائشة قالت : إنّما جُعِل الطوافُ بالبيت ورمْي الجمار والسعي بين الصفا والمَرْوَة لإقامة ذكر الله ، وروينا فيه عن عائشة عن النّبي ﷺ نحوه ، وأخرجه المحبّ الطبري في « القرى » عنها مرفوعاً ، وزاد بعد قوله ذكر الله تعالى ، وإن لم يقترن بها ذكر بالقول ، ثم قال : وينبغي للذاكر في الطواف والتالي أن لا يزيد في رفع صوته على إسماع نفسه لئلا يشوّش على غيره ، واستدّل على ذلك بما يقوم به الحجّة ، ثم قال : وفي معنى الطائف من كان في المسجد قريباً من الطواف ينبغي له أن لا يرفع صوته بتلاوة ولا ذِكْر لئلاّ يشوّش على الطائفين ، انتهى .

ذكر ثواب النظر إلى الكعبة

تقدّم في هذا المعنى حديث ابن عباس عن النّبي ﷺ في تنزّل الرحمات وفيه عشرون للناظرين . وروينا في تاريخ الأزرقي عن عطاء قال : سمعت ابن عباس يقول : النظر إلى الكعبة محض الإيمان[3] . وروينا فيه عن إبراهيم النخعي : أنّ حمّاد بن أبي سلمة قال : النظر إلى الكعبة عبادة فيما سواها من

---

(١) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة ٢/١٧ « فسما في السماء حتى مثل علينا فما نراه » .
(٢) أخبار مكة ٢ /١٧ و١٨ .
(٣) أخبار مكة ٢/٩

Marfat.com

الأرض عبادة الصائم القائم الدائم القانت[1] . وروينا فيه عن مجاهد : النظر إلى الكعبة عبادة[2] . وروينا فيه عن سعيد بن المسيّب قال : من نظر الى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه[3] . وروينا فيه عن أبي السائب المدني قال : من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر[4] ، وروينا فيه عن زهير بن محمد قال : الجالس في المسجد ينظر إلى بيت[5] لا يطوف به ولا يصلّي أفضل من المصلّي في بيته لا ينظر إلى البيت[6] . وروينا فيه عن عطاء قال : النَّظر إلى البيت عبادة والنظر إلى البيت كمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ[7] .

ذكر ثواب الحجّ والعمرة

روينا في ذلك عن النبي ﷺ وأصحابه وغيرهم أخباراً كثيرة مشهورة ثابتة ، منها ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « من حجّ لله عزّ وجلّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » متّفق عليه ، واللفظ للبخاري[8] ، وفي رواية لمسلم [9] « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » . ورواه النسائي[10] فقال : من حجّ أو اعتمر الحديث . والرَّفث : الجماع ، قاله ابن عمر وابن عباس وقيل : إسم لكّل لَهْوٍ وخِنا وزُور وفجُور بغير حقّ . والفسوق : المعاصي ، قاله ابن عباس وابن عمر .

---

(١) أخبار مكة ٢/٨ .
(٢) أخبار مكة ٢/٩ .
(٣) أخبار مكة ٢/٩ .
(٤) أخبار مكة ٢/٩ .
(٥) كذا في الأصل ، والصحيح « البيت » كما في أخبار مكة .
(٦) أخبار مكة ٢/٩ .
(٧) أخبار مكة ٢/٩ .
(٨) ٣/٤٧٦ في الحج ، باب وجوب العمرة وفضلها .
(٩) رقم ١٣٤٩ في الحج باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة .
(١٠) ٥ /١١٢ و١١٥ في الحج ، باب فضل الحج المبرور ، وباب فضل العمرة .

Marfat.com

ومنها ما رويناه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة » مُتَّفَق عليه[1] ، ومعنى : ليس له جزاء إلاّ الجنّة أنه لا يقتصر فيه على تكفير الذنوب بل لا بدّ أن يبلغ به الجنّة .

ومنها ما رويناه عن أبي هريرة عن النّبي ﷺ قال : « الحجّة المبرورة تكفّر خطايا سنة » . أخرجه ابن حِبّان في صحيحه . ومنها ما رويناه عن عمرو بن العاص عن النّبي ﷺ : « إن الحّج يهدم ما قبله » . رواه مسلم . ومنها ما رويناه عن ابن مسعود عن النّبي ﷺ : « تابعوا بين الحجّ والعمرة فإنّهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خَبَثَ الحديد والذهب والفضّة ، وليس للحجّة المبرورة ثواب إلاّ الجنّة » . رواه الترمذي[2] وصحّحه النّسائي[3] وابن ماجه[4] في سننهما . وفي رواية لابن أبي خيثمة والطبراني[5] : « تابعوا بين الحجّ والعمرة فإنّ متابعة ما بينهما يزيد في العمر والرزق » . ومنها ما رويناه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « وفْد الله تعالى ثلاثة : الغازي والحاجّ والمعتمر » أخرجه النسائي وابن حِبّان في صحيحه والحاكم في مستدركه ، وصحّحه على شرط مسلم ، وزاد ابن حِبّان في بعض طُرُقه : دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم . وفي رواية لابن ماجه « والعُمّار وفد الله إنْ دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » .

ومنها ما رويناه في سُنَن البيهقي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « اللهم اغفر للحجّاج ولمن استغفر له الحاجّ » صحّحه الحاكم . ومنها ما رويناه عن ابن عباس عن النبي ﷺ « عمرة في رمضان تعدل حجّة معي » كذا رويناه عن الطبراني .

---

(١) فقد أخرجه البخاري ومسلم ومالك والترمذي والنسائي .

(٢) رقم ٨١٠ في الحج ، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة .

(٣) ٥ /١١٥ في الحج ، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة ، وإسناده حسن ، والحديث صحيح بشواهده

(٤) سنن ابن ماجة ٢ /٩٦٤ رقم ٢٨٨٧ باب فضل الحج والعمرة .

(٥) المعجم الكبير ١٠ /٢٣٠ رقم ١٠٤٠٦ .

Marfat.com

وقال الحاكم : إنّ هذه الرواية صحيحة على شرط البخاري ومسلم[1]، والحديث في الصحيحين بغير لفظة معي إلاّ أنّ في طريق لمسلم « عمرة في رمضان تقتضي[2] حجّة أو حجّة معي » ، والأخبار الواردة في فضل العمرة والحجّ كثيرة جداً فلا نطوّل عليها ، وفيما ذكرناه كفاية إذ القصد الاختصار .

---

(١) رواه البخاري ٣/٤٨٠ و ٤٨١ في الحج ، باب عمرة في رمضان ، وباب حج النساء ، ومسلم رقم ١٢٥٦ في الحج ، باب فضل العمرة في رمضان ، والنسائي ٤/١٣٠ و ١٣١ في الصيام ، باب الرخصة في أن يقال لشهر رمضان : رمضان .

(٢) عند مسلم ١٢٥٦ « تقضي ». (أنظر جامع الأصول لابن الأثير ٩/٤٦٣ رقم ٧١٥٨).

Marfat.com

الباب الثالث عشر

في الآيات المتعلقة بالكعبة

للكعبة العظيمة آيات بيّنات منها بقاء بنائها الموجود الآن ، وهو لا يقتضي أن يبقى هذه المدّة على ما بلغني عن بعض مهندسي عصرنا ، قال : وإنّما بقاؤها آيات من آيات الله تعالى . انتهى . ولَعَمْرِي إنه لصادق ، فإنّ من المعلوم ضرورة أنّ الريح والمطر إذا تواليا أياماً على بناء تخرّب ، ومن المعلوم ضرورة أنّ الكعبة المعظَّمة ما زالت الأرياح العاصفة والأمطار الكثيرة المهولة تتوالى عليها منذ بُنيت وإلى تاريخه ، وذلك سبعمائة سنة وخمسون سنة ، ولم يحدث فيها بحمد الله تغيُّر أدّى إلى خللها ، وغاية ما يحدث فيها انكسار فلقة من الركن اليماني ، وتحرّك الكعبة مراراً لأنّ الشيخ شهاب الدين أبا شامة المقدسي قال في « ذيل الروضتين » له في أخبار سنة اثنين وتسعين وخمسمائة : وفيها وقع من الركن اليماني قطعة وتحرّك البيت مراراً[1] . وهذا شيء لم يُعْهَد . انتهى .

وقال ابن الأثير في أخبار سنة خمس عشر وخمسمائة : فيها تضعضع الركن اليماني من البيت الحرام زاده الله شرفاً من زلزلةٍ وانهدم بعضه انتهى[2] . وذكر مثل ذلك المؤيّد صاحب حماه في أخبار سنة خمس عشرة وخمسمائة[3] . وذكر

---

(١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ـ ص ٨ .
(٢) الكامل في التاريخ ١٠/٥٩٤ .
(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٥ .

Marfat.com

صـاحب « مرآة الـزمان »[1] في سنـة سبع عشـرة وأربعمـائـة تشعّب البيت الحـرام انتهى . وقال أبو عبيد البكري في كتابه « المسالك والممالك » : وحـدّث جماعـة أنّ في سنة ثلاثٍ وثلاثين وأربعمائـة انكسرت من الـركن اليماني فلقـة قدر أصبـع وغفل الناس عن سـدّها فصـارت عند قـوم من أهل مكـة من الحسنيين فوقـع وباء عظيم بمكة عام وموت وكـان لا يلبث المريض فـوق ثلاثـة أيام ، وهلك في أهـل الـدار الذي اتّهم أنّ الفلقـة فيهـا ثمـانيـة عشـر إنسـانـاً ، فـرأى بعض الصـالحين المجاورين من أهل خراسان في نومه أن يفقد ما ذهب من الكعبـة ويردّ فيـرفع الله عنهم الوباء ، فردّت إلى موضعها فارتفع الوباء انتهى . هذا مـا علمته من التـوهّن الـذي أصاب الكعبـة ، ولا تزال إن شـاء الله باقيـة إلى أن ينفـذ فيهـا أمـر الله من تخريب الحبش لها في آخر الزمان كما سبق بيانه في الباب الثامن .

ومن الآيات المتعلّقة بالكعبة المعظّمة على ما قال الحافظ أنه لا يـرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن يراه إلاّ ضحك أو بكى . ومنها أنّ الفرقـة من الطّيـر من الحمـام وغيره لَيُقْبِـل حتى إذا كادت تبلغ الكعبـة انفرقت فـرقتين فلم يَعْلُ ظهـرَها شيء منها . ذكر ذلك الحافظ ، وقال : قالوا : وذكر ذلك أبو عُبَيْـد البكري جـزْماً لأنه قال : ومن عجائب مكة أنّ الحمام وجميع الطير تمرّ في طيرانها فإذا قارب أن تُحاذي الكعبة أخذت يميناً وشمالاً . ومنها على مـا قال الحـافظ أنه لا يسقط على ظهر الكعبة من الحمام الذي قد أمن إلاّ وهو عليل أو مريض انتهى .

وذكر ابن الحاجّ معنى هذا لأنه قال لما ذكر الآيات المتعلّقة بالبيت : ومنهـا أنّ الـطائر لا يعلو البيت صحيحـاً ويعلوه مريضـاً للشفـاء . وذكـر ذلـك أبـو عبيـد البكري لأنه قال : ومن عجائب مكة أنّ الحمام وجميـع الطيـر لا يعلوها البتّـة ولا ينزل على جُدُرهـا إلاّ أن يكون مـريضاً فيفعـل ذلك مستشفيـاً ، والطيـر ينزل على سـائر جُـدُر المسجد ، وفيـه زمزم وغيـرها . وذكـر بعضهم أنّ الطيـر إذا نزل على الكعبة إمّا يُشْفى أو يموت لحينه . وذكـر هذه الآيـة المحبّ الطبـري قال : ولـولا

---

(١) هو سبط ابن الجوزي .

Marfat.com

ذلك لكانت ستارته ـ يعني البيت الحرام ـ مملوءة من قذر هذه كنحوها مما يتعذّر الجلوس عليه .

ومنها على ما ذكر ابن الحاجّ عن بعض المفسّرين أنّ الغيث إذا كان ناحية الركن اليماني كان الخصْب باليمن ، وإذا كان ناحية الشامي كان الخصب بالشام ، وإذ عمّ البيت كان الخصب بجميع البلدان . وذكر ذلك أيضاً المحبّ الطبري بمعناه ، وذكر ذلك الجاحظ ، إلاّ أنه خالف في بعض ذلك لأنه قال : وإذا أصاب في أول السنة المطر باب الكعبة من شقّ العراق كان الخصب تلك السنة بالعراق ، وإذا أصاب شقّ الشام كان الخصب في تلك السنة في الشام ، وإذا عمّ جوانب البيت عمّ الخصب الجميع .

ومنها أنّ مفتاح الكعبة إذا وُضع في فم الصغير الذي ثقل لسانه عن الكلام يتكلّم سريعاً . ذكر ذلك الفاكهي من أخبار مكة ، لأنه قال : ومن سنّة المكيين وهم على ذلك إلى اليوم إذا ثَقُل لسان الصبيّ المولود وأبطأ كلامه عن وقته جاؤ وا به إلى حَجَبَة الكعبة فسألوهم أن يُدْخِلوا مفتاح الكعبة في فمه ، فيأخذونه(١) الحَجَبَة فيدخلونه خزانة الكعبة ثم يغطّون وجهه ، ثم يُدْخَل مفتاح الكعبة في فمه فيتكلّم وينطلق لسانه ويتكلّم سريعاً بإذن الله تعالى ، وذلك مجرّب بمكة إلى يومنا هذا انتهى . وأهل مكة يفعلون ذلك إلى الآن ، ومنها أنّها تُفْتَح بحضرة خلق كثير إلى الغاية ويدخلها الجميع متزاحمين ويصلّون فيها أجمع وتَسَعُهم بقدرة الله تعالى ، وما علمت أنّ أحداً مات من الزّحام إلاّ خمسة وثلاثين نفراً ماتوا دفعة واحدة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة على ما ذكره أبو شامة في « الروضتين »(٢) نقلاً عن ابن القادسي عن الحجّاج في هذه السنة ، وذكر ذلك أيضاً ابن البزوري من « ذيل المنتظم » وعزاه للحجّاج .

ومنها على ما قيل إنّها منذ خلقها الله تعالى لم تخل من طائف من الإنس

---

(١) كذا في الأصل ، وهي لغة أكلوني البراغيث .

(٢) ينقل الفاسي هنا عن القسم المفقود من كتاب الروضتين .

والجنّ والملائكة ، ذكـر ذلك المحبّ الـطبري وابن جمـاعة . وسبقهمـا إلى مثل ذلك السُهَيْلي وأفاد في ذلك خبراً غريباً لأنه قال لمـا ذكر بنـاء ابن الزبيـر للكعبة : وفي الخبر أنه سترها حتى وصل إلى القواعد فطاف النـاس بتلك الأستار فلم تَخْلُ قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحـرب واشتغل النـاس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها[1] . انتهى .

ومنهـا ما قـال ابن الحاجّ : وذكـر ابن أبي خيثمة قـال : حـدّثنـا مـوسى بن إسماعيل قـال : حدّثنـا ثابت بن يـزيد قـال : حدّثنـا هلال بن حِبّـان عن عمرو بن ميمـون قـال : رأيت دخـان البيت لا يشـدّ يميناً ولا شمـالاً ولا قُـدّام ولا خلف ، بصعّد في السماء . انتهى . ولعلّ المراد بالدخـان دخان مـا يجمر بـه الكعبة والله أعلم .

ومنهـا وقْع هيبتهـا في القلوب ، ومنها حِفْـظُهـا من الجبـابـرة وتـذلّلهم لهـا والانتقـام ممن أرادها بسـوء ، كما جـرى لتُبَّع والهـذليين وأصحاب الفيـل وغيرهم ممن أساء الأدب فيها . ونشير هنا لشيء من ذلك على سبيل الاختصار .

ذكر خبر تُبَّع والهذْليين

لما أقبل تُبَّع وهو معان أسعد الحميري ملك اليمن من الشرق وجعل المدينة على طريقه لقضاء وَطَرٍ له بها ، ثم تـوجّه منهـا إلى مكة لأنهـا طريقـه لبلده ، فلما كان بين أمَج[2] وعُسْفَان[3] لقيه نفر من هُذَيل من بني لحيان ، فحسّنوا له تخريب الكعبة وأن يبني عنده بيتاً يصرف إليه الحجّ ، فعزم على ذلك ، فدقّت بهم دوابّهم وغشيتهم ظلمة شديدة وريح ، فـدعى أحباراً كـانوا معـه من أهل الكتـاب فسألهم

---

(١) الروض الأنف ١/٢٢١ .

(٢) أمج : بفتح أدلة وثانيـه ، بلد من أعراض المـدينة . وقيـل وادٍ يأخـذ من حرّة بني سليم ويفـرغ في البحر (معجم البلدان ١/٢٥٠) .

(٣) عُسْفـان : بضم أولـه وسكـون ثـانيـه . من منـاهـل الـطريق بين الجحفـة ومكـة . (معجم البلدان ٤/١٢١) .

Marfat.com

فقالوا : هل هممت لهذا البيت بسوء ؟ فأخبرهم بما قال له الهذليون وما أراد أن يفعل ، فقالوا له : ما أراد القوم إلاّ هلاكك وهلاك من معك ، هذا بيت الله لم يرده أحد بسوء إلاّ هلك ، قال : فما الحيلة ؟ قالوا : تنوي له خيراً أن تعظّمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن إلى أهله ، ففعل ، فانجلت عنهم الظلمة وسكنت عنهم الريح ، وانطلقت بهم دوابّهم أياماً ينحر كل يوم مائة بُدْنة ، وكسا البيت . هذا ملخّص بالمعنى مختصر من كتاب الأزرقي[1] .

وذكر الفاكهي أخباراً من خبر تُبَّع منها أنه قال : حدّثني حسن بن حسين الأزدي قال : حدّثنا إبراهيم بن عبدالله عن هشام بن الكلبي قال : أخبرني جرير بن يزيد البجلي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما أقبل تُبَّع يريد هدم البيت وصرف وجوه العرب إلى اليمن فبات صحيحاً فأقبل وقد سالت عيناه على خدّيه ، فبعث إلى الأحبار والسَّحَرة والكُهّان والمنجّمين فقال : مالي فواللّهِ لقد بتُّ ليلتي وما أجد شيئاً ، ثم صرت إلى ما ترون فقالوا : لعلّك حدّثت نفسك لهذا البيت بسوء ؟ فقال : نعم . قالوا : فحدِّث نفسك أن تصنع به وبأهله خيراً ، ففعل ، وقد رجعت عيناه فارتدّ بصيراً ، وكسى البيت الخصف ، انتهى .

وقال السُهَيْلي وروى نَقَلَةُ الأخبار : أنّ تُبَّعاً لما عمد إلى البيت يريد تخريبه رُمِيَ بداء تمخَّض منه رأسه قيحاً وصديداً يثجّ ثجًّا ، وأنْتَنَ حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه قيد رمح ، وقيل بل أرسلنا عليه ريحاً كتَّعت[2] منه يديه ورِجليه وجِلده ، وأصابتهم ظُلمة شديدة ، حتى دَفَّت خيلهم ، فسمّي ذلك المكان الدّفُّ[3] ، فدعا بالحُزَاة[4] والأطبّاء فسألهم عن ذلك[5] ، فهالهم ما رأوا منه ،

---

(١) أخبار مكة ١/١٣٢ و ١٣٣ .
(٢) في المطبوع من الشفاء ١/١٨٧ « كنعت » والصحيح ما أثبتناه .
(٣) الدُّف : موضع في جُمدان من نواحي المدينة من عسفان .
(٤) الحُزَاة : جمع حاز ، وهو الذي يزجر الطير ويستدلّ بأصواتها ومرورها وأسمائها .
(٥) كذا فى الأصل . وفي الروض الأنف : « دائه » .

Marfat.com

ولم يجد له عندهم فرجاً ، فعند ذلك قال له الحبران : لعلّك هممت بشيء في أمر هذا البيت فقال : نعم ، أردت هدمه فقالا له : تُبْ إلى الله مما نويت ، فإنه بيت الله وحَرَمُه وأمراه[1] بتعظيم حرمته ، ففعل ذلك فبريء[2] من دائه ، وصحّ من وجعه ، قال السُهيلي : وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحاً فإنّ الله سبحانه عزّ وجلّ يقول ﴿ ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بِظُلم نُذقه مِنْ عَذَابٍ أليمٍ ﴾ أي وَمن هَمَّ فيه بظلم ثم قال : وقال العُتْبي : كانت قصّة تُبّع قبل الإسلام بسبعمائة عام . انتهى[3] .

وهذا الذي ذكره العتبي لعلّه أن يكون موافقاً لما ذكره ابن إسحاق في السيرة لأنه قال : فكان تُبّع فيما يزعمون أول من كسا البيت ، وأوصى به وُلاته من جُرْهم[4] انتهى . ووجه موافقته ذلك لِما ذكره العتبي أنّ من ولاية جُرْهم إلى الإسلام المقدار الذي ذكر العُتْبي أو نحوه ، فإنّ خُزَاعة وُلّوا البيت بعد جُرْهم خمسمائة سنة ، وقيل دون ذلك على ما في خبرهم ، وولاية قريش لأمر مكة قبل الإسلام ما يقصر عن مائة سنة ، وربما كانت أزيد من ذلك ، وإن كان ذلك فهو المقدار الذي ذكره العُتْبي أو نحوه ، ويعكّر على ما في السيرة لابن إسحاق من أنّ قصّة تُبّع مع الهذليين كانت في زمن جُرْهُم على ما نقله الأزرقي عن إسحاق ، لأنه قال في خبر تُبّع : حدّثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرنا ابن إسحاق قال : سار تُبّع الأول إلى الكعبة وأراد هدْمها وتخريبها ، وخُزاعة يومئذ تلي البيتَ وأمْرَ مكة ، فقامت خُزاعة دونه فقاتلت عنه أشدّ القتال حتى رجع ، ثم تُبّع آخر فكذلك . ثم قال : فأما تُبّع الثالث الذي أراد هدم البيت فإنّما كان في أول زمان قريش ، قال : وكان سبب خروجه وسَيْره أنّ قوماً من هُذَيل من بني لِحْيان جاؤ وه فقالوا : إنّ بمكة بيتاً تعظّمه العرب جميعاً فذكر

---

(١) في المطبوع من شفاء الغرام ١/١٨٨ « وأمر له » ، والصحيح ما أثبتناه عن الروض الأنف .
(٢) في المطبوع « فبرأ » ، والصواب ما أثبتناه عن الروض .
(٣) الروض الأنف ١/٣٩ و ٤٠ .
(٤) تهذيب سيرة ابن هشام ٢٢ .

Marfat.com

القصّة ، ونقل عن ابن جُريج وابن إسحاق الثالث ما يوافق ذلك ، لأنه قال في باب ولاية قُصَيّ بن كِلاب البيت الحرام وأمر مكة بعد خزاعة بعد أن روى بسنده السابق عن ابن جُرَيج وابن إسحاق : وأما تُبّع الثالث الذي نحر له ، وكساه ، وجعل له غلْقاً ، وأقام عنده أياما ينحر كل يوم بُدْنة ، إلى أن قال : إنّما كان في عهد قريش[1] انتهى . فبان بهذا الاختلاف كلام ابن إسحاق في زمن قدوم تُبّع إلى مكة ، هل هو في زمن جُرْهُم أو في أول زمن قريش فبان بهذا الاختلاف كلام ابن إسحاق في زمن قدوم تُبّع إلى مكة ، هل هو في زمن جُرْهُم أو في أول زمن قريش ؟

وذكر السُهَيْلي فوائد تتعلّق بهذا الخبر يَحْسُن ذِكرها ههنا ، منها أنّ اسم أحد الحبرين المشار إليهما في خبر تُبّع « سحيت » والآخر « منبه » ، وعزا ذلك لقاسم بن ثابت ، قال في رواية يونس عن إسحاق قال : واسم الحبر الذي كلّم الملك بليامن ، ومنها أنه قال : ومعنى تُبّع في لغة اليمن الملك المتبوع . وقال المسعودي : لا يقال للملك تُبّع حتى يملك اليمن ، والشحر ، وحَضْرَمَوْت . وأول التبابعة الحارث الرائش[2] انتهى .

ذكر خبر أصحاب الفيل

ذكر هذا الخبر جماعة من العلماء مطولاً ومختصراً ، كما ذكرته في أصل هذا الكتاب ، واقتصرت هنا من ذلك على ما ذكرته من الإمام أبي القاسم الزمخشري لحُسْن اختصاره مع ما فيه من الفوائد ، ونصّ كلامه : رُوِي أنّ أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قِبَل أصْحَمَة النّجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسمّاها القليس ، وأراد أن يصرف إليها الحاجّ ، فخرج رجل من كِنانة فقعد فيها

---

(١) أخبار مكة ١/١٣٢ وانظر : تهذيب سيرة ابن هشام ٢١ و ٢٢ .

(٢) في المطبوع من الشفاء ١/١٨٨ « الراسي » والتصويب من الروض الأنف ١/٣٤ .

Marfat.com

ليـلاً ، فأغضبـه ذلـك ، وقيـل أجّجت رفقـة من العـرب نـاراً ، فحملتهـا الـريـح فأحرقتها ، فحلف لَيَهْدِمَنّ الكعبة ، فخرج الحبشة ومعه فيل اسمه محمـود ، وكان فيلاً عظيماً واثنا عشر فيلاً غيره ، وقيل ثمـانية ، وقيـل كان معـه ألف فيل ، وقيـل كان وحده ، فلما بلغ المَغَمّس[1] خرج إليه عبد المطّلب وعرض عليـه ثُلُث أموال تِهامة ليـرجع ، فـأبى وعبّى جيشه فقـدم الفيل ، فكـانوا إذا قـدّموه[2] إلى الحـرم برك[3] ولم يبرح ، وإذا وجّهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول ، فأرسل الله إليه طيراً سوداء ، وقيل خضراء ، وقيل بيضاء ، مع كل طائـر حجر في منقـاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحُمّصة ، ثم قال : فكـان الحجر يقـع على رأس الرجـل فيخرج من دُبُـره ، وعلى كل حجـر اسم من يقـع عليـه ، ففرّوا فهلكوا في كل طريق وسهل ، وأما أبرهة فتساقطت أنـامله وآرابه ، ومـا مات حتى انصدع صدره عن قلبه وأنفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلّق فوقه ، حتى بلغ النجاشي ، فقصّ عليه القصة ، فلما أتمها وقع الحجر عليه فخـرّ ميتاً بين يـديه ، وذكـر أنّ أهـل مكـة احتـووا على أمـوال الحبشـة ، وأنّ عبـد المـطلب جمـع من جواهرهم وذَهَبهم ما كان سبب يساره ، انتهى باختصار .

وقـال السُهَيْلي : وكانت قصـة الفيـل في أول المحـرّم سنـة اثنتين وثمـانين وثمانمائة سنة من تاريخ ذي القرنين .

وقال أبو عمر بن عبد البَـرّ : وأما الخـوارزمي محمد بن مـوسى فقال : كـان قدوم الفيل مكةَ وأصحابه لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم قـال : وقد قـال ذلك

---

(١) المَغَمّس بفتح الميم الأولى وبضمها : واد قريب من مكة من ناحية الشرق . أنظر : الـروض الأنف ٦٨/١ .

(٢) في النسخة (ك) وجّهوه .

(٣) علّق السهيلي على كلمة برك فقال : وقوله : فبرك الفيـل ، فيه نـظر ، لأن الفيل لا يبـرك ، فيحتمل أن يكون بروكه سقوطه إلى الأرض لما جاءه من أمر الله تعالى ، ويحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذي يلزم موضعـه ولا يبرح فعبّـر بالبـروك عن ذلك ، وقـد سمعت من يقول : إنّ في الفِيَلَة صنفـاً يبرك كما يبرك الجمل فإن صح وإلاّ فتأويله ما قدّمناه . (الروض الأنف ، جـ ١ ، ص ٧١) .

Marfat.com

غير الخوارزمي ، وزاد يوم الأحد قال : وكان أول المحرّم تلك السنة يوم الجمعة .

ونقل الحافظ الدمياطي عن أبي جعفر محمد بن علي أنّ قدوم الفيل كان في النصف من المحرّم ، انتهى . فيتحصّل من هذا أنه في تاريخ قدوم الفيل من شهر المحرم ثلاثة أقوال ، هل هو أوله أو نصفه أو لثلاث عشرة ليلة بقيت منه والله أعلم بالصواب .

وجاء في هلاك من أراد الكعبة بسوء أخبار أُخَر ، منها ما رويناه عن أم المؤمنين أم سَلَمة عن النبيّ ﷺ أنه قال : ليخسفنّ بقوم يؤمّون البيت ببيداء من الأرض .

ومن الأخبار الواردة في الانتقام ممن أساء الأدب في الكعبة أو حولها ما رويناه في السيرة لابن إسحاق وغير ذلك عن عائشة أنها قالت : ما زلنا نسمع أنّ إسافاً ونايلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم . ومن ذلك ما رويناه في معجم الطبراني عن حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى قال : كنّا جلوساً بفناء الكعبة في الجاهلية فأتت امرأة تعوذ به من زوجها ، فمدّ يده إليها فيبست ، فلقد رأيته في الإسلام وأنه لأشَلّ انتهى . ومن ذلك ما رويناه في تاريخ الأزرقي في ذكر خبره عن ابن جُرَيْج فيه شيء من خبر الحُمْس وغيرهم قال : وجاءت امرأة أيضاً تطوف عريانة ، وكان لها جمال ، فرآها رجل فأعجبته ، فدخل الطواف فطاف إلى جنبها لأن يمسّها ، فأدنى عضُدَه من عضُدها ، فخرجا من المسجد من ناحية بني سهم هاربين على وجوههما ، فزِعين لِما أصابهما من العقوبة ، فلقيهما شيخ من قريش خارجاً من المسجد فسألهما عن شأنهما ، فأخبراه بقصّتهما فأفتاهما أن يعودا إلى المكان الذي أصابهما فيه ما أصابهما فيه ليدعوان الله تعالى ويحلفان أن لا يعودا ، فرجعا إلى مكانهما فدعوا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٠٥ الملحقة بالروض الأنُف .

Marfat.com

الله سبحانه وتعالى وأخلصا النيّة في أن لا يعودا ، فافترقت أعضادهما ، فذهب كل واحد منهما في ناحية انتهى .

وذكر المحبّ الطبري هذا الخبر مختصراً وعزاه لابن الجوزي ، وعزاه ابن الجوزي لغير ابن جُرَيج فنذكر ذلك ، كما هو مذكور في « القرى » ولفظه فيه : وعن مسعر عن علقمة بن مرثد قال : بينما رجل يطوف بالبيت إذ برق له ساعد امرأة فوضع ساعده على ساعدها متلذّذاً به ، فلصقت ساعداهما . فأتى بعض الشيوخ فقال : إرجع إلى المكان الذي فعلت فيه فعاهِدْ ربَّ البيت ألاّ تعود ، ففعل فخلّى عنه . انتهى .

وذكر السُهَيْلي هذا الخبر مختصراً وفيه ما يُفهم منه غير ما سبق ، فاقتضى ذلك ما قاله لأنه قال بعد أن ذكر شيئاً من خبر الحُمْس والحلّة وطواف الحلّة بالبيت عراة : ومما ذكر من تعرّيهم[1] في الطواف أنّ رجلاً وامرأة طافا كذلك فانضمّ الرجل إلى المرأة تلذُّذاً واستمتاعاً ، فلصق عضُدُه في عضُدها[2] حتى قال لهما قائل : توباً مما كان في ضمير كما ، وأخلصا لله التوبة . ففعلا فانحلا[3] احدهما عن الآخر[4] انتهى .

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/١٩٠ « عن نفر منهم » بدلاً من : « تعَرّيهم »، وما أثبتناه عن الروض الأُنُف .

(٢) ذكر السهيلي بعدها : « ففزعا عند ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحد على فكّ عضُدِه من عضُدِها ».

(٣) كذا في الأصل ، وفي الروض « فانحلّ ».

(٤) الروض الأُنُف ١/٢٣٢ .

Marfat.com

الباب الرابع عشر

في ذكر شيء عن أخبار الحجر الأسود

روينا في تاريخ الأزرقي عن ابن عباس أنّ الله تعالى أنزل الركن يعني الحجر الأسود والمقام مع آدم ليلة نزل ليستأنس بهما ، وأنه كان يأنس بالحجر . وروينا فيه عن عائشة عن النبيّ ﷺ : أكثروا استلام هذا الحجر فإنه يوشك أن يفقد[1] . وفيه ما يقتضي أنه يُرفع إلى الجنة ، وروينا فيه عن النبيّ ﷺ أول ما يرفع الركن والمقام . وروينا فيه عن ابن إسحق وغيره أنّ الله عزّ وجلّ استودع الركن أبا قبيس حين غرّق الأرض زمن نوح عليه السلام . وقال : إذا رأيت خليلي يبني بيته فأخرجه له ، فلما بنى الخليل البيت جاءه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود فوضعه الخليل موضعه من البيت . انتهى .

وقيل : إنّ إلياس بن مضر أول من وضع الحجر للناس بعد الغرق ، ذكره الزبير بن بكار ، وهذا يخالف ما سبق والله أعلم .

قال ابن إسحق بعد أن ذكر إخراج بني بكر بن عبد مَناة بن كِنانة وغبْشان بن خُزاعة لجُرْهُم من مكة : فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنهما في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جُرْهُم إلى اليمن ، وذكر الزبير بن بكار معنى ذلك كما سيأتي .

---

(١) أخبار مكة ١/٣٤٢ .

Marfat.com

وقال القطب : وقال أبو عبدالله محمد بن عايذ[1] الدمشقي في مغازيه : عن أم سلمة زوج النبيّ ﷺ أنها حدثت أنّ جُرْهُما كانت أهل البيت ، وهم العرب الذين كانوا يتكلّمون بالعربية ، ونكح إليهم إسمعيل عليه السلام ، فأحلّوا حرم البيت واقتتلوا ، حتى كانوا يتفاوتون ، فسلّط الله عليهم العرب ، فخرجوا من مكة إلى اليمن ، وكان حول البيت غيضة والسيل يدخله ، ولم يُرفع البيت حينئذ ، فإذا قدم الحاجّ وظنّوه حتى يذهب الغيضة فإذا كان خرجوا بثبت فقدم قُصَيّ فقطع الغيضة وابتنى حول البيت داراً ، ونكح حبى بنت خليل[2] ، فولدت له عبد الدار بن قُصَيّ أول ما ولدت ، فسمّاه عبد الدار بداره تلك ، وجعل الحجابة له ، لأنه أكبرهم وعبد مَناف بمناف ، وجعل السقاية له ، والرفادة ودار الندوة لعبد العُزّى ، واللواء لعبد قُصَيّ ويقال عبد بن قُصَيّ . فقال قصيّ لامرأته : قولي لجدّتك تدلّ بنيك على الحجر فلم يزل بها حتى قالت : إنّي أغفل : أنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه ، ونزلوا منزلاً وهو معهم ، فبرك الجمل الذي عليه فضربوه فقام ، ثم سار فبرك فضربوه فقام ، فبرك الثالثة فقالوا : ما برك إلاّ من أجل الحجر فدفنوه وذلك في أسفل مكة وإنّي أعرف حيث برك ، فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم ، فأرتهم حيث برك أولاً وثانياً وثالثاً ، فقالت: احفروا ههنا ، فحفروا حتى يئسوا منه ، ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه ، فأتى به قُصيّ فوضعه في الأرض . وكانوا يتمسّحون به وهو في الأرض ، حتى بنى قُصَيّ البيت . ومات قُصيّ ودُفن بالحجون انتهى .

وذكر هذا الخبر الامام الفاكهي ، ويبعد أن يكون صحيحاً لأنه يقتضي أنّ جُرْهُماً دفنوا الحجر في غير زمزم ، والمعروف في دفنهم له أنه في زمزم كما سبق قريباً عن ابن إسحق وغيره . والمعروف أنّ القصة التي في هذا الخبر في دفن الحجر اتفقت لبني أياد بن نزار حين أخرجوا من مكة ، وأنّ الحجر لم يستمرّ مدفوناً إلى عهد قُصَيّ ، لأنّ امرأة من خزاعة أبصرته حين دُفن ، وأخبرت بذلك

(١) في المطبوع من الشفاء ١/١٩١ « عابد » وهو تحريف .
(٢) في المطبوع « حيى بنت خليل » وهو تصحيف .

Marfat.com

قومها ، فـأعلم قومهم بـذلك مُضَـر ، على أن تكون ولايـة البيت لخزاعـة ، وهذا مـذكور في خبـر ذكره الفـاكهي عن الكلبي والزُبَيـر بن بكـار لأنـه قـال : فحـدّثنا الزُبير بن بكار قال : لما هلك وكيع الأيـادي واتّضعت أياد ، وهي إذ ذاك تلي أمـر بيت الله الحـرام قاتلوهم وأخـرجوهم وأجلوهم ثـلاثاً غيـر جوز عنهم ، لمـا كانت الليلة الثالثة حسـدوا مُضَراً أن تلي الـركن الأسود ، فحملوه على بعيـر فبرك ، فلم يقم فغيّروه فلم يحملوه على شيء إلاّ درج وسقط ، فلما رأوا ذلك بحثوا لـه تحت شجرة فدفنوه ، ثم ارتحلوا من ليلتهم ، فلما كان بعد يومين افتقدت مُضَر الركنَ ، فعظم في أنفسها ، وقد كانت شرطت على أياد كـل امرأة متـزوجة فيهم ، فكـانت امرأة من خزاعة فيما يقولون يقال له[1] قدامة متزوجة في أياد ، ثم قال : فأبصرت أياداً حين دفنت الركن . أجمع الزبير وابن الكلبي في حديثهمـا ، كلُّ واحـد منهم بنحوٍ من حديث صاحبه ، فقالت لقومها حين رأت مشقّة ذهاب الركن على مُضَر : خـذوا عليهم أن يولّـوكم حجابـة البيت ، وأدلّكم على الـركن ، فـأخـذوا بـذلـك عليهم ، ثم قال : فدلّتهم عليه فأبحثـوه فأعـادوه في مكانـه وولّوه ، فلم يبـرح في أيدي خُزاعة حتى قدم قُصَيّ بن كِلاب ، فكان من أمره الذي كان ، انتهى ، وهذا الخبـر أقـرب إلى الصحّـة من الخبـر الـذي ذكـره ابن عـائـذ ، لِمـا تقـدّم من أنّ المعروف في القصة التي ذكرها أنها اتّفقت لأياد لا لجُرْهُم ، والله أعلم .

ذكر ما أصاب الحجر الأسود في زمن ابن الزبير وما صنع فيه

من القصة في زمنه وزمن هرون الرشيد

روينا في تاريخ الأزرقي خبراً طويلاً في خبر بناء الكعبـة لابن الزبيـر ، رواه الأزرقي عن جدّه عن سليمان بن سالم عن ابن جُرَيْج عن غير واحد من أهل العلم ممن حضـر بناء ابن الـزبير للكعبـة قال فيـه : وكان الـركن قد تصـدّع من الحريق

---

(١) كذا بالأصل ، والصواب (لها) .

Marfat.com

بثلاث فرق ، فانشظت منه شظية كانت عند بعض آل بني شيبة بعد ذلك بدهر طويل فشدّه ابن الزبير بالفضة إلى تلك الشظية من أعلاه بين موضعها من أعلا الركن ، انتهى[1] . وروينا في تاريخ الأزرقي عن جدّه قال : كان ابن الزبير ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه من الحريق ، ثم كانت الفضة قد تزلزلت ونزعت وتعلّقت حول الحجر حتى خافوا عليه أن ينقضّ ، فلما اعتمر هرون الرشيد وجاور في سنة تسع وثمانين ومائة أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود أن ينقب بالماس ، فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ، ثم أفرغ فيها الفضّة .

ذكر ما أصاب الحجر الأسود في فتنة القرمطي وأخذهم له

ذكر أهل التاريخ أنّ عدوّ الله أبا طاهر القُرْمُطي وافى مكة في سابع ذي الحجّة ، وقيل في ثامنه سنة تسع عشرة وثلاثمائة . . وفعل فيها هو وأصحابه أموراً منكَرَة ، منها أنّ بعضهم ضرب الحجر الأسود بدبّوس فكسره ، ثم قلعه وقيل قلعه جعفر بن فلاح البنّاء بأمر أبي طاهر يوم الإثنين بعد الصلاة لأربع عشرة خلت من ذي الحجّة ، وذهب به معه إلى بلاده هجر[2] ، وبقي موضعه من الكعبة المعظّمة خالياً يضع الناس فيه أيديهم للتبرّك إلى حين رُدّ إلىٰ موضعه من الكعبة المعظمة ، وذلك في يوم الثلاثاء يوم النّحْر من سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثمائة ، على ما ذكره المسبّحي ، وذكر أنّ الذي وافى به مكة سنبر بن الحسن القرمطي ، وأنّ سنبراً لما صار بفناء الكعبة ومعه أمين مكة أظهر الحجر من سفط وعليه ضبار فضّة قد عُملت من طوله وعرضه تضبط شقوقاً حدثت عليه بعد انقلاعه ، وأحضر معه جصّاً يشدّ به ، فوضع سنبر الحجر بيده وشدّه الصانع بالجصّ ، وقال سنبر لما رده : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله ، ونظر الناس إلى الحجر فتبيّنوه وقبّلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى . وكان ردّ الحجر الأسود في موضعه قبل حضور الناس لزيارة

---

(١) أخبار مكة ١/٢٠٨ و ٢٠٩ .
(٢) هي الإحساء الآن .

Marfat.com

الكعبة يوم النحر ، وكان مدّة كينونته عند القُرْمطي وأصحابه اثنتين وعشرين سنة إلاّ أربعة أيام . هذا معنى كلام المسبّحي . وكان بَجْكَم[1] التركي مدبّر الخلافة ببغداد بذل للقرامطة على ردّ الحجر الأسود خمسين ألف دينار فأبوا وقالوا : أخذناه بأمر ولا نردّه إلاّ بأمر . وقيل إنّ المطيع العباسي اشتراه بثلاثين ألف دينار من القرامطة . وكلام القاضي عزّ الدين بن جماعة في منسكه صريح في أنّ المطيع العباسي اشتراه بهذا القدر من أبي طاهر القرمطي ، وفيه نظر لأنّ أبا طاهر مات قبل خلافة المطيع في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة على ما ذكره ابن الأثير[2] وغيره ، والله أعلم .

ذكر ما صنعه الحَجَبة في الحجر الأسود بإثر ردّ القرامطة له

ذكر المسبّحي أنّ في سنة أربعين وثلاثمائة قلع الحَجَبَة الحجر الأسود الذي نصبه سنبر ، وجعلوه في الكعبة خوفاً عليه ، وأحبّوا أن يجعلوا له طوقاً من فضّة يشدّ به ، كما كان قديماً حين عمله ابن الزبير ، فأخذ في إصلاحه صانعان حاذقان فعملا له طوقا من فضة وأحكماه .

ونقل المسبّحي عن محمد بن قانع الخزاعي أنّ مبلغ ما على الحجر الأسود من الطوق وغيره ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهماً ونصف على ما قيل انتهى . وهذه الحلية غير حلية الحجر لأنّ داود بن عيسى بن «فُلَيْتَة»[3] الحسني أمير مكة أخذ طوق الحجر الأسود قبيل عزله من مكة في سنة خمس وثمانين وخمسمائة على ما ذكر أبو شامة في ذيل الروضتين[4] . وذكر ذلك غيره ، ولم أتحقّق أنّ الحجر الأسود قُلع من موضعه بعد ردّ القرامطة له إلى يومنا هذا ، غير أنّ بعض فقهاء

---

(١) توفي سنة ٣٢٩ هـ . (الوافي بالوفيات ١/٧٧ و ٧٨) .

(٢) الكامل في التاريخ ٨/٤١٥ ، البداية والنهاية ١١/٢٠٨ و ٢٠٩ ، تكملة تاريخ الطبري ١٣٩ ، شذرات الذهب ٢/٣٣١ .

(٣) في المطبوع من الشفاء ١/١٩٤ : « فليسة » وهو تصحيف.

(٤) لم تصلنا حوادث هذه السنة من كتاب أبي شامة ، فهي في القسم المفقود .

Marfat.com

المصريين أخبرني أنّ الحجر الأسود قُلع من موضعه في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة لتحليته في هذه السنة من الحلية التي أبدلها الأمير سودون باشا . ورأيت غير واحد من المكيين ينكر ما ذكر عليّ هذا الفقيه المصري ، وهو يثبت ذلك ويقول إنه شاهده مقلوعاً ، وقد سمع ذلك منه قبلي غير واحد من فقهاء مكة . وأخبرني بعضهم بذلك عنه ، فسألت المخبِر له فأخبرني به وحقيقه ، وكان إخباره لنا بذلك في موسم سنة أربع عشرة وثمانمائة لما ورد إلى مكة قاضياً للركب المصري وهو الفقيه نور الدين المنوفي ، وله إلمام بالفقه ويستحضر فيه بعض المختصرات ، والله أعلم بصحّة ذلك .

ذكر ما أصاب الحجر الأسود بعد فتنة القرامطة من بعض الملحدة مثلهم

ذكر أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي أنه في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة يوم النفر الأول ، قام رجل فقصد الحجر الأسود فضربه ثلاث ضربات بدبّوس وتبخّش وجه الحجر من تلك الضربات ، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار . . وتشقّق وخرج أسمر يضرب إلى صُفرة محبباً مثل الخشخاش ، فأقام الحجر على ذلك يومين . ثم إنّ بني شيبة جمعوا الفُتات وعجنوه بالمسك واللّكّ وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء من ذلك . انتهى باختصار ، وذكر ابن الأثير هذه القصّة (الحادثة) في أخبار سنة أربع عشرة وأربعمائة[1] ، والله أعلم بالصواب .

ذكر صفة وقدره وقدر ما بينه وبين الأرض

ذكر المسبّحي أنّ أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي دخل الكعبة فيمن دخلها للنظر إلى الحجر الأسود لما كان في الكعبة بإثر ردّ القرامطة له ، وأنه تأمّل الحجر الأسود فإذا السواد في رأسه دون سائره ، وسائره أبيض ، قال : وكان

(١) الكامل في التاريخ ٩/٣٣٢ و ٣٣٣ .

Marfat.com

مقدار طوله مقدار عظم ذراع ، أو كان الذراع المقبوضة الأصابع ، والسواد في وجهه غير ماض في جميعه . انتهى ، وما ذكره العلوي في صفة الحجر يخالف هذا ، والله أعلم .

وذكر ابن عبد ربّه في « العِقد » ما يوافق ما ذكره الخزاعي في صفة الحجر الأسود وما يخالفه في مقدار طوله ، لأنه قال : وذكر أيضاً عن بعض المكّيين حديثاً يرفعه إلى شيخه أنه نظر إلى الحجر الأسود بعد أن هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه فقدّروا طوله ثلاثة أذرع ، وهو ناصع البياض فيما ذكروا إلاّ وجهه الظاهر ، واسوداده فيما ذكروا ، والله أعلم لاستلام أهل الجاهلية له لطخه[1] بالدم[2] ، انتهى ، بنصّه .

وذكر الأزرقي أنّ ذرْع ما بين الحجر الأسود إلى الأرض ذراعان وثلثا ذراع .

وذكر ابن جماعة فيما أخبرني به عنه خالي أنّ ارتفاع الحجر من أرض المطاف ذراعان وربع وسُدس ذراع بذراع القماش المستعمل بمصر في زمنه .

ذكر شيء من الآيات المتعلّقة بالحجر الأسود

للحجر الأسود آيات بيّنات ، منها حِفْظ الله تعالى له من الضياع منذ أُهبط إلى الأرض ، مع ما وقع من الأمور المقتضية لذهابه ، كالطوفان ، ودفن بني إياد ، وذكر ابن جماعة أنّ الحجر الأسود أزيل من موضعه غير مرّة ثم ردّه الله إليه ، قال : وقع ذلك من جُرْهُم وإياد والعماليق والقرامطة ، ولم أر ما ذكره عن العماليق ، والله أعلم .

ومنها أنه على ما قيل هلك تحته لما حمله القرامطة أربعون جملاً ، فلما

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/١٩٥ « لطحنه » وهو تصحيف .
(٢) العقد الفريد ٦/٢٥٨ .

Marfat.com

أُعيد حُمل على قعود هزيل فسمن . ذكر هذا القول الذهبي . وقيل هلك تحته لما حُمل إلى هجر ثلاثمائة بعير ، وقيل خمسمائة بعير ، والله أعلم .

ومنها أنه يطفو على الماء ، ومنها أنه لا يسخن من النار . ذكر هذين القولين[1] ابن أبي الدمّ في الفِرق الإسلامية ، فيما حكاه عنه ابن شاكر الكتبي المؤرّخ ، ونقل ذلك عن بعض المحدّثين ، ورفعه إلى النبيّ ﷺ ، والله أعلم . وقد بسطنا ذلك في أصل الكتاب .

(١) في النسخة « ك » هاتين الآيتين .

Marfat.com

الباب الخامس عشر

في الملتزم والمستجار والحطيم

وما جاء في استجابة الدعاء في هذه المواضع وغيرها من الأماكن بمكة المشرَّفة وحَرَمِها

ذكر الملتزَم

هو ما بين الحجر الأسود والبـاب ، على ما رويناه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تاريخه ، ويقال له : المدعـا والمتعوَّذ ، على مـا رويناه عن ابن عبـاس رضي الله عنهما في تاريخ الأزرقي أيضاً . ورورينا عنه حديثاً مـرفوعـاً في استجابة الدعاء فيه[1] ، ورويناه مُسْنَداً في الأربعين المختارة لابن مسـدي ، ولفظ الحديث على مـا رينـا : عن ابن عبـاس رضي الله عنهمـا قـال : سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : الملتزَم مـوضع يُستجـاب فيه الـدعاء ، ومـا دعـا عبـدُ الله تعـالى فيـه إلاَّ استجابها[2] .

ذكر المستجار

هو ما بين الركن اليَماني إلى البـاب المسدود في دُبُـر الكعبة ، هكـذا سمّاه ابن جُبَيْـر في رحلته[3] ، والمحبّ الـطبـري في « القـرى » وسبقهمـا إلى تسميتـه بالمستجار الفقيـه محمد بن سـراقة في كتـابه « دلائـل القبلة » ، لأنه قـال : وبين

---

(١) أخبار مكة ١/٣٤٧ .

(٢) ومثل هذا الحديث في أخبار مكة ١/٣٤٧ .

(٣) رحلة ابن جبير ٦٥ .

Marfat.com

الـركن اليماني وبين البـاب المسدود في ظهـر الكعبة أربعـة أذرع ، ويسمَّى ذلـك الموضع المستجـار من الذنـوب انتهى ، ويقال لـه المتعوَّذ ويقـال له : الملتـزَم ، على ما رُوي عن ابن الزبير ، ويقال : ملتـزَم عجائـز قريش على مـا رُوي عن ابن عبـاس رضي الله عنهما روينـا ذلك عنهمـا في تـاريـخ الأزرقي ، وروينـا فيـه عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما : من قام عند ظهر البيت فدعـا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[1] . قال المحبّ الـطبري : ومثـل هذا القـول من معاوية رضي الله عنه لا يكون إلّا عن تلقٍّ من لسان النبوّة . انتهى .

وروينـا في « مجاب الـدعوة » لابن أبي الـدنيا عن الشعبي أنّ عبـد الله بـن الزُبير وأخاه مُصْعَباً وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن عمر بن الخـطاب دعوا في هذا الموضع فلم يذهب الشعبي من الدنيا حتى رأى كلًّا منهم قد أُعطي ما سأل ، وبشّـر عبد الله بن عمـر بالجنّـة ورتّب لـه ، وكـان دعـا بهـا ، وكـان يقف للدعـاء والمتعوَّذ فيه جماعة من كبار السلف منهم عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد .

ذكر الحطيم

اختلف في الحـطيم وفي سبب تسميته بـذلـك ، فقيـل إنـه مـا بين الحجـر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحِجْر إسماعيـل ، وهو مقتضى مـا حكاه الأزرقي عن ابن جُرَيْج[2] . وفي كتب الحنفية أنّ الحطيم الموضع الـذي فيه الميـزاب . وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال : الحطيم الجـدار . قال المحبّ الـطبـري يعني جـدار حجر الكعبـة ، قال : وقـد قيل الحـطيم هو الشـاذروان ، سُمّي بذلـك لأنّ البيت رُفع وتُرك هو محطوماً فيكون فعيلاً بمعنى مفعول قال : وقد قيـل لأنّ العرب كانت تطرح فيه ما طافت فيه من الثيـاب ، فيبقى حتى يتحطّم من طـول الزمـان ، فيكون فعيلاً بمعنى فاعل انتهى .

وقيل فى سبب تسميته أنه سُمّي بالحطيم لأنّ الناس كانوا يحـطّمون هنـالك

---

(١) أخبار مكة ١/٣٤٨ .

(٢) أخبار مكة ٢/٢٣ .

Marfat.com

بالأيمان ، فقلَّ من دعا هنالك على ظالم إلاّ هلك ، وقلّ من حلف هنالك آثماً إلاّ عُجِّلت له العقوبة ، روينا ذلك عنه في تاريخ الأزرقي[1] ومن فضائل الحطيم ما ذكره الفاكهي لأنه قال : وحدّثني أحمد بن صالح قال : حدّثنا محمد بن عبد الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي النّبيّ ﷺ : أيّ البقاع خير ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : قلت : يا رسول الله كأنك تريد بين الركن والمقام ؟ قال : صدقت ، إنّ خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقام ، وإنّ فيها بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة ، فمن صلّى فيه أربع ركعات نودي من بطنان العرش: أيّها العبد غُفِر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل . انتهى .

ومن فضائل الحطيم أنّ فيه قبر تسعة وتسعين نبيّاً لأنّ الأزرقي قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : حدّثني جدّي قال : حدّثنا يحيى بن سُلَيم عن ابن خثيم قال : سمعت عبد الرحمن بن سابط يقول : سمعت عبد الله بن حمزة السلولي يقول : ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيّاً جاءُوا حُجّاجاً فقُبِضوا هنالك. وحدّثني مهدي بن أبي المهدي قال: حدّثنا عبدالرحمن ابن عبد الله مولى بني هاشم عن حمّاد بن مسلم عن عطاء بن السايب عن محمد بن سابط عن النبيّ ﷺ قال : كان النبيّ من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فيتعبّد فيها النبيُّ ومَن معه حتى يموت ، فمات بها نوحٍ ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وقبورهم بين زمزم ، والحجر .

وذكر الأزرقي خبراً يقتضي أنّ في الحطيم قبر تسعين نبياً وسمّى منهم في هذا الخبر غير من لم يسمّ في الخبر الذي رواه عن ابن سابط لأنه قال : وأخبرني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج فذكر أخباراً ، ثم قال : قال عثمان : وأخبرني مقاتل قال : في المسجد الحرام بين زمزم والركن قبر تسعين

---

(١) أخبار مكة ٢/٢٤ .

Marfat.com

نبياً ، منهم هود وصالح وإسماعيل وقبر آدم وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام في بيت المقدس ، انتهى .

وذكر الأزرقي خبراً يقتضي أنّ قبر إسماعيل في الحِجْر ، وسنذكر هذا الخبر وغيره من الأخبار الموافقة له والمتخالفة له في أخبار الحِجْر ، وذلك في الباب السابع عشر من هذا الكتاب . وذكر الأزرقي خبراً يوهم أنّ في الحطيم قبور عَذَارَى بنات إسماعيل عليه السلام لأنّ الأزرقي قال فيما رويناه عنه : حدّثني جدّي قال : حدّثنا سفيان بن عُيَيْنَة عن الزُهري أنه سمع ابن الزبير على المنبر يقول : إنّ هذا المحدودب قبور عَذَارى بنات إسماعيل عليه السلام ، يعني مما يلي الركن الشامي من المسجد الحرام ، قال : وذلك الموضع تسوّى بين المسجد فلا ينسب أن يعود محدوداً منذ كان[1] انتهى ، وإنّما كان هذا الخبر مُوهِماً لِما ذكرناه ، لأنه يحتمل أن تكون القبور المشار إليها مما يلي الركن الشامي من جهة الحجر الأسود ، وأن تكون مما يلي الركن الشامي مما يلي الحِجْر بسكون الجيم ، فعلى الاحتمال الأول تكون القبور المشار إليها في الحطيم ، وعلى الثاني لا تكون فيه ، وذلك على اعتبار بناء الكعبة على أساس إبراهيم من جهة الحِجْر ، وأما على اعتبار بنائها اليوم فقد تكون القبور المشار إليها في الحطيم على كلا الاحتمالين ، والله أعلم .

وقد ذكر هذا الخبر الفاكهي في « أخبار مكة » نحوه ، وذكر الخبر الذي رواه الأزرقي عن عبد الله بن ضُمْرة . وفي خبر الفاكهي أنّ ابن ضُمْرة يرويه عن كعب يعني كعب الأحبار ، وابن سابط راوي الخبر ليس بصحابي ، وذكر الفاكهي خبراً يقتضي أنّ فيما بين دار الندوة وباب بني سهم ـ يعني باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة ـ قبور قوم صالح الذين آمنوا به ورحلوا معه إلى مكة وأقاموا بها حتى ماتوا . قال : وكذلك فعل هود ومن آمن معه وشعيب ومن آمن معه ،

---

(١) أخبار مكة ٢/٦٦ ،

Marfat.com

وعزا هذا الخبر لوهب بن منبّه ، وهو في تـاريخ الأزرقي ، إلّا أنّ في الخبـر الذي ذكــره الأزرقي : فتلك قبـورهم في غــربيّ الكعبـة بين دار النــدوة وبين دار بني هـاشم ، كذا رأيتـه في نسختين من تاريـخ الأزرقي ، ودار بني هـاشم وصـوّبـه ، وباب بني سهم كما في خبـر الفاكهي ، لأنّ بـه يستقيم الكلام والله أعلم . وهـذه القبور وإن لم تكن في الحطيم فذكرها في أخباره لمناسبة ، وهي تكـون الموطنين في المطاف ، فيجتمع بذكر ذلك في هذه الترجمة شيء من فضل المطاف .

ذكر بقية المواضع بمكة وحرمها التي قيل إن الدعاء فيها مستجاب

روينا عن الحسن البصري في رسالته المشهـورة أنه قـال : ويقال يستجـاب الدعاء بمكة في خمسة عشر موضعـاً ، أولها عنـد الملتزمَ الـدعاء فيـه يُستجاب ، وتحت الميــزاب يُستجـاب ، وعنــد الـركن اليمــاني يُستجـاب ، وعلى الصفــا يُستجاب ، وعلى المَرْوَة يُستجاب ، وبين الصَّفا والمَـرْوَة يُستجاب ، وبين الـركن والمقـام يُستجـاب ،موفي جـوف الكعبـة يُستجـاب ، وبمنى يُستجـاب ، وبجمـع يُستجاب ، وبعرفات يُستجاب ، وعند الجمرات الثلاث يُستجاب ، هكـذا وجدت في نسختي من هذه الرسالة ، وهي تقتضي أنّ المـواضع المشـار إليها أربعـة عشر موضعاً ، والظاهر أنه سقط منها مـوضع يُحتمـل أن يكون خلف المقـام ، ويحتمل أن يكون في الطواف ، لأنه رُوِي عن الحسن البصري عـدّ هذه[1] المـواضع التي يُستجاب فيها الدعاء بمكة ، وليس في الرواية التي ذكر فيها هذين المـوضعين ذِكْر الركن اليماني ، وفيها لفظتان مخالفتـان للرواية التي ذكـرناهـا في لفظ أحدهمـا ، وعند زمزم ، وذلـك أعلم عِوَض قـوله بين الـركن والمقام واللفـظة الأخرى ، وفي المزدلفة عِوض قوله : وبجمع ، وهذه الرواية ذكرها المحبّ الطبري في « القرى » وقال، فيه : رُوِي عن الحسن البصري أنّ الحجر الأسـود يُستجاب عنـده الدعـاء ،

---

(١) في الأصل « هذين » وهو خطأ .

Marfat.com

فتصير المواضع ستة عشر ، وقال : وسيأتي في فضل التعوّذ عند ظهر الكعبة موضع سابع عشر انتهى . قلت : الموضع الذي أشار إليه المحبّ هو المُسْتَجار الذي تقدّم ذِكْره . وقال المحبّ : والظاهر من عموم هذا اللفظ تعميم الإجابة في هذه الأماكن ، سواء كان متلبّساً بنُسُكٍ أو لم يكن ، وهو كذلك إن شاء الله تعالى ، وتخصيص بعضٍ دون بعضٍ خلاف الظاهر ، وإذا ثبتت الخصوصية لذات المكان عمّت جميع الأحوال والله أعلم .

قلت : فيما ذكره الحسن البصري من استجابة الدعاء عند جمرة العَقَبَة نظراً لأنَّ الإنسان لا يقف عندها للدعاء في زمن الرمْي ، فكيف يُستجاب للإنسان فيما نُهي عن فِعله ؟ إلاَّ أنْ يكون مراده بقوله إنّ الدعاء يُستجاب عندها أي قربها ، ويدعو الداعي وهو مارٌّ بُعْدَ ، والله أعلم .

وذكر شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي أحسن الله إليه في كتابه « الوصل والمُنَى في فضل مِنَى » مواضعَ أُخَر بمكة وَحَرَمِها يُستجاب فيها الدعاء ، لأنه نقل عن النقّاش المفسّر أنه قال في منسكه : ويُستجاب الدعاء في ثبير يعني ثبير الذي يلحقه مغارة الفتح لأنّ النبيّ ﷺ كان يتعبّد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة ، ولهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين أيام إقامتها بمكة ، قال : وفي مسجد الكبش زاد غيره وفي مسجد الخيْف زاد آخر ، وفي مسجد النّحر بطن مِنَى زاد ابن الجوزي وفي مسجد البيعة وهو من مِنى ، وغار المرسلات ومغارة الفتح لأنها من ثَبِير يعني الموضع الذي يقال له صخرة عائشة بمِنى قال : وقال النقاش : يُستجاب الدعاء إذا دخل من باب بني شيبة وفي دار خديجة بنت خُوَيْلد ليلة الجمعة وفي مولد النبيّ ﷺ يوم الإثنين عند الزوال ، وفي دار الخيزران عند المجتبى بين العشائين ، وتحت السّدرة بعرفة وقت الزوال ، وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء ، وفي المتّكأ غداة الأحد ، وفي جبل ثور عند الظهر ، وفي حراء وثبير مطلقاً ، قيل وفي مسجد النحر . انتهى .

قلت : وقع فيما ذكره شيخنا القاضي مجد الدين أنّ مسجد البيعة من مِنى

Marfat.com

وهو غير مسلَّم ، لأنه من وراء العقبة التي هي حـدّ مِنى بمقدار غلوة أو أكثـر ولعلّ من قال إنّ مسجد البيعة من مِنَى يوهم أنه المسجد الـذي عند جمـرة العَقَبة الـذي يكون على يسار الـذاهب إلى مِنى ، وبينه وبين مِنى المقـدار الذي ذكـرناه ، وفي جداره القِبليّ حجران مكتوب فيهما أنه مسجد البيعـة والله أعلم . ولم يبيّن شيخنا القـاضي مجد الـدين موضـع السّدرة بعَـرَفَة ولا مسجـد الشجرة ولا المتّكـأ ، ومـا عرفت ذلك تحقيقاً ؛ وأظنّ أنّ المتّكأ المشار إليه هو الموضوع الذي ذكره الأزرقي لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم في الترجمة التي ترجم عليها بقـوله : ذكـر المواضع التي يستحبّ فيها الصلاة بمكـة وما فيهـا من آثار النبيّ ﷺ ومـا صحّ من ذلك ومسجد بأجياد[1] وهو موضـع فيه يقـال له المتّكـأ ، سمعت جدّي أحمـد بن محمد ويوسف بن محمد بن إبراهيم يسـألان عن المتّكأ ، وهـل صحّ عنـدهما أنّ النبيّ ﷺ أتّكى[2] فيه ، فرأيتهمـا ينكران ذلـك ويقولان : لم يسمـع به من ثبت ، قال لي جدّي : سمعت الزنجي مسلم بن خالد وسعيد بن سـالم القدّاح وغيـرهما من أهـل العلم أنّ أمر المتّكـأ ، ليس بالقـوي عندهم ، بـل يضعّفونـه ، غير أنهم يثبتـون أنّ النبيّ ﷺ صلّى بأجيـاد الصغير لا يثبت ذلـك الموضـوع ولا يقف عليـه قال : ولم أسمع أحداً من أهل مكة يثبت أمر المتّكأ (انتهى)[3] .

وبأجياد الصغير موضع يقال له الآن المتّكأ ، وهـو دكّة مـرتفعة متّسعـة منوّرة ملاصقة لـدار يُنْسَب للشيخ يحيى بن علي بن بخيـر الحَجَبي شيخ الحَجَبَـة كان ، ويُعـرف هذا البيت الآن سعـد الدويـدار فتى الشريف أحمـد بن عجـلان صـاحب مكة ، وأخبرني بعض فقهاء مكة أنه رأى الشريف عجـلان صاحب مكـة يُنْكِر على جمـاعـة رآهـم يلعبوه في المـوضـع المشار إليـه ، وأمـر باحتـرام هـذا المـوضـع

---

(١) أجيـاد : هو المـوضع الـذي كانت بـه الخيل التي سخّـرها الله لإسمـاعيل عليـه السلام . (معجم البلدان ١/١٠٥) ويقال ما سُمّي أجياد أجياداً إلاّ لخروج الخيل الجياد منه مع السميدع . (أخبـار مكة ١/٨٢) .

(٢) في النسخة (ك) اتكأ .

(٣) أخبار مكة ٢/٢٠٢ .

Marfat.com

، وعلّل ذلك بأنّ هذا الموضع يُنْسَب للنبيّ ﷺ . وأخبرني بعض الحَجَبَة عن بعض أقاربه أنّ النبيّ ﷺ رُؤي بهذا الموضع وهو على يسار الذاهب إلى رباط ربيع قريباً منه . وفي كون المتّكأ المنسوب إلى النبيّ ﷺ نظر ، لأن الأزرقي ذكر ما يقتضي أنّ المتّكأ في الشعب الذي فيه بئر عكرمة بأجياد الصغير وإذا كان كذلك فليس المتّكأ هذه الدكّة والله أعلم .

وذكر الفاكهي المتّكَى الذي بأجياد بما يوافق ما ذكره الأزرقي ، وذكر فيه شيئاً لم يذكره الأزرقي لأنه قال في الترجمة التي ترجم عليها بقوله ذِكْر المواضع التي يُستحبّ فيها الصلاة بمكة : ومنها الموضع الذي بأجياد الصغير ، وهو الذي يقال له المتّكَى[1] .

وبعض الناس يقول : أول ما نزل القرآن في ذلك الموضع ، نزل فيه : ﴿ إقْرَأ باسمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ ﴾ وهي أول سورة نزلت من القرآن . انتهى ، وهذا غريب جدّاً[2] ولذلك أوردناه والله أعلم بصحّته .

وبقرب باب المسجد الحرام المعروف بباب العُمرة موضع يقال له المتّكأ ملاصق لبيت المرشدي قرب المدرسة الأرسوفية الآتي ذِكْرها ، وفي طريق التنعيم المعتادة موضع يقال له المتّكأ ، وهذان الموضعان كلاهما غير المراد ، ولعلّهما سُمِّيا بذلك للراحة بالإتّكاء عندها من تعب السَيْر إلى العُمْرة ، والله أعلم .

وأما مسجد الشجرة المشار إليها فهو بالحُدَيبية ، والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هي الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان كما في القرآن العظيم ، وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس ، ثم عينت لقطعها ، لأنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقطعها حين بلغه أنّ الناس يأتون إليها ويصلّون عندها ويعظّمونها ، ورأى أنّ هذا الفعل حَدَثَ ، وهذا يُرْوَى عن ابن جُرَيْج في كتاب

---

(١) في النسخة (ك) المتكأ ، وانظر أخبار مكة ٢/٢٠٢ .

(٢) لأن الصحيح الثابت أن هذه الآية نزلت في غار حراء .

الفـاكهي ، وذكر الفـاكهي شيئاً من خبـر هذا المسجـد لأنه قـال لمـا ذكـر مسجـد الحُدَيبية : وهذا المسجد عن يمين طريق جُدّة ، وهو المسجد الذي يزعم النّـاس أنه الموضع الذي كان فيه رسـول الله ﷺ وأصحابـه وهو مسجـد(١) الركـوز ، وثَمّ مسجد آخر تصلّي الناس فيه بناه يقطين بن موسى في الشّق الأيسر انتهى ، وهذان المسجدان والحُدَيبية لا يُعْرَفون اليوم ، والله أعلم بذلك .

ورأيت في جزء مترجَم بالثاني من فضائل مكة للجندي من رواية أبي القاسم عبد الله بن علي بن عبد الله الطوسي المعروف بكر كان عن أبي منصور طاهـر بن العباس بن منصور المَرْوَزي عن المغيرة بن عمـرو بن الوليـد العدني عن الجنـدي وفي آخر : سمعت أبا منصور يحكي عن أبي سهيل النَّيْسَابوري أنّ المـواضع التي يُرْجَى فيها استجابة الـدعاء في المسجـد الحرام خمسـة عشر مـوضعاً ، وعـدَّ منها أربعـة عشر : بـاب بني شيبة وبـاب إبراهيم وبـاب النبيّ ﷺ وباب الصّفـا وزمـزم والمقـام والركن الأسـود والملتزم ، ومجـاور المنبر حيث يقف المحمِّـدون ، وعند الـركن العـراقي ، وتحت الميـزاب ، والـركن الشـامي ، ومـا بين الـركن الشـامي واليماني ، وهو المُستجار ، وعند الركن اليماني . وقـال غيره : إنّ المـواضع التي يُرجَى فيها استجابة الدعاء في المسجـد الحرام ثـلاثون مـوضعاً ، ولم يعـدّها ولم يذكر مواضعها . انتهى .

وباب النبيّ ﷺ المشار إليه هو البـاب المعروف الآن ببـاب الجنايـز ، سمّاه بذلك الأزرقي في تاريخه لأنـه لما ذكـر صفته القـديمة قـال : وهو بـاب النبيّ ﷺ الذي كان يخـرج منه ويـدخل فيـه من منزلـه الذي في زقـاق العطّارين ، يقـال له مسجد خديجة بنت خُوَيْلد رحمة الله تعالى ورضوانه عليها"(٢) . انتهى .

وباب إبراهيم هو باب الزيارة التي بالجانب الغربي من المسجد الحرام .

---

(١) في النسخة (ك) آل .
(٢) أخبار مكة ٢/٧٨ و ٨٧ .

Marfat.com

الباب السادس عشر

في ذكر شيءٍ من أخبار المقام

« مقام الخليل عليه السلام »

هذا المقام ، هو الحجر الـذي وقف عليه الخليـل عليه السـلام ، حين بنى الكعبـة ، وهذا يُـرْوَى عن ابن عباس رضي الله عنهمـا وسعيد بن جبيـر وغيـرهمـا وقيل : وقف عليه حين أذّن للناس بالحجّ ، وقيل : وقف عليـه حين غسلت زوْجة ابنه اسماعيل رأسَه لما جاء يسأل عن ولده إسماعيل ، وهو في خبر طويل ، ضعّفه سعيد بن جبير ، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يكون الخليل وقف على ذلك لهذه الأمور كلّها ، والله أعلم .

وقد ذكر صفته وقدره الأزرقي[1] وابن جبير[2] وابن جماعـة وذكرنـا ذلك في أصل هذا الكتاب واختصرنا هنا على ما ذكره ابن جماعة لأنه أبلغ في التحرير :

أخبرني خالي قاضي الحرمين محبّ الدين النويري قال : أخبرنا القاضي عزّ الدين بن جماعة قال : وقد ذكر الأزرقي أنّ ذرع المقام ذراع وأنّ القدمين داخـلان فيه سبعة أصابع . وحـرّرت لما كنت مجـاوراً بمكة المشـرّفة سنـة ثلاثٍ وخمسين وسبعمائة مقدّراً ارتفاعـه من الأرض ، فكان نصف ذراع وربـع ذراع وثُمن ذراع ،

---

(١) أخبار مكة ١/٢٨٨

(٢) رحلة ابن جبير ٦٢

Marfat.com

بالذراع المستعمل في زماننا بمصر في القماش ، وأعلا[1] المقام مربّع من كل جهة نصف ذراع ورُبع ذراع ، وموضع غوص القدمين ملبّس بفضّة ، وعمقه من فوق الفضّة سبعة قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش . انتهى .

ذكر حلية المقام

أول من حلّى المقام في خلافة المهدي[2] العباسيّ لأنه رُفع فانثلم لرخاوة حجره ، فكتب الحَجَبة إلى المهدي يعرفونه بذلك وأنهم يخشون عليه أن يتفتّت ، فبعث المهديّ بألف دينار أو أكثر ، فضبّبوا بذلك من أعلاه وأسفله ، فلما كان في خلافة المتوكل[3] زيد في تحليته بالذهب وجعل ذلك فوق حليته الأولى ، وذلك في مصدر الحاجّ سنة ستٍّ وثلاثين ومائتين . ثم إنّ جعفر بن الفضل العباسي عامل مكة ، ومحمد بن حاتم قلعاً حليته في خلافة المتوكل وضرباها دنانير ليستعينا بذلك على ما قيل في حرب إسماعيل بن يوسف العلوي الذي خرج من مكة وأفسد بها وبالحجاز في سنة إحدى وخمسين ومائتين .

ولم تزل حلية المهدي على المقام إلى أن قُلِعت عنه في سنة ستٍّ وخمسين ومائتين في المحرّم لأجل إصلاحه ، لأنّ الحَجَبة ذكروا لعامل مكة علي بن الحسن العباسي أنّ المقام وَهَى وتسلّلت أحجاره ويُخشى عليه ، وسألوه في تجديد عمله وصبّه حتى يشتدّ ، فأجابهم لسؤآلهم وزادهم ذهباً وفضّة على حليته الأولى ، فعمل له طوقان من ذهب فيهما ألف مثقال إلاّ ثمانية مثاقيل وطوق من فضّة . وأحضر المقام إلى دار الإمارة وأذيبت له العقاقير بالزئبق ، وشدّ بها شداً جيّداً حتى التصق ، وكان قبل ذلك سبع قِطَع قد زال عنها الإلصاق لما قُلعت

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) هو محمد المهديّ بن المنصور ، تولّى الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ وظلّ حتى توفي سنة ١٦٩هـ .

(٣) هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم الرشيد ، تولّى الخلافة بعد وفاة الواثق ٢٣٢هـ ظلّ في الخلافة . حتى قتل سنة ٢٤٧هـ .

Marfat.com

الحلية عنه في سنة خمس وخمسين ومائتين لأجل إصلاحه ، وكان الذي شدّه بيده في هـذه السنة بِشْـر الخادم مـولى أمير المؤمنين المعتمـد[1] العبـاسي ، و حمـل المقام بعد اشتداده بالإلصاق وتركيب الحليـة التي عُملت له بشـدّه أيضاً عليـه إلى مـوضعه ، وذلـك يـوم الاثنين لثمـان ليـال خَلَوْن من شهـر ربيـع الأول سنـة ستٍّ وخمسين ومائتين ، وكان عمل حليته في المحرّم وصفر من هذه السنة .

وفي أوائل شهر ربيع الأوّل وُسِّع الطوقان الـذهب المشار إليهمـا لضيقهما ، ثم عُمـلا عليه ، ووُضـع في موضعـه في التـاريـخ المتقـدّم ذِكْـره ، هـذا ملخّص بالمعنى مما ذكره الفاكهي في خبر حلية المقـام ، وكلامـه أبسط من هذا ، ويـذكر كما ذكره في أصل هذا الكتاب .

وذكر الأزرقي[2] حليته في زمن المهديّ والمتوكل ولم يذكر تاريخ حليته في زمن المهدّي وهي سنة إحدى وستّين ومائة ، على ما ذكره الفاكهي .

ذكر صفة الموضع الذي فيه المقام والمصلّى خلفه

أما صفة الموضع المشار إليه فإنه الآن قبّة عالية من خشب ثابتـة قائمـة على أربعـة أعمدة دِقـاق حجارة منحـوتة بينهمـا أربعة شبـابيك من حـديد من الجهـات الأربعة ، ومن الجهة الشرقية يُـدخَل إلى المقـام ، والقبّة ممـا يلي المقام منقـوشة مزخرفة بالذهب ، ومما يلي السماء مبيّضة بالنورة ، وأما موضع المصلّى الآن فإنـه ساباط مزخْرَف على أربعة أعمدة ، منهـا عمودان عليهمـا القبّة وهـو متّصل بهـا ، وهو مما يلي الأرض منقـوش مزخـرف بالـذهب ، ومما يلي السمـاء مبيّض منوّر . وأحدث وقتٍ صُنع فيه ذلك في شهر رجب سنة عشر وثمانمـائة[3] . واسم الملك

---

(١) من المعروف ان المعتمد تـولّى الخلافـة سنة ٢٥٦ وبقي حتى تـوفي سنة ٢٧٩هـ . فيكـون الخليفة المقصود في التاريخ المذكور هو المهتدي وليس المعتمد .

(٢) أخبار مكة ١/٢٥٦ وما بعدها .

(٣) وفي حولدث هذه السنة ذكر ابن حجر أن ملك الهند ببنجالة واسمه أحمد خان بن ميرخان بن ظفرخان =

الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه سبب هذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر مكتوب في الشبّاك الشرقي في هذا الموضع بسبب عمارته له في سنة ثمانٍ وعشرين وسبعماية .

والمقام بين الشبابيك الأربعة الحديد في قبّة من حديد ثابت في الأرض ، والقبّة التي عليها ثابتة أيضاً في الأرض برصاص مصبوب ، بحيث لا يستطاع قلع القبّة الحديد التي فوقه إلاّ بالمعاول وشبهها ، ولعل القبّة الحديد التي في جوفها المقام الآن القبّة الحديد التي كانت توضع عليه عند قدوم الحاجّ إلى مكة صوناً لها ، لكونها أحمل للإزدحام والاستلام على ما ذكره ابن جبير[1] . وذكر ما يقتضي أنّ المقام كان عند رحلته إلى مكة غير ثابت وأنه يوضع ويُرفَع ، ويُجعل حيناً في الكعبة في البيت الذي فيه الدرجة التي يُصعد منها إلى السطح أي سطح الكعبة ، ويُجعل أيضاً في موضعه الذي هو به الآن في قبّة من خشب ، فإذا كان الموسم قُلعت قبّة الخشب وجُعلت عليه القبّة الحديد ، ذكر ذلك في موضعين من رحلته ، ونصّ كلامه الدّالّ على أنّ المقام غير مؤبّد موضعه لأنّ قوله بعد أن ذكر اعتمار مُكْثِر بن عيسى بن فُلَيْتَة أمير مكة في شهر رجب من سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وهي السنة التي وصل فيها ابن جبير إلى مكة للحجّ . فلما فرغ يعني مُكْثِراً من الطّواف صلّى عند الملتزم ، ثم جاء إلى المقام وصلّى خلفه ، وقد أُخرج له من الكعبة ووضع في قبّته الخشبية التي يصلّي خلفها ، فلما فرغ من صلاته رُفعت له القبّة عن المقام فاستلمه وتمسّح به ، ثم أعيدت القبّة عليه[2] . انتهى .

وما عرفت متى جُعل المقام ثابتاً في القبّة على صفته التي هو عليها الآن .

= ـ وكان أبوه كافراً فأسلم هو وقتل جدّه . . ـ أرسل إلى مكة « خيمة حمراء كبيرة جدّاً ليُظِلّ بها الطائفين حول البيت ، فنُصب بعضُها وأُخّر أكثرها متوقفاً على إذْن صاحب مصر ، ثم تنوسيت وتملّكها صاحب مكة لنفسه . (إنباء الغمر بأنباءالعمر ٢ / ٣٨٨) .

(١) رحلة ابن جبير ٦٣ .

(٢) الرحلة ـ ص ١٠٩ .

وأمـا القبّة التي فـوق القبّة الحـديد المقـام في جـوفهـا فـأظنّ أنّ الملك المسعـود صاحب اليمن ومكة أول من بناها ، والله أعلم .

ذِكـر ذَرْع ما بين المقـام والحجر الأسـود ومـا بين المقـام والـركن الشامي الذي يقال له العراقي

وما بين المقام وبين جدار الكعبة وشاذروانها المقابل للمقام
وما بين المقام وحجرة زمزم وصرف بئر زمزم الطيّبة المباركة

روينا عن الأزرقي بالسند المتقدّم في تاريخه أنـه قال : وذَرْع مـا بين الركن الأسود إلى مقـام ابراهيم عليه السلام تسعة وعشرون ذراعاً وتسعة أصابـع ، وذَرْع ما بين جدار[1] الكعبـة من وسطهـا إلى المقام سبـع[2] وعشرون ذراعـاً ، وذَرْع ما بين شـاذروان الكعبـة إلى المقـام ستّ[3] وعشـرون ذراعــاً ونصف ، ومن الـركن الشامي إلى المقام ثمانية وعشـرون ذراعاً وسبـع[4] عشرة أصبعـاً ، ثم قال : ومن المقام إلى صرف[5] بئر زمزم أربع[6] وعشرون ذراعاً وعشرون إصبعاً[7] انتهى .

ثم قال القاضي عزّ الدين بن جماعة فيما أخبرني به عنه خـالي : ومن صدر الشبّـاك الذي داخله المقـام إلى شاذروان الكعبـة عشرون ذراعـاً وثلثـا ذراع وثُمن ذراع يعني بذراع الحديـد المتقدّم ذكـره ، وقد حـرّرنا بعض مـا حرّره الأزرقي في هـذا المعنى ، فكان مـا بين ركن الكعبـة الـذي فيـه الحجـر الأسـود وبين الـركن اليماني من أركان الصندوق الذي فيه المقام من داخل الشبّاك الذي فيه الصنـدوق

---

(١) في أخبار مكة ٢/٨٥ « جلدر » .
(٢) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة « سبعة » .
(٣) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة « ستة » .
(٤) في أخبار مكة « تسع » .
(٥) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة « حرف »
(٦) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة « اربعة » .
(٧) أخبار مكة ٢/٨٥ و٨٦ .

Marfat.com

أربعة وعشرون ذراعاً إلا سُدس ذراع ، وكان ذَرْع ما بين وسط جدار الكعبة الشرقي إلى وسط الصندوق المقابل له اثنين وعشرين ذراعاً إلاّ ربع ذراع ، وكان ما بين ركن الكعبة الشامي الذي يلي الحِجْر بسكون الجيم وركن الصندوق الشامي ثلاثة وعشرون ذراعاً ، وكان مما بين ركن الصندوق الشرقي إلى ركن البيت الذي فيه بئر زمزم المقابل له خمسة عشر ذراعاً إلاّ ثُلُث ذراع ، وكلّ ذلك بذراع الحديد المتقدّم ذِكْره .

ذِكْر موضع المقام في الجاهلية والإسلام

وما قيل في ذلك وردّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه له إلى موضعه وهذا حين غيَّره السيل عنه

روينا عن الأزرقي بالسند المتقدّم إليه قال: حدّثني جدّي قال: حدّثنا عبدالجبّار ابن الورد قال : سمعت ابن أبي مليكة يقول : موضع المقام هو هذا الذي هو به اليوم هو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، إلاّ أنّ السيل ذهب به في خلافة عمر فجُعل في وجه الكعبة حتى قدم عمر فردّه بمحضر من الناس ، وذكر الأزرقي ما يوافق قول ابن أبي مليكة في موضع المقام عن عمرو بن دينار وسفيان بن عُيَيْنة[1] .

وروى الفاكهي عن عمرو بن دينار وسفيان بن عُيَيْنَة مثل ما حكاه عنهما الأزرقي بالمعنى . ونقل المحبّ الطبري في « القرى » عن مالك ما يخالف ذلك لأنه قال : وقال مالك في المدوَّنة : كان المقام في عهد إبراهيم عليه السلام في مكانه اليوم وكان أهلّ الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السَّيل ، فكان كذلك في عهد النبيّ ﷺ وعهد أبي بكر ، فلما ولي عمر ردّه بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حين أخّروه انتهى ، ثم قال المحبّ : وفي هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره

---

(١) أخبار مكة ٢/٣٣ .

الأزرقي عن ابن أبي مليكة وسياق لفظ حديث جابر الصحيح الطويل وما رُوي نحوه شهد لترجيح قول ابن أبي مليكة ، وذلك قوله ثم تقدّم إلى مقام ابراهيم وقرأ ﴿ واتَّخِذُوا مِنْ مقامِ إبراهيمَ مُصلًّى ﴾ فجعل المقام بينه وبين الكعبة والمتبادر إلى الفهم منه عند سماع هذا اللفظ أنه لم يكن حينئذ ملصقاً بالبيت لأنه لا يقال في العُرْف تقدّم إلى كذا فجعله بينه وبين كذا إلاّ فيما يمكن أن يقدّمه أمامه وأن يخلفه خلفه وإن كان ملصقاً تعيّن التقديم لا غير ، انتهى باختصار .

وقد ذكرنا في أصل هذا الكتاب بقية كلام المحبّ وكلاماً لمالك في المعنى وبيّناً ما فيه الصواب ، والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة في مغازيه ، وأبو عَرُوبة في الأوائل له والفاكهي في كتابه ما يوافق ما ذكره مالك في أنّ المقام كان في وجه الكعبة لاصقاً في الجاهلية . قال موسى بن عقبة فإن قال فيما رويناه عنه وكان زعموا أنّ المقام لاصق في الكعبة فأخّره رسول الله ﷺ في مكانه هذا ، انتهى .

ذكر موسى بن عقبة في مغازيه ، وأبو عَرُوبة فإنه قال فيما رويناه عنه : حدّثنا سلمة قال : حدّثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال : كان المقام إلى جنب البيت ، وكانوا يخافون عليه من السيول ، وكان الناس يصلّون خلفه . انتهى باختصار لقصة ردّ عمر للمقام إلى موضعه الآن ، وما كان بينه وبين المطلّب بن أبي وداعة السهمي في موضعه الذي حرّره المطلّب . وقال أبوعَروبة أيضاً : حدّثنا سلمة قال : حدّثنا عبد الرزاق قال : إنّ ابن جُرَيْج قال : سمعت عطاء وغيره من أصحابنا يزعمون أنّ عمر رضي الله عنه أول من رفع المقام فوضعه في موضعه الآن ، وإنّما كان في قبل الكعبة ، انتهى .

وأما الفاكهي فقال : حدّثنا عبد الله بن أبي سلمة قال : حدّثنا عبد الجبّار بن سعيد عن ابن أبيْ سبرة عن موسى بن سعيد عن نوفل بن معاوية الديلي قال : رأيت المقام في عهد عبد المطلّب ملصقاً بالبيت مثل البهاه ، وروى الفاكهي

Marfat.com

بسنده إلى عبد الله بن سلام خبراً فيه أذان إبراهيم على المقام للناس بالحجّ فلما فرغ أمر بالمقام فوضعه قبلته فكان يصلّي إليه مستقبل الباب ، وفيه أنّ النبيّ ﷺ قدم مكة من المدينة فكان يصلّي إلى المقام وهو ملصق بالكعبة حتى توفي رسول الله ﷺ . وقال الفاكهي : حدّثنا الزبير بن أبي بكر قال : حدّثنا يحيى بن محمد بن ثوبان عن سليم عن ابن جُرَيْج عن عثمان بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير أنه كان قال : المقام في وجه الكعبة وإنّما قام إبراهيم عليه حين ارتفع البنيان ، فأراد أن يشرف على البناء قال : فلما كثر الناس خشي عمر بن الخطاب أن يطئوه بأقدامهم فأخّره إلى موضعه الذي هو به اليوم حذاء موضعه الذي كان قدّام الكعبة . وقال الفاكهي : حدّثنا يعقوب بن حميد بن كاسب قال : حدّثنا عبدالعزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه قال عبدالعزيز أراه عن عائشة أنّ المقام كان في زمن النبيّ ﷺ إلى سقع البيت . قال الفاكهي : وقال بعض المكيين كان بين المقام وبين الكعبة ممرّ العنز . انتهى .

وليس فيما ذكره مالك وابن عقبة وأبو عَرُوبة والفاكهي من كون المقام كان عند الكعبة بيان موضعه عند الكعبة ، إلاّ أنّ في الخبر الذي رواه الفاكهي عن سعيد بن جبير مما يفهم منه تقريب بيان موضع[4] المقام عند الكعبة لأنّ فيه ما يقتضي أنّ موضعه الآن هذا[1] موضعه الذي كان به قدّام الكعبة والمقام الآن في جوف الصندوق الذي في جوف الشبابيك الأربعة المتقدّم ذِكْرها ، ويحاذي الصندوق الذي فيه المقام من وجه الكعبة ذراعان بالحديد ونحو خمسة قراريط بذراع الحديد أيضاً المقدَّم ذكره ، والذراعان هما نصف الحفرة المرخّمة الملاصقة لشاذروان الكعبة ، ونصف الحفرة المشار اليه هنا هو النصف الذي يلي الحِجْر بسكون الجيم ، وما زاد على الذراعين من القراريط التي هي كمال ما يحاذي الصندوق الذي فيه المقام وهي إلى طرف الحفرة بما[2] يلي الحِجْر

---

(١) في النسخة (ك) حذاء .

(٢) في النسخة (ك) مما .

Marfat.com

بسكـون الجيم وإذا كان كـذلك فيكـون موضـع المقـام عنـد الكعبـة تخمينـاً والله أعلم .

وفيمـا بين نصف الحُفْرة ممـا يلي الحِجْر بسكـون الجيم والقراريط الـزائدة على الـذراعين ، لأنّ ذلك يحـاذي الصندوق الـذي فيـه المقـام الآن ، وإذا كـان كذلك فهو يوافق قول من قال إنّ موضع المقام الآن حذاء موضعه عنـد الكعبة والله أعلم .

وذكر الفقيه محمد بن سُرَاقة العامـري في كتابـه « دلائل القبلة » في مـوضع المقام عند الكعبة ما يخالف قول من قال : إن موضعـه الذي بحـذاء موضعـه عند الكعبة ، ونصّ ما ذكـره ابن سراقـة : ومن الباب يعني بـاب البيت إلى مُصَلَّى آدم عليه السلام حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليـه التوبـة ، وهو مـوضع الخلوق من إزار الكعبة أرجح من تسعة أذرع ، وهناك كـان موضـع مقام إبـراهيم عليه السـلام وصلّى النبي ﷺ عنده حين فرغ من طوافه ركعتين ، وأنزل الله عليه ﴿ واتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إبراهيم مصلًى﴾ ، ثم نقله صلّى الله عليه وسلّم إلى الموضـع الذي هـو فيه الآن ، وذاك على عشرين ذراعاً من الكعبة لئلاّ ينقطع الطواف بالمصلّين خلفـه أو يتـرك الناس الصـلاة خلفه لأجـل الطواف حين كثـر الناس وليـدور الصفّ حول الكعبـة ويُرَى الإمـام من كل وجـه . ثم حمله السيل في أيـام عمر وأخـرجـه من المسجد ، فأمر عمر رضي الله عنه بردّه إلى موضعه الذي وضعه رسول الله ﷺ فيه وبين موضع الخلوق وهو مصلّى آدم وبين الركن الشامي ثمانية أذرع ، انتهى .

وقد سبق بعض ما ذكرناه عن ابن سُـرَاقة في البـاب الثامن من هـذا الكتاب عنـد بيـان مصلًّى آدم عليـه السـلام ، وهـذا يقتضي اتخـاذ مـوضـع مصلًّى آدم ، ومـوضع الخلوق ، ومـوضع المقـام عند الكعبـة ، وهـو على مقتضى مـا ذكـر ابن سُرَاقة في ذَرْع ما بينه وبين ركن الكعبة الذي يلي الحِجْـر بسكون الجيم ، يكـون على ذراعين وثُلُثَي ذراع بـالحـديـد من طـرف الحُفْـرة إلى جهـة الحِجْـر بسكـون الجيم ، وعلى هذا فيكون موضع المقام عند الكعبة خارجـاً عن الحفرة في مقـدار

Marfat.com

ذراعين وثُلُثَيْ ذراع ، وعلى مقتضى ما قيل من أنّ موضعه اليوم حذاءه وضعه عند الكعبة يكون موضعه عند الكعبة في مقدار نصف الحُفْرة التي تلي الحجر بسكون الجيم ، والله أعلم بالصواب .

وأما الموضع الذي رُبط فيه المقام عند الكعبة لما ذهب به السيل ، فقد بيّنه الفاكهي لأنه قال : فصل وذُكِر عن بعض المكّيين ، أنّ الموضع الذي رُبط عنده المقام في وجه[1] الكعبة بأستارها إلى أنّ حجّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فردّه ، وذلك أن يصدّ الطائف من الحجر الشامي في حجارة شاذروان الكعبة إلى أن يبلغ الحجر السابع ، فإذا بلغ الحجر السابع فهو موضعه ، وإلاّ فهو التاسع من حجارة الشاذروان أيضاً ، انتهى .

وذكر الفاكهي في موضع آخر من كتابه ما يقتضي أنّ هذا علامة للموضع الذي ذكر عبد الله بن السائب المخزومي أنه رأى النبيّ ﷺ يصلّي عنده يوم فتح مكة ، وذكر الأزرقي مثل ذلك[2] ، والله أعلم .

وما ذكره ابن سُرَاقة من أنّ النبيّ ﷺ ردّ المقام إلى موضعه الآن ، يشهد له ما ذكره ابن عُقْبَة ، وما سأذكره مخالف لِما ذكره سعيد بن جبير وعطاء وغيرهم من أنّ عمر رضي الله عنه أول من ردّه إلى موضعه الآن .

وذكر الفاكهي خبراً يقتضي أنّ الوُلاة حَوَّلَتْه إلى مكانه هذا ، وهذا يُفهم أنّ الذي ردّه غير عمر رضي الله عنه فيتحصّل فيمن ردّه إلى موضعه الآن ثلاثة أقوال ، أحدها أنه النّبي ﷺ ، والثاني أنه عمر ، والثالث غير عمر ، والله أعلم . والمشهور أنه عمر ، وردّ الخبر الذي ذكره الفاكهي عن سعيد بن جبير ما يفهم أنّ ردّ عمر للمقام إلى موضعه الآن لئلا تطئوه[3] الناس ، والمعروف أنّ ردّ عمر له

---

(١) ناقصة من (ك) .

(٢) أخبار مكة ٢ / ٣٤ .

(٣) في النسخة (ك) يظنه ، وهو تصحيف .

Marfat.com

إلى موضعه الآن لكون السيل المعروف بسيل أم نهشل أزاله عن موضعه الأول ، والله أعلم .

وذكر الفاكهي خبراً يقتضي أنّ رجلاً من آل عابد بن عبد الله بن مخزوم قال : قال لعمر إنه يعلم موضع المقام الأول ، والمعروف أنّ الذي قال ذلك لعمر هو المطلّب بن أبي وداعة السهمي ، كما ذكر الأزرقي[1] والفاكهي وغيرهما ، والله اعلم .

وما ذكره ابن سُرَاقة في ذَرْع ما بين موضع المقام الآن ، ووجه الكعبة لا[2] يستقيم ، لنقص ما ذكره ابن سُرَاقة في ذلك عما ذكره الأزرقي فيه نقصاً كثيراً ، والذراع الذي حرَّر به ابن سُرَاقة ذراع اليد ، وكذلك الأزرقي ، وفيما ذكره ابن سُرَاقة نظر من غير هذا الوجه ، وذكر ابن جبير في أخبار رحلته ما يقتضي أنّ الحفرة المرخّمة التي في وجه الكعبة علامة موضع المقام في عهد الخليل عليه السلام ، إلى أن ردّه النبيّ ﷺ إلى الموضع الذي هو الآن مصلّى[3]. وفي هذا نظر ، لأنّ موضع المقام الآن هو موضعه في عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف عُلم في ذلك ، وأما الخلاف ففي موضعه اليوم ، هل هو موضعه في زمن النبي ﷺ كما ذكر ابن أبي مليكة أولا[4] كما قال مالك ، والله أعلم .

وفي كلام ابن جبير نظر من وجه آخر بيّناه في أصل هذا الكتاب ، والله أعلم ، ولم أر في تاريخ الأزرقي ذِكر السنة التي ردّ فيها عمر المقام إلى موضعه هدا لما غيَّره عنه السيل[5] ، وهو سنة سبع عشرة من الهجرة على ما ذكره ابن جرير[6] وكذا ابن الأثير في كامله[7] ، وقيل سنة ثمان عشرة ، ذكره ابن حمدون في تذكرته ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) أخبار مكة ٢/٣٣ .
(٢) في النسخة (كِ) : « لأنه ».
(٣) رحلة ابن جبير ٦٢
(٤) في النسخة (ك) أولى .
(٥) أخبار مكة ٢/٣٥ .
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٤/٦٨ .
(٧) الكامل في التاريخ ٢/٥٣٧ .

Marfat.com

ذكر شيء من فضل المقام

لا شكّ أنّ فضل المقام مشهور ثابت بنصّ القرآن العزيز والسُّنّة الشريفة المصحيحة ، فأما القرآن فقوله تعالى : ﴿ فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيمَ ﴾ الآية . والمراد بالمقام في هذه الآية هذا المقام على الصّحيح المشهور ، وقيل : المراد مناسك الحجّ كلها . وقيل : عَرَفة وقيل : المُزْدَلِفَة ، وقيل الحَرَم كلّه . وأما السُّنّة فتقدّم لنا في فضل الحجر الأسود حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنّة طمس الله نورهما ، ولولا أنْ طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب .

وروينا في تاريخ الأزرقي عن مجاهد قال : يأتي الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة .

ما جاء في هلاك من تعرض له بسوء

قال الفاكهي : وقال بعض الناس : إنّ رجلاً كان بمكة يقال له جُرَيْج يهودي أو نصراني ، فأسلم بمكة فقصد المقام ذاتَ ليلة فطُلب فوُجد عنده ، أراد أن يخرجه إلى ملك الروم ، قال : فأُخذ منه وضرِبت عنق جُرَيْج ، انتهى .

وكان ابو طاهر القرمطي يريد أخْذَه فلم يظفر به ، لأنّ سَدَنَة المسجد غيّبوه في بعض شِعاب مكة ، ولا يزال هذا المقام محروساً بحراسة الله تعالى إلى حين رفعه إلى الجنة ، كما هو مقتضى حديث عائشة الذي رويناه في تاريخ الأزرقي ، وقد سبق في فضل الحجر الأسود ، وحكم المقام مخالف حكم الحجر الأسود التمسّح به واستلامه وتقبيله ، فإنّ ذلك غير مطلوب في المقام على ما ذكره العلماء ، وفي تاريخ الأزرقي[1] ومنسك القاضي عزّ الدين بن جماعة ما يدلّ لذلك ، والخير في إتّباع قول العلماء .

---

(١) أخبار مكة ٢/٢٩ .

Marfat.com

الباب السابع عشر

في ذكر شيءٍ عن "١" أخبار الحجر المكرم حجر اسماعيل عليه السلام

وفيه بيان الموضع الذي صلّى فيه النبيّ حول الكعبة

روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : حدّثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن ابن إسحاق قال في أثناء خبر بناء الخليل عليه السلام للكعبة وجعل إبراهيم عليه السلام الحجر إلى جنب البيت عريشاً من أراك تقتحمه العنز ، وكان زرباً لغنم إسماعيل[٢] ، انتهى .

وقد تقدّم في خبر عمارة الكعبة أنّ قريشاً أدخلت في الحجر أذْرُعاً من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التي أعدّوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ، وأنّ عبد الله بن الزبير أدخل ذلك في الكعبة حين عمّرها ، وأنّ الحجّاج أخرج ذلك منها ، وردّه كما كان عليه في عهد قريش والنبيّ ﷺ ، واستمرّ الحال على ذلك إلى الآن ، وصار بعض الحجر من البيت[٣] وبعضه ليس منه[٤] . ويدلّ لذلك ما رويناه في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت :

---

(١) في النسخة (ك) من .
(٢) أخبار مكة ١/٦٤ و ٦٥ .
(٣) في النسخة (ك) من الكعبة .
(٤) في النسخة (ك) منها .

Marfat.com

قال رسول الله ﷺ : يا عائشة لولا أنّ قومك حديثوا عهدٍ بِشْركٍ لهـدمت الكعبة ، فألزقتها بالأرض ، ولجعلت لها باباً شرقياً وبابـاً غربيـاً ، وزدت فيها ستّـة أذرع من الحجر ، فإنّ قريشاً استقصرتها حين بُنيت الكعبة ، وفي رواية فإنْ بدا لقـومك من بعـدي أن يبنوه ، فهلُمّي لأُريـك ما تـركـوا منـه فـأراهـا قـريبـاً من سبعـة أذرع . أخرجاه ، وفي مسلم عن [الوليد بن][1] عطاء فذكر شيئاً من حريق الكعبة وعمارة ابن الزبير لها ثم قال : قال ابن الزبير إنّي سمعت عائشة تقول : إنّ رسول الله ﷺ قال : لولا أنّ النـاس حديثٌ عَهْـدُهُمْ بكفرٍ وليس عنـدي من النفقة مـا يقوّي على بنائه لكنتُ أدخلت فيه من الحِجْر خمسة أذرع . قال عطاء : وزاد فيه خمسة أذرع من الحِجْر حتى أبدى أساسها ونظر إلى الناس فبنى عليه البناء[2] انتهى .

وذكر الفاكهي حديثاً فيه ما يقتضي : أنّ الـذي تركتْـه قريش من الكعبـة في الحجر أربعة أذرع ، لأنه روى حديثـاً قال فيـه : ولقد دخله رسـول الله ﷺ ، فلما رأى بنيانه قال النبيّ ﷺ لعائشة لولا حداثة قـومك بـالكفر لهـدمته وبنيتـه على بناء إبراهيم ، ولجعلت له بابين ولأدخلت أربعة أذرع من الحجر فيه ، وذلـك أنّ أربعة أذرع من الحجر من البيت . انتهى . وفي إسناد هذا الحديث من لا أعـرفه وإنّمـا ذكـرناه لغـرابته ، وسيـأتي في مقدار مـا تركتـه قريش من الكعبـة في الحجـر غيـر ذلك .

والأحاديث الصحيحة التي أشرنا إليهـا تقتضي أنّ بعض الحجر من البيت لا كلّه كمـا قال بعضهم فيمـا حكاه المحبّ الـطبري ، وتمسّـك قائـل ذلـك بمـا في الصحيحين من حـديث عائشـة قالت : سـألت النبيّ ﷺ عن الحجـر أمن البيت ؟

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل ، إذ أن مسلم يـروي قصة بنـاء البيت عن الوليـد بن عطاء بن خبّـاب الحجازي . (أنـظر عنه : التـاريخ الكبيـر ٨/١٤٨ ، ١٤٩ ، الجرح والتعـديل ٩/١٠ رقم ٤٥ ، ميـزان الإعتـدال ٤/٣٤٢ رقم ٩٣٨٨ ، تهـذيب التهـذيب ١١/١٤٣ رقم ٢٣١ ، تقـريب التهذيب ٢/٣٣٤ رقم ٧٣) .

(٢) أنـظر صحيح مسلم رقم ١٣٣٣ في الحـج باب نقض الكعبـة وبنائهـا ، ففيـه اختـلاف يسيـر ببعض الألفاظ .

Marfat.com

قال : نعم . قلت : فما لهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال : إنّ قومك قصرت بهم النفقة ، الحديث انتهى . وحديثها هذا لا يعارض أحاديثها التي ذكرناها لأنّ حديثها هذا مطلق وأحاديثها الأخرى مقيّدة ، والمطلق يحمل على المقيّد ، وقد أشار إلى ذلك هنا الشيخ محبّ الدين الطبري لأنه قال : والأصحّ أنّ القصر[1] الذي فيه من البيت سبعة أذرع ، وقد جاء مصرَّحاً به في الحديث عن عائشة فذكر عنها ما سبق بالمعنى مختصراً . ثم قالت : فيحمل المطلق فيما تقدّم على هذا ، وإطلاق إسم الكلّ على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن ، ذكر ذلك في شرحه للتنبيه ، وقال في « القرى » بعد أن ذكر ما استدلّ به : من يرى أنّ الحجر من البيت ، ومن يرى أنّ بعضه من البيت : وفي هذه الأحاديث دلالة على أنّ بعض الحجر من البيت ومن يرى حمل المطلق على المقيّد يقول : مطلق هذه الأحاديث المتقدّمة في الفصل قبله منزلة على هذا ومن لا يراه عمل بها انتهى .

قلت : يدلّ لمجمل حديث عائشة المطلق على أحاديثها المقيّدة ، أنّ العلّة في حديثها المطلق هي العلّة في أحاديثها المقيّدة . وهي ترك قريش بعض الكعبة في الحِجْر حين قصّرت بهم النفقة : وأما قوله ﷺ في حديث عائشة المطلق : ولولا أنّ قومك حديث عهد بجاهلية ، فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الحِجْر في البيت ، فإنّ حال من قال بأنّ الحجر كلّه من البيت لا يخلو من أمرين : إما أن يقول إنّ النبيّ ﷺ أشار بقوله هذا إلى إدخال بعض الحجر في البيت ، أو جميعه . فإن قال بالأول ، فقد ناقض قوله إنّ الحجر كله من البيت ، وإن قال الثاني ففي صحّة ذلك نظر لأنّ في رواية البخاري عن عائشة : أنّ النبيّ ﷺ قال : لولا أنّ قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهُدِم ، وأدخلت فيه ما أُخرِج منه ، وجعلت له باباً شرقياً ، وباباً غربياً ، وبلغت به أساس إبراهيم[2] .

---

(١) في النسخة « ك » : القدْر .

(٢) رواه البخاري ١/١٩٨ و ١٩٩ في العلم ، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه ، وفي الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ، وفي الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ ، وفي تفسير سورة البقرة ، باب قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ﴾ ، وفي التمنّي ، باب ما يجوز من اللّو .

Marfat.com

وهـذه الـروايـة تقتضي أنّ النبيّ ﷺ يختـار ردّ البيت إلى أسـاس إبـراهيم . وأسـاس إبراهيم الـذي أشار إليـه النبيّ ﷺ هـو الـذي أدخلتـه قـريش في الحِجْـر لقصور النفقة عليهم كمـا سبق بيانـه ، لأنه لا خـلاف بين أهل العلم بـالتاريـخ أنّ البيت كان مبنياً في عصر النبيّ ﷺ على أساس إبراهيم من جميع جوانبه ، إلاّ من جهة الحِجْر كما سبق بيانه . فيكون ﷺ أشار بقوله هذا إلى أسـاس إبراهيم الـذي أدخلته قريش في الحِجْر ، وهو الأساس الذي بنى عليـه ابن الزبيـر كما تقـدّم في حديث عطاء في صحيح مسلم ، وذكره الأزرقي في خبر بناء ابن الزبير للكعبة لأنّ فيه : فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسـوّاها بـالأرض كشف عن أساس إبـراهيم عليه السلام فوجده داخلاً في الحجر نحواً من ستّة أذرع وشبر ، كأنّها أعناق الإبل آخـذ بعضها بعضاً كتشبيك الأصابع بعضها ببعض يتحرّك[1] الحجر من القواعد بتحـرّك الأركان كلّها ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم فـأشهدهم على ذلك الأساس ثم قال : ثم وضع البناء على ذلك الأساس[2] . انتهى .

« قلت » : ويـدلّ لذلـك أيضاً مـا في بعض طرق الأحـاديث ، أي أحـاديث عائشة المطلقة من أنّ النبيّ ﷺ أرى عائشة مقـدار ما تـركته قـريش من الكعبة في الحِجْـر ، ولو كـان كلّه من البيت لم يكن لإيرائـه ﷺ ذلك لعـائشة فـائـدة ، والله أعلم .

واختـلاف الروايـات عنها في قـدْر ما في الحِجْـر من الكعبة لا يقتضي تـرك العمل بما رُوي عنهـا من أنّ بعض الحِجْر من البيت ، وإنّمـا يقتضي أن يعمل في مقدارها[3] في الحِجْر من الكعبة ، فأكثروا الـروايات في ذلـك ، وهي نحو سبعـة أذرع كما في الصحيحين والله أعلم . وإنّما نبّهنـا على ذلك لأنّ كـلام الشيخ تقيّ الدين ابن الصلاح يوهم خلاف ذلك على ما نقله عنـه النووي في « الإيضـاح » ،

---

(١) في النسخة (ك) يحرك ، وكذا في أخبار مكة .
(٢) أخبار مكة ١/٢٠٦ و ٢٠٧ .
(٣) في النسخة (ك) : ما . وهو الصحيح على الأرجح .

Marfat.com

ونصّ كلامه : وأما حديث عائشة فقد قال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح قد اضطربت فيه الروايات ففي رواية في الصحيحين الحِجْر من البيت ، ورُوي ستّة أذرع من الحجر من البيت ، ورُوي ستّة أذرع أو نحوها ، ورُوي خمسة أذرع ، ورُوي قريباً من سبع ، قال : وإذا اضطربت الروايات تعيّن الأخذ بأكثرها ليسقط الفرض بيقين ، انتهى .

وهذا من ابن الصلاح والنووي [يدل][1] على أنّ الطواف لا يصحّ إلاّ من وراء الحِجْر جميعه ، وذكر النووي أنّ هذا المذهب هو الصحيح ، وعليه نصّ الشافعي قال : وبه قَطَعَ جماهير العلماء من أصحابنا وهذا هو الصواب ، لأنّ رسول الله ﷺ طاف خارج الحِجْر ، وهكذا الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة فمن بعدهم ، انتهى .

« قلت » : يمكن الاستدلال عن استدلال النووي بطواف النبيّ ﷺ خارج الحِجْر على وجوب الطواف من خارج الحِجْر ، وذلك أنّ الأفعال الصادرة من النبيّ ﷺ في حجّه لا تخلو من أمرين : أحدهما أن يكون فعلها أجمع مطلوباً على سبيل الوجوب والإخلال بشيء منها مُبْطِل للحجّ ، والآخر أن يكون فعلها مطلوباً ، ولكنّ بعضها يطلب وجوباً وبعضها يطلب نَدْباً ، وتمييز الواجب من المندوب دليل خارج . والأول لا سبيل إليه ، والثاني حقّ ، وإذا تقرّر ذلك فطواف النبيّ ﷺ من وراء الحجر لا يكون دليلاً على وجوب الطواف هكذا لما وقع من التزام أنّ بعض أفعاله ﷺ في الحجّ واجب وبعضها ليس بواجب ، ولا يمكن أن يقوم دليل على وجوب الطواف خارج الحِجْر إذا قطع النظر عن الاستدلال بطواف النبيّ ﷺ هكذا إلاّ أن يكون حديث عائشة : الحِجْر من البيت . وفي الاستدلال به نظر لما تقدّم بيانه من أنه مطلق عمل على أحاديثها المقيّدة التي بين النبيّ ﷺ فيها مقدار ما في الحِجْر من البيت ، كما سبق بيانه ، فبان بهذا الانفصال عن استدلال النووي على وجوب الطواف من خارج الحِجْر

---

(١) إضافة على الأصل لتوضيح المعنى .

Marfat.com

بطواف النبيّ ﷺ . هكذا لعدم نهوض الدلالة من فعله ﷺ .

هـذا ويُحتمـل ـ والله أعلم ـ أن يكـون طـواف النبيّ ﷺ من وراء الحِجْـر لأمـرين : أحـدهمـا أنّ في ذلـك حسمـاً لمـادّة فسـاد يقـع في طـواف كثيـر من الـطائفين ، وذلك أنّ البيت من جهـة الحِجْـر لم يكن على قـواعـد إبـراهيم عليـه السلام ، لترك قريش جانباً من البيت في الحِجْر ، والواجب على الطائف الخروج عنه ، فلو طاف النبيّ ﷺ في الحِجْـر خـارجـاً عمـا فيه من البيت لاقتـدى به في ذلـك من لا يعرف مقـدار ما في البيت من الحِجْـر ، فيفسد عليـه لكونـه طاف من البيت ولم يطف به . الأمر الثاني أنّا لو جـوَّزنا السـلامة من هـذا المحذور لمعـرفة جميع الخلق بمقدار ما في الحِجْر من البيت لكـان في طوافـه ﷺ من وراء الحِجْر حكمة حسنة من وجهين : أحـدهما الـراحة من تسـوّر الحِجْر فـإنّ قريشـاً أحاطت عليه جداراً كما في خبر بنائهم للكعبة ، والآخر أنّ في ذلك حسمـاً لمادّة فسـاد ، وهو أنّ النساء يتسوَّرْن الحِجْر في الطواف كالرجال وفي تسـورهن كشْفٌ لهنّ وهنّ مأمورات بالصيانة ، فرأى ﷺ أن يـطوف من وراء الحِجْر لمـا في ذلك من الـراحة لأمته ديناً ودنيا ، ومثل هذا يقال في طواف الخلفاء وغيرهم من وراء الحِجْر ، وإذا تقرّر أنّ طوافه ﷺ من وراء الحِجْر لهذا المعنى فيكُون الطواف هكذا مـطلوباً نـدباً متأكّداً لا وجوباً لعدم نهوض الدلالة على وجوبه هكذا في[1] طوافـه ﷺ كما سبق بيانه ، فإن خالف الإنسان وتسوّر جدار الحِجْر وطاف في الحِجْر فيمـا ليس فيه من الكعبة خصوصـاً على رواية سبعـة أذرع أو نحوهـا أو ستّة أذرع ففي الجـزم بفساد طوافه نظر كثير لا ينهض عليه دليل .

وقـد قال بصحّـة طواف من طـاف في الحِجْر وجعـل بينه وبين الكعبـة ستـة أذرع جمـاعـة من كبـار العلمـاء منهم أبـو محمـد الجـويني وابنـه إمـام الحـرمين والبَغَـوي ، وذكر الـرافعي أنّ هذا المـذهب هو الصحيـح ، وقـال بـه اللّخْمي من

---

(١) في النسخة (ك) : من .

Marfat.com

أصحابنا المالكية ، وجزم به الشيخ خليل الجندي في مختصره الـذي صنّفه لبيـان ما به الفتوى ، وتلميذه شيخنا القاضي تاج الدين بهرام المالكي في شامله ، ويدلّ لـذلـك روايـة عـائشـة التي فيهـا أنّ ستّـة أذْرُع من الحِجْـر من البيت وهي في الصحيحين كما سبق بيانه . والله أعلم .

ذكـر موضـع الحِجْر وصفتـه وشيء من خبر عمـارته وذرْعـه وذرْع جداره من داخله وخارجه

وأما موضع الحِجر فهو ما بين الركن الشامي الذي يقال لـه العراقي والـركن الغـربي ، وأما صفتـه فهو عـرضه مـرخّمة[1] لهـا جدار منقـوش على صورة نصف دائرة . وأما خبر عمارته فذكر الأزرقي أنّ المنصور العبـاسي لما حـجّ دعا زيـاد بن عُبَيْد الله الحارثي أمير مكة فقال : إنّي رأيت الحِجْر حجارته بـادية ، فـلا أصبحنّ حتى يستر[2] جدار الحِجْر بالرخام . فدعا زياد بالعمال فعملوه على السَّرْج قبل أن يصبح ، وكان قبـل ذلك مبنيـاً بحجارة بـادية ليس عليـه[3] رخام . قـال : ثم كان المزديّ بعد ذلك قد جدّد رخامه[4] وذكر الأزرقي أنّ رخام الحِجْر الـذي عُمل في زمن المهـدي لم يزل فيـه حتى رثّ في خـلافـة المتـوكـل ، فقُلع وأُلبس رخـامـاً حسناً ، وذكر أنّ ذلك في سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وأنّ ترخيمه زمن المهـدي في سنـة إحدى وستين ومـائة[5] ولم يـذكر السنـة التي أمر المنصـور بعمل رخـامه فيها . وأرّخ ذلك السنة التي حجّ فيها المنصور ، وهـذا لا يفيد معـرفة السنـة التي

---

(١) الجملة مضـطربة وبهـا نقص . وفي أخبار مكـة ، بعنوان : صفـة الحجر وذرعـه . قال أبـو الـوليـد (الحجـر مدوّر وهـو ما بين الـركن الشامي والـركن الغربي ، وأرضـه مفروشـة بـرخـام وهـو مستوٍ بالشاذروان الذي تحت إزار الكعبة ، وعرضه من جُـدُر الكعبة من تحت الميـزاب إلى جُدُر الحِجْـر سبعة عشر ذراعاً وثمان أصابع الخ) . ج ١/ ٣٢٠) .

(٢) في النسخة (ك) حتى تستر .

(٣) في أخبلر مكة (عليها) .

(٤) أخبار مكة ١/ ٣١٣ .

(٥) أخبار مكة ١/ ٣١٣ و ٣١٤ وكان ذلك على يد جعفر بن سليمان بن علي أمير مكة والمدينة .

فعل فيها ذلك ، لأنّ المنصور حجّ وهو خليفة أربع حجّات على ما ذكـره العتيقي في تسمية أمراء الموسم في سنة أربعين ومـائة ، ثم في سنـة أربعٍ وأربعين ومـائة ثم ، في سنة سبعٍ وأربعين ومائة .

وتوجّه إلى الحجّ في سنة ثمانٍ وخمسين ، فمات[1] قبل أن يدخل مكة بعـد أن أشـرف عليها . وإن كـان حجّ بـالناس في الثـلاث السنين المتقدّمـة ، لم يكن تعريف عمارته بالسنة التي حجّ فيهـا تعريفـاً تامـاً ، والظاهـر ـ والله أعلم ـ أنّ ذلك وقع في سنة أربعين ومائة ، لأنّ في هذه السنة كان الفراغ من عمارة المسجد التي أمر بعملها المنصور على يدي زياد المذكور كما ذكره الأزرقي في ذلك .

وعمّـر المعتضد العبـاسي الحِجْر أيضـاً في خلافتـه في سنة ثـلاث وثمـانين ومائتين ، على ما ذكـره إسحاق بن أحمـد الخزاعي راوي تـاريخ الأزرقي وألحقـه فيه، وعُمِّر أيضـاً في أول خلافة النـاصـر العبـاسي وذلـك في سنـة ستّ وسبعين وخمسمائة ، وعمـره أيضاً المستنصـر العباسي ، وكـذلك الملك المـظفّر صـاحب اليمن . وكـذلك الملك النـاصر محمـد بن قلاوون ، واسم هـذين الملكين واسم المستنصر العباسي مكتـوب في رخام في أعلى الحِجْـر . وفي الرخـامة التي فيهـا خبر عمارة الملك النـاصر أنّ ذلـك سنة عشـرين وسبعمائـة ، وعُمِّر أيضـاً في دولة الملك المنصـور علي بن الملك الأشـرف شعبـان بن حسين بن الملك النـاصـر محمد بن قلاوون بأمر الأميرين : بركة ، وبرقوق[2] مدبّري دولته ، في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة ، ثم عُمِّر في سنة إحدى وثمانمائـة في العمارة التي أمـر بعملها الملك الـظاهر بـرقوق واسمـه مكتوب بسبب ذلـك ، وذلك في رخـامـة في أعلى الحِجْر ، وفي فتحة الحِجْـر الشرقيـة ، وفي الفتحة الأخـرى ذكر بعض العـامة في تاريخ العمارة وهو مستهلّ شهر رمضان سنة إحدى وثمانمائة . وعُمّر في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة كثير من رخامه عمارة جيّدة بالجبس لتداعي ذلك إلى السقوط ، وذلك في رجب وشعبان من هذه السنة ، وغالب ذلك في جُـدُر الحِجْر ، ثم عُمِّـر

(١) يذكر المسعودي أن المنصور حجّ أيضاً سنة ١٥٢ هـ . (مروج الذهب ٤/٤٠٢) .
(٢) هو الذي أصبح سلطاناً ولُقّب بالظاهر . أنظر عنه وعن بركة (الضوء اللامع ٣/١٠ ـ ١٢) .

Marfat.com

كثير من رخامه في جداره في ظاهره وباطنه وأعلاه وفي أرض الحِجْر ، وذلك من المحرّم سنة ستّ وعشرين وثمانمائة عمارة حسنة بالجصّ بأمر متولّي العمارة صاحبنا الأمير زين الدين مقبل القديدي أثابه الله تعالى .

وقد خفي علينا شيء كثير من خبر عمارة الحِجْر من دولة المعتضد العباسي إلى خلافة الناصر ، فإنه لا[1] يبعد أن يخلو في هذا الزمن الطويل من عمارة ، والله أعلم ، وممّن عمّره الوزير جمال الدين المعروف بالجواد ، وذلك في عُشْر الخمسين وخمسمائة ظناً ، والله أعلم .

وأما ذَرْعُه فقد ذكره الأزرقي وابن جماعة ، فقال الأزرقي فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : عرضه من جدار الكعبة من تحت الميزاب إلى جدار الحِجْر سبعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع ، وذرع ما بين بابي الحِجْر عشرون ذراعاً ، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً ، وذرْع الجدار من داخله في السماء ذراع وأربع عشرة أصبعاً ، وذرْعه مما يلي الباب الذي يلي المقام ذراع وعشر أصابع ، وذرْع جدار الحِجْر الغربي في السماء ذراع وعشرون أصبعاً ، وذرع طول الحجر من خارج مما يلي الركن الشامي ذراع ، وذرْعه مما يلي الباب الذي يلي المقام ذراع وعشر أصابع ، وذرْع وستّ عشرة أصبعاً ، وطوله من وسطه في السماء ذراعان وثلاث أصابع[2] ، وعرض الجدار ذراعان إلاّ أصبعين[3] وذرْع باب الحِجْر الذي يلي المشرق مما يلي المقام خمس أذرع وثلاث أصابع ، وذرْع باب الحِجْر الذي يلي المغرب سبع أذرع ، وذرْع تدوير الحِجْر من داخله ثمانية وثلاثون ذراعاً ، وذرْع تدوير الحِجْر من خارج أربعون ذراعاً وستّ أصابع . انتهى كلام الأزرقي[4] .

وأخبرني خالي عن ابن جماعة قال : ذَرْع دائر الحِجْر من داخله إلى الفتحة إحدى وثلاثون وثُلث . ومن خارجه من الفتحة إلى الفتحة سبع وثلاثون ونصف

---

(١) لا ـ ليست موجودة في نسخة (ك) .

(٢) يضيف الأزرقي هنا قوله : « الرخام من ذلك ذراع وأربع عشرة إصبعاً » .

(٣) في أخبار مكة إضافات اختصرها المؤلّف هنا .

(٤) راجع أخبار مكة ١/ ٣٢٠ و ٣٢١ .

Marfat.com

ورُبع وثُمن . ومن الفتحة إلى الفتحة على الإستواء سبعة عشر ذراعاً . ومن صدر دائر الحِجْر من داخله إلى جدار حِجْر البيت تحت الميزاب خمسة عشر ذراعاً . وعرض جدار الحِجْر ذراعان وثلث ذراع وثُمن ذراع . وارتفاعه عن أرض المطاف مما يلي الفتحة التي من جهة المقام ذراع وثلثا ذراع وثُمن ذراع . وارتفاعه مما يلي الفتحة الأخرى ونصف وثلث وثُمن . وارتفاعه من وسطه ذراع وثلثا ذراع . وسعة ما بين جدار الحِجْر والشاذروان عند الفتحة التي من جهة المقام أربعة أذرع وثلث . والخارج من جدار الحِجْر في هذه الجهة عن مسامته الشاذروان نصف ذراع وثُمن . وسعة الفتحة الأخرى أربعة أذرع ونصف . والخارج من جدار الحِجْر في هذه الجهة عن مسامته الشاذروان نصف ذراع وثلث ذراع . كل ذلك حُرّر بذراع القماش المستعمل في زماننا بمصر . انتهى .

وقد حرّرنا أموراً تتعلّق بالحِجْر ، فكان ما بين وسط جدار الكعبة الذي الميزاب إلى مقابله من جدار الحِجْر خمسة عشر ذراعاً ، وكان عرض جدار الحِجْر من وسطه ذراعين ورُبْع . وسعة فتحة الحِجْر الشرقية خمسة أذرع . وكذلك سعة الغربية بزيادة قيراط . وسعة ما بين الفتحتين من داخل الحِجْر سبعة عشر ذراعاً وقيراطان . وارتفاع جدار الحِجْر من داخله عند الفتحة الشرقية ذراعان إلاَّ قيراطاً . ومن خارجه عندها ذراعان وقيراطان . وارتفاع جدار الحِجْر من داخله ومن وسطه ذراعان إلاَّ ثلث ، وفي[1] خارجه ذراعان وقيراطان وارتفاع جدر الحِجْر من داخله عند الفتحة الغربية ذراعان إلاَّ قيراطاً . ومن خارجه عندها ذراعان وثُمن ذراع ، كلّ ذلك بذراع الحديد .

وذكر ابن خرداذبه في ذرْع دَور الحِجْر ما يُسْتَغْرَب لأنه قال : ذرْع دَور الحِجْر خمسون ذراعاً[2] ، انتهى .

---

(١) في النسخة (ك) : ومن .

(٢) المسالك والممالك ـ ص ١٣٣ .

Marfat.com

وإنّما كان هذا مستغرَباً لمخالفته ما ذكره الأزرقي في ذلك[1] ؛ فإنّ ما ذكره ابن خرداذبه يزيد على ما ذكره الأزرقي عشرة أذرع .

ذكر ما جاء في الحِجْر والصلاة فيه

قال الفاكهي : حدّثنا أحمد بن صالح قال : حدّثني محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : إنّ رسول الله ﷺ قال لأبي هريرة : يا أبا هريرة إنّ على باب الحِجْر مَلَكاً يقول لمن دخل فصلّى ركعتين : مغفوراً لك ما مضى ، فاستأنِف العمل . وعلى باب الحِجْر الآخر مَلَك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يُرْفع البيت يقول لمن صلّى وخرج : مرحوماً لك[2] إن كنت من أمة محمد ﷺ تقيّاً . انتهى .

وروينا في تاريخ الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما : صلّوا في مصلّى الأخيار ، وسئل عن ذلك ابن عباس فقال : تحت الميزاب[3] ، وحكم الصلاة فيما في الحِجْر من الكعبة حكم الصلاة في الكعبة ، في كونه من الكعبة ، فلا تصحّ فيه على المشهور من مذهب مالك الفرض ولا النفْل المؤكّد كالسُنَن والوتر وركعتي الطواف والفجر وركعتي الطواف الواجب ، ويصحّ فيه النفْل غير المؤكّد ، ويستحبّ ذلك فيه كبقية الحِجْر ، ويصحّ في بقية الحِجْر الفرْض من غير كراهة . ومذهب الشافعي وأبي حنيفة جواز جميع الصلوات في جميع الحِجْر .

ذكر ما جاء في الدعاء في الحِجْر تحت الميزاب

روينا في تاريخ الأزرقي عن عطاء قال : من قام تحت الميزاب ، أي ميزاب الكعبة فدعا استُجيب له ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه . وقد تقدّم مثل ذلك

---

(١) أخبار مكة ١/ ٣٢١ .
(٢) في النسخة (ك) لا توجد .
(٣) أخبار مكة ١/ ٣١٨ .

Marfat.com

عن الحسن البصري في الباب الخامس عشر ، وفي رواية عنه : من قام تحت مثغب الكعبة ، يعني ميزابها[1] .

وروينا عن الحسن البصري في رسالته المشهورة قال : وسمعت أنّ عثمان ابن عفان رضي الله عنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه : ألا تسألون من أين جئت ؟ قالوا : من أين جئت يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما زلت قائماً على باب الجنة ، وكان قائماً تحت الميزاب يدعو الله عنده . انتهى .

ومن فضائل الحِجْر ، أنّ فيه قبر إسماعيل عليه السلام . روينا عن ابن إسحاق في سيرته تهذيب ابن هشام وروايته عن زياد البكّائي عن ابن إسحاق قال : وكان عمر إسماعيل عليه السلام فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين ، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه فدُفن في الحِجْر مع أمه هاجر رحمهما الله[2] . انتهى .

وقال الأزرقي : حدّثني جدي قال : حدّثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرني ابن إسحاق فذكر شيئاً من خبر إسماعيل وذكر أولاده ، ثم قال : وكان من حديث جُرْهُم وبني إسماعيل أنّ إسماعيل لما توفي دُفن في الحِجْر مع أمه ، وزعموا أنها دُفنت فيه حين ماتت[3] .

وذكر صاحب الاكتفاء أنّ قبر إسماعيل في الحِجْر ، وأنّ قبره مما يلي باب الحِجْر ، وقد اختُلف في خبر إسماعيل فقيل : إنه في الحِجْر ، وهو قول ابن إسحاق وقيل : إنه في الحطيم ، وقد سبق نقل الأزرقي له عن مقاتل في أخبار الحطيم ، ونقله الفاكهي عن كعب الأحبار وعن ابن سابط .

وقال الفاكهي في « فضائل مكة » : حدّثنا موسى بن محمد قال : حدّثنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن ابن سابط أنه

---

(١) أخبار مكة ١/٣١٨ .
(٢) أخبار مكة ١/٣١٣ .
(٣) أخبار مكة ١/٦٤ .

Marfat.com

قال : بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً ، وإنّ قبر هـود ، وشعيب ، وصالح وإسماعيل ، عليهم السـلام ، في تلك البقعة ، وقيـل إنه حيـال الموضـع الـذي كان فيـه الحجر الأسـود . وهذا القـول ذكره المسعـودي لأنه قـال : وقُبِضَ إسماعيل وله من العمر مائة وسبع وثلاثون سنة ، فـدُفِن في المسجد الحـرام حيال الموضع الذي كان فيـه الحجر الأسـود[1] ، انتهى . كذا وجـدت في النسخة التي رأيتها من تاريخ المسعودي في الموضع الذي كان فيـه الحجر الأسـود ، وأظنّ أنّ لفظة « كان » زيادة من الناسخ ، لأنَّ إثباتها لا يستقيم به معنى ، والله أعلم .

وما ذكره المسعودي في قدْر عُمْر إسماعيل يخالف ما ذكره فيـه ابن إسحاق ، والله أعلم بالصّواب ، وينبغي توقّي النوم فيه والاحتراز فيـه ، من بدعتين أحـدثهما النـاس لا أصل لهمـا على مـا ذكـره ابن جمـاعـة فيمـا أخبـرني بـه عنـه خـالي : إحداهما[2] وقوفهم في فتحتي الحجر للصلاة والسلام على النبيّ ﷺ ، والأخـرى استقبـالهم جهـة النبيّ ﷺ في فتحتي الحجـر للدعـاء واستـدبـارهم للكعبـة ، والمعروف في آداب الدعاء استقبالها ، هذا معنى كـلامه قـال : والله تعالى يوفّقنا لاجتناب البدعة وإتباع السُّنَّة بمنّه وكرمه ، انتهى .

ذكر المواضع التي صلّى فيها النبيّ حول الكعبة

قد ذكر المحبّ الطبري هذه الأماكن بدلائلها في كتـاب « القرى » ، وذكـرنا ذلك بنصّه في أصـل هذا الكتـاب ، ونشير هنـا لشيء من تلك المواضـع : الأول خلف مقام إبراهيم عليه السلام . الثاني تلقاء الحجر الأسود على حاشية المـطاف كما في النسائي وابن حِبّـان من حديث المـطّلب بن أبي وداعة السهمي . الثـالث قريباً من الركن الشامي ممـا يلي الحِجْر بسكـون الجيم ، كما في مُسْنَـد أحمد بن حنبل وسُنَن أبي داود من حديث عبدالله بن السائب . الرابع عند باب الكعبة كما

---

(١) مروج الذهب ٢/٤٨ .
(٢) في النسخة (ك) : هما .

Marfat.com

في تاريخ الأزرقي[1] وفوائد تمّام الرازي من حديث ابن عباس عن النبيّ ﷺ : أمّني جبريل عليه السلام عند باب الكعبة مرّتين . الخامس تلقاء الركن الذي يلي الحِجْر من جهة المغرب جانحاً إلى جهة المغرب قليلاً ، بحيث يكون باب المسجد الذي يقال له اليوم باب العمرة خلف ظهره كما في مُسْنَد أحمد بن حنبل[2] وسُنَن أبي داود والنسائي وابن ماجه ، من حديث المطّلب بن أبي وداعة ، أنه رأى النبيّ ﷺ يصلّي مما يلي باب بني سهم والناس يمرّون بين يديه ، وفي إسناده مجهول .

وباب بني سهم هو باب العمرة المشار إليه السادس ، في وجه الكعبة كما في الصحيحين ، من حديث أسامة بن زيد أنّ النبيّ ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلّها ولم يصلّ حتى خرج ، فلما خرج ركع قُبُل البيت ركعتين وقال : هذه القبلة[3] . أخرجاه . وقال النسائي : سبّح في نواحيه كلّها وكبّر ولم يصلّ ، ثم خرج وصلّى خلف المقام ركعتين ثم قال : هذه القبلة[4] .

قال المحبّ الطبري : وجه الكعبة يطلق على بابها ، ولهذا قيل للمحاذي له خلفها دُبُر الكعبة ، ثم قال : ويُطلَق على جميع الجانب الذي فيه الباب وهو المتعارَف ، ثم قال : والظاهر أنّ هذا الموضع تُلقاء المقام في فناء الكعبة ، بحيث يكون المقام خلف المصلّي فيه . وقال : ويُحتمل على بُعد أن يكون هذا الموضع هو الموضع الرابع (محل إمامة جبريل)[5] ، وجوّز فيه المحبّ وجهاً

---

(١) أخبار مكة ١/٢٦٨ .

(٢) مسند أحمد ١/٢٣٧ و ٣١١ و ٥/٢٠٨ .

(٣) رواه البخاري ٣/٣٧٥ في الحج ، باب من كبّر في نواحي الكعبة ، و٨/١٤ في المغازي ، باب أين ركّز النبي ﷺ الراية يوم الفتح . ورواه مسلم رقم ١٣٣٠ و ٣١١ في الحج ، باب استحباب دخول الكعبة للحاج .

(٤) النسائي ٥/٢١٩ و ٢٢٠ في الحج ، باب الذكر والدعاء في البيت ، وباب موضع الصلاة من الكعبة .

(٥) ما بين القوسين ليس في نسخة (ك) .

Marfat.com

آخر ، وهو أن يكون الموضع الأول هو خلف المقام ، لأنه يقال فيه وجه الكعبة ، ثم قال : وقد ورد تفضيل وجه الكعبة على غيرها من الجهات ، ثم قال : الموضع السابع بين الركنين اليمانيين ، ذكره ابن إسحاق في سيرته في قصة طويلة . الثامن الحِجْر واستدلاله بحديث : خنْق عُقْبَة بن أبي مُعَيْط النبيّ ﷺ في الحِجْر كما في الصحيحين[1] . وذكر في هذا الفصل صلاة النبيّ ﷺ في الكعبة ، ثم قال : وورد أنّ آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليماني ركعتين وعزاه لليقين لابن أبي الدنيا وتاريخ الأزرقي[2] ثم قال : فصارت المواضع التي صلّى فيها النبيّ ﷺ يقيناً وتخميناً تسعة مواضع ، والعاشر مصلّى آدم عليه السلام . انتهى كلام المحبّ الطبري ، وفيه أمور : منها أنّ ذِكْره في هذا الفصل صلاة النبيّ ﷺ في الكعبة لا يلائم الترجمة التي ذكرها ، لأنه ترجم على هذا الفصل بقوله : ذِكْر مواضع حول البيت روي أنّ النبيّ ﷺ صلّى فيها ، وهذه الترجمة تقتضي أن يذكر فيها المواضع التي صلّى النبيّ ﷺ فيها حول البيت ، لا صلاته في البيت والله أعلم ، ومنها أنّ ذِكْره في هذه الترجمة مصلّى آدم عليه السلام غير ملائم ، ومنها أنّ ما ذكره من مصلّى آدم فيه احتمال لأنّ آدم عليه السلام يحتمل[3] أن يكون صلّى عند الركن اليماني مما يلي الحجر الأسود ، ويُحتمل أن يكون صلّى عند الركن اليماني مما يلي الباب المسدود في المستجار ، وهذا أقرب والله أعلم ، لِما سبق من قول الفاكهي .

وقال بعض الناس : إنّ الموضع الذي تاب الله فيه على آدم دُبُرَ الكعبة عند الباب الذي فتحه ابن الزُبَير من دُبُرِها عند الركن اليماني انتهى .

---

(١) روى البخاري في صحيحه قال : بينما النبيّ يصلّي في حِجْر الكعبة إذ أقبل عُقْبة بن أبي مُعَيْط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فخنقه خنقاً شديداً . فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبيّ ﷺ وقال : (أتقتلون رجلاً أن يقول ربّيَ الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم) ، وذكر مسلم هذه الرواية في صحيحه أيضاً .

(٢) راجع مَا ذكره في أخبار مكة ١/٤٤ .

(٣) في النسخة (ك) : احتمال .

Marfat.com

ومنها أنّ ما ذكره في[1] مصلّى آدم عليه السلام عند الركن اليماني يخالف ما ذكره ابن سُرَاقة وابن جماعة ، من أنه في جهة الكعبة الشرقية ، وقد سبق في الباب الثامن من هذا الكتاب أنّ مصلّى آدم عليه السلام في الجهة الشرقية ، وأنّ بينه وبين الحفرة المرخّمة في هذه الجهة ثلاثة أذرع إلاّ ثُلث بالحديد . والله أعلم بالصواب .

ومنها أنّ المحبّ لما بيّن الموضع الذي صلّى فيه النبيّ ﷺ بين الركنين اليمانيين يحتمل أن يكون ﷺ صلّى إلى وسط الجدار ، ويُحتمل أن يكون مائلاً عن الوسط إلى جهة الحجر الأسود ، ويحتمل أن يكون مائلاً عن الوسط إلى جهة الركن اليماني ، وقد سبق أنّ ابن سُرَاقة ذكر أنّ النبيّ ﷺ صلّى إلى وسط الجدار[2] ، وتحريره بالوسط (من)[3] هذا الجدار بأنه الرخامة التي في شاذروان الكعبة المكتوب فيها أنّ الملك لاجين[4] أمر بعمارة المطاف ، ومنها أنّ المحبّ الطبري لم يبيّن أيضاً الموضع الذي صلّى فيه النبيّ ﷺ عند باب الكعبة . وهو يحتمل ثلاثة أوجه ، الأول : أن يكون صلّى وجاه الباب ، والثاني : أن يكون صلّى في الحفرة المرخّمة التي عند باب الكعبة على يمينه ، والثالث : أن يكون صلّى في الملتزَم . وفي هذا الوجه بُعْدٌ ، والوجهُ الأول أقرب ، لأنه عند الباب حقيقة بخلاف الوجهين الأخيرين ، فإنه إنّما يصدق عليهما عند باب الكعبة لقربهما منه والله أعلم .

وإنّما نبّهنا على ذلك لأنه وقع لشيخ الإسلام عزّ الدين بن عبد السلام الشافعي ، وشيخ اليمن أحمد بن موسى بن العُجَيْل ما يقتضي أنّ مصلّى جبريلَ بالنبيّ ﷺ هو الحفرة المرخّمة ، ولم أقف على كلام ابن العُجَيل ، وإنّما بلغني

---

(١) في النسخة (ك) من .
(٢) في النسخة (ك) : هذا الجدار .
(٣) لا توجد في نسخة (ك) .
(٤) سبقت ترجمته .

Marfat.com

أنّ الرّضي الطبري إمام المقام شيخ شيوخنا سأل الشيخ أحمد بن موسى بن عُجَيل عن تحقيق ذلك بطريق الكشف ، فأخبره أنّ الحفرة المشار إليها هي مصلّى جبريل بالنبيّ ﷺ .

وأمّا كلام ابن عبد السلام فذكره عنه ابن جماعة في منسكه لأنه قال : وقال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام : إنّ الحفرة الملاصقة للكعبة بين الباب والحجر هي المكان الذي صلّى فيه جبريل بالنبيّ ﷺ الصلوات الخمس حين فرضها الله تعالى على أمّته ، ولم أر ذلك لغيره ، وفيه بُعْدٌ ، لأنه لو كان صحيحاً لنبّهوا عليه بالكتابة في الحُفْرة ، ولَمَا اقتصروا على مَن أمر بعمل المطاف ، والله أعلم . انتهى كلام ابن جماعة . وقد أخبرني بذلك عنه خالي رحمهما الله .

وفي خبر المقام عن سعيد بن جُبَير[1] رحمه الله أنّ موضعه اليوم حذاء موضعه في هذا الباب الصندوق الذي فيه المقام ، إلاّ أن يجاوز الحفرة مما يلي الحِجْر بسكون الجيم ، فعلى هذا يكون المقام عند الكعبة في نصف الحفرة (الملاصق)[2] للكعبة المشار إليها ، وإذا كان هذا موضع المقام عند الكعبة ، فيكون النبيّ ﷺ صلّى فيه بعد خروجه من الكعبة ، لأنّ النّسائي روى عن أسامة بن زيد : أنّ النبيّ ﷺ بعد خروجه من البيت ركع قبل البيت ركعتين . وفي رواية : أنه ﷺ صلّى ركعتين خلف المقام[3] ، وهو وقُبُل البيت واحد ، إلاّ[4] أنّ المقام كان عند الكعبة على ما قيل ، والله أعلم .

ومنها أنّ كلام المحبّ يقتضي أن المصلّى الذي ذكره ابن السائب غير المصلّى الذي ذكره أسامة لِعَدِّه[5] ذلك مصلَّيَيْن ، وفي ذلك نظر ، لأنّ حديث ابن

---

(١) رحلة ابن جبير ـ ص ٦٢ .
(٢) لا توجد في النسخة (ك) .
(٣) رقم ٢١٩/٥ في الحج .
(٤) في النسخة (ك) (لأنّ) وهو الذي يتناسب مع سياق الكلام .
(٥) في النسخة (م) بعده .

السائب في المصلّى الذي ذكره موافقٌ لحديث أسامة في المصلّى الذي ذكره ، ويظهر ذلك بذِكْر حديثهما ، فلفظ[1] حديث ابن السائب عند الأزرقي : حدّثني جدّي ، حدّثنا داود بن عبد الرحمن عن محمد بن جُرَيْج عن محمد بن عبّاد بن جعفر عن ابن السائب أنّ النبيّ ﷺ صلّى يوم الفتح في وجه الكعبة حذو الطرقة البيضاء ، ثم رفع يديه فقال : هذه القبلة[2] انتهى .

ولفظ حديث أسامة أنّ النبيّ ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلّها ، ولم يصلّ حتى خرج ، فلما خرج ركع قُبُل البيت ركعتين وقال : هذه القبلة . أخرجاه[3] .

وقال النسائي : سبّح في نواحيه وكبّر ولم يصلّ ، ثم خرج وصلّى خلف المقام ركعتين ، ثم قال : هذه القبلة[4] . ولا منافاة بين قولة أسامة في الحديث الأول : ركع قُبُل البيت ، وبين قوله في الحديث الثاني : وصلّى خلف المقام ركعتين ، لأنّ المقام كان في وجه الكعبة ، على ما ذكره ابن عُقْبة في مغازيه وغيره ، ويكون قوله : صلّى خلف المقام مفسّراً لقوله : ركع قُبُل البيت لينتفي التعارض بين حديثه ، وهذا أولى من حمل قوله على أنه صلّى خلف المقام في موضعه اليوم ، لأنه إذا حُمل على ذلك يُفهم منه التناقض بين الحديثين ، والله أعلم .

وإذا كان حديث ابن السائب يقتضي أنّ النبيّ ﷺ صلّى عند الكعبة في يوم فتح مكة وقال : هذه القبلة ، واقتضى ذلك أيضاً حديث أسامة ، ففي ذلك دليل على اتّحاد المصلّى الذي ذكره أسامة وابن السائب ، ويتّجه به النظر الذي أشرنا إليه في ما ذكره المحبّ الطبري من أنّ المصلّى الذي ذكره أسامة غير المصلّى

---

(١) في النسخة (ك) : ولفظ .
(٢) أخبار مكة ١ / ٣٥١ .
(٣) يقصد البخاري ٣/٣٧٥ و ٨/١٤ ، ومسلم رقم ١٣٣٠ و ١٣٣١ .
(٤) ٥/٢١٩ و ٢٢٠ .

Marfat.com

الذي ذكره ابن السائب ، ولا يقال الحديث الذي استدلّ به المحبّ الطبري على المصلّى الذي ذكره ابن السائب ، ولا يقال الحديث الذي ذكره الأزرقي ، لأنّ المحبّ الطبري قال في « القرى » كما ذكره في المواضع التي صلّى فيها النبيّ ﷺ حول الكعبة ، الثالث قريباً من الركن الشامي مما يلي الحِجْر ، عن عبدالله بن السائب أنه كان يقود ابن عباس[1] عند الشقة الثالثة مما يلي الركن الذي يلي الحِجْر مما يلي الباب ، فيقول له ابن عباس : إنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي ها هنا ، فيقول : نعم ، فيقوم فيصلّي . أخرجه أحمد وأبو داود انتهى . وقوله في هذا الحديث أثبتَ هو بنصب التاء لا برفعها ، لأنه يلزم على رفعها أن يكون الحديث من رواية ابن السائب عن ابن عباس ، ولا يُعرف لابن عباس في هذا المعنى حديث ، والله أعلم .

وقوله : أثبتَ بألِف ، يعني (همزة الاستفهام[2]) ثم ثاء مثلثة ثم باء موحّدة ثم تاء مثنّاة ، من الثبات الذي بمعنى التحقيق للشيء ، كأنه يقول له : تحقّقت أنّ النبيّ ﷺ صلّى في الموضع المشار إليه فيقول : نعم . والله أعلم .

وإنّما لا يقال الحديث الذي استدلّ به المحبّ غير الحديث الذي ذكره الأزرقي ، لأنّ الحديث الذي ذكره المحبّ يقتضي أنّ ابن عباس رضي الله عنهما سأل ابن السائب عن موضع مصلّى النبيّ ﷺ في وجه الكعبة ، والحديث الذي ذكره الأزرقي يقتضي إخبار ابن السائب بأنّ النبيّ ﷺ صلّى يوم فتح مكة في وجه الكعبة ، وأنه رفع يديه وقال : هذه القبلة ، وبين المصلّى بقوله عدد الطواف ، وذلك لا ينافي إثباته صلاة النبيّ ﷺ عند الشقّة الثالثة مقابلة الركن الشامي ، لإمكان أن يكون موضع النظر فيه موضع الشقّة الثالثة ، فعرفه بالوجهين ، واختصر في أخبار ابن[3] عباس بعض القصّة ، والله أعلم .

---

(١) في النسخة (ك) : بعمه .
(٢) ما بين القوسين ليس في نسخة (ك) .
(٣) في النسخة (ك) : لابن .

Marfat.com

ووجـدت بخطّ مفتي الحـرم رضيّ الـدين محمـد بن أبي بكـر بن خليـل العسقـلاني ما يقتضي أنّ للنبيّ ﷺ مصلّى بين هـذه الحفرة وبين الحِجْـر بسكـون الجيم ، لأنّي وجدت بخطّ الرضيّ المـذكور مـا نصّه : أخبـرني الشيخ عثمـان بن عبـد الواحـد العسقـلاني المكي عن بعض مشيخـة مكـة المتقـدّمين ، أنّ المقـام المحمّدي الحجر المشوْبَر الذي عند الحفرة التي عند الكعبة على جانبهـا مما يلي حِجْر إسماعيل وهو الحِجْر الذي إلى جانب هذه الحفرة المذكـورة ، الدعـاء عنده مستجاب .

وأخبرني المفتي عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد المذكور أنّ من يدعو خلفه بهذا الدعاء : يا واجد يا واحد يا ماجد يا بَـرّ يا رحيم يـا غنيّ يا كـريم أتمم عليّ نعمتك وألبسني عافيتك ، استُجيب له ، انتهى .

والحفرة المشار إليهـا هي السابقـة والحِجر المشـوْبَر الـذي هو عـلامة هـذا المصلّى لا يُعـرف الآن ، وهو المـوضع الثـالث الذي ذكـره المحبّ لأنه ليس بين الحفرة المشار إليها ، والركن الشامي مصلّى للنبيّ ﷺ غير المصلّى الثالث ، والله أعلم . والحفـرة المشار إليهـا جُدّد رخـامهـا الـذي هـو بهـا الآن في سنـة إحـدى وثمانمائة ، وقد حـرّرنا أمـوراً تتعلّق بذَرْعها فكانٌ طـولها من الجهـة الشاميـة إلى الجهة اليمانية أربعة أذرع ، وعرضها من الجهة الشرقيـة إلى جدار الكعبـة ذراعان وسُدس ، وعمقها نصف ذراع ، كل ذلك بذراع الحديد ، والحفرة المشار إليها لم تـرخّم إلاّ بعد قـدوم ابن جُبَيْـر إلى مكـة ، وكـان قـدومـه في سنـة تسـعٍ وسبعين وخمسمائة ، لأنـه ذكر هـذا الموضـع في أخبار رحلتـه ، وذكر أنـه علامـة موضـع المقـام في عهد إبـراهيم إلى أنْ صـرفـه النبيّ ﷺ إلى المـوضـع الـذي هـو الآن مصلّى ، وأنـه مفروش بـرملة بيضاء[1] ، انتهى بـالمعنى . فدلّ ذلـك على أنه لم يكن ترخيماً حين رآه[2] ابن جبير ، وقد نبّهت فيما سبق على عدم استقامة قوله إن هذا الموضع موضع المقام في عهد إبراهيم ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) رحلة ابن جبير ٦٢ .

(٢) في النسخة (ك) : رواه .

Marfat.com

الباب الثامن عشر

في ذكر شيءٍ من أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته وذرعه

وذكر شيء مما ذكره الأزرقي في خبر توسعته

روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : حدّثني[1] جدّي قال : أخبرني مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جُرَيْج قال : كان المسجد الحرام ليس عليه جدارات محاطة به ، إنّما كانت الدُور محدِقة به من كل جانب ، غير أنّ بين الدُور أبواباً يدخل منها الناس ، فاشترى عمر بن الخطاب دُوراً فهدمها ، وهدم على مَنْ قَرُب من المسجد دُورهم ، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن ، وتمنّع من البيع ، فوُضعت أثمانها في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد ؛ ثم أحاط عليه جداراً قصيراً وقال لهم عمر : إنّما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم تنزل عليكم . ثم كثر الناس في زمن عثمان ، فوَسّع المسجد ، فاشترى من قوم ، وأبى آخرون فهدم عليهم[2] . انتهى باختصار .

ولم يذكر الأزرقي السنة التي وسّع فيها عمر المسجد الحرام ، وهي سنة سبع عشرة من الهجرة ، ولا السنة التي وسّعه فيها عثمان ، وهي سنة ستّ وعشرين من الهجرة ، على ما ذكره ابن جرير وابن الأثير في تاريخ توسعتهما[3] .

---

(١) في النسخة (ك) : أخبرني .
(٢) أخبار مكة ٢/٦٨ و ٦٩ .
(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٥١ ، ابن الأثير ٣/٨٧ .

Marfat.com

وذكر الأزرقي أنّ عبدالله بن الزبير وسّع المسجد من جانبه الشرقي ، وهو أعلاه مما يليه من جانبه الشامي ، ومن جانبه اليماني . وكان مما وسّع به في الجانب الشرقي نصف دار الأزرقي جدّ الأزرقي ، إشترى ذلك ببضعة عشر آلاف دينار ، ثم وسّعه أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء من بني العباس ، من جانبه الشامي ومن جانبه الغربيّ إلى أن أوصله إلى ما هو عليه اليوم ، إلاّ أنه بلغ فيما وسّعه من الجانب الغربي إلى باب بني جُمَح . . . الذي (هو)[1] فيه الآن في محاذاته فيما أحسب الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم ، ولم يجعل فيما وسّعه من الجانبين إلاّ رواقاً واحداً ، وكان ابتداء عمل ذلك في المحرَّم سنة سبعٍ وثلاثين ومائة ، والفراغ منه في ذي الحجّة سنة أربعين ومائة .

وكان الذي زاد فيه المنصور الضعف مما كان عليه قبل ، ثم وسّعه المهديّ بن أبي جعفر المنصور ، من أعلاه ومن الجانب اليماني ، ومن الموضع الذي انتهى إليه أبوه في الجانب الغربي ، حتى صار على ما هو عليه الآن ، خلا الزيادتين فإنّهما أُحدِثتا بعده ، كما سيأتي في خبرهما . وكان توسعته له في نوبتين : الأولى في سنة إحدى وستّين ومائة ، وفيها زيد فيما زاده أبوه في المسجد رواقات ، والثانية في سنة سبعٍ وستين ، وكان أمر بها لما حجّ حجّته الثانية في سنة أربعٍ وستين ، ولم تكمل هذه الزيادة إلاّ في زمن ابنه موسى الهادي لمعاجلة المنيّة للمهديّ بالاختزام ، وكان مما عُمل بعد موته بعض الجانب اليماني وبعض الغربي ، وذلك من الأساطين الحجارة في الجانب اليماني إلى الموضع الذي انتهى إليه عمل المنصور في الجانب الغربي .

وأنفق المهديّ في توسعة المسجد الحرام وعمارته أموالاً عظيمة المقدار ، لأنّ ثمن كل ذراع مكسّر دخل في المسجد خمسة وعشرون ديناراً ، وثمن كلّ ذراع مكسّر دخل في الوادي خمسة عشر ديناراً ، ونقل إليه أساطين الرخام من

---

(١) لا توجد في النسخة « ك » .

Marfat.com

الشام وغيرها ، حتى أُنزِلت بجدّة ، وحُملت منها على العَجَل إلى مكة ، إلى غير ذلك من الأمور التي عظُمت فيها نفقته ، ولم يكن له في ذلك نظير ، أعظم الله له الأجر ، واسمه الآن مكتوب في مواضع من المسجد الحرام ، منها قرب المنارة المعروفة بمنارة باب علي التي فيها الميل ، وما ذكرناه من حال المسجد في ابتدائه وتوسعته حتى صار إلى ما هو عليه الآن ، خلا الزيادتين ، فهو ملخّص بالمعنى ، مختصر مما ذكره الأزرقي في هذا الأمر[1] .

وذكر في أخبار عمارته من غير توسعة فيه ، أنّ عبد الملك بن مروان رفع جدرانه وسقفه بالساج ، وجعل في رأس كلّ أسطوانة خمسين مثقالاً ذهباً ، وعمَّره عمارة حسنة ، وأنّ ابنه الوليد بن عبد الملك نقض عمل أبيه وعمله عملاً محكَماً ، وسقفه بالساج المزخرف ، وأزَّر المسجد من داخله بالرخام ، وجعل له شُرُفاً ، وجعل على رأس الأساطين الذهب على صفائح الشبه[2] من الصفر ، وجعل في وجوه الطبقات من أعلاه الفسيفساء ، وهو أول من عمله في المسجد الحرام ، وأول من نقل إليه أساطين الرخام . وذكر أنه عُمّر في زمن المتوكّل العباسي . هذا معنى ما ذكره الأزرقي في عمارة المسجد الحرام من غير توسعة .

وذكر السُهَيْلي في عمارة المسجد الحرام شيئاً يُستغْرَب ، فنذكر ذلك ثم نبيّن ما فيه ، ونصّ كلام السُهَيلي : فلما كان (زمن)[3] ابن الزبير زاد في إتقانه لا في سعته ، وجعل فيه عَمَداً من الرخام ، وزاد في أبوابها وحسّنها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد ، وحمل إليه السواري في البحر إلى جُدَّة ، واحتُملت من جُدَّة على العجل إلى مكة[4] انتهى . وما ذكره السُهَيلي من أنّ الزبير لم يوسّع المسجد الحرام فيه نظر ، لمخالفته ما هو المشهور

---

(١) راجع أخبار مكة ٢/٦٩ وما بعدها .
(٢) كذا بالأصل .
(٣) ليست في نسخة (ك) .
(٤) الروض الأنف ١/٢٢٤ .

Marfat.com

في ذلك ، ومن حفظ حجّة على من لم يحفظ ، وما ذكره من أنّ ابن الزبير جعل في المسجد عمداً من الرخام ، وأنّ عبد الملك حمل إليه السواري ، يخالف إمضاء ما ذكره الأزرقي من أنّ الوليد بن عبد الملك أول من نقل إليه الأساطين الرخام ، لكن وقع للأزرقي ما يُفهم خلاف ذلك ، لأنه قال : حدّثني جدّي قال : حدّثنا سفيان بن عُيَيْنَة عن سعيد بن فروة عن أبيه قال : كنت على عمل المسجد في زمن عبد الملك بن مروان قال : فجعلوا في رؤوس الأساطين خمسين مثقالاً من ذهب ، في رأس كلّ أسطوانة[1] انتهى . ووجه مخالفة ذلك لِما سبق أنّ عمل الذهب في رؤوس الأساطين يقتضي وجودها حين عُمل فيها ذلك ، وإذا كانت موجودة فهي ما عمله عبدالله بن الزبير ، وأيّ الأمرين كان فهو يخالف ما ذكره الأزرقي من أنّ الوليد بن عبد الملك أول من حمل إليه ذلك ، والله أعلم بالصواب .

ذكر شيء من خبر توسعة المسجد الحرام بعد الأزرقي ومن خبر عمارته بعده

أعلم أنه لم يزد في المسجد الحرام بعد الأزرقي ، إلاّ أنّ الزيادتين المعروفة أحدهما بزيادة دار الندوة بالجانب الشمالي ، والثانية الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم بالجانب الغربي ، ولم يزد فيه بعد المهديّ غير هاتين الزيادتين ، فأما قول الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه في أخبار سنة إحدى وسبعين ومائة إنّ الخيزران أم المؤمنين خرجت إلى مكة فأقامت بها حتى شهدت الحجّ[2] ، وقد اشترت الدار المشهورة لها بمكة المشرفة المعروفة بدار الخيزران فزادتها في المسجد الحرام[3] فهو غير مستقيم ، لأنّ الدار المشهورة بالخيزران بمكة إنّما هي عند جبل الصّفا ، وبينها وبين المسجد الحرام طريق مسلوك يزيد

---

(١) أخبار مكة ٢/٧١

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٦٢

(٣) هذه المعلومة ليست عند ابن كثير .

على مـائـة ذراع على مقتضى مـا ذكـره الأزرقي في مقـدار مـا بين بـاب المسجـد المعروف بباب الصفا . والصفا هو مبدأ السعي ، وهو قرب هذه الدار ، فدخولهـا في المسجد الحرام غير ممكن ، وأيضاً قـال : إنه لـو وقع منهـا ذلك لاشتهـر كما اشتهر توسعة غيرها في المسجد الحرام ، ولَذَكَره الأزرقي في تاريخه ، كما ذكر ما وقع من غيرها من[1] هذا الأمر والله أعلم .

وأيضاً النقل ، فإنّ إسحاق بن أحمد الخزاعي قـال في خبر زيـادة دار الندوة انّ الساعي فيها كتب إلى وزير[2] المعتضد العباسي يحسّن له جعْل ما بقي من دار الندوة مسجداً ، وملخّص ذلك أنّ السّاعي فيها سأل قـاضي مكة محمـد بن أحمد المقدّمي وأميرها عجّ بن حاجّ مولى أمير المؤمنين يعني المعتضد العباسي أن يكتبا فيها بمثل ما كتب ، فكتبا ، فعُرِضت كتبهم على المعتضد ، فأمر المعتضد بعمارة دار الندوة مسجداً يوصل بالمسجد الكبير ، وأخـرج لذلـك مالاً عـظيماً ، فحمـل إلى قاضي بغداد يوسف بن يعقوب ، فأنفذ بعضه صفائـح ، وأنفذ بعضـه على يد ابنـه عبد الله بن يـوسف في وقت الحجّ ، وقـدم معه بـرجـل يقـال لـه أبـو الهيـاج الأسدي ، فوكّله بالعمل ، وخلّف معه عمالاً وأعواناً لذلك ، فأخرجت القمائم من دار النـدوة ، وهُدّمت ، ثم أنشئت مسجـداً من أساسهـا بأسـاطين وطاقـات وأروقة مسقّفة بالساج المذهّب المزخرف ، ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشـر بـاباً ، ستـة كبار سعـة كل بـاب خمسة أذرع ، وارتفـاعـه إلى السمـاء أحـد عشـر ذراعاً ، وجعل بين الستّة الأبواب الكبـار ستّة صغـار ، سعة كـل باب منهـا ذراعان ونصف ، وارتفاعه في السماء ثمانية أذرُع وثُلُثا ذراع ، وجعل لها سوى ذلك ثـلاثة أبواب شارعـة في الطريق التي حـولها ، منهـا بابـان طاقـان ، وباب طـاق واحد ، وسوى جُدُرِها وسقوفها بالمسجد الحرام ، وجعل لها منارة وشرفاً ، وفرغ منهـا في ثـلاث سنين ، ولم يبيّن إسحاق الخـزاعي السنـة التي فـرغ منهـا في عمـارة هـذه

---

(١) في النسخة (ك) : (في) .
(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب وقد استمر وزيراً للمعتضد حتى مات سنة ٢٨٨هـ .

Marfat.com

الـزيادة حين أنشئت ، ولعـلّ ذلك في سنـة أربع وثمـانين ومائتين على مقتضى مـا ذكره ، من أنه كتب إلى المعتضد سبب إنشائها في سنة إحدى وثمانين ومائتين .

وذكـر أبو الحسن محمـد بن نافـع الخزاعي ابن أخي إسحـاق الخـزاعي أنّ القاضي محمد بن مـوسى لما كـان إليه إمـرة البلد ، غيّر الـطاقات التي كـانت في جُدُر المسجد الكبير حين عُمّرت هـذه الزيـادة ، وقد تقـدّم ذِكْرهـا ، وجعل ذلـك بـأساطين حجـارة مدوّرة عليهـا مصعد من سـاج بطاقـات معقـودة بـالآجُـرّ الأبيض والجصّ ، ووصله بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من العمل الأول ، حتى صار من في دار الندوة من مصلّ ومستقبل يستقبل القبلة فيراها كلّهـا . عمل ذلـك في سنة ستّ وثلاثمائة .

وأما الزيادة التي بالجانب الغربي المعروفة بزيادة بـاب إبراهيم ، فـذكر أبـو الحسن محمـد بن نافـع الخزاعي شيئـاً من خبـرهـا عنـد ذكـر الأزرقي لبـاب بني جُمَح ، ونصّ كلامـه قد كـان هذا على مـا ذكر الأزرقي ، حتى كـانت أيام جعفـر المقتدر بالله أمير المؤمنين العباسي . وكان يتولّى الحكم بمكة محمد بن موسى ، فغيّر هذين البابين ، المعروف أحدهما بالحنّاطين ، والآخر ببني جُمَح ، وجعل ما بين دار زبيدة مسجداً أوصله بالمسجد الكبيـر ، وعمله بأروقـة وطاقـات وصحن ، وجعل شارعاً على الوادي الأعظم بمكة ، فانتفع الناس به وصلّوا فيـه ، وذلك كلّه في سنة ستّ وسبعٍ وثلاثمائة انتهى .

ذكر صفة هذه الزيادة

أمـا صفة هـذه الزيـادة فإنّهـا تخالف الـزيادة السـابقة ، لأنـه ليس لها رواق غربي ، وإنّما لها رواق شرقي وشمالي وجنوبي ، وموضع الغربي أبواب ، وبينهما بـاب الزيـادة ، وكلّ رواق منهـا شقّة واحـدة ، وغـالب الجنـوبي ممـا يلي الجهـة الشرقية محوط ببيت فيه شبابيك من خشب ، وهو السبيل المنسوب للملك الناصـر

حسن[1] بن الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي ، وكانت عمارته في آخر عُشر الستّين وسبع مائة على ما بلغني ، ولها صحن . هذا ملخّص مختصر من خبر ما زيد في المسجد الحرام بعد الأزرقي . . وأما ما وقع فيه من العمارات بعده فكثيرة . وقد شرحنا في أصل هذا الكتاب شيئاً من خبرها واقتصرنا على أعظم ما وقع فيه من العمارات بعده فكثيرة . وقد شرحنا في أصل هذا الكتاب شيئاً من خبرها واقتصرنا هنا على أعظم ما وقع فيه من العمارة بعد الأزرقي ، وسببها أنّ[2] ذلك في ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ، ظهرت نار من رباط رامشت بالجانب الغربي من المسجد الحرام ، ولم يكن غير لحظة حتى تعلّقت بسقف المسجد وعمّت بالحريق الجانب الغربي منه ، وبعض الرواقين المقدّمين من الجانب الشامي بما في ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعاً ، وانتهى الحريق إلى محاذاة باب دار الصحابة ، وسبب ذلك أنّ النار لم تجد شيئاً تتعلّق به لخلوّ ذلك الموضع ، وهو عمودان عليهما عقود وسقف بسبب سقوطه لتخرّبه في السيل المهول الذي كان بمكة في هذه السنة أيضاً ، فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواماً عظاماً تمنع من الصلاة في موضعها (ومن رؤية البيت العظيم فلا حول ولا قوة إلا بالله)[3] ، ثم قدّر الله تعالى عمارة ذلك في مدّة لطيفة على يد الأمير بيسق الظاهري[4] أعزّه الله ، وكان قدومه لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة ، فلما وصل[5] الحاجّ من مكة في هذه السنة شرع في شيل تلك الأكوام العظيمة ، حتى فرغت ، ثم أخذ في العمارة حتى عاد ذلك كما كان . إلاّ أنّ الأساطين التي بالجانب الغربي حجارة منحوتة ، وكذلك الأساطين

---

(١) سبق التعريف به .

(٢) في النسخة (ك) : « و » .

(٣) ما بين القوسين في نسخة (ك) .

(٤) هو بيسق الشيخي أمير اخور الظاهري برقوق . مات سنة ٨٢١هـ . قال السخاوي : « له آثار بمكة كعمارة الرواق الغربي للمسجد الحرام » . (الضوء اللامع ٣/٢٢ و٢٣) .

(٥) في النسخة (ك) رحل .

التي بالجانب الشامي خلا أساطين يسيرة في مقدّمة الجانب المذكور ، فإنّها رخام مكسّر مُلْصَق بالحديد ، وكان الفراغ من عمارة ذلك في العُشْر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة .

وعجب الناس كثيراً من سرعة عمارة ذلك في هذه المدّة ، لأنّ من رأى ذلك قبل عمارته كان يقطع بأنّ هذه العمارة إنّما تنهض في مدّة سنين باعتبار العادة في العمارات ، فللّه الحمد على نِعَمِه التي لا تُحصى ، ولم يبق من ذلك محتاجاً إلى العمارة إلاّ سقف الجانب الغربي ، والذي أوجب تركه أنه لم يوجد بمكة خشب ساج يُسقف به ، ولو وُجد بمكة لَمَا جاء الموسم من سنة أربع وثمانمائة ، إلاّ وجميع ذلك فارغ بقدرة الله تعالى ، ولما كان المحرَّم مُفْتَتَحُ شهور سنة سبعٍ وثمانمائة ، قدم إلى مكة الأمير بَيْسق المذكور ـ أحسن الله اليه ـ لعمارة هذا السقف وغيره مما تشقّق من المسجد الحرام ونهض[1] في مدّة لطيفة بقدرة الله ، لأنّ الأمير بَيْسق المشار إليه جرى على عادته في علوّ الهمّة وعنى من حين وصوله بتحصّل الأخشاب ، ثم بتهيئتها لعمل السقف ، ثم بتركيبها في محلها ، والخشب الذي سُقِف به ذلك يقال له خشب المعرعر ، جيء به إلى مكة من جهة الطائف . وأصلح الأمير المذكور في هذه السنة المواضع كلّها ألتي كانت متشققّة بالمسجد الحرام وسقوفاً فيه . فلّله الحمد على ذلك .

ثم عُمّرت أماكن من المسجد الحرام في سنة خمس عشرة وثمانمائة ، فمن ذلك عقدان على أسطوانة واحدة في الصف الأول من الرواق اليماني ، يقابل المدرسة البنجالية[2] ، وأماكن في سقف المسجد الحرام كثيرة ، وكان المتولّي لأمر هذه العمارة شيخنا قاضي مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة

---

(١) في النسخة «ك» : أيضاً .

(٢) بناها ملك الهند ببنجالة : أحمد خان بن ميرخان بن ظفرخان سنة ٨١٠هـ . (أنظر : انباء الغمر ٢/٣٨٨)

القرشي المخزومي المكي[1] من مال تطوّع به أهل الخير أثابهم الله .

ثم كثر الشعث والخراب بالمسجد الحرام بعد ذلك ، وسقط كثير من سقوطه[2] ، وكذلك أماكن بالجانب الغربي وموضع بالجانب اليماني يقابل العَقْدين المشار اليهما ، ومن ذلك سقف بالجانب الشرقي في موضع يقال[3] باب العباس ، قريباً من سقف عقدين . ومن ذلك فيما يقابل باب الجنائز ورباط المراغي والسِّدّة نحو أربعة عقود ، ومن ذلك بالجانب الشامي سقف عقد[4] باب الدريبة ، وموضع آخر بهذا الجانب يقابل رباط أم الخليفة الناصر العباسي المعروف بالعطيفية ، ومن ذلك سقف ستة عقود في محاذاة زيادة دار الندوة في الرواق الذي يليها . ومن ذلك سقف عقد يقابل باب دار الصحابة ، ومن ذلك سقف عقدين بالرواق الغربي من زيادة دار الندوة ، ومن ذلك ما فوق أحد بابي الجنايز الذي يلي رباط المراغي المعروف بالقيلاني ، إلى آخر جدار المسجد الحرام الذي يلي رباط المراغي ، وقد عُمّر من ذلك باب الجنائز عمارة حسنة ، مع جدار المسجد الحرام الذي يلي رباط القيلاني ، وكان ما بين بابي الجنائز قائماً لم يسقط قبل عمارته ، وإنّما تخرّب[5] . . فهُدِم ذلك حتى بلغ الأرض ، وأزيلت أسطوانتان من رخام كانتا متصلتان[6] بالبناء الذي بين البابين ، وبين بابي الجنائز تبرة كبيرة بحجر منحوت من ظاهرها فيما يبدو للناس وباطنها بحجر غشيم ، حتى ارتفعت عن الأرض نحو أربعة أذرع بالعمل وبنى فوقها عقدان عليها وعلى جدار المسجد الذي يلي المدرسة الأفضلية ، وجدار المسجد الذي يلي

---

(١) مات سنة ٨١٧هـ . وكان يتصدر تدريس البنجالية . (انظر ترجمته في الضوء اللامع ٨/٩٢ ـ ٩٥ رقم ١٩٤) .

(٢) كذا بالأصل ولعله سبق قلم وصوابه : من سقوفه .

(٣) كذا بالأصل ، والصواب : يقال له .

(٤) كذا وردت ، وقد حذفت منها كلمة بقرب .

(٥) بياض بالأصل .

(٦) كذا بالأصل ، والصواب : متّصلتين .

رباط القيلاني . وهـذان العقدان مبنيّـان بحجارة منحـوتة ممـا يلي المسعى ، وفيه رخام وشيء فوق أسقفة البابين ممـا يلي بطن المسجـد ، وفوق الـدرج عقدان من آجُرّ بالنورة ، وفي كل عقد عقد لطيف ، واستحسنت عمارة ذلك .

وكُتب بسبب هـذه العمارة في لـوح من رخام أنّ ذلـك عُمّر في سنـة خمس وعشرين وثمانمائة في ذي القعدة ، بأمر صاحب مصـر الملك الأشرف بـرسباي[1] على يد الأمير زين الدين مقبل القديدي صاحبنا ، ونُصبت الأخشاب في المواضع الساقطة من هـذا الجانب ، أعني الشـرقي ، وفي الجانب اليمـاني ، وفي الجانب الغـربي ، وفي الجانب الشـامي بقرب بـاب الدريبـة ، وقبالـة العطيفيـة . . وبقي سقف ذلك الأعلى وإتقانه بالجصّ والدلك .

وكـان بالجـانب الشامي في محـاذاة باب دار الصحـابـة في الـرواق الأوسط أسطوانة من رخـام مشدودة بـالحديـد والرصـاص ، فأزيلت وعُوِّض عنها بأسـطوانة صحيحة من رخام ، هي أحد الأسطوانتين اللتين كانتا بظاهر بـاب الجنائـز ، وبني في هذا الجانب في الصفّ الأول الذي يلي بطن المسجد سبعة عقـود ، وبني في هذا الجانب عدّة عقود في مؤخّرة عقد فوق الدكّة المنسوبـة للفقيه ابي السعـود بن ظهيـرة ، وعقود أُخَـر تلي ذلك إلى بـاب دار الصحابـة ، وزيـد بنـاء يشـدّ العقـود المذكورة في عرض ما تحتها وطوله ، واستحسن جميع ذلك .

ومما بُني في هذا الجانب ثمانيـة عقود في العقـد الثاني ، وثـلاثة عقـود في الصفّ الـذي يليه بعـد إحكام الأسـاطين الـذي[2] تحت ذلـك الحملة المبني من العقود سبعة في الصفّ الذي يلي بطن المسجـد ، وثمانيـة في التي تليه ، وثـلاثة في المؤخّـر ، وبُني عقدان قبـالة بـاب الجنائـز ، وبترة بين بـاب المجـاهـديـة ، وجُدّدت أبواب بالمسجد الحرام ، منها بابان لباب الجنائز ، وثلاثة لباب العباس ،

---

(١) سبق التعريف به .
(٢) كذا في الأصل .

Marfat.com

والبـاب الأوسط من بـاب الصفـا ، وبـاب الصحـابـة ، وبـاب الـزيـادة المفـرد ، وأُصلحت مـواضع في أبـواب المسجـد ، وعُمِّـرت سقـوفـه ، ونُـوِّرت أو أكثـرهـا بـالنورة ، وذلـك في سنة ستٍّ وعشـرين وثمانمـائة ، إلاَّ قليـلاً ، ففي سنة خمسٍ وعشرين ، وذلك على يد الأمير زين الدين مقبل المذكور ، أثابه الله .

ذكر ذرْع المسجد الحرام غير الزيادتين

وبالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : ذرع المسجد الحرام مكسَّـراً مائـة ألف ذراع وعشـرون ألف ذراع ، وذرْع المسجد الحـرام طولاً من بـاب بني جُمَـح إلى باب بني هاشم الذي عنده العَلَم الأخضر بمقابل دار العباس عبد المطلّب أربعمائة ذراع وأربعـة أذرُع ، مع جُـدُر به تمـرّ في بطن الحِجْـر لاصقة[1] بجُـدُر الكعبة ، وعرضه من باب دار الندوة إلى الجـدار الذي يلي الـوادي عند بـاب الصّفا لاصقـاً بوجه الكعبة ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع ، وذرْع عرض المسجد الحرام من المنـارة التي عند المسعى[2] إلى المنارة التي عند باب بني شيبة الكبير مـائتا ذراع وثمـانيَة وسبعون ذراعاً ، وذرْع عرض المسجد الحرام من منارة بـاب أجياد إلى منـارة باب بني سهم مائتا ذراع وثمانية وسبعون ذراعاً[3] ، انتهى .

قلت : باب بني جُمَح لا أثر له الآن ، ومـوضعه فيمـا أظنّ بعض الأساطين المتقدّمة في زيادة باب إبـراهيم التي في وزان جدار المسجـد من هذا الجـانب ، والله أعلم .

وباب بني سهم هو باب المسجد المعروف الآن بباب العُمـرة ، وقد حـرّرنا ذرْع طـول المسجد الحـرام وعرضـه ، فكان طـوله من جـداره الغربي إلى جـداره الشرقي المقابل له ثـلاثمائـة ذراع وستّة وخمسين ذراعـاً ، وثُمن بذراع الحـديد ،

---

(١) في أخبار مكة ٢/ ٨٢ « مع جدريه يمر في بطن الحجر لاصقاً ».
(٢) في المطبوع من شفاء الغرام ١/ ٢٣٠ « السعى » والتصويب من أخبار مكة .
(٣) أخبار مكة ٢/ ٨١ و٨٢ .

ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع ، وذلك من وسط جداره الغربي الذي هو جدر رباط الخوزي إلى وسط جداره الشرقي عند باب المسجد المعروف بباب الجنائز ، يمرّ به في الحِجْر ملاصقاً لجدار الكعبة الشامي ، وكان عرضه من جداره الشامي إلى جداره اليماني مائتي ذراع وستّة وستين ذراعاً بذراع الحديد ، ويكون ذلك بذراع اليد ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع ، وذلك من وسط جداره القديم عند العقود التي يدخل منها إلى زيادة دار الندوة إلى وسط جداره اليماني ، فيما بين باب المسجد المعروف بباب الصفا وبابه المعروف بباب أجياد ، ويمر به فيما بين مقام إبراهيم والكعبة ، وهو إلى المقام أقرب ، حرّر لي ذلك جماعة مُعْتَمَدٌ عليهم من أصحابنا ، أثابهم الله ، وكان تحرير ذلك في ليلة الخميس السابع عشر من ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وقد طابق ما حررّناه في ذرع عرض المسجد ما ذكره الأزرقي في ذرْعه من وسطه .

وذكر ابن خرداذبة في ذرْع المسجد طولاً وعرضاً ما يخالف ذلك لأنه قال : وطول المسجد الحرام ثلاثمائة وسبعون ذراعاً ، وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعاً[1] . انتهى . وهذا غريب ، لذلك ذكرناه .

وذكر القاضي عزّ الدين بن جماعة في مقدار المسجد الحرام وجهاً آخر ، لأنه قال : ومساحة المسجد الحرام ستّة أفدِنة ونصف ورُبع ، والفدّان عشرة آلاف ذراع بذراع العمل المستعمل في البنيان بمصر ، وهو ثلاثة أشبار تقريباً . انتهى . أخبرني بذلك عن ابن جماعة خالي رحمهما الله .

وذكر الأزرقي رحمه الله مقدار المسجد الحرام في زمان ابن الزُبَير لأنه قال : وحدّثني جدّي قال : حدّثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زادان بن فروخ قال : مسجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وشيء .

---

(١) المسالك والممالك ١٣٢ .

Marfat.com

قال أبو الوليد : حدّثني جدّي وقال : وذلك في زمان ابن الزبير[1] انتهى .

ونذكر مقدار الجريب لما في ذلك من زيادة الفائدة في بيان مقدار المسجد الحرام في زمن ابن الزبير ، وقد ذكر ذلك الماوردي في « الأحكام السلطانية » والنووي والقلعي وصاحب « الوافي » ، فأما الماوردي فقال إنه عشر قصبات في عشر قصبات ، ذرْع كلّ قصبة ستة أذرع[2] ، قال ابن الرفعة بعد ذكره لكلام الماوردي : فإذا ضربت ذلك بالتكسير بلغ ثلاثة آلاف ذراع وستمائة ، وأما النووي والقلعي وصاحب « الوافي » فقالوا إنه أرض مربّعة كل قائمة منها ستون ذراعاً . قال ابن الرفعة بعد ذكره لذلك : وأنت إذا ضربت ذلك في مثله بلغ ثلاثة آلاف ذراع وستمائة ذراع ، وقال ابن يونس : الجريب ستة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع انتهى .

وعلى ما ذكره الماوردي ، ومن وافقه في مقدار الجريب ، يكون المسجد الحرام في زمان ابن الزبير خمسة وعشرين ألف ذراع ومائتي ذراع ، لأنّ ذلك مقدار سبعة أجربة ، ويزيد مقداره على ذلك بزيادة على السبعة الأجربة التي قيلت في مقداره ، وعلى ما ذكره ابن يونس في مقدار الجريب يكون المسجد الحرام في زمن ابن الزبير خمسة وأربعين ألف ذراع ، ينقص مائتي ذراع ، لأنّ ذلك مقدار السبعة الأجربة على هذا القول ، ويزيد مقدار المسجد على ذلك بزيادة على السبعة الأجربة ، وأظنّ أنّ ما قيل من أنّ مسجد مكة سبعة أجربة ، وشيء في زمان ابن الزبير ، يكون مقداره هذا بعد أن وسّعه ابن الزبير لا قبل أن يوسعه والله أعلم .

وقد ذكر الأزرقي في حد المسجد الحرام وجهاً آخر ، لأنه قال فيما رويناه عنه : حدّثني جدّي قال : أخبرنا مسلم بن خالد قال : سمعت محمد بن

---

(١) أخبار مكة ٢/٧١ .

(٢) الأحكام السلطانية ـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ ص ١٥٢ .

Marfat.com

الحرث بن سفيان يحدّث عن علي الأزْدي قال : سمعت أبـا هريـرة رضي الله عنه يقول : إنّا لنجد في كتاب الله عـزّ وجلّ أنّ حـدَّ المسجد الحـرام من الحَزْوَرَة إلى المسعى . وحدّثني محمد بن يحيى قال : حدّثنا هشام بن سليمـان عن عبد الله بن عِكْرِمة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قـال : أساس المسجد الحرام الـذي وضعه إبـراهيم عليه السـلام من الحَزْوَرَة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد ، وقال : والمهديّ وضع المسجد على المسعى[1] ، انتهى .

ذكر ذرْع زيادة دار الندوة

ذرْعها طولاً أربعة وسبعون ذراعاً بتقديم السين إلاّ رُبـع ذراع بذراع الحـديد المقـدّم ذِكره ، وذلـك من جدار المسجـد الكبير إلى الجـدار المقابـل له الشـامي منها ، وعنده بـاب منارتهـا ، وذرْعها عـرضاً من وسط جـدارها الشـرقي الى وسط جـدارهـا الغـربي سبعـون ذراعـاً بتقـديم السين ، ونصف ذرْع صحنهـا طـولاً من الأسـاطين التي في مقدم الجـانب الجنوبي إلى الأسـاطين التي في مقدم الجـانب الشمالي سبعة وثلاثون ذراعاً ، وذرْع عرض صحنهـا كذلـك بزيـادة سُدس ذراع ، كلّ ذلك بذراع الحديد .

ذكر ذرْع زيادة باب إبراهيم

أما ذرعها طولاً سبعة وخمسون ذراعاً إلاّ سُدس ذراع ، وذلك من الأسـاطين التي في وزان جدار المسجد الكبيـر إلى العتبة التي فيهـا باب هـذه الزيـادة ، وأما ذَرعها عرضاً فاثنان وخمسون ذراعاً وربع ، وذلـك من صدر حـائط رباط الخـوزي إلى جدار رباط رآمشت ، المقابل له من جدار دار زبيـدة إلى جدار ربـاط رامشت أيضـاً ، إلاّ أنـه ينقص من هنـا عن الأول ربـع ذراع ، وذرع صحنهـا طـولاً ستـة

---

(١) أخبار مكة ٢/٦٢ .

Marfat.com

وثلاثون ذراعاً وربع وثُمن ، وذلك من الأساطين الشرقية التي تلي صحنها إلى عتبة باب القبة ، وذرْع صحنها إلى عتبة باب القبّة ، وذرع صحنها عرضاً ثلاثة وثلاثـون ذراعاً ونصف ، كلّ ذلـك بذراع الحـديد المشـار اليه ، وكـان تحـريـر ذرْع ما بين الزيادتين بحضوري .

Marfat.com

الباب التاسع عشر

في عدد أساطين المسجد الحرام ، وصفتها وعدد عقوده ، وشرفاته وقناديله

وأبوابه وأسمائها ، ومنابره ، وفيما صنع فيه لمصلحة أو لنفع الناس به ، وفيما فيه الآن من المقامات وكيفية صلاة الأئمة بها وحكمها

ذكر عدد أساطين المسجد الحرام غير الزيادتين وصفتها .

روينا عن الأزرقي بالسند المتقدّم إليه أنّ عدد الأساطين التي بجوانب المسجد الحرام وأبوابه أربعمائة اسطوانة وأربعة وثمانون اسطوانة[1] ، منها على الأبواب عشرون اسطوانة . ووصف الأزرقي جميع هذه الأساطين والأساطين التي هي الآن في جوانب المسجد الحرام وأبوابه ، على غير ما ذكره الأزرقي في العدد والصفة الآن[2] ، لأنّ في الجوانب الأربعة من المسجد الحرام غير الزيادتين أربعمائة اسطوانة وتسعة وستّين أسطوانة ، وعلى أبواب المسجد من داخله وخارجه سبعة وعشرون أسطوانة ، فتصير جملة الأساطين بجوانب المسجد الحرام ، وما على أبوابه أربعمائة اسطوانة وستة وتسعين أسطوانة ، بتقديم التاء على السين ، غير ما في الزيادتين ، وذلك يزيد على ما ذكره الأزرقي عشرة أساطين ،

وجملة الأساطين التي بالجانب الشرقي ثمانية وثمانون أسطوانة ، كلها رخام خلا الواحدة[3] في الصفّ الأوسط عند باب علي ، فإنّها آجُرّ مجصَّص ، وجملة

---

(١) كان عددها عام ٩٨٤هـ : ٤٩٦ أسطوانة (١٠١ تاريخ عمارة المسجد الحرام) .

(٢) أخبار مكة ٢/٨٢ .

(٣) في النسخة (ك) : واحدة .

Marfat.com

الأساطين التي في هذا الجانب الشمالي ، ويقال له الشامي ، الذي يلي دار الندوة ودار العجلة ، مائة اسطوانة وأربعة أساطين ، منها الأسطوانة الحمراء ، وهي الثانية والعشرون من عدد الصفّ المقدّم من هذا الجانب ، وجميع الأساطين التي في هذا الجانب رخام ، خلا الأربعة عشر أسطوانة من آخر الصفّ الأوسط مما يلي دار العجلة وباب السِّدْرة ، فإنّها حجارة منحوتة .

وجملة الأساطين التي في الجانب الغربي سبعة وثمانون أسطوانة ، كلّها حجارة منحوتة ، وهي مما عُمِل بعد الحريق للمسجد الحرام لتكسُّر أساطينه الرخام التي كانت فيه قبل الحريق .

وجملة الأساطين التي في الجانب الجنوبي ، وهو اليماني ، مائة وأربعون أسطوانة ، وجميعها رخام خلا خمسة وعشرين أسطوانة ، فإنّها غير رخام ، وهي حجارة منحوتة ، خلا اثنين فآجُرّ مجصَّص .

وجميع ما في جوانب المسجد الحرام وأبوابه الآن من الأساطين الرخام ، ثلثمائة أسطوانة وأربعون أسطوانة ، وجميع ما فيه من الأساطين غير الرخام مائة أسطوانة وسبعة وعشرون أسطوانة ، كلّها حجارة منحوتة ، خلا الثلاثة أساطين ، فإنّها آجُرّ مجصَّص ، وقد تقدّم بيان موضع هذه الأساطين ، والأساطين الحجارة المنحوتة ، وكذا[1] الأساطين الرخام في جوانب المسجد الحرام وأبوابه .

ذكر عدد الأساطين التي بصحن المسجد الحرام وصفتها .

فأما عددها فمائتين وثلاثون أسطوانة . وأما صفتها فأربعة عشرة ، منها حجارة منحوتة دقيقة ، والباقي آجُرّ مُجَصَّص ، وبين كلٍّ من الأساطين خشبة ممدودة راكبة عليها ، وعلى المقابل لها لأجل القناديل التي تعلَّق فيها . وكان في موضع هذه الأساطين قبل ذلك أخشاب على صفة الأساطين ، وعُمِل ذلك للإستضاءة بالقناديل حول الكعبة .

---

(١) لا توجد في النسخة (ك) .

Marfat.com

وكـلام القاضي عـزّ الدين بن جمـاعـة يـوهـم أنّ ذلـك وقـع بعـد العشـرين وسبعمائة ، وأنّ الأساطين الحجارة جُعِلت في سنـة تسعٍ وأربعين وسبعمـائة ، ثم ثارت ريح عاصفة في سنة إحدى وخمسين فألقتها ثم جُدِّدت فيها .

وكلام ابن محفوظ المكّي يوهم أنّ إحداث هذا الدائر للقناديل في سنة ستٍّ وثلاثين وسبعمائة ، والله أعلم ، وجُدّد بعض هذه الأساطين في عصرنا وفيمـا قبله غير مرّة .

وذكر الأزرقي أنه كان حول الطواف عشرة أعمدة من صفر تستصبح بها على أهـل الطواف ، بعث بهـا الواثق العبـاسي ، وأنّ أول من استصبح لأهـل الـطواف جدّه عُقْبه ابن الأزرقي الغسّاني[1] .

ذكر عدد أساطين زيادة دار الندوة

عدد أساطين هذه الزيادة ستة وستّون أسطوانـة في جميع جـوانبها الأربعـة ، منها في الجهة الشرقية اثنتا عشرة ، ومنهـا في الجهة الشـامية عشـرون ، ومنها في الجهة الغربية إحدى عشرة ، ومنها في الجهة الجنوبية ثلاث وعشرون .

ذكر عدد أساطين زيادة باب إبراهيم

عدد أساطين هذه الزيادة سبع وعشرون أسطوانـة حجارة منحـوتة ، منهـا في الرواق الشرقي الذي يلي المسجد الكبير سبعة عشـر في صفَّين ، وأربعة من هـذه الأسـاطين السبعة عشـر لاصقة بجـدر رباط الخـوزي ، ورباط رامشت بكـل رباط ثنتـان ، وفي الجانب الشمـالي ستة أسـاطين ، واحدة منهـا لاصقة بجـدر الإيـوان الغربي ، وفي الجانب الجنوبي ستة أساطين ، واحدة منها لاصقة بـالمنارة ، التي كانت بهذه الزيادة ، وسيأتي ذِكْر شيء من خبرها ، وليس بالجانب الغربي من هذه الزيادة أساطين كما قدّمناه في صفتها .

---

(١) أخبار مكة ١/٢٨٦ .

Marfat.com

ذكر عدد طاقات المسجد الحرام وشرفاته وقناديله

أما عدد الطاقات التي بجوانب المسجد الحرام ، وهي العقود التي على الأساطين بجوانبه الأربعة غير الزيادتين ، فأربعمائة طاق ، وأربعة وثمانون طاقاً ، من ذلك بالجانب الشرقي تسعة وتسعون طاقاً في ثلاثة صفوف . ومن الجانب الشامي مائة وستة وخمسون في ثلاثة صفوف ، ومن ذلك بالجانب الغربي ثمانية وثمانون في ثلاثة صفوف ، ومن ذلك بالجانب الجنوبي وهو اليماني مائة وواحد وأربعون ، في ثلاثة صفوف .

وفيما ذكره الأزرقي في عدد طاقات المسجد الحرام مخالفة لما ذكرناه . لأنه قال : وعلى الأساطين طاقة وثمانية وتسعون طاقة[1] ، وبين ما في كل جهة منها . وقد ذكرناها في أصل هذا الكتاب .

ذكر طاقات زيادة دار الندوة

جملة هذه الطاقات التي على الأساطين بهذه الزيادة في جوانبها الأربعة : ثمانية وستون طاقاً . منها في الجهة الشرقية الأربعة عشر في صفَّين ، ومنها في الجهة الشامية أربعة وعشرون في صفَّين ، ومنها في الجهة الغربية أربعة عشر . ومنها في الجهة الجنوبية أربع وعشرون في صفَّين ، في كلّ صفّ منها اثنا عشر . وذلك غير الطاقات التي في جدار المسجد الكبير في هذه الجهة ، وهي إحدى عشرة طاقة ، وغير ما على الأبواب من الطاقات ، والطاقات هي العقود .

ذكر عدد طاقات زيادة باب إبراهيم

عدد طاقات هذه الزيادة ستة وثلاثون طاقاً : منها خمسة على جُدُر دار زبيدة ورباط الخوزي . ومنها خمسة على الجدر المقابل لهذه الجدار ، وهو جدر رباط رامشت ، والباقي على الأساطين ، منها ستة عشر على الأساطين التي في الجانب

---

(١) أخبار مكة ٢/ ٨٤ .

Marfat.com

الشـرقي ثمـانيـة في كـلّ صفّ . ومنهـا خمسـة على الأسـاطين التي في الجـانب الشمالي ، ومنها خمسة على الأساطين التي في الجانب الغربي .

وأما عدد شُرُفاته التي تلي بطن المسجـد الحرام فهي أربعـة[1] وثلاثـة عشر شرافة ، وسبعة أنصاف شرافات . منها في الجانب الشرقي إحدى وثمانون شـرافة ونصف . ومنها في الجانب الشمالي مائة وخمسة وعشرون شرافة ونصفان . ومنهـا في الجـانب الغربي سبعـة وتسعون شـرافـة وأربعـة أنصـاف . ومنهـا في الجـانب الجنوبي مائـة وثمانيـة وعشرون شـرافة . وفي نحـو النصف من كل جهـة من هذه الأربع جهات شباك بير مخرم من آجُرّ معقود بالنورة .

وأمـا الشرافـات التي على جدر المسجـد الحرام من خـارجـه ، فهي اثنـان وخمسون شرافـة ، منها خمس عشـرة شرافـة على باب المسجـد المعروف بيـاب العباس ، ومنها إحدى عشرة شرافة على باب المسجد المعروف بباب علي . ومنها إحدى عشرة شرافة على باب المسجد المعـروف بباب بـازان بالجـانب الجنوبي . ومنها ثلاث شرافات على باب أجياد بالجانب الجنوبي أيضاً . ومنها ستّ شرافـات على الباب الذي يليه . ومنها ستٌّ على البـاب الذي يليـه أيضاً . ومـا ذكرنـاه من عـدد الشراريف مخـالف لِما ذكـره الأزرقي في ذلك ، لأنـه قال : الشـرافات التي على جدران المسجد الحرام من خارجه مائتـا شرافـة واثنتان وسبعـون شرافـة[2] . انتهى .

ذكر عدد الشرافات التي بزيادة دار الندوة

وبالجوانب الأربع من هذه الـزيادة التي ببـطنها اثنتـان وسبعون شـرافة ، فى كـل جهة ثمـانية عشـر ، وكلّها متسـاوية في الشكـل ، إلاّ التي في الأركان فـإنّهـا مخالفة لها في الصفة .

---

(١) كذا بالأصل ، والصحيح « أربعمائة » كما في « العقد الثمين » للمؤلف .
(٢) أخبار مكة ٢/٩٥ .

ذكر عدد الشرافات التي بزيادة باب إبراهيم

عدد الشرافات التي بجوانب هذه الزيادة مما يلي بطنها ، بضعٌ وأربعون . منها عشر في الجهة الشرقية . ومنها اثنتا عشرة في الجنوبية ، وكذلك في الشمالية ، وفي الغربية في محاذاة القبّة ، وبقيّة الصّفّ خال ، والظاهر أنه كان هناك شرافات فتخرّبت ، والله أعلم .

وأما عدد قناديل المسجد الحرام الآن المرتّبة فيه غالباً ، فهي ثلاثة وتسعون قنديلاً ، بتقديم التاء على السين ، منها في الجانب الشرقي سبعة قناديل ، ومنها في الجانب الشمالي أحد عشر قنديلاً ، ومنها في الجانب الغربي سبعة أيضاً . بتقديم السين على الباء كالجانب الشرقي . ومنها في الجانب الجنوبي ثمانية قناديل . ومنها في الدائرة التي حول المطاف ثلاثون قنديلاً . ومنها في مقام الخليل إبراهيم أربعة قناديل . ومنها في كلّ مقام من المقامات الأربعة حول المطاف خمسة قناديل. ومنها قنديل على باب بني شيبة من خارجه ، ومنها ثلاثة[1] بزيادة دار الندوة في كل جانب ، منها قنديل خلا الجانب الشرقي منها ، فإنه لا قنديل فيه . ومنها قنديل على باب الزيادة بالجانب الغربي المعروف بباب إبراهيم ، من داخله ، فهذه القناديل المرتّبة في المسجد الحرام غالباً . ويزاد فيه في شهر رمضان من كلّ سنة ثلاثون قنديلاً في الدايرالذي حول المطاف ، ويزاد في هذا الدايرفي كلّ من المقامات الأربعة .

وفي مقام إبراهيم عدّة قناديل في بعض ليالي العَشْر الأخيرة من رمضان ، في كلّ سنة عند ختْم المصلين . فهذه الأماكن للقرآن الكريم[2] ويزاد في هذا الدائر في زمن الموسم نظير ما يزاد فيه في شهر رمضان ، ويزاد في جوانب المسجد الحرام الأربعة في زمن الموسم عدّة قناديل ، في سلاسل معلقة في

---

(١) قناديل : في النسخة (ك) .

(٢) في النسخة (ك) : العظيم .

Marfat.com

الرواق الأوسط من هذه الجوانب ، وهي التي فيها القناديل المرتّبة المشار إليها ، إلاّ أنّ في الرواق الثالث من الجانب الشمالي الذي يلي زيادة دار الندوة ستّ سلاسل مفرَّقة .

وفي الرواق الأوسط من الجانب أيضاً تسع سلاسل ـ بتقديم التاء على السين ـ ، وفي الرواق الأوسط من هذا الجانب الجنوبي عشر سلاسل ، وفيه من الجانب الشرقي والغربي سلاسل مقطَّعة ، وجميع هذه السلاسل لا قناديل فيها .

وعدد قناديل المسجد الحرام وسلاسله الآن ينقص كثيراً عما ذكره الأزرقي في قناديل المسجد ، لأنه ذكر أنّ فيه من القناديل أربعمائة قنديل وخمسة وستّين قنديلاً[1] . انتهى .

ذكر عدد أبواب المسجد الحرام وأسمائها وصفاتها

للمسجد الحرام الآن تسعة عشر باباً ـ بتقديم التاء على السين ـ ، تفتح على ثمانية وثلاثين طاقاً ، منها في الجانب[2] الشرقي أربعة أبواب : الأول ثلاث طاقات ، وهو الباب المعروف بباب بني شيبة ، ويقال له أيضاً باب السلام . الثاني طاقان ـ ، ويعرف بباب الجنائز ، لأنّ الجنائز يُخْرَج بها منه في الغالب .

وذكر الأزرقي أنه باب النبيّ ﷺ الذي كان يخرج منه ويدخل إلى منزله دار خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في زقاق العطّارين[3] . وذكر أنه كان طاقاً واحداً ، ولم أر متى جُعِل له طاقان ، إلاّ أنه كان على ذلك من سنة تسعٍ وسبعين وخمسمائة ، لأنَّ ابن جبير ذكره هكذا في أخبار رحلته ، وكانت في هذه السنة[4] . الباب الثالث : ثلاث طاقات يعرف بباب العباس بن عبد المطّلب

---

(١) أخبار مكة ٢/٩٨ .
(٢) بالجانب : في النسخة (ك) .
(٣) أخبار مكة ٢/٧٨ .
(٤) رحلة ابن جبير ٨٢ .

رضي الله عنه ، لأنه يقابل داره بالمسعى ، وعرّفه بذلك أيضاً الأزرقي[1] ، وسمّاه ابن الحاجّ في منسكه باب الجنائز ، لأنه قال لما ذكـر صفة السعي : ثم ينـزل عن الصفا ماشياً حتى يحاذي العَلَم الأخضر، وهو أول بطن الوادي يسعى سعياً في الهرولة حتى يجاوز العَلَم الأخضر الذي عند باب الجنائز، وهو آخر بطن الوادي فيمشي على هينته حتى يأتي المروة ، انتهى . ولعلّ تسميتـه له بـباب الجنائـز لأنّ الجنائـز كان يُصَلَّى عليهـا فيه ، كمـا ذكـره الفـاكهي . وذكـر أيضـاً مـوضعين غيـره من أبـواب المسجد الحرام كان يصلَّى عندها على الجنائز ، وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى . الباب الرابع : ثلاث طاقات أيضاً ، ويعرف بباب علي ، وقد عرّفه بذلك ابن جبير لأنه قال : وباب عليّ رضي الله عنه[2] ، وعرّفه الأزرقي بباب بني هاشم[3] .

وبالجانب الجنوبي سبعة أبواب : الأول : طاقـان . ويقال لـه باب بـازان ، لأنّ عين مكة المعروفة ببازان قربه ، وعرّفه الأزرقي بـباب ابن عايـذ[4] . الثاني : طـاقان ويُعـرف بباب البغلة ، بـاء موحَّـدة وغين معجمة ، ولم أدر مـا سبب هـذه التسمية والشهرة ، وعرّفه الأزرقي بباب بني سفيان[5] . الثـالث : باب الصفـا لأنه يليه وهو خمسة أبواب . قال الأزرقي : ويقال لـه اليوم بـاب بني مخزوم ، البـاب الرابع : طاقان ، ويعرف بباب أجياد الصغير . وسمّاه بذلـك ابن جُبير ، ، وسمّـاه أيضـاً بـباب الخلقيّين[6] ، قـال الأزرقي : ويقـال لـه بـاب بني مخـزوم[7] البـاب الخـامس : طاقـان أيضاً ، ويعـرف بباب المجـاهديـة ، لأن عنده مـدرسـة الملك المؤيَّد المجاهـد صاحب اليمن ، ويقـال له بـاب الرحمـة .وما عـرفت سبب هذه

---

(١) أخبار مكة ٢/٧٨ .
(٢) رحلة ابن جبير ٨٢ .
(٣) أخبار مكة ٢/٨٨ .
(٤) أخبار مكة ٢/٨٩ .
(٥) هو باب بني سفيان بن عبد الأسد .
(٦) في شفاء الغرام المطبوع ١/٢٣٨ « الخلفين » ، والتصحيح من رحلة ابن جبير ٨٢ .
(٧) أخبار مكة ٢/٩٠ .

التسمية ، وهو من أبواب بني مخزوم على ما ذكره الأزرقي . الباب السادس : طاقان أيضاً ، ويعرف الآن بباب مدرسة الشريف عجلان صاحب مكة ، لأنها عنده . قال الأزرقي : ويقال لهذا الباب باب بني تيم . الباب السابع : طاقان ويعرف الآن بباب أم هانيء بنت أبي طالب ، وعرّفه بذلك الأزرقي ، ويقال له الآن أيضاً باب الملاعبة لأنه بحذاء دار تُنسب للقوّاد تسمّى الملاعبة .

ووجدت بخطّ الشيخ أبي طيبة محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري ، نزيل الحرمين الشريفين تعريف هذا الباب بباب الفرج . وبالجانب الغربي : ثلاثة أبواب ، الأول : طاقان ويعرف بباب عزوره وهي الحَزْوَرَة التي صُحِّفَت بهذه اللفظة كما سبق بيانه ، قال الأزرقي : ويقال له باب بني حكيم بن حِزَام وبني الزبير بن العوّام ، والغالب عليه باب الحزامية . لأنه يلي الحزامية[1] الثاني : طاق واحد كبير يقال له باب إبراهيم في الزيادة التي بهذا الجانب ، وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب خيّاط كان عنده على ما قيل ، كما ذكر ذلك أبو عُبَيد البكري في كتابه « المسالك والممالك » ، وذكر أنّ العوامّ نسبوه إليه .

ووقع للحافظ أبي القاسم بن عساكر [2] وابن جُبَير وغيرهما من أهل العلم ما يقتضي أنّ إبراهيم المنسوب إليه هذا الباب هو إبراهيم الخليل عليه السلام ، وذلك بعيد لأنه لا وجه لنسبته إليه ، والله أعلم .

الباب الثالث : طاق واحد ، ويُعرف بباب العمرة ، لأنّ المعتمرين من التنعيم يخرجون ويدخلون منه في الغالب . وذكر تسميته بباب العمرة ابن جُبَير في رحلته[3] ، والمحبّ الطبري في « القرى » وسمّاه الأزرقي بباب بني سهم . وبالجانب الشمالي ، ويقال له الشامي ، خمسة أبواب الأول : طاق واحد ويُعرف بباب السُّدة ، وسمَّاه بذلك ابن جبير في رحلته ، وغيره ، ويقال له على ما ذكر

---

(١) في النسخة (ك) الباب .
(٢) صاحب تاريخ دمشق وغيره . توفي سنة ٥٧١ هـ .
(٣) رحلة ابن جبير ٨٢ .

Marfat.com

الأزرقي باب عمرو بن العاص رضي الله عنه . الثاني : طاق واحد ويُعرف بباب العجلة لكونه عند دار العجلة . الثالث : طاق واحد بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي . الرابع : طاقان بالزيادة المذكورة في جانبها الشامي . الخامس : طاق واحد يعرف بباب المدرسة عند المنارة التي عند باب بني شيبة ، فهذه أبواب المسجد الحرام الآن وأسماؤها . . . وقد ذكر الأزرقي رحمه الله عدد أبوابه وصفاتها وأسماءها[1] ، وقد تغيّر بعده كثير من ذلك في العدد والصفة والتسمية .

أما العدد فلأنه ذكر أنها ثلاثة وعشرون باباً ، فيها ثلاثة وأربعون طاقاً ، وأما الصفة فلأنّ بعض الأبواب التي ذكرها زال عن مكانه . وذلك أربعة أبواب بالجانب الغربي وأربعة أبواب بالجانب الشامي ، وبعضها تغيّرت صفته مع بقائه على مكانه ، وأما التسمية فلأنه لا يُعرف منها الآن ما ذكره الأزرقي إلاّ خمسة أبواب : باب بني شيبة وباب العباس وباب الصفا وباب أم هانيء وباب العجلة ، وقد ذكرنا في أصل هذا الكتاب كلامه بنصّه وبيّنّا ما فيه ، مع ما ذكره ابن جبير في أبواب المسجد الحرام وأسمائها ولم يذكر ابن جبير فيها باب بني سفيانا[2] .

ولم أذكر في أبواب المسجد الحرام أبواب الدور التي في المسجد ، وإن كان الأزرقي ذكرها لأنّها أبواب للدور لا للمسجد ، وفي غالب هذه الدور أبواب صغار يخرج منها إلى سطح المسجد ، وكانت سُدَّت قبيل سنة ثمانمائة أو فيما بعدها حسماً لمادَّة مفاسد تقع في سطح المسجد ، ثم فُتحت واستمرّت إلي الآن ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

ولْنُشِر إلى أبواب المسجد الحرام التي ذكر الفاكهي أنّ فيها كان يُصَلَّى على الجنائز ، وهي : باب بني شيبة وباب العباس وباب الصفا .

قال الفاكهي : وكان الناس فيما مضى من الزمان يصلّون على الرجل

---

(١) انظر : أخبار مكة ـ ج ٢/ ٨٦ وما بعدها .

(٢) رحلة ابن جبير ـ ص ٨٢ و ٨٣ .

Marfat.com

المذكور في المسجد الحرام[1] انتهى . ومراده بالمذكور المشهور - والناس اليوم يصلُّون على الموتى جميعاً داخل المسجد الحرام، إلاَّ أنّ المذكور من الناس يصلّون عليه عند باب الكعبة . ويذكر أنهم كانوا إنّما يصلّون عند باب الكعبة على الأشراف وقريش ، وأدركناهم يصلّون عند باب الكعبة على غيرهم من الأعيان ، وبعض الناس تشاحح في ذلك بالنسبة لغير قريش والأشراف ، وتشاحح أيضاً في إخراج غيرهم ، وإن عظُم قدره من باب بني شيبة ، ولم أر في الخروج بالموتى من باب بني شيبة شيئاً يُستأنَس به ، وعندي أنّ الخروج بالموتى من المسجد من الباب المعروف بباب الجنائز أولى ، لأنه كان طريق النبيّ ﷺ من منزل زوجته أم المؤمنين خديجة إلى المسجد الحرام ، ولذلك قيل له باب النبيّ ﷺ .

وأما الصلاة على الموتى عند باب الكعبة فرأيت فيه خبراً ذكره الأزرقي يقتضي أنّ آدم صُلِّي عليه عند باب الكعبة ، والذين لا يُصَلَّى عليهم عند بابُ الكعبة يُصَلَّى عليهم خلف مقام إبراهيم عند مقام الشافعي ، وبعضهم يصلَّى عليه عند باب الحزورة ، وهم الفقراء الطرحاء ، وذلك داخل المسجد الحرام أمام الرواق ، لكون ذلك بالقرب من الموضع الذي يغسّلونهم فيه ، وكونه إلى موضع دفنهم أقرب .

ذكر منائر المسجد الحرام

للمسجد الحرام الآن خمس منائر ، منها أربعة في أركانه واحدة في زيادة الندوة ، وذكر ابن جبير أنه كان بالمسجد الحرام سبع منائر عدَّ فيها هذه الخمسة ، ثم قال : وأخرى على باب الصفا وهي أصغرها ، وهي علم لباب الصفا وليس يُصعد عليها لضيقها ، قال : وعلى باب إبراهيم صومعة[2] انتهى . وهذه الصومعة

---

(١) أخبار مكة ٢/٩٧ .

(٢) رحلة ابن جبير - ص ٦٨ .

Marfat.com

هي التي يقال لها الآن : خزانة القاضي نور الـدين علي النويـري ، وأعلاهـا الآن منهدم ، هدمه بعض أمراء مكة لإشرافها على داره على ما قيل ، والله أعلم .

وعمَّر أبو جعفر المنصور من منائر المسجد الحرام منارة باب العمرة ، وعمّر ابنه المهديّ منها المنارة التي على باب بني شيبة ، والمنارة التي على باب علي ، والمنارة التي على باب الحـزورة . وعمّر الجـواد جمال الـدين محمد بن علي بـن أبي منصور الأصفهاني وزير صاحب الموصل منائر المسجـد الحرام على مـا ذكره بعض مشايخنا ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

وأخبرني من أعتمده أنه رأى اسمه مكتوباً في منارة باب العُمْـرة ، بما معنـاه أنه أمر بعمارتها في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وعُمّرت منارة بـاب الحزورة في زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين صاحب الموصـل . وكانت سقـطت في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ، وسلم الناس منها ، فوصل المعمِّرون لعمارتهـا في مـوسم هـذه السنـة ، وفُـرِغ منهـا في المحـرَّم مفتتـح شهـور سنـة اثنتين وسبعين وسبعمائة ، وعُمِّـرت منارة بـاب بني شيبة في زمن مـولانا السلطان الملك النـاصر فرج بن الملك الظاهر برقـوق ، وذلك بعـد أن سقطت في آخـر شعبان سنـة تسع وثمانمائة ، وابتدأ في عمارتها سنة عشر ، ولم يُكْمِل بناءها إلاَّ في آخر ذي القعدة من السنة التي بعدها ، واستُحْسِنَت عمارتها .

وذكر الفاكهي منـائر المسجـد الحرام الأربعـة التي بجوانبـه الأربعة ، وبـدأ بذكرهـا بمنارة بـاب بني سهم . ثم بمنارة بـاب الحزورة . ثم بـالمنارة التي فيهـا النيل التي يهرول السـاعي بين الصفا والمَـرْوة عنده . ثم بمنـارة باب بني شيبـة ؛ وذكـر الفاكهي أنّ في منـارة باب بني سهم يؤذّن صـاحب الـوقت بمكـة ، ومـراده بصـاحب الوقت ، والله أعلم ، الـذي يقال لـه في هذا الـزمـان رئيس المؤذّنين ، وهذا يخالف ما عليه الناس اليوم بمكة ، لأنّ منارة صـاحب الوقت الآن هي منـارة باب بني شيبة . وذكر الفاكهي أنّ في منارة باب الحـزورة يسحّر المؤذّن في شهـر رمضان ، ولم يذكر أنّ ذلك يُصْنَع في غيرها ، فدلّ ذلك على أنّ اختصاصها به ،

Marfat.com

والذي عليه المؤذّنون الآن بمكة أنهم يسحّرون في جميع منائر المسجد الحرام الخمس ، وإنّما لم يذكر الأزرقي والفاكهي المنارة الخامسة التي بزيادة دار الندوة لحدوثها بعدهما .

ونختم هذه الترجمة بمنائر في غير المسجد الحرام كان يؤذَّن فيها بمكة وظاهرها ، ذكرها الفاكهي ، ونصّ ما ذكره الفاكهي : ذِكْر عدد المنارات التي على رؤ وس الجبال بمكة : وكان أهل مكة فيما مضى من الزمان لا يؤذّنون على رؤ وس الجبال ، وإنّما كان الأذان في المسجد الحرام وحده ، فكان الناس تفوتهم الصلاة من كان منهم في فجاج مكة ، ونائياً عن المسجد ، حتى كان في زمن أمير المؤمنين هارون ، فقدم عبد الله بن مالك أو غيره من نُظرائه بمكة ، ففاته الصلاة ولم يسمع الأذان ، فأمر أن يُتَّخَذَ على رؤ وس الجبال منارات ليشرف على فجاج مكة وشعابها ، يؤذَّن فيها للصلوات ، وأجرى على المؤذّنين في ذلك أرزاقاً ، ولعبد الله بن مالك الخزاعي على جبل أبي قبيس المشرف على المسجد الحرام منارة على القبلة بعينها ، ومنارة أخرى بحذائها مشرفة على أجْيَاد ، ومنارة إلى جنب المنارة التي على القبلة ، وأخرى تحتها ، فتلك أربع منارات ، ولعبد الله بن مالك منارة على جبل مرازم المشرف على شِعْب ابن عامر ، وجبل الأعرج ، ثم أمر بُغا مولى أمير المؤمنين الذي يُكْنَى بأبي موسى[1] بمنارة على رأس الفلق ، فبُنيت به ، ولعبد الله بن مالك منارة[2] أيضاً تشرف على المجزرة ، وله هناك منارتان على جبل تفاحة ، ولعبد الله بن مالك منارة على رأس الأحمر ، بناها على موضع منه ، يقال له الكبش مرتفع على جبل الأحمر ، [وعليه][3] منارة لبغا أيضاً .

---

(١) وهو بُغا الكبير أبو موسى التركي أحد قوّاد المتوكل وأكبرهم ، له فتوحات ووقعات . مات بحدود سنة ٢٥٠ هـ . (الوافي بالوفيات ١٠/١٧٢ ، ١٧٣ رقم ٤٦٥٦) .

(٢) تكرّرت في الأصل .

(٣) إضافة على الأصل .

Marfat.com

ولعبد الله بن مالك منارة على باب الخليفة عمر[1] ومعها منـارة لبُغا أيضـاً ، ولعبد الله على كُدَيّ منارة تشرف على وادي مكة ، ولِبُغا منارة على جبل المقبرة ، وله أيضاً منـارة على جبل الحـزورة ، وله منـارتان على جبـل عمر بن الخـطّاب ، وعلى جبـل الأنصاب الـذي يلي أجياد منـارة ، وله منـارة على ثنية أم الحـارث ، تشـرف على الحصحاص ، ولبُغـا منارة على جبـل معـدان ، مشـرفـة على حـائط خرمان ، وله أيضاً منـارة تشرف على الخضـراء ، وبئر ميمـون ، ولبُغا منـارة أيضاً بمنى عند مسجد الكبش ، فكانت هذه المنارات عليها قوم يؤذّنون فيهـا للصلوات وتُجرَى عليهم الأرزاق في كل شهر ، ثم قُطع ذلـك عنهم ، فترك ذلـك بعضهم ، وبقي منها منارات يؤذَّن عليها ، يجري على من يؤذّن فيها عبد العزيز بـن عبد الله السهمي اليوم ، انتهى .

وقـد تُرك الأذان على جميـع هذه المنـارات في عصـرنـا ، إلاَّ أنّ في شهـر رمضان يسحّر جماعة من النـاس على جبال بمكـة ، في كل جبـل إنسان ، ويؤذن كلٌّ منهم في الجبل الـذي يسحّر عليـه ، وهي : جبل أبي قبيس ، والجبـل الذي على القرارة المعروف بِلَعْلَعْ ، وفي الجبل الأحمر ، ويقال له جبـل الحارثي نسبـة إلى مؤذّن كان يسحّر فيـه ويؤذّن ، وللمؤذّنين علىٰ هذه الجبـال جامكيـة[2] يسيرة تصل من مصر مع ما يصل لمؤذّني المسجد الحرام وأرباب الوظائف به .

ذكر ما صُنع في المسجد الحرام لمصلحة أو لنفع الناس به

مما صُنع في المسجد الحرام لمصلحته قبّة كبيرة بين زمزم وسقـاية العبـاس رضي الله عنـه ، لحفظ الأشياء المـوقـوفـة ، ومـا فيـه من الـرُّبْعـات والمصـاحف الشريفة ، منها مصحف عثمان رضى الله عنه على ما يقـال ، وفيها مـا يقتضي أنّها عُمّـرت في زمن النـاصر العباسي ، وكـانت موجـودة قبل ذلك على ما ذكر ابـن

---

(١) في الأصل (ابن عمر البكري) وهو خطأ .
(٢) جامكية : اصطلاح شائع في عصر المماليك بمعنى مخصّصات أو مرتّبات شهرية أو سنوية .

Marfat.com

عبدربه في «العِقْد»[1]، وقد تقدّم أنه توفي سنة ثمانٍ وعشرين وثلثمائة، وذكرها ابن جُبَير في أخبار رحلته ، وذكر أنّها تُنْسَب لليهودية[2] ، ولم يبيّن سبب هذه التسمية والنّسبة ، وعُمِّر بعضها في سنة إحدى وثمانمائة . .

ومن ذلك المِزْوَلَةَ التي بصحن المسجد الحرام ، وهي من عمل الوزير الجواد ، واسمه مكتوب في اللّوح النّحاسي المعمور لمعرفة الوقت ، وهو بأعلى هذه المزولة ، ويقال لها أيضاً ميزان الشمس ، وبينها وبين ركن الكعبة الشامي الذي يقال له العراقي ثلاثة وأربعون ذراعاً ، بذراع الحديد وثُمن ذراع . .

ومنها ظلّة للمؤذّنين في سطح المسجد ، تُظِلُّهم من الشمس ، ذكرها الأزرقي[3] ، ولا أثر لها الآن .

ومنها فسقيّة من رخام بين زمزم والركن والمقام ، عملها (خالد بن[4] عبدالله القَسْري)[5] في ولايته لمكة بأمر سليمان بن عبد الملك ، وساق إليها ماء عذْباً ضاهى به زمزم ، وقيل إنه عمل ذلك بأمر الوليد بن عبد الملك ، ذكر هذا القول السُهَيْلي[6] ، والأول ذكره الأزرقي[7] ، ثم بطُلَتْ فلم يبق لها أثر ، وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة ، أبطلها داود بن علي العباسي لما قدم مكة والياً عليها لابن أخيه أبي العباس السفاح . .

---

(١) العقد الفريد ٦/٢٥٨ .

(٢) رحلة ابن جبير ٦٦ .

(٣) أخبار مكة ٢/٩٩ .

(٤) لا توجد في النسخة (ك) .

(٥) كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك ، ولي مكة سنة ٨٩ هـ . وقُتل سنة ١٢٦ هـ . (ترجمته في كتب التاريخ التي تتحدّث عن خلافة هشام بن عبد الملك ، كالطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الأثير وابن كثير ومرآة الجنان وابن خلدون . . وله ذكر كثير في كتب الأدب ، مثل : الأغاني ٢٢/٥ ، والعقد الفريد ، وعيون الأخبار ، وغيره ، وانظر عنه : تهذيب تاريخ دمشق ٥/٦٧ ، وفيات الأعيان ٢/٢٢٦ ـ ٢٣١ ، مصارع العشاق ٢/١٩٧ ، الفرج بعد الشدة ٢/١٤٨ ، نشوار المحاضرة ٤/٢٦٣ ، الأعلام ٢/٣٣٨) .

(٦) الروض الأنف ١/٢٢٤ .

(٧) أخبار مكة ٢/٦٠ .

Marfat.com

ومما جُعل في المسجد الحرام لينتفع الناس بذلك ، المنابر التي يُخْطَب عليها ، وأول من خطب على منبر مكة معاوية بن أبي سفيان ، وهو منبر صغير على ثلاث درجات ، قدم به من الشام لما حجّ ، وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة قياماً على أرجلهم في وجه الكعبة وفي الحِجْر . وكان منبر معاوية يُعمَّر إذا تخرّب ، ولم يزل يُخطَب عليه حتى حجّ هارون الرشيد ، وأُهدِي له منبر منقوش عظيم في تسع درجات ، أهداه له عامله على مصر موسى بن عيسى ، فكان منبر مكة . وجُعل المنبر القديم بعرفة ، ثم أمر الواثق العباسي بعمل منبر بمكة ، ومنبر بمنى ومنبر بعرفة ، هذا ما ذكره الأزرقي من خبر المنابر[1] ، وذكر الفاكهي ذلك ، وزاد أنّ المنتصر بن المتوكل العباسي لما حجّ في خلافة أبيه ، جعل له منبراً عظيماً فخطب عليه بمكة ، ثم خرج وخلّفه بها انتهى ، وجُعل بعد ذلك عدّة منابر للمسجد الحرام ، منها منبر عمله وزير المقتدر[2] العباسي .

وكان منبراً هائلاً استقام بألف دينار ، ولما وصل إلى مكة أحرق ، لأنه كان بعث به ليخطب عليه للخليفة المقتدي ، فمنع من ذلك المصريون ، وخطبوا للمستنصر العُبَيْدي صاحب مصر ، وأحرقوا المنبر المشار إليه ، ومنها منبر عُمل في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر في سنة ستٍّ وستين وسبعمائة ، ومنها منبر بعث به الملك الظاهر برقوق صاحب مصر في سنة سبعٍ وسبعين

---

(١) أخبار مكة ٢/١٠٠ .

(٢) تولّى المقتدر الخلافة من سنة ٢٩٥ حتى قُتل سنة ٣٢٠ هـ . وقد تعاقب على الوزارة في عهده عدّة وزراء ، ذكرهم ابن طباطبا في الفخري ٢٦٥ ـ ٢٧٥ ، والعمري في الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٥٦ ـ ١٥٩ ، والصابي في الوزراء (أماكن كثيرة) ، ومؤرّخو الدولة العباسية ، مثل : الهمذاني ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن الجوزي ، وغيرهم . ولذا لا يمكن أن يُعرف بالتحديد من هو الوزير المقصود ، ويحتمل أن يكون هو « علي بن عيسى » ، إذ قيل إنه وقف وقوفاً كثيرة من ضياع السلطان وأفرد لها ديواناً سمّاه ديوان البرّ ، جعل حاصله لإصلاح الثغور وللحرمين الشريفين . (الفخري ٢٦٨) .

وسبعمائة ، وهو باقٍ يخطب عليه الخطباء إلى تاريخه[1] وأُصلح بعد وصوله إلى مكة غير مرّة ، ومنها منبر حسن أنفذه الملك المؤيَّد صاحب (مصر)[2] في موسم سنة ثمان عشرة وثمانمائة ؛ فخُطب عليه في سابع ذي الحجّة ، وهُجرت الخطبة على الذي قبله ، وأنفذ معه درجة حسنة للكعبة ، فنُصِبت للرُقيّ عليها إلى الكعبة وأُعرض عن التي قبلها ، وكانت عُمِلت في سنة ستٍّ وستين وسبعمائة من قِبَل الأشرف شعبان[3] صاحب مصر ، وكان مدّة الرّقيّ عليها إلى الكعبة اثنتين وخمسين سنة أو تزيد قليلاً ، وكان مدّة الخطبة على المنبر الذي عُمل في دولة الأشرف إحدى وثلاثين سنة أو تزيد قليلاً ، والله أعلم .

ذكر صفة المقامات التي هي الآن بالمسجد الحرام ومواضعها منه

أما صفة المقامات فإنّها غير مقام الحنفي أسطوانتان من حجارة ، عليها عقْد مشرف من أعلاه ، وفيه خشبة معترضة ، فيها خطاطيف للقناديل ، وما بين الأسطوانتين من مقام الشافعي لا بناء فيه ، وما بينهما من مقام المالكي والحنبلي مبنيّ بحجارة مبيّضة بالنَّوْرة ، وفي وسط هذا البناء محراب ، وكان عمل هذه الثلاثة المقامات على هذه الصفة في سنة سبعٍ وثمانمائة رغبة في بقائها ، فقد ذكرنا صفته[4] القديمة في أصل هذا الكتاب .

وأما صفة مقام الحنفي الآن فأربع أساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون مزخرف وأعلا السقف مما يلي السماء مدكوك بالآجُرّ مطليّ بالنَّوْرَة ، وبين الأسطوانتين المتقدّمتين بناء فيه محراب مرخّم ، وكان ابتداء عمله على هذه

---

(١) إي إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب .
(٢) عن النسخة (ك) ، وهي ليست في النُسخ الأخرى .
(٣) قُتل سنة ٧٧٨ هـ .
(٤) في نسخة (ك) « صفتها » .

Marfat.com

الصفة في شوال ، وفي ذي القعدة من سنة إحدى وثمانمائة ، وفرغ منه في أوائل سنة اثنتين وثمانمائة ، وأنكر عمله على هذه الصفة ، جماعة من العلماء من مشايخنا وغيرهم ، منهم العلّامة زين الدين الفارسكوري الشافعي[1] ، وألّف في ذلك تأليفاً حسناً ، ثم أخبرني بالقاهرة في أوائل سنة اثنتين وثمانمائة أنّ شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني[2] ، وابنه سيّدنا ومولانا قاضي القضاة بالديار المصرية الآن شيخ الإسلام جلال الدين[3] ، أبقاه الله ورحم سلفه ، وقضاة القضاء بالديار المصرية في هذه السنة أفتوا بهدم هذا المقام ، وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة ، وأنّ ذلك جنحة فيه ، وأنّ وليّ الأمر بمصر رسم بهدمه ، فعارض في ذلك بعض ذوي الهوى فتوقّف في ذلك .

وسبب الإنكار في بناء هذا المقام ما حصل فيه من كثرة شغل الأرض بالبناء وقلّة الانتفاع بموضعه في الليالي الحارّة لأجل سقفه إلّا بمشقة فادحة ، وما يتوقّع من إفساد أهل اللهو فيه ، لأجل سترته لهم وغير ذلك . وأما مواضعها في المسجد الحرام فإنّ مقام الشافعي خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام والحنفي بين الركنين الشامي والغربي والمالكي بين الركن الغربي واليماني والحنبلي تجاه الحجر الأسود .

ذكر ذرْع ما بين كل من هذه المقامات وبين الكعبة

أما مقام الشافعي فبينه وبين جدار الكعبة الشرقي تسعة وثلاثون ذراعاً ونصف ذراع بذراع الحديد ، وبينه بين الأسطوانتين المؤخّرتين من ساباط مقام

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن خلف أبو المعالي ، وُلّي قضاء المدينة المنوّرة ولكنه لم يباشره ، وجاور بمكة ، وصنّف بها شيئاً في مقام إبراهيم . توفي سنة ٨٠٨ هـ . (الضوء اللامع ٤/٩٦ ، ٩٧) .

(٢) هو عمر بن رسلان بن نصير ، برع في الفقه وأصوله ، وتولّى القضاء وتأهّل للتدريس والفتيا . توفي سنة ٨٠٥ هـ . (الضوء اللامع ٦/٨٥ ـ ٩٠ رقم ٢٨٦) .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان . توفي سنة ٨٢٤ هـ . له ترجمة حافلة في (الضوء اللامع ٤/١٠٦ ـ ١١٣ رقم ٣٠١) .

Marfat.com

إبراهيم عليه السلام تسعة أذرع ونصف .

وأما مقام الحنفي فإنّ من جدار محرابه إلى وسط جدار الحِجْر اثنين وثلاثين ذراعاً إلاّ سُدُس ذراع . وقد تقدّم في الباب السابع في أخبار الحِجْر مقدار ما بين جدار داير الحِجْر من داخله إلى جدار الكعبة ، وعرض جدار الحِجْر ، فأغنى ذلك بما نذكره هنا ، ومن جدار محرابه إلى حاشية المطاف عشرة أذرع ونصف بالعتبة ، وعرض العتبة نصف ذراع وقيراطان .

وأما مقام المالكي فإنّ من جدار المحراب إلى حاشية المطاف بالعتبة عشرة أذرع وثلث .

وأما مقام الحنبلي فإنّ من جدار محرابه إلى الحجر الأسود ثمانية وعشرين ذراعاً إلاّ ثُلُثاً بعتبة الحاشية ، والذراع المحرّر به هو ذراع الحديد . وكان تحرير ذلك بحضوري . وقد ذكرنا في أصل هذا الكتاب ارتفاع هذه المقامات وذرعها بزيادة فائدة في ذلك .

ذكر كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات وحكم صلاتهم بها

أما كيفية صلاتهم فإنّهم يصلّون مرّتين ، الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ، وذكر ابن جبير ما يقتضي أنّ المالكي كان يصلّي قبل الحنفي[1] وأدركناه كذلك ، ثم تقدّم عليه الحنفي بعد التسعين بتقديم التاء على السّين وسبعمائة ، واضطرب كلام ابن جبير في الحنفي والحنبلي ، لأنه ذكر[2] أنّ كلاًّ منهما يصلّي قبل الآخر ، وهذا كلّه في غير صلاة المغرب ، وأما هي فإنّهم يصلونها جميعا في وقت واحد ؛ وسبب اجتماعهم في هذه الصلاة أنه يحصل للمصلّين لَبْسٌ كثير بسبب التباس أصوات المبلّغين ، واختلاف حركات

---

(١) رحلة ابن جبير ٧٩ .

(٢) في النسخة (ك) إضافة بعدها « ما يقتضي » .

المصلّين ، وهذا الفِعْل ضلال في الدين لِما فيه من المنكرات التي لا تخفى إلاّ على من غلب عليه الهوى . ولم يزل العلماء ينكرون ذلك قديماً وحديثاً ، نسأل الله زوال البدعة . ثم زالت هذه البدعة بسعْي جماعة من أهل الخير فيها عند وليّ الأمر ، أثابهم الله تعالى . وذلك أنّ في موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ورد أمر السلطان الملك الناصر فرج ـ نصره الله تعالى ـ بأنّ الإمام الشافعي بالمسجد الحرام يصلّي المغرب بمفرده دون الأئمة الباقين ، فنفذ أمره الشريف بمكة كما رسم به .

واستمرّ هذا الحال إلى أن ورد أمر الملك المؤيّد أبي النّصْر شيخ صاحب مصر بأنّ الأئمة الثلاثة يصلّون المغرب كما كانوا يصلّون قبل ذلك ، ففعلوا ذلك ، وأول وقت فُعِل فيه ذلك ليلة السادس من ذي الحجّة من سنة ستّ عشرة وثمانمائة ، وكذلك تجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعي على صلاة العشاء في رمضان ، ويجتمع أيضاً هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة بالمسجد الحرام في صلاة التراويح في المسجد ، ويحصل بسبب اجتماعهم في ذلك المنكر القبيح الذي كان يقع دائماً في صلاة المغرب وأعظم ، لكثرة الأئمة ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

وأما حكم صلاة الأئمة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي في الفرائض على الصفة التي يصفونها . فاختلف فيه آراء علماء المالكية ، لأنّ الشيخ الإمام أبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الحباب المالكي أفتى في سنة خمسين وخمسمائة بمنع الصلاة بأئمّة متعدّدة وجماعات مترتّبة بحرم الله تعالى ، وعدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة .

ثم إنّ بعض الناس استفتى في ذلك بعضَ علماء الإسكندرية ، فأفتوا بخلاف ما رآه ابن الحباب ، والذي أفتى بذلك شدّاد بن المقدّم وعبد السلام بن عتيق والشيخ أبو الطاهر بن عوف بن الزُهْري . ولما وقف ابن الحباب على

فتاويهم أملى في الردّ عليهم أشياء كثيرة حسنة ، ونقل إنكـار ذلك عن جمـاعة من العلماء الشافعيـة والحنفية والمـالكية حضـروا الموسم بمكـة سنة إحـدى وخمسين وخمسمـائة ، فمن الشـافعية أبـو النجيب مـدرّس النـظاميـة ، ويـوسف الـدمشقي صـاحب أسعد البهتي ، ونقـل عنهما أنهمـا قالا : وأمـا صلاة المغـرب فهي أشنع وأبشع ، وحضره العطاري في بعثة فقهاء نيسابور ، ومحمد بن جعفـر الطائي يعني صـاحب الأربعين . ومن الحنفيـة الشـريف الغـزنـوي ، ومن المـالكيـة عمـر المقدسي ؛ وأقام الدلالة على فسادها وأنها مخالفة لرأي مـالك وأصحـابه ، وذكـر ابن الحبـاب : أنّ أبا بكـر الطرسـوسي ويحيى الزيـاتي شيخ شـدّاد بن المقدم لم يصلّيا خلف إمام المالكية بالحرم الشريف ركعة مع كونه مغموضـاً عليه قـال : ولا شيء أقبح من جهل الإنسان بحال شيوخه .

وأمـا وقت حـدوثهم فلم أعـرفـه تحقيقـاً ورأيت مـا يـدلّ على أنّ الحنفي والمالكي كانا موجـودين في سنة سبـعٍ وتسعين وأربعمائـة ، وأنّ الحنبلي لم يكن فيه موجوداً ، وذلك لأنّ الحـافظ أبا طـاهر السِّلفي[1] حـجّ في هذه السنـة ، ورأى فيهـا أبا محمـد بن العرضي القـروي المقـريء إمـام مقـام الخليـل عليـه السـلام بـالمسجـد الحـرام ، وذكـر أنـه أول من يصلّي من أئمـة الحـرم المقـدّس قبـل : المالكية والحنفية والزيدية انتهى .

ووجـه الدلالـة من هذا على مـا ذكرنـاه من أنّ الحنبلي لم يكن موجـوداً في هذه السنة عدم ذكر السِّلَفي لـه وذِكْره لإمـام الزيـدية ، ولـو كان الحنبليّ مـوجوداً حينئذ لذكره السِّلَفي ، فإنه أولى بالذكر من إمام الزيـدية ، والله أعلم . ورأيت مـا يدلّ على أنه كان موجوداً في عُشْر الأربعين وخمسمائة ، وقد ذكرت ذلك في أصل هذا الكتاب ، والله أعلم . وكان بعض المتعصّبين على الحنابلة قطع حطيمهم من مكة ، لأنّ أبا المظفَّر سِبْط أبي الفرج ابن الجوزي قال في كتابه « مرآة الـزمان » :

---

(١) هو أحمد بن محمد الأصفهاني السلفي ، صاحب كتاب « معجم السفر » المتوفى سنة ٥٧٦ هـ .

Marfat.com

إنّ مـرجان خـادم المقتفي العباسي[1] بعـد أن ذكر عنـه أنـه قـال قصـدي أن أقل مذهب الحنابلة لأنه لما حجّ قلع الحطيم[2] الذي كان لهم بمكة ، وبطل إمـامتهم بها . انتهى .

(١) هو أبو عبدالله الحسيني المقتفي لأمر الله بويع بالخلافة سنة ٥٣٠ هـ واستمر فيها إلى أن تـوفي سنة ٥٥٥ هـ .

(٢) وصف ابن جبير الأندلسي الحطيم بقوله : « وصفة الحطيم خشبتان موصول بينهما بأذرع شبـه السلّم تقـابلهما خشبتـان على تلك الصفة ، قـد عُقِدت هـذه الخُشُب على رِجلَين من الجصّ غيـر بـائنـة الارتفاع . واعترض في أعلى الخشب خشبة مسمُّرة فيها قد نزلت منها خطاطيف حديد فيها قنـاديل معلّقة من الزجاج . (ص ٧٩) .

Marfat.com

في ذكر شيءٍ من خبر زمزم وسقاية العبّاس رضي الله عنه

ذكر حفر بئر زمزم وعلاجها

أول من أظهر زمزم على وجه الأرض جبريل عليه السلام عند ظمإ إسماعيل عليه السلام سقياً من الله تعالى ، واختلفت الروايات في كيفية صنع الأمين جبريل حين أخرج ماء زمزم ، ففي رواية بحث بعقبه ، وفي رواية همز[1] بعقِبه ، وهاتان الروايتان في « صحيح البخاري » ، ولما أظهر الله ماء زمزم لإسماعيل حوّضت عليه أمّه هاجر خشية أن يفوتها قبل أن تملأ منه شَنَّتَها ، ولو تركته لكان عيناً تجري ، على ما رويناه عن النبيّ ﷺ في الصحيح .

وذكر الفاكهي خبراً يقتضي أنّ الخليل عليه السلام حفر زمزم . وقصّته كانت بينه وبين ذي القرنين في زمزم ، لأنه قال : حدّثنا عبدالله بن عمران المخزومي ، قال : حدّثنا سعيد بن سالم قال : حدّثنا عثمان بن ساج قال : بلغنا في الحديث المأثور عن وهب بن منبّه قال : كان بطن مكة ليس فيه ماء ، وليس لأحد فيه قرار ، حتى أنْبط الله لإسماعيل زمزم ، فعمرت يومئذ مكة ، وسكنها من أجل الماء قبيلة من اليمن يقال لهم جُرْهُم ، وليست من عاد كما يقال ، ولولا الماء الذي أنبطه الله تعالى لإسماعيل من عمارة لم يكن لأحد بها يومئذ مقام . قال

---

(١) وقيل إن « زمزم هَمْزَةُ جبرئيل بعقبه لإسماعيل » . (النهاية لابن الأثير ٤/٢٤٨) .

Marfat.com

عثمـان وذكر غيـره : أنّ زمزم تُـدْعَى سابق ، وكـانت وطأة من جبـريـل . وكـانت سقياها لإسماعيل يوم فرج لـه عنها جبـريل ، وهـو يومئـذ وأمه عـطشانـان ، فحفر إبراهيم بعد ذلك البئر ، ثم غلبه عليها ذو القرنين ، وأظنّ أنّ ذا القرنين كـان سأل إبراهيم أن يدعو الله له ، فقال : كيف وقد أفسدتم بئري ؟ فقال ذو القرنين : ليس عن أمـري كان ، ولم يخبـر أحداً أنّ البئـر بئر إبـراهيم ، فوضـع السـلام وأهـدى إبـراهيم إلى ذي القـرنين بقـراً وغنمـاً ، فـأخـذ إبـراهيم سبعـة أكبُش ، فـأقـرنهم وحـدهم ، فقال ذو القـرنين : ما شـأن هذه الأكبش يـا إبراهيم ؟ فقـال إبـراهيم : هؤلاء يشهدون في يوم القيامة أنّ البئر بئر إبراهيم ، انتهى .

وفي حاشية كتاب الفاكهي في هذا الحديث مكتوب ما صورته عطاشاً ما أقرأ عبدالله بن عمران عطاشاً ، قال أبو عبدالله : والصواب عطشانان انتهى . ولم تزل مـاء زمزم ظـاهراً ينتفـع به سكـان مكة ، إلى أن استخفَّت جُـرْهُم بحُرْمـة الكعبـة والحرم ، فدُرِس موضعه ومـرّت عليه السنـون عصراً بعـد عصر ، إلى أن صـار لا يُعرف ، وقيل إنّ جُرْهُماً دفنتها حين نفت من مكة ، ذكره الزبيـر بن بكار وغيـره ، والله أعلم ، ثم بوَّأه الله تعالى لعبد المطّلب بن هاشم جدّ النبيّ ﷺ لمـا خصّه الله به من الكرامـة فأتى في المنـام وأمر بحفـرها ، وأعلمت لـه بعلامـات استبان بهـا موضع زمزم فحفرها ، وكان حفره لها قبل مولـد النبيّ ﷺ ، لأنّا روينـا من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ جدّه عبد المطّلب حين حفر زمـزم لم يكن له ولد سوى ابنه الحارث ، روينا ذلك عنه في سيرة ابن إسحاق[1] بسند رجاله ثقات .

وروينا في تاريخ الأزرقي عن الزهري ما يقتضي أنّ حفر عبد المطّلب لزمزم كان بعد مولد النبيّ ﷺ لأنّ الأزرقي روى بسنده إلى الزهري أنّ حفر عبد المطّلب لزمزم كان بعد الفيل[2] ، والنبيّ ﷺ وُلد عام الفيل على الصحيح ، والله أعلم .

وروينا في مُسْنَد البزّار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أبو طـالب

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٣٣ .
(٢) أخبار مكة ٢/٤٢ .

Marfat.com

يعالج زمزم ، وكان النبيّ ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام ، وإسناد هذا الحديث ضعيف ، وبتقدير صحّته ، فعلاج أبي طالب غير علاج عبد المطّلب ، لأنّ حديث عليّ رضي الله عنه يقتضي أنّ النبيّ ﷺ وأبا طالب لم يكونا موجودين حين حفر عبد المطّلب زمزم ، لأنه ذكر فيه أنه لم يكن لعبد المطّلب حين حفرها ابن غير ابنه الحارث ، والله أعلم .

ذكر علاج زمزم في الإسلام

روينا عن الأزرقي بالسند المتقدّم إليه أنه قال : ثم كان قد قلّ ماؤها جداً ، حتى كانت تجمّ في سنة ثلاث وعشرين ومائتين قال : وخرب فيها تسعة أذرع سحّاً في الأرض في تقرير جوانبها ، ثم قال : وقد كان سالم بن الجرّاح قد خرّب فيها في خلافة الرشيد أذرعاً . وكان قد ضرب فيها في خلافة المهديّ أيضاً ، وكان عمر بن ماهان وهو على البريد والصوافي في خلافة الأمين محمد بن الرشيد قد خرب فيها ، وكان ماؤها قد قلّ حتى كان رجل يقال له محمد بن مسير من أهل الطائف يعمل فيها ، قال : وأنا صلّيت في قعرها ، انتهى باختصار .

ذكر ذرْع بئر زمزم وما فيها من العيون وصفة الموضع الذي هي فيه الآن

وأما ذرْعها فذكره الأزرقي لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : كان ذرع غور زمزم من أعلاها إلى أعلاها[1] ستّين ذراعاً ، وفي قعرها ثلاث عيون حذاء الركن الأسود ، وعين حذاء أبي قبيس والصفا ، وعين حذاء المروة[2] ، وذكر ذلك الفاكهي .

وذكر الفاكهي خبراً فيه أنّ العباس بن عبد المطّلب رضي الله عنه قال لكعب

---

(١)، في النسخة (ك) إلى أسفلها ، وهو الصحيح .
(٢)، أخبار مكة ٢/٦١ .

Marfat.com

الأحبار : فأيّ عيونها أغزر ؟ قال : العين التي تخرج من قِبَل الحِجْر ، قال : صدقت ، انتهى . وبه إلى الأزرقي قال : فَغَوْرُها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعاً ، كلّه[1] بنيان ، وما بقي فهو جبل منقور ، وهو تسعة وعشرون ذراعاً . قلت : هذا مخالف لما تقدّم في غَوْرِها ، والله أعلم بالصواب ، وبه إلى الأزرقي قال : وذرْع حنك[2] زمزم في السماء ذراعان وشبر ، وذَرْع تدوير فم زمزم أحد عشر ذراعاً ، وسعة فم زمزم ثلاثة أذرُع وثلثا ذراع[3] انتهى .

وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضوري ارتفاع فم زمزم عن الأرض وسعته وتدويره فكان ارتفاع فمها في السماء ذراعين إلّا ربعاً ، وسعته أربعة أذرع ونصف ، وتدويره خمسة عشر ذراعاً إلّا قيراطين ، كلّ ذلك بذراع الحديد المشار إليه .

وأما صفة الموضع الذي فيه زمزم ، فهو بيت مربّع ، وفي جدرانه تسعة أحواض للماء ، يُملآن من بئر زمزم ، فيتوضّأ الناس منها ، إلّا واحداً منها معطّلاً ، وفي الحائط الذي يلي الكعبة شبابيك ، وهذا البيت مسقوف بالساج ، ما خلا الموضع الذي يحاذي بئر زمزم ، فإنّما عليه شباك خشب ، ولم أدر من عمل هذا الموضع على هذه الصفة ، وهي غير الصفة التي ذكرها الإمام الأزرقي فيه .

وكانت ظلّة المؤذّنين التي فوق البيت الذي فيه بئر زمزم قد خربت لأكل الأَرَضَة لأساطينها الخشب ، والأَرَضَة دابّة صغيرة كنصف العدسة ، تأكل الخشب وتفسده كثيراً . فشُدَّت الظّلّة المذكورة بأخشاب تمنعها من السقوط في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، فلما كان السابع من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة هُدِمت الظّلّة المذكورة وأزيل المقرنص الخشبي الذي كان تحتها ليُصْلَح والدرابزين الذي كان يطيف بها ، وبسطح البيت الذي فيه بئر زمزم ، فوجد

---

(١) في النسخة (ك) : ذلك كله . مثل نص الأزرقي ٢/٦١ .
(٢) وفي أخبار مكة « حبك » بالباء بدل النون .
(٣) أخبار مكة ٢/٦١ .

Marfat.com

الخشب المقرنص مركباً خراباً لأكل الأرضة له ، فاقتضى الحال قلْعه ، وأن يُبنى فوق الجدار الذي يلي الكعبة والجدار الذي يلي مقام الشافعي والجدار الذي يلي الخلوة التي إلى جانب هذا البيت أساطين دقيقة من آجُرّ بالنَّوْرَة لئلاّ تفسدها الأرضة كما أفسدت الأساطين الخشب قبلها ، ليعمل عليها ظلّة للمؤذّنين ، وأن يقوَّى الجدار الغربي من هذا البيت الذي فيه زمزم ، وهو الجدار الذي يلي الكعبة ، وأن يقوّى الجدار الشامي من هذا البيت ، وهذا الجدار الذي يلي مقام الشافعي بزيادة ينافي عرضها ، فسلخ الجدران المشار إليها من أعلاها إلىَ الأرض ، وأوسعوا في أساس الجدار الذي يلي الكعبة نحو ذراع باليد ، وذلك لإحكام البناء ، ونزلوا به في الأرض نحو قامة ، وبنوا ذلك مخالطاً للساس الأول ، ووجدوا الساس الذي يلي مقام الشافعي عريضاً محكم البناء ، فبنوا عليه ، وأكملوا ما سُلخ من الجدارين حتى اتصل ذلك بالسقف ، وعملوا في كلٍّ من الجدارين ثلاثة عقود بالنَّوْرَة ، وفيما بين كل عقد من العقود التي في الجدار الذي يلي الكعبة اسطوانة دقيقة من رخام مشدودة بالرصاص ، وتركوا لها محلاًّ خالياً من البناء في الجدار المذكور ، وأوسعوا في الشبابيك التي في هذين الجدارين في الأحواض التي تلي في هذين الجدارين من داخل البيت لاتساع عرض الجدارين ، وبنوا أعاليها بحجارة منحوتة كبار يقال لها الفصوص ، وبنوا ما فوق العقود بحجارة غير منحوتة ، وكلّ ذلك بالنَّوْرة ، وسلخوا من الجدار الشرقي من البيت الذي فيه زمزم أيضاً ما فوق العتبة العليا من هذا الجدار إلى أعلاه ، وبنوا ذلك بالنَّوْرة والآجُرّ ، وبنوا بهما اسطوانتين فوق هذا الجدار الشرقي يشدّان الدرابزين الخشب المخروط الذي يكون في ذلك ، ولم يكونا قبل ذلك ، وكشفوا سقف هذا البيت وأخرجوا من ذلك ما كان متخرّباً من الخشب ، وعوّضوا عنه بخشب جيد ، وبنوا فوق الجدار الغربي من هذا البيت ثلاث أساطين دقيقة من آجُرّ بالنَّوْرة ، وبنوا أسطوانتين مثل ذلك ، إحداهما في الجدار الشامي ، والآخر في الجدار اليماني من هذا البيت ، ونصبوا أسطوانة من خشب بين هاتين الأسطوانتين تحاذي الأسطوانة الوسطى من الأساطين الآجُرّ المشار إليهما ، وركّبوا

Marfat.com

فيما بين الأساطين المشار إليها سقفاً من خشب مدهون ، ساتراً لمقدار ما بين الستّ الأساطين ، إلاّ أنهم جعلوا بعض ما بين الأسطوانة الآجُرّ الوسطى والأسطوانة الخشب المقابلة لها خالياً من السقف ، وركّبوا في هذا الموضع الخالي قبّة من خشب مدهونة ، وجعلوا فوقها قبّة ساترة لها من خشب وجريد وقصب ، وجعلوا رفرفاً من خشب مدهون يليق بهذا السقف الذي هو ظلّة للمؤذّنين ، وأتقنوا تسمير السقف والقبّة والرفرف إتقاناً كثيراً بمسامير زنة كل سبعة منها مَنٌّ[1] من حديد ، وزنة بعضها دون ذلك ، وبكلاليب من حديد ، وجعلوا فوق هذا السقف المدهون سقفاً من خشب غير مدهون ، ودكّوا ما فوق السقف الأعلى بالآجُرّ والنَّوْرَة ، وطَلَوْا ما فوق الآجُرّة بالنَّوْرَة ، وطَلَوْا ما فوق القبة التي في وسط هذا السقف بالجبس ، وأتقنوا ذلك ، وأصلحوا جميع سطح البيت الذي[2] فيه زمزم بالنَّوْرة والآجُرّ ، وجعلوا درابزين من خشب مخروط يطيف بجميع جوانب البيت الذي فيه زمزم خلا الجانب اليماني ، وجعلوا درابزين أيضاً يطيف بجانبي ظلّة المؤذّنين اليماني والشرقي ، ولم يكن قبل ذلك درابزين في هذين الجانبين ، وجعلوا شبّاكاً من حديد فوق بئر زمزم ليمنع من السقوط فيها ، بعد أن ضيّقوا سعة الفتحة التي كانت تحاذي بئر زمزم بأخشاب مسمَّرة جُعلت هنالك ، ولم يكن هناك قبل ذلك شيء من حديد ، وجعلوا درابزين من خشب مخروط يطيف بجوانب هذه الشبابيك الأربعة .

وكان قبل ذلك في موضع هذه الدرابزين أخشاب مرتفعة كالقامة يطيف بما يحاذي البئر من الجوانب الأربعة ، مطليّة بالنَّوْرَة ، وزنة الشبّاك الحديدي الذي فوق بئر زمزم الآن اثنان وستون مَنّاً كلّ مَنٍّ : مائتان وستون درهماً، وزادوا حديداً في بعض الشبابيك التي في الجدار الغربي من بيت زمزم ، ووسّعوا الدرجة التي

---

(١) المَنّ : كَيْل او ميزان ، وهو شرعاً مائة وثمانون مثقالاً ، وعُرفاً مائتان وثمانون مثقالاً ، والجمع : أمنان .

(٢) في النسخة (م) : التي .

Marfat.com

يُصعد منها إلى سطح البيت الذي فيه بئر زمـزم وإلى ظلّة المؤذّنين لضيق الدرجـة حين عُمِّرت في سنة ثمان عشرة وثمانمائة لما عُمّـرت الخلوة التي إلى جانب هـذا البيت سبيـلاً ، وجعلوا لهذه الـدرجة درابـزين خشب غيـر مخـروط ، واستحسنت توسعة هذه الدرجـة ، وكذا جميـع ما عُمِّـر من جدران بيت زمـزم ، وما صُنـع في سطحه من ظلّة المؤذّنين وغيرها استحساناً كثيراً ، وكان الفـراغ من ذلك في أثنـاء رجب سنـة اثنتين وعشرين وثمـانمائـة ، وكان القـائم بأمـر مصروف هـذه العمـارة الجنـاب العـالي الكبيـر العـلائي خـواجـه شيـخ علي بن محمـد بن عبـد الكـريم الجيلاني[1] نزيل مكة المشرفة زاده الله رفعة وتوفيقاً .

وكان إلى جانب هذا البيت خلوة فيها بركة تُملأ من زمزم ، ويشرب منها من دخل إلى الخلوة . وكان لها باب إلى جهة الصفا ثم سُدّ وجُعل في مـوضع الخلوة بركة مَقْبُوَّة ، وفي جدارها الذي يلي الصفا زبازيب يتوضّأ الناس منها على أحجـار نُصبت عند الزبازيب ، وفوق البركة المقبوّة خلْوة فيها شبّـاك إلى الكعبة ، وشبّـاك إلى جهة الصفا ، وطابق صغير إلى البركة ، وكان عمل ذلك على هذه الصفـة في سنة سبعٍ وثمانمائـة . ثم هُدِم ذلـك حتى وقع إلى الأرض ، في العُشْـر الأول من ذي الحجّة سنة سبع عشرة وثمانمائة ، لما قيـل من أنّ بعض الجَهَلَة من العوامّ[2] يستنجي هناك . وعُمّر عوض ذلك سبيل لمولانا السلطان الملك المؤيّد أبي النّصر شيـخ - نصره الله - ينتفـع الناس بـالشراب منـه ، فتضاعف لـه الدعـاء ولمن كـان السبب في ذلك .

وصفة هذا السبيل بيت مربّع مستطيـل فيه ثـلاثة شبـابيك كبـار من حديـد ، فوق كل شبّاك لوح من خشب بصنعة حسنة : منها واحد إلى جهة الكعبة ، واثنـان إلى جهـة الصفا ، وتحت كـل شبّاك حـوض في داخل البيت ، وفيـه بركـة حـاملة

---

(١) قال السخاوي إنه وُلد في كيـلان ودخل الشـام ومصر ومكـة واليمن وانقطع بمكـة مدّة ثم خـرج إلى اليمن ومات بها سنة ٨٤٨ هـ . (الضوء اللامع ٣١٣/٥ رقم ١٠٣٤) .

(٢) في النسخة (ك) : لم يوجد .

Marfat.com

للمـاء ، وله سقف مـدهون يـراه من دخل السبيـل ، وبابـه إلىَ جهة الصفـا ، وله رفـرف خشب من خارجـه مدهـون ، وفوق ذلـك شراريب من حجـارة منحـوتـة ، وباطن السبيل منوّر ، وظاهره مرخّم بحجارة ملوّنة ، وجاءت عمارته حسنة ، وفرغ منـه في شهر رجب سنـة ثمان عشـرة وثمانمـائـة ، وابتُـديء في عمله بـأثـر سفـر الحجّـاج . وفي موضـع هـذه الخلوة كـان مجلس عبـد الله بن العبـاس رضي الله عنهما على مقتضى ما ذكره الأزرقي[1] والفاكهي ، وبين الحجـر الأسود إلى وسط جدار البيت الذي فيه زمزم أحد وثلاثون ذراعاً وسُدس ذراع[2] الحديد .

ذكر أسماء زمزم

قال الفاكهي : أعطاني أحمد بن محمد بن إبراهيم كتاباً ذكر أنه عن أشياخه من أهل مكة ، فكتبته من كتابه فقال : هـذه هي تسمية أسمـاء زمزم وهي : هـزمة جبريل ، وسقيا الله إسمعيل ، لا شرق ، ولا تدم . وهي بركة ، وسيّدة ، ونافعة ، ومضنونة ، وعونة ، وبشرى ، وصافيـة ، وبَرَّة ، وعصمـة ، وسالمـة ، وميمونـة ، ومباركة ، وكافية ، وعافية ، ومغـذّية ، وطـاهرة ، ومفـدّاة ، وحرميـة ، ومرويـة ، ومؤنسة ، وطعام طعم ، وشفاء سُقم ، انتهى .

ومن أسمـائها على مـا قيـل : طيبـة ، وتكتم ، وشبّـاعـة العيـال ، وشـراب الأبرار ، وقرية النمل ، ونقرة الغراب ، وهـزمة إسمعيـل ، وحفيرة العبـاس : ذكر هذا الإسم ياقوت . لأنه ذكر أنّ الحفيرة عشرة مواضع ، وقال في عددها : وحفيرة العباس من أسماء زمزم . انتهى من مختصر معجم البلدان[3] لياقوت وهـو غريب والله أعلم .

ومن أسماء زمزم همـزة جبريـل بتقديم الميم على الـزاي ، ذكر هـذا الاسم

---

(١) أخبار مكة ٢/٦ .
(٢) في النسخة (ك) : بذراع .
(٣) المشترك وضعاً ١٤٠ و١٤١ .

Marfat.com

السهيلي لأنه قال : وذكر أنّ جبريل همز بعقبه في موضع زمزم فنبع الماء . وكذلك تسمى زمزم همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي ثم قال : وحكى في أسماء زمزم : رمرم حكى ذلك عن المطرز ، ورأيت في النسخة التي رأيتها من الروض الأنف ورمَّزُم مضبوطة بالشكل على الزاي ضمّة ، وعلى الميم الأولى شدّة وفوق الشدّة فتحة[1] .

ومن أسماء زمزم « سابق » ، ذكر ذلك الفاكهي في خبر رواه عن عثمان بن ساج ، وفيه قال عثمان : وذكر غيره يعني غير وهب بن منبّه أنّ زمزم تُدعى « سابق » انتهى .

وقد اختلف في تسمية زمزم بزمزم فقيل : ماؤها . قال ابن هشام : والزمزمة عند العرب الكثرة ، والاجتماع . وقيل : إنها سُمّيت زمزم لأنها زُمّت بالتراب لئلاّ يأخذ الماء يميناً وشمالاً . ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء . وهذا يُرْوَى عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما ذكر البرقي . وقيل : سُمِّيت زمزم لزمزمة الماء ، وهو صونه . قاله الحربي . وقيل سُمّيت زمزم لأنَّ الفرس كانت تحجّ إليها في الزمن الأول فزمزمت عليها .

قال المسعودي[2] : والزمزمة صوت يخرجه الفُرْس من خياشيمها عند شرب الماء . وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى عمّاله أن أنهوا الفُرْسَ عن الزمزمة ، وأنشد المسعودي :

زمزمت الفُرْسُ على زمزمٍ وذلك في[3] سالفها الأقدم

وقيل : إنّها غير مشتقّة ، والله أعلم . وقد ذكرنا بعض معاني بعض هذه الأسماء في أصل هذا الكتاب .

---

(١) الموجود في النسخة المطبوعة من الروض الأنف ١/١٣٤ : « وحُكي في اسمها : زُمَازِمُ وزمزم : حُكي ذلك عن المطرز » .

(٢) في النسخة (ك) : قاله .

(٣) فى مروج الذهب ١/٢٤٢ : « من » بدل « في ».

Marfat.com

ذكر فضائل زمزم وخواصّه

روينا في « معجم الطبراني » بسند رجالٍ ثقات في صحيح ابن حِبّان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ : خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم[1] . وروينا معنى ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تاريخ الأزرقي[2] .

وسمعت العلاّمة زين الدين الفارسكوري يقول : إنّ شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني قال : إنّ ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر . وعلّل ذلك لكونه غُسل به صدر النبيّ ﷺ . ولم يكن ليُغْسَل إلاّ بأفضل المياه[3] . انتهى بالمعنى .

وذكر شيخنا الحافظ العراقي أنّ حكمة غسل صدر النبيّ ﷺ بماء زمزم ليقوى به ﷺ على رؤية ملكوت السموات والأرض ، والجنة والنار ، لأنّ من خواصّ ماء زمزم أنه يقوّي القلب ويُسْكِن الرَوْع . انتهى .

وروينا في تاريخ الأزرقي عن ابن عباس : أشربوا من شراب الأبرار ، وفسّره بماء زمزم[4] . وروينا فيه عن وهب ابن منبّه معنى ذلك[5] وروينا في « المعجم الكبير » للطبراني من حديث ابن عباس عن النبيّ ﷺ أنّ التضلّع من ماء زمزم علامة ما بيننا وبين المنافقين .

وروينا من حديثه أنّ النبيّ ﷺ كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم . أخرج هذه الأحاديث الحافظ شرف الدين الدمياطي ، وقال فيما أثبت به عنه : إسناد صحيح .

---

(١) المعجم الكبير ١١/٩٨ رقم ١١١٦٧

(٢) أخبار مكة ٢/٥٥ .

(٣) في النسخة (ك) : الماء .

(٤) أخبار مكة ٢/٥٣

(٥) أخبار مكة ٢/٤٩ .

وروينا عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ماء زمزم لِما شرب له ، إنْ شَرِبته تستشفي به شفاك الله . وإنْ شربته لقطْع ظمئك قطعه الله[1] . هي هَزْمَة جبريل وسقيا الله إسماعيل[2] ، أخبرني بهذا الحديث أحمد بن محمد بن عبد الله الْحِمْيري وإبراهيم بن خليل أخبره قال : أخبرنا أبو الفتح ناصر بن محمد الوبرج[3] قال : أخبرنا إسماعيل بن الفضل الإخشيد قال : أخبرنا أبو طاهر بن عبد الرحيم قال : أخبرنا الحافظ أبو الحسن الدار قُطْني قال : حدّثنا عمر بن الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن هشام بن علي المرْوَرُوذي[4] قال : حدّثنا محمد بن حبيب الجارودي[5] قال : حدّثنا سفيان بن عُيَيْنَة عن ابن أبي نُجَيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال : رسول الله ﷺ فذكره ، أخرجه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي[6] .

قال شيخنا العراقي الحافظ : قد سلم منه فللّه الحمد ، فإنّ الخطيب ذكره في « تاريخ بغداد » وقال : كان صدوقاً[7] . وحسَّن شيخنا الحافظ العراقي هذا

---

(١) لفظ الجلالة لا يوجد في النسخة (ك) .

(٢) في متن هذا الحديث سقط وبقيته في سنن الدارقطني : وإذا شربته لشبعك أشبعك الله به . أنظر السنن ج ٢ ص ٢٨٤ .

(٣) كذا بالأصل ، وفي مقدمة سنن الدارقطني لشمس الحق ناصر بن محمد بن أبي الفتح الوبري وفي العبر للذهبي ٤/٢٨٢ « الوِيْرج » . وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٦ ص ١٤٣ نقلاً عن الذهبي في وفيات سنة ٥٩٣ وأبو الفتح الاصبهاني ناصر الدين بن محمد الوترح في ذي الحجة اهـ وقال المصحّح في الحاشية كذا في الأصل ، وفي شرح القصيدة اللامية في التاريخ هكذا : ناصر الوتربح ، وفي شذرات الذهب [ج ٤ ص ٣١٥] ابو الفتح ناصربن محمد الاصبهاني القطّان اهـ . وزاد قوله : روى الكثير عن جعفر الثقفي واسماعيل الإخشيد وخلق وأكثر عنه الحافظ ابن خليل انتهى .

(٤) هكذا في الأصل ، وفي سنن الدارقطني ٢/٢٨٤ « المروزي » وكذلك في المستدرك على الصحيحن ١/٤٧٣ ، وميزان الاعتدال ٣/١٨٥

(٥) في الأصل « الماوردي » والتصحيح من سنن الدارقطني ، والمستدرك ، وميزان الاعتدال .

(٦) وأضاف النيسابوري الحاكم « ولم يخرجاه» أي البخاري ومسلم .

(٧) تاريخ بغداد ٢/٢٧٧ رقم ٧٥٠ .

Marfat.com

الحـديث من هـذا الـطريق ، وقـال في نُكَتـه على ابن الصـلاح : إنَّ حـديث ابن عباس أصحّ من حديث جابر انتهى . ولكن يعكّر على ما ذكره شيخنـا العراقي مـا ذكره الذهبي في « الميـزان » في ترجمـة عمر بن الحسن القـاضي الأُشناني شيـخ الدار قُطْني في هذا الحديث ، فإنه قال بعد أن ذكـر هذا الحـديث عن الدارقُـطْني عن الأُشناني بسنده : فآفة[1] هذا هو عمـر ، فلقد أثم الـدارقُطْني بسكـوته عنـه ، فإنه بهذا الإسناد باطل ، ما رواه ابن عُيَيْنة قطّ[2] ، هذا والمعروف حديث عبد الله ابن المؤمّل عن أبي الزبير عن جابر مختصراً ، وقال الذهبي بعد أن ذكر أنّ الدارقطني ضعّف الأُشناني وكذّبه[3] وهذا الأُشناني صاحب بلايا ، فمن ذلك قال الدارقطني وساق الحديث انتهى .

وحـديث جابـر رواه الحافظ الـدمياطي بسنـده إلى سويـد بن سعيد عن ابن المبـارك عـن ابـن أبي الموالي عـن محمد بن المنكدر عـن جابـر رضي الله عنه عـن النبيّ ﷺ ، وصحّح الدمياطي هـذا الحديث والإسنـاد ، وفي صحّـة الإسناد

---

(١) في الاصل (فأمه) والتصويب من ميزان الاعتدال للذهبي في ترجمة عمـر بن الحسن الأشناني - (ج ٣/ ١٨٥ رقم ٦٠٧١) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في (لسان الميـزان) : ج ٤/ ٢٩١ والذي يغلب على الـظن أنّ المـؤلف هو الـذي أثم بتأثيمـه الدارقـطني ، فإن الأشنـاني لم ينفرد بهـذا بل تـابعه عليـه في مستدركـه الحاكم ١/ ٧٤٣ ولقـد عجبت من قول المؤلّف : مـا رواه ابن عُيَيْنَة قطّ ، مـع أنه رواه عنـه الحُميْدي وابن ابي عمر وسعيد بن منصور وغيرهم من حفّاظ اصحابه ، إلاّ أنهم وقفوه على مجـاهد ، ولم يـذكروا ابن عباس فيه ، فغايته أن يكون محمد بن حبيب وَهِم في رفعه انتهى .
وقال في (تلخيص الجيد ج ١ ص ٢٢٢) : والجارودي صَدُوق إلاّ أنّ روايته شاذّة فقد رواه حفّاظ أصحاب ابن عُيَيْنَة والحُمَيْدي وابن أبي عمر وغيرهما عن ابن عُيَيْنَة عن ابن أبي نُجيح عن مجـاهد قوله اهـ . وقال ابن حجر ، في (لسان الميزان) ٥/ ٤١٤ في محمد بن هشام شيخ الأشناني : قال ابن القطان لا يُعرف حاله ، وكلام الحاكم يقتضي أنه ثقة عنده ، فإنـه قال عقب حـديثه : صحيـح الاسناد إنْ سلم مـن الجارودي قال : قلت : وقد قال الزكي المنـذري مثل مـا قال ابن القـطّان اهـ وقول المنذري هو في الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٣٣) .

(٣) كذا في الأصل . والذي في الميزان ولسانه : ويروى عن الدارقـطني أنه كـذّاب ولم يصحّ هذا. وقد ترجم لعمر بن الحسن الخطيب البغدادي ونقل عن الدار قطني أنـه قال : ضعيف - أنـظر تاريـخ بغداد ج ١١ ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .

Marfat.com

نظر على ما ذكره الحافظ ابن حجر[1] . وقد أخرجنا في أصل هذا الكتاب حديث جابر من طرق ، وحديثاً لعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهم في هذا المعنى ، وبيّنا ما في ذلك ، وذكرنا فيها أخباراً عمّن شرب ماء زمزم لقصْدٍ له فناله ، فمن ذلك أنّ الإمام الشافعي رضي الله عنه شربه للعلم ، فكان فيه غايته ، وللرَّمي فكان يصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة .

ومنها ما ذكره الفاكهي لأنه قال : وحدّثني أحمد بن محمد بن حمزة بن واصل عن أبيه أو عن غيره من أهل مكة أنه ذكر أنه رأى بالمسجد الحرام مما يلي باب الصفا والناس مجتمعون عليه ، فدنوت منه فإذا برجل مكعوم قد عكم نفسه بقطعة خشب ، فقلت : ما له ؟ فقالوا : هذا رجل شرب سَوِيقاً ، وكانت في السويق إبرة فذهبت في حلقه ، وقد اعترضت في حلقه ، وقد بقي لا يقدر يطبق فمه ، وإذا الرجل في مثل الموت ، فأتاه آتٍ فقال له : إذهب إلى ماء زمزم

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في (تلخيص الجيد ج ١ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢) على حديث جابر : ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » والخطيب في « تاريخ بغداد » من حديث سُوَيد بن سعيد عن ابن المبارك عن ابن أبي الموّال عن محمد بن المنكدر عن جابر ، كذا أخرجه في ترجمة عبد الله بن المبارك . قال البيهقي : غريب ، تفرّد به سويد قال قلت : وهو ضعيف جداً ، وإن كان مسلم قد أخرج له في المتابعات وأيضاً فكان أخذه عنه قبل أن يعمى ويفسد حديثه ، وكذلك أمْرُ احمد بن حنبل ابنه بالأخذ عنه كان قبل عماه ، ولما أنْ عمي صار يلقّن فيتلقّن حتى قال يحيى بن مَعين : لو كان لي فرس ورمح لغزوت سُوَيداً من شدّة ما كان يذكر له عنه من المنكرات قال قلت : وقد خلط في هذا الإسناد وأخطأ فيه على ابن المبارك ، وإنما رواه ابن المبارك عن ابن المؤمّل عن ابن الزبير ، كذلك رويناه في فوائد أبي بكر بن المقبري من طريق صحيحة ، فجعله سويد عن ابن أبي الموال عن ابن المنكدر ، واغترّ الحافظ شرف الدين الدمياطي بظاهر هذا الإسناد فحكم بأنه على رسم الصحيح ، لأنّ ابن أبي الموّال انفرد به البخاري وسويد انفرد به مسلم وغفل عن أنّ مسلماً إنّما أخرج لسويد ما توبع عليه لا ما انفرد به ، فضلاً عمّا خولف فيه ، وله طريق أخرى من حديث أبي الزبير عن جابر أخرجها الطبراني في الأوسط في ترجمة علي بن سعيد الرازي انتهى . قلت : وحديث عبد الله بن المؤمّل عن أبي الزبير عن جابر أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجة والبيهقي في السُنَن وقال : تفرّد به عبد الله بن المؤمّل وهو ضعيف أهـ . (أنظر البيهقي ج ٥ ص ١٤٨ وتلخيص الجيد ص ١٦٠ و ٢١١) .

فاشرب منه وجدّد النّيّة وسل الله عزّ وجلّ الشفاء ، فدخل زمزم فشرب بالجهد منه حتى أساغ منه شيئاً ، ثم رجع إلى موضعه ، وانصرفت في حاجتي ، ثم لقيته بعد ذلك بأيام وليس به بأس ، فقلت له : ما شأنك ؟ فقال : شربت من ماء زمزم ، ثم خرجت على مثل حالي الأول حتى انتهيت إلى أسطوانة ، فأسندت ظهري إليها فغلبتني عيني ، فنمت فانتبهت من نومي وأنا لا أحسّن من الأثر شيئاً انتهى .

ومنها أنّ شيخنا الحافظ العراقي ذكر أنه شرب ماء زمزم لأمور منها الشفاء من داء معيّن بباطنه ، فشفي منه بغير دواء .

ومنها أنّ أحمد بن عبد الله الشريفي الفرّاش بالمسجد الحرام بمكة شربه للشفاء من عماء حصل له ، فشفي منه ، على ما أخبرني به عنه شيخنا العلّامة تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي رحمهم الله .

ومنها أنّ الفقيه العلّامة المدرّس المفتي أبا بكر بن عمر بن منصور الأصبحي المعروف بالشنيني ، بشين معجمة ثم نون ثم ياء مثناة من تحت ونون وياء للنسبة ، أحد العلماء المعتبرين ببلاد اليمن ، شرب ماء زمزم لبغية الشفاء من استسقاء عظيم أصابه بمكة ، فشفي بأثر شربه له على ما أخبرني عنه ولده الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله بمكة ، وأخبرني عن أبيه أنه لما اشتدّ به الاستسقاء خرج يتعرّض لطبيب بمكة ، فأعرض عنه الطبيب الذي قصده فانكسر خاطره لذلك ، وألقى الله تعالى بباله أن يشرب من ماء زمزم للحديث الوارد في أنه لِما شُرِب له ، فقصد زمزم واستسقى بدلوٍ ، فشرب منه حتى تضلّع ، وأنه بعد أن تضلّع منه أحسّ بانقطاع شيء في جوفه ، فبادر حتى وصل إلى رباط السّدْرة ليستنجي به ، فما وصل إليه إلاّ وهو شديد الخوف من أن يلوّث في المسجد ، فألقى شيئاً كثيراً ، ثم عاد إلى زمزم فشرب منه ثانياً حتى تضلّع وأخرج شيئاً كثيراً ، ثم صحّ ، وبينما هو في بعض الأيام برباط ربيع بمكة يغسل ثوباً له وهو يطؤه برجله ، وإذا بالطبيب الذي قد أعرض عن ملاطفته فقال له : أنت صاحب تلك العلّة ؟ قال : نعم ، قال له : بِمَ تداويت ؟ قال : بماء زمزم ، فقال

Marfat.com

الحكيم : لطف بك . قال : وبلغني عن ذلك الحكيم أنه قال حين رآه أولاً : هذا ما يعيش ثلاثة أيام . هذا ما أخبرني به الفقيه عبد الله بن الفقيه أبي بكر الشنيني المذكور عن أبيه ، في خبر مرضه بالاستسقاء وخبر استشفائه بماء زمزم ، وهذه الأخبار مما تؤيّد صحّة حديث « ماء زمزم لِما شُرِب له » مع أنه صحيح الإسناد كما سبق بيانه .

ولم ينصف ابن الجوزي في ذِكْره هذا الحديث في كتاب « الموضوعات » لكونه صحيحاً أو حسناً ، كما سبق بيانه ، ويتعجّب من هذا ، لأنه روى في كتاب « الأذكياء » له بإسناده إلى سفيان قصة فيها أنه قال : هذا الحديث صحيح[1] ، ولم يتعقّب ذلك ، وليس بين هذا الحديث وحديث « الباذنجان لِما أُكِل له» تساوٍ في الثبوت ، لأنّ حديث ماء زمزم صحيح أو حسن ، وحديث الباذنجان غير صحيح ، بل هو موضوع ، على ما بلغني عن العلاّمة الكبير شمس الدين ابن قيّم الجوزية الحنبلي ، وقال لي شيخنا الحافظ نور الدين الهيثمي إنه موضوع ، وصنعه بعض الزنادقة ليشين به الشريعة ، هذا معنى كلام شيخنا نور الدين الهيثمي .

وأنبأني شيخنا الحافظ العراقي قال : وأما ما اشتهر على ألسنة الناس ، بل على ألسنة كثير من أهل العلم أنّ حديث الباذنجان لِما أُكل له ، أصحّ من حديث ماء زمزم لِما شرب له ، فلا يصحّ ذلك بوجه من الوجوه ، ولم نجد لحديث الباذنجان أصلاً إلاّ في أثناء حديث في « مُسْنَد الفردوس » بإسناد مظلم ، وليس له أصل في كتب الإسلام ، وذكر أنّ مؤلّف مُسْنَد الفردوس كثير الأوهام انتهى ، (مختصراً)[2] .

ورويناه في خبر ابن عكيك بإسناد ساقط : من خواصّ ماء زمزم أنه يُبرد

---

(١) الأذكياء ٩٨ .

(٢) في النسخة (ك) : باختصار .

الحُمّى لأمر النبيّ ﷺ بذلك كما في سنن النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو في صحيح البخاري على الشكّ ، ومنها على ما قال الضّحّاك بن مزاحم أنه يُذْهِب الصُّداع ، ومنها أنّ المياه العذْبَةُ تُرفَع وتغور قبل يوم القيامة إلاّ ماء زمزم ، قاله الضحّاك أيضاً ، والله أعلم بذلك ؛ ومنها أنه يفضُل مياه الأرض كلّها طبّاً وشرعاً ، على ما ذكر شيخنا بالإجازة الإمام بدر الدين ابن الصاحب المصري ، لأنه قال فيما أنبأنا به : وازنت ماء زمزم بماء عين مكة ، فوجدت زمزم أثقل من العين بنحو الربع ، ثم اعتبرتها بميزان الطبّ فوجدتها تفضُل مياهَ الأرض كلّها طباً وشرعاً .

ورأيت لشيخنا بدر الدين ابن الصاحب هذا أبياتاً حسنة في فضل زمزم ، رأيت أن أُثبتها هنا ، منها قوله فيما أنبأنا به :

شفيت يا زمزم داء السقيم ... فأنت أشفى ما تعاطى النديم
وكم رضيع لك أشواقه ... إليك بعد الشيب مثل الفطيم

ومنها قوله فيما أنبأنا به :

يا زمزم الطيب في المخبر ... يا من علت غوراً على المشرب
رضيع أخلافك لا يشتهي ... فطامه إلا لدى[1]

ومنها قوله فيما أنبأنا به :

بالله قولوا لنيل مصر بأنّني عنه في غنى
بزمزم العذب عند بيت مخلق[2] الشرب الوفا

ومنها قوله فيما أنبأنا به :

لزمزم نقع في الفؤاد وقوة ... يزيد على ماء الشباب لذي فتك
وزمزم فاقت كل ماء بطيبها ... ولو أنّ ماء النيل يجري على المسك

---

(١) هنا كلمات مطموسة لم تظهر ، وفي النسخة (ك) : (إلاّ لذي الكوثر) وهو لا يستقيم .
(٢) كذا بالأصل .

ومنها أنّ ماءها يحلو ليلة النصف من شعبان ويطيب ، ذكر ذلك ابن الحاجّ المالكي في منسكه نقلاً عن الشيخ مكي بن أبي طالب ، ونصّ كلامه : قال الشيخ مكي بن أبي طالب : وفي ليلة النصف من شعبان تُحلّى زمزم ويطيب ماؤ ها يقول أهل مكة إنّ عين سلوان تتّصل بها تلك الليلة ، وتُبذل على أخذ الماء في تلك الليلة الأموال ، ويقع الزحام فلا يصل إلى الماء إلاّ ذو جاه وشرف ، قال : عاينت هذا ثلاث سنين ، انتهى .

ومن خواصّ ماء زمزم أن يكثر في ليلة النصف من شعبان في كل سنة ، بحيث أنّ البئر تفيض بالماء على ما قيل ، لكن لا يشاهد ذلك إلاّ العارفون ، وممن شاهد ذلك الشيخ العالمي[1] أبو الحسن المعروف بكرباج ، على ما وجدت بخطّ جدّ أبي الشريف أبي عبد الله الفاسي ، نقلاً عن الشيخ فخر الدين التوزري ، عن الشيخ علي كرباج .

ومن فضائل بئر زمزم أنّ الاطّلاع فيها يجلو البصر ، قاله الضحّاك بن مزاحم . ومن فضائلها أنّ الاطّلاع فيها يحطّ الأوزار والخطايا ، لأنّ أبا الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني من الشافعية ذكر في كتاب « الإرشاد في المناسك » له أنه يُستحبّ لمن جاء إلى زمزم الاطّلاع فيها ، لأنّ النظر فيها عبادة وتحطّ الأوزار والخطايا . انتهى . ولم أقف على هذا الكتاب ، وإنّما نقل اليّ ذلك عنه من اعتمده ، وذكر أنه رأى ذلك بخطّ من يعتمد عليه من حفّاظ الحديث .

ورُوي نحو ذلك عن النبيّ ﷺ مرسَلاً في حديث الفاكهي لأنه قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الطبري قال : حدّثنا بقية بن الوليد عن ثور عن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ : النظر في زمزم عبادة وهي تحطّ الخطايا . ومنها أنّ من حثا على رأسه ثلاث حثيات من ماء زمزم لم تصبه ذلة . ذكر ذلك الفاكهي لأنه قال : وحدّثني قريش بن بشير التميمي قال : حدّثنا إبراهيم بن بشير عن محمد بن حرب

---

(١) في النسخة (ك) : الصالح .

Marfat.com

عمّن حدثه أنـه أُسر في بـلاد الروم ، وأنـه صار إلى الملك فقـال له : من أيّ بلد أنت ؟ قال : من أهل مكة ، فقال : هل تعرف بمكة هَزْمَة جبريـل ؟ قال : نعم ، قال : فهل تعرف بها بوة[1] ؟ قال : نعم ، قال : فهل لهـا اسم غير هـذا ؟ قال : نعم ، هي اليوم تعرف بزمزم . قال : فذكر من جملة بركتها ثم قال : أمـا أنك إن قلت هذا إنّا نجد في كتبنا أنه لا يحثو رجل على رأسه منها ثلاث حثيـات فأصـابته ذلّة أبداً . انتهى .

ذكر آداب شربه

يُستحبّ لشاربه أن يستقبل القبلة ، ويذكر اسم الله تعالى ، ويتنّفس ثـلاثاً ، ويتضلّع منه ، ويحمد الله تعالى ، ويدعو بما كان ابن عباس يدعو به إذا شرب ماء زمزم . لأنّ في مُستدرك الحاكم من حديث ابن عباس السابق وكـان ابن عباس إذا شرب من[2] ماء زمزم قال : اللهم إنّي أسألك علمـاً نافعـاً ورزقاً واسعـاً وشفاءً من كل داء[3] انتهى . ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يـدعو بمـا أحبّه من أمـر الآخرة في الدعاء ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة .

ذكر حكمة التطهير بماءزمزم

أما حكم التطهير فإنّه صحيح بالإجماع على ما ذكره الماوردي في حاويـه ، والنووي في « شرح المهذّب » . وينبغي توقّي إزالـة النجاسـة به ، وخصـوصاً مـع وجود غيره ، وخصوصاً في الاستنجاء به ، فقد قيل إنه يورث البـاسور ، ويقـال : إنّ ذلك جرى لمن استنجى به ، وجزم المحبّ الطبري بتحريم إزالة النجاسة به ، وإن حصل به التطهير ، وأخذ ذلك من كلام الماوردي ، ووافقـه في الجزم بـذلك وأخـذه من كـلام المـاوردي الشيـخ كمـال الـدين النشـائي في كتـابـه « جـامـع المختصرات وشرحه » .

---

(١) في النسخة (ك) : بره .
(٢) لا توجد في النسخة (ك) .
(٣) المستدرك على الصحيحين ١/٤٧٣ .

Marfat.com

ولابن شعبان من أصحابنا المالكية : ما يوافق ما ذكره الماوردي في منع التطهير بماء زمزم ، لأنه قال : لا يُغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة انتهى . ومقتضى ما ذكره ابن حبيب من المالكية استحباب التوضّؤ به ، ومذهب الشافعي رضي الله عنه استحباب الوضوء والغسل به ، ولم يكره الوضوء به إلّا أحمد بن حنبل في رواية عنه .

وذكر الفاكهي أنّ أهل مكة يغسلون موتاهم بماء زمزم إذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه تبَرُكاً به ، وذكر أنّ أسماء بنت أبي بكر الصديق[1] غسلت ابنها عبد الله بن الزبير بماء زمزم .

ذكر نقل ماء زمزم إلى البلدان

أما نقله فإنه يجوز باتفاق المذاهب الأربعة ، بل هو مستحبّ عند المالكية والشافعية ، والفرق عند الشافعية بينه وبين حجارة الحرم في عدم جواز نقلها وجواز نقل ماء زمزم أنّ الماء ليس بشيء يزول فلا يعود ، أشار إلى هذه التفرقة الشافعي فيما حكاه عنه البيهقي ، والأصل في جواز نقله ما رويناه في « جامع الترمذي » عن عائشة أنها حملت من ماء زمزم في القوارير ، وقالت : حمل رسول الله ﷺ في الأداوي والقِرَب ، وكان يصبّ على المرضى ويسقيهم . ورويناه في « شعب الإيمان » للبيهقي وفي سُنَنه وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه انتهى .

ويدلّ لذلك ما رويناه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم . أخرجه الطبراني في مُسند رجاله ثقات ، ورويناه في تاريخ الأزرقي أنّ النبي ﷺ استعجل سُهَيلاً في إرسال ذلك إليه ، وأنه بعث إلى النبي ﷺ براويتين[2] .

---

(١) لم تكتب في النسخة (ك) .
(٢) أخبار مكة ٢ / ٥٠ وفيه تكملة « وجعل عليهما كراً غوطياً » .

Marfat.com

ذكر شيء من خبر سقاية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

صفة هذه السقاية الآن بيت مربّع في أعلاه قبّة كبيرة ساترة لجميعه ، والقبّة من آجُرّ معقودة بالنَّوْرَة ، وفي أسفل جدرانها خلا الجنوبي شبابيك من حديد تشرف على المسجد الحرام ، في كل جهة شبّاكان من حديد . وفي جانبها الشمالي من خارجها حوضان من رخام مفردان ، وباب السقاية بينهما .

وفي هذا البيت بركة كبيرة تُملأ من بئر زمزم ، يسكب الماء من البئر في خشبة طويلة على صفة الميزاب ، متّصلة بالجُدُر الشرقي من حجرة زمزم ، ويجري الماء منها إلى الجدار المشار اليه ، ثم إلى قناة تحت الأرض حتى يخرج إلى البركة من فوّارة في وسطها . وأحدث وقت عُمِّرت فيه هذه القبّة سنة سبعٍ وثمانمائة ، وسبب عمارتها في هذه السنة أنّ القبة التي كانت في سقف هذه السقاية أكلت الأرضة بعضَ الخشب الذي كان فيها فسقطت . والأرضة دُوَيْبة صغيرة تأكل الخشب . وقد ذكرنا في أصل هذا الكتاب شيئاً من خبر عمارة هذا المكان ، وما ذكره الأزرقي في صفة هذه السقاية ، وهو يخالف هذه الصفة ، ولذلك تركنا ذكره هنا .

وقد ذكر الأزرقي ذرْع ما بين هذه السقاية وبينَ الحجر الأسود وذرْع ما بينها وبين جدارات المسجد لأنه قال : ومن الركن الأسود إلى سقاية العباس وهو بيت الشراب خمسة وتسعون ذراعاً . ومن وسط سقاية العباس إلى جدر المسجد الذي بباب المسعى مائة ذراع . ومن وسط السقاية إلى الجدار الذي به باب بني جُمَح مائتا ذراع ، وإحدى وتسعون ذراعاً . ومن وسط السقاية إلى الجدار الذي يلي الوادي خمس وثمانون ذراعاً[1] انتهى .

وقد حرّرنا مقدار ما بين هذه السقاية والحجر الأسود فكان ما بين ذلك ثمانون ذراعاً ونصف ذراع ، بذراع الحديد ، وذلك من الحجر الأسود إلى وسط جدار السقاية الغربي مارًّا من جانب زمزم اليماني .

---

(١) أخبار مكة ٢/١٠٤ و١٠٥ .

Marfat.com

الباب الحادي والعشرون

في ذكر الأماكن المباركة التي ينبغي زيارتها الكائنة بمكة المشرفة وحرمها وقربه

هذه الأماكن مساجد ودور وجبال ومقابر ، والمساجد أكثر من غيرها إلاّ أنّ بعض هذه المساجد مشتهر باسم المولد ، وبعضها باسم الدار ، وسيأتي ذكر هذين الأمرين قريباً ، والمقصود ذكره هنا ما اشتهر من ذلك بالمسجد الحرام[1] .

فمن ذلك مسجد بقرب المجزرة الكبيرة[2] من أعلاها على يمين الهابط إلى مكة ويسار الصاعد منها، يقال إنّ النبيّ ﷺ صلّى فيه المغرب على ما وجدت بحجرين فيه : أحدهما بخطّ عبد الرحمن بن أبي حرمى ، وفيه أنه عُمّر في رجب سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة ، وفي الآخر أنه عُمّر في سنة سبع وأربعين وستمائة ، وطول هذا المسجد من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل له سبعة أذرع إلاّ ربعاً ، بذراع الحديد المستعمل في القماش بديار مصر ومكة ، وعرضه خمسة أذرع وثُمن ، وذلك من الجدار الذي فيه محرابه إلى الجدار المقابل له ، وكان تحرير ذلك بحضوري وبين باب هذا المسجد وجدار باب بني شيبة أحد أبواب المسجد الحرام خمسمائة ذراع وعشرة أذرع ونصف ذراع بذراع اليد المقدم

---

(١) بالأصل : الكبير .
(٢) كذا بالأصل .

Marfat.com

ذكـره ، ويكون ذلـك بذراع الحـديد أربعمـائة ذراع وستـة وأربعين ذراعاً وخمسـة أثمان ذراع ونصف ثُمن ، وحُدّد ذلك بحضوري أيضاً .

ويوهم بعض أهل العصر أنّ هذا المسجد هو المسجد الذي ذكر الأزرقي أنّ عنده قرن مسقلة[1] عنـد موقف الغنم ، وأنّ النبيّ ﷺ بـايع النـاس عنده يـوم فتح مكة على ما يقـال ، وسبب هذا التـوهّم أنّ المسجد الـذي ذكرنـا ذرْعه وشيئـاً من خبـره يلحق بجبل ، وعنـده الآن سوق الغنم ، وليس هـذا التوهّم صحيحـاً ، لأنّ الجبل الذي عنده هذا المسجد هو المشـرف على المروة ، ويسمّى جبـل الديلمي على مـا ذكره الأزرقي ، وهـو في شقّ معلّى مكة الشـامي ، وقرن مسقلة[1] الـذي أشار اليه الأزرقي ، ذكـره الأزرقي في شقّ معلّى مكة اليمـاني ، ونصّ كلامـه في أخبار هذه الجهة : وقرن مسقلة[1] وهو قرن قد بقيت منه بقيـة بأعلى مكـة في دُبُر دار سَمُرَة عند مـوقف الغنم بين شعب ابن عامـر وحرف دار رابغـة[2] في أصله[3] انتهى . وشعب ابن عامر هو الذي تسميّه العامّـة[4] اليوم شعب عـامر بـأعلى مكة بشقّهما اليماني وبين المكانين بعد كثير ، والله أعلم ـ

ومن ذلك مسجد فوقه يقال له مسجد الراية وعرّفه بذلك المحبّ الطبري في القـرى ، وهو من المسـاجد التي صلّى فيهـا النبيّ ﷺ على ما يقـال ، كما ذكـر الأزرقي ، وذكـر أنّ عبد الله بن العبـاس بن محمد بن علي بن عبـد الله بن العباس بنـاه ، وفيه الآن لـوحان مكتـوبان : أحـدهمـا كـوفيّ لا يُعـرف ، والآخـر فيـه أنّ المتعصم العباسي[5] أمر بعمله في شعبان سنة أربعين وستمائة ، وعمّـره في أوائل

---

(١) في المطبوع ١ / ٢٦٠ « مسفلة » بالفاء ، والتصويب من أخبار مكـة . و« مسقله » بالكـاف اسم رجل كان يسكنه في الجاهلية .

(٢) في المطبوع « رابعة » بالعين المهملة ، والتصويب من أخبار مكة .

(٣) أخبار مكة ٢ / ٢٧٠ .

(٤) في نسخة (ع) الناس .

(٥) هو آخر خلفاء بني العباس في العراق . بويع بالخلافة سنة ٦٤٠ وقتله التتار سنة ٦٥٦هـ .

Marfat.com

سنة إحدى وثمانمائة الأمير قطلبك الحسامي المنجكي [1] عمارته التي هو عليها الآن ، وطول هذا المسجد من داخله ستة عشر ذراعاً بالحديد ، وذلك من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل له ، وعرضه ستة أذرع إلاّ ثلث ذراع ، وذلك من الجدار الذي فيه محرابه إلى الجدار المقابل له ، وكان تحرير ذلك بحضوري ، وبين باب هذا المسجد وجدار باب بني شيبة أحد أبواب المسجد الحرام سبعمائة ذراع وأربعة وعشرون ذراعاً بذراع الحديد ، فيكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع وستة وخمسون ذراعاً ، وكان تحرير ذلك بحضوري .

ومن ذلك مسجد بسوق الليل قرب مولد النبيّ ﷺ يقال له المختبا ، يزوره الناس كثيراً في صبيحة اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة ، ولم أر من ذكره ولا عرفت شيئاً من خبره ، وطول هذا المسجد من وسط الجدار إلى وسط الجدار الذي فيه محرابه ثمانية أذرع إلاّ ثلثاً ، وعرضه سبعة أذرع وثلث ، الجميع بذراع الحديد ، وكان تحرير ذلك بحضوري .

ومن ذلك مسجد بأسفل مكة ينسب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ويقال إنه من داره التي هاجر منها إلى المدينة ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن جبير هذا المسجد[2] وذكرنا كلامه في أصل هذا الكتاب مع شيء من حال هذا المكان الآن ، وهو مكان مشهور بالموضع المشهور بالحجارية ، براء مهملة ، بأسفل مكة بالقرب من باب الماجن .

ومن ذلك مساجد خارج مكة من أعلاها : منها المسجد[3] الذي يقال له مسجد الإجابة على يسار الذاهب إلى مِنَى في شعب بقرب ثنيّة إذاخر ، وهو مسجد مشهور يقال إنّ النبيّ ﷺ صلّى فيه، وقد ذكره الأزرقي، وذكر شيئاً من خبر

---

(١) كان من أعيان امراء الدولة الظاهرية برقوق ، مات بالينبوع في سنة ٨٠٢هـ . (الضوء اللامع ٦/٢٢٤ رقم ٧٤٩)

(٢) رحلة ابن جبير ٩٣ .

(٣) في النسخة (ك) المسجد المشهور .

Marfat.com

الشعب الذي هو به لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : شعب آل قنفذ هو الشعب الذي فيه دار آل خلف بن عبد ربه بن السايب ، مستقبل قصر[1] محمد بن سليمان ، وكان يسمّى شعب اللام[2] وهو قنفذ بن زهير من بني أسد بن خزيمة ، وهو الشعب الذي على يسارك وأنت ذاهب إلى مِنَى من مكة فوق حائط خرمان[3] ، وفيه اليوم دار الخليفتين من بني مخزوم . وفي هذا الشعب مسجد مبنيّ يقال إنّ النبي ﷺ صلّى فيه. وينزله اليوم في الموسم الحضارمة[4] انتهى. وهذا المسجد الآن متخرّب جداً ، وجدرانه ساقطة إلاّ القبلي ، وفيه حجر مكتوب فيه أنه مسجد الإجابة ، وأنّ عبد الله بن محمد ، عمّره في سنة عشرين وسبعمائة ، وما عرفت عبد الله بن محمد المشار اليه ، وطول هذا المسجد من الجدار الذي فيه محرابه إلى الجدار المقابل له ثمانية عشر ذراعاً بذراع الحديد ، وعرضه كذلك ، وحرّر ذلك بحضوري ، وكثير من الناس يقصدون زيارة هذا المسجد في بكرة أول سبت من شهر ذي القعدة الحرام كل سنة ، وما عرفت سبب مثابرتهم على زيارته في هذا اليوم والله أعلم .

ومن ذلك المسجد الذي يقال له مسجد البيعة ، وهي البيعة التي بايع رسول الله ﷺ فيها الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه على ما ذكر أهل الأخبار[5] ، وهذا المسجد بقرب العَقَبَة التي هي خدّ مِنَى من جهة مكة ، وهو وراء العَقَبَة بيسير إلى مكة في شعب على يسار الداخل إلى مِنَى ، وفيه حجران مكتوب في أحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله ببنيان هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله ﷺ عقد عقده له

---

(١) في المطبوع ج ١/٢٦١ « قصة » والتصحيح من أخبار مكة .
(٢) كذا في الأصل والمطبوع ، وفي أخبار مكة « اللثام » .
(٣) في النسخة (ك) : حزمان ، بحاء فزاي .
(٤) أخبار مكة ٢/٢٨٦ و٢٨٧ .
(٥) وهي البيعة المعروفة ببيعة العقبة الثانية والتي كانت سبباً مباشراً للهجرة النبوية . (أنظر تاريخ الطبري ٢/٣٦١)

Marfat.com

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وفي الآخر تعريفه بمسجد البيعة ، وأنه بُني في سنة أربعٍ وأربعين ومائة ، وأمير المؤمنين المشار إليه هو أبو جعفر المنصور العباسي ، وعمّره أيضاً المستنصر العباسي[1] على ما وجدته مكتوباً في حجر ملقىً حول هذا المسجد لتخرّبه ، وفيه أنّ ذلك في سنة تسع وعشرين وستمائة ، وقد ذكره الأزرقي[2] ، ولم يذكر شيئاً من خبر عمارته في زمن المنصور ، وصفة هذا المسجد رواقان ، كل منهما مسقوف بثلاث قبب على أربعة عقود ، وخلفها رحبة ، وله بابان في الجهة الشامية وبابان في الجهة اليمانية ، وطول الرواق المتقدّم من الجهة الشامية إلى الجهة اليمانية ثلاثة وعشرون ذراعاً وعرضه أربعة عشر ذراعاً ، والرواق الثاني نحو ذلك ، وطول الرحبة من جدارها الشامي إلى اليماني أربعة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع ، وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع ، وطول المسجد من محرابه إلى آخر الرحبة ثمانية وثلاثون ذراعاً وسدس ، الجميع بذراع الحديد ، وأبواب كل رواق التي يدخل منها إلى الأرض ثلاثة ، وأكثر هذا المسجد الآن متخرّب ، وكان تحرير ما ذكرناه بحضوري .

ومن ذلك مسجد بمنى عند الدار المعروفة بدار المنحر بين الجمرة الأولى والوسطى على يمين الصاعد إلى عرفة . وهذا المسجد يُنسب إلى النبيّ[3] ﷺ على ما يقال ، لأنّ فيه حجراً مكتوباً فيه : هذا مسجد سيّد الأولين والآخرين صلّى فيه الضحى ونحر هديه . وفيه أنّ الملك قُطْب الدين أبا بكر بن الملك المنصور عمر بن علي بن صاحب اليمن ، أمر بتجديد عمارته بعد زيارته في سنة خمس وأربعين وستمائة وهذا المسجد في قبلته بابان ، وخلفه رحبة ، ولا حائط له

---

(١) جاء في المطبوع من الشفاء ٢٦٢/١ حاشية رقم (٢) انه آخر خلفاء الدولة العباسية ، وهذا خطأ إذ آخر الخلفاء هو ابنه المستعصم . أما المستنصر هذا فقد توفي سنة ٦٤٠ هـ. بعد أن تولّى الخلافة ١٦ سنة ونيّفاً .

(٢) أخبار مكة ٢٠١/٢ .

(٣) في النسخة (ك) للنبيّ .

Marfat.com

من جهة المشرق ، وله أربعة أبواب ، باب في الجهة الشامية ، وباب في الجهة اليمانية ، وبابان في حائطه القبلي : واحد[1] عن يمين محرابه وآخر عن يساره ، وطول هذا المسجد من المحراب إلى مؤخَّره ثمانية أذرع ، وعرضه سبعة أذرع ، الجميع بذراع الحديد . وكان تحرير ذلك بحضوري .

ومنها مسجد الكبش الذي يقال له مسجد الكبش بمنى على يسار الذاهب إلى عرفة . وهو مشهور بمنى ، والكبش المشار اليه هو الذي فدى الله تعالى به نبّيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقيل إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، حين أراد الخليل عليه السلام ذبحه .

وفي تاريخ الأزرقي زيادة في خبر هذا المكان[2] ، وفيه القولان في تعيين الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل ، قال المحبّ : والأكثر على أنه إسحاق انتهى .

وذكر الفاكهي ما يقتضي أنّ هذا الكبش نُحر في غير هذا الموضع ، لأنه روى حديثاً بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصّة ذبح إبراهيم لإسماعيل ، وفيه : فنزل عليه كبش من ثبير فاضطرّه إلى الجبل ، ثم جاء به حتى نحره بين الجمرتين ، انتهى . وسيأتي هذا الخبر في الباب السادس والعشرين من هذا الكتاب ، وذكر المحبّ الطبري ما يؤيّد ذلك ، ونبين هذا المنحر الذي بين الجمرتين ، لأنه نقل عن أبي ذر الهروي خبراً لفظه : وعن ابن عباس قال : نحر رسول الله ﷺ في منحر إبراهيم الذي نحر فيه الكبش . فاتخّذوه منحراً ، وهو المنحر الذي ينحر فيه الخلفاء اليوم ، يُقال هذا منحر وكل مِنى منحر .

وقال ابن عباس رضي الله عنه تقول اليهود : إنّ المفدَّى إسحاق ، كَذَبَتْ ، إنّما هو إسماعيل . أخرجه أبو داود . ثم قال وعنه قال : الصخرة التي بمنى بأصل

---

(١) في النسخة (ك) : وآخر .
(٢) أخبار مكة ٢/١٧٥

Marfat.com

ثبير هي الصّخرة التي ذبـح عليها فـداء إسماعيـل أو إسحاق انتهى بـاختصار . ثم قال : أخرجه أبو سعيد في شرف النبوّة ثم قال : وهذان الحديثان بينهما تضادّ لأنّ حديث أبي سعيد يتضمّن أنّ مكـان ذبح إبـراهيم في أصل ثبيـر ، وحديث أبي ذر يتضمّن أنه منحر الخلفاء اليوم ، وذلك في سفح الجبل المقابل له . انتهى .

وهذا المنحر هو الدار المعروفة بـدار المنحر[1] بمنى بين الجمـرتين الأولى والوسطى بقرب المسجد الذي سبق ذكره قبل هذا المسجد ، وهي مشهورة بـذلك عنـد الناس ، وعنـدها يُنْحَـر هَدْي صـاحب اليمن . والمسجد المعـروف بمسجد الكبش ثلاثة أروقـة مكشوفـة لا سقف لها ، وفي كـلٍّ من المقدّمين عقـدان ، وله أبواب خمسة ، اثنان في جداره القبلي ، عن يمين المحراب ويساره ، واثنـان في مؤخّري حائـطه الشرقي والغـربي ، وبابـه الخامس خـويجة في جـداره المؤخّر . وفي الرواق الأوسط بابان يدخل منهما إلى الرواق المقدّم ، وفي مؤخّـره عند بـابه الذي يلي المشرق حفـرة صغيرة فيهـا حجر مبني في الجـدار فيه أنـه يقال إنـه أثر الكبش الـذي فدى بـه الذبيـح ابن إبراهيم وطـول هـذا المسجـد من مؤخّـره إلى جداره القبلي تسعة عشر ذراعاً وربـع ذراع ، وعرضـه ثلاثـة عشر ذراعـاً وسُدس ، الجميع بذراع الحديد ، وأكثر هذا المسجـد الآن متخرّب . وكـان كل من رواقيـه المقدمين مسقوفاً بثلاث قبب فسقط جميع ذلك . وكان تحرير ذرعه بحضوري .

ومن ذلك مسجد الخيف بمنى ، وهو مسجد عظيم الفضل لأحـاديث وأخبار وردت في ذلـك ، منهـا مـا رويناه في المعجم الأوسط للطبـراني من حـديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لا تُشدّ الرحال إلاّ إلى ثـلاثة مسـاجد : مسجـد الخيف ، والمسجـد الحرام ، ومسجـدي هذا . وهـذا الحديث إسنـاده ضعيف ، وإنّما أوردناه لهذه الفائدة الغريبة ، ومنها مـا رويناه في « معجم الـطبراني الكبيـر » من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : صلّى في مسجد الخيف سبعـون

---

(١) النحر : في النسخة (ك) .

نبياً منهم موسى[1] . رويناه في تاريخ الأزرقي[2] ، ورويناه عن مجاهد أنه صلّى في مسجد الخيف خمسة وسبعون نبياً . ورويناه في مسند البزّار من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ النبيّ ﷺ قال : في مسجد الخيف قبر سبعين نبياً ، وإسناد رجاله ثقات . وذكر الفاكهي فيها رواية بسنده إلى عروة بن الزبير أنّ آدم عليه السلام دُفن بمسجد الخيف بعد أن صلّى عليه جبريل بباب الكعبة .

ذكر ما جاء في استحباب زيارة مسجد الخيف كل سبت

وبالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : حدّثني جدّي عن عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء قال : سمعت أبا هريرة يقول : لو كنت من أهل مكة لأتيت إلى مسجد الخيف كل سبت[3] .

وقال الجنيدي : حدّثنا محمد بن يوسف حدّثنا أبو قرّة قال : ذكر ابن جُرَيْج عن عطاء ، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : لو كنت امرأ من أهل مكة ما أتى عليَّ سبت حتى آتى مسجد الخيف فأصلّي فيه ركعتين .

ذكر تعيين مصلَّى النبيّ من مسجد الخيف

وبه إلى ابن جُرَيْج ، عن إسماعيل بن أمية ، أنّ خالد بن مضرّس[4] أخبره أنه رأى أشياخاً من الأنصار يتحرّون مصلّى النبيّ ﷺ أمام المنارة قريباً منها .

وبه إلى الأزرقي قال : قال جدّي : الأحجار التي بين يدي المنارة هو[5] موضع مصلّى النبيّ ﷺ لم يزل الناس وأهل العلم يصلّون هنالك[6] .

---

(١) المعجم الكبير ١١/٤٥٢ و٤٥٣ رقم ١٢٢٨٣

(٢) أخبار مكة ٢/١٧٤

(٣) أخبار مكة ٢/١٧٤

(٤) في النسخة (ك) : مطرس .

(٥) كذا في الأصل ، والصواب « هي » كما عند الأزرقي .

(٦) أخبار مكة ٢/١٧٤ .

Marfat.com

ذكر صفة مسجد الخيف الآن وذرعه بذراع الحديد

ذكر الأزرقي ذرع مسجد الخيف بذراع اليد وصفته في عصره[1] وذكرنا ذلك في أصل هذا الكتاب ، مع صفته الآن وذرعه بذراع الحديد المتقدّم ذكره ، وشيء من خبر عمارته بعد الأزرقي رحمه الله ، واقتصرنا هنا على ذكر صفته الآن ، وذرعه بذراع الحديد لكونه أبلغ في تعريفه مع ما علمناه من خبر عمارته .

ذكر صفته الآن

هو مسجد كبير مربع في قبلته أربع محاريب غير محرابه الكبير . ثلاثة عن يساره ، وواحد عن يمينه ، ومنبره درج عالية ، وفي مقدمه أربعة أروقة مسقوفة بآجُرّ معقودة بالنَّوْرَة كالأطباق ، وله رواق آخر لاصق بجداره يلي الطريق العظمى غير مسقوف ، وبابه الأعظم في نحو وسط هذا الجدار ، وله باب آخر كبير في جداره المؤخّر الذي يلي عرفات ، وخوختان في جداره الذي يلي الجبل ، وفي وسطه منارة مربّعة بين يديها موضع مصلّى النبيّ ﷺ . محوط بحجارة فيها محراب صغير ، وفي طول المسجد فيما بين بابه الكبير والمنارة سقاية كبيرة معقودة في الأرض ، على أعمدة لها خمسة أبواب ، تسقي الناس منها ، وعن يمين القبلة من خارج الأروقة درجة لاصقة للرواق الذي يلي الطريق يصعد منه إلى أعلى سقف الأروقة المذكورة ، وجدرات المسجد عالية لها شرافات ، وعلى باب المسجد الكبير نُصُب عال قد سقط أكثره . وكذلك سقط جانب من المسنجد مما بين بابه الكبير ، والقبلة ، وقبّة كبيرة كانت على المحراب سقطت أيضاً مع جانب من وسط حائطه القبلي .

ذِكر ذرْعه

طوله من وسط حائطه القبلي إلى مؤخَّره مائتا ذراع وعشرة أذرع ، وعرضه

---

(١) أخبار مكة ٢/١٨١ .

Marfat.com

من الجدر الذي فيه بابه الكبير إلى الجدار المقابل له الـذي يلي الجبل مـائة ذراع وتسعـة وتسعـون ذراعـاً ونصف ذراع ، وذرع ارتفـاع جـداره القبلي من داخله من الأرض أحد عشر ذراعاً ، ومن خارجه تسعة أذرع ونصف ، وارتفـاع جداره الـذي يلي الجبل من داخله ثمانية أذرع إلاّ ثُلُث ، وارتفاع جـدره الذي يلي الـطريق من داخل المسجد ستة أذرع وربع ذراع . ومن خارجه تسعـة أذرع إلاّ ثلث ، وارتفاع بـاب المسجد الكبيـر في السماء سبعـة أذرع وسُـدس ، وعـرضـه أربعـة أذرع إلاّ سدس ، وارتفاع عتبته من خارج نصف ذراع ، وارتفاع بابـه الذي في مؤخّـره في السماء أربعة أذرع وربع ، وعرضه ذراعان .

ذكر عدد أروقته

ذرع الأروقة التي في مقدمه من حذو القبلي إلى مؤخـرّها التي[1] هـو طرف الصحن أحـد وثلاثـون ذراعاً ، وذرع كـل رواق منها طـولاً من الجـدر الـذي يلي الطريق إلى الجدار الذي يلي الجبل خمسـة وثمانـون ذراعاً وثلثـا ذراع . وعرضـه سبعـة أذرع ونصف إلاّ الرواق الـذي يلي الصحن فـإنّـه سبعـة فقط . وأمـا رواقـه الملاصق لجدره الذي يلي الطريق فطوله من جدار القبلة إلى باب المسجـد الكبير سبعون ذراعاً وسـدس ذراع ، وعرضـه سبعة أذرع ونصف ، وطـول باقيـه من باب المسجد الكبير إلى مؤخرّه مائة وأربعون ذراعاً وسدس ذراع ، وعرضه سبعـة أذرع وربع ، وفي كلٍّ من جانبي هذا الـرواق من الأبواب النـافذة إلى صحن المسجـد ثلاثة أبواب : اثنان متلاصقان ، وآخر مفرد يلي باب المسجد الكبير .

ذكر عدد أساطينه وصفتها وذرْع ما بينها

أما عددهـا فهو أربـع وثمانـون أسطوانـة من أربعة صفـوف الأربعة المقـدّمة منه ، منها في كل صفّ إحدى وعشرون أسطوانة وهي حجارة مجصّصة . وذرع ما بين كل أسطوانتين من كل صف خمسة أذرع وثلث ، وبعض ذلك يزيد قليلاً .

---

(١) كذا في الأصل .

Marfat.com

ذكر عدد عقوده

عدد العقود التي في الأروقة المقدّمة مائة وثمانية وستّون عقداً ، منها في كل رواق اثنان وعشرون في عَرضه ، وفي كل صفّ اثنان وعشرون في طوله .

ذكر ذرع موضع مصلًّى النبيّ أمـام المنارة

ذرعه طولاً من جدار المنارة القبلي إلى أقصى محرابه ثـلاثة وعشـرون ذراعاً ونصف ذراع وثُمن ذراع ، وعرضه عن يمين المصلّى ويساره أربعة وعشرون ذراعاً وربـع ذراع ، وفتحة محـرابه ثمـانية أذرع وثُمن ، وطـوله إلى جهـة القبلة ذراعـان ونصف ، ومـا بين هذا المحـراب وطرف صحن المسجـد ممـا يلي القبلة خمسـة وثمانون ذراعاً .

ذكر عدد شرفات المسجد من داخله وخارجه

أمـا التي من خارجـه ففي حائط مؤخّـره ، منها ستـة وسبعون شـرافة ، وفي حائطه الذي يلي الطريق العظمى من مؤخّر المسجد إلى بابه الكبير اثنتان وسبعون شرافة ، منهـا ثلاثـة مهدومـة ، وتمام مـا على هذا الحـائط من الشرفـات أكثر من عشرين ، لأنه سقط كثير منها مما يلي الباب .

وعلى الحـائط الذي يلي الجبـل ستة وتسعـون ، منها ستّ مهـدومة . وأمـا الشـرفات التي تلي بـاطن المسجد ، فعلى الـرواق المؤخّر من الأربعـة الذي يلي صحن المسجد مائة وثلاث شرافات ، منها اثنتان وسبعون من مؤخّر المسجـد إلى بابه الأعظم ، وثلاثة وثلاثون تمام ذلك إلى جداره القبلي .

ذكر ذرْع المنارة وصفتها وعدد درجها وما بين المنارة وبين نواحي المسجد

طولها في المسجد أحد وعشرون ذراعاً وثُمن ذراع ، وذرع تربيعها من جهـة

Marfat.com

القبلة ستة أذرع إلاّ قيراط . ومن مؤخّرها كذلك . ومما يلي الجبل إلى بابها ستة اذرع ونصف إلاّ قيراطين . والمقابل له الذي يلي باب المسجد الأعظم كذلك ، وفيها من الطاقات إحدى عشرة طاقة في كل جهة ثلاث ، خلا الجهة التي تلي مؤخّر المسجد فاثنتان فقط . وعدد درجها أربعة وستون ، وبينها وبين جدر المسجد الذي يلي الجبل ثلاثة وثمانون ذراعاً وربع ذراع ، وبينها وبين الرواق الملاصق لجدار المسجد الذي يلي الطريق ثمانية وثمانون ذراعاً وربع ذراع ، وبينها وبين المسجد المؤخّر سبعة وتسعون ذراعاً ونصف . وقد تقدّم ما بينها وبين طرف صحن المسجد مما يلي القبلة وما بين ذلك والجدار القبلي .

ذكر ذرْع السقاية المذكورة

طولها تسع وثلاثون ذراعاً ورُبْع ذراع ، وبينها وبين محاذاة المنارة ثلاثة وخمسون ذراعاً إلاّ ثُمن ذراع ، وبينها وبين عتبة باب المسجد الكبير اثنان وأربعون ذراعاً وسُدس ذراع . وكان تحرير ما ذكرناه كلّه من أمر هذا المسجد بحضوري .

وأما خبر عمارة هذا المكان بعد الأزرقي فقد خفي علينا كثير من ذلك ، لعدم تدوين من قبلنا له ، فمن ذلك بعد الأزرقي ـ ما أحسب ـ عمارة في زمن الخليفة المعتمد[1] أحمد بن المتوكل العباسي في سنة ستّ وخمسين ومائتين . ومن ذلك بعد الأزرقي يقيناً أنّ الوزير الجواد الأصفهاني عمّره ، وأنّ أم الخليفة الناصر لدين الله العباسي عمّرته ، واسمها مكتوب على بابه الكبير ، وأنّ الملك المظفّر صاحب اليمن عمّر ما تشعث منه في سنة أربع وسبعين وستمائة . وفي هذه السنة أمر بإنشاء المنارة التي هي الآن فيه واسمه مكتوب في لوح فيها إلى الآن . وأنّ أحمد بن عمر المعروف بابن المرجاني التاجر الدمشقي عمّره لما كان مجاوراً بمكة في سنة عشرين وسبعمائة بما زيد على عشرين ألف درهم ، وأصلح فيه بعد

---

(١) بويع بالخلافة سنة ٢٥٦ ومات سنة ٢٧٩ هـ .

ذلك مواضع متشعّثة في عصرنا وفيما قبله ، وقد كثر تشعّثه في عصرنا ، وزال كثير من ذلك بعمارته في سنة عشرين وثمانمائة ، والذي تطوّع بمصروف هذه العمارة ما عرفته ، والمتولّي لمصروفها الشيخ علي البغداني شيخ رباط موالينا جهة فرحان بمكة ، ولكن ضيق بابه الكبير الذي يلي الطريق العظمى إلى عرفة ومكة ، ولو لم يضيّقه كان أحسن للحاجة إلى سعته في أيام الحج[1] .

ومن ذلك المسجد الذي اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد حجّها في حجّة الوداع . وهذا المسجد بالتنعيم[2] ، واختُلف فيه . فقيل : هو المسجد الذي يقال له مسجد الهليلجة لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب . وهو المتعارَف عند أهل مكة على ما ذكر سليمان بن خليل ، وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيّد ذلك ، والله أعلم .

وقيل : المسجد الذي بقربه بير ، وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذي يقال له مسجد علي ، بطريق وادي مَرّ الظّهران ، وفي هذا أيضاً حجارة مكتوب فيها ما يشهد بذلك[3] . والخلاف في ذلك من قديم ذكره الفاكهي وغيره . ورجّح المحبّ الطبري أنّ المسجد الذي بقربه البئر ، وهو الذي يقتضيه كلام إسحاق الخزاعي[4] ، والله أعلم . وعمّره على ما ذكر إسحاق الخزاعي : عبدالله بن محمد بن داود بن عيسى العباسي أمير مكة . ثم العجوز والدة المقتدر العباسي على ما ذكره الخزاعي . ثم زوج الملك المنصور صاحب اليمن ، وتاريخ عمارتها في سنة خمس وأربعين وستمائة . أو في سنة أربعٍ وأربعين وستمائة على ما ذكر المحبّ الطبري في تاريخ عمارتها .

---

(١) وعمّره الملك الأشرف عام ٨٧٤ هـ ، والسلطان محمد قزلار الأغا عام ١٠٧٢ هـ ، وسليمان أغا عام ١٩٠٢ م . من قبل الخليفة محمد خان ، وجُدّدت عمارته في عهد الملك عبد العزيز آل سعود .

(٢) ويعرف بمسجد التنعيم ، والتنعيم حدّ الحرم من جهة المدينة .

(٣) في النسخة (ك) لذلك .

(٤) في النسخة (ك) : وغيره .

وممن عمّر مسجد الهليلجة أبو النصر الأستراباذي عنه وعن أخيه في سنة ستٍّ وستين وأربعمائة . ثم الملك المسعودي صاحب اليمن ومكة في سنة تسع عشرة وستمائة ، وتاريخ عمارته وعمارة أبي النصر في حجرين مكتوب فيهما ذلك بالمسجد المذكور[1] .

وقد حرّرنا ذرع هذين المسجدين فكان طول المسجد المعروف بمسجد الهليلجة من وسط المحراب إلى الجدر الذي في آخر رحبته خمسة وعشرين ذراعاً ، وطوله خارجاً عن الرحبة أحد عشر ذراعاً ، وعرضه ثلاثة وعشرون ذراعاً وربع ذراع ، وبين هذا المسجد وبين أول الأعلام التي في الأرض لا التي في الجبل بالتنعيم سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعاً . كل ذلك حُرّر بذراع الحديد .

وكان طول المسجد الآخر المنسوب إلى عائشة الذي يلي مسجد الهليلجة المشار إليه من المحراب إلى جدر الرحبة المقابل له أربعة وعشرين ذراعاً وثُلثي ذراع . وعرض الموضع المعبَّر منه من الجدار الذي فيه المحراب إلى طرف العقد مما يلي الرحبة عشرة أذرع وثلثا ذراع . وطول المعبر منه ثلاثة وعشرون ذراعاً وثلاثة أرباع الذراع بالذراع الحديد أيضاً . وذرع ما بين المسجدين المشار إليهما ثمانمائة ذراع ، واثنان وسبعون ذراعاً بالذراع المذكور .

ومنها مسجد يقال له : مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادي مَرّ الظهران يقال : إنه من المساجد التي صلّى فيها النبيّ ﷺ ، بين مكة والمدينة ، ذكره شيخنا القاضي زين الدين بن حسين المراغي المدني في تاريخه للمدينة المنورة في المساجد التي نقل أنّ النبيّ ﷺ ، صلّى فيها بين مكة والمدينة . ونصّ كلامه : ومسجد في المسيل الذي بوادي مَرّ الظّهران حين يهبط من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، ومَرّ الظهران هو بطن مَرّ ، المعروف الآن بمسجد الفتح ، انتهى .

---

(١) وعمّره السلطان محمود عام ١٠١١ هـ ، ومحمود بك والي جدّة عام ١٠١٢ هـ ، وأصلح بئراً بجواره الوزير سنان بك عام ٩٧٨ هـ ، وجُدّدت عمارة المسجد في عهد الملك عبد العزيز آل سعود .

Marfat.com

وممن عمّر هذا المسجد على ما بلغني الشريف أبو نمي صاحب مكة . وبلغني أنه سبق عمه الشريف إدريس بن قتادة إلى عمارته لما بلغه أنّ عمه يريد أن يعمّره . وممن عمّره بعد ذلك الشريف وهاس[1] بن راجح الحسني ، وبيّضه في عصرنا من نحو ثمان سنين صاحب مكة : الشريف حسن بن عجلان ، بياضه الذي هو به الآن ، ورفع أبوابه لصونه عن الغنم وشبهها ، أثابهم الله تعالى . . . فهذه الأماكن المباركة بمكة وحرمها وقربه المعروفة الآن بالمساجد . وقد ذكر الأزرقي مساجد أُخَر لا يُعرف موضعها الآن . وذكرنا كلامه في أصل هذا الكتاب .

ذكر المواضع المباركة بمكة المشرَّفة المعروفة بالمواليد

هذه المواضع هي مساجد وإنّما هي معروفة عند الناس بالمواليد ، ولذلك أفردناها عن المساجد بالذكر ، فمنها المولد الذي يقال له : مولد النبيّ ﷺ بالموضع الذي يقال له سوق الليل ، وهو مشهور عند أهل مكة .

وذكر الأزرقي أنّ عقيل بن أبي طالب أخذه لما هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة ، ولم يزل بيده ويد أولاده[2] حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف أخي الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فأدخله في داره التي يقال لها دار البيضاء . ولم يزل هذا البيت في هذه الدار حتى حجّت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون ، فجعلته مسجداً يصلَّى فيه ، وأخرجته من الدار وشرعته إلى الزقاق الذي في أصل تلك الدار ، انتهى[3] .

وذكر السهيلي ما يستغرب في تعيين الموضع الذي وُلد فيه النبيّ ﷺ وفيمن بناه ، لأنه قال : ووُلد بالشِّعب[4] ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بيد

---

(١) في النسخة (ك) : حناس .
(٢) في النسخة (ك) : ولده . وكذا في أخبار مكة .
(٣) أخبار مكة ٢/١٩٨ .
(٤) في النسخة (ك) : في الشعب .

محمد بن يوسف أخي الحجّاج . ثم بنتها زُبيدة مسجداً حين حجّت[1] ، انتهى .

وذكر الحافظ علاء الدين مغلطاي في سيرته ما يُستغرب أيضاً في تعيين الموضع الذي وُلد فيه النبيّ ﷺ ، لأنه قال فيما أُنبئت به عنه : وُلد بمكة ، ثم قال : في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجّاج بن يوسف . ويقال : بالشِّعب . ويقال : بالردْم . ويقال : بُعُسَفَان ، انتهى .

والمُستغْرَب من ذلك ما قيل من أنّ النبيّ ﷺ وُلد بالردْم ، وقيل بعُسَفَان . والقول بأنه وُلد بالردم رواه أبو حفص بن شاهين في « الناسخ والمنسوخ » لأنه قال : حدّثنا أحمد بن عيسى بن السكن ، حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا يعلى بن الأشدق ، عن عبدالله بن جراد ، قال : وُلد رسول الله ﷺ بالردْم ، وخُتن بالردم ، واستبعث من الردم ، وحُمل من الردم .

قال البكري : ردم بني جُمَح بمكة ، كانت فيه حرب بينهم وبين بني محارب بن فهر ، فقتلت بنو محارب من بني جمح أشدّ القتل . فسُمّي ذلك الموضع بما رُدِم عليه من القتلى ، انتهى .

ذكر شيء مما ورد في بركة الموضع الذي وُلد فيه النبيّ

روى الأزرقي بسنده[2] عن بعض من كان يسكن هذا الموضع قبل أن تخرجه الخيزران من الدار البيضاء أنهم قالوا : لا والله ما أصابنا فيه جائحة ولا حاجة ، فأُخرجنا منه فاشتدّ الزمان علينا[3] ، انتهى .

ذكر صفة هذا المكان

أما صفته التي أدركناه عليها ، فإنه بيت مربع وفيه أسطوانة عليها عقدان ،

---

(١) الروض الأنف ١/١٨٤ .
(٢) في النسخة (ك) : مسنده .
(٣) أخبار مكة ٢/١٩٩ .

Marfat.com

وفي ركنه الغربي مما يلي الجنوب زاوية كبيرة قبالة بابه الذي يلي الجبل ، وله باب آخر في جانبه الشرقي أيضاً ، وفيه عشرة شبابيك ، أربعة في حائطه الشرقي ، وهو الذي فيه باباه المتقدّم ذكرهما ، وفي حائطه الشمالي ثلاثة ، وفي الغربي واحد . وفي الزاوية اثنان ، واحد في جانبها الشمالي وواحد في جانبها اليماني ، وفيه محراب . وبقرب المحراب حُفْرة عليها درابزين من خشب ، وذرْع تربيع الحُفْرة من كل ناحية ذراع وسُدس ، الجميع بذراع الحديد المتقدّم ذكره ، وفي وسط الحُفرة رخامة خضراء ، وكانت هذه الرخامة مطوَّقة بالفضّة على ما ذكره ابن جبير ، وذكر أنّ سعتها مع الفضّة ثلثا شبر[1] انتهى .

وهذا الموضع جُعل علامة للموضع الذي وُلد فيه النبيّ ﷺ من هذا المكان ، وذرْع هذا المكان طولاً أربعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع . وذلك من الجدار الشمالي إلى الجدار المقابل له ، وهو الجنوبي الذي يلي الجبل ، وذرْعه عرضاً أحد عشر ذراعاً وثمن ذراع . وذلك من الشرقي الذي فيه بابه إلى جداره الغربي المقابل له ، وطولاً الزاوية المشار إليها ثلاثة عشر ذراعاً ونصف ذراع وعرضها ثمانية ونصف ، الجميع بذراع الحديد . وكان تحزير ذلك بحضوري ، ولم يذكر الأزرقي صفة هذا المكان ولا ذرْعه ، وقد خفي علينا كثيراً من خبر عمارته . والذي علمته من ذلك أنّ الناصر العباسي عمّره في سنة ستٍّ وسبعين وخمسمائة . ثم الملك المظفَّر صاحب اليمن في سنة ستٍّ وستين وستمائة ، ثم حفيده المجاهد في سنة أربعين وسبعمائة ، وفي سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة من قِبَل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر[2] ، وفي دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بإشارة مدير دولته يلبغا[3] الخاصكي سنة ستٍّ وستين وسبعمائة ،

---

(١) كذا في الأصل ، ولكن الذي عند ابن جبير - ص ١٤١ : « فتكون سعتها مع الفضّة المتّصلة بها شبراً » .

(٢) توفي سنة ٧٥٨ هـ ، (الدرر الكامنة ٢/١٩٦ و ١٩٧ رقم ١٩٥٠) .

(٣) هو يلبغا بن عبدالله الخاصكي الناصري الأمير الكبير المشهور . قتل سنة ٧٦٨ هـ . قال ابن حجر : كانت ليلبغا صدقات كثيرة على طلبة العلم ومعروف كثير في بلاد الحجاز . (الدرر الكامنة ٤/٤٣٨ - ٤٤٠ رقم ١٢١٨) .

Marfat.com

وفي آخر سنة إحدى وثمانمائة أو في التي بعدها ، من المال الذي أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة . وكانت عمارة هذا المولد بعد موته .

ومنها الموضع الذي يقال له : مولد فاطمة رضي الله عنها بنت النبيّ ﷺ ، وهذا المكان من دار أمها خديجة بنت خُوَيْلِد رضي الله عنها في الزقاق المعروف بزقاق الحِجْر بمكة المشرفة ، ويقال : الدار كلها مولد فاطمة رضي الله عنها ، والموضع الذي يقال إنّ فاطمة رضي الله عنها وُلدت فيه مشهور في هذه الدار ، وطوله خمسة أذرع إلاّ ثُمنا ، وعرضه من وسط جداره ثلاثة أذرع ورُبع وثُمن ، الجميع بذراع الحديد . وفي هذا الموضع موضع صغير على صفة البركة مدوّرة ، وسعة فمها طولاً من داخل البناء المحوط عليه ذراع ، وعرضها كذلك ، وفي وسطها حجر أسود يقال إنه مسقط رأسها ، ولا ريب في كون فاطمة رضي الله عنها وُلدت في هذه الدار ، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرْعه بحضوري .

ومنها الموضع الذي يقال له مولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قريباً من مولد النبيّ ﷺ من أعلاه مما يلي الجبل ، وهو مشهور عند أهل مكة بذلك لا اختلاف بينهم فيه ، ولم يذكره الأزرقي وذكره ابن جبير[1] . وعلى بابه مكتوب : هذا مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وفيه رُبّي رسول الله ﷺ . أمر بعمله سيدنا ومولانا الإمام أبو العباس أحمد بن الناصر لدين الله أمير المؤمنين في سنة ثمانٍ وستمائة[2] .

ذكر صفة هذا المكان وذرعه

هذا المكان رواقان بينهما عقدان كالبابين ، طول الرواق المقدَّم من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل له الذي يلي الجبل أربعة وعشرون ذراعاً

---

(١) الرحلة ـ ص ١٤١ .
(٢) راجع النص عند ابن جبير .

ونصف[1] وثُمن ذراع ، وطول الرواق المؤخّر خمسة وعشرون ذراعاً ونصف ، وعرض الرواقين جميعاً خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع ، وفي الرواق المقدّم ثلاثة محاريب . وفي طرف الرواق المؤخّر درجة يصعد منه إلى أعلا[2] هذا الموضع ، وهي الآن متخرّبة ، وفي طرف هذا الرواق مما يلي الشرق خوخة صغيرة يدخل منها إلى هذا المكان ، وفي طرف الرواق المقدّم باب هذا المكان .

وفي هذا المكان من العقود سبعة عقود . غير العقدين اللّذَين بين الرواقين ، منها في الرواق المقدّم ثلاثة ، وفي المؤخّر أربعة ، وفي طرف الرواق المقدّم مما يلي الجبل حفرة صغيرة كالبركة ، يقال إنها الموضع الذي وُلد فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وطولها نصف ذراع ، وكذلك عرضها ، والذراع المشار إليه هو ذراع الحديد ، وكان تحرير ذرْع ذلك بحضوري .

ومنها الموضع الذي يقال له مولد حمزة بن عبد المطّلب عمّ النبيّ ﷺ ورضي عنه ، بأسفل مكة ، بقرب باب الماجن ، وعنده عين مكة المعروفة ببازان[3] ، ولم أر شيئاً يدلّ لصحة ذلك ، بل في صحّته نظر ، لأنّ هذا الموضع ليس محلاً لبني هاشم ، والله أعلم . وطول هذا الموضع خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع ، وعرضه سبعة أذرع وربع ذراع وثُمن ذراع ، وذلك من الجدر الذي فيه بابه إلى الجدر المقابل له وهو القبلي ، وبابه إلى جهة باب الماجن ، وهذا المكان الآن خراب جدّاً ، ولا سقف له ، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرعه بحضوري ، والذراع المحرّر به هو ذراع الحديد .

ومنها الموضع الذي يقال له مولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجبل الذي تسمّيه أهل مكة النوبي[4] وهو جبل مشهور بأسفل مكة ، ولا أعلم في ذلك

---

(١) لم تكتب في النسخة (ك) .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) ما زال هذا المكان معروفاً بمسجد سيدنا حمزة وهو بقرب بازان المسفلة المسمى ببازان السبعة آبار .

(٤) اسم الجبل اليوم : جبل عمر .

Marfat.com

شيئاً يُستأنس به ، إلاّ أنّ جدّي لأمّي القاضي أبو الفضل[1] النويري كان يزور هذا الموضع في جمع من أصحابه في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة في الغالب ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

ومنها الموضع الذي يقال له مولد جعفر الصادق بالدار المعروفة بدار أبي سعيد ، بقرب دار العجلة ، لأنّ على بابه حجراً مكتوباً فيه : هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبيّ ﷺ . وفيه أنّ بعض المجاورين أمر بعمارته في صفر سنة ثلاثٍ وعشرين وستمائة انتهى . ويقال لهذا الموضع مولد جعفر بن أبي طالب المعروف بالطيّار ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وطول هذا الموضع من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدر المقابل له وهو القِبلي ستة عشر ذراعاً وثُلث ذراع ، وعرضه سبعة أذرع إلا ربع ذراع ، الجميع بذراع الحديد ، وكان تحرير ذلك بحضوري .

ذكر الدور المباركة بمكة المشرفة

بمكة دور مباركة معروفة عند الناس وغالبها مساجد ، ولكنها مشهورة عند الناس بالدور ، ولذلك أفردناها بالذكر عن المساجد : منها دار خديجة بنت خُوَيْلد أمّ المؤمنين رضي الله عنها بالزقاق المعروف بزقاق الحِجْر بمكة ، ويقال له أيضاً زقاق العطّارين على ما ذكره الأزرقي[2] ، وتعرف[3] هذه الدار بمولد فاطمة رضي الله عنها ، لكونها وُلدت فيه هي وإخوتها أولاد خديجة من النبيّ ﷺ على ما ذكره الأزرقي ، وذكر أنّ النبيّ ﷺ بني بخديجة فيها ، وأنها تُوُفّيت فيها ، ولم يزل النبيّ ﷺ ساكناً فيها حتى هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب ، ثم اشتراها من معاوية بن أبي سفيان وهو خليفة ، فجعلها مسجداً يصلّى فيه[4] .

انتهى المعنى باختصار .

---

(١) في النسخة (ك) : أبا ، وهو الصحيح .
(٢) أخبار مكة ٢/٧٨ .
(٣) في النسخة (ك) : ويعرف .
(٤) أخبار مكة ٢/١٩٩ .

Marfat.com

وذكر في موضع آخر أنّ معتب بن أبي لهب أخذ بيت خديجة بنت خويلد ، فباعه من معاوية بمائة ألف درهم[1] انتهى . وهذا يخالف ما ذكره من أنّ عقيلاً أخذ بيت خديجة ، والله أعلم بالصواب .

وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأنّ فيها رواقاً فيه سبعة عقود على ثمانية أساطين ، في وسط جداره القبليّ ثلاثة محاريب ، وفيه ستّ وعشرون سلسلة في صفَّين ، وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات ، وبين هذين الرواقين صحن ، والرواق الثاني أخصر من الرواق المتقدّم ، لأنّ بقربه بعض المواضع التي يقصدها الناس بالزيارة في هذا الدار ، وهي ثلاثة مواضع :

الأول : الموضع الذي يقال له مولد فاطمة رضي الله عنها .

والثاني : الموضع الذي يقال له قبة الوحي ، وهو ملاصق لمولد فاطمة .

والثالث : الموضع الذي يقال له المختبى ، وهو ملاصق لقبة الوحي ، زعموا أنّ النبيّ ﷺ كان يختبيء فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون[2] ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وذرْع الموضع الذي يقال له المختبى أربعة أذرع وثلث ذراع ، وذلك من الجدار الذي فيه المحراب إلى الجدار المقابل له ، وهو طرف جدار قبة الوحي الغربي ، هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً ثلاثة أذرع وثلثا ذراع ، وذلك من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل له ، وذرع الموضع الذي يقال له قبة الوحي من الجدار الذي فيه بابه إلى الجدار المقابل له ثمانية أذرع وثلثا ذراع هذا ذرعه طولاً . وأما ذرعه عرضاً فثمانية أذرع ونصف ، بذراع الحديد المقدّم ذكره ، وقدْ تقيّم ذرع الموضع الذي يقال له مولد فاطمة رضي الله عنها من هذه الدار ، وذرع الرواق المقدّم من هذه الدار من وسط جداريه على الاستواء ثمانية وثلاثون ذراعاً ، هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً سبعة أذرع وربع ، وذرع ما

---

(١) أخبار مكة ٢/٢٤٦ .

(٢) أنظر عنه : رحلة ابن جبير ـ ص ١٤٢ .

Marfat.com

بين كل أسطوانتين منه خمسة أذرع وربع ، وذرع الرواق المؤخّر من هذه الدار من جدار قبة الوحي إلى الجدار المقابل له ثلاثة وعشرون ذراعاً ، هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً عشرة أذرع ، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرع هذه المواضع بذراع الحديد وحُرّر ذلك بحضوري .

وعلى باب هذه الدار مكتوب أنها عُمِّرت في خلافة الناصر العباسي ، وفي زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ، وفي الرواق المقدّم من هذه الدار أنّ المقتدي العباسي أمر بعمله . وعُمّر بعض هذه الدار في أول دولة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق من المال الذي أنفذه أبوه لعمارة المسجد الحرام وغيره ، ولم يعمّر ذلك إلاّ بعد موته في آخر سنة إحدى وثمانمائة أو في التي بعدها .

ومما عُمّر في هذا التاريخ من هذه الدار الموضع المعروف بقبة الوحي بعد سقوطه ، وبلغني أنّ القبة الساقطة كانت من عمارة الملك المظفّر صاحب اليمن ، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير على بابه حجر مكتوب فيه أنّ هذا الموضع مربد مولد فاطمة رضي الله عنها ، وأنّ الناصر العباسي عمّره ، ووقفه على مصالح دار خديجة التي إلى جانبه . انتهى بالمعنى .

وحكى بعض الناس أنه رأى النبيّ ﷺ في المنام يكثر التردّد إلى هذا الموضع . وذكر المحبّ الطبري أنّ دار خديجة أفضل الأماكن بمكة بعد المسجد الحرام ولا شك في ذلك ، والله أعلم .

ومنها على ما يقال دار لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، بهذا الزقاق ، وهي مشهورة فيه ، وعلى بابها حجر مكتوب فيه : هذه الدار دار صاحب رسول الله ﷺ في الغار[1] ورفيقه في الأسفار ـ إلى أن قال الكاتب ـ : أمير المؤمنين أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، أمر بعمارته طلباً لثواب الله تعالى ، الأمير الكبير نور

---

(١) في النسخة « م » : (الغال) .

Marfat.com

الـدين عمـر بن علي بن رسـول المـالكي المسعـودي في نعمـة السلطان الملك المسعـودي ، وذكر الكـاتب ألقابـه وألقاب أبيـه ثم قال : وذلـك من المحرّم سنـة ثلاثٍ وعشرين وستمائة انتهى . والآمر بهذه العمارة هو الـذي بنى المسجد الـذي فيها ، والله أعلم .

ولم يذكر الأزرقي هذه الدار للصدّيق رضي الله عنه ، وذكـرها ابن جبيـر في مشاهد مكة ، لأنه قال لما ذكر مشاهـدها : ومن مشـاهدهـا الكريمـة دار لأبي بكر الصـديق رضي الله عنه ، وهي اليـوم (دارسة الأثـر)[1] ويقابلهـا جدار فيـه حجر مبـارك يتبـرّك النـاس بلمسـه ، يقـال إنـه كـان يسلّم على النبي ﷺ متى[2] اجتـاز عليه[3] . انتهى ، وذكر الخطيب الإمام أبـو عبد الله محمـد بن عمر بن محمـد بن عمر بن رُشيد ، بضم الراء المهملة ، الفهْري في رحلته شيئاً من خبر هذه الدار ، وهـذا الحجـر ، لأنـه ذكـر أنّ ممن لقي بمكـة المشـرفـة فقيهَيْ الحـرم : الـرّضـا محمـد بن أبي بكر بن خليـل وأخاه العلم أحمـد ، ثم قال : فلمـا زرناهـاما جُـزْنا بالطريق طريق دارهما[4] بحجر يتبرّك الناس بالتمسّح به ، فسألت علم الدين عنه فقال : أخبرني عمّي سليمان قال : أخبرني كلّ من لقيت بمكة أنّ هذا الحجـر هو الذي كلّم النبيّ ﷺ . وهذا الحجر الذي مررنا به هو الـذي بجهة بـاب النبيّ ﷺ أمام دار أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، بارزاً هنالك عن الحائط قليلاً انتهى .

وهذا الحجر إن صحّ كلامـه للنبيّ ﷺ فلعلّه الحجر الـذي عناه النبيّ ﷺ في قـولـه : « إنّي لأعـرف حجـراً بمكـة كـان يسلّم عليَّ ليـالي بُعِثْتُ »[5] انتهى ، بالمعنى . وقد اختُلف في هذا الحجر فقيـل : هو الحجـر الأسود ، وقيـل : حجر غيره بمكة لعلّه هذا ، والله أعلم .

---

(١) في المطبوع من شفاء الغرام ١/ ٢٧٤ «دار سكة الأمير» وهو تصحيف .
(٢) في المطبوع « حتى » وهو تحريف .
(٣) انظر رحلة ابن جبير ـ ص ٩٢ .
(٤) في المطبوع « دراهما » وهو غلط .
(٥) أخـرجه مسلم رقم ٢٢٧٧ في كتـاب الفضائـل باب فضـل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبـل النبوة .

Marfat.com

وطول هذا المسجد الذي في هذه الدار المذكورة ثمانية أذرع ، وعرضه ستة أذرع . وذلك من جدار المحراب إلى باب المسجد ، وكان تحرير ذرع ذلك بذراع الحديد ، وحُرّر بحضوري .

ومنها دار الأرقم المخزومي ، وهي الدار المعروفة بدار الخيزران عند الصفا ، والمقصود بالزيارة منها هو المسجد الذي فيها ، وهو مشهور ، وهو من المساجد التي ذكرها الأزرقي ، وذكر أنّ النبيّ ﷺ كان مختبئاً فيه ، وفيه أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] انتهى . ولعلّ هذا الموضع أفضل الأماكن بمكة بعد دار خديجة بنت خويلد ، لكثرة مكْث النبيّ ﷺ فيه يدعو الناس للإسلام مستخفياً ، وإقامته ﷺ بهذا الموضع دون إقامته بدار خديجة ، ولذلك كانت أفضل من هذا الموضع ، والله اعلم .

وطول هذا المسجد ثمانية أذرع إلّا قيراطين ، وعرضه سبعة أذرع وثلث ، الجميع بذراع الحديد . حُرّر ذلك بحضوري ، وفيه مكتوب : « في بيوتٍ أذِنَ الله أن تُرفعَ ويُذْكَرَ فيها اسمُهُ يسبِّح له فيها بالغُدُوِّ والآصال » هذا مختبأ رسول الله ﷺ دار الخيزران ، وفيه مبتدأ الإسلام ، أمرت بتجديده الفقيرة إلى الله تعالى مولاة أمير الملك مفلح سنة ستّ ، وذهب بقية التاريخ . وعمّره أيضاً الوزير الجواد ، وعمّرته مجاورة يقال لها مرة العصماء ، وعُمّر أيضاً في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، والذي أمر بهذه العمارة لا أعرفه ، والمتولّي لصرف النفقة فيها علاء الدين علي بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد .

ومن الدور المباركة بمكة دار العباس بن عبد المطلّب رضي الله عنه بالمسعى ، وفيها العلم الأخضر ، وهي الآن رباط للفقراء . ومنها : الرباط المعروف برباط الموفق بأسفل مكة الوليّ المشهور يقول : ما وضعت يدي في حلقة باب الرباط . ـ قال جدّي : يريد رباط الموفّق ـ إلّا وقع في نفسي كم وليّ لله وضع يده في هذه الحلقة انتهى .

---

(١) أخبار مكة ٢/ ٢٠٠ .

Marfat.com

وبلغني أنّ الشيخ خليلاً المالكي كان يقول : إنّ الدعاء يُستجاب فيه أو عند بابه ، وأنه كان يكثر إتيانه للدعاء ، والله اعلم .

ومنها الموضع الذي يقال له : معبد الجُنَيْد بلحف الجبل الذي يقال له الأحمر ، أحد أخشبي مكة ، ويقال له الآن قعيقعان ، ويسميّه أهل مكة أيضاً جبل أبي الحارث ، والله أعلم . وهو مشهور بمكة المشرفة .

ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها

بمكة وحرمها جبال مباركة :

منها الجبل المعروف بجبل أبي قبيس لأنّ فيه قبر آدم عليه السلام على ما يقال ، لأنّ صاحب « المورد العذب الهني[1] » قال، وهب ، يعني ابن منبّه : حفر له يعني آدم : في موضع في أبي قبيس في غار يقال له غار الكنز ، فاستخرجه نوح وجعله في نابوت معه في السفينة ، فلما نضب الماء ردّه نوح إلى مكانه ، انتهى ، وهذا الغار لا يعرف الآن ، وقد اخُتلف في موضع قبر آدم على أربعة أقوال :

الأول : أنه كان بأبي قبيس ، كما قال وهب .

والثاني : أنه بمسجد الخَيْف ، كما قال عروة بن الزبير فيما روى عنه الفاكهي بسنده ، وقد تقدّم لنا ذلك في أخبار مسجد الخيف ، وفيه أنه دُفن به بعد أن صلّى عليه جبريل بباب الكعبة .

والقول الثالث : عند مسجد الخيف ، حكى هذا القول الذهبي في تأليفٍ له ترجم فيه[2] تاريخ مدّة آدم وبنيه ، رأيته بخطّ الذهبي قال فيه بعد أن ذكر قول وهب السابق في قبر آدم بالمعنى : وقيل دفنه سام بن نوح عند مسجد الخيف ،

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/٢٧٥ : «البهي» وهو تصحيف .
(٢) بالأصل ترجمة له .

ولم يحك هذا القول[1] وهب إلاّ بصيغة التمريض[2] .

والقول الرابع : أنه ببلاد الهند في الموضع الذي أُهبط اليه من الجنة ، وصحّح هذا القول الحافظ عماد الدين بن كثير في تفسيره ، والله أعلم .

ووقع في تاريخ الإمام الأزرقي ما لَعلّه يوهم أن قبر آدم عليه السلام كان في بيت المقدس ، وأخبرني مقاتل قال : ويعقوب ويوسف في بيت المقدس[3] انتهى .

وفي أبي قبيس على ما يقال قبر شيث بن آدم وأمه حواء ، لأنّ الذهبي قال في الجزء الذي ألّفه في تاريخ مدّة آدم وبنيه ما نصّه : وخَلَفَهُ بعده شيث ابنه ، وأُنزِلت عليه خمسون صحيفة ، وعاش تسعمائة سنة ، ودُفن مع أبويه في غار أبي قبيس انتهى ، ومن خطّ الذهبي نقلت ذلك ، والله أعلم .

وفي أعلا[4] جبل أبي قبيس موضع يقول الناس فيه انشقّ القمر للنبيّ ﷺ ، ولم أر ما يدلّ لصحّة هذه المقالة ، بل رأيت ما يدلّ على أنّ الانشقاق وقع في هذا الجبل في غير هذا الموضع الذي يقوله الناس . لأنّ أبا نُعَيْم روى بسنده إلى عطاء عن ابن عباس أنّ ذلك كان ـ انشقاق القمر ـ ليلة أربع عشرة ، فانشقّ القمر نصفين ، نصفاً على الصفا ونصفاً على المَرْوَة انتهى ، والصفا من جبل أبي قبيس لى ما قال العلماء ، وهو بأسفله ، ويُرْوَى من حديث ابن مسعود ما يقتضي أنّ القمر انشقّ على أبي قبيس من غير بيان موضعه ، وهذا في كتاب الفاكهي ، لأنه روى بسنده إلى ابن جُرَيْج عن مجاهد شيئاً في انشقاق القمر ، ثم عقب ذلك بقوله قال : أخبرني أبو معمر عن عبد الله بن مسعود قال : رأيت القمر ينشقّ شقّين قبل مخرج النبيّ ﷺ بمكة ، شقّة على أبي قبيس ، وشقّة على كُدىً

---

(١) هذا القول : من زيادة النسخة (م) .

(٢) في النسخة (ك) : التمرين .

(٣) أخبار مكة ١/٧٣ .

(٤) كذا في الأصل .

Marfat.com

وكَدَاء[1] انتهى باختصار . وما عـرفت المراد بكُـدًى وكَدا : هـل الثنيّة السفلى[2] لأبي قبيس ، أو مكان آخر ، ويتـأكّد كـون الثنيّة السفلى بـأنّ القطب الحلبي ذكـر شيئاً في انشقاق القمـر ، قال : كـان يرى نصفـه على قُعَيْقِعان[3] ، ونصفـه الآخر على أبي قبيس انتهى . وقُعَيْقِعان عنده الثنيّـة السفلى ، وهي على مقتضى ما ذكـر المحبّ الطبري الثنيّة التي بُني عليها بـاب مكة المعـروف بباب الشبيكـة ، ولعلّها من قُعَيْقِعان والله أعلم . وقوله نصفاً على الصفا في الخبر الـذي ذكره أبـو نُعَيْم لا يعـارض قول ابن مسعـود : شقّة على أبي قبيس ، لِمـا سبق من قـول العلمـاء إنّ الصفاء من أبي قبيس ، وقوله ونصفاً على المروة لا يوافق كون المراد بكُدًى وكَدَاء في حديث مسعود الثنيّة السفلى ، وما ذكرناه عن القطب الحلبي مذكـور في كتابـه « المورد العذب الهنيّ في شـرح سيرة عبـد الغني المقدسي » وعليـه اعتمدت في نقل الحديث الذي نقلناه عن أبي نُعَيْم ، لأنه في كتابه المذكـور ، وقال بعـد ذِكْره له : فعلى هذا يكون الانشقاق بنفس بلد مكة انتهى .

ويـدلّ على وقوع الانشقـاق بمكة الحـديث الذي رويناه في مُسْنَد عبـدُ بن حُمَيْد ، ولفظه : أخبـرنا عبـد الرزاق عن معمـر عن قتادة عن أنس رضى الله عنـه قال : سأل أهـل مكة النبيّ ﷺ آيـة فانشقّ القمـر بمكة مـرتين ، فنزلت « اقتـربت الساعةُ وانشقّ القمر » إلى قوله « سِحْر مستمرّ » يقول ذاهب : أخرجه الترمذي عن عبـد بن حُمَيْد ، فـوقع لنـا موافقـة له عـالية بـدرجتين بالنسبـة إلى روايتنا المتّصلة بالسماع ، وفي بعض طرق حديث أنس رضي الله عنه ، سأل أهـل مكة النبيّ ﷺ أن يُرِيَهُم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما .

وذكـر القاضي عيـاض في « الشفا »[4] : أنّ مسروقاً روى عن ابن مسعـود أنّ

---

(١) كُدى : بضم الكاف وتنوين الدال ، بأسفل مكة عند ذي طُوىً ، وكداء : بالفتح والمدّ . بأعلى مكـة عند المحصّب من ذي طُوًى . (معجم البلدان ٤/٤٣٩) .

(٢) في النسخة «ك» : لمقابلتها لأبي قبيس .

(٣) قُعَيْقِعـان : بـالضم ثم الفتـح ، بلفظ تصغيـر ، وهـو اسم جبـل بمكـة . انـظر عنـه معجم البلدان ٤/٣٧٩ .

(٤) ج ١/٢٨١ طبعة بيروت .

(٤) ج ١/٢٨١ طبعة بيروت .

Marfat.com

الانشقاق كان بمكة ، وروى ذلك أبو يعلى في مسنده من حـديث ابن مسعود على ما نقل بعض مشايخنا ، وروينا من حديث ابن مسعود أيضاً ما يقتضي أنّ الانشقاق كـان بمنى ، لأنّ مسلماً قـال في صحيحه : وحـدّثنا منجـاب بن الحـرب التميمي واللفظ لـه ، أخبـرنـا ابن مسهـر عن الأعمش بن إبـراهيم عن أبي معمـر عن عبـد الله بن مسعـود قـال : بينمـا نحن مـع رسـول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمـر فلقتين ، فكـانت فلقـة وراء الجبـل وفلقـة دونـه ، فقـال لنـا رسـول الله ﷺ : اشهدوا[1] . ولا تَعَارُض بين رواية من روى أنّ الانشقاق كـان بمكة ، وبين روايـة من روى أنـه كان بمنى ، لأنّ سبب الانشقـاق أنّ بعض المشركين سـأل النبّي ﷺ بمنى أن يُرِيَهُم آية فأراهم انشقاق القمر ، وأظهره الله تعـالى هكذا ليـراه مَن بمكة وحـولها تصـديقاً لنبيّـه ﷺ ، من المعجزة التي طلبت منـه ، فإنّ بعض المشـركين تـردّد في ذلـك وعـدّ ذلـك سحـراً ، وأحـال بعضهم الأمـر في صحّـة ذلـك على السُّفّار ، فأخبر السُّفّار عند قومهم[2] برؤيتهم القمر منشقاً ، حتى إنه رُؤي هكـذا في آفاق مكة على ما ذكره القطب الحلبي .

ونقل القاضي عياض عن السمرقندي عن الضحّاك أنّ أبـا جهل بن هشـام ، هو القائل : هذا سحر ، وأنه قال : فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا ؟ فـأخبر أهـل الآفاق أنهم رأوه منشقـاً فقال لَعِين الكفـار : هذا سِحْـر مستمّر . انتهى ، وروينـا معنى ذلك في مسنـد أبي داود الطيـالسي لأنّ فيه من حـديث ابن مسعود : وانشقّ القمر على عهـد رسول الله ﷺ ، فقـالت قريش : هـذا سِحْر ابن أبي كبشة ، قال : فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإنّ محمداً لا يستطيـع أن يسحر الناس كلهم ، فجاء السُّفّار فقالوا ذلك ، انتهى .

وانشقاق القمر للنبيّ ﷺ من معجزاته الباهرة المتـواترة لثبـوتها بنصّ القـرآن

---

(١) مسلم رقم ٢٨٠٠ (٤٤) باب انشقاق القمر .
(٢) كذا بالأصل ، ولعلّه : عند قدومهم .

Marfat.com

العظيم ، في قوله : « اقتربت الساعة وانشقّ القمر » ، وثبوتها في السُّنَّة الصحيحة الشريفة من حديث أنس ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، رضي الله عنهم ، وحديثهم في صحيح مسلم[1] . ورُوي من حديث عليّ بن أبي طالب وجُبير بن مطعم وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين ، ولا عبرة باستبعاد كثير من الملحِدة الإنشقاق ؛ فإنّ ذلك شقاوة منهم وإنكار لأمر محسوس متواتر وقوعه في النقل . ولم يُسْتَحَلّ جوازه في العقل .

وفي « الشفا » للقاضي عياض ذكر حجّتهم في ذلك والرّد عليهم بما فيه كفاية ، ونشير هنا لشيء من ذلك ، قال فيما رويناه عنه : ولا يلتفتُ إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض ، إذ هو شيء ظاهر لجميعهم ، إذ لم تنقل الناس لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة ، فلم يروه انشقّ ، ولو نُقل إلينا عمّن لا يجوز غالبهم على الكذب لكثرتهم لما كانت به علينا حجّة ، إذ ليس القمر في حدّ واحد لجميع أهل الأرض ، فيه يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين ، وقد يكون من قوم بضدّ ما هو من مقابلتهم من أقطار الأرض إلى آخر كلامه .

وذكر القطب الحلبي وجهاً في الردّ على من استبعد ذلك فقال : ويحتمل أن يكون خرق العادة في ذلك الوقت لصرف جميع أهل الأرض من الالتفات إليه في تلك الساعة ، ليخصّ أهل مكة بهذه المزية . والآية التي طلبوها انتهى .

وفي فضائل جبل أبي قبيس أنه كان يُدعى الأمين ، لأنّ الحجر الأسود استودع فيه زمن الطوفان ، فلما بنى الخليل عليه السلام البيت نادى أبو قبيس : الركن منّي بمكان كذا وكذا . وجاء به جبريل عليه السلام فوضعه موضعه من الكعبة . ومن فضائله أنّ الدعاء فيه يستجاب ، لأنّ الفاكهي ذكر في خبر وفد عاد للاستسقاء لقومهم بسبب جدب بلادهم ، أنهم نزلوا على بكر بن معاوية سيّد

---

(١) انظرج ٤/٢١٥٨ رقم ٢٨٠٠ (٤٣ ـ ٤٨) .

العماليق يومئذ بمكة ، فأقاموا عنده شهراً يسقيهم الخمر ويطعمهم اللحم وتغنيهم الجرادتان ، فلهوا عما جاءوا له واستحيا بكر من مشافهتهم بذلك ، فعمل شعراً غنّتهم به الجرادتان ، فأقاموا من غفلتهم فنهضوا فلما رآهم بكر بن معاوية قال لهم : اعلوا هذا الجبل ، يعني أبا قبيس ، فإنه لم يَعْلُه خاطىء يعرف الله تعالى منه إلاّ أجابه إلى ما دعاه إليه . وذكر بقية الخبر في دعاء كل من الوفد واستجابة دعائه ، وما ذكرناه منه باللفظ وبعضه بالمعنى ، ومن فضائله أنه أول جبل وضعه الله تعالى في الأرض على ما روينا عن ابن عباس .

وسمعت بعض علماء العصر يقول : إنه أفضل جبال مكة حتى إنه فضّله على حراء ، وعلّل ذلك بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة ، وفي النفس شيء من تفضيله على حراء لكونه ﷺ كان يكثر إتيانه للعبادة . ويقيم فيه لأجلها شهراً في كل عام ، وفيه أكرمه الله بالرسالة ، ولم يتّفق له ﷺ مثل ذلك في جبل سواه ، وذلك مما يقتضي امتيازه بالفضل ، ويؤيّد ذلك أنّ المحبّ الطبري قال في دار خديجة بنت خويلد بمكة إنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد الحرام ، وليس لتفضيل دار خديجة على غيرها من دور الصحابة بمكة موجب سوى طولُ سُكْنَى النبيّ ﷺ ونزول الوحي عليه فيها ، ولو كانت الأفضلية تحصل بالقرب من الكعبة من غير نظر إلى شيء من المعاني التي ذكرناها في تفضيل حراء ودار خديجة ، لَفضِّل على جبل حراء كل جبل كان أقرب منه إلى الكعبة ، ولَفُضِّل على دار خديجة ما هو أقرب منها إلى الكعبة ، كدار العباس رضي الله عنه بالمسعى ، ودار الأرقم المخزومي بالصفا المعروفة بدار الخيزران ، وأستبعد أن يقال ذلك ، والله أعلم .

ومن خواصّ جبل أبي قبيس ما ذكره أبو عبد الله محمد بن محمد القزويني في كتابه « عجائب المخلوقات » ، لأنه قال : جبل أبي قبيس مطلّ على مكة يزعم الناس أنّ من أكل عليه الرأس المشوي يأمن أوجاع الرأس ، وكثير من الناس يفعل ذلك[1] ، انتهى . وهذا عجيب والله أعلم بحقيقة ذلك .

---

(١) عجائب المخلوقات ـ ١٢٦ طبعة كتاب التحرير رقم ١٢٨ .

Marfat.com

ومنهـا جبل الخنـدمـة لِما رُوي فيهـا من الفضل ، لأنّ الفـاكهي قـال بعـد تعريفه للخنـدمة : فحـدّثني أبو بكـر أحمد بن محمـد بن إبراهيم المليكي قـال : حدّثني عبد الله بن عمر بن أسامة الحميدي قال : حدّثنـا أبو صفـوان المرواني عن ابن جُـرَيْج عن عـطاء عن ابن عباس قـال : ما مُـطِرَت مكة قطّ إلاّ كـان الخندمـة أمطرها ، وذلك أنّ فيها قبر سبعين نبياً ، انتهى ، والله أعلم بصحته .

وقال الفاكهي في تعريف جبل الخندمة : الخندمة ما بين حرف السـويد إلى الثنية التي عليها بئر ابن أبي شمير في شِعْب عمر ، ومشرفـة على أجياد الصغيـر ، وعلى شعب ابن عامر ، وعلى دار محمـد بن سليمان في طـريق مِنى ، وهو جبـل في ظهر أبي قبيس ، ومن قافية الخندمـة من ظهرهـا المشرف على دار ابن صيفي المخزومي بين الثنية التي يسلك منها من شِعب ابن عامر إلى شعب آل سفيان دون شعب ابن عامر ، وعلى دار محمد بن سليمان في طـريق مِنى إذا جاوزت المقبـرة عن يمين الذاهب إلى منى ، انتهى .

وذكـر الأزرقي في تعريف الخنـدمة نحـو ما ذكـره الفـاكهي بـاختصـار[1] ، والخندمة الآن معروفة عند الناس بمكة ، وفيها يقول القائل :

* إنـك لـو شهــدت يـوم الخنـدمـة *

الأبيات المشهورة في خبر فتح مكة .

ومنها جبل حراء بأعلى مكة لكثرة مجاورة النبي ﷺ فيه ، ومـا خصه الله بـه فيه من الكرامة بالرسالـة إليه ، ونـزول الوحي فيـه عليه ، وكـان نزول الـوحي على النبي ﷺ في حراء في غار فيه ؛ لأنّ في بعض طرق الحـديث : حتى فجأه الحق وهو في غار حراء ، وهذا الغار بأعلى حـراء ، في مؤخّره ، وهـو غار مشهـور عند الناس نقله الخلف عن السلف ويقصدونه بالزيارة .

وذكر الأزرقي موضع هذا الغار لأنه قال بعد ذكره الحائط : وهو مشرف القلّة

---

(١) أخبار مكة ١/٢٢٢

مقابل لثبير غَيْناء[1]، ومحجّة العراقي بينه وبينه ، وقد كان رسول الله ﷺ أتاه واختبى فيه من المشركين من أهل مكة في غار في رأسه مشرف القلّة مما يلي القبلة ، انتهى .

وذكر الفاكهي خبراً يقتضي أنّ النبيّ ﷺ اختفى بحراء من أذى المشركين ، وهذا غريب وكذلك ما ذكره الأزرقي لأنّ المعروف في الغار الذي اختبى فيه النبيّ ﷺ من المشركين أنه غار ثور لا غار حراء ، فإنه كان يأتيه للعبادة والله أعلم ، وإن صحّ اختفاء النبيّ ﷺ بحراء فهو غير اختفائه بثور والله أعلم .

وذكره أبو عبيد[2] البكري مع شيء من خبره لأنه قال : حِراء مشهور ، بينه وبين مكة ميل ونصف ، وهو جبل صعب المرتقى لا يُصعَد إلى أعلاه إلاّ من موضع واحد على رصفة ملساء ، وهو في جميع جوانبه منقطع لا يرقاه راق ، والموضع الذي نزل جبريل فيه في أعلاه من مؤخّره في شقّ مبارك ، انتهى .

قلت : ما ذكره أبو عبيد[2] من أنّ بين حِراء ومكة ميلاً ونصفاً فيه نظر ، لمخالفته ما نقله صاحب « المطالع » لأنه قال : وهو على ثلاثة أميال من مكة ، وذكر ذلك غيره وهو ابن جبير لأنه قال : ومن جبال مكة المشهورة جبل حراء ، وهو في الشرقي منها على فرسخ أو نحوه[3] ، وذكره في موضع آخر من رحلته أنه في مكة على ثلاثة أميال ، انتهى . قلت : والعيان يشهد بخلاف ذلك مما ذكره البكري في مقدار ما بين حراء ومكة ، ولصحّة ما ذكر ابن جبير وصاحب « المطالع » في مقداره والله أعلم .

وقال ابن عطية : المفسّر في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وما كانَ صلاتهمْ عندَ البيتِ إلا مكاءً وتصديةً ﴾ : ورأيت عن بعض أقوياء العرب أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من حراء وبينهما أربعة أميال ، انتهى . وهذا قول ثالث فيما بين حراء ومكة والله أعلم ، والمكاء : الصفير .

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١ / ٢٨٠ « عينا » ، والتصويب من أخبار مكة ٢ / ٢٧٨

(٢) في المطبوع : « عبيدة » وهو تصحيف .

(٣) رحلة ابن جبير ٩٠ .

وذكر الخطابي أنّ أهل الحديث يخطؤون فيه في ثلاثة مواضع يفتحون حاءه ويكسرون الراء وهما مفتوحان ، ويقصرونه وهو ممدود انتهى . وكانت أهل الجاهلية تعظّمه وتذكره في أشعارها ، فمن ذلك قول أبي طالب عمّ النبيّ ﷺ :

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه ... وراق لبرقى في جراء ونازل

وذكره المسلمون في أشعارهم[1] .

ومنها جبل ثور بأسفل مكة لاختفاء النبي ﷺ وأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فيه حين هاجر إلى المدينة ، وذلك في غار مشهور فيه ، وهو الغار الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ، حيث قال سبحانه : ﴿ ثانيَ اثنينِ إذْ هما في الغار ﴾[2] . وقد جاء في فضله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنّ أبا بكرالصّدّيق قال لابنه : يا بنيّ إن حدث في الناس حدث فأتِ الغار الذي اختبأت فيه ، فإنه سيأتيك رزقك غدوة وعشيّة ، وهذا الحديث رواه البزّار في مسنده ، إلاّ أنّ في سنده موسى بن مطير وهو كذّاب[3] ، ويُروَى أنّ هذا الجبل قال للنبيّ ﷺ : إليّ يا محمد فقد آويت قبلك سبعين نبياً ، وهذا الغار مشهور في هذا الجبل ، يأثره الخلف عن السلف ويقصدونه بالزيارة .

وقد ذكر ابن جبير في رحلته أنّ طول الغار ثمانية عشر شبراً ، وطول فمه الضيّق خمسة أشبار ، وسعته وارتفاعه عن الأرض مقدار شبر في الوسط منه ، ومن جانبيه ثلثا شبر ، وعلى الوسط منه يكون الدخول ، وسعة الباب الثاني المتّسع في مدخله خمسة أشبار ، انتهى . وقد وضع بابه في عصرنا ، لأنّ بعض الناس ولج فيه فانحبس فيه ، فنحّى عنه الحجر حتى اتسع عليه ، وذلك في سنة ثمانمائة أو

---

(١) معجم البلدان ٢/٨٦ وفيه : « وغَيْر وراقٍ ». وانظر شعراً عنه في : معجم ما استعجم ٢/٤٣٢ .

(٢) من الآية الكريمة : ﴿ إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا ﴾ . سورة التوبة ـ الآية ٤٠ .

(٣) أنظر : الجرح والتعديل ٨/١٦٢ رقم ٧١٧ ، التاريخ لابن معين ٢/٥٩٦ رقم ١٦٠٨ ، ميزان الاعتدال ٤/٢٢٣ رقم ٨٩٢٨ ، لسان الميزان ٦/١٣٠ رقم ٤٥١ ، المغني في الضعفاء ٢/٦٨٧ رقم ٦٥٢٩ ،

Marfat.com

قبلها بقليل أو بعدها بقليل ، وذكر ابن جبير أنّ أكثر الناس يتجنّبون دخوله من بـابه الضيّق[1] لِما فيه من المشقّة التي يقاسيها الداخل ، ولِما يقال من أنّ من لا يدخل منه ليس لأبيه ، وذكـر أنّ بعض الناس يقـولون ليس يصعـد جبل أبي ثـور أحد إلاّ شُوي انتهى . قلت : اللهم غفراً .

وذكـر ابن جبير أنـه من مكة على ثـلاثة أميـال ، وهكذا ذكـر ابن الحاجّ في منسكـه ، وسمّاه بـأبي ثور على مـا نقل عنـه المحبّ الـطبـري ، وقـال المحبّ : والمعروف المشهور فيه ثور انتهى ، وسمّاه البكري بـأبي ثور وقـال : إنه من مكـة على ميلين ، ويكون ارتفاعه نحو الميل ، وفي أعلاه الغـار الذي دخله رسـول الله ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه ، وهو المذكور في الكتاب العزيز ، والبحر يُرى من أعلا هذا الجبل ، وفيه من كـل نبات الحجـاز وشجره ، وفيـه شجر اللبـان ، وفيه شجرة من حمل منها شيئاً لم تلدغه هامة انتهى ، وقال في القاموس بعد ذكره لهذا الجبل ما نصّه : « ويقال : له ثور أَطْحَلَ . واسم الجبل أطحـلُ نزلـه ثَوْرُ بنُ عبـد مناف[2] فنُسب إليه »[3] . انتهى وفيه فيما قيل قتل قابيل هابيل ، وهـذا يُرَوَى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ذكر ذلك شيخنا الإمام كمـال الدين الـدميري[4] في تعاليقه ، ونصّ المكتـوب بخطّه : عجيبـة قتل قـابيل هـابيل ، قـال ابن عباس في بعض الروايات : إنه كان في ثور جبل بقرب مكة ، انتهى . أفـادني ذلك عن خطّ شيخنا بعض أصحابنا المعتمدين .

قلت : وثور أيضاً جبل بالمـدينة مـذكور من حـدّ حرمهـا ، كما في صحيـح مسلم من حديث علي رضي الله عنه[5] ، وهو جبل صغير جدّاً ، أُحُدّ عن يساره ، ذكـره العفيف بن مـزروع ، ونقـل ذلـك عن طـوائف من العـرب عـارفين بتلك

---

(١) رحلة ابن جبير ٩٤ .

(٢) في القاموس « مناة » .

(٣) القاموس المحيط ١/٣٨٤. ، معجم ما استعجم ١/٣٤٨.

(٤) هو صاحب كتاب « الحيوان » المشهور ، توفي عام ٨٠٨هـ .

(٥) جاء في الحديث قول النبي ﷺ : « المدينة حرمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ » . صحيح مسلم رقم ١٣٧٠

Marfat.com

المواضع ، وأنكر بعضهم أن يكون ثور بالمدينة[1]. والله أعلم.

ومن الجبال المباركة بحرم مكة جبل ثبير لأنّا روينا في تاريخ الأزرقي قال : حدّثني محمد بن عيسى قال : حدّثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله الأزدي عن معاوية بن قرّة عن الخلد بن أيوب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : لما تجلّى الله عزّ وجلّ للجبل تشظى ، فطارت لطلعته ستة أجبل ، فوقعت بمكة ثلاثة وبالمدينة ثلاثة ، فوقع بمكة : حراء وثبير ، وثور ، ووقع بالمدينة : أُحُد وورقان ورَضْوى[2].

وقال أبو عبد الله محمد به محمد القزويني في كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » : جبل ثبير بمكة يقرب منى ، هو جبل مبارك يقصده الزوّار ، وهو الذي أُهبط عليه الكبش الذي جعله الله فداء لإسماعيل عليه السلام ، والعرب تقول : أشرق ثبير كيما نغير[3] انتهى ، وقوله بمكة ، سبق إليه الجوهري وهو تجوُّز لكونه بقرب مكة ، وقوله بقرب مِنىً ينبئني على قول من قال : إنه جبل بالمزدلفة ، وهو قول مرجوح ، ويؤيّده ما ذكره من أنه أُهبط عليه الكبش الذي فُدِي به إسماعيل ، فلم يختلفوا في أنّ هذا الجبل بمنى ، وهو على يسار الذاهب إلى عرفة ، انتهى والله أعلم .

وقال شيخنا قاضي القضاة مجد الدين الشيرازي في كتابه « الوصل والمنى في فضل مِنى » : إنّ أبا بكر النقّاش المفسّر قال في منسكه : إنَّ الدعاء يستجاب في ثبير ، يعني ثبير الأثبر الذي يلحقه مغارة الفتح ، لأنّ النبيّ ﷺ كان يتعبّد فيه قبل النبّوة وأيام ظهور الدعوة ، ولهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين ، وذكر أنّ بقرب المغارة التي أنشأها يلحق ثبير معتكف عائشة انتهى بالمعنى . ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

ومنها الجبل الذي يلحق مسجد الخيف ؛ لأنّ فيه غاراً يقال له غار

---

(١) معجم ما استعجم ١/ ٣٥٠.
(٢) أخبار مكة ٢/ ٢٨٠ و٢٨١ .
(٣) عجائب المخلوقات ١٢٧ طبعة كتابِ التحرير رقم ١٢٨.

المرسلات ، لأنّ فيه أثر رأس النبيّ ﷺ على ما يقال ، ذكر ابن جبير لأنه قال بعد ذكر مسجد الخَيْف . وبمقربة[1] منه على يمين المارّ في الطريق حجر كبير مسند[2] إلى سفح الجبل مرتفع على الأرض يظلّ ما تحته ، ذُكِر أنّ النبيّ ﷺ قعد تحته مستظلاً ، ومسّ المكرمة فيه ، فلان الحجر حتّى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس ، فتبادر الناس بوضع رءوسهم في هذا الموضع تبرّكاً واستجارة لها بموضع مسّ الرأس الكريم أن لا يمسّه النار برحمة[3] الله عزّ وجلّ انتهى .

وذكره ابن خليل لأنه قال : ويُستحبّ أن يزور مسجد المرسلات ، وفيه نزلت سورة والمرسلات ، وهو يماني مسجد الخَيف . وذكر المحبّ الطبري نحو ذلك ، لأنه قال في كتابه « القرى » في الباب الثلاثين : ما جاء في الغار الذي انزلت فيه سورة « والمرسلات » عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : بينما نحن مع النبيّ ﷺ في غارٍ بمنى إذ نزلت عليه والمرسلاتِ عُرْفاً[4] وإنه ليتلوها ، وإنّي لأتلقّاها من فيه ، وإنّ فاه لرطب بها ، إذ وثبت علينا حيّة ، فقال النبيّ ﷺ : اقتلوها ، فابتدرناها فذهبت ، فقال النبيّ ﷺ : وُقِيَتْ شرّكم كما وُقِيتُم شرّها ، أخرجه البخاري[5] في باب ما يقتل المحرم من الدواب ، وهذا الغار مشهور بمنى خلف مسجد الخيف نحو الجبل مما يلي اليمن ، كذلك يأثره الخلف عن السلف ، والله أعلم . انتهى .

وبلغني عن شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي ما معناه أنه قرأ في هذا الغار سورة « المُرْسَلات » في جماعة من أصحابه ، فخرجت عليهم منه حيّة ، فابتدروها ليقتلوها فهربت ، وهذا من غريب الاتفاق لموافقته القصّة التي اتّفقت

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/٢٨٣ « وبقربه » .

(٢) في المطبوع « مستدير » وهو تصحيف .

(٣) في رحلة ابن جبير ١٣٨ « بقدرة » .

(٤) والمرسلات عُرْفاً : الرياح المرسلة للعذاب متتابعة ، أو الملائكة . وسورة المرسلات هي السورة ٧٧ مكية .

(٥) البخاري ٤/٢٩ في الحج ، باب ما يقتل من الدواب .

Marfat.com

للنبيّ ﷺ كما في « صحيح البخاري » وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

ورأيت في نسختي من مُسْنَد ابن مسعود رضي الله عنه من مُسْنَد ابن حنبل ما يقتضي أنّ هذه القصة اتفقت للنبيّ ﷺ بحِراء ، لأنه قال : حدّثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدّثنا أبي عن ابن إسحاق قال : وحدّثني عبد الرحمن بن الأسود ابن يزيد النخعي عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : نَزَلَتْ على رسول الله ﷺ « والمُرْسَلات عُرْفاً » ليلة الحية ، فقلنا : وما ليلة الحيّة يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : « بينما نحن مع رسول الله ﷺ بحِراء ليلاً ، خرجت علينا حيّة من الجبل ، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتلها ، فطلبناها فأعجزتْنا ، فقال : دعوها فقد وقاها الله شرَّكم كما وُقِيتم شرَّها »[1] انتهى . فإن لم يكن قوله بحراء تصحيفاً فهو يخالف ما قيل إنّ الغار المعروف بغار المُرْسَلات بمنى ، والله أعلم .

ذكر مقابر مكة المباركة

لمكة المشرفة مقابر مباركة ، منها المقبرة المعروفة بالمعلاّة[2] ، ويقال : المعلّى بلام وياء وهي مشهورة ، روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : وأخبرني جدّي عن الزنجي قال : كان أهل مكة في الجاهلية وفي صدر الإسلام يدفنون موتاهم في شِعب أبي ذئب وبين الحجون إلى الشِعب الصفي صفي الشباب ، وفي الشِعب الملاصق لثنية المذنبين ، الذي هو اليوم مقبرة أهل مكة ، ثم تمضي المقبرة مُصعدة لاصقة بالجبل إلى ثنية أذاخر بحائط خرمان ، ثم قال الأزرقي : وكان أهل مكة يدفنون موتاهم في جنبتي الوادي يمنة وشأمة في الجاهلية والإسلام ، ثم حوّل الناس جميعاً قبورهم في الشِعب الأيسر لما جاء من الرواية فيه ، ويقول رسول الله ﷺ : نِعْم الشِعب ونِعمْ المقبرة ، وبالإسناد المتقدّم إلى

---

(١) مسند أحمد ١/٤٥٨ وفيه « دعوها عنكم » .
(٢) مقبرة أهل مكة وبها قبور كثير من الصحابة .

الأزرقي قال : قال جدّي : لا نعلم بمكة شِعباً يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف ، إلاّ شعب المقبرة ، فإنه يستقبل وجه الكعبة كلّه ، وبه إليه قال : حدّثني جدّي قال : أخبرنا الزنجي عن ابن جُرَيْج عن إبراهيم بن أبي خراش عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: نِعم المقبرة هذه مقبرة أهل مكة ، وبه إلى الأزرقي قال : أخبرني جدّي قال : أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جُرَيْج قال : أخبرني إسماعيل بن الوليد بن هشام عن يحيى بن محمد بن عبدالله بن صيفي أنه قال : من قُبر في هذه المقبرة بُعث آمناً يوم القيامة ، يعني مقبرة مكة[1] انتهى .

قلت حديث ابن عباس رويناه أعلا[2] من هذا في « معجم الطبراني الكبير»[3]،ورواه أحمد والبزار في مسنديهما ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، خلا ابن أبي خراش ، ولم يضعّفه أحمد[4] .

وقال الجندي فيما رويناه عنه في فضائل مكة له : حدّثنا عبد الله بن أبي غسّان قال : حدّثنا عبد الرحيم بن زيد العمري عن شقيق بن سلمة بن وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : وقف رسول الله ﷺ على الثنيّة ، ثنيّة المقبرة ، وليس بها يومئذ مقبرة فقال : يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كلّه سبعين ألفاً ، يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألف ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه : يا رسول الله من هم : قال : الغرباء انتهى . هذا الإسناد فيه سقْط بين عبد الرحيم وشقيق .

ومما ورد في فضل هذه المقبرة ، ما وجدته بخطّ عبد الله بن المرجاني في تاريخه للمدينة قال : سمعت والدي يقول : سمعت الشيخ أبا عبد الله الدلاصي

---

(١) أخبار مكة ٢/٢٠٩ .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) المعجم الكبير ١١/١٣٧ رقم ١١٢٨٢ .

(٤) مسند أحمد ١/٣٦٧ .

Marfat.com

يقـول : سمعت الشيخ أبـا محمـد الـدبشي يقـول : كُشِف لي عن أهـل المعـلاّة فقلت : أتجدون نفعاً بمـا يُهدَى إليكم من قـراءةٍ أو نحوهـا ؟ فقالـوا : ليس نحن محتاجين إلى ذلك ، قال : فقلت لهم : ما منكم أحـد واقف الحال ؟ قـالوا : مـا يقف حال أحد في هذا المكان انتهى .

ومن ذلـك ما رويناه في « تاريـخ ابن السمعاني » الحـافظ أبي سعـد[1] في ترجمة أبي نصر محمد بن إبراهيم بن الفخار الأصبهاني لأنه ذكر : أنّ أبا زكريا بن منـده الحافظ سمـع محمد بن منصـور بن عليك التـاجر قـال : سمعت من ثقـات المجاورين بمكة قالوا : سمعنا أبا نصر ابن الفخار بمكة يحدّث أنه رأى في المنام كأنّ إنساناً مدفوناً بمقبرة المعلّى استخرج ومرّوا به إلى موضع آخـر قال : فسـألت عن حاله : لم استخرجتم هذا الميت ؟ قالوا : هذه المقبرة منـزَّهة عن قبـول أهل البدعة ، فلا تقبل أرضها مبتدعاً ، انتهى . وهذا إن صـحّ فيُستخرج منهـا من دُفن فيها من أهل البدعة .

ويقرب من هذه الحكاية ما يُحكى : أنّ شخصاً يقال له الشـر يشير من كبـار الرَّفَضَة بالمدينة المنوّرة النبـويّة ، تُـوُفّي بها ودُفن بـالبقيع ، ثم بعـد مدّة رؤ ي[2] بعضُ أهل الخير الغـرباء يقـرأ على قبره ويـلازم القراءة عليـه ، فَلِيمَ على ذلك ، فقال لهم : كان لي شيخ توفي بغير المدينة فرأيته في المنام ، فقال لي : أنا نُقلت إلى قبر الشر يشير بالمدينة ، ونُقل الشر يشيـر إلى قبري ، فـأنا ألازم القـراءة على هذا القبر لهذا المعنى . هذا معنى الحكـاية ، وهي مشهـورة عند أهـل المدينـة ، وغيرهم والله أعلم .

ومن ذلك ما سمعته من شيخنا المفتي تقيّ الدين عبد الرحمن بن أبي الخير

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/٢٨٥ « مسعد » وهو تحريف .
(٢) في المطبوع « رأي » وهو تحريف .

Marfat.com

الشريف الفاسي قال : سمعت الشيخ خليل المالكي يقـول : إنّ الدعـاء مُستجاب عند ثلاثة أماكن بالمعلاّة ، منها القبور التي يقال لها قبور سماسرة الخير بقـرب قبّة الملك مسعود، وعند قبر المتبولي، وعند قبر إمام الحرمين ، يعني به عبدالمحسن ابن أبي العميد الحقيقي أمام مقام إبراهيم انتهى بالمعنى . وزيارة هذه المقبرة مستحبّة لِما حَوَتْه من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين، ولا يُعرف فيها ـ تحقيقاً ـ قبر أحد من الصحابة ، وليس في القبر الذي يقال لـه قبر خديجة بنت خويلد[1] أثر يُعتمد ، والله أعلم .

ومن مقابر مكة المشرَّفة المباركة ، المقبرة العليا ، وقد ذكـرها الأزرقي لأنـه قـال فيما رويناه عنه بـالسند المتقـدّم : أخبرني جـدّي عن الزنجي قـال : « وكان يُـدفن في المقبرة التي عنـد ثنيّة أذاخـر آل أَسَيْد بن أبي العيص بن أميّـة بن عبـد شمس ، وفيهـا دُفن عبد الله بن عمـر بن الخطاب ، ومـات بمكـة في سنـة أربـع وسبعين ، وقد أتت له أربع وثمانون سنة ، وكـان نازلاً على عبـد الله بن خالـد بن أَسَيد في داره ، وكان صـديقاً لـه ، فلما حَضَـرَتْه الـوفاة أوصـاه أن لا يصلّي عليه الحجّاج ، وكان الحجّاج بمكة والياً بعد مقتل ابن الزُبَير ، فصلّى عليه عبد الله بن خالد بن أسيد ليلاً على ردم عبدالله‌على[2] باب دارهم ، ودفنه في مقبرته هذه عند ثنيّة أذاخر بحائط خرمان ، ويُدفن في هذه المقبرة مـع آل أسيد آل سفيـان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهم يُدفنون فيها جميعـاً موتـاهم إلى اليوم[3] ، انتهى .

وقال الأزرقي في موضـع آخر : كـان أهل مكـة يدفنـون موتـاهم في جنبتَيْ الوادي يمنة وشأمة في الجاهلية وفي صدر الإسلام ، ثم حـوّل الناس قبـورهم في الشِعب الأيسرِ ، لِما جاء فيه من الرواية ، ثم قـال : ففيه اليـوم قبور أهـل مكة إلا

---

(١) الحقيقة أنها مدفونة بالأبواء بين المدينة ومكة على نحو ١٣ ميلاً من رابغ .
(٢) في أخبار مكة « عند » .
(٣) أخبار مكة ٢/٢٠٩ و ٢١٠ .

Marfat.com

آل عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن عبد شمس ، وآل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فهم يدفنون بالمقبرة العليا بحائط خرمان[1] ، انتهى .

قلت : حائط خرمان هو والله أعلم الموضع الذي يقال له : الخرمانية ، وهو أودان بأعلى الموضع المعروف بالمعابدة بظاهر مكة ، وثنيّة أذاخر فوق هذا المكان ، وهي ثنيّة مشهورة ، وكانت تنتهي المقبرة إليها في الجاهلية ، ومنها دخل النبيّ ﷺ يوم فتح مكة ، على ما ذكر الأزرقي وغيره ، وما نقله الإمام الأزرقي عن جدّه عن الزنجي من أنّ عبد الله بن عمر مدفون في هذه المقبرة[2] ، يردّ ما يقال إنه مدفون بالجبل الذي عند باب المعلاّة ، على يسار الهابط إلى مكة ويمين الصاعد منها ، ولا أعلم ـ لما يقال من أن ابن عمر مدفون في هذا الجبل ـ دليلاً وهو بعيد من الصواب ، والله أعلم .

ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة المهاجرين بالحصحاص[3] ، روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : الحصحاص : الجبل المشرف على ظهر ذي طوىً ، إلى بطن مكة[4] . قال : وبطن ذي طوى ما بين مهبط ثنيّة المقبرة التي بالمعلاّة إلى الثنيّة القصوى التي يقال لها الخضراء ، يهبط إلى قبور المهاجرين دون فخّ[5] ، انتهى .

قلت : مقتضى هذا أن يكون مقبرة المهاجرين عند الثنيّة التي يُتَوَجَّه منها إلى المعلاّة ، وتسمّيها الناس الحجون الأول ، والله أعلم .

وذكر سليمان بن خليل ما يقتضي أنّ الحصحاص عند الجبل الذي تسمّيه

---

(١) أخبار مكة ٢/٢١١ .
(٢) أخبار مكة ٢/٢١٠ .
(٣) أخبار مكة ٢/٢١٣ .
(٤) أخبار مكة ٢/٢٩٩ .
(٥) أخبار مكة ٢/٢٩٧ .

Marfat.com

أهل مكة البكّاء ، وهو معروف بطريق العُمْرة ، لأنه قال لما تكلّم على الإحرام من التنعيم : قال الفاكهي في كتابه : في طريق هذه العمرة أيضاً جبل يسمّى المقلع ، قال : والمقلع الجبل الذي بأسفل الحصحاص ، بين يديه حجارة كثيرة يقال . إنه بكى على النبيّ ﷺ حين هاجر إلى المدينة ، وتسمّيه أهل مكة اليوم الجبل البكّاء ، انتهى .

وفخّ : هو وادي الزاهر على ما قال السيد عُلَيّ بن وهّاس الحسيني فيما نقله عنه ياقوت في « مختصر معجم البلدان » ، وذكر أنّ فخّ إسم لمكانين هذا أحدهما ، وذكر الآخر ، ونذكر كلامه بنصّه قال : باب فخّ موضعان بفتح الفاء والخاء معجمة مشدَّدة ، وفخّ وادٍ من نواحي مكة ، قال السيد عُلَيّ بن وهاس العلوي : فخّ وادي الزاهر فيه قبور جماعة من العلويين قُتلوا فيه في واقعة[1] كانت لهم مع أصحاب موسى الهادي بن المهديّ بن المنصور (العباسي)[2] في سنة تسع وتسعين[3] ومائة في ذي الحجّة ، وللشعراء فيهم مراثٍ كثيرة . وفخّ : ما أقطعه رسول الله ﷺ عُظَيْمَ بن الحرْث المحاربي[4] ذكره الحازمي[5] ، انتهى .

ومن المقابر المباركة بمكة المشرّفة المقبرة المعروفة بالشبيكة ، بأسفل مكة دون باب الشبيكة ، وهي مشهورة عند الناس لِما محوته من أهل الخير الغرباء وغيرهم ، وذكر الفاكهي بعد ذكر مقبرة مكة التي بأعلاها وشيئاً من فضلها السابق ، وكانت مقبرة المطيّبين بأعلى مكة ، ومقبرة الأحلاف بأسفل مكة ، انتهى . والظاهر أنّ مقبرة الأحلاف هي هذه المقبرة ، لأنه لا يُعرف بأسفل مكة مقبرة سواها ، ودَفْنُ الناس بها إلى الآن مُشْعِرٌ بأنّ الناس كانوا يُدفنون فيها فيما

---

(١) عند ياقوت « وقعة » .

(٢) ما بين القوسين سقط من نسخة (ك) .

(٣) هكذا ورد في النسختين ، والصحيح أنه سنة تسع وستين ومائة كما جاء عند ياقوت ، وهو يتفق مع خلافة الهادي التي استمرت حتى سنة ١٧٠ هـ .

(٤) في المطبوع من شفاء الغرام ١ /٢٨٧ « المحازفي » بالزاي والفاء ، وهو تصحيف .

(٥) المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ٣٣٠ و ٣٣١ .

Marfat.com

مضى ، والله أعلم ، والمطيّبون هم بنو عبد مناف بن قُصَيّ وبنو مخزوم وبنو سهم وبنو جُمَح وبنو عَدِيّ بن كعب ، ولتسمية هؤلاء بالأحلاف والآخرين بالمطيّبين سبب مشهور ، ذكرناه في أصل هذا الكتاب .

ومن القبور التي ينبغي زيارتها قبر أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها ، وهو معروف بطريق وادي مَرّ ، ولا أعلم بمكة ولا فيما قَرُبَ منها قبور أحد ممّن صَحِب رسولَ الله ﷺ سوى هذا القبر ، لأنّ الخَلَف يأثر ذلك عن السَلَف ، والموضع الذي فيه قبر ميمونة يقال له : سَرِف ، بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء ، وذكر صاحب « المطالع » في مقدار ما بينه وبين مكة أربعة أقوال ، ستة أميال وسبعة بتقديم السين ، وتسعة بتقديم التاء على السين ، واثني عشر ميلاً ، وهو الموضع الذي بنى بها النبيّ ﷺ حين تزوّجها .

Marfat.com

الباب الثاني والعشرون

في ذكر أماكن بمكة المشرفة وحرمها التي لها تعلق بالمناسك

وهي ستة وعشرون موضعاً مرتبة على ترتيب حروف المعجم

الأول باب بني شيبة[1] الذي يُستحبّ للمُحْرِم دخول المسجد الحرام منه ، وهو أول باب بالجانب الشرقي مما يلي الجانب الشامي ، بين رباط الشرابي ورباط السدرة ، وعليه منارة المسجد الحرام ، وأمامه في خارجه بلاط مفروش من حجارة ، وفي عتبته حجارة طوال ، يقال إنها كانت أوثاناً تُعبد في الجاهلية ، وليس ذلك بصحيح ، على ما نقل الأزرقي عن جدّه[2] . والأصل في استحباب دخول المسجد الحرام من هذا الباب ، ما رويناه عن عطاء أنّ النبيّ ﷺ دخل المسجد من باب بني شيبة ، وخرج من باب بني مخزوم إلى الصفا ، رواه البيهقي ، وقال : إنه مرسل جيّد ، قال : ورويناه عن ابن عمر مرفوعاً في دخوله من باب بني شيبة ، وخروجه من باب الحنّاطين ، انتهى . والمراد بباب بني شيبة في هذا الخبر جهة هذا الباب ، لا هذا الباب نفسه ، فإنه لم يكن إلاّ في عمارة المهدِيّ ، والمراد بباب بني مخزوم باب الصفا ، فإنه يُنسب لبني مخزوم ، وباب الحناطين باب كان للمسجد فيما بين باب الحَزْوَرَة وباب بني جُمَح الذي في وزانه الآن باب الزيادة بالجانب الغربي ، ولا أثر الآن لباب الحنّاطين ، والمراد به

---

(١) يعرف الآن بباب السلام ، وكان ينسب لآل شيبة سَدَنَة الكعبة .

(٢) أخبار مكة ٢/٧٨ .

Marfat.com

جهته ، لأنه لم يكن إلاّ عقب موت المهديّ العباسي فيما أمر به من الزيادة الثانية في المسجد الحرام ، فينبغي للخارج مسافراً أن يخرج من باب الحَزْوَرَة ، وهي باب الزيادة المشار إليها لقربها من باب الحنّاطين .

وفي « النوادر » لابن أبي يزيد المالكي ما يقتضي أنّ الخارج من المسجد الحرام مسافراً يخرج من باب المسجد المعروف الآن بباب العمرة في الجانب الغربي ، فينبغي للمسافر أن يخرج منه أو من باب زيادة إبراهيم أو من باب الحَزْوَرَة ، والله أعلم . ونصّ ما في النوادر على ما نقل الأشناني في شرحه لمنهاج النووي بعد أن ذكر أنّ النوادر أهمل بيان الباب الذي يخرج منه المسافر من المسجد الحرام ، ففي النوادر عن ابن جُبَير[1] أنَّ النبيّ ﷺ دخل المسجد من باب بني شيبة وخرج إلى الصفا من باب بني مخزوم ، وإلى المدينة من باب بني سهم انتهى . وباب بني سهم هو باب المسجد الذي أشرنا إليه ، كما يقتضيه كلام الأزرقي وغيره كالأشناني ، باستحباب الخروج منه للمسافر إلى بلده .

وذكره عن الرافعي أنّ الأصحاب أطلقوا استحباب دخول المسجد الحرام من باب بني شيبة لمن كان في طريقه ولمن لم يكن في طريقه ، ولا كذلك الثنيّة العليا ، فإنّ الدخول منها إنّما يُستحبّ لمن كانتْ في طريقه على خلاف في ذلك ، والفرق بينها وبين باب بني شيبة أنّ دوران المسجد لأجله لا عسر فيه ، ولا كذلك الدوران للدخول من الثنية العليا إذا لم يكن في الطريق ، والله أعلم .

الثاني : التنعيم المذكور في حدّ الحرم من جهة المدينة النبوية وهو أمام أدنى الحِلّ ، على ما ذكر المحبّ الطبري قال : وليس بطرف الحِلّ ومن فسّره بذلك تجوّز وأطلق إسم الشيء على ما قَرُبَ منه ، وأدنى الحِل إنما هو من جهته ليس موضع في الحِلّ أقرب إلى الحرم منه ، وهو على ثلاثة أميال من مكة ، والتنعيم أمامه قليلاً في صوب طريق وادي مَرّ الظّهران ، انتهى بنصّه .

---

(١) رحلة ابن جبير ٨٣ و ٨٤ .

Marfat.com

وقال صاحب « المطالع » : التنعيم من الحِلّ بين مكة وسَرِفٍ على فرسخين من مكة ، وقيل : على أربعة أميال ؛ وسُمّيت بذلك لأنّ جبلاً عن يمينها يقال له نعيم ، وآخر عن شمالها يقال له ناعم ، والوادي نعمان انتهى . والإحرام من الحِلّ الذي في جهة التنعيم للمقيم بمكة أفضل من الإحرام من الحِلّ الذي في بقية جهات الحرم ، ما خلا الجعرانة فإنّ الإحرام منها أفضل عند مالك والشافعي وابن حنبل وغيرهم من العلماء .

الثالث : ثبير ، الذي يقولون في الجاهلية إذا أرادوا أن يدفعوا من المُزْدَلِفَة : أشرق ثبير ، كيما نغير. ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه ، وهو جبل بالمزدلفة على ما ذكر الأزرقي ونصّ كلامه : ثبير النصع[1] الذي فيه سداد[2] الحاج ، وهو جبل المزدلفة الذي هو على يسار الذاهب إلى مِنى ، وهو الذي كانوا يقولون في الجاهلية إذا أرادوا أن يدفعوا من المزدلفة : أشرق ثبير كيما نغير . ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه[3] انتهى . وثبير الذي يُستحبّ للحاجّ إذا طلعت الشمس عليه سار إلى عرفة لينزل بنَمِرة ، ثم يذهب منها بعد صلاَتَيْ الظهر والعصر مع الإمام إلى موقف عرفة ، هو جبل كبير بمنى على يسار الذاهب إلى عرفة ، نصّ على ذلك الشيخ الإمام المحبّ الطبري ، لأنه لما تكلّم على قول صاحب «التنبيه» في صفة الحجّ : « ثم يخرج إلى مِنى في اليوم الثامن ، فيصلّي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويبيت بها ، ثم يصلّي الصبح ، فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى الموقف » ، قال : ثبير بثاء مثلّثة مفتوحة وباء موحّدة مكسورة أعلى جبل بِمنى وقال الجوهري : بمكة ، ولعلّه أراد بقرب مكة فتجوّز ، وقال غيره: بالمزدلفة ، والمشهور الأول وهو يشرف على مِنَى من جمرة العقبة إلى تلقاء مسجد الخيف وأمامه قليلاً على يسار الذاهب إلى عرفة ، انتهى .

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/ ٢٨٩ « الموضع » وهو تصحيف .
(٢) في المطبوع « شداد » بالشين المعجمة ، وهو تحريف .
(٣) أخبار مكة ٢/ ٢٨٠ .

وممن ذكر أنّ ثبيراً بمِني : الأزرقي ، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : اسم الجبل الذي مسجد الخيف بأصله الصفايح ، واسم الجبل الذي وجاهه على يسارك إذا أتيت من مكة المقابل ثبير ، وهو من الأثبرة[1] ، انتهى .

وممن ذكر أنّ ثبيراً بمنى : سليمان بن خليل لأنه قال : وثبير جبل كبير بمنى ، وكذلك النووي في « التهذيب » لأنه قال لما ذكر مِنى : وهو شِعب ممدود بين جبلين ، أحدهما ثبير والآخر الصايح[2] ، كذا رأيت في نسخة من « التهذيب » ولعلّه الآخر الصفايح ، كما يقتضيه كلام الأزرقي ، والله أعلم . وإذا تقرر أنّ ثبيراً بمنى وثبيراً بمزدلفة فلا مانع أن يكون ثبير ـ الذي إذا طلعت عليه الشمس سار الحاجّ من مبيته بمنى إلى عرفة ، كما قال الفقهاء ـ ثبير بمنى ، لكونه إلى مبيت الحاج أقرب من ثبير الذي بالمزدلفة ، ولا مانع من أن يكون ثبير ـ الذي عناه المشركون بقولهم : أشرق ثبير كيما نغير ـ من المزدلفة ، لأنهم كانوا يقولون ذلك بالمزدلفة ، ولا يدفعون منها حتى تطلع الشمس على ثبير التي بها ، وهو إلى أبصارهم أقرب من ثبير الذي بمنى ، كيف وقد قال الأزرقي إنّ ثبيراً الذي عناه المشركون ثبير المزدلفة ، وأثبت أنّ بمنى ثبيراً سواه ! ، وأما قول النووي في « التهذيب » وغيره أنّ ثبيراً جبل عظيم بالمزدلفةعلى يسار الذاهب إلى مِنى ، ويمين الذاهب من منى إلى عرفات ، وأنه المذكور في صفة الحجّ ، والمراد في مناسك الحجّ ، فقد اعترضه شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي وقال : إنه قول فيه مقال ورجم بالغيب ، ومخالفة لإجماع أئمة اللغة والتواريخ ، ثم قال شيخنا : نعم في المزدلفة جبل يُسمّى ثبيراً ، وليس هو المراد في مناسك الحجّ . انتهى والله أعلم .

وذكر ياقوت في « معجم البلدان »[3] أنّ ثبيراً اسم لثمانية مواضع فنذكر

---

(١) أخبار مكة ٢ / ١٨٠ .

(٢) في التهذيب : « الضائع » بدل « الصايح » (أنظر : تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ٢ ق ٢ / ١٥٧).

(٣) النص المذكور في المتن ليس من « معجم البلدان » بل هو من « المشترك وضعاً والمفترق صقعاً » لياقوت أيضاً ـ ص ٨٦ و ٨٧ .

Marfat.com

كلامه لإفادة ذلك ، ونصّ كلامه : باب ـ ثَبِير ثمانية مواضع بفتح أوله وكسر الباء الموحّدة ثم ياء ساكنة وراء : الأول ثبير من أعظم جبال مكة بين مكة ، وعَرَفَةَ ، وهو المراد بقولهم في الجاهلية : أشرق ثبير ، كيما نُغير . الثاني ثبير الزِنْج بمكة أيضاً قالوا : لأنّ الزِنْج كانوا يجتمعون عنده للّعب واللهو . الثالث ثَبِير الأعرج (وثبير الأحدب)[1] ، الرابع ثبير الخضراء ، الخامس ثبير النُّصْع وهو جبل المزدلفة ، السادس ثبير غَيْنَا[2] ، وهذه السبعة بمكة ويقال لها الأَثْبِرَة ، الثامن ثبير ماء في بلاد مُزَيْنَة أَقْطَعَهُ النبيُّ ﷺ شُرَيْح بنَ ضمرة[3] المُزَني[4] انتهى ، هكذا وجدت في نسخة سقيمة من « مختصر معجم البلدان لياقوت » ، ولا يستقيم ما فيها من أنّ بمكة سبعة أثبرة ، إلاّ بأن يكون سقط من النسخة ذِكْر ثبير السابع ، أو يكون ثبير الأعرج وثبير الأحدب اثنين ، فإنّ الموجود في النسخة يوهم أنهما واحد ، ويكون سقط الرابع قُبَيْل قوله : وثبير الأحدب ، ويكون على هذا قوله الرابع والخامس والسادس سهواً في العدد ، وهذا الاحتمال أظهر[5] ، لأنّ الرضي الصّاغاني قال : من الأثبرة ثبير غَيْنَا ، وثبير الأعرج ، وثبير الأحدب ، وسمعت أعراب هُذَيْل يسمّونه الأُحَيْدَب مصغّراً ، انتهى ، وهذا يدلّ على أنّ ثبيراً الأعرج غير ثبير الأحدب .

---

(١) ما بين القوسين ليس في « المشترك » .

(٢) في المشترك : « السابع ثبير الأحدب » .

(٣) في المطبوع من الشفاء ١ / ٢٩٠ « حمزة » وهو تصحيف . والتصويب من المشترك ومعجم البلدان .

(٤) راجع النص في المشترك ـ ص ٨٦ و ٨٧ أما نصّ ياقوت في معجم البلدان ٢ / ٧٢ ـ ٧٤ فهو : « الأَثْبِرَةُ أربعة : ثبير غينى ، الغين معجمة مقصورة ، وثبير الأعرج ، وثبير آخر ذهب عني اسمه ، وثبير منى ، وقال الأصمعي : ثبير الأعرج هو المشرف بمكة على حقّ الطارقيين . قال : وثبير غينى وثبير الأعرج وهما حِراء وثبير . . .

ويقول ياقوت بعد ذلك : وبمكة أيضاً أثبرة غير ما ذكرنا ، منها ثبير الزنج كانوا يلعبون عنده ، وثبير الخضراء ، وثبير النّصْع ، وهو جبل المزدلفة ، وثبير الأحدب ، كل هذه بمكة . . . وثبير أيضاً في ديار مُزَينة . . . » .

(٥) الواضح أن المؤلّف اطّلع على نسخة سقيمة من « المشترك » ويسمّيه « مختصر معجم البلدان » ، وهي التي جعلته يسهب في التحليل والتعليق ، ولو اطلع على نسخة سليمة كالتي وصلتنا مطبوعة لوقف على أسماء الأثبرة كاملة .

Marfat.com

وذكـر الأزرقي من الأثبـرة التي ذكـرهـا يـاقـوت ثبيـراً الأول وذكـر أنّ اسمـه القابل ، وثبير النِّضْع جبـل المزدلفـة ، وثبير الأعـرج ، ونصّ ما ذكـره فيه : وثبيـر الأعـرج المشرف على حقّ الـطارفين[1] بين المغمس[2] والنخيـل[3] انتهى ، وفي هذا إشارة إلى تعريف محلّه .

وذكر الزمخشـري من هذه الأَثْبِـرة ثبير غَيْنَـا وثبير الأعـرج ، وأفاد في كـلامه ضبط غَيْنَا ، وأنّ ثبير غَيْنَا وثبير الأعرج متقاربان ، ولم أقف على المحلّ الذي ذكر فيه ذلك ، وإنّما نقل عنه ذلك شيخنا القاضي مجـد الدين اللغـوي الشيرازي لأنـه قال : وقال الزمخشري وثَبِير غَيْنَا ـ بالغين المعجمة المفتوحة بعدها مثنّـاة تحتيّة ثم نون وألِف ـ وثَبير الأعرج جبلان يصبّ بينهما أُفاعية بضمّ الهمزة وبعدها فـاء وألِف وعين مهملة مكسورة ومثنّاة تحتيّة مفتوحة مخفّفة بعـدها هـاء ، وهي وادٍ يصبّ من مِنى انتهى .

وثبيـر الزِنْـج الذي ذكـره ياقـوت يقال إنـه جبل بـأسفـل مكـة تسمّيـه أهلهـا النوبي ، والله أعلم .

وثبير الخضراء هو الجبل المشـرف على الموضـع الذي يقـال له الخضيـر ، بطريق مِنى ، وهو مكان مشهور ، والنُّضْـع بكسر النُّـون وسكون الصـاد المهملة ، فهكذا ضبطه شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي ، وفي كلام يـاقوت إشـارة إلى أنّ ثبيراً الذي كانوا يقولون فيه ، أشرق ثبير كيما نُغِير هو ثَبير مِنى ، الذي يقـال له ثَبير الأَثْبِرة ، وذلك يخالف ما ذكره الأزرقي ، والله أعلم .

الرابع : الجِعْرَانة ، الموضع الذي أحرم فيه النبيّ ﷺ لما رجـع من الطائف بعد فتح مكة ، وهو موضع مشهور بين الطائف ومكة ، وهو إلى مكة أقرب بكثير ،

---

(١) في أخبار مكة « الطارقيين » ، بالقاف وياءين .

(٢) يقـال فيه « المغَمُّس » بفتـح الميم الثـانيـة ، ويقـال « المغمِّس » بـالكسـر . راجـع الـروض الأنف ١/٦٨ .

(٣) أخبار مكة ٢/ ٢٨٠ .

لأنه بينه وبين مكة نحو ثمانية عشر ميلاً على ما ذكر الباجي المالكي .

وقال الفاكهي : والجِعْرَانة حيث اعتمر النبيّ ﷺ على بريدٍ من مكة ، انتهى باختصار ، وهذا يخالف ما ذكره الباجي والله أعلم بالصواب .

وحدّ الحرم من جهته على تسعة أميال ، بتقديم التاء على السين ، وقيل : يزيد ، وهو اثنا عشر ميلاً كما سبق في حدود الحرم الشريف . وذكر السُهَيلي أنّ هذا الموضع سُمّي باسم امرأة كانت تُلقّب بالجِعْرَانة ، واسمها رَيْطَة بنت سعد بن زيد مَنَاة بن تميم ، وقيل هي من قريش انتهى ، ذكر ذلك بالمعنى لما تكلّم على قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالتي نَقَضَتْ غَزْلها من بعد قوّةٍ ﴾ ـ الآية ، ولم يبيّن السُهَيلي القائل بأنها من قريش ، وقد بيّن ذلك الفاكهي لأنه قال : حدّثنا حسن بن حسين الأزدي عن رجلين عن ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزْلَها من بعد قوّة ﴾ . نزلت في امرأة من قريش من بني تَيْم بن مُرَّة يقال لها : رَيْطَة بنت كعب ، ولقبها جِعْرَانة ، وهي أمّ أسد بن عبد العُزَّى ، التي قامت عنه وكانت حمقاء .

وروى الفاكهي بسنده عن السُدّي من تفسير هذه الآية قال : كانت امرأة تسمَّى حرفا بمكة كانت تغزل ، فإذا أبرمت غزْلها نقضته . وقال : قال ابن جُرَيْج : قال أبو الهذيل : حرفا كانت بمكة تنقضه بعد ما تبرمه . وروي عن مجاهد من تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تَكونوا كالتي نَقَضَتْ غَزْلها ﴾[1] قال : هن النساء[2] من أهل نجد ينقضْن حبلهنّ وينفشنه ثم يخلطنه بالصوف فيغزلنه انتهى .

ذكر الموضع الذي أحرم منه رسول الله من الجِعْرانة

روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : حدّثني جدّي عن الزنجي عن ابن جُرَيْج قال : أخبرني زياد بن محمد بن طارق أخبره أنه اعتمر مع مجاهد من

---

(١) سورة النحل ، الآية ٩٢ .
(٢) هن نساء : في النسخة (ك) .

Marfat.com

الجِعْرانة ، فأحرم من وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة قال : ومن ههنا أحرم النبيّ ﷺ ، وإنّي لأعرف أول من اتّخذ المسجد على الأكمة ، بناه رجل من قريش سمّاه ، واشترى بمال عنده نخلاً ، فبنى هذا المسجد ، قال ابن جُرَيْج : فلقيت أبا محمد بن طارق فسألته فقال : اتفقت أنا ومجاهد بالجِعْرانة ، فأخبرني أنّ المسجد الأقصى الذي من وراء الوادي بالعدوة القصوى ، مصلّى النبيّ ﷺ إذا كان بالجِعْرانة ، قال : وأما هذا المسجد فإنّما بناه رجل من قريش ، واتّخذ ذلك الحائط[1] انتهى . ونقل ابن خليل عن ابن جُرَيْج أنّ الرجل الذي بنى المسجد الأدنى هو عبدالله بن خالد الخزاعي .

وذكر الواقدي أنّ النبيّ ﷺ أحرم من المسجد الأقصى الذي[2] تحت الوادي بالعدوة القصوى من الجِعْرانة ، وكان مصلّى النبيّ ﷺ إذا كان بالجِعْرانة ، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش ، واتخذ ذلك الحائط عنده ، ولم يَجُزْ رسول الله ﷺ الوادي إلاّ مُحْرِماً انتهى ، وكان إحرام النبيّ ﷺ ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة[3] نقل ذلك عن الواقدي المحبّ الطبري قال : ومنها يُحْرِم أهل مكة كلّ عام ليلة سبع عشرة من ذي القعدة ، وذلك خلاف ما ذكره الواقدي انتهى . وما ذكره المحبّ الطبري يخالف ما أدركنا عليه أهل مكة ، فإنهم يخرجون من مكة في اليوم السادس عشر من ذي القعدة ، ويقيمون اليوم السابع عشر بالجِعْرانة ، ويصلّون المغرب بها ليلة الثامن عشر ، ويُحرِمون ويتوجّهُون إلى مكة ، وهو يلائم ما ذكره الواقدي ، إلاّ أنّ في بعض السنين يحصل للناس خوف فيخرجون من الجِعْرانة مُحْرِمين قبل الغروب من اليوم السابع عشر ، وربّما خرجوا منها قبل صلاة العصر ، وما ذكره الواقدي في تاريخ عُمْرة النبيّ ﷺ من الجعْرانة هو المعروف .

---

(١) أخبار مكة ٢/٢٠٧ .

(٢) في النسخة (م) : التي .

(٣) أي في السنة التاسعة للهجرة النبوية الشريفة .

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي خبراً ضعيفاً يخالف ذلك ونصّه على ما ذكر الحافظ أبو الفتح بن سيّد النّاس اليعمري في جوابه عن المسائل التي سأله عنها ابن أيبك الدمياطي ، وقد ذكر ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن سابق قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن عقبة مولى بن عباس أنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجِعْرانة فقسّم بها الغنائم ، ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوال[1] ، قال أبو الفتح المذكور : هذا الذي ذُكر ضعيف ، والمعروف عند أهل السِّيَر أنّ النبيّ ﷺ انتهى إلى الجِعْرانة ليلة الخميس لخمسِ ليالٍ خَلَوْنَ من ذي القعدة ، وأقام بها ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلاً ، فأحرم بعُمْرة ، ودخل مكة انتهى . والجِعْرانة أفضل مواقيت العُمرة من مكة ، لإحرام النبيّ ﷺ من هذا المكان ، على مذهب مالك والشافعي وابن حنبل وغيرهم من العلماء .

واختُلف في ضبط العين والراء من الجِعْرانة ، فقال النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » : « الجعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء ، هكذا صوابها عند إمامنا الشافعي والأصمعيّ وأهل اللغة ومحقّقي المحدّثين وغيرهم ، ومنهم من يكسر العين ويشدّد الراء ، وهو قول عبدالله بن وهب وأكثر المحدّثين ، قال صاحب مطالع الأنوار : أصحاب الحديث يشدّدونها ، وأهل الإتقان والأدب يخطّئونهم ويخفّفونها ، وكلاهما صواب . حكى إسماعيل القاضي عن علي بن المديني قال : أهل المدينة يثقلونها ويثقلون الحديبية ، وأهل العراق يخفّفونها[2] . انتهى باختصار .

ومن فضائل وادي الجِعرانة ما ذكره الجندي في « فضل مكة » ، لأنه قال فيما رويناه عنه : حدّثنا عبد الوهاب بن فليح ، حدّثني سعيد بن سالم القدّاح ،

---

(١) عيون الأثر لابن سيّد الناس ٢ / ٢٨٠ .

(٢) تهذيب الأسماء ق ٢ ج ٢ /٥٨ و ٥٩ وفيه « يخفّفونهما » .

عن سعيد بن بشير ، عن عبد الكريم الجردي ، عن يوسف بن ماهك ، قال : اعتمر من الجِعْرانة ثلاثمائة نبيّ وصلّى في مسجد الخَيْف سبعون نبياً ، وبالجِعْرانة ماء شديد العذوبة يقال إنّ النبيّ ﷺ فحص موضع الماء بيده المباركة فانبجس فشرب منه النبيّ ﷺ وسقى الناس ، ويقال : إنّ النبيّ ﷺ غرز رمحه فنبع الماء موضعه ، وهذان الخبران في كتاب الفاكهي .

الخامس : الجمار المذكورة في صفة الحجّ هي بمنى ، ونقل عن ابن سيده[1] اللغوي صاحب « المُحْكَم » ما يقتضي أنها بعَرَفَة ، وهو وهْم قطعاً ، ذكرناه لغرابته ، وقد نقل ذلك عنه السُهيلي في كتابه « الروض الأُنُف » لأنه نقل عن ابن سيده شيئاً قاله في كتابه المحكم وخطّأه فيه ، ثم قال السُهَيْلي : فقال يعني ابن سيده في الجمار في غير هذا الكتاب هي التي تُرْمَى بعَرَفَة ، وهذه هفوة لا تقال وعثرة لا لعالها ، وكم له من هذا إذا تكلّم في النسب وغيره ، والله وليّ التوفيق .

والأولى منها هي التي تلي مسجد الخيف ، والوسطى التي بينها وبين جمرة العَقَبة ، والأخيرة هي جمرة العقبة ، وهي أقرب الجمار إلى مكة ، ورمْيها على هذا الترتيب مطلوب على مذهب الإمام مالك ، ومتى وقع على غير هذه الصفة ولم يُتدارك في وقت الأداء وهو النهار على المشهور ، لزم فاعل ذلك الدم .

وقد ذكر الأزرقي في ذرْع ما بين هذه الجمار وما بين الجمرة الأولى وأوسط باب[2] مسجد الخيف بمنى ، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : ومن جمرة العقبة وهي أول الجمار مما يلي مكة ، إلى الجمرة الوسطى أربعمائة ذراع وسبعة وثمانون ذراعاً واثنا[3] عشر أصبعاً ، ومن الجمرة الوسطى إلى الجمرة

---

(١) هو الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ، كان إماماً في اللغة والعربية حافظاً لهما ، وكتابه « المحكم » كتاب جامع رتّبه ترتيب كتاب « العين » ، وله كذلك كتاب « المخصّص » ، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ .

(٢) في النسخة (ك) : أبواب .

(٣) في النسختين : واثني ، وهو خطأ .

Marfat.com

الثالثة وهي التي تلي مسجد مِنَى ثلثمائة ذراع وخمسة أذرع ، ومن التي تلي مسجد مِنَى إلى أوسط باب مسجد الخيف ألف ذراع وثلثمائة ذراع وواحد وعشرون ذراعاً[1] انتهى .

قلت : وقد حرّر بعض أصحابنا ذرع ذلك وأنا معه ، فكان مقدار ما بين جمرة العقبة والجمرة الوسطى مائتي ذراع وثمانية أذرع بذراع الحديد ، وكان مقدار ما بين جمرة الوسطى والجمرة الأولى مائتي ذراع وخمسة وسبعين ذراعاً بذراع الحديد ، وكان مقدار ما بين الجمرة الأولى وهي التي تلي مسجد الخيف إلى باب مسجد الخيف الكبير على يمين الذاهب إلى عرفة ألف ذراع ومائتي ذراع وأربعة وخمسين ذراعاً وسُدس ذراع بذراع الحديد .

وقد ذكر الأزرقي شيئاً من خبر جمرة العَقَبة ، فنذكر ذلك لِما فيه من الفائدة ، قال في التي ترجم عليها بقوله « ذِكْر ما غُيّر من فَرْش أرض الكعبة » : وكانت الجمرة زائلة عن غير موضعها أزالها جُهّال الناس برميهم الحصا ، وغُفِل عنها ، حتى أُزيحت من موضعها شيئاً يسيراً منها ومن فوقها ، فردّها إلى موضعها الذي لم يزل عليه ، وبنى من ورائها جداراً أعلاه عليها ، ومسجداً متّصلاً بذلك الجدار ، لئلاّ يصل إليها من يريد الرمي من أعلاها ، وإنّما السُّنَّة لمن أراد الرمي أن يقف من بطن الوادي ، فيجعل مكة عن يساره ومِنى عن يمينه ، ويرمي كما فعل رسول الله ﷺ ، وكذا أصحابه من بعده[2] انتهى . والذي أشار إليه الأزرقي بقوله : فردّها ، وبقوله : وبنى : هو إسحاق بن سَلَمَة الصائغ الذي أنفذه المتوكل العباسي لعمل أمور تتعلّق بالكعبة وغير ذلك .

السادس : الحَجُون المذكور في حدّ المحصب[3] جبل بالمُعَلاّة مقبرة أهل مكة على يسار الداخل إلى مكة ويمين الخارج منها إلى جهة مِنى وغير ذلك ،

---

(١) أخبار مكة ٢/١٨٥ .
(٢) أخبار مكة ١/٣٠٣ .
(٣) هو موضع الحجارة بمنى .

وهـو الجبل الـذي يزعم النـاس أنّ فيه قبـر عبدالله بن عمـر بن الخـطّاب ، وليس لذلك حقيقة كما نبّهنا عليه ، ويُحتمـل أن يكون الجبـل المحاذي لـه الذي يكـون على يسار الداخل إلى الشِعْب الذي تسمّيـه الناس : شِعْب العفـاريت ، والجبلان مشرفان على هذا الشِعْب ، ولعلّه الشِعْب الذي يقال له شِعب الصفا صفا السبـاب والله أعلم .

ومـا ذكرنـا من تعيين كون الحجـون في هذه الجهـة من المعلاة صـريح من كـلام أبي الوليـد الأزرقي في كتابـه « أخبار مكـة » ، ومن كلام إسحـاق الخزاعي راوي كتاب الأزرقي ، وأدخل الخزاعي ذلك في كتـاب الأزرقي عند ذِكْـر الأزرقي لحدّ المحصب وهذا ما ذكرناه من تعيين كون الحجون أحد الجبلين المشـار إليهما يدلّ له كلام الأزرقي[1] وما ذكره هو والخـزاعي في تعيين جهة الحجـون يدفـع ما يقوله الناس من أنّ الحجون هو الجبل الذي فيه ثنيّة كَدَاء ، بفتح الكاف والمـدّ ، التي يُستَحَبّ للمُحْرِم دخول مكة منها ، ووقـع للمحبّ الطبـري في « القرى » مـا يـوافق ذلـك ، لأنـه قـال : الحَجُـون بفتـح الحـاء وضمّ الجيم مخفّفـة ، الجبـل المشرف عند المحصب ، وهو مقبرة أهل مكة قال الشاعر :

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصّفـا أنيس ولم يُسْمِـرْ بمكـة سـامـرُ[2]

وذكـر أبو مـوسى المـديني في يتيمتـه أنـه الجبـل المشـرف ممـا يلي شِعْب الجـزّارين بمكة ، قلت : ويشبـه أن يكون مـا ذكـره هـو الجبـل الـذي على يمين المنهبط من الثنيّة العليا على المقبرة فإنّ إلى جانبه شِعْباً يقال له شِعب الجزّارين ، ويُحتمـل أن يكون الجبـل المشرف على المقـابـر على يسـار المنهبط من الثنيـة ، وتكـون المقبـرة بينـه وبين الصفـا على مـا قـال الشـاعـر . انتهى كـلام المحبّ الطبري . والشِعْب الذي ذُكر أنـه يقال لـه شعب الجزارين يقـال له شِعب النـور ،

---

(١) أخبار مكة ٢ / ١٦٠ .
(٢) أخبار مكة ١ / ٩٧ .

Marfat.com

وهـو الذي قُبـر فيه الشيـخ أبو لكـوط[1] . وفي كون هـذا الشعب شِعب الجزّارين نظر ، وكذا في الاحتمال الآخر الذي ذكره في تفسير شِعْب الجزّارين ، وكـذا فيما يقوله الناس من أنّ الحَجُون هو الجبل الذي فيه الثنية المشار إليهـا ، وهو مقتضى كلام المحبّ الطبري ، لكون ذلك مخالفاً لِما ذكره الأزرقي في تفسير الحَجُـون.، مـع موافقـة الخزاعي لـه على ما ذكـره من أنّ الحَجُون في الجهـة المقابلة لجهتـه الثنية ، كما أشرنا إليه . والأزرقي والخزاعي بـذلك أدرى ، والتعـويل عليهمـا في ذلك أولى .

ونصّ مـا ذكره الأزرقي في التـرجمة التي بيّن فيهـا ما في شتّى مُعَـلاّة مكـة اليماني من المواضع والجبال والشِعاب ، وما أحاط به : الحَجُون الجبل المشـرف حذاء مسجد البيعة الذي يقال له مسجد الحرس ، وفيه ثنية يُسْلَك إليهـا من حائط عـوف ، عند المـاجلين اللذين فوق دار مـال الله إلى شِعب الجـزّارين ، وبـأصـل شِعب الجزّارين كانت المقبرة في الجاهلية[2] انتهى .

ونصّ كلام الخزاعي : الحَجُون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد ، وهو أيضـاً مشرف على شِعب الجـزّارين في أصله في دار أبي دُبّ إلى موضع القبة مسجد بسبيل أم زبيدة بنت جعفـر بن أبي منصور انتهى ، ووجه الدلالة من كلام الخزاعي[3] على ما ذكرناه في جهة تعيين الحَجُون ذكْـره للحَجُون من شقّ مُعـلاّة مكة اليمـاني ، ولا ريب أنّ الجهة هي التي أشـرنـا إليهـا ، ووجه الـدلالة من كـلام الخزاعي قـوله في تعـريف الحَجُون على يمينـك وأنت مصعـد ، ولا يكون الحَجُـون على يمين المصعـد من مكـة إلاّ إذا كـان في الجهة التي أشرنا إليها .

وذكر النووي في « شرح مسلم » في تفسير الحَجُون نحو مـا ذكره الخـزاعي

---

(١) هكذا في الأصل ، وفي منتخب شفاء الغرام : ابن لكود .
(٢) أخبار مكة ٢ /٢٧٣ .
(٣) في النسخة (ك) : الأزرقي .

Marfat.com

باختصار ، لأنه قال في تفسير حديث قوله قرب الحَجُون هو بفتح الحاء وضم الجيم ، وهو من حرم مكة ، وهو الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد عند المحصب انتهى ، والدلالة من كلام النووي على ما ذكرناه في تفسير الحَجُون كالدلالة على ذلك من كلام الخزاعي ، وقد سبق ذلك ، وذكر الفاكهي ما يوافق ما ذكره الأزرقي في كون الحَجُون بشقّ معلاّة مكة اليماني وفي تعريفه له : والفاكهي من العارفين بأخبار مكة فيتأيّد بما ذكره من الحَجُون ما قاله الأزرقي والخزاعي في الحَجُون والله أعلم .

وشِعْب الجزّارين لا يُعرف الآن إلاّ أنّ بين سور مكة الآن وبين الجبل الذي يقال له جبل ابن عمر موضعاً يشبه الشِعْب ، فلعلّه شِعب الجزّارين .

وشِعب الجزّارين هو شِعْب أبي دُبّ على ما ذكر الأزرقي ، وذكر أنه رجل من بني سواة[1] بن عامر[2] ، وحائط عوف الذي ذكره الأزرقي في تعريف الحَجُون لا يُعرف ، ولعلّه أحد البساتين التي في الجبل الذي يقال له جبل ابن عمر ، فإنّ منها يتوصّل إلى الجبل المذكور . ولعلّ هذا يؤيّد أحد الاحتمالين اللذين ذكرناهما في تعيين كون هذا الجبل الحَجُون ، ويتأيّد ذلك أيضاً بقربه من الماجلين اللذين ذكرهما الأزرقي ، وهما في غالب الظنّ البركتان المنسوبتان للصارم ، التي إحداهما ملاصقة لسور مكة ، والله أعلم .

وأغْرَبَ السهيلي في تفسير الحَجُون لأنه قال في « الروض الأُنُف » : والحَجُون على فرسخ وثلث من مكة[3] انتهى ، وهذا مخالف للمحسوس والمعقول . وما ذكره المحبّ من كون الحَجُون بفتح الحاء وضمّ الجيم سبقه إلى ذلك النووي في « شرح مسلم » ، وضبطه أيضاً بفتح الحاء صاحب « المطالع » ، وضبطه ابن ملكان بضمّ الحاء ، والمعروف فيه الفتح ، والله أعلم . وهذا

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/٢٩٦ « سواد » بالدال ، وهو تصحيف ، والتصويب من أخبار مكة .
(٢) أخبار مكة ٢/٢٧٢ .
(٣) الروض الأنف ١/١٣٨ .

Marfat.com

الموضع من جملة المواضع التي أصلحْتُها في هذا الكتاب بعد تأليفي له ، لأنّي لم أكن نظرت فيما كتبته أولاً ، إلاّ كلام المحبّ ، وتأيّد عندي بما يقوله الناس في تفسير الحَجُون ، فلما راجعت كلام الأزرقي والخزاعي ظهر لي أنه الصواب . فكتبت هذا الفصل على هذا الوجه والله أعلم . بالصواب .

السابع : الحُدَيبية الموضع الذي نزل عنده النبيّ ﷺ لما قدم من المدينة مُحْرِماً يريد دخول مكة ، فعاقه حينئذ المشركون عن ذلك يقال له الموضع الذي فيه البئر المعروفة ببئر شميسي بطريق جُدّة ، والله أعلم ـ قال صاحب « المطالع » : إنّ الحديبية قرية ليست بالكبيرة ، وسُمّيت ببئرٍ هناك عند مسجد الشجرة انتهى ، والشجرة والحديبية لا يعرفان الآن ، وقد سبق في حدود الحرم الخلاف في الحديبية ، هل هي في الحرم كما قال مالك ، أو في طرف الحِلّ ، كما قال الماوردي ، أو أنّ بعضها في الحِلّ وبعضها في الحرم ، كما قال الشافعي وابن العطّار ، والله أعلم ـ وليست الحديبية بالموضع الذي يقال له الحدة[1] في طريق جدّة بقرب هذا الموضع من جدة ، وبعده من مكة والحديبية دونه بكثير إلى مكة ، واختلف في الياء الثانية من الحديبية هل هي مخفّفة أو مشدّدة ، والقولان مشهوران على ما ذكر النووي في « التهذيب » لأنه قال : الحُدَيبية بضمّ الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء ، كذا قاله الشافعي وأهل اللغة وبعض أهل الحديث وقال أكثر المحدّثين بتشديد الياء وهما وجهان مشهوران[2] انتهى ، والحديبية أفضل مواقيت العُمْرة بعد الجِعْرانة والتنعيم عند الشافعية ، ما خلا الشيخ أبا حامد ، فإنّ الحديبية عنده مقدم على التنعيم ، والله أعلم بالصواب .

الثامن : ذو طَوى الموضع الذي يُستَحَبّ فيه الاغتسال للمُحْرِم ، هو على مقتضى ما ذكره الأزرقي الموضع الذي يقال له بين الحَجُونَين ، لأنه قال فيما رويناه بالسند المتقدّم : بطن طَوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التي بالمعلاّة إلى

---

(١) في الأصل الحدبة ، وليس بطريق جدّة مكان يقال له الحدبة .
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ـ ق ٢ ج ١/ ٨١ .

Marfat.com

الثنية القصوى التي يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين[1] انتهى ، وفي « صحيح البخاري » ما يؤيّد هذا ، وصرّح به القاضي بدر الدين بن جماعة فيما نقله عنه ابنه القاضي عزّ الدين على ما أخبرني عنه خالي ، وقال النووي : إنه موضع بأسفل مكة في طريق العُمْرة المعتادة ، ويُعرف اليوم بآبار الزاهر[2] انتهى ، وقال الداودي فيما نقله عن صاحب « المطالع » إنّ ذا طَوى هو الأبطح وهو بعيد ، والله أعلم بالصواب ، وطاؤه مثلّثة وهو مقصور ، واستحباب الغُسلْ بذي طَوى للمُحْرِم ، وهو مذهب الأئمة الأربعة ، إلّا أنّ أصحابنا لا يستحبّونه للحائض والنُّفَساء ، لأنهما لا يؤمران بالطواف عند قدومهما مكة ، والغُسْل شُرِع لأجل الطواف ، والله أعلم . وإنّما يُطلَب من المُحْرِم الاغتسال فيه إذا كان في طريقه .

التاسع : الردْم الذي ذكر بعض الشافعية أنّ المُحْرِم يقف فيه للدعاء إذا قدم إلى مكة ، وهو ردْم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأعلى مكة ، وهو معروف عند الناس ، وسبب ردْم عمر له أنه جاء في خلافته السَّيْل المعروف بسيل أم نَهْشَل ، فدخل المسجد الحرام وذهب بالمقام عن موضعه ، وأخفى موضعه ، فشقّ ذلك على عمر رضي الله عنه وعمل هذا الردْم صوناً للمسجد[3] .

العاشر : الصفا الذي هو مبدأ السعي ، وهو في أصل جبل أبي قبيس ، على ما ذكره غير واحد من العلماء ، ومنهم أبو عبيد البكري والنووي[4] ، وهو موضع مرتفع من جبل له درج ، وفيه ثلاثة عقود ، والدرج من أعلى العقود وأسفلها ، والدرج الذي يصعد من الأولى إلى الثانية منهنّ بثلاث درجات في وسطها ، وتحت العقود درجة وتحتها فرشة كبيرة ، ويليها ثلاث درجات ، ثم فرشة مثل الفرشة السابقة تتّصل بالأرض ، وربّما أُهِيل التراب عليها فغُيِّب ، وعرض

---

(١) أخبار مكة ٢/٢٩٧ .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ـ ق ٢ ج ١/١١٥ وقال النووي إن « طوى » بفتح الطاء على الأفصح ويجوز ضمّها وكسرها وبفتح الواو المخفّفة .

(٣) والردم هو ما يسمّى الآن بالمدعى .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ١ ق ٢/١٨١ .

Marfat.com

الثلاث الدرجات التي بين الفرشتين ذراعان ونصف ذراع كل ذلك بذراع الحديد ، وتحت الفرشة السفلى التي تتّصل بالأرض درج مدفون وهو ثمان درجات ، ثم فرشة مثل الفرشة السابقة ، ثم درجتان ، وتحت هاتين الدرجتين حجر كبير يشبه أن يكون من جبل ، وهذا الدرج المدفون لم نره إلاّ في محاذاة العقد الأوسط من عقود الصفا . والظاهر والله أعلم أنّ في مقابلة العقدين الأخيرين مثل ذلك . وذرْع ما بين وجه العقد الأوسط على الصفا إلى منتهى الدرج المدفون ثمانية عشر ذراعاً بالحديد ، وكان تحرير ذلك بحضوري بعد الأمر بالحفر عن الدرج المشار إليها في سابع عشر شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وكان ابتداء حفْرنا عن ذلك يوم السبت خامس عشر شوال المذكور .

وكان الناس يأتون لمشاهدة ما ظهر من الدرج أفواجاً أفواجاً ، وحصل لهم بذلك غبطة وسرور ، لأنَّ كثيراً من الساعين لا يرقون في الدرج الظاهر الآن ، خصوصاً الساعي راكباً ، وسبب حفرنا عن ذلك أنه حاك في نفس بعض فقهاء مكة في عصرنا عدم صحّة سعْي من لم يرق في الدرج الظاهر ، لأنّ بعض[1] متأخّري الشافعية الفقهاء قد أشار إلى أنّ في الصفا دَرَجاً مستحدَثاً ينبغي للساعي الاحتياط بالرقيّ عليها ، إلى أن يستيقن انتهى بالمعنى ، وسيأتي ذكر ذلك بنصّه ، وهذا الكلام يوهم أنّ بعض الدرج الموجود الآن محدَث ، لأنه ليس هناك درج سواها حتى يُحمَل الكلام عليها ، وذاكَرَني الفقيه المشار إليه بما[2] حاك في نفسه فقلت له : الظاهر والله أعلم أنّ المراد بالدرج المحَدَث غيرَ الدرج الظاهر، ويتحقّق ذلك بالحفر عنه ، فحفرنا حتى ظهر لنا من الدرج ما ذكرناه ، وبعيد جدّاً أن يكون مجموع الدرج المدفون والظاهر محدَثاً في غير محلّ السعي ، حتى لا يجزي الوقوف عليه في السعي ، وإنّما المحدَث بعض الدرج المدفون ، لكونه في غير محل السعي على ما يقتضيه كلام الأزرقي ، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند

---

(١) في النسخة (م) : كلمة بعض محذوفة .
(٢) في النسخة (م) : مما .

Marfat.com

المتقـدّم : ذرْع ما بين الـركن الأسود إلى الصفـا مائتـا ذراع واثنان وستـون ذراعـاً وثمانية عشر أصبعاً[1] انتهى .

والصفـا الـذي ذكـر الأزرقي ذرْع مـا بينـه وبين الحجـر الأسـود هـو محـلّ السعي ، وما ذكره الأزرقي في ذرْع ما بين الصفا والحجر الأسود إمـا أن يكون إلى مبدأ الدرج المدفون تحت العقود ، أو إلى العقود أو إلى مـا وراء ذلك ، وفي كـلّ الوجوه نظر غير الوجه الثاني : أما الأول فلأنّ من الحجر الأسـود إلى مبدأ الـدرج المدفون مائتي ذراع وأحداً وعشرين ذراعاً وربع ذراع وثُمن ذراع بذراع الحـديد ، يكون ذلك بذراع اليدين مائتي ذراع وثلاثـة وخمسين ذراعاً بـذراع اليد ، على مـا حـرّرناه ، وذلـك دون ما ذكـره الأزرقي في مقدار مـا بين الحجـر الأسـود والصفـا بعشرة أذرع إلاّ ربع ، فدلّ ذلك على أنه لم يرده لمخـالفته المقـدار الذي ذكـره ، والله أعلم . وأما الوجه الثالث فـلأنّ[2] من هذا الحجـر الأسود إلى العقـد الوسط الذي بالصفا مائتي ذراع وتسعـة وثلاثين ذراعـاً وربع ذراع وثُمن ذراع بـالحديـد ، يكون ذلك باليد مائتي ذراع وثلاثة وسبعين ذراعاً ، بتقـديم السين ، وأربعة أسبـاع ذراع ، على مـا حرّرنـاه ، وذلك يـزيد على مقـدار مـا ذكـره الأزرقي عشـرة أذرع وخمسة أسباع ذراع وثـلاثة أربـاع خُمس سُبع ذراع ، فـدلّ ذلك على أنـه لم يُرِده لمخالفته القـدر الذي ذكـرناه . وأمـا الوجـه الرابـع فالنـظر فيه كـالنظر في الـوجه الثالث ، لأنه إذا كان الوجه الثالث غير المراد لما فيه من المخالفة لما ذكره الإمـام الأزرقي بسبب الزيادة فكذا الوجه الرابع غير المراد من باب أولى ، لكثـرة الزيـادة فيه على الزيادة التي في الوجه الثالث ، خصوصاً إذا قيـل إنّ المراد مـوضع جـدار البيت المشرف على الصفا ، فإنّ من العقد الأوسط إليـه سبعة عشـر ذراعاً بتقـديم السين بذراع الحديد ، يكون ذلك بذراع اليـد تسعة عشـر ذراعا ، بتقـديم التاء ، وثلاثة أسبـاع ذراع والله أعلم ، وإذا كان في كـلٍّ من هذه الـوجوه نـظر ، تعيّن أن

---

(١) أخبار مكة ٢/١١٨ .

(٢) فلأن هذا : في النسخة (ك) .

Marfat.com

يكون المراد الوجه الثاني لموافقته كلام الأزرقي ، لأنّ من أول الفرشة التي تحت الدرجات الثلاث إلى آخر الفرشة التي فوقها تحت الدرجه التي تحت العقد الأوسط عشرة أذرع باليد ، وذلك هو العقد الزائد على ما ذكره الأزرقي في مقدار ما بين الحجر الأسود والصفا ، وإنّما ذكر الأزرقي ذرْع ما بين الحجر الأسود والصفا ليبيّن أنّ ما وراء ذلك محلّ للسعي ، والفرشة السفلى المشار إليها من وراء الذرع المذكور فتكون محلاً للسعي على هذا ، ويصحّ إن شاء الله تعالى سعْيُ من وقف عليها ، فلا يقصر الساعي عنها ، ولا يجب عليه الرقي على ما وراءها ، والله أعلم .

والفَرْشة المشار إليها هي التي سبق أنّ التراب يعلو عليها فتغني ، وأما الكلام الموهم بخلاف ذلك فهو ما ذكره المحبّ الطبري في « شرح التنبيه » لأنه قال : وبُني في ذيل الصفا درج ، فينبغي أن يحتاط مريد السعي بالرقي عليها ، فإنّ الأرض رَبَتْ بحيث يُرَى البيتُ من غير رقي انتهى ، ومن ذلك ما ذكره النووي في « الإيضاح » لأنه قال : إنّ من واجبات السعْي أن يقطع جميع المسافة بين الصفا والمروة ، فلو بقي منها بعض خطوة لم يصحّ سعيه، حتى لو كان راكباً ، اشترط أن تسير دابته حتى تضع حافرها على الجبل أو إليه ، حتى لا يبقى من المسافة شيء ، ويجب على الماشي أن يلصق في الابتداء والانتهاء رِجله بالجبل ، بحيث لا يبقى بينهما فرجة ، فيلزمه أن يُلصق العقب بأصل ما يذهب منه ، ويلصق رؤ وس أصابع رجليه بما يذهب إليه فيلصق في الابتداء بالصفا عقبه ، وبالمروة أصابع رجليه ، فإذا عاد عكس ذلك ، هذا إن لم يصعد فإن صعد فهو الأكمل . وقد زاد خيراً ، وليس الصعود شرطاً بل هو سُنَّة متأكدة ، ولكنّ بعض الدرج مستحدَث فليحذر أن يخلفها وراءه ، فلا يتم سعيه ، ولْيصعد بعد أن يستيقن ، وقال بعض أصحابنا يجب الرقي على الصفا والمروة بقدر قامة ، وهذا ضعيف ، والصحيح المشهور لا يجب ، لكن الاحتياط أن يصعد للخروج من الخلاف انتهى .

Marfat.com

وذكر الأزرقي[1] ذرْع ما بين الصفا والمروة لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم : ومن الصفا إلى المروة طواف واحد سبعمائة ذراع وستة وستون ذراعاً ونصف يكون السبع بينهما خمسة آلاف وثلاثمائة ذراع وخمسة وستين ذراعاً ونصف ذراع[1] انتهى ، وقد حرّرت أنا ذرْع ذلك فجاء من وسط جدار الصفا وهو من محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرج الذي بالمروة من داخله ستمائة ذراع وثلاثة وسبعون ذراعاً بالحديد ، بتقديم السين ، وسبعة أثمان ذراع يكون ذلك بذراع اليد سبعمائة وسبعين ذراعاً وسُبع ذراع بتقديم السين في السبعمائة ذراع ، وفي السبعين ، وفي السبع ، ومن محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرجة العالية بالمروة التي كهيئة الدكة الكبيرة من داخل الدرج ستمائة ذراع وثمانون ذراعاً إلاّ ثُمن ذراع ، بذراع الحديد ، يكون ذلك باليد سبعمائة ذراع وسبعة وسبعين ذراعاً بتقديم السين في السبعمائة وفي السبعة وفي السبعين ، وما ذكره الأزرقي في مقدار ما بين الصفا والمروة يدلّ[2] أنه لم يرد به إلى ما وراء الدرج بالمروة ، وإنما مراده إليه أو ما قرب منه ، لأنه لو أراد إلى ما وراء الدرج لم يكن المقدار الذي ذكره موافقاً لذلك لِما فيه من النقص عن ذلك والله أعلم .

وما ذكرناه في مقدار ما بين وسط عقود الصفا والدرج الذي بالمروة في اعتبار ذرْع ذلك باليد يقرب مما ذكره الأزرقي لم يعتبر ما ذكره من الموضع الذي اعتبرناه منه ، وإنّما اعتبر ذلك من طرف العقد الذي يلي العقد الوسط والله أعلم .

وذرْع عقود الصفا الثلاثة أحد وعشرون ذراعاً بالحديد إلاّ ثُمن ذراع بالحديد وطول الدرجة الأخيرة من درج الصفا السفلى التي تلي الأرض في محاذاة الثلاثة

---

(١) أخبار مكة ٢/ ١١٩ .

(٢) أخبار مكة ٢/ ١٢٠ .

(٣) في النسخة (ك) : علي .

Marfat.com

العقود التي بالصفا اثنان وعشرون ذراعاً بالحديد ، وذكر النووي أنّ عرض فتحة الدرج الذي كان على الصفا نحو خمسين قدماً انتهى ، وذكر الأزرقي شيئاً من خبر درج الصفا والمروة ، فنذكر ذلك لإفادته لأنه قال فيما رويناه عنه : حدّثني جدّي أحمد بن محمد قال : كانت الصفا والمروة يشتد[1] فيهما من سعى بينهما ، ولم يكن[2] بينهما بناء ولا درج حتى كان عبد الصمد بن علي في خلافة أبي جعفر المنصور ، فبنى درجهما التي هي اليوم درجهما ، فكان أول من أحدث بناءها ، ثم كمل بالنَّوْرَة في زمن مبارك الطبري وذلك في خلافة المأمون انتهى .

وذكر الأزرقي أنّ درج الصفا أربع عشرة درجة[3] .

وذكر ابن جبير أنّ درج الصفا أربع عشرة درجة[4] ، وذكر النووي أنّ درج الصفا إحدى عشرة درجة[5] ، وسبب هذا الاختلاف أنّ الدرج يعلو عليها التراب فينفخها ، وما أظن النووي شاهد ما ذكره من عدد درج الصفا ، وإنّما قلّد في ذلك الأزرقي وغيره من المصنّفين ، لأنه يبعد أن تعلو الأرض في عهد النووي إلى اليوم عُلُوّاً يغيب به من درج الصفا القدر الذي وجدناه مدفوناً ، والله أعلم ، ويتأيّد ذلك بأنّ سليمان بن خليل قال في الردّ على أبي حفص بن الوكيل من الشافعية في إيجابه الرقي على الصفا والمروة ، وتعليله إيجاب ذلك بأنه لا يمكن استيضاح ما بينهما إلاّ بالرقي عليهما ، وقد كان هذا قبل أن يعلو الوادي لأنّ الدرج كانت كثيرة ، وكان الوادي نازلاً حتى إنه كان يصعد دَرَجاً كثيراً ليرى البيت حتى قيل : إنه كانت عِير الفرسان في المسعَى والرماح قائمة معهم ، ولا يرى مَن في المسجد

---

(١) في أخبار مكة ٢/ ١٢٠ « يسند » .

(٢) في النسخة (ك) بدون : « يكن » ، وفي أخبار مكة : « فيهما » بدل « بينهما » .

(٣) ودرج المروة خمس عشرة درجة . (أخبار مكة ٢/ ١١٩) وفي رحلة جبير ٨٤ : « وأدراج المروة خمسة » .

(٤) رحلة ابن جبير ٨٤ .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ١ ق ٢/ ١٨١ .

Marfat.com

إلاّ رؤوس الرماح ، فأما اليوم فإنه يرى البيت من غير أن يرقى على شيء من الدرج انتهى ، ووجه الدلالة من هذا على ما أشرنا إليه أنّ عصر سليمان بن خليل وعصر النووي متقاربان ، وسليمان مات قبل النووي بنحو خمسة عشر سنة ، وإذا كان البيت يُرَى في عصره من غير رقي على الصفا لعُلُوّ الأرض فيكون الحال هكذا في عصر النووي ، والله أعلم .

الحادي عشر : طريق ضَبٌّ التي يُسْتَحَبّ للحاجّ أن يسلكها إذا توجّه إلى عرفة ، وهي طريق مختصر من المُزْدَلِفة إلى عَرَفَة في أصل المأزمين من يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة ، هكذا عرّفها الأزرقي ، وإنّما يُستَحَبّ للحاجّ سلوكها ، لأنه روى أنه ﷺ سلكها حين غدا من مِنَى إلى عرفة ، نقل ذلك الأزرقي عن بعض أهل مكة[1] ، وروي عن عطاء أنه سلكها وقال : هي طريق موسى بن عمران[2] .

الثاني عشر : عَرَفَه موضع الوقوف ، هي خارج الحرم قريب منه ، روينا في تاريخ الأزرقي ، ووادي عُرَنَة بالنون[3] وفي بعض نُسَخِهَ : ووادي عرفة بالفاء ، ذكر ذلك المحبّ الطبري في شرحه للتنبيه ، وقال هكذا نقلته من نسخة مُعْتَنَى بها ، ووادي عرفة بالفاء وضبطها بفتح العين. وحكاه شيخنا أبو عمرو بن الصلاح إلا أنه قال إلى ملتقى وصيف[4] ، ووادي عُرَنَة بالنون ، وأكّد ذلك فقال بعده : وبطن عُرَنَة ووادي عُرَنَة مضافان إلى عُرَنَة بضمّ العين وفتح الراء والنّون ، قال المحبّ : قلت وفيما ذكره نظر ، لأنه أراد تحديد عرفة أولاً وآخراً ، فجعله من الجبل المشرف على بطن عُرَنَة بالنون ، فيكون آخره ملتقى وصيف ، وبطن عرفة

---

(١) في نسخة : عن بعض المكيين ، كما في أخبار مكة .
(٢) أخبار مكة ٢/١٩٣ .
(٣) عُرَنَة : بضم أوله وفتح ثانيه وثالثه ، وهو ما بين العلمين اللذين هما حدّ عرفة والعلمين اللذين هما حدّ الحرم .
(٤) كذا في الأصل .

بالفاء ، ولا يصحّ أن يكون وادي عُـرَنَة بـالنون ، لأنّ وادي عُـرَنَة لا ينعـطف على عَرَفَة ، بل هو ممتدّ مما يلي مكة يميناً وشمالاً ، فكان التقييـد بوادي عَـرَفَة أصـحّ والله أعلم ، قال : وهذا التحديد يُدْخِل عُرَنَة في عَرَفَةَ انتهى .

وقـال المحبّ الطبـري أيضاً في « القـرى » : قال الشـافعي في الأوسط من مناسكه : وعَرَفَة مـا جاور وادي عُـرَنَة وليس الـوادي ولا المسجد منهـا إلى الجبل المقابل مما يلي حائط ابن عامر وطريق الحصن وما جـاور ذلك فليس من عـرفة ، حكى ذلك صاحب « الشامل » ، وحكى الشيخ أبو حـامد الأسفـرائيني الشافعي : أنّ الشافعي قال في القـديم : وعرفـة ما بين الجبـل المشرف إلى الجبـال المقابلة يمينـاً وشمالاً ، ثم قـال ، يعني الشيخ أبـا حامـد : والجبل المشـرف أظنّـه جبـل الرحمة ، وقال في البيان : حدّ عَرَفَة ما بين الجبـل المشرف على بـطن عُرَنَـة إلى الجبـال المقابلة يمينـاً وشمالاً ممـا يلي حوائط ابن عـامـر وطـريق الحصن ، قـال المحبّ الطبري بعد حكايته لذلك قلت : وهذا موافق لما حكاه الشيخ أبو حامد ، إلاّ أنه أضاف الجبل المشرف إلى بطن عُرَنَـة فكأنـه يشير إلى الجبـل الطويـل في آخر عَرَفَة . حتى يكون مشـرفاً على أول عـرفة ، وهـذا مغايـر لما ظنّـه الشيخ أبـو حامد أنه جبل الرحمة ، وما ذكره في « البيان » هو الصـواب . والحمل على جبـل الرحمة لا يصلح ، لأنّ عَرَفَة يطيف بها ، ولو جعلنا الخنـدمة لخـرج ما خلفـه من عَـرَفَة ، ولا خـلاف عند أهـل الخبرة بهـا أنه منهـا ، ولذلـك يقف فيما خلفـه من السهل والجبل طوائف من أنواع العرب متطابقين على ذلك من غير إنكار ، ويكون ما ذكره صاحب « البيان » من الإضافة إلى بطن عرفة بالفـاء يريـد به عـرفة مـوضع الوقوف ، ولعلّه وسـطها ، حتى يكـون بطنـاً ، وربّما صُحِّف[1] قـوله بـطن عرفـة بالفاء ؛ فقيل بطن عُرُنَة بالنون ، وظنّ أنّ التقييد بالفـاء غلط ، وليس كذلـك ، بل هي بطن عرفة بالفاء ، واستدلّ على ذلك بما يؤيّده . انتهى .

قلت : وحدّ عرفـة من جهة مكـة الذي فيـه هذا الاختـلاف الآن بيّن ، وهو

---

(١) في النسخة (ك) : صف ، وهو خطأ .

Marfat.com

علمـان بين العلمين اللذين هما حـدّ الحرم إلى جهـة عـرفـة ، وكـان ثمّـة ثـلاثـة أعـلام ، فسقط أحدهم وهـو إلى جهـة المغمّس وأثـره بيّن ، ورأيت عنـده حجـراً مُلْقىً مكتـوباً فيـه : أمر الأميـر الأصفهلار[1] الكبيـر مظفـر الـدين بن زيـد الـدين صاحب إربل حسام أمير المؤمنين بإنشاء هذه الأعلام الثلاثة بين منتهى أرض عرفة ووادي عُـرَنَة لا يجـوز لحاج بيت الله العـظيم أن يجاوز هـذه الأعلام قبـل غـروب الشمس ، وفيه كان ذلـك بتاريـخ شعبان من شهـور سنة خمس وستمـائة . ورأيت مثـل ذلك مكتـوباً في حجـر مُلْقىً في أحد العلمين البـاقيين ، وفي هذين العلمين مكتوب : أمر بعمارة عَلَمَيْ عرفات ، وأضاف كـاتب ذلك هـذا الأمر للمستـظهري العباسي ، ثم قال : وذلك في شهور سنة أربعٍ وثلاثين وستمائة .

ذكر مقدار ما بين باب بني شيبة وهذين العلمين

من بـاب بني شيبة إلى العلمين المشـار إليهما أربعـون ألف ذراع وثلاثمـائة ذراع وأحد وثمانون ذراعاً وستـة أسباع ذراع بـذراع اليد ، يكـون ذلك أميـالاً على القول بأنّ الميل ثلاثـة آلاف ذراع وخمسمائـة ذراع : أحد عشـر ميلا ونصف ميـل ورُبـع سُبع يـزيد ستـة أذرع وستـة أسبـاع ذراع .ومن بـاب المعـلّاة إلى العلمين المشار[2] إليهما ثمانية وثلاثون ألف ذراع ومائتا ذراع وأربعة وخمسون ذراعـاً وستة أسباع ذراع بذراع اليد أيضاً ، يكون ذلك أميالاً على القول بـأنّ الميل ثـلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : عشرة أميال وأربعـة أخماس ميـل وعشر ميـل وخُمس سُبْع يزيد أربعة أذرع وستة أسباع ذراع بالذراع المذكور ، وذكرنا في أصل هـذا الكتاب مقدار ذلك على مقتضى الأصول الثلاثة في مقدار الميـل ، في اعتبار المسـافة من باب المعلّاة ، وفي اعتبار المسافة من باب بني شيبة .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع من الشفاء ١/٣٠٢ ، والصحيح « الأصفهسلار » بإضافة السين بعـد الهاء ، وهو لقب فارسي للأمير على خمسة عشر فارساً .

(٢) في نسخة : المذكورين ، بدل قوله : المشار إليهما .

Marfat.com

ذكر تعيين موقف النبيّ ﷺ من عَرَفَة

قد قام على تحريره جماعة من العلمـاء ولم أر لأحد منهم في ذلـك مثل مـا رأيت للقاضي بدر الدين بن جماعة ، ولذلك اقتصرت هنـا على ذِكْره في ذلـك : أخبرني خالي قاضي الحرمين محبّ الدين النويـري ؛ قال : أخبـرني القاضي عـزّ الدين بن جماعـة قال في منسكـه : وينبغي تحرّي مـوقف سيّدنـا رسول الله ﷺ ، وقد اجتهد والدي تغمّده الله برحمته في تعيينه وجمع فيه بين الروايات فقال : إنـه الفجـوة المستعلية المشـرفـة على المـوقف ، وهي من وراء المـوقف صـاعـدة في الرابية ، وهي التي عن يمينهـا ووراثها صخـرتان متّصلتـان بصخر الجبـل المسمَّى بجبل الرحمة ، وهذه الفجوة بين الجبل المذكور والبناء المربّـع عن يساره ، وهي إلى الجبـل أقرب بقليـل ، بحيث يكون الجبـل قبالـة الواقف إذا استقبـل القبلة ، ويكون طرف الجبل تلقاء وجهـه ، والبناء المـربّع عن يسـاره بقليل . وقـال : ذكر والدي رحمه الله أنـه وافقه على ذلـك من يعتمد عليـه من محدّثي مكـة وعلمائهـا حتى حصل الظنّ بيقينه ، قال : فإن ظفر بموقف النبيّ ﷺ فهو الغاية في الفضل ، وإن خفي عليه وقف بين الجبل والبناء المربّع على جميع الصخرات والأماكن التي بينها لعلّه أن يصادف الموقف الشريف النبويّ فتفاض عليه بركاته انتهى .

قلت : البناء المربّع المشار إليه في هذا الكـلام هو الـذي يقال لـه بيت آدم بعرفة ، وكان سقاية للحاجّ ، أمرت بعملها العجوز والدة المقتـدر العباسي ، على ما هو مكتوب في حجر في حائطها القبلي ، ومن ركن هذه السقاية الذي يلي جبل الرحمة من جهة مكة إلى الموضع الذي فيه الآن المحامل بعـرفة مـائة ذراع وأحـد عشر ذراعاً بالحديد ، يكون ذلك بذراع اليد مائة ذراع وستة وعشـرين ذراعاً وستـة أسباع ذراع ، ومن موقف المحامل الآن بعرفة إلى ما يقابله من جهـة جبل الـرحمة سبعة بتقديم السين وثلاثون ذراعاً بالحديد ، يكون ذلك بـذراع اليد اثنين وأربعين ذراعاً وسُبْعيْ ذراع . ومن موقف المحامل بعرفة إلى ركن مسجـد نَمِرَة الـذي يلي

عرفة والطريق ثلاثة آلاف وثلثمائة ذراع وخمسةٍ وتسعون ذراعاً بتقديم التاء وربع ذراع ، يكون ذلك بذراع اليد ثلاثة آلاف ذراع وثمانمائة ذراع وستة وسبعين ذراعاً بتقديم السين ، وذلك ميل وثلاثة أرباع سُبْع ميل يزيد ذراعاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع .

ومن جدار باب بني شيبة إلى الموضع الذي يقف فيه المحامل الآن بعرفة ثلاثة وأربعون ألف ذراع وثمانية وثمانون ذراعاً وسُبع ذراع بذراع اليد ، يكون ذلك على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ، اثني عشر ميلاً وخُمس ميل وعُشر ميل وعُشْر عُشْر ميل يزيد ثلاثة أذرع وسُبع ذراع ، ومن عتبة باب المُعَلاّة إلى موقف المحامل الآن بعرفة أربعون ألف ذراع وتسعمائة ذراع بتقديم التاء وإحدى وستون ذراعاً وسُبع بذراع اليد ، يكون ذلك على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع إحدى عشر ميلاً وثلاثة أخماس ميل وعُشر ميل وخُمس سُبْع عُشْرٍ ميل ، يزيد ذراعاً وسُبع ذراع ، ولا فضيلة للوقوف على الجبل الذي يقال له جبل الرحمة بعرفة ، لأنّ مالكاً كره الوقوف على جبل عرفة ، وكان هذا الجبل صعب المرقى فسهّله الوزير الجواد الأصفهاني ، وبنى فيه مسجداً ومصنعاً للماء، والقبة التي فيه الآن جُدِّدت في سنة تسعٍ وتسعين وسبع مائة بعد سقوطها في التي قبلها ، وعمارتها من مالٍ أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر ، وما عرفت في أيّ وقت عُمِّرت هذه القبة بهذا الجبل ، وكانت موجودة في سنة تسعٍ وسبعين وخمسمائة على ما ذكر ابن جبير ، وذكر أنّها تُنْسَب لأمّ سَلَمَة رضي الله عنها[1] ، والله سبحانه وتعالى أعلم بصحّة ذلك .

ذكر مسجد عرفة وحكم الوقوف فيه

مسجد عرفة هو الذي يصلّي فيه الإمام بالناس يوم عرفة ، وما ذكرناه من أنه مسجد عرفة يوافق ما ذكره الأزرقي في غير موضع من كتابه .

(١) رحلة ابن جبير ـ ص ١٥٣ .

Marfat.com

وذكر المحبّ الطبري أنّ المتعارَف فيه عند أهـل مكة وتلك الأمكنـة مسجد عرفة بالفاء ، وقيل إنه من عُرَنَة بالنون ، وهو موافق لِما ذكره الشـافعي ، كما سبق في حدّ عرفة ، وتقييد ابن صلاح[1] على ما نقل عنه المحبّ الطبري ، لأنه قال : ويقال له مسجد عُرَنَة بالنـون وضمّ العين ، كذلـك قيّده ابن الصـلاح في منسكه ، ثم عقّب ذلك بقولـه : والمتَعارَف فيـه إلى آخر كـلامه ، وجـزم النووي في كتـابه « الإيضاح » بأنه مسجد عُرَنَة بالنون ، وذكـر ابن الجلّاد من أصحـابنا المـالكية مـا يقتضي أنـه ليس من عرفـة بالفـاء ، وذكر ابن المـواز أنّ حـائـطه القِبلي على حـدّ عـرفة ، ولـو سقط لسقط في عرفـة انتهى ، وقيل مقـدم هـذا المسجـد من عُـرَنَـة بـالنون ، ومؤخّـره من عـرفـة بـالفـاء ، ذكـر ذلـك جمـاعـة من الأئمـة الشـافعيـة الخُـراسانيين ، منهم الشيـخ أبو محمـد الجـويني وابنـه إمـام الحـرمين والقـاضي الحسين في تعليقه والرافعي ، قال الشيخ أبو محمد : ويتميّز ذلك بصخـرات كبار فُرشت في ذلك الموضع انتهى .

وتظهر ثمـرة الخلاف في رجـل أخّر الـوقوف بـه ، وتوقّف مـالك في إجـزاء الوقوف بهذا المسجد ، وفيه لأصحابنـا قولان : المنـع لأصبغ ، والإجـزاء لمحمد ابن المواز ، وهو مقتضى كلام الشيخ خليل الجندي في مختصره الذي صنّفه لبيان ما به الفتوى ، مع كراهة الوقوف بهذا المسجد ، وما قاله الفقهاء المشـار إليهم من أنّ هذا المسجد كلّه من عرفة أو بعضه يخالف مقتضى رأي من جعل حدّ عرفة من جهة مكة الأعلام الثلاثة التي عمّرها المظفر صاحب إربل ، وعمّر منهـا المستنصر العبـاسي العَلَمَين المـوجـودين الآن ، لأنّ فيهمـا مكتـوبـاً أنّ صـاحب إربـل أمـر بإنشائهما بين منتهى أرض عرفة بالفاء ووادي عُرَنَة بالنون ، ووجه مخالفته ذلك لِما ذكر الفقهاء في هذا المسجد أنّ من ركن المسجـد المشار إليـه مما يلي عـرفة إلى محاذاة العَلَمَين الموجودين الآن سبعمائة ذراع بتقديم السين وأربعـة وسبعين ذراعاً بتقديم السين أيضاً ورُبع ذراع وثُمن ذراع ، كل ذلك بذراع الحديد ، يكـون ذلك

---

(١) في النسخة (ك) : الصلاح . وهو الأصح .

Marfat.com

بذراع اليد ثمانمائة ذراع وخمسة وثمانين ذراعاً ، ومقتضى كون هذه الأعلام علامة لحدّ عرفة أن يكون المسجد المشار إليه ليس من عرفة ، وكذلك المسافة التي بين المسجد وبين الأعلام المشار إليها ، وذلك يخالف ما ذكره الفقهاء المشار إليهم ، والله أعلم بالصواب .

ويقال لهذا المسجد مسجد إبراهيم وإبراهيم المنسوب إليه هذا المسجد هو الخليل عليه السلام كما هو مقتضى كلام الأزرقي في غير موضع[1] وجزم به الرافعي والنووي ، وأنكر ذلك القاضي عزّ الدين بن جماعة ، قال : وليس لذلك أصل ، وخطّأ الشيخ جمال الدين الأستاذ الرافعي والنووي فيما ذكراه من نسبة هذا المسجد للخليل عليه السلام ، وذكر أنّ ابن سُرَاقة سبقهما إلى هذا الخطأ في كتابه « الأعداد » ، وفيما ذكره الإسنوي وابن جماعة نظر لمخالفته ما يقتضيه كلام الأزرقي ، وهو عُمْدَة في هذا الشأن ، كيف وقد وافقه عليه غير واحد من كبار العلماء ، ومنهم ابن المنذر ، فيمّا نقله عنه سليمان بن خليل ، والله أعلم ، ولم يذكر الأزرقي الوقت الذي بُني فيه هذا المسجد . وذكر ابن عبد البَرّ أنه بُني هذا المسجد بعد مصير الأمر لبني هاشم بعشر سنين ، هكذا نقله عن ابن عبد البَرّ الشيخ خليل في توضيحه على مختصر ابن الحاجب ، وبه فسّر قوله : وإنّما حدث بعد بني هاشم بعشر سنين ، لأنه يوهم أنه حدث بعد انقراضهم ، وعلى هذا يكون بُني هذا المسجد في أوائل عُشْر الخمسين ومائة ، والله أعلم[2] .

ذكر هذا المسجد وشيء من صفته

طوله من بابه إلى جداره القِبْلي مائة ذراع وأحد وتسعون ذراعاً ورُبع ذراع ، وعرضه من وسط جداريه مائة وأربعون ذراعاً إلاّ ثلث ذراع وارتفاع محرابه ستة أذرع إلاّ ثلث ، ودخوله في الجدار ذراعان ، وسعة فتحته ثلاثة أذرع إلاّ ثُمن ،

---

(١) أخبار مكة ٢/٢٠٢ .

(٢) في مرآة الحرمين : أن مسجد عرفة بناه الوزير محمد بن علي بن المنصور المعروف بالجواد الأصفهاني ، في سنة ٥٥٩ هـ كما جاء في كتاب « منائح الكرم » (ص ٤٤ مرآة الحرمين) .

Marfat.com

والمنبر عَشْر درجات مبنيّة بالحجارة، وارتفاعه إلى الدرجة العليا أربعة أذرع ونصف، والذراع المشار إليه في هذا الاعتبار هو ذراع الحديد المتقدّم ذكره. وهذا المسجد جميعه مكشوف ليس فيه رواق ، وقد ذكر الأزرقي في تاريخه صفة هذا المسجد في زمنه[1] ، وذرْعه بذراع اليد ، وذكرنا كلامه في أصل هذا الكتاب ، واقتصرنا على ما ذكرناه هنا من ذرْعه لأنه أبلغ في التعريف ، وكان تحرير ما ذكرناه بحضوري .

ذكر تسمية عرفة بعرفة وما يتعلق بجمعها وصرفها وحكم الإحياء بها

وأما سبب تسميتها عرفة فَلِتَعَارُفِ آدم وحواء فيها ، لأنّ آدم أُهبِط بالهند ، وحوّاء بجدّة ، فتعارفا بالموقف ، قاله الضحّاك ، وقيل : لأنّ جبريل عليه السلام عَرَّف الخليل عليه السلام فيه المناسك يوم عرفة . وقيل : الناس يعترفون فيها بذنوبهم ، وقيل غير ذلك من الأقوال التي ذكرناها في أصل هذا الكتاب ، وهي تسعة أقوال ، والله أعلم بالصواب ، وأما جمْعها وصرْفها ، فذكر جوازه جماعة من العلماء منهم النووي لأنه قال : وجُمعت على عرفات وإن كان موضعاً واحداً لأن كل جزء منه يسمّى عرفة ، ولهذا كانت معروفة كقصبات ، قال النحويّون : ويجوز ترك الصرف كما يجوز ترك صرف غايات[2] وأذرعات على أنها اسم مفرد لبقعة[3] . انتهى .

وأما حكم الإحياء بها فإنه لا يجوز ولا يُملَّك ، على ما قال الحسين بن علي الطبري ، فيما نقله عنه ابن خليل ، وعلّل ذلك بأنها مُتَعَبَّد ومنسك لعامّة الناس ، فصارت كالمساجد ، وحكى النووي في ذلك ثلاثة أوجه ، قال : والأصحّ المنع مطلقاً ، وهذا أشبه بالمذهب ، انتهى .

---

(١) راجع أخبار مكة ٢ /١٨٧ وما بعدها .
(٢) في تهذيب الأسماء « عامات » .
(٣) تهذيب الأسماء واللغات ـ ق ٢ ج ٢/٥٦ .

Marfat.com

الثالث عشر : عُرَنَة بالنون ، الموضع الذي يجتنب الحاجّ الوقوف فيه ، وهو من العَلَمَين اللذين هما حدّ عرفة ، والعلمين اللذين هما حدّ الحرم من هذه الجهة ، وذكر ابن حبيب المالكي أنها من الحرم ، وذلك لا يصحّ على ما ذكر المحبّ الطبري في « القرى » ، وذكر أنها عند مالك من عرفة ، وحكاه ابن المنذر أيضاً عن مالك ، وفي صحّة ذلك عنه نظر ، لأنه توقّف في إجزاء الوقوف بمسجد عرفة مع كونه مختلفاً فيه . هل هو من عَرفة أو من عُرَنَة ؟ أو بعضه من عَرفة بالفاء ، وبعضه من عُرَنَة بالنون ؟ فكيف تكون عُرَنَة بالنون كلّها من عَرفة بالفاء عند مالك ، ولعلّ من نسبه إليه أنه يرى أنّ عُرَنَة بالنون من عَرفة بالفاء ، أخذ ذلك مما وقع لمالك من إجزاء الوقوف بهذا المسجد ، لأنّ ابن الجلّاد ذكر أنّ الوقوف ببطن عُرَنَة مكروه . قال : ومن وقف به أجزأه وقوفُه . وبطن عُرَنَة[1] هو المسجد الذي يصلّي فيه الإمام . انتهى . ولا يلزم من كون مالك يرى إجزاء الوقوف بهذا المسجد أنه يرى عُرَنَة بالنون كلّها من عَرفة بالفاء لاحتمال أنه يرى أنّ هذا المسجد من عَرفة بالفاء ، لِما حصل له عنده من ضَعْف الشُبْهة التي توقّف لأجلها في إجزاء الوقوف بهذا المسجد والله أعلم .

وذكر المحبّ الطبري أنّ حدّ عَرفة الذي ذكره الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي دخول عُرَنَة من عَرفة ، وقد سبق في ذكر عُرَنَة ما ذكره الأزرقي في حدّ عرفة ، واستدلال المحبّ الطبري منه على دخول عُرَنَة في عَرفة ، ثم قال تِلْوَ ذلك : ويؤيّد ذلك ما استدلّ به أصحابنا على أنها ليست منها ، وهو قوله ﷺ : وارتفعوا عن بطن عُرَنَة . ولا دلالة فيه على ما قالوه ، بل دليل على مَذهب مالك ، فإنّ أمره بالارتفاع عنها يُشْعِر بذلك ، وتؤيّده الرواية الأخرى : عَرفة كلّها موقف إلّا عُرَنَة ، والاستثناء دليل على دخول المستثنى في المستثنى منه ، والاستثناء المنفصل على خلاف الأصل .

نعم فيه دليل على اختلاف حكم الوقوف فيه وفي عرفة ، وهو عند مالك

---

(١) سقطت هذه الكلمة في النسخة (م) .

Marfat.com

كـذلك ، وعلى المـذهب فمتى وقف في شيء من حدود عَـرفة صـحّ حجّه . وإذا وقف في غيره لا يصحّ حجّه انتهى . وعُرَنَة بضمّ العين وفتح الـراء المهملة ، هذا هو المشهور فيها . وقيل أيضـاً : بضمّ العين والراء . وقيـل : بضمّ العين وسكون الراء ، ذكره ابن عبد السلام المالكي في شرحه لابن الحاجب الفرعي .

الرابع عشر : قُزَح ، الموضع الذي يُستَحَبّ فيه للحاجّ أن يقف عنده غـداة يوم النحر ، هو مكان بالمزدلفـة ، وهو المكـان الذي يجتمـع الناس عنـده للدعاء غـداة يوم النحـر ، ويُعرف بـالمَشْعَر الحـرام . أشـار إلى ذلـك المحبّ الـطبـري وغيره ، قال في « شرح التنبيه » : وقُـزَح بقاف مضمـومة ثم زاي مفتـوحة ثم حـاء مهمَلَة في وسطه ، مزدلفة وقد بني عليهـا بناء من يمكنـه من الوقـوف عليه وقف ، وإلّا وقف عنده مستقبل القبلة ويكثر من التلبية ، ويـدعو بمـا تقدّم ، ولا ينبغي أن يفعل ما تـطابق الناس على فعله من النـزول بعد الـوقوف عليـه من درج في وسطه ضيّقة يزدحم الناس فيها . وذلك بدعة . بل يكون نزوله من حيث رُقِيّه من الـدرج الظاهرة .

وذكر الإمام أبو عمرو بن الصلاح : أنّ قُزَح جبل صغير في آخر المزدلفـة ثم قال : وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضـع الذي ذكـرناه ببنـاء مستحدَث في وسط المزدلفة . ولا يتأدَّى به في هذه السنة ، قـال المحبّ : والظاهـر ، أنّ البناء إنّما هو على الجبل كما تقـدّم ، والمشاهـدة تشهد بصحّـة ذلك ، ولم أر مـا ذكره لغيره ، انتهى ما ذكره المحبّ الطبري بنصّه ، وذكر في كتابه « القِرى » مثله .

وذكر النووي في « الإيضاح » أنّ الأظهر أنّ للحـاجّ تحصيل السُّنَّـة بالـوقوف على البناء المستحدَث . وقد ذكرنا في أصل هـذا الكتاب صفـة البناء الـذي على قُزَح قديماً وحديثاً وخبر الوقيد فيه ، ونشير هنا إلى شيء من ذلك .

أما صفة البناء الذي على قُـزَح الآن[1] فإنـه بناء مـربّع يشبـه المنارة ، وفي

---

(١) أي سنة ٨١١ هـ وهي السنة التي ذَرَعَ الفاسي فيها هذا الموضع ، كما سيأتي في المتن .

أعلاه اثنتان وعشرون شرافة ، منها في الجهة القبلية سبع شرافات ، وفي بقية الجهات خمس من كل جهة . وله درج من ظاهره وباطنه . وعدد الذي من ظاهره أربع وعشرون ، والذي من باطنه عشرون ، وارتفاعه في السماء ثلاثة عشر ذراعاً ، بذراع الحديد المستعمل في القماش بمصر ومكة . وذلك من الأرض إلى أعلى الشراريف ، وارتفاعه من الأرض إلى أعلى السطح بغير الشراريف ينقص عن ذلك ذراعين ونصف تقريباً . وذرْع تربيعه من كل ناحية اثنا عشر ذراعاً ونصف ذراع ، بالذراع المشار إليه ، إلاّ أنّ الجهة الشرقية منه تنقص عن بقيّة الجهات ثلث ذراع ، وكان اعتبار ما ذكرناه من ذرعه وصفته في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثمانمائة بحضوري . وصفته هذه تخالف صفته التي ذكرها الأزرقي[1] ، واقتصرنا عليها لكونها أبلغ في تعريفه ، ولم أعرف متى بُني هكذا . وبناه في الجاهلية قُصَيّ بن كِلاب جدّ النبيّ ﷺ ، على ما ذكره ابن عبد ربّه في « العِقْد الفريد »[2] .

وأما خبر الوقيد عليه فإنهم كانوا يوقدون فيه بالشمع[3] في خلافة الرشيد ، فلما مات كانوا يوقدون عليه بمصابيح كبار ، ثم صاروا يوقدون عليه بمصابيح صغار . هذا ملخّص ما ذكره الأزرقي في خبر الوقيد عليه ، وذكر أنه كان يوقد عليه في خلافة الرشيد النار والحطب[4] ، ولم أعرف هل أراد بذلك في الجاهلية أو في الإسلام ، والله أعلم .

وسيأتي ذرْع ما بين قُزَح وباب بني شيبة ، وما بين قُزَح وبين باب المُعَلاّة عند ذِكْر المَشْعَر الحرام ، والأصل في استحباب الوقوف على قُزَح ما رويناه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ لما أصبح بجَمْعٍ[5] أتى قُزَحَ فوقف

---

(١) راجع أخبار مكة ٢/١٨٨ .

(٢) لم أجد هذه المعلومة في « العقد الفريد » .

(٣) في أخبار مكة « بالحطب » .

(٤) أخبار مكة ٢/١٨٧ .

(٥) جمع : بفتح فسكون ، هو المزدلفة ، سُمّي بذلك لاجتماع الناس فيه .

عليه وقال : هذا قُزَح وهو الموقف ، وجَمْعٌ كلّها موقف ، أخرجه أبو داود[1] والترمذي[2] وقال : حسن صحيح انتهى .

الخامس عشر : كَدَاء ، الموضع الذي يُسْتَحَبّ للمُحْرِم دخول مكة منه ، وهو الثنيّة التي بأعلا[3] مكة التي يهبط منها إلى المقبرة المعروفة بالأبطح ، ويقال لها الحَجُون الثاني . وما ذكرناه في تعريف كَدَاء هذا ، ذكر الفاكهي ما يوافقه لأنه قال في تعريفه : لما في شقّ مُعَلاّة مكة الشامي كَدَاء : الجبل الشارع على المقبرة والوادي ، وله يقول حسّان بن ثابت يوم الفتح :

عدمت ثَنِيّتي إنْ لم تروها تُثِيرُ النّقْعَ عن كتفي كَدَاء[4]

وقال الفاكهي بعد أن ذكر شِعْب المقبرة في هذه الجهة وشيئاً من خبره : ومن ثنيّة المقبرة دخل رسول الله ﷺ في حجّة الوداع ، وقال بعضهم : قيل : إنّ ثنيّة المقبرة هو كَدَاء ، وهو مُشْعِر بتضعيف هذه المقالة لكونها حُكيتْ بصيغة التمريض لأنّ النبيّ ﷺ إذا كان دخل من هذه الثنيّة كَدَاء فلأنّ الأخبار وافرة صحيحة في أنّ النبيّ ﷺ حين حجّ من المدينة دخل إلى مكة من كَدَاء ، وفي تاريخ الأزرقي ما يوافق ما ذكره الفاكهي من دخول النبيّ ﷺ في حجّة الوداع من هذه الثنيّة[5] ، وذلك يقتضي أن تكون أنّ هذه الثنيّة كَدَاء للمعنى السابق ، والله أعلم .

وفي كلام غير واحد من المتأخرين تسمية هذه الثنيّة بكَدَاء . منهم سليمان بن خليل ، والمحبّ الطبري ، والنووي ، وقال المحبّ : هي بالفتح والمدّ تصرف على إرادة الموضع ، وبتركه على إرادة البقعة انتهى ، وقد ذكر

---

(١) سنن أبي داود ٢/١٩٣ رقم ١٩٣٥ كتاب المناسك .

(٢) رقم ٨٨٥ في الحج ، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف . وهو فيه طويل .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) هكذا ورد البيت في النسختين ، والصحيح أنّ روايته هكذا :

عَدِمنا خَيْلَنَا إنْ لم تَرَوْها تُثيرُ النُقْعَ موعدها كَدَاء

وسيأتي البيت صحيحاً بعد قليل .

(٥) أخبار مكة ٢/٢٨٦ .

Marfat.com

الأزرقي شيئاً من خبر هـذه الثنيّـة ، وهي الآن بحـاميم الأحـداث[1] التي بين دار السريّ إلى ثنيّة المقبرة ، وهي التي قبر أمير المؤمنين أبي جعفر بـأصلها ، قـال : يعـرّفها بـالحاميم[2] وأولهـا القرن الـذي بثنيّة على رأس[3] بيـوت ابن أبي حسين النوفلي والذي يليه القرن المشرف على دار منارة الحبشي فيما بين ثنيّة المدنيين[4] وهي التي كـان ابن الزبيـر مصلوباً عليهـا ، وكان أول من سهّلهـا معـاويـة بن أبي سفيـان رضي الله عنه ، ثم عملهـا عبد الملك بن مـروان ، ثم كـان آخـر من بنى ضفائرهـا ودرجها وجُـدُرَها[5] المهـديّ انتهى ، وذكر ذلـك الفاكهي لأنـه لم يجزم بكون معاوية أول من سهّل هـذه الثنية ، وحكى بصيغـة التمريض ، وقـال أيضاً : ويقـال إنّ ابن الزبيـر أول من سهّلها انتهى ، فيستفـاد مما ذكـره الأزرقي والفاكهي قولان في أول من سهّل هذه الثنيّة ، والله أعلم بالصواب .

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة سهّل بعض المجاورين بمكـة ، أثابـه الله ، في النّصف الثاني من سنة سبع عشرة وثمانمائة طريقـاً في هذه الثنيّـة غير الـطريق المعتـادة ، وهـذه الـطريق تكـون على يسـار الهـابط من هـذه الثنيـة إلى المقبـرة والأبطح ، وكانت خرْجة ضيّقـة جداً ، فتحت مـا يليها من الجبـل بالمعـاول حتى اتسعت ، فصارت تسع أربع مقاطير من الجمال محمّلَة ، وكانت قبل ذلك لا تسع إلّا واحداً ، وسُهِّلت أرضها بتراب رُدِم فيها حتى استوت ، وصار الناس يسلكونهـا أكثر من الطريق المعتادة ، وجعل بينهما حاجـزاً من حجارة مـرصوصـة ، وكان في بعض هذه الطريق قبور فأُخفي أثرها .

السادس عشر : كُدَى ، الموضـع الذي يُستَحَبّ الخـروج منه لمن كـان في

---

(١) كذا في المطبوع من الشفاء ١ / ٣٠٩ ، وفي أخبار مكة : « يحاميم الأحداب » .
(٢) في أخبار مكة « اليحاميم » .
(٣) في المطبوع من الشفاء ١ / ٣٠٩ « التي ثنيّة الدمسين على رامسه » وهو كلام لا معنى له .
(٤) في المطبوع من الشفاء « الدمسين » ولا معنى لها .
(٥) في أخبار مكة ٢ / ٢٨٦ « حدّدها » .

طريقه هو الثنيّة التي بأسفل مكة التي بُني عليها بابها المعروف بباب الشبيكة على ما يقتضيه كلام المحبّ الطبري في « شرح التنبيه » لأنه قال فيه : وكُدًى التي يخرج منها الحاجّ مضمومة مقصورة ، وقد بُني عليها باب مكة الذي يتوجّه منه إلى عُمْرة التنعيم انتهى .

وباب مكة الذي أشار إليه المحبّ هو باب الشبيكة ، لأنّ الناس تتوجّه منه إلى عُمْرة التنعيم غالباً ، وذكر النووي ما يؤيّد ما ذكره المحبّ الطبري في ضبْطها ومكانها ، لأنه قال في « الإيضاح » في الباب الثالث : الرابعة : السُّنَّة أن يدخل مكة من ثنيّة كَدَاء بفتح الكاف والمدّ ، وهي بأعلى مكة ينحدر منها إلى المقابر ، وإذا خرج راجعاً إلى بلده خرج من ثنية كُدًى بالضمّ والقصر والتنوين ، وهي بأسفل مكة بقرب جبل قُعَيْقِعَان وإلى صوب ذي طَوى انتهى .

وذكر القاضي بدر الدين بن جماعة في منسكه ما يقتضي أنّ كُدًى هذه هي الثنيّة التي عندها الموضع المعروف بقبر[1] أبي لهب بطريق العُمْرة ، ونصّ كلام ابن جماعة : وإذا خرج[2] من ثنية كُدًى بالضمّ والقصر من أسفل مكة ، وهي الثنية التي يخرج إليها بباب مكة المعروف بباب الشبيكة ، وهي الثنية التي يخرج منها إلى المرجم المعروف بقبر أبي لهب يسلك منه إلى الزاهر المتقدّم ذكره وغيره ، ومنه يخرج المعتمرون انتهى . وكلام ابن جماعة ثَمَّ يخالف ما ذكره[3] المحبّ الطبري الذي يعتدّ به في معرفة ذلك ، والله أعلم بالصواب . ومن هذه الثنيّة دخل قيس بن سعد بن عبادة يوم فتح مكة على ما ذكر الأزرقي[4] ، وذكر ما يقتضي أنّ حسان بن ثابت عناها بقوله السابق في كَدَاء بالفتح ، وأنشد على غير ما أنشده الفاكهي لأنه قال :

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/ ٣١٠ : « بقرب » .
(٢) في النسخة (م) : يخرج .
(٣) في النسخة (ك) : ما قاله .
(٤) أخبار مكة ٢/ ٢٨٦ .

عَـدِمْـنـا خَـيْـلَنـا إنْ لم تَرَوْها تُثِيـرُ الـنَّقْـعَ مـوعـدُهـا كَـدَاءُ[1]

انتهى .

وبأسفل مكة ثنيّة يقال لها : كُدَيٌّ ، بالضمّ وتشديد آلياء وتنوينها ، يخرج منها إلى جهة اليمن ، ذكر ذلك المحبّ الطبري قال : وقد بُني عليها باب مكة الذي يدخل منه أهل اليمن ويخرجون ، هكذا قال في « شرح التنبيه » ، وقال في « القرى » : والثالثة كُدَيّ ، بالضمّ وتشديد الياء مصغّر ، موضع بأسفل مكة ، والأوليان هما المشهورتان ، وهذه يخرج منها إلى جهة اليمن ، هكذا ضبط عن المحقّقين ، ومنهم أبو العباس أحمد بن أحمر العُذْري ، فإنه كان يرويه على أهل المعرفة بمواضع مكة من أهلها ، حكاه عنه الحُمَيْدي ، انتهى ، وما ذكره من أنه بُني على الثنية التي يقال لها كُدَيّ بالتصغير باب مكة الذي يدخل منه أهل اليمن ويخرجون ، يخالف ما يقوله الناس فيها ، لأنهم يذكرون أنها الثنية التي يهبط منها إلى خُمّ ، وخُمّ : شِعْب مشهور ، وليس هو خُمّ الذي قال النبيّ ﷺ عند غديره : من كُنْت مولاه فعليّ مولاه[2] الوارد في فضل علي بن أبي طالب ، فإنه موضع عند الجحفة ، وبينها وبين باب مكة الذي أشار إليه المحبّ الطبري غلوتان ، والله أعلم .

وممن ذكر هذا الموضع سليمان بن خليل لأنه قال : وأما كُدَيّ بالتصغير بضمّ الكاف وفتح الدال ، فإنه جبل بأسفل مكة يخرج منها إلى اليمن انتهى ، وما ذكرناه في ضبط كَدَاء العُليا وكُدَي السفلى التي بُني عليها باب الشبيكة هو الصواب ، وضبط بعضهم العُليا بالضمّ ، وهذه السفلى بالفتح ، ونسب النووي قائل ذلك إلى الغلط والتصحيف[3] ، وذكر صاحب « المطالع » ما يشهد لمن

---

(١) البيت من قصيدة مطلعها :

عَـفَـتْ ذاتُ الأصـابـع فـالـجِـواءُ إلـى عـذراءَ مـنـزِلـهـا خَـلاء

أنظر تهذيب سيرة ابن هشام ـ ص ٢٦٠ .

(٢) في النسخة (ك) : بعد « مولاه » : الحديث .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ٢ ق ٢/١٢٣ و ١٢٤ .

Marfat.com

ضبط العليا بالضمّ ، ولكنّ المشهور فيها الفتح ، والله أعلم .

وذكر الفاكهي ما يقتضي أنّ بأعلى مكة موضعاً آخر يقال له كَـدَاء غير كَـدَاء الذي هو ثنية المقبرة ، لأنه قال : كَدَاء : الجبل المشرف على الوادي مقابل مقبرة أهل مكة ، اليوم تحته بيوت عبد الرحمن بن يزيد وابن خلف مولى العباس بن محمد ، وهو ممتدّ إلى دار الأراكة انتهى ، ذكر هذا في تعريفه لِما في شقّ مُعَلّى مكة اليماني ، وذكر ما سبق في كَـدَاء الذي هو ثنية المقبرة في شقّ مُعَلاّة مكة الشامي ، وتغاير الجهتين يقتضي مغايرة المكانين ، وذكر في موضع آخر ما يقتضي أنّ كَدًا موضعاً بأعلى مكة غير كَـدَاء الذي هو ثنيّة المقبرة ، ولم يتعرّض لضبط ذلك ، فبقي[1] المواضع أربعة ، اثنان لا تعلُّق لهما بالمناسك ، واثنان لهما تعلُّق بالمناسك ، وهما كَـدَاء الذي هو ثنيّة المقبرة ، وكُـدَيّ الذي هو في طريق المدينة ، وإنّما استُحِبَّ الخروج منه والدخول إلى مكة من أذاخر ، لكون النبيّ ﷺ فعل ذلك في حُجّة الوداع ، وأما في فتح مكة فدخل من ثنية أذاخر بأعلى مكة ، على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته ، والأزرقي ، وذكر موسى بن عقبة ما يقتضي أنّ النبيّ ﷺ دخل مكة يوم الفتح من كَدَاء بأعلى مكة ، وكذلك الزبير بن العوام رضي الله عنه[2] ، والله أعلم بالصواب . وأما عُمْرته من الجِعْرانة فدخل ﷺ مكة من أسفلها وخرج من أسفلها ، كذا في خبرٍ ذكره الفاكهي بإسناده ، وفيه من لم أعرفه ، والله أعلم .

السابع عشر : المأزمان اللذان يُستَحبّ للحاجّ أن يسلك طريقهما إذا رجع من عرفة ، هو الموضع الذي تسمّيه أهل مكة الآن المضيق بين مُزْدَلِفَة وعَرَفَة ، قال صاحب « المطالع » : المأزمان مهموز مثنًى ، قال ابن شعبان : هما جبلا مكة وليسا من المزدلفة انتهى .

---

(١) في النسخة (ك) : « فتصير المواضع » .
(٢) السيرة النبوية للإمام المعافري ٤/٩١ .

Marfat.com

وقال النووي في « التهذيب » : « والمأزمان جبلان بين عرفات ومزدلفة بينهما طريق . هذا معناهما عند الفقهاء فقولهم : على طريق المأزمين أي الطريق التي بينهما ، وأما أهل اللغة فقالوا : المأزم الطريق الضيّق بين جبلين »[1] انتهى باختصار . وذكر المحبّ معنى ذلك قال : وأنكر بعض الناس على الفقهاء ترك همز المأزمين وعَدَّه لحناً ، وهذه عبارة غير محرّرة ، فإنّ ترك الهمز في المثال جائز باتفاق أهل العربية ، فمن همز فهو الأصل ، ومن لم يهمز فعلى التخفيف ، فهما فصيحان انتهى ، وذكر الأزرقي أنّ ذرع ما بين الجبلين[2] مائة ذراع واثني عشر اصبعاً ، وذكر ذلك ابن خليل هكذا .

قلت : ومن أول هذين المأزمين مما يلي المزدلفة إلى العَلَمين اللذين هما حدّ عرفة اثنا عشر ألف ذراع وثلاثة وتسعون[3] بتقديم التاء وثلاثة أسباع بذراع اليد المتقدّم ، وقد ذكرنا في أصل هذا الكتاب مقدار ذلك بالأميال على مقتضى الأقوال الأربعة في مقداره ، ومن أول هذين المأزمين مما يلي المزدلفة إلى العَلَمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع ، بتقديم التاء ، واثنان وعشرون ذراعاً ، وذكرنا في أصل هذا الكتاب مقدار ذلك بالأميال ، ولذلك تركنا ذكره هنا .

الثامن عشر : « مُحَسِّر » الموضع الذي يُستَحَبّ للحاجّ الإسراع فيه ، هو وادٍ بين مِنَى والمزدلفة على حدّهما ، وليس منهما ، أشار إلى ذلك النووي في « الإيضاح » والمحبّ الطبري في « القرى » ، وذكر أنّ في حديث الفضل بن عباس ما يدلّ على أنه من مِنَى والحديث في الصحيحين . ونقل صاحب « المطالع » ما يدلّ على أنّ بعض « مُحَسِّر » من مِنَى ، وبعضه من المزدلفة وصوّب ذلك ، وذكر سليمان بن خليل والمحبّ الطبري ما يدلّ على أنّ « مُحَسِّر »

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ٢ ق ٢/١٤٨ .
(٢) في النسخة (ك) : مأزمي عرفات .
(٣) في النسخة (ك) : ذراعاً .

Marfat.com

الموضع الذي يقال له وادي النار ، وهو مشهور بذلك إلى الآن ، ويقال ذلك أيضاً للموضع الذي ينزله الآن بنو حسن بمنى ، وبينه وبين مُحَسِّر فلوات ، ولعلّ ذلك لقُربه من مُحَسِّر ، والله أعلم . ويقال لمحسِّر : المهلهل ، لأنّ الناس إذا وصلوا إليه في حجّهم هلّلوا فيه وأسرعوا السير في الوادي المتّصل به ، والمهلل المشار إليه مكان مرتفع عنده بركتان معطّلتان بلحف قرن جبل عال ، ويتّصل بهما آثار حائط ، ويكون ذلك كلّه على يمين الذاهب إلى عرفات ويسار الذاهب إلى مِنَى .

ولما عرَّفه ابن صلاح قال : وأول مُحَسِّر من القرن المشرف من الجبل الذي على يسار الذاهب إلى مِنَى ، ثم قال : وأهل مكة يسمّونه وادي النار . انتهى . وكون مُحَسِّر عند الموضع الذي يقال له المهلهل ، أي مشهور عند الناس ، والله أعلم . ويتأيّد ذلك بأنّ من رأس المهلل إلى منتهى مِنَى من جهة مكة ، وهو[1] العقبة التي هي حدّ مِنى تسعة آلاف ذراع ومائة ذراع وتسعة بتقديم التاء وثلاثين ذراعاً وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد ، وذلك يقارب ما ذكره الأزرقي في قدر مِنَى ، وهو على ما ذكر سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع[2] ، وذكر المحبّ وابن خليل أنه سُمّيَ مُحَسِّراً لأنّ فيل أصحاب الفيل حسر فيه أي أعيا . قلت : وفي ذلك نظر ، لأنّ ابن الأثير ذكر في « نهاية الغريب » أنّ هذا الفيل لم يدخل الحرم ، ذكر ذلك في مادة حبس ، عند قوله : حبسها حابس الفيل[3] .

وذكر الأزرقي أنّ وادي مُحَسِّر خمسمائة ذراع وخمسة وأربعون ذراعاً[4] انتهى . واتفق الأئمة الأربعة على استحباب الإسراع فيه قدر رمية حجر للراكب والماشي ، وحكى الرافعي وجهاً ضعيفاً أنّ الماشي لا يُستَحَبّ له الإسراع ، والأصل في استحباب الإسراع في هذا المكان فعل النبيّ ﷺ لذلك فيه ، وجاء في بعض الأحاديث ما يقتضي خلاف ذلك ، لكنّ الأحاديث في الإسراع أكثر

---

(١) في النسخة (ك) : طرف .
(٢) أخبار مكة ٢/١٨٦ .
(٣) النهاية لابن الأثير ـ باب الحاء مع الباء .
(٤) أخبار مكة ٢/١٨٩ و ١٩٠ .

Marfat.com

وأصحّ ، وقُدِّمت على ما خالفها لأنها مُثْبَتَة ، واختلف في تحريكه ﷺ راحلته في هذا الموضع فقيل : يجوز أنه فعل ذلك لسعة الموضع ، وقيل : إنه فعل ذلك لأجل أنّ مأوى الموضع للشياطين ، فاستحبّ ﷺ الإسراع فيه ، ولعلّه المشار إليه بقول عمر بن الخطاب حين أفاض من عرفة إلى المزدلفة :

إليك تعدو قلقاً وضينها مخالفاً دين النصارى دينها

ومُحَسِّر بميم مضمومة ثم حاء مفتوحة ثم سين مشدّدة مكسورة ثم راء مهملات هكذا ضبطه النووي وغيره .

التاسع عشر : المحصّب[1] الذي يستحبّ للحاجّ النزول فيه بعد انصرافه من مِنَى ، وهو مسيل بين مكة ومِنَى ، وهو أقرب إلى مكة بكثير ، وقد صرّح الأزرقي بحدّه من جهة مكة ، ووقع في كلامه ما يوهم حدّه من جهة مِنَى ، ونصّ كلامه : وحدّ المحصّب من الحَجُون مصعداً في الشقّ الأيسر وأنت ذاهب إلى مِنَى إلى حائط خرمان ، مرتفع على بطن الوادي[2] انتهى . والحَجُون المشار إليه في هذا الحدّ هو الجبل المتقدّم ذكره ، وقد تقدّم لنا أنه أحد الجبلين اللذين بينهما الشِعْب الذي تسمّيه الناس : شِعب العفاريت ، بالمُعَلاّة على يمين الذاهب إلى مِنَى ، ويُعرف أحد الجبلين بجبل ابن عمر ، لأنّ فيه ما يقال قبر عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وهو الذي على يمين الداخل إلى الشِعْب المشار إليه ، وإذا تقرر أنّ الحَجُون بهذا المكان ، فيكون ذلك فيه حدّ المحصّب من جهة مكة ، كما هو مقتضى[3] الأزرقي المتقدّم ذكره .

ووقع للشيخ تقيّ الدين بن الصلاح في منسكه ، والشيخ محيي الدين النووي في إيضاحه وغيره ، والشيخ محبّ الدين الطبري في « القرى » ما يوهم أنّ

---

(١) المحصّب : بالضم ثم بالفتح وصاد مهملة مشدّدة ، اسم المفعول من الحصباء ، والحصْب هو الرمى بالحصى . وهو مسيل ماء بين مكة ومنى .

(٢) أخبار مكة ٢ / ١٦٠ .

(٣) في النسخة (ك) : مقتضى كلام .

Marfat.com

حدّ المحصّب من جهة مكة دون الموضع الذي أشرنا إليه في تفسير الحَجُون . ونصّ كلام ابن الصلاح : والمحصّب بالأبطح ، وهو ما بين الجبل الذي عنده مقبرة أهل مكة إلى الجبل الذي يقابله مصعّداً في الشقّ الأيسر ، وأنت ذاهب إلى مِنَى مرتفعاً عن بطن الوادي ، وليست المقبرة منه ، وإنّما سُمّي المحصّب لأنّ السيل يجمع فيه الحصباء انتهى . وكلام النووي والمحبّ مثل هذا انتهى . وللقاضي عزّ الدين بن جماعة في منسكه الكبير في حدّ المحصّب كلام مثل هذا ، ولا تَضادّ بين ما ذكرناه في كون حدّ المحصّب من جهة مكة الموضع الذي ذكرناه في تفسير الحَجُون ، وبين ما قاله ابن الصلاح ، ومن ذكر من العلماء أنّ المقبرة ليست من المحصّب لأنّ سواد هؤلاء العلماء المشار إليهم أجمعوا على التحديد بالجبل الذي عنده مقبرة أهل مكة ، في تعريفهم المحصّب : الجبل الذي على يسار الهابط من ثنيّة كَدَاء بفتح الكاف والمدّ ، فإنّ مقبرة أهل مكة عنده أو الجبل الذي على يمين الهابط من الثنية المشار إليها ، فإنّ عنده أيضاً مقبرة لأهل مكة ، وأيّهما كان المراد ، فهو يقابل الموضع الذي ذكرناه في تفسير الحَجُون ، فيكون هذا الموضع حدّ المحصّب من جهة[1] ، ويكون ما حاذاه من المقبرة مُسْتَثْنًى من أرض المحصّب لا من طوله ، ويتّفق كلام هؤلاء الأئمة وكلام الأزرقي في حدّ المحصّب من جهة مكة ، ولو كان حدّ المحصّب طولاً من جهة مكة عند ابن الصلاح ، ومن قال بقوله من الأئمة المشار إليهم ، دون الموضع الذي أشرنا إليه في حدّ المحصّب ، وأنّ المقبرة غير داخلة في حدّه طولاً ، لقالوا حدّه من جهة مكة طرف المقبرة من أعلاها ، ولم يحتاجوا إلى التنبيه على أنّ المقبرة لا تدخل فيه ، فإنّ هذه العبارة وما شابهها تقتضي ذلك ، ولكن لما كان المحصّب من جهة مكة الموضع الذي أشرنا إليه ، ولم يكن في محاذاته سوى أحد الجبلين اللذين بينهما الثنية المشار إليها ، قالوا في تعريفه : هو ما بين الجبل الذي عند مقبرة أهل مكة ، والجبل المقابل له يعنون الحَجُون ، واستثنوا المقبرة مما بين

---

(١) في النسخة (ك) : جهة مكة .

الجبلين ، لأنّ موضعهما ليس محصّباً لمزدلفة ، فإنّ المحصّب هو ما سهل من الأرض ، لأنّ العلماء فسّروا المحصّب بأنه الموضع الذي يجتمع فيه حَصَبٌ من السيل ، وموضع المقبرة ليس بهذه الصفة ، ويدلّ لصحّة هذا التأويل أنّ المحصّب هو الأبطح ، والبطحاء على ما قال المحبّ الطبري ، ولا ريب في كون الموضع الذي أشرنا إليه من الأبطح والله أعلم .

وأما حدّ المحصّب من جهة مِنَى فوقع في كلام الأزرقي ما يوهم أنه إلى حائط خرمان ، وهو الأودان المعروفة بالخرمانية بأعلى المعابدة ، ولفظ الأزرقي الذي أوهم كون هذا الموضع جدّ المحصّب قوله في الحدّ السابق إلى حائط خرمان ، ويحتمل أن لا يكون تعرّض لحدّه ، وإن أراد أنّ الموضع الذي ينزل من المحصّب يكون على يسار الذاهب إلى مِنَى وعلى يسار الذاهب إلى حائط خرمان ، وهو أقرب والله أعلم ، لأنّي وجدت في كلام منقول عن الشافعي ما يقتضي أنّ حدّ المحصّب من جهة مِنَى جبل العيرة ، وهو بقرب السبيل الذي يقال له سبيل الستّ ، وطريق مِنَى إلى جهته لا إلى جهة مِنَى . ونصّ الكلام الذي رأيته للشافعي في ذلك على ما نقل سليمان بن خليل في منسكه ، قال الشافعي : المحصّب ما بين الجبلين ، جبل العيرة ، والجبل الآخر وهو على باب مكة بالأبطح ، هذا نقْل الشيخ أبو حامد في التعليق ، انتهى من منسك ابن خليل ، وهو يقتضي أنّ حدّ المحصّب من جهة جبل المقبرة ، وجبل العيرة حدّ الميل الثاني من الأميال التي ذكرها الأزرقي ، فيما بين باب بني شيبة وموقف الإمام بعرفة ، لأنه قال لما ذكر هذه الأميال والميل الثاني في حدّ جبل العيرة قال : وفي موضع[1] العيرة الجبل الذي عند الميل على يمين الذاهب إلى مِنَى انتهى ، وقد اعتبرنا من باب بني شيبة إلى السبيل الذي يقال له سبيل الستّ ، فجاء ميلين كل ميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ، فاستفدنا من هذا أنّ جبل العيرة عند هذا السبيل ، وأنه حدّ المحصّب من جهة مِنَى ، والله أعلم . وأما قول صاحب

---

(١) في النسخة (ك) : وفي موضع آخر .

« المطالع » : المحصّب بين مكة ومِنَى ، وهو إلى مِنَى أقرب ، فليس بظاهر ، وقد نبّه على ذلك النووي والله أعلم ، والمحصّب هو خَيْف بني كنانة التي تقاسمت فيه قريش على الكفر .

العشرون : المَرْوَة ، الموضع الذي هو منتهى السّعْي ، هو في أصل جبل قُعَيْقِعَان ، على ما قال أبو عبيد الله البكري . وقال النووي : إنها أنف من جبل قعيقعان[1] ، وذكر سليمان بن خليل سبب تسمية الصفا والمروة ، وكذلك المحبّ الطبري . ونصّ ما ذكره سليمان بن خليل : وقال جعفر بن محمد : نزل آدم على الصفا وحوّاء على المَرْوَة ، فسُمّي الصفا باسم آدم المصطفى ، وسُمّيت المَرْوَة باسم المرأة ، وهي الصخرة الملساء ، وجمع المَرْوَة المَرَوَات ، بمثل عشرة وعَشَرات[2] . ونصّ ما ذكره المحبّ الطبري في شرح الأصل الحجر الأبيض البرّاق وقيل : الذي يُقدح منه النار ، فسمّي الجبلان بذلك لتضمّنهما هذا المعنى ، والله أعلم . ثم قال : وقد بُني على الصفا والمروة أبنية حتى سترتهما ، بحيث لا يظهر منهما شيء غير يسير في الصفا قال : والمروة أيضاً في وجهها عقد كبير مشرف . والظاهر أنه جُعل علماً لحدّ المروة ، وإلاّ كان وضعه ذلك عبثاً ، وقد تواتر كونه حدّاً بنقل الخلف عن السلف ، وتطابق الناسكون عليه ، فينبغي للساعي أن يمرّ تحته ويرقى على البناء المرتفع عن الأرض ، انتهى .

قلت : البناء المرتفع الذي أشار إليه المحبّ كهيئة الدكّة ، وله درجة ، وذكر ذرْع ما بين الركن الأسود إلى الصفا ، وذرْع ما بين الصفا والمروة، وعلى المروة خمس عشرة درجة[3] انتهى ، وذكر في هذه الترجمة درج الصفا ، ونصّ كلامه على الصفا اثنتا عشرة درجة من حجارة ، انتهى ، وذكر البكري في درج

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ١ ق ٢/ ١٨١ مادة « الصفا » .
(٢) في النسخة (ك) : نمرة ونمرات .
(٣) أخبار مكة ٢/ ١١٩ .

Marfat.com

المَرْوَة مثل ما ذكره الأزرقي . وذكـر ابن جبير أنّ درج المـروة خمس درجات[1] ، وذكـر النووي أنّ فيهـا درجتين ، والذي فيهـا الآن واحدة ، والعقـد الذي بـالمروة جُدّد بعد سقوطه في آخر سنة إحدى وثمانمائة أو في التي بعـدها ، وعمـارته هـذه من نقْل الملك الظاهـر برقـوق[2] ، واسمه مكتـوب بسبب هذه العمـارة في أعلى هذا العقد ، وفي الصفا أيضاً ، وما أظنّ أنّ عقد الصفـا بُني ، وإنّما أظنّ أنـه نُوِّر وأُصلِح ، وسبب تردّدي في ذلك أنّي رحلت من مكة في آخر سنة إحدى وثمانمائة رحلتي الثانية إلى الديار المصرية والشامية ، ومن تحت هذا العقد (إلى أول درجة الدركة التي بالمروة داخل العقد)[3] سبعة أذرع ، ومن تحت العقد الذي بالمـروة إلى الذي يستدبره مستقبل القبلة ثمـانية عشـر ذراعاً وثلثـا ذراع ، كلّ ذلـك بذراع اليد ، وإتساع هذا العقد ستة عشر ذراعاً بذراع الحديد المصري ، والمروة أفضـل من الصفا على ما قال شيخ الإسلام عزّ الدين عبد العـزيز بن عبـد السلام ، وكـذا تلميذه الشهاب القرافي ، لكونهـا تزاد من الصفـا أربعاً ، والصفـا لا يزاد منهـا إلاّ ثلثاً[4] ، وما كانت العبادة فيه أكثر فهو أفضل . وذكر القاضي عزّ الدين بن جمـاعة أنّ في ذلك نظراً ، وقال : لو قيل بتفضيل الصفا لأنّ الله سبحانه وتعالى عـزّ وجلّ بدأ به لكان أظهر ، ولو قيل بتفضيل المَرْوَة باختصاصها بالنّحر والذبْـح دون الصفا لكان أظهر مما قالاه ، والله أعلم .

الحادي والعشرون : المُزْدَلِفة ، الموضع الذي يؤمر الحاجّ بنزولـه والمبيت فيه بعد دفعه من عرفة ليلاً ، هـو ما بين مـأزَمَي عرفـة ومُحَسِّر ، ومـأزما عـرفة هـو الذي يقال له المضيق ، وقد ذكـر حدّ المـزدلفة بمـا ذكرنـاه جماعـة من العلماء ، منهم عطاء كما في تاريخ الأزرقي عنه[5] ، والإمام الشافعي في كتابـه « الأم » لأنه

---

(١) رحلة ابن جبير ٨٤ .

(٢) توفي برقوق عام ٨٠١ هـ .

(٣) ما بين القوسين من زيادة النسخة (ك) .

(٤) في النسخة (ك) : ثلاثاً .

(٥) أخبار مكة ٢/١٩١ و ١٩٢ .

Marfat.com

قال : المزدلفة حدّها من حيث يفيض من مأزمي عرفات إلى أن يأتي قرن مُحَسِّر ، هكذا على يمينك وشمالك من تلك المواطن العوالي والظواهر والنّجاد والوادي ، كلّ ذلك من المزدلفة . انتهى ، وسُمِّيت مُزْدَلِفَة لازدلاف الناس إليها ، أي اقترابهم ، وقيل لمجيء الناس إليها في زُلَفٍ من الليل ، أي ساعات ، وقيل غير ذلك ، ويقال للمزدلفة جمع سُمّيت بذلك لاجتماع الناس بها ، وقيل لاجتماع آدم وحواء فيها ، وقيل لجمع الصلاتين فيها . وبها مسجد حول قُزَح ، وهو صغير مربّع ليس بالطويل الحيطان ، طوله إلى جهة القبلة ستة وعشرون ذراعاً إلاّ ثلث ذراع ، غير أنّ الجهة التي عن يسار المصلّي تنقص في الطول عن الجهة اليمنى خمسة أذرع إلاّ ثلث ذراع ، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً ، وفي قبلته محراب فيه حجر مكتوب فيه أنّ الأمير يَلْبُغَا الخاصكي[1] جدّد هذا المكان بتاريخ ذي القعدة سنة ستين وسبعمائة[2] .

وقد ذكر الأزرقي صفة مسجد المزدلفة وذرْعه[3] ، وذكرنا كلامه بنصّه في أصل هذا الكتاب ، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرْع هذا المسجد بحضوري ، والذراع الذي حرّرناه هو ذراع الحديد المتقدّم ذِكْره ، وطول المزدلفة من حدّها الذي يلي مِنَى ، وهو طرف وادي مُحَسِّر إلى حدّ مزدلفة الذي يلي عرفة ، وهو أول المأزمين مما يلي المزدلفة سبعة آلاف ذراع وسبعمائة ذراع وثمانون ذراعاً وأربعة أسباع ، ومن جدار باب بني شيبة إلى حدّ مزدلفة من جهة مِنَى ومكة عشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وسبعة أذرع بتقديم السين وثلاثة أسباع ذراع ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع خمسة أميال وستة أسباع ميل يزيد سبعة أذرع بتقديم السين وثلاثة أسباع ذراع ، ومن

---

(١) قتل سنة ٧٦٨ هـ . وقد مرّ التعريف به .

(٢) وفي سنة ٨٤٢ هـ أمر السلطان جقمق الأمير سودون بتعمير هذا المسجد ، وفي سنة ٨٧٤ هـ في سلطنة قايتباي أمر أمير مكة الشريف محمد بن بركات بتبييضه ، وفي سنة ١٠٧٢ هـ عمّره سليمان بك والي جدّة من قِبَل السلطان محمد .

(٣) أخبار مكة ٢/١٨٦ وما بعدها .

Marfat.com

باب المُعَلَّاة إلى حدّ المزدلفة المشار إليها ثمانية عشر ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمانون ذراعاً وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع خمسة أميال وربع ميل يزيد خمسمائة أذرع وثلاثة أسباع ذراع ، والله أعلم .

الثاني والعشرون : المَشْعَر الحرام الذي يُسْتَحَبّ للحاجّ الوقوف عنده للدعاء والذكر ، غداة يوم النّحر ، هو موضع معروف بالمزدلفة ، وهو قُزَح الذي تقدّم ذِكْره ، وحديث جابر الطويل يدلّ على أنّ المَشْعَر الحرام موضع من المزدلفة لا كلّها ، لأنه قال فيه بعد أن ذكر نزولَ النبيّ ﷺ بالمزدلفة ومبيته بها وصلاته فيها الصبح : ثم ركب القصوى حتى أتى المسجد[1] الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا وكبّر وهلّل ووحّد ، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جدّاً ، ودفع قبل أن تطلع الشمس[2] . وفي حديث عليّ السابق عند ذِكْر قُزَح ما يؤيّد ذلك[3] ، لأنّ قُزَح هو المَشْعَر الحرام ، والله أعلم .

وأما قول ابن عمر : المَشْعَر الحرام المزدلفة كلّها ، ومثله في كثير من كتب التفسير ، في تفسير قوله تعالى ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ فهو محمول على المجاز ، أشار إلى ذلك المحبّ الطبري ، والأفصح في المشعر الحرام فتح الميم وكسرها لغة ، حكاه الجوهري وغيره ، ولم ترد إلّا بالفتح ، ومعنى المشعر الحرام أي الذي يَحْرُمُ فيه الصيد وغيره ، ويجوز أن يكون معناه الحُرْمة ، والله أعلم .

وأحدث وقت بُني فيه المَشْعر الحرام فيما عَلِمْتُ سنة تسعٍ وخمسين

---

(١) في النسخة (ك) المشعر ، وهو الصحيح .
(٢) أخرجه مسلم رقم ١٢١٨ في الحج ، باب حجة النبي ﷺ ، وأبو داود رقم ١٩٠٥ و١٩٠٧ و١٩٠٨ و١٩٠٨ و١٩٠٩ في المناسك ، باب صفة حجة النبي ﷺ ، والنسائي ٥/١٤٣ و١٤٤ في الحج ، وابن ماجة رقم ٣٠٧٤ في المناسك ، باب حجة رسول الله ﷺ .
(٣) سنن أبي داود رقم ١٩٣٥ ، والترمذي رقم ٨٨٥ في الحج .

Marfat.com

وسبعمائة أو في التي بعدها ، ومن جدار باب بني شيبة إلى جدار المشعر الحرام الذي يلي مكة المكرمة خمسة وعشرون ألف ذراع وسبعمائة ذراع بتقديم السين وثمانية أذرع وأربعة أسباع ذراع بذراع اليد ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع سبعة أميال بتقديم السين وخُمس ميل وسُبع ميل ، يزيد ثمانية أذرع وأربعة أتساع ذراع ، ومن عتبة باب المُعَلَّاة إلى جدار المشعر الحرام الذي يلي مكة ثلاثة وعشرون ألف ذراع وستمائة ذراع وواحد وثمانون ذراعاً وأربعة أسباع ذراع ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع ستة أميال وخمسة أسباع ميل ونصف عُشر ميل ، يزيد ستة أذرع وأربعة أسباع ذراع ، والله أعلم .

الثالث والعشرون : المطاف المذكور في كتب الفقهاء ، وهو ما بين الكعبة ومقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، وما يقارب ذلك من جميع جوانب الكعبة ، وقد أشار إلى تعريفه بما ذكرناه الشيخ أبو محمد الجويني فيما نقله عنه ابن الصلاح في منسكه ، لأنه قال : قال الشيخ أبو محمد : المطاف المعتاد الذي يُسْتَنْكر ويُستبعَدَ مجاورته هو ما بين الكعبة والمقام ، وفي كل جانب في العادة إمارات منصوبة لا يكاد الناس يخرجون عنها ، انتهى .

قلت : وهذا الموضع مفروش بالحجارة المنحوتة حول الكعبة من جوانبها ، وعمل ذلك دفعات ، حتى صار على ما هو عليه اليوم ، وكان مصيره هكذا في سنة ستٍّ وستين وسبعمائة ، والمعمول منه في هذه السنة جانب كبير جداً ، وهاتان العمارتان من جهة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر . وعمّر الطواف من ملوك مصر الملك المنصور لاجين المنصوري[٤] ، واسمه مكتوب بسبب ذلك في رخامة بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وعمّره من الخلفاء المستنصر العباسي في سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، واسمه مكتوب بسبب ذلك في الحُفْرة

---

(١) تولّى السلطنة ٦٩٦ وقتل سنة ٦٩٨ هـ . (البداية والنهاية ١٣/٣٤٨ ـ ١٤/٣) .

Marfat.com

التي عند باب الكعبة . وقد بيّن الفاكهي أول من فرش الحجارة في موضع الطواف ومقدار ذلك ، وما كان يضع في موضعه ، لأنه قال ذكر فرش الطواف بأيّ شيء هو ، قال بعض المكّيين : إنّ عبد الله بن الزبير لما بنى الكعبة وفرغ من بنائها وخلقها وطلاها بالمسك وفرش أرضها من داخلها ، بقيت من الحجارة بقيّة ، ففرش بها حول الطواف كما يدور البيت نحواً من عشرة أذرع ، وذلك الفرش باقٍ إلى اليوم ، إذا جاء الحاجّ في الموسم ، جُعل على تلك الحجارة رمل من رمل الكثيب الذي بأسفل مكة يُدعى كثيب الرمْضَة ، وذلك أنّ الحَجَبَة يشترون له رملاً كثيراً فيجعل في الطواف ويجعل الرمل فوقه ويُرَشّ بالماء حتى يتلبّد ، ويؤخذ بقية ذلك الرمل فيُجعَل في زاوية المسجد الذي يلي باب بني سهم ، فإذا خفّ ذلك الرمل أعادوه عليه ويرشّوا عليه الماء حتى يتلبّد فيطوف الناس عليه ، فيكون ألين على أقدامهم في الطواف ، فإذا كان الصيف وحمي ذلك الرمل من شدّة الحرّ أم غلمان زمزم وغلمان الكعبة أن يستقوا من ماء زمزم في قرب ، ثم يحملونها على رقابهم حتى يرشّ به رمل الطواف فيتلبّد ويسكن حرّه ، وكذلك أيضاً يرشّون الصف الأول ، وخلف المقام كما يدور الصف حول البيت انتهى .

٤

وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضوري مقدار ما بين منتهى ذلك وبين الكعبة المعظَّمة من جميع جوانبها ، فكان مقدار ما بين الحجر الأسود وطرف البلاط المحاذي له على الاستواء في الجهة اليمنية خمسة وعشرين ذراعاً إلاَّ ثلث ذراع ، وما بين الحجر الأسود وطرف البلاد المحاذي لوسط مقام الحنابلة اثنتين وعشرين ذراعاً وثلث ذراع ، وما بين الحجر وجدار زمزم ثلاثون ذراعاً وثلثي ذراع ، وما بين الركن الشامي الذي يقال له العراقي وآخر تدوير المطاف المسامت له إلى الجهة الشرقية أربعة وعشرون ذراعاً ونصف ، ومن الركن الشامي إلى آخر البلاط المحاذي له في الجهة الشامية سبعة وثلاثون ذراعاً وربع ذراع ، ومن وسط جدار الحجر إلى آخر البلاط الذي أمام مقام الحنفية اثنان وعشرون ذراعاً ، وما بين

Marfat.com

الركن الغربي وآخر البلاط المحاذي له من الجهة الشامية والغربية ثلاثـون ذراعاً ، وما بين نصف الجهة الغربية من الكعبة وآخر البلاط المقابـل لذلـك على الاستواء مثل ذلك ، وما بين الركن اليماني وآخر البلاط المقابل له من الجهة الغربيـة تسعة وعشرون ذراعاً إلاَّ ثلث ذراع ، وما بين الركن اليماني وآخر البـلاط المقابـل له من جهته اليمنى سبعة وعشرون ذراعاً وثلث ذراع وكذلك ، ما بين وسط الجهة اليمانية من الكعبة وآخر البلاط المحاذي له والذراع المحرّر به هو الذراع الحديد المتقـدّم ذكره .

وينبغي للطائف أن لا يخـرج عن هذا المكـان في طوافـه لأنّ في الجـواهـر لابن شـاش على مـذهب الإمـام مـالـك : لا يـطوف من وراء زمـــزم ولا من وراء السقائف ، فلو فعل مختـاراً أعاد مـا دام بمكة ، فـإذا رجع إلى بلده فهـل يُجزيـه الهَـدْيُ أم يلزمـه الـرجـوع للمتـأخّـرين قـولان ، انتهى ، ونحـوه لابن بشيـر وابن الحاجب في مختصره ، وقد بسطنا هذه المسألة في أصل هذا الكتاب .

والسقائف أروقة المسجد الحرام .

وأما مقدار الطواف بالكعبة فذكره الأزرقي وسليمان ابن خليـل ، وبينهما في ذلك اختلاف لأنّ الأزرقي ذكر أنّ طواف سبع بالكعبة ثمانمائة ذراع وستة وثلاثـون ذراعاً وعشرون أصبعاً[1] . انتهى . وذكر سليمان بن خليل أنّ ذرْع موضع الطواف مـائة ذراع وسبعـة أذرُع ، انتهى . وما ذكـره ابن خليل في مقـدار موضـع الطواف يقتضي أن يكـون سبعاً بـالكعبـة سبعمـائـة ذراع وتسعـة بتقـديم التـاء على السين وأربعين ذراعـاً ، وذلك ينقص عمـا ذكره الأزرقي في مقـدار ذلـك سبعـة وثمـانين ذراعاً وعشرين إصبعاً ، والله أعلم بالصواب ، وذكر ابن خرداذبة ما يوافق مـا ذكره ابن خليل لأنه قال : ودور البيت مائة ذراع وسبعة أذرع[1] انتهى ، ولعلّ ابن خليل قلده في ذلك ، والله أعلم .

---

(١) وذرع جميع الكعبة مكسّراً اربعمائة ذراعاً وثمانية عشر ذراعاً . (أخبار مكة ١/ ٢٩٠) .
(٢) المسالك والممالك ، ص ١٣٣ .

Marfat.com

الرابع والعشرون : مِنَى الموضع الذي يؤمر الحاجّ بنزوله والإقامة بـه حتى تـطلع الشمس على ثبير ، في يـوم عرفـة ، وفي يوم النحـر ، وفيما بعـده من أيام التشـريق ، والمبيت به في ليـالي أيـام التشـريق ، لأنّ رمّي الجمـار هـو من أعلى العقبة التي فيها الجمرة التي تلي مكة المعروفة بجمـرة العَقَبَة ، إلى وادي مُحَسِّـر ، وقد حَدّ مِنَى بذلك عطاء بن أبي رباح ، فيما ذكره عنه الفاكهي ، لأنه قال : حدّثنا الزبير بن أبي بكر قال : حـدّثني يحيى بن محمد ثـوبان عن ربـاح عن الزنجي بن خـالد عن ابن جُـرَيْـج عن عـطاء قـال : حـدّ مِنى رأس العقبـة ممـا يلي مِنَى إلى النحر ، انتهى : وقوله إلى النّحر تصحيف صـوابه إلى مُحَسِّـر ، لأنه حـدّ مِني من جهـة المزدلفـة على ما قـال غير واحـد من العلماء ، ولم يقـل أحد إنّ النّحـر حدّ مِني ، وما ذاك إلاّ لبُعْده حدّاً عن مُحَسّر وقرْبه إلى حـدّ مِني من جهة مكـة . وفي تاريخ الأزرقي عن عطاء ما يوافق ما ذكرنا أنـه الصواب ، والله أعلم ، ومـا ذكرنـاه عن عطاء يعلم أنّ أعلى العقبة من مِنَى .

وذكر الإمام الشافعي أنّ العَقَبَة ليست من مِنَى ، لأنـه قال : وحـدّ مِنى ، ما بين قرى وادي مُحَسّر إلى العقبة التي عندها الجمرة الـدنيا إلى مكـة ، وهي جمرة العقبـة التي بايـع رسول الله ﷺ الأنصـار عندهـا ، ولَيست مُحَسّـراً ولا العقبـة من مِنى ، وسواء سهل ذلك وجبلها وعامرها وخرابها ، فأمـا الجبال المحيـطة بجانبهـا مما أقبل منها على مِنَى فهو منهـا ، وما أدبـر من الجبال فليس منهـا انتهى . هكذا نقل عنه سليمان بن خليل في منسكـه ؛ وقال المحبّ بعـد أن ذكر في حـدّ مِنَى ، معنى هذا والعقبة التي ينسب إليها الجمرة منه ، قلت : كلام المحبّ الـطبري في « القرى » صريح في أنّ جمرة العقبـة من مِنَى . ونقل عنـه ابن جماعـة في منسكه على مـا أخبرني عنـه خالي أنـه قال : إنّ العقبـة من مِنَى ، ولم ينقل عن أحـد أنّ الجمرة ليست من مِنى انتهى . وهذا يخالف ما يقتضيه كلام الشافعي والنووي من أنّ العقبة ليست من مِنَى ، والله أعلم بالصواب .

وقـد ذَكـر الإمـام الأزرقي ذرْع مِنَى ، لأنـه قـال فيمـا رويـناه عنـه بـالسنـد

Marfat.com

المتقدّم : وذرْع مِنَى من جمرة العقبة إلى وادي مُحَسِّر سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع ، وعرض مِنَى من مؤخّر المسجد الذي يلي الجبل إلى الجبل[1] بحذائه ألف ذراع وثلثمائة ذراع ، وذرْع عرض طريق شِعْب علي وهو على حيال[2] جمرة العقبة ستة وعشرون ذراعاً ، وعرض الطريق الأعظم حيال[3] الجمرة الأولى ، وهي الطريق الوسطى ثمانية وثلاثون ذراعاً[4] ، ثم قال : وذرْع الطريق طريق العقبة على الجدار إلى الجدار الذي بحذائه سبعة وستون ذراعاً ، وعرض الطريق الأعظم من العقبة المعروفة ستة وثلاثون ذراعاً[5] . وذكر الفاكهي في ذرْع طول مِنَى وعرضها معنى ما ذكره الأزرقي . وذكر الأزرقي أنّ الطريق الوسطى طريق النبيّ ﷺ التي سلكها النبيّ ﷺ يوم النّحر من قُزَح إلى جمرة العقبة ولم تزل أئمة الحجّ تسلكها حتى تُركت سنة المائتين ، انتهى باختصار . واختلف في سبب تسمية مِنَى ، فقيل لِما بها من الدماء المشروعة في الحجّ بمنَى ، أي يُراق ويُصَبّ ، وهذا هو المشهور الذي قاله جمهور العلماء من أهل اللغة وغيرهم على ما قال النووي[6] ، وقيل لتمنّي آدم فيها الجنة ؛ وهذان القولان في تاريخ الأزرقي[7] ، وقيل لمنّ الله على الخليل بفداء ابنه فيها ، وقيل لمنّ الله فيها بالمغفرة على عباده ؛ وهذان القولان في « منسك ابن خليل » وقيل لاجتماع الناس بها ، والعرب تقول لكلّ مكان يجتمع فيه الناس مِنَى ؛ ذكره الفاكهي بهذا اللفظ ، وقيل غير ذلك من الأقوال التي ذكرناها في أصل هذا الكتاب ، واختلف في صرف مِنَى ، واقتصر ابن قتيبة في « أدب الكاتب » على أنها لا تُصرف[8] ،

---

(١) في أخبار مكة « الجبل الذي » .

(٢) في المطبوع من الشفاء ١/٣١٩ « جبال » والتصحيح من أخبار مكة وليس فيه « على » .

(٣) في المطبوع « جبال » وهو خطأ .

(٤) أخبار مكة ٢/١٨٦ .

(٥) أخبار مكة ٢/١٨٥ .

(٦) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ٢ ق ٢/١٥٧ .

(٧) أخبار مكة ٢/١٨٠ .

(٨) تهذيب الأسماء ج٢ ق١٥٧ ، نقلاً عن أدب الكاتب ـ ص ٢٣١ .

Marfat.com

واقتصر الجوهري في « الصحاح » على أنّ مِنى مذكّر مصروف ، والأجود فيه الصرف على ما ذكر النووي ، وقال إنّها بكسر الميم . وقد بسطنا هذه المسألة في أصل هذا الكتاب .

ومِنَى عَلَم لمكان آخر غير هذه ، كما ذكر أبو الفرج الأصبهاني صاحب « الأغاني » لأنه أنشد أبياتاً للبيد بن ربيعة أولها :

عَفت الدّيارُ محلُّها فَمُقَامها بمنَى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامها[1]

ثم قال : عفت : درست ، ومِنَى : موضع في بلاد بني عامر ليست بمكة .

ذكر حكم البناء بمنى

أخبرني إبراهيم بن محمد الدمشقي[2] سماعاً بالمسجد الحرام أنّ أحمد ابن أبي طالب أخبره قال : أخبرنا ابن اللّتّي قال : أخبرنا أبو الوقت قال : أخبرنا الداوودي قال : أخبرنا ابن حموية قال : أخبرنا عيسى بن عمر قال : أخبرنا عبدالله ابن عبد الرحمن الدارمي قال : أخبرنا إسحاق قال : أخبرنا وكيع قال : حدّثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر بن يوسف بن ماهك عن أمه مسيكة ، وأثنى عليها خيراً عن عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : قلت يا رسول الله ألا نبني لك بيتاً يظلّك ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا ، إنّما هو مناخ من سبق . أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بهذا الإسناد ، ولفظه : ﷺ : قال : قلت : يا رسول الله ألا نبني لك بمنى بيتاً أو بناء يظلّك ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا ، إنّما هو مُنَاخ من سبق[3] . أخرجه أبو داود عن أحمد بن حنبل والترمذي . قال أبو اليُمْن بن

---

(١) الأغاني ١٥/٣٧٨ .

(٢) هو : برهان الدين أبو بكر إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي الشافعي الصوفي المؤذّن بالجامع الأموي بدمشق نزيل الحرم . ويعرف بابن الرسّام . توفي سنة ٨٠٦ هـ . وذكره التقي الفاسي في تاريخ مكة . (الضوء اللامع ١/١٤٧ و١٤٨) .

(٣) مسند أحمد ٦/١٨٧ و ٢٠٦ .

عساكر[1] بعد إخراجه لهذا الحديث : ومفهوم هذا الخطاب يدلّ على أنه لا يجوز إحياء شيء من مواتها ، ولا تملك جهة من جهاتها فلا ينبغي لأحد أن يختصّ بمكان من أماكنها دون غيره ، فيحظر عليه حظاراً أو يتّخذه داراً ، وأهل مكة وسواهم في ذلك سواء قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ سواءً العاكفُ فيهِ وَالبادِ ﴾ الضمير في قوله فيه مختلف بين أهل العلم ، فمن قال أراد به جميع الحرم وهو الأكثر ، منه من جواز إحياء مواتها وتملّكها ، ومن ملك منها شيئاً قبل ذلك كان هو وسواه في منافعه سواء ، فلا يجوز له بيعه ولا كراؤه ؛ ثم قال : ومن تأوّل الآية على المسجد أجاز بيع دُورها وكراءها ، وبه قال أبو يوسف والشافعي ، وكره مالك على جميعهم البيع والكراء . وفي جواز إحياء موات عرفة ومزدلفة اختلاف بين أهل العلم ، وما ذكرناه في مِنى أولى بالمنع ، لقوله ﷺ : « إنّما هو مُنَاخ لمن سبق » وإنّما في كلام العرب لإثبات المذكور ولنفي ما سواه ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى باختصار من كلامه عن بعض ما استدلّ به على عدم الاختصاص في ذلك .

وقال المحبّ الطبري في « القرى » لما تكلّم على هذا الحديث ، وقد احتجّ بهذا من لا يرى دور مكة مملوكة لأهلها ، ثم قال : قلت : فيحتمل أن يكون ذلك مخصوصاً بمنى لمكان اشتراك الناس في النُسُك المتعلّق بها ، فلم ير رسول الله ﷺ لأحد اقتطاع موضع فيها لبناء ولا لغيره ، بل الناس فيها سواء وللسابق حقّ السبق ، وكذلك الحكم في عرفة ومزدلفة إلحاقاً بها انتهى . وجزم النووي في « المناهج » من زوائده بأنّ مِنَى ومزدلفة لا يجوز إحياء مواتها كعرفة ، والله أعلم ، انتهى . ونقل عن الشافعي أنه بنى بمنى مضرباً ينزل فيه أصحابه إذا حَجّوا . روى ذلك عنه أبو ثور وهو أحد رواة القديم ، وتمسّك به بعضهم على جواز البناء بمنى ، وفي العمل به على تقدير صحّته عن الشافعي نظر لأمرين :

---

(١) هو : عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن أمين الدين الدمشقي المكي . مات سنة ٦٨٦ هـ . (لحظ الألحاظ ٨١ و ٨٢) .

Marfat.com

أحدهما أنّ الشافعي قال : إذا صحّ الحديث فهو مذهبي . والحديث الوارد في النّهي عن البناء بمنى تقوم به الحجّة ، لأنّ الترمذي حسّنه وأبا داود سكت عنه ، فهو في معنى الصحيح لقيام الحجّة به على ما هو مقرّر في علم الحديث ، فالشافعي حينئذ يقول به ويصير ذلك مذهبه وصحبه ، ومثل هذا لا يُنْكَر ، لأنه وقع للنووي مثله في غير مسألة ، ولعلّ هذا فيما ذكره من عدم جواز إحياء موات مِنَى ومزدلفة ، مع قياسهما على عرفة لمشاركتهما لعرفة في علّة الحكم ، والله أعلم .

والأمر الثاني أنه لا ريب في أنّ الشافعي على تقدير ثبوت بنائه بمنى لم يكن يحجر بناءه بمنى أحد ، ولا يأخذ على النزول فيه أجراً ، وأنّ بناءه بمنى لأجل الارتفاق به من جهة الظلّ وصيانة الأمتعة وشبه ذلك فلا يقاس عليه من لم يقصد ببنيانه إلاّ الاختصاص بنزوله وأخذ الأجرة على نزوله ، كما هو الغالب من أحوال أهل العصر ، وإلحاق من هو بهذه الصفة لمن حسنت نيّته عند الشافعي لا يحسن ، والله أعلم .

وسمعت قاضي الحرم جمال الدين أبا حامد بن ظهيرة[1] أبقاه الله يقول : إنّ جدّي لأمي قاضي مكة أبا الفضل النويري كان ينكر عليّ البناء بمنى ويشدّد فيه، وينهى أشدّ النّهي . انتهى بالمعنى ، وأما ما أفتى به الشيخ نجم الدين عبدالرحمن ابن يوسف الأصفوني الشافعي مؤلّف « مختصر الروضة » من أنّ مِنى كغيرها في جواز بيع دُورها وإجارتها فإنّ ذلك غير سديد نقلاً ونظراً ، وأما النقل فلمخالفته مقتضى الحديث وكلام النووي وابن عساكر والمحبّ الطبري وغيرهم ، وأما النظر فلأنّ أعظم ما يمكن أن يتمسك به في ذلك كون موات الحرم يجوز إحياؤه ، ومِنَى من الحرم ، فيملك ما أحيى فيها ويجري فيه أحكام الملك ، وهذا لا يستقيم لأنّ في مِنَى أمراً زائداً يقتضي عدم إلحاقها بموات الحرم ، وهو كونها متعبَّداً ونُسُكاً لعامّة المسلمين ، فصارت كالمساجد وغيرها من المسبلات ،

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن ظهيرة قاضي مكة وخطيبها وناظر حرمها وأوقافها والحسبة بها وشيخها في الفتوى والتدريس . وُلد سنة ٧٥١ ومات سنة ٨١٧ هـ . لحظ الألحاظ ٢٥٣ ـ ٢٥٥ ، الضوء اللامع ٨/٩٢ ـ ٩٥ رقم ١٩٤) .

Marfat.com

وما هذا شأنه لا اختصاص فيه لأحد إلاَّ بالسبق في النزول لا بالبناء ، إذ هو ممتنع فيه ، فالبناء بمنى ممتنع حينئذ ، ولا يملك ، ولا يكون كغيره مما يصحّ تملّكه ، ويجري حكم البناء بمنى على حكم البناء بعرفة لمساواتها لعَرَفَة في السبب الذي لأجله امتنع البناء بعرفة على الأصحّ ، فمنى كذلك ، والله أعلم .

ما جاء في فضل مِنى وما ذُكر فيها من الآيات

أما فضل مِنَى فمشهور ، ولم نذكره إلا للتبرّك به ، وقد تقدّم منه ما ذكرناه عند ذكر مسجد الخَيْف ، ومنه ما رويناه في « صحيح ابن حِبّان » وغيره من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كنت بين الأخشبين من مِنى ونفخ بيده نحوَ المشرق فإنّ هناك وادياً يقال له : وادي السُّرر ، به سرحة سُرّ تحتها سبعون نبياً . انتهى باختصار .

قال المحبّ الطبري بعد أن أخرج هذا الحديث : شرح قوله سُرّ تحتها أي قطعت سُرَرُهم ، والسُّرُر ما تقطعه القابلة من المولود ، والباقي مع القطع يقالُ له السُّرَّة ، والمقطوع السَرر والسُرر ، والمراد أنهم وُلِدوا تحت تلك السَّرحة ، والموضع الذي هي فيه يسمّى وادي السُّرر بضمّ السّين ، وقيل بفتحها وقيل بكسرها ، والراء مفتوحة في الأحوال الثلاثة . انتهى ، ولم يبيّن المحبّ موضع هذا الوادي وما عرفته أنا أيضاً ، وأخشبا مِنَى الجبلان اللذان هما بينهما ، وهما ثبير الذي على يسار الذاهب إلى عرفة وما يليها ، والصفائح وهو الذي بلحفه مسجد الخَيْف .

وأما الآيات التي بمنى فخمس آيات : منها رفع ما يقبل من حصى الجمار بمنى ، ولولا ذلك لسدّ ما بين الجبلين . وقد روينا في رفع المتقبّل من ذلك أخباراً ، منها ما رويناه بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : حدّثني جدّي قال : حدّثنا يحيَى بن سليم عن ابن خثيم[1] عن أبي الطفيل قال : قلت له يا أبا الطفيل

---

(١) في المطبوع من الشفاء : « خيثم » وهو تصحيف .

Marfat.com

هـذه الجمار تُـرَمَى في الجاهليـة والإسلام كيف لا يكـون هضاباً يسدّ الـطريق ، قال : سألت عنها ابن عباس فقال : إنّ الله عزّ وجلّ وكّل بها ملكاً ، فما يقبل منـه رَفَعَ ، وما لم يتقبّل منه ترك[1] ، ورويناه في تـاريخ الأزرقي في رفـع ما يقبـل من حصى الجمار عن ابن عمر وابن سعيد الخُدَرِي .

وقال المحبّ الطبري في « شرح التنبيه » : وقد أخبـرني شيخنا أبـو النعمان بشيـر بن أبي بكر حـامد التبـريزي شيـخ الحرم الشـريف ومفتيه أنـه شاهـد ارتفاع الحجر عيانـاً ، واستدلّ المحبّ على صحّـة ذلك ، وذكـرنا كـلامه في أصـل هذا الكتـاب ، وذكر هـذه الآية شيخنـا القـاضي مجـد الـدين قـال : وقـد خمّنت مـرة فاقتضى قياس العقل والحساب وعـدد السنين الأعوام التي حُـجَّ فيها البيت ورُميت الجمار أن يكون المتـراكم عند كـل حجرة من الحصى مـا يوازي مسـاحة خمسين ذراعاً في مثلها في وجه الأرض ، ويرتفع في العلوّ ارتفاع جبل ثبير ، ولكنّ لله عـزّ وجلّ فيها سرٌّ كريم من أسراره الخفيات لا إله سواه . انتهى .

ومن الآيات التي بمنى اتّساعها للحجّاج في أيام الحجّ مع ضيقها في الأعين عن ذلك ، روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال : حدّثني محمد بن يحيى قال : أخبـرنا سليم بن مسلم عن عبـد الله بن أبي الزنـادٌ عن أبي الطفيـل قال : سمعت ابن عبـاس يسأل عن مِنَى ، ويقـال لـه : عجبـاً لضيقـه في غيـر الحـجّ فقـال ابن عبـاس : إنّ مِنَى يتّسع بـأهله كما يتّسـع الرحم للولـد[2] . ومنها كـون الحـدأة لا تخطف اللحم بمنى أيام التشريق ، ومنها أنّ الذباب لا يقع في الطعـام ، وإن كان لا ينفكّ عنه في الغالب ، كالعسل وشبهه ، ذكر هاتين الآيتين المحبّ الطبري مع آية الجمار ، ونصّ كلامه : الثانية أنّ الحدأة مع تـولُّعها بخـطف اللّحم حيث رأته حتى لو رأت بيد إنسـان خرقـة حمراء انقضّت عليـه حتى تخطفهـا منه ، وفي مِنَى اللحم مشـرق على الجدارات والأسـطحـة والجبـال ، والحَـدَأة تحـوم حـولـه ولا

---

(١) أخبار مكة ٢ / ١٧٦ و ١٧٧ .
(٢) أخبار مكة ٢ / ١٧٩ .

Marfat.com

تستطيع أن ترزأ أصحابَه منه شيئاً ، الثالثة : أنّ الطعام الحلو المقتضي لاجتماع الذباب في الأمكنة الخالية يكثر بمنى في أيام مِنَى ، ولا يقع الذباب على شيء منه ، فضلاً عن غيره من الأطعمة ، ولو أكل في غير هذه الأيام بمنى أو غيرها ما يهنأ الإنسان لكثرة اجتماع الذباب عليه ، هذا مما شاهدناه مكرَّراً في أعوام ، انتهى .

ومن الآيات التي بمنى في أيام الحجّ قلّه البعوض بها على ما ذكر أبو سعيد الملاّ في « شرف النبوّة » فيما حكى عنه شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي في كتابه : « الوصل والمنى في فضل مِنَى » . لأنه قال : وقال أبو سعيد في « الوفا بشرف المصطفى » ﷺ : كنت ليلاً بمنى في غير أيام الموسم وكنت ساهراً أكثر الليل أتأذّى من البعوض ، فلما كان من الغد سألت بعض أهل الحرم عن البعوض فقال : جميع السنة يكون كثيراً إلاّ أيام مِنَى فإنه يقلّ فيها ، انتهى بنصّه .

ذكر مقدار ما بين مِنَى ومكة

ذكر الرافعي أنّ بين مكة ومِنَى ستة أميال ، وتعقّب ذلك النووي قال : إنّ بينهما ثلاثة أميال ، وجزم بذلك في غير موضع من كتبه[1] ، وذكر المحبّ الطبري في « القرى » أنّ مِنَى من مكة على أربعة أميال ، ذكر ذلك في الترجمة التي ذكر فيها إتساع مِنَى وأسماءها ، وقد حرّرنا ذلك بالأذرع والأميال على مقتضى الأقوال الأربعة في مقدار الميل ، فأما مقدار ما بين باب بني شيبة ومِنَى بالأذرع فإنه ثلاثة عشر ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمانية وستون ذراعاً ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وأربعة أخماس ميل وخُمس عُشر ميل ينقص ذراعين .

وأما مقدار ما بين باب المُعَلاَّة وحدّ مِنَى من جهة مكة ؛ فهو أحد عشر ألف

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ٢ ق ٢/١٥٧ .

ذراع ومائتا ذراع ، وأحد وأربعون ذراعاً وسُبع ذراع ، يكون ذلك أميالاً على القول بأنّ الميل ثلاثة آلاف ذراع ، وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وخُمس ميل وخُمسي خُمس عُشْر ميل ، يزيد ذراعاً وسُبع ذراع . وقد ذكرنا في أصل هذا الكتاب مقدار ما بين باب بني شيبة ومِنَى وما بين باب المُعَلاَّة ومِنَى بالأميال على مقتضى الأقوال الأربعة في مقدار الميل .

الخامس والعشرون : الميلان الأخضران اللذان يهرول الساعي بينهما في سعيه بين الصفا والمروة . هما العلمان اللذان أحدهما بركن المسجد الذي فيه المنارة التي يقال لها منارة باب علي ، والآخر في جدار المسجد الذي يقال له باب العباس ، والعلمان المقابلان لهذين العلمين أحدهما في دار عبّاد بن جعفر ، ويُعرف اليوم بسَلَمَة بنت عقيل ، والآخر في دار العباس ، ويقال لها اليوم رباط العباس ، ويسرع الساعي إذا توجّه من الصفا إلى المروة إذا صار بينه وبين العلم الأخضر الذي بالمنارة المشار إليها ، والمحاذي له نحو ستة أذرع ، على ما ذكر صاحب « التنبيه » وغيره ، قال المحبّ الطبري في شرحه للتنبيه : وذلك لأنه أول محلّ الأنصاب في بطن الوادي ، وكان ذلك الميل موضوعاً على بناء ، ثم على الأرض في الموضع الذي شرع منه ابتداء السعي ،وكان السيل يهدمه ويحطّمه ، فرفعوه إلى أعلى ركن المسجد ، ولم يجدوا على السنن أقرب من ذلك الركن ، فوقع متأخّراً عن محلّ ابتداء السعي بستة أذرع انتهى .

وذكر سليمان بن خليل نحو ذلك بالمعنى ، وسبقهما إلى نحو ذلك إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ، ولم يذكر الأزرقي سبب هذا التغيير مع كونه ذكر أنّ بالمنارة المُشار إليها عَلَم السَّعْي ، وهذا يقتضي أن يكون التغيير المشار إليه وقع في عصره أو قبله ، ويبعد أن يكون لتغيير ذلك سبب ، ولا يذكره الأزرقي كما يبعد خفاء سبب ذلك عليه ، إلاَّ أنه كثير العناية بهذا الشأن ، والله أعلم . ومقتضى ما ذكره من إسراع الآتي من الصفا إلى المروة قبل هذا العلم بستة أذرع ، أنّ الساعي إذا قصد الصفا من المروة لا يزال يهرول حتى يجاوز هذين

Marfat.com

العلمين بنحو ستة أذرع ، لأجل العلّة التي شرع لأجلها الإسراع في التوجُّه إلى المروة ، والله أعلم ، وذكر الأزرقي صفة هذه الأعلام ، وأنّ ذرع ما بين العلم الذي على باب المسجد إلى العلم الذي بحذائه على باب دار العباس وبينهما عرض السعي خمسة وثلاثون ذراعاً ونصف ، وقال : من العلم الذي على باب دار العباس بن عبد المطّلب إلى العلم الذي عند دار ابن عبّاد الذي بحذاء العلم الذي في حدّ المنارة وبينهما الوادي مائة ذراع وأحد وعشرون ذراعاً[1] يعني طول ما بين هذين العلمين لا عرض ما بينهما ، وقد حرّرنا مقدار ما بين هذه الأعلام طولاً وعرضاً ، وذلك أنّ من العلم الذي في حدّ باب المسجد الحرام المعروف بباب العباس عند المدرسة الأفضلية إلى العلم الذي يقابله في الدار المعروفة بدار العباس ثمانية وعشرون ذراعاً إلاّ رُبع ذراع بذراع الحديد ، يكون ذلك بذراع اليد إحدى وثلاثين ذراعاً وخمسة أسباع ذراع ، وذلك ينقص عما ذكره الأزرقي في مقدار هذين العلمين ، ومن العَلَم الذي بالمنارة المعروفة بمنارة باب عليّ إلى الميل المقابل له في الدار المعروفة بدار سلمة أربعة وثلاثون ذراعاً ونصف ذراع وقيراطان ، بذراع الحديد ، يكون ذلك بذراع اليد سبعة بتقديم السين وثلاثين ذراعاً ونصف ذراع وسُدس سُبع ذراع ، ومن العلم الذي بباب المسجد المعروف بباب العباس إلى العلم الذي بمنارة باب عليّ مائة ذراع وثلاثة أذرع وربع ذراع بذراع الحديد ، يكون ذلك باليد مائة وثمانية عشر ذراعاً ، ومن الميل الذي بدار العباس إلى الميل الذي بالدار المعروفة الآن بدار سلمة ستة وتسعون ذراعاً بتقديم التاء وثُلث ذراع بالحديد ، يكون ذلك باليد مائة ذراع وعشرة أذرع وثلثي سبع ذراع .

وذكر الأزرقي أنّ من العلم الذي على باب المسجد إلى المروة خمسمائة ذراع ونصف ذراع[2] ، وقد حرّرنا مقدار ما بين العلم المشار إليه والأزج الذي

---

(١) أخبار مكة ٢/١١٩ .
(٢) أخبار مكة ٢/١١٩ .

Marfat.com

بالمروة ، فكان ذلك أربعمائة ذراع واثنين وتسعين ذراعاً بتقديم التاء وثلث ذراع بذراع اليد ، وحرّرنا ما بين العلم الذي بالمنارة ووسط عقد الصفا ، فكان من سمت الميل الذي بالمنارة إلى عقود الصفا مائة ذراع وستين ذراعاً بذراع اليد .

وذكر الأزرقي ما يقتضي أنّ موضع السعي فيما بين الميل الذي بالمنارة والميل المقابل له لم يكن مسعى إلاّ في خلافة المهديّ العباسي بتغيير موضع السعي قبله في هذه الجهة ، وإدخاله في المسجد الحرام في توسعة المهديّ له ثانياً ، لأنه قال : حدّثني جدّي قال : لما بنى المهديّ المسجد الحرام ، وزاد فيه الزيادة الأولى اتسع أعلاه وأسفله وشقّه الذي يلي دار الندوة والشامي ، وضاق شقّه اليماني الذي يلي الوادي والصفا ، فكانت الكعبة في شقّ المسجد ، وذلك أنّ الوادي كان داخلاً لاصقاً بالمسجد في بطن المسجد اليوم ، قال : وكانت الدُور وبيوت [الناس][1] من ورائه في موضع الوادي اليوم ، إنّما كان موضعه دُور الناس وإنّما كان ذلك من المسجد إلى الصفا في بطن الوادي ، ثم يسلك في زقاق ضيّق ، حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت فيما بين الوادي والصفا . وكان السعي في موضع المسجد الحرام اليوم ، وكان باب دار محمد بن عبّاد بن جعفر عند جدار ركن المسجد الحرام اليوم ، عند موضع المنارة الشارعة في بحر الوادي ، فيها علم المسعى ، وكان الوادي يمرّ دونها في موضع المسجد الحرام اليوم . ثم قال الأزرقي بعد أن ذكر شيئاً يتعلّق بالزيادة في هذا الجانب : فابتدأوا عمل ذلك في سنة سبع وستين ومائة ، واشتروا الدُور وهدموها ، فهدموا أكثر دار ابن عبّاد بن جعفر العائذي ، وجعلوا المسعى والوادي فيها انتهى[2] .

والظاهر والله أعلم إجراء المسعى بموضع السعي اليوم ، وإن كان تغيّر بعضه عن موضع المسعى قبله لتوالي الناس من العلماء وغيرهم على السعي بموضع المسعى اليوم ، ولا خفاء في تواليهم على ذلك ، كما لاخفاء في شهرة

---

(١) ليست في الأصل ، اضفتها عن اخبار مكة ٢/٧٩ .
(٢) أخبار مكة ـ ج ٢/٧٨ ـ ٨٠ .

Marfat.com

كتاب الأزرقي شرقاً وغرباً ، وإحاطة العلماء المتأخّرين بما فيه ، سيما علماء الحرم ، ولو سلّم أنّ من تأخّر عن الأزرقي لم يعلموا بما في كتابه ، فهو معروف عند علماء الحرم وغيرهم ممن وقع ذلك التغيير في زمنهم لمشاهدتهم له ، وما حُفظ عن أحد منهم إنكار لذلك ، ولا أنه سعى في غير المسعى اليوم ، وحال من بعض هؤلاء العلماء كحالهم ، إلاّ في عدم مشاهدتهم لتغيير ذلك ، فيكون أجرى السعي بمحلّ المسعى اليوم ، مجمعاً عليه عند من وقع التغيير في زمنهم وعند من بعدهم ، والله أعلم .

السادس والعشرون : نَمِرة ، الموضع الذي يؤمَر الحاجّ بنزوله إذا توجّه من مِنَى في يوم عرفة ، وهو بطن عُرَنَة ، بالنون ، على ما ذكره ابن خليل في منسكه . وقال المحبّ الطبري في « القرى » : ونَمِرة ، بفتح النون وكسر الميم وبراء مهملة ، موضع بعرفة ، وهو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمين الخارج من المأزمين ، أي الموقف ، وقد كانت عائشة تنزل بها ، ثم تحوّلت إلى الأراك ، قاله ابن المنذر ، وقال في « شرح التنبيه » : وَنَمِرة ، بفتح النون وكسر الميم ، موضع عند الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمينك إذا خرجت من مأزمي عرفة تريد الوقوف ، وتحت جبل نَمِرَة غار أربعة أذرع أو خمسة ، ذكروا أنّ النبيّ ﷺ كان ينزله يوم عرفة حتى يروح إلى الموقف ، ومن الغار إلى مسجد عرفة ألفا ذراع وأحد عشر ذراعاً .

وقال البغوي وغيره : وهي موضع قريب من عرفة .

وقال ابن الصبّاغ : هي من عرفة ، والمشهور أنها ليست منها ، وعليه الأكثر . انتهى .

وقال النووي : ونمِرة موضع معروف بقرب عرفات ، خارج الحرم بين طرف الحرم وطرف عرفات ، وقال : وهو بفتح النون وكسر الميم[1] ، ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسْرها ، فتبقى ثلاثة أوجه في نظائرها . انتهى .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ـ ج ٢ ق ٢/١٧٧ .

وقيل : إنَّ نَمِرَة هذه من الحرم ، رُوي عن سفيان بن عُيَيْنَة ، حكاه عنه الماوردي في حاويه ، على ما ذكر المحبّ الطبري في « القرى » ، لأنه قال : وذكر الماوردي في كتابه « الحاوي » عن سفيان بن عُيَيْنَة ، أنّ قريشاً كانوا لا يخرجون من الحرم في يوم عرفة ، ويقفون بنَمِرَةَ دون عرفة في الحرم . انتهى باختصار ، ذكر ذلك المحبّ الطبري في كتابه « القرى » في الباب العاشر ، وقال بعد أن حكى عن سفيان بن عُيَيْنَة ما ذكرناه ، ثم قوله : إنَّ نَمِرَة من الحرم فيه نظر ، وكلام الجمهور يدلّ أنها ليست منه ، انتهى .

وذكر الأزرقي ما يوافق ما ذكره سفيان في نَمِرَة ، لأنه روى عن ابن عباس خبراً فيه ذكر الحُمس وشيء من خبرهم ، وفيه : يقصرون عن مناسك الحجّ ، والموقف من عرفة ، وهو من الحلّ ، فلم يكونوا يقفون به ولا يفيضون منه ، وجعلوا موقفهم في طرف الحرم من نَمِرَة بمفضى المأزمين ، يقفون به عشيّة عرفة ، ويظلّون به يوم عرفة في الأراك من نَمِرَة[1] ، انتهى ، ونَمِرَة أيضاً : موضع آخر بقديد ، ذكره المحبّ الطبري في « القرى » . والله أعلم .

(١) أخبار مكة ١/ ١٨٠ و ١٨١ .

فيما بمكة من المدارس ، والربط ، والسقايات والبرك المسبلة ، والآبار ، والعيون ، والمآثر وغير ذلك من المآثر وما في حَرَمِها من ذلك

ذكر المدارس بمكة المشرَّفة

المدارس الموقوفة بمكة إحدى عشرة مدرسة فيما علمت :

منها ـ بالجانب الشرقي من المسجد الحرام مدرسة الملك الأفضل عبّاس بن الملك المجاهد صاحب اليمن ، على فقهاء الشافعية ، وُقفت قُبَيْل سنة سبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما ، وفي هذه السنة ابتدأ التدريس بها .

ومنها بالجانب الشامي منه مدرسة بدار العجلة ، وهي التي على يمين الخارج من باب المسجد المعروف بباب العجلة ، ولم أدْرِ من وقفها ولا متى وُقِفَتْ ؟ ثم عمل فيها الأمير أُرْغُون النائب درساً للحنفية قُبَيْل العشرين وسبعمائة أو بعدها بيسير ، في أوائل عُشْر الثلاثين وسبعمائة .

ومنها بالجانب الغربي منه ثلاث مدارس ، وهي مدرسة الأمير فخر الدين الشلّاج أمير مكة ، من قِبَل واقفها : ولأبيه الملكي[1] المظفّر عليها وقف جيّد ، وربما نُسبت إليه ، وهي على الفقهاء الشافعية والمحدّثين .

---

(١) في النسخة (ك) : الملك .

Marfat.com

ومنها بالجانب الجنوبي منه مدرسة الملكي[1] المجاهد صاحب اليمن ، على الفقهاء الشافعية ، وتاريخ وقفها في ذي القعدة سنة تسعٍ وثلاثين وسبعمائة[2] .

ومنها بالجانب اليماني أيضاً مدرسة الملك الممدوح جميع الصفات مغيث أهل الحرمين الشريفين بجزيل الصلات ، مولانا السلطان الملك المنصور غياث الدين[3] أبي المظفّر أعظم شاه بن السلطان السعيد الشهيد إسكندر شاه ابن السلطان شمس الدين المعقود صاحب بنجاله بلّغه الله آماله . وهي على الفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة ، فكان المتولّي لشراء عرصتها وعمارتها ووقفها من ندبه لذلك وغيره من مصالحها التي تذكر ، وفوّض إليه هذا النظر : خادمه المسكين ونعته الأمين الجناب العالي الافتخاري ياقوت السلطاني الغياثي ، لا زالت الخيرات على يديه جارية ، والنِّعَم عليه متوالية ، وكان الشراء لعرصتها والنخيل وسقيه توقف عليها ، ويأتي ذكرها باثني عشر ألف مثقال في أول شهر رمضان من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، ثم أعيد عقد البيع على ذلك في شهر شوال من السنة المذكورة لموجب اقتضاه الحال، وفي شهر رمضان المذكور ابتُديء في هدم ما كان في موضعها من الأبنية ، وفيه أيضاً ابتُديء في بنائها ،

---

(١) في النسخة (ك) : الملك .

(٢) في « منتخب شفاء الغرام ص ١٠٤ » تعريف بالمدارس الثلاث خلافاً لِما هنا ، وهي كما ذكرها : مدرسة الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجبيلي نائب عدن ، وقفها على الحنفية سنة ٥٧٩ هـ ، ومدرسة طاب الزمان الحبشية عشيقة المستنصر العباسي ، وقفتها عام ٥٨٠ هـ على فقهاء الشافعية ، ومدرسة الملك المنصور صاحب اليمن عمّرها سنة ٦٤١ هـ على يد الأمير فخر الدين الشلّاج أمير مكة الخ .

(٣) قال السخاوي في ترجمته انه ابتنى بمكة عند باب أم هانيء مدرسة صرف عليها وعلى أوقافها اثني عشر ألف مثقال مصرية وقرّر بها دروساً للمذاهب الأربعة ، وانتهت ، ودُرّس فيها في جمادى الأخرة سنة أربع عشرة . . . (الضوء اللامع ٢/٣١٣ رقم ٩٩٢) .

وفرغ من ذلك في آخر صفر سنة أربع عشرة وثمانمائة . وفي شهر ربيع من هذه السنة وجمادى الأولى منها بُيّض باطنها والصهريج الذي في جوفها ، وغالب ظاهرها ، وعمل فيه أيضاً كثيراً مما يُطلب عمله في العمائر وأحكمت منها العمارة ، فاستحسنها ذوو البصائر ، وكان وقفها في سابع عشر المحرم سنة أربع عشرة ، بعد الفراغ من عمارة سفلها وغالب علوها ، وقرروا فقهاء فيها أربعة من المدرّسين ، وهم قضاة مكة الأربعة يومئذ ، وستين نفراً من المتفقّهين ، عشرين من الشافعية ، وعشرين من الحنفية ، وعشرة من المالكية ، وعشرة[1] من الحنابلة . وجعل لوقف المنازل التي تعلوها وهي إحدى عشرة خلوة محلاً لسكنى جماعة من الفقراء ، خلاف[2] واحدة منها فإنه جعلها خاصّاً للمدرسة المذكورة .

وكان ابتداء التدريس فيها في يوم السبت سابع جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وثمانمائة على الحالة التي قُدّرت حين الوقت في تعيين أوقات التدريس بها في أيام الأسبوع ، فكان تدريس الشافعي ضحوة يوم السبت وضحوة يوم الاثنين ، وكان تدريس الحنفي من ضحوة يوم الأحد وضحوة يوم الأربعاء وضحوة يوم الخميس ، وكان تدريس الحنبلي فيما بين الظهر والعصر من يومي الأربعاء والخميس . ووقف الواقف المتقدّم ذِكْره على المدرّسين والفقهاء والسكان بالمدرسة المذكورة وعلى مصالحها ما اشتراه لذلك ، وذلك حديقتان وسقية[3] ماء ، فأما الحديقتان فتعرف أحدهما بسلمة ، والأخرى بالحِلّ ، وهما بالضيعة المعروفة بالرُّكاني بوادي مَرّ ، من أعمال مكة المشرفة .

وأما السقية فأربع وجاب ، من قرار عين الضيعة المذكورة وجبتان منها

---

(١) في نسخة : وغيره .
(٢) في النسخة (ك) : خلا .
(٣) في النسخة (ك) : وسقبة .

Marfat.com

يصرفان بحسين[1] منصور ليله ونهاره . وجعل الواقف المذكور ريع ما يتحصّل من ذلك من كل سنة يقسم خمسة أقسام : قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم ، وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية بينهم ، وقسم منه يقسم ثلاثة أقسام قسم منه يصرف في مصالح المدرسة المذكورة من الزيت والماء وغير ذلك ، والقسمان الأخران من هذا القسم يصرفان للسكان بالمدرسة المذكورة بالسوية بينهم ، وكان وقفه لذلك في اليوم التاسع عشر من المحرم سنة أربع عشرة وثمانمائة . وفي النصف الأخير من ذي الحجّة من السنة المذكورة وقف الواقف المذكور على المدرسة المذكورة داراً تقابلها تُعرف بدار أم هانيء ، اشتراها الواقف بخمسمائة مثقال ، وعمّرها في السنة المذكورة ، وأوقفها على مصالح المدرسة المذكورة . وسافر الواقف من مكة بعد حجّه في هذه السنة لإعلام مخدومه السلطان غياث الدين بذلك ، فلم يقدَّر اجتماعهما لأنّ ياقوت مات في شهر ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة[2] بجزيرة موهوز[3] ، ومات السلطان غياث الدين في آخر سنة أربع عشرة أو في أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة ، والأولى أقرب للصواب ، لأنه أشيع موته بمكة في موسم سنة أربع عشرة ، ولم يصحّ ذلك ، ثم جاء الخبر بصحّة وفاته في سنة خمس عشرة ، تغمّدهم الله برحمته ، آمين .

ومنها : مدرسة أبي علي بن أبي زكريا[4] قرب المدرسة المجاهدية وتُعرف بأبي طاهر المؤذّن . وتاريخ وقفها سنة خمسٍ وثلاثين وستمائة على ما في حجرها ، وواقفها فيه مترجَم بالإمام الشهيد ، وما عرفت حاله .

ومنها مدرسة الأُرْسُوفي بقرب باب العُمْرة ، وهو العفيف عبد الله بن محمد

---

(١) في المنتخب : بحسن .
(٢) الضوء اللامع ١٠/٢١٤ رقم ٩٢٩ .
(٣) في النسخة (ك) : هرموز .
(٤) في المنتخب : (ذكرى) .

الأرسوفي[1] وهي معروفة به ، وما عرفت متى وُقفت ؟ إلاَّ أنّ لها أزيد من مائتي سنة ، ولعلّه وقفها في تاريخ وقف رباطه الذي بقربها المعروف برباط أبي رُقَيبة لسكناه به ، وسيأتي تاريخه .

ومنها مدرسة ابن الحدّاد المهدويّ بقرب هذه المدرسة ، وتُعرف الآن بمدرسة الأشراف الأدارسة لاستيلائهم عليها ، وتاريخ وقفها شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين وستمائة ، وهي على المالكية .

ومنها مدرسة النهاوندي بقرب الموضع الذي يقال له الدريبة ، ولها[2] نحو مائتي سنة فيما أحسب ، والله أعلم .

ذكر الربط بمكة المشرفة

بمكة رُبَط موقوفة على الفقراء :

منها الرباط المعروف برباط السِّدْرَة بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بني شيبة ، لا أدري من وَقَفَه ولا متى وُقف ، إلاَّ أنه كان موقوفاً في سنة أربعمائة ، وموضعه هو دار القوارير التي بُنيت في زمن الرشيد على ما ذكر الأزرقي[3] .

ومنها رباط قاضي القضاة أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المَراغي الملاصق لهذا الرباط .

ورباط عند باب المسجد المعروف بباب الجنائز ، ويُعرف الآن بالقيلاني

---

(١) كان تاجراً عدلاً توفي بمصر سنة ٥٩٣ هـ . وهو مشهور بكثرة البرّ والصدقات بمصر والحجاز . (التكملة لوفيات النقلة ١ /٢٧٧ رقم ٣٧٩) .

(٢) في النسخة (ك) : ولد .

(٣) أخبار مكة ١ /١١٣ .

Marfat.com

لسُكّناه به ، وتاريخ وقفه سنة خمسٍ وسبعين وخمسمائة ، كذا في الحجر الذي على بابه ، وفيه أنّ واقفه وقفه على الصّوفيّة الواصلين إلى مكة المقيمين والمجتازين من العرب والعجم .

ومنها رباط الأمير إقبال الشَّرابي المستنصري العباسي عند باب بني شيبة ، على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام ، وتاريخ عمارته له في سنة إحدى وأربعين وستمائة ، وللشرابي عليه أوقاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك بوادي مَرّ ونخلة .

ومنها رباط أم الخليفة الناصر العباسي ، ويعرف بالعُطيفية ، لأنّ الشريف عُطَيفة صاحب مكة كان يسكنه ، وتاريخ وقفه سنة تسعٍ وسبعين[1] وخمسمائة . كذا في الخشب الذي على بابه ، وفيه أنه وقفه على الفقراء والصوفية ذوي التُقَى والعبادة والعفاف والزهادة والصلاح والرشاد والتجريد والانفراد .

ومنها رباط الحافظ أبي عبد الله بن مَنْدَه[2] ملاصق لزيادة دار الندوة ، وبابه على بابها الذي يخرج منه إلى السويقة ، ويعرف الآن بالبرهان الطبري ، وعلى بابه الذي عند باب زيادة دار الندوة حجر مكتوب فيهٌ : أنه وقفه على القادمين من أصبهان أربعين يوماً ، وعلى سائر الناس عشرة أشهر وعشرين يوماً .

ومنها رباط الشيخ أبي حفص عمر بن عبد المجيد المَيانشي قرب هذا

---

(١) في « منتخب شفاء الغرام » المطبوع في أوروبا ص ١٠٨ : (وتسعين) .

(٢) في « منتخب شفاء الغرام » ص ١٠٨ بعد كلمة « منده » : (الأصبهاني) . وهو محمد بن إسحاق ابن محمد بن يحيى بن مَنْدَة إبراهيم بن الوليد بن مندة بن بُطّة بن إستادار ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . (العبر في خبر من غبر للذهبي ٣/ ٦٠ ، الوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ١٩٠ ، طبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء ٢/ ١٩٥٢ ، لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٧٠ ، من أدركه الخلّال من أصحاب ابن منده ـ تخريج أبي موسى المديني ـ مخطوط بالظاهرية ، مجموع ٨٠ ، من حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي ـ تحقيق د . عمر عبد السلام تدمري ، ص ٣١ و ٤٥ ـ طبعة دار الكتاب العربي) .

Marfat.com

الرباط ، ومنه داران في شارع السويقة ، وما عرفت نسبته للميانشي هل هو لأجل وَقْفِه أو لسُكْناه فيه ؟ ومقتضى ما ذكر من نسبة الميانشي أن يكون له أزيد من مائتي سنة وثلاثين سنة .

ومنها رباط عند الباب المنفرد في هذه الزيادة يقال له رباط الفُقَّاعية ، وتاريخ وقفه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . كذا في الحجر الذي على بابه ، وفيه أنّ قهرمانة[1] المقتدي الخليفة العباسي وقفته على المنقطعات الأرامل .

ومنها رباط قربه ، يقال له : رباط صالحة ، لا أعرف من وقفه ولا متى وُقف ؟

ومنها بالجانب الشمالي أيضاً رباط يعرف برباط القزويني ، وما عرفت واقفه ولا من وقفه ، إلا أنه كان موجوداً في أثناء القرن السابع ، وبابه عند باب السدّة من خارج المسجد .

ومنها رباط قبالته يقال له : رباط الخاتون ، ويعرف الآن بابن محمود ، وتاريخ وقفه سنة سبعٍ وسبعين وخمسمائة ، كذا في الحجر الذي على بابه ، وفيه أنه وُقف على الصوفية الرجال الصالحين من العرب والعجم ، وأنّ الذي وقفته الشريفة فاطمة بنت الأمير أبي ليلى محمد بن أنو شروان الحسني .

ومنها رباط الزنجبيلي قبالة مدرسته عند باب العُمْرة من خارج المسجد ، بينه وبين المسجد دار ، وتاريخهما واحد .

ومنها الرباط المعروف برباط الخوزي بخاء وزاي معجمتين بزيادة باب إبراهيم ، وقفه الأمير قَرَامر[2] بن محمود بن قرامر الأقدري[3] الفارسي على

---

(١) في النسخة (ك) : قهرمان .
(٢) في النسخة (ك) : قرامز .
(٣) في « منتخب شفاء الغرام» : الأفزري .

Marfat.com

الصوفية الغرباء والمتجرّدين . كذا في الحجر الذي على بابه ، وتاريخه فيما أظنّ سنة سبع عشرة وستمائة .

ومنها رباط رَامُشْت عند باب الحَزْوَرَة ، ورَامُشْت هو الشيخ أبو القاسم واسمه إبراهيم بن الحسين الفارسي ، وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقّعة من سائر العراق ، وتاريخه سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة . وظفرت بنسخة كتاب وقفه ، وكان قد احترق جانب كبير من هذا الرباط في الليلة التي احترق فيها المسجد الحرام وهي ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ، وأول ما كان الحريق في البيت الذي على بابه الذي بالمسجد ، ثم خرجت النار من شبّاكه حتى تعلّقت بسطح المسجد ، ثم وفّق الله غير واحد للتقرّب بعمارته ، فعُمّر منه جانب كبير من سُفْله الذي يلي المسجد وبعض المجمّع الذي فوقه ، ثم صرف الشريف حسن بن عجلان أمير مكة مائتي مثقال ذَهَباً لعمارته في أوائل سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، فعمّر بها جميع ما كان محترقاً[1] من الرباط المذكور من البيوت العلوية وغير ذلك مما يحتاج إلى العمارة علواً وسفلاً ، وصرف من ذلك جانباً فيما يحتاج إليه من أبواب بيوت الرباط وغير ذلك من مصالحه وجاءت عمارته حسنة .

ومنها رباط السيد الشريف بدر الدين حسن بن عجلان الحسني[2] نائب السلطنة بمكة وجميع الأقطار الحجازية زاده الله رفعة ، وهو الذي أنشأه ، وهذه منقبة ما عرفت مثلها لأحد ممّن تقدّم من أمراء مكة ، وتاريخه سنة ثلاثٍ وثمانمائة ، وهو مقابل المدرسة المقابلة للمدرسة المجاهدية ، وله عليه أوقاف بمكة ومِنَى ووادي مَرّ .

ومنها رباط الجمال محمد بن فرج المعروف بابن بعلْجد[3] قريباً من هذا

---

(١) في المنتخب : تخربها .

(٢) ترجم له السخاوي وقال : له مآثر منها رباط للفقراء بالقرب من المسجد الحرام وآخر بأجياد . . توفي سنة ٨٢٩ هـ . (الضوء اللامع ٣/١٠٣ ـ ١٠٥ رقم ٤١٧) .

(٣) هذه الكلمة من زيادة كتاب منتخب شفاء الغرام ص ١١٠ .

Marfat.com

الرباط وباب الحَزْوَرَة ، وتاريخه سنة سبعٍ وثمانين وسبعمائة ، وهو وقف على الفقراء المنقطعين بمكة .

ومنها رباط قبالة باب المسجد الحرام المعروف بباب أجياد ، أمر بإنشائه وزير مصر تقيّ الدين عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بابن أبي شاكر[1] قبل أن يلي الوزارة في سنة خمسة عشرة وثمانمائة ، ومات قبل كمال عمارته ، وبعد عمارة غالب سفله ، فاستصاره الأمير عزّ الدينِ[2] عبد الغني بن أبي الفرج الأستادار الكبير المؤيّدي الملكي فيما ذكره بوجه شرعي[3] ، وأمر أمير مكة الشريف حسن بن عجلان بتكميل عمارته ، فبُني بأمره جانب كبير من علوه ومن سفله في سنة عشرين وثمانمائة ، وفي ذي القعدة من السنة قبلها مات ابن أبي شاكر ، ومات ابن أبي الفرج في نصف شوال سنة إحدى وعشرين وثمانمائة قبل كمال عمارته ، والفقراء الآن فيه ساكنون ، وله باب في باب أجياد الصغير غير بابه الذي بالشارع الأعظم .

ومنها رباط السلطان شاه شجاع[4] صاحب بلاد فارس قبالة باب الصفا ،

---

(١) توفي سنة ٨١٩ هـ . (الضوء اللامع ٥/١٠٢ و١٠٣ رقم ٣٨٤) .

(٢) في النسخة (ك) : فخر ، وهو الموافق لما في منتخب شفاء الغرام والضوء اللامع للسخاوي ، فهو عبد الغني بن عبد الرزاق بن أبي الفرج ، كان أرمني الأصل . ذكره الفاسي في العقد الثمين وقال إنه أمر بتكملة عمارة الرباط الذي أمر بإنشائه الوزير قبله تقي الدين عبد الوهاب . . وهو برأس زقاق جياد الصغير مقابل المسجد الحرام بينهما مسيل الوادي . (الضوء اللامع ٤/٢٤٨ ـ ٢٥١ رقم ٦٤٩) .

(٣) قال السخاوي : إنما أكمله الفخر بعد انتقال ملكه إليه بمقتضى الابتياع من ولد التقي عبد الوهاب المنحصر إرث أبيه فيه وفي أخته شقيقته الخماسية وهي محجورته وباع عنها وذلك في صفر سنة عشرين الثابت عن الشهاب بن المحمّرة الشافعي ، والمنفذ له الشمس محمد بن الصلاح محمد بن البدر محمد بن الحسن بن البرقي الحنفي ، وقبل كونها رباطاً كانت خربة اشتراها ابن أبي شاكر فمن ابن السعدي بن غراب لربعها ، ومن الأمين عبد الله بن أبي الفرج بن موسى الشهير بجدّه لباقيها في سنة خمس عشرة .

(٤) هو شاهْ شجاع بن محمد بن مظفر اليزدي . مات سنة ٧٨٧ هـ . وقيل ٧٨٦ هـ . (الدرر الكامنة ٢/١٨٧ المتن والحاشية) .

Marfat.com

ويقال له رباط الشيخ غياث الدين الأبرقوهي الطبيب لتولّيه أمره وعمارته ، ولـه فيه سعي مشكور أعظم الله له فيه الأجور ، وتاريخـه سنة إحـدى وسبعين وسبعمائـة ، وهو وقف على الأعاجم من بلاد فارس المجرّدين المتّقين دون الهنود .

ومنها قربه رباط يقال له رباط البانيـاسي على يسار[1] الـذاهب إلى الصفا ، وتاريخه سنة خمسٍ وعشرين وستمـائة ، وقفـه الأمير فخـر الدين أيـاز بن عبد الله البانياسي على الفقراء المعروفين بالتديّن والصلاح في التاريخ المذكور .

ومنها الدار المعروفة بـدار الخيزران قـرب الصفا مبـدأ المسعى ، ولا أعرف واقفها ولا متى وُقِفت .

ومنها الرباط المعروف برباط العبّاس بالمسعى ، وفيه العلم الأخضر ، وكان مطهرة ثم جُعل رباطاً ، والذي عمله مـطهرة الملك المنصـور لاجين المنصوري ، والذي عمله رباطاً ابن أستاذه الملك النـاصر محمـد بن قلاوون الألفي أعـظم الله أجرهما ، واسمهما مكتوب فيه على ما بلغني .

ومنها رباط الشيخ أبي القاسم بن كلالة الطبيبي بالمسعى قرب هذا الرباط ، وتاريخه سنة أربعٍ وأربعين وستمائة .

ومنها بالمسعى أيضاً رباط بالمَرْوَة على يسـار الذاهب إليهـا ، يقال لـه رباط التميمي ، والذي وقفه هو الشيخ أبو العباس ، ويقال أبو جعفـر أحمد بن إبـراهيم ابن عبد الملك بن مطرف التميمي المريني الفنجيري ، وقفه على الفقراء من أهـل الخير والدين والفضـل من العرب والعجم المتـأهّلين وغيرهم ، على مـا يليق بكل واحد منهم من المنازل في العُشْر الأوسط من شوال سنة عشرين وستمـائة ، ووقف عليه الحمام الذي بأجياد ، وقد ظفرت بكتاب وقف الحمّام ثم ذهب منّي .

وبأعلى مكة عدة ربط :

---

(١) في « منتخب شفاء الغرام » ص ١١١ (يمين) .

Marfat.com

منهـا رباط عليّ بن أبي بكـر بن عمران العـطار المكي ، ولم يثبت وقفه إلاّ بعد موته في سنة موته وهي سنة إحدى وثمانمائة[1] .

ومنها رباط يُعرف بأبي سماحة لسكناه به قـرب المجزرة الكبيـرة من أعلاهـا على يمين الذاهب إلى المُعَلاَّة ، وقفه الأمير قـايماز بن عبـد الله السلطاني سلطان الروم والأرمن ،أبي[2] الفتح قليج بن أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان السلجوقي على المجـاورين والمقيمين والمنقطعين بمكـة من أصحاب الإمـام أبي حنيفـة في سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائة . هذا معنى ما في الحجر الذي على بابه .

ومنها بأعلى مكة أيضاً ثلاثة رُبَط ، يقـال لها ربط الأخـلاطي ، بعضها وُقف على النساء الحنفية من المجـاورات والقادمـات ، وبعضها وُقف على أهـل مدينـة أخـلاط الصالحين القـاصـدين لبيت الله الحـرام ، وبعضهـا وُقف في سنـة تسعين وخمسمائة ، وبعضها في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

ومنها رباط يقال له رباط الوَتْش بتـاء مثنّاة من فـوق وشين معجمة قـرب هذه الرُبط .

ومنها رباط لعطية بن خليفة المطيرن[3] أحد تجار مكة في عصرنا .

وبزقاق الحجر بمكة رباطان :

أحدهما رباط المَقَرّ إبـراهيم بن محمد الأصبهـاني سبط الشيخ قـطب الدين العسقـلاّني[4] وقفـه على الفقـراء والمسـاكين المجـاورين بمكـة من أهـل الخيـر والديانة من أيّ صنف كان من العرب والعجم ، في سلخ رجب سنة تسعٍ وأربعين وسبعمائة .

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٠٥ و ٢٠٦ رقم ٦٨٣ .
(٢) كذا في الأصل ويبدو ان هنا نقصاً .
(٣) في المنتخب ص ١١٢ : (المطيبين) .
(٤) في المنتخب ص ١١٢ (القسطلاني) ، وسيأتي هكذا بعد قليل في المتن .

Marfat.com

والثاني رباط السيدة أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين الطبري ، وقفته على الفقراء والمساكين في شعبان سنة أربعٍ وثمانين وسبعمائة .

وبسوق الليل عدة رُبَط :

منها رباط يقال له رباط سعيد الهندي لسكناه فيه ، وما عرفت واقفه ولا تاريخه .

ومنها الموضع الذي يقال له : بيت المؤذّنين ، وواقفه هو واقف رباط الخوزي على شرطه ، وتاريخه وقفه سنة سبع عشرة وستمائة .

ومنها الموضع الذي يقال له : زاوية أم سليمان ، وتاريخها سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

وبأجياد عدة رُبَط :

منها الموضع الذي يقال له رباط الزيت لا أعرف واقفه ولا متى وُقف .

ومنها رباط يقال له : رباط غزى بغين وزاي معجمتين ، وقفه عليّ بن محمد المصري على الفقراء والمساكين المجرّدين من أيّ جنس كان من المسلمين سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

ومنها رباط يعرف برباط الساحة ، وكان موجوداً في أثناء القرن السابع ، ووقفه جماعة من النسوة ، منهنّ والدة الشيخ قطب الدين القسطلاني على الفقراء والغريبات المتديّنات .

ومنها الرباط المعروف برباط ربيع ، وهو واقفه عن موكّله في ذلك السلطان الملك الأفضل نور الدين عليّ[1] ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ،

---

(١) تسلطن بدمشق وتوفي سنة ٦٢٢ هـ . أنظر عنه : مفرّج الكروب لابن واصل ٢/٤٢٣ ، ذيل الروضتين لأبي شامة ١٤٥ ، شفاء القلوب ٢٥٦ ، التكملة لوفيات النقلة للمنذري ٣/١٤٠ ، البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٠٨ ، أمراء دمشق للصفدي ٥٨ ، النجوم الزاهرة ٦/٢٦٢ ، شذرات الذهب ٥/١٠١ ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب للزبيدي ٦٩ .

Marfat.com

وتاريخ وقفه في العَشْر الأواسط من ذي الحجّة سنة أربعٍ وتسعين وخمسمائة ، وهو وقف على الفقراء المسلمين الغرباء .

ومنها رباط بقرب رباط ربيع ، أمر بإنشائه أمير مكة السيد حسن بن عجلان ، وهو ملاصق لحوبة داره التي أنشأها بأجياد . وقد عمّر غالب سفله إلاَّ قليلاً منه وجانب من علوه ، وفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة استؤجر بعض البناة بمكة على تكميل عمارته وشُرِع في ذلك ، وكان أمر الشريف حسن بإنشائه في سنة ستّ عشرة وثمانمائة ، وأدخلت فيه البئر المعروف ببئر عفراء .

ومنها رباط يعرف برباط بنت التاج ولا أعرف واقفه في الابتداء ، وله أزيد من مائتي سنة ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه أنه وقف على النساء الصوفيات الأخيار والمجاورات .

ومنها رباط يعرف برباط المسكينة .

ومنها بالحِزَامية بزاي معجمة ، الرباط المعروف برباط الدمشقية ، وُقف على الصوفية والعلماء والقراء والفقراء من أهل دمشق والعراقين العرب والعجم في رجب سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة .

ومنها الرباط المعروف برباط الزرندي[1] ، وقفه الشيخ نجيب الدين أبو الحسن بن محمد بن جبريل الزرندي على أهل شادة زرند القادمين إلى حجّ بيت الله الحرام ، وله أزيد من ثلاثمائة سنة .

ومنها رباط يعرف برباط السبتية بسين مهملة وباء موحدة ثم تاء مثناة من فوق ثم ياء مثناة من تحت ، كان موجوداً في سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة .

ومنها رباط خلف رباط الزرندي للنسوة ، وكان موجوداً في أثناء القرن السابع .

---

(١) في منتخب شفاء الغرام : (الدوري) .

Marfat.com

ومنها رباط بقرب هذه الربط يقال له رباط بنت الحـرابي بحاء وراء مهملتين وألف وباء موحدة لسكناها به ، وبلغني أنها وقفته .

ومنها رباط يعرف برباط الورّاق بقرب باب إبـراهيم لا أعرف واقفـه ولا متى وُقف ؟

ومنها رباط القاضي الموفّق جمـال الدين عليّ بن عبـد الوهـاب الأسكندري وقفه على فقراء العـرب الغربـاء ذوي الحاجـات المتجرّدين ، ليس للمتـأهّلين فيه حظّ ولا نصيب في سنة أربعٍ وستمـائة ، كـذا هو مكتـوب في الحجر الـذي على بـابه ، وفيـه العرب مضبـوط بفتح العين والـراء المهملتين ، وهذا الـرباط بـأسفل مكة .

وفي جهة الشبيكة بالمسفلة عدة رُبط :

منها الربـاط الذي يقـال له ربـاط أبي قتيبة[1] لسكنـاه به ، ويقـال له ربـاط العفيف ، والعفيف المشار إليه هو الأُرْسوفي صاحب المدرسـة التي بقربـه ، وقفه عن نفسه وعن موكّل شريكه فيه القاضي الفاضل عبد الـرحيم بن علي البيساني[2] سنة إحدى وسبعين[3] وخمسمائة ، على ما في الحجر الذي على بابـه ، وفيه أنـه وُقف على الفقراء والمساكين العرب والعجم الرجال دون النساء القـادمين إلى مكة والمجاورين ، على أن لا يزيد الساكن في السُكْنَى على ثـلاث سنين إلاّ أن تُقطع أقدامه ، وسكناه في السفر إلى مسافة القصر .

---

(١) في المنتخب : (رقيبة) .

(٢) وزر للسلطان صـلاح الدين الأيـوبي ، وتوفي سنـة ٥٩٦ هـ . ترجمتـه في : خريدة القصر (القسم المصري) ١/٣٥ ، معجم البلدان ١/٧٨٨ ، مرآة الزمان ٨/٨٧٣ ، ذيل الروضتين ١٧ ، الجـامع لابن السـاعي ٩/٢٨ ، وفيـات الأعيـان (التـرجمـة ٣٤٧) ؛ طبقـات الشـافعيـة الكبـرى للسبكي ٤/٢٥٣ ، البـدايـة والنهـايـة ١٣/٢٤ ، التكملة لـوفيـات النقلة ١/٣٥١ ، الفلاكـة ، والمفلوكون للدلجي ٨٩ ، السلوك للمقـريـزي ١/١/١٥٣ ، حسن المحـاضـرة ١/٢٧٠ ، شـذرات الـذهب ٤/٣٢٤ .

(٣) في المنتخب : (وتسعين) .

Marfat.com

ومنها رباط به بقربه يعرف برباط الطويل ، بُني في عُشْر السبعين وسبعمائة فيما أحسب .

ومنها رباط الجهة وهي الأدر الكريمة جهة الطواشي فرحات زوج الملك الأشرف إسماعيل بن الفضل صاحب اليمن وأم أولاده ، ضاعف الله أجرها وأعلى قدرها ، ويقال له رباط الشيخ علي السعداني لتوليته لأمره وعمارته ، وتاريخ وقفه سنة ستٍّ وثمانمائة ، وهو وُقف على الفقراء الأفّاقين المجرّدين عن النساء المستحقّين للسكنى .

ومنها رباطان قرب الموضع الذي يقال له الدريبة :

أحدهما يعرف برباط ابن السوداء لسكناه به ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه : أنّ أم خليل خديجة وأم عيسى مريم ابنتي القائد أبي ثامر المبارك بن عبد الله القاسمي وقفتاه على الصوفيات المتديّنات الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب ، في العُشْر الأول من شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة ، ويقال له أيضاً : رباط الهرِّيش بتشديد الراء المهملة . والآخر يعرف بابن غنايم ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه ما معناه : وقفه السلطان الملك العادل ملك الجبال والغور والهند محمد بن أبي علي ، على الصوفية الرجال العرب والعجم ، على أن يكون عدد الساكنين فيه عشرة لا غير ، سواء كانوا مجاورين أو مجتازين ، وبعضهم مقيم وبعضهم مجتاز ، وذلك سنة ستمائة ، انتهى .

فهذه الربط المعروفة الآن بمكة أجزل الله ثواب واقفيها ومن أحسن النظر فيها[1] .

* * *

(١) وفي منتخب شفاء الغرام ص ١١١ ذكر لرباط قديم قبالة رباط البانياسي وهو على يمين الذاهب إلى الصفا أمرت بإنشائه خوند بنت ابن خصبك زوجة الملك الأشرف إينال في سنة ٨٦٥ هـ ولم يكمل لأنّ ولدها المؤيد بن الأشرف إينال خلعه عن الملك بالقاهرة فبطلت عمارته .

وبمكـة أوقاف كثيـرة على جهات من القـربات ، غـالبها الآن غيـر معـروف لتوالي الأيدي عليها ، ومن المعروف منها البيمارستان للمستنصر العباسي بالجانب الشمالي من المسجد الحرام ، وتاريخ وقفه ثمـانٍ وعشرين وستمـائة ، وعمّـره في عصرنا هذا الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة عمارتـه التي هو عليهـا الآن ، وزاد فيه على ما كان عليه أولاً إيوانين : أحدهما في جهة الشـامية ، والأخـرى في جهته الغربية ، وأحدث فيه صهريجاً ورواقاً فوق الإيوانين اللذينْ أحدثهما ، وفوق الإيوان الشرقي الذي كان فيه من قبل ، وجدّد هو عمارته ، وفـوق الموضـع الذي فيه الشبّاكان المشرفان على المسجد الحرام ، وأدخل فيه البئر التـي كانت يُستَقَى منها للميضأة الصرغتمشية ، ووقف جميع ما بنـاه وما يستحقّ منـافعه في المـوضع المذكور للمدّة التي يستحقّها المدّة على الضعفاء والمجـانين ، ووقف عليه منـافع الـدار المعروفـة بدار الإمـارة عند بـاب بني شيبة بعـد عمـارتـه لهـا حين تخـرّبت بالحريق الذي وقع في آخر ذي القعدة من سنة أربع عشرة وثمانمـائة ، وذلـك بعد استئجاره لها واستئجاره للبيمارستان المذكور لتخرُّبهما من القاضي الشـافعي بمكة لمدّة مائة سنة ، وأذن له في صرف أجرة الموضعين في عمارتها ، وكـان استئجاره لذلك في صفر سنة ستّ عشرة وثمانمائة[1] .

ووقف المنافع يتمشّى على رأي البعض من متـأخّري المـالكية ، وحكم بـه بعض طلبة المالكيـة ليثبت أمره ، وإن كـان بعض المعتبرين من المـالكية لا يـرى جـوازه ، كما هـو مقتضى مذهب الشـافعي وأبي حنيفة وأحمـد بن حنبـل رحمهم الله ، والله يوفّقنا أجمعين للخير آمين .

ذكر السقايات والبرك بمكة المشرفة وحرمها وعرفة

بمكة وحَرمها عدة سقايات ، وتُسَمَّى أيضـاً السُبُل بسين مهملة وبـاء موحّـدة مضمـومتين جمع سبيـل ، وشهرتهـا عند النـاس بالسبـل أكثر ، وهي كثيـرة إلاّ أنّ

---

(١) في المنتخب ص ١١٦ : في شهر ربيع الأول سنة ٨١٥ هـ وفيه شرع في عمارتهما وكان دفعه لذلك في صفر . الخ .

Marfat.com

بعضها صار لا يُعرف لخرابه وبعضها معروف مع الخراب .

فمن ذلك سبيل عطيّة بن ظهيرة بأعلى مكة[1] ، وسبيل قاسم الرنكي عند مسجد الراية ، وسبيل السيدة أم الحسين بنت القاضي شهاب الدين الطبري بالمسعى عند موضع الجزّارين والخرّازين ، وسبيل لابن بعلْجد عند عين بازان التي بالمسعى قرب الميل الأخضر الذي بمنارة باب عليّ والمقابل له ، وسبيل السيد الشريف حسن بن عجلان سلطان الحجاز في عصرنا برباطه الذي أنشأه ، بلّغه الله مناه .

ومنها بأعلى مكة سبيل لأم سليمان المتصوّفة عند تربتها بالمُعَلاَّة قرب درب المُعَلاَّة .

ومنها سبيل أنشأه القاضي زين الدين عبد الباسط[2] ناظر الجيوش المنصورة في سنة ستٍّ وعشرين وثمانمائة بالمُعَلاّة على يمين النازل من الحَجُون .

ومنها سبيل لعطية المطير[3] في طرف المقبرة من أعلاها عند البئر التي يقال لها بئر الطواشي .

ومنها السبيل الذي أنشأه القائد سعد الدين جبروة .

ومنها السبيل المعروف بسبيل ابن صنداد ، وليس هو المبتكر له ، لأنَّ بعض أمراء الملك الكامل ولد الملك المسعود صاحب مكة عمّر ذلك .

---

(١) جدّده القاضي أبو السعادات ابن ظهيرة في أوائل سنة ستٍّ وخمسين وثمانمائة .

(٢) هو عبد الباسط بن خليل الدمشقي القاهري . وُلد سنة ٧٨٤ بدمشق ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٤ هـ . قال السخاوي : وله من المآثر والقُرَب المنتشرة بأقطار الأرض ما يفوق الوصف ، فمن ذلك بكل من المساجد الثلاثة وبدمشق وغزة والقاهرة مدرسة . . وأصلح كثيراً من مسالك الحجاز ورتب سحّابة تسير في كل سنة من كلٍّ من دمشق والقاهرة إلى الحرمين ذهاباً وإياباً برسم الفقراء والمنقطعين . (الضوء اللامع ٣/ ٢٤ ـ ٢٧ رقم ٨١) .

(٣) في المنتخب ص ١١٧ : (المطربين) .

Marfat.com

ومنها سبيل فوق هذا السبيل إلى جهة مِنَى للسيد الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أمر بعمارته في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة وعنده مسجد .

ومنها السبيل الذي يقال له سبيل الستّ ، وهو مشهور بطريق مِنَى . والستّ المنسوبة إليها عمارته هي أخت الملك الناصر حسن صاحب مصر ، وتاريخ عمارتها سنة إحدى وستين وسبعمائة .

ومنها سبيل المعلّم عبد الرحمن بن عقبة المكي بقرب مِنَى .

ومنها سبيل بمِنَى لعطيّة المطير .

وبمنى عدّة سُبُل عامرة وبمزدلفة وعرفة .

وطريقهم سبل متخرّبة معطّلة ، وبعضها لا يُعرف ، وقد أشرنا إليها في أصل هذا الكتاب .

وبأسفل مكة مما يلي التنعيم عدّة سقايات :

منها سبيل الزنجبيلي ، ويقال له سبيل أبي راشد لتجديده له ، ويقال له سبيل المكين[1] لتجديده له أيضاً ، وتاريخ عمارة الزنجبيلي له سنة عشرين وستمائة . كذا في حجر فيه ، وهي عمارة تجديد ، لأنّ الزنجيلي توفي قبل ذلك على ما ذكر ابن شاكر الكتبي بسبعٍ وثلاثين سنة ، وتاريخ عمارة أبي راشد سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة ، وتاريخ عمارة المكين سنة ثمانٍ وثمانمائة .

ومنها السبيل الذي يقال له سبيل بنت القاضي عبد الرحمن بن عقبة المكي ، وسبيل آخر أنشأته السيدة زينب بنت القاضي شهاب الدين الطبري صَدَقَةً عن أخيها القاضي نجم الدين محمد بن القاضي شهاب الدين الطبري سنة خمسٍ وستين وسبعمائة ، وهو الآن معطّل لخرابه .

ومنها سبيل الملك المنصور صاحب اليمن ، وهو مشهور .

---

(١) في النسخة (م) السكين بدل المكين . وفي المنتخب ص ١١٨ : المكيني .

ومنها السبيل المعروف بسبيل الجوخي ، وهو الآن معطّل لخرابه . ورأيت فيه حجراً ملقىً مكتوباً فيه : أنّ المقتدر العباسي ووالدته أمرا بعمارة هذه السقاية والآبار التي وراءها وتصدّقا بها ، وفيه : إنَّ ذلك سنة اثنتين وثمانمائة[1] .

ومنها سبيل دون هذا السبيل إلى مكة عمّره الشهاب المكين السابق أجزل الله ثوابه في سنة ثمانٍ وثمانمائة ، وإلى جانب ذلك حوض للبهائم .

وكان بمكة سقايات أكثر مما ذكرنا بكثير ؛ لأنّ الفاكهي قال ، لما ذكر السقايات : وبمكة في فجاجها وشِعابها من باب المسجد إلى مِنَى ونواحيها ومسجد التنعيم نحو من مائة سقاية ، انتهى .

ذكر البرك بمكة وحرمها

بمكة وحرمها عدّة بِرَك لا أدري من أنشأها ، ويقال لها : المصانع .

منها بركتان عند باب المُعَلاَّة متلاصقتان جُدّدتا في دولة الملك الناصر حسن صاحب مصر ، وذلك في ولايته الأولى سنة تسعٍ وأربعين وسبعمائة ، وعُمّرتا بعد ذلك غير مرّة ، منها في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وعمارتها في هذه السنة لإصلاحهم بالنَّوْرَة ما يحتاج إلى الإصلاح فيهما ، ونوَّرُوا في بعض الجدران ما لم يكن مُنَوَّراً قبل ذلك ، ورفعوا جميع جوانبها عن الأرض ، والذي رفعوه من ذلك نحو ذراع ، وفي بعض المواضع أكثر ، وعمدوا إلى الحاجز الذي بين البركتين فهدموا الجدار الذي يليه إلى صوب الطريق العظمى ، وبنوا هناك ثبرتين وعملوا عليهما عقداً مشرفاً ، وعملوا في موضع العقد باباً (شَبَحاً) من عرعر يُغْلَق دون الصغار ، ومن يريد النزول إلى الماء خوفاً على الماء من تغيّره بالنزول فيه ، وعملوا تحت الباب درجاً . والآمر بهذه العمارة علاء الدين القائد (المدينى من حال البركة الصغرى التي تلي المسجد الحرام في الجانب الشرقي ، وغالب

---

(١) كذا بالأصل ، وصوابه : (وثلاثمائة) . لأنّ المقتدر ولي الخلافة من ٢٩٥ هـ حتى عام ٣١٨ هـ .

Marfat.com

الجانب اليماني على يدي ناظر المسجد الحرام قاضي القضاة أبي اليُمْن النويري[1] ، وقد أجرى سفل البركة الصغرى حَرَداً ، ويجري مع جوانبها في (واجب وشعبان سنة سبعين وثمانمائة)[2] .

ومنها بركتان متلاصقتان إحداهما تلصق سور باب المُعَلاَّة ببستان الصارم ، وكانتا معطَّلتين فعُمِّرت إحداهما في النصف الثاني من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، ومُلئت من عين بازان بعد جرْيها . والذي أمر بعمارتها وإجراء الماء الشهاب بركوت المكين[3] .

ومنها بركتان عند مولد النبيّ ﷺ بسوق الليل تُنسبان للمسلماني على ما بلغني .

ومنها بأسفل مكة بركة يقال لها : بركة باب الماجن لأنها عند باب مكة المعروف بباب الماجن .

ومنها بحرم مكة مما يلي مِنَى وعرفة عدّة بِرَك ، منها البركة المعروفة ببركة السَّلَم ، لا أدري من أنشأها ، وجدّدها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر ، وعمّر القُنَى التي تصل إليها من مِنَى ، وذلك في سنة خمسٍ وأربعين وسبعمائة .

وبطرف مِنَى مما يلي المزدلفة في طريق عرفة برك أُخَر معطّلة أيضاً لخرابها ، أشرنا إليها في أصل هذا الكتاب .

---

(١) ما بين القوسين وارد في (المنتخب ص ١١٩) ويبدو أنه كان بهامش بعض النسخ وليس من أصل الكتاب .

(٢) هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري المكي الشافعي . ولد سنة ٧٩٣ وولي قضاء مكة وجدّة ونظر المسجد الحرام في أوقات مختلفة . مات سنة ٨٥٣ هـ . (الضوء اللامع ٩/١٤٣ و ١٤٤ رقم ٣٦٠) .

(٣) في المنتخب : المكي . وهو شهاب الدين عتيق سعيد المكيني عتيق مكين الدين اليمني . مات سنة ٨٣٠ هـ. قال السخاوي : ومن مآثره بطريق أنس سبيل وحوض للبهائم . (الضوء اللامع ٣ /١٥ رقم ٦١) .

Marfat.com

وبعرفة عدّة برك ، وغالبها الآن ممتليء بالتراب حتى صار ذلك مساوياً للأرض ، وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدر ، وعدا ذلك خمس برك ، وتاريخ عمارتها سنة خمس عشرة وثلاثمائة . وبعضها عمّره المظفّر صاحب إربل في سنة أربعٍ وتسعين وخمسمائة ، وفيما بعدها . وبعضها عمّره إقبال الشرابي المستنصري العباسي في سنة ثلاثٍ وثلاثين وستمائة ، وعمارتهما للبرك المكتنفة بعين عرفة أيضاً . واسم إقبال باقٍ على بعض البرك التي حول جبل الرحمة وعمّر بعضها الملك نائب السلطنة بمصر ، ثم عمّر بعضها في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر .

ذكر الآبار التي بمكة وحرمها

ذكر الأزرقي شيئاً من خبر الآبار الجاهلية والإسلامية بمكة وحرمها وبعرفة ، وليس يُعرف ههنا الآن مما ذكره الأزرقي إلاّ القليل كما سنبيّنه ، ولذلك اقتصرنا هنا على تعريف هذه الآبار بما يُعرف به الآن ، وجملة الآبار التي يحتوي عليها سور مكة ثمانية وخمسون بئراً .

منها بئر برباط السُّدْرَة ، وهي سَجْلَة[1] بسين مهملة وجيم ، حفرها هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب، وقيل: حفرها قُصَيّ ووهبها عبدُالمطّلب ابن هاشم للمُطْعَم بن عَدِيّ ،وقيل : إنّ جبير بن مُطْعَم ابتاعها من ولد هاشم[2] .

ومنها بئر برباط الشرابي .

ومنها بئر بالمدرسة الأفضلية .

---

(١) سَجْلة : بفتح أوله وسكون ثانيه ، والسجل : الدلو إذا كان فيه ماء سواء قلّ الماء أو كثُر ، ولا يقال لها وهي فارغة سجل .

(٢) أخبار مكة ٢/٢١٧ .

Marfat.com

ومنها بئر بالميضأة الصرغتمشية .

ومنها بئر برباط أم الخليفة ، وهو العُطَيْفية .

ومنها بئر برباط القاعية .

ومنها بئر بالمدرسة المنصورية .

ومنها بئر عند باب الحَزْوَرَة ، عليها جُمَّيزة كبيرة حفرها المهدي العباسي .

ومنها بئر في الدار المعروفة بالملاعنة .

ومنها بئر بالمدرسة المجاهدية .

ومنها بئر برباط كُلالة بالمسعى .

ومنها بئر بالمطهرة الناصرية عند باب بني شيبة .

ومنها بئر بميضأة الملك الأشرف شعبان ، عمّرها جدّه الملك الناصر سنة ستٍّ وسبعمائة لأجل رباط العباس فيما أحسب ، فإنّ منها إليه قناة ليسكب فيها الماء .

ومنها بئر الحمام الذي بسوق الليل .

ومنها بئر بقرب مولد النبيّ ﷺ بسوق الليل ، تُعرف بالسماطية ، لعلّها بئر عبد شمس بن عبد مناف بن قُصيّ المعروفة بالطُّوى التي ذكرها الأزرقي[1]، والله أعلم .

ومنها بئر بقربها ينسب لأبي مُغَامس أحد تجار مكة ، لأنه عمّرها وعندها مسجد .

ومنها بقرب ذلك بئر[2] في دار عطية المطيبيز .

---

(١) أخبار مكة ٢/٢١٧ و ٢١٨ .

(٢) في النسخة (م) : البئر بدل بئر ، وهو الصحيح .

Marfat.com

ومنها بئران في المُعَلاّ بالشِعْب الذي تسمّيه الناس شِعْب عامر ، وهو شِعْب عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ، إحداهما في بستان في هذا الشِعْب ، والأخرى بفم الشِعْب[1] .

ومنها بئر في البستان الذي عند باب المُعَلاّة ، ويقال لها : المنقوس .

ومنها بئر تُعرف بأم الفاغية عند سبيل ابن ظهيرة .

ومنها بئر عند مسجد الراية ، وهي بئر جُبَيْر بن مُطْعَم التي ذكرها الأزرقي[2] ، والله أعلم .

وبأجياد عدّة آبار :

منها بئر برباط الزيت . ومنها بئر برباط غزى . ومنها بئر برباط ربيع . ومنها بئر مما يلي هذا الرباط في جانب الوادي . ومنها بئر يقال لها : أم الزين ، عند بيت الشريفة فاطمة بنت ثقبة صاحب مكة . ومنها بئر يقال لها الوردية . ومنها بئر يقال لها بئر عكرمة ، ذكرها الأزرقي[3] . ومنها بئر يقال لها الواسعة . ومنها بئر في حوش الرباع . ومنها بئر يقال لها بئر عفراء . ومنها بئر يقال لها بئر مسعود ، ويقال لها أيضاً أم الفاغية . ومنها بئر يقال لها بئر المعلم . ومنها بئر عند بيوت الداجوة يقال لها : أم حجر . ومنها بئر برباط بنت التاج . ومنها بئر عند حمام أجياد .

وبالحزامية بأسفل مكة ، بالحاء المهملة وزاي معجمة ، عدة آبار :

منها بئر برباط الدمشقية ، عمّرتها فيما أحسب زوجة تقيّ الدين بن صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة تسعٍ وثمانين وخمسمائة . ومنها بئر برباط الدوري .

---

(١) يوجد بفم الشعب الآن بئر يقال لها : (بئر أبو دية) لعلّها هي .
(٢) هي بئر سَجْلة عند الأزرقي ـ أخبار مكة ٢/٢١٧ .
(٣) بأجياد الصغير في الشعب الذي يقال له الأيسر . (أخبار مكة ٢/٢٢٥) .

Marfat.com

ومنها بئر برباط السبتية . ومنها بئر يقال لها بئر النبيّ ﷺ ، والناس يستشفون بماء هذه البئر ، ولعلّها والله أعلم السُّنْبُلَة ، بئر خلف بن وهب الجمحي التي ذكرها الأزرقي وقال : يقال : إنّ النبيّ ﷺ : بصق فيها وإنّ ماءها جيّد[1] من الصداع ، والله أعلم .

وبالحجارية من المسفلة عدّة آبار :

منها بئر عند بيوت عرفطة ، يقال لها أم الحُمَرَة بحاء مهملة مضمومة وميم وراء مفتوحتين[2] . ومنها بئر عند البيوت المعروفة بالأشراف ذوي علي ، مما يلي باب الماجن ، وهما بقرب الموضع الذي يقال له : بيت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه . ومنها بئر في زقاق ضيّق نافذ بقرب أم الحُمَرَة[3] . ومنها بئر في بستان عليّ بن يوسف بن أبي الأصبع عند باب الماجن . ومنها بئر قبالة هذه البئر في الوَدْنة .

وبمسيل وادي إبراهيم بالمسفلة وما يليه من البيوت عدّة آبار :

منها البئر المعروفة بباب إبراهيم[4] . ومنها بئر برباط الموفّق . ومنها بئر يُنسَب للقائد زين الدين شُكْر[5] مولى الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة . ومنها بئر بجنبها إلى أسفل مكة في البيت المعروف بأحمد بن عبدالله الدوري

---

(١) كذا بالأصل ، وفي أخبار مكة ٢/٢١٩ أيضاً . ولعلّه أراد : « جيّد يشفي من الصداع » .

(٢) ما زال ذلك الزقاق يسمّى باسم (زقاق الحُمَرَة) ولكنّ البئر التي هناك ، وهي موجودة إلى الآن اسمها (بئر المدعون) .

(٣) المعروف الآن عند بيت أبي بكر الصديق (البازان المسمّى بازان القبة) ، وفي أول زقاق القبة الضيّق بئر مهجورة اسمها بئر زقاق القبّة ، ومن الجهة الجنوبية لبرحة الصدّيق بئر أخرى ما زالت باقية إلى الآن .

(٤) هذه البئر ما زالت موجودة يستقي منها الناس ، وهي في دهليز المدرسة المسمّاة بالمدرسة الفخرية ، في باب إبراهيم .

(٥) توفي سنة ٨٤٥ هـ . بعد أن أوصى ببيت من بيوته يُجعَل رباطاً وبآخر يوقَف عليه ، وبعد سنين بنى ابنه (بديد) رباطاً ووقف البيت عليه . (الضوء اللامع ٣/٣٠٦ رقم ١١٧٤) .

Marfat.com

الفرّاش بالحرم الشريف . ومنها بئر بقربها في بيت يُعرف ببيت اليَنْبُعِي على يسار الذاهب إلى باب الماجن[1] . ومنها بئر في جهة الشُّبَيْكَة يقال لها بئر النَّشْو . ومنها بئر في الشبيكة أيضاً بقرب المقبرة عند بيوت رُقَيَّة ، يقال لها : مجنة ، ولها قرنان . ومنها بئر قرب باب الشبيكة عمرها العفيف الهِبِي ، وبُنِي عندها سبيلٌ[2] هو الآن خراب . ومنها بأسفل مكة بئر أيضاً بالموضع الذي يقال لها خرابة قريش التي عمّرها الشهاب بركوت بن عبدالله المكيني[3] . ومنها بئر في وسط السويقة ، عليها بيت يُنسب للبليني ، يقال : إنها من عمارة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، والله أعلم . ومنها بئر في الموضع المعروف بدار الحفرة بالسويقة . ومنها بئر بقعيقعان عند وقف علي بن أبي بكر بن عمر العطار . فهذه التي حواها سور مكة فيما علمت ، ولم أذكر فيها الآبار التي لا ماء فيها ، وجميعها مسبلة إلاّ البئر التي في بيت المطيبيز بأعلى مكة ، والبئر التي في بيت القائد زين الدين شُكْر ، والبئر التي في بيت أحمد الدوري ، والبئر التي في بيت اليَنْبُعي .

ذكر الآبار التي بين باب المُعَلاّة ومِنَى

بين باب المُعَلاّة ومِنَى سبع عشرة بئراً بتقديم السين : منها بئر قرب باب المُعَلاّة تُنسب لأم سليمان المتصوّفة عند تُربتها ، وتُنسب أيضاً للملك المسعود صاحب مكة . ومنها بئر يقال لها : بئر الطواشي عند طرف المقبرة من أعلاها . ومنها بئر بالبستان الذي أنشأه القائد سعد الدين جَبْرَوَة . ومنها بئر ببستانه الذي أمامه إلى جهة مِنَى . ومنها بئر ببستان له بين البستانين إلى جهة شعب البياضية . ومنها بئر خلف سبيل ابن شدّاد[4] السابق ذكره . ومنها بئر في بستان ينسب لابن

---

(١) لعلّها البئر الموجودة حتى الآن بين بيت الشريف العمري ، وبيت السيد الفلالي ، على ناصية زقاق المسفلة .

(٢) في الأصل : (وبنى عندها سبيلاً) .

(٣) سبقت ترجَمته .

(٤) في الأصل : (صنداد) ، وما هنا عن المنتخب .

Marfat.com

فُطَيْس أمام هذا السبيل . ومنها بئر في محاذاة المعابدة فيها المعابدة[1] ، ويقال لها: أم قرنين . ومنها بئر لا ماء فيها في الموضع الذي يقال لها الخرمانية ، وهو أودان برأس المعابدة على جادّة الطريق على يمين الهابط إلى مكة . ومنها البئر التي يقال لها بئر آدم على يمين التي إلى مِنَى ، وليست على جادّة الطريق ، وممن عمّرها الأمير شيخون[2] العمري الناصري في سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة . ومنها بئر يقال لها البياضية . ومنها بئر ميمون بن الحَضْرَميّ أخي العلاء[3] بن الحَضْرَميّ ، وهي التي الآن بالسبيل المعروف بسبيل السبتّ بطريق مِنَى ، وممن عمّرها المظفَّر صاحب إربل في سنة أربعٍ وستمائة على ما وجدت بخطّ عبد الرحمن بن أبي حرمي المكي في حجر بهذه البئر يتضمّن عمارة صاحب إربل لها ، وعرَّفها ببئر ميمون الحضرمي ، ورأيت لبعضهم ما يقتضي أنّ بئر ميمون بطريق وادي مَرّ الظَّهران ، وهو وَهْم ، والله أعلم .

ومنها بئر محاذية لبركة السَّلَم على يسار الذاهب إلى مِنَى .

ومنها بئر يقال لها : بئر النجار ، وتعرف بالمعلم عبد الرحمن بن عقبة المكي على يسار الذاهب إلى مِنَى أيضاً ، وممن عمّرها الأمير شيخون في سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة ، وعمّرها بعده الأمير جركتمر المارديني[4] صاحب الحُجَّاب بالقاهرة ، ومقدّم العساكر بمكة ، في سنة إحدى وستين وسبعمائة .

ومنها بئر أمام هذه البئر إلى مِنَى في وجهتها إلى جهة مِنَى عند رأس الشعب الذي يقال له شِعب البيعة الذي فيه مسجد البيعة السابق ذكره ، وتُعرف هذه البئر ببركة مسهر .

---

(١) في النسخة (ك) : (الماء) ، بدل المعابدة .

(٢) هو شيخو الناصري مدبّر المملكة للسلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . مات سنة ٧٥٨ هـ . (الدرر الكامنة ٢/١٩٦ و ١٩٧ رقم ١٩٥٠) .

(٣) ولّاه الخليفة عمر بن الخطاب على البحرين . مات سنة ٢١ هـ . (تاريخ خليفة بن خياط ١٥٤) .

(٤) مات قبيل ٧٧٠ هـ . (الدرر الكامنة ١/٥٣٤ و ٥٣٥ رقم ١٤٤٨) .

Marfat.com

ومنهـا البئر المعـروفة بصَـلَاصِل ، وهي من الآبـار الإسلاميـة على ما ذكـره الأزرقي[1] .

ومنها بئر بقرب هذه البئر يقال لها الجُنَينة بجيم مضمومة ونـون مفتوحـة وياء مثنّاة من تحت ونون ، وهي وصلاصل في الجانب الذي يكون على يمين الذاهب إلى مِنَى ، وكلام الأزرقي يقتضي أنّ البئر المعروفة ببركة مسهـر في صلاصـل لأنه قال : وبئر الصلاصل بفم شِعْب البيعة عند العقبـة ، عقبة مِنَى اهـ . والله أعلم ، ولم يبيّن الأزرقي سبب تسميتهـا بصلاصـل ، ولعلّ ذلـك نسبتهـا إلى صلصـل بن أوس بن مخامس[2] بن معاوية بن شريف من بني عمرو بن تميم لأنّ الفاكهي روى بسنده عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال : كانت العرب في أشهر الحجّ على ثلاثة أهواء ، منهم من يفعل المنكر وهم المُحِلّون الذين يُحِلّون الأشهر الحرم فيغتـالون فيهـا ويسـرقـون ، ومنهم من كـان يكفّ عن ذلـك ، ومنهم أهـل هَـوًى ، شـرعـه صلصل بن أوس بن مجاسر بن معاويـة بن شريف من بني عمـرو بن تميم في قتال المُحِلّين ، ثم قـال بعد أن ذكـر المُحْرِمين : وكـانوا يسمّـونهم الصـلاصـل ؛ لأنّ صلصلا شرع ذلك ، وكانوا ينزلون على بئر قريبة من مكة ، ثم يتفرّقون في الناس منهـا ، وكانت البئـر تسمّى ببئر صـلاصل اهـ . ولكن يعكّـر على نسبة هـذه البئر لصلاصل المشار إليه ما ذكره الأزرقي من أنّ صلاصل البئـر التي ذكرهـا من الآبار الإسـلامية ، فـإنّ مقتضى مـا ذكـره الكلبي أن تكـون من الآبـار الجـاهليـة ، والله أعلم .

وذكر الأزرقي ما يخالف ما ذكره من أنّ صلاصل من الآبار الإسلامية ، وهي التي ذكر منها ما سبق ذكره عنه في صلاصل تِلْو قوله : عقبة مِنَى ، وفيها يقول أبـو طالب :

---

(١) أخبار مكة ٢/٢٢٦ .

(٢) في النسخة (ك) : (محاسن) ، بدل مخامس ، والصحيح مجاسر .

Marfat.com

ونُسْلمه حتى يُصَرَّع[1] حوله ... ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل[2]

انتهى

وإذا كان أبو طالب ذكر هذه البئر فهي جاهلية .

ذكر الآبار التي بمنى وهي خمس عشرة بئراً

منها بئر تعرف بالحجامية بقرب جمرة العقبة في بستان عندها . ومنها بئر يقال لها : كَدَّانة ، بدال مهملة مشدَّدة ونون بعد الألف ، في منزلة المحمل المصري . ومنها بئر يقال لها : عمارة ، بفتح العين وتشديد الميم في الشِعب الذي يلي ذلك ، وهي حلوة . ومنها بئر يقال لها : الكُلَيْبِيَّة ؛ حلوة أيضاً . ومنها بئر يقال لها الشَّعْبانية في بستان شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي . ومنها بئر يقال لها : بئر إسماعيل ويقال لها : دَغْبَح . ومنها بئر في بيت الجعافرة عند بيت أبي مُغَامس في الطريق السفلي . ومنها بئر بقرب الشِعْب الذي يقال له : سمير ، ينسب لموسى بن غصون . ومنها بئر بقربها تُنسب لابن فُطَيْس . ومنها بئر بقربها يقال لها : أم النخلة ، وتُنْسَب لابن معيوف ، ومنها بئر يقال لها : أم الحمام ، حلوة . وهي بقرب أم النخلة ، عمّرتها زوجة الملك المنصور صاحب اليمن ، في سنة خمسٍ وأربعين وستمائة . ومنها بئر يقال لها : العسيلة في منزلة بني حسن بمِنَى . ومنها بئر في الشِعْب الذي يقال له : سمير . ومنها بئر يقال لها : العراقيب ، حلوة ، في الشِعْب الذي يقال له : شِعْب عمرو ، على يسار الذاهب إلى عرفة .

وبمنى آبار أُخَر في بعض بيوتها لا تُعرف على ما بلغني .

---

(١) في أخبار مكة « نصرع » .
(٢) أخبار مكة ٢/٢٢٧ .

Marfat.com

ذكر الآبار التي بمزدلفة

بمزدلفة ثلاث آبار : منهـا بئر قبـالة المشعـر الحرام على يمين الـذاهب إلى عرفة ، ومنها بئر بقربها في الجهة اليمنى يقال لها : بئر البقر ، ومنها بئر في الجهة اليسـرى محاذيـة للمشعر الحـرام في منزلـة الركب العـراقي ، وفيمـا بين مـزدلفـة وعرفة : يقال لها : السقيا على يسار الذاهب إلى عرفة .

ذكر الآبار التي بعرفة

بعرفة آبار ، فيها الآن الماء ، فمنها بئر يقال لها : الزيـادية الكبـرى ، ومنها بئر يقال لها : الزيادية الصغرى ، ومنها بئر يقال لها : الشمردقية ، وفيها عـدّة آبار أُخَر لا ماء فيها ، عمّرها المظفّـر صاحب إربـل . وقد ذكـرناهـا مع تـاريخ عمـارة المظفّر لها في أصل هذا الكتاب ، والله أعلم .

ذكر الآبار التي بظاهر مكة من أعلاها

فيمـا بين بئر ميمـون بن الحضرمي والأعـلام التي هي حدّ الحـرم في طريق جادّة وادي نخلة ، وفيما بين بئر ميمون والأعلام المشار إليها خمس عشرة بئراً :

منهـا أربعة آبـار تُعرف بـآبار العُسيلة ، وفي رأس طيّ بعضهـا ما يقتضي أنّ المقتـدر العباسي أمـر بحفر بئـرين منها ، وفي طيّ بعضهـا ما يقتضي أنّ العجـوز والدة المقتدر عمّرتها مع سقايـات هناك ، ومسجـد لا يُعرف الآن منـه شيء ، وقد ذكرنا نصّ المكتوب في أصل هذا الكتاب . والبئر الرابعة من آبار العسيلة جـدّدها بعد دثورها بعض الأمراء المصريين في سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة . وبقية الآبار لا ماء فيها إلّا بئر لأبي بكر الحصار ، وهي تلي آبار العسيلة .

Marfat.com

ذكر الآبار التي بأسفل مكة في جهة التنعيم

فيما بين باب مكة المعروف بباب الشبيكة والتنعيم ثلاث وعشرون بئراً بجادّة الطريق .

منها : بئر الملك المنصور صاحب اليمن عند سبيله ، وتُعرف بالزاكية . وقد ذكرنا هذه الآبار في أول هذا الكتاب أوضح من هذا . ومنها الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير ، وبعض هذه الآبار من عمارة المقتدر العباسي . وبقرب الشبيكة آبار أُخَر يقال لها : الزاهر الصغير ، وهي ثلاثة آبار ، منها واحدة لا ماء فيها ولها قرنان ، في أحدهما حجر مكتوب فيه تاريخ عمارتها . وبقرب هذه الآبار بئر ببطن ذي طَوَى على مقتضى ما ذكره الأزرقي في تعريف ذي طوى[1] . وبأسفل مكة أيضاً بئر يقال لها الطُّنْبُدَاوِيَّة[2] ، وبأسفل مكة مما يلي بابها المعروف بباب الماجن عدّة آبار ، منها بئر بقربه من خارجه ، وبئر بالشِعْب الذي يقال له « خُمّ » بخاء معجمة[3] .

ذكر عيون مكة المشرفة

روينا بالسند المتقدّم إلى الأزرقي قال في العيُون التي أُجريت في الحرم : كان معاوية قد أجرى في الحرم عيوناً ، واتخذ له أخيافاً ، وكان حوائط وفيها الزرع والنخْل ، وسردها الأزرقي[4] ، وذكرنا كلامه في أصل هذا الكتاب . قال :

---

(١) أخبار مكة ٢/١٠٧ وانظر الحاشية رقم ٧ .

(٢) هي الطنبداوية ، وبها سُمّي الطنبداوي . وهو حيّ من أحياء مكة .

(٣) خُم : بضم أوله . قال الفاكهي : بئر خم قريبة من الميثب ، وكان الناس يأتون خماً في الجاهلية والإسلام في الدهر الأول يتنزّهون به ويكونون فيه ، قال عبد شمس :

حفرت خماً وحفرت رمّا حتى ترى المجد لنا قد تمّا

وكان عبدالله بن عمر يقول وهو بخم :

لا نستقي إلاّ بخُمّ والحفر .

(معجم البلدان ٢/٣٨٩ و ٣٩٠) .

(٤) أخبار مكة ٢/٢٢٧ .

Marfat.com

وقد كانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وذهبت ، فأمر أمير المؤمنين الرشيد بتجديدها ، فعُمِلت وأُحْيِيَتْ وصُرِفت من عين واحدة ، ثم قال : ثم كان الناس بعد تقطّع هذه العيون في شدّة الحاجة إلى الماء . وكان أهل مكة والحجّاج يلقون في ذلك المشقّة حتى إنّ الراوية لتبلغ في الموسم عشرة دراهم ، وأقلّ وأكثر ، فبلغ ذلك أمَّ جعفر بنت أبي الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور ، فأمرت في سنة أربعٍ وسبعين ومائة بعمل بركتها التي بمكة ، فأجرت لها عيناً من الحرم فجرت بماء قليل ، فلم يكن فيه ريّ لأهل مكة ، وقد غرمت في ذلك غرماً عظيماً[1] ، فأمرت المهندسين أن يجروا لها عيناً من الحِلّ . ثم أمرت من يزن عينها الأولى فوجدوا فيها فساداً ، فأنشأت عيناً أخرى إلى جنبها ، وأبطلت تلك العيون ، فعملت عينها هذه بأحكم ما يكون من العمل ، وعظُمت في ذلك رغبتها ، وحسُنَت نيّتها ، فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنيّة خلّ[2] ، فإذا الماء لا يظهر في ذلك الجبل ، فأمرت بالجبل فضرب فيه ، فأنفقت في ذلك من الأموال ما لم تكن تطيب به نفس كثير من الناس ، حتى أجراها الله على يديها ، وأجرت فيها عيوناً من الحِلّ ، منها عين المُشاش[3] ، واتخذت له بِرَكاً تكوَّن فيه السيول ، إذا جاءت تجتمع فيها ، ثم أجرت لها عيوناً من حُنَين ، واشترت حائط حُنَين ، فصرفت عينه إلى البركة وجعلت حائطه سدّاً يجتمع فيه السيل . فصارت لها مكرمة لم تكن لأحد قبلها ، وطابت نفسها بالنفقة فيها بما لم تطب به نفس أحد غيرها[4] . انتهى باختصار . وقد ذكرنا ذلك كلّه في أصل هذا الكتاب .

وذكر أبو الحسن المسعودي في تاريخه مقدار ما صرفت زبيدة على هذه

---

(١) في المطبوع من شفاء الغرام ١/٣٤٦ « وقد عزمت في ذلك عزماً عظيماً » .

(٢) ثنيّة خل : ويقال لها : خل الصفاح ، وهي عند منتهى الحرم من طريق العراق ، وطريق السيل للطائف .

(٣) عين المشاش : بضم الميم . قال ياقوت : يتصل بجبال عرفات جبال الطائف ، ومنها مياه كثيرة أو شال وعظائم قنيّ منها المشاش وهو الذي يجري بعرفات ويتصل إلى مكة . (معجم البلدان ٥/١٣١) .

(٤) أخبار مكة ٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢ .

Marfat.com

العين ، لأنـه ذكر أنّ القـاهر العبـاسي سأل محمـد بن علي العبدي[1] الخُـراساني الإخباري أن يبسط له في أخبار زبيدة ، فذكر أنّ لها في الجدّ والهزْل ما بَـرَّزَتْ به على غيـرها ، فـأما الجـدّ فالآثـار الجميلة التي لم يكن في الإسلام مثلهـا ، مثـل حفرها العين المعروفة بعين المُشاش بالحجاز فإنّها حفرتها ومهّدت الطريق لمائهـا في كل خفْض ورفْع وسهل ووعر ، حتى أخـرجتها من مسـافة اثني عشـر ميلاً إلى مكـة ، وكان جملة مـا أنفقت عليها فيمـا ذكـروا قُـدِّر بـألف ألف وسبعمـائـة ألف دينار[2] . انتهى باختصار .

وهذه العين في غالب ظنّي عين مكة المعروفة بعين بازان[3] ، بيـاء موحـدة وألِف ثم زاي معجمة ثم ألف ونون ، لأنها من هذه الجهـة ، وقد عمّـر هذه العين جماعة من الخلفاء والملوك ، منهم المستنصر العباسي غير مرّة ، منها مرة في سنة خمسٍ وعشـرين وستمائـة . ومنها مـرة في سنة أربـعٍ وثلاثين وستمـائـة . ومنهم الأمير جوبان[4] نائب السلطنـة بالعـراقين عن السلطان أبي سعيد بن خـربندا ملك التتـار ، وذلك في سنـة ستٍّ وعشرين وسبعمـائـة ، ووصلت إلى مكـة في العُشـر الأخير من جُمادَى الأولى من هذه السنة ، وعمّ نفعها ، وعظم . وكان جريانها هذا نعمة من الله تعالى ورحمة منه لأهل مكة ، فإنّ النفس كانوا بمكـة في جهد عـظيم لقلّة الماء بمكة . ولجدّ والدي لأمه الشيخ دانيال بن علي بن يحيى المرستـاني[5] أحد كبار مشيخة العجم بمكة في جريانها سعي مشكور ، أجزل الله له ولمن أعانه على ذلك الثواب فيه . وجملة ما صُرف على هذه العين في هذه العمارة مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم على ما قيل ، وكانت تحتمل من المصروف زيادة على هذا القدر ، مثله وأكثر ، والسبب في الاقتصار على القدر المعيّن الاستغناء به عن

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/٣٤٧ ، المصري ، والتصويب من مروج الذهب ٤/٣١٣ .
(٢) قارن بمروج الذهب ٤/٣١٧ .
(٣) وتعرف الآن (بعين زبيدة) .
(٤) قتل سنة ٧٢٨ هـ . (الدرر الكامنة ١/٥٤١) .
(٥) في منتخب شفاء الغرام ص ١٢٨ : (اللرستاني) .

Marfat.com

غيره بسبب ما وُجد فيها حين عمارتها من القُنيّ المعمولة المهيّأة من قديم الزمان ، وهي أكثر من الثلث وأقلّ من النصف . وعُمّرت بعد ذلك غير مرّة في سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، وهذه العمارة من جهة السيد الشريف حسن عجلان نائب السلطنة بمكة والأقطار الحجازية أعلى الله قدره ، وكان دخولها مكة في آخر العشر الأوسط من جمادى الأولى منها ، وجرت جرياً حسناً بحيث امتلأت منها بركة الماجن بأسفل مكة وتعدّى الماء إلى غيرها ، وَكثر الدعاء له بسبب ذلك لِما حصل بها من عظيم النفع ، وبيعت منها الراوية بربع مسعودي ، بعد أن كانت بدرهمين مسعوديين وأزيد ، فللّه الحمد والشكر ، ثم حصل من جريانها قصور في آخر السنة ، ثم انصلح حالها في أول سنة اثنتي عشرة وثمانمائة من غير عمل ، ثم تغيّر حالها قليلاً ، ثم عُمّرت وانصلح حالها كثيراً في آخر هذه السنة . ثم جرت جرياً حسناً في العُشْر الأخير من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، وهي مستمرّة على جريانها إلى الآن ، غير أنّ الماء يكثر حيناً ويقلّ حيناً ، ونسأل الله تعالى تيسير الخير ، والشهاب بركوت المكين سلّمه الله يحسن في أمرها ، لأنه يقوم بمصالحها من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة إلى تاريخه ، وهو سنة سبع عشرة وثمانمائة .

ثم بعد ذلك قلّ ماؤها ولقي الناس بمكة شدّة بسبب ذلك ، وعرف بهذا الأمر مولانا السلطان الأعظم الملك المؤيّد أبو النصر شيخ صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين ، أدام الله تعالى توفيقه وتأييده ونَصْره ، فتطوّع بألفي دينار ذهباً لعمارة هذه العين ، لأنه ما زال بمصالح أهل الحرمين كثير الاهتمام ، وقد تكرّر منه عليهم الجزيل من الإنعام . وندب القائد علاء الدين[1] لعمارة ذلك فشرع في العمارة والتنظيف والإصلاح حتى وصل الماء لمكة المشرفة وحصل به النفع ، وتضاعفت الأدعية من سكّان الحرم لمولانا السلطان بسبب ذلك . وكان حصول

---

(١) مات في سنة ٨٢٨ هـ . (الضوء اللامع ١١/١٦٣) .

Marfat.com

هـذا الخير بمكـة في شعبان سنـة إحدى وعشـرين وثمانمـائة ، وابتـدأ العمـل في جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

ثم قلّ جريان الماء في العين المذكورة بعد قليل من جريانهـا الأول ، ويسّر الله دخول سيل فيهـا فجرت جـرياً أحسن من جـريها الأول ، وصُـرفت إلى بركتي المُعَلاَّة اللَّتَيْن على يمين الداخل إلى مكة ، فـامتلأتـا وحصل بهمـا للحجّاج نفـع كثير ، ولم يبق فيهما بعد سفر الحاجّ ما فيـه كثير نفـع ، وغلا المـاء كثيراً ، وشقّ ذلـك على الناس ، فـوفّق الله تعالى القـائد عـلاء الدين بعمـارة العين وبعث إليها عمّالاً ومهندساً يعمرون فيهـا[1] ما لم يعمـروا في النوبـة الأولى ، وبعض ما عمّـر فيهـا لتجريـة السيل ، ووصـل الماء إلى مكـة بعد ذلـك في آخر صفـر سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وكان جرْيه قليلاً ، فزادوا في العمارة حتى كثر جرْي المـاء ، وعظم النفع به بحيث بيعت الراوية بنصف مسعودي وبما يزيـد ، وبدرهم ، وهـذا أكثر مما بيعت به الروايـة بعد عمـارة العين في النوبـة الثانيـة ، وبلغني أنها بيعت بجايز .

وقد وصل المـاء ، أي ماء العين ، إلى البـركة التي بـأسفل مكـة المعروفـة ببركة الماجن خارج باب مكة المعروف بباب الماجن ، بعد تنظيف الطريق إليها ، وزرعـوا بماء العين هنـاك أودانـاً بقـرب بركـة الماجن ، فللّه الحمـد ، وفاز القـائد بدعاء جزيل . وكان جريانه القـويّ في العمارة الثـالثة[2] في شهـر ربيع الأول من السنـة المـذكـورة ، فـالله تعـالى يثيبـه ويحسن إليـه ويجـزيـه خيـراً بمحمّـدٍ وآلـه أجمعين .

ومن العيون التي أُجريت بمكة عين أجراها الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ، في سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائـة في مجرى عين بـازان ، على ما

---

(١) في النسخة (ك) : غيرها .
(٢) في النسخة (ك) : الثانية .

Marfat.com

ذكـر البرزالي في تـاريخه ، نقـلاً عن كتاب العفيف المـطري إليه ، لأنـه ذكـر في أخبار هذه السنة أنه ورد عليه كتاب من العفيف المطري فيه أمور :

منها : وأُجريت عين أخرى كانت تُعرف بعين جبل ثقبة مما يلي جبـل حِراء على مجرى العين الجوبانية ، وأُنفق عليها قدر يسيـر . قدر خمسـة آلاف درهم ، ووصلت إلى مكة ، وخرجت من أسفلهـا ، وكان ذلـك على يد ابن هـلال الدولـة مشدّ العمائر ، وتاريخ كتاب العفيف سلخ ربيع الأول سنة ثمانٍ وعشرين انتهى .

ومنها عين أجراها الأمير المعـروف بالملك نـائب السلطنة في مصـر في سنة خمسٍ وأربعين وسبعمائة ، من مِنَى إلى بركة السلّم بطريق مِنَى .

ونختم هذه الترجمة بحكاية عجيبة تتعلّق بعين مكة ، وهذه الحكـاية ألفيتهـا مذكورة في الكتاب المسمّى « آكام المرجان في أحكام الجانّ »[1] ، ونصّهـا فيه ، ونقلت من الشيـخ العلامـة شمس الدين أبي عبـد الله محمد بن أبي بكـر الحنبلي رحمه الله ، وحدّثني به أيضاً ، قال : وقعت هذه الواقعة بعينها في مكة سنة أُجرى العين بها ، فأخبرني إمام الحنابلة بمكة ، وهو الذي كان أجراها على يده ، وتولّى مباشرتها بنفسه نجم الدين خليفة بن محمود الكيلاني قال : لما وصلنـا في الحفر إلى موضع ذكره خرج أحد الحفّارين من تحت الحفر مضروعـاً لا يتكلّم ، فمكث كذلك طويلاً ، فسمعناه يقول : يا مسلمون ؛ لا يحلّ لكم أن تظلمـونا . قلت لـه أنـا : وبأيّ شيء ظلمنـاكم ، قال : نحن سكـان هذه الأرض ، ولا والله مـا فيهم مسلم غيـري وقـد تـركتهم ورائي مسلسلين ، وإلاّ كنتم لقيتم منهم شـرّاً ؛ وقـد أرسلوني إليكم يقولون لا نـدعكم تمرّون ، فهـذا الماء في أرضنـا حتى تبذلـوا لنا

---

(١) الكتاب من تأليف قاضي طرابلس الشـام بدر الـدين أبي عبد الله محمـد بن عبد الله الشبلي الحنفي (٧٥٥ ـ ٧٦٩ هـ) . تـرجمته في : الـدرر الكامنة ١٠٧/٤ ، الـوافي بـالـوفيـات ٣٧٨/٣ ، تـاج التراجم ٦٣ ، الإعلام بتـاريخ أهـل الإسلام . لابن شهبة (مخطوط) ١١٩٥/١ ، السلوك ، ج ٣ ق ١٦٧/١ ، عقـد الجمـان ـ ق ١ ج ١٥٥/٢٤ ، المنهـل الصـافي ٥٦/٥ ، النجـوم الـزاهـرة ١٠٠/١١ ، كشف الـظنون ١٤١/١ ، و ١٦٠٩/٢ و ١٦٣٢ ، هـدية العـارفين ١٦٤/٢ ، الأعـلام ١١٢/٧ ، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ٤٣٨/٢ للمحقّق .

حقّنا ، قلت : وما حقّكم ، قال : تأخذون ثوراً فتريّنونه بأعظم زينة ، وتلبسونه وتزفّونه من داخل مكة حتى تنتهوا به إلى هنا ، فاذبحوه ثم أطرحوا لنا دمه وأطرافه ورأسه في بئر عبد الصمد وشأنكم بباقيه ، وإلاّ فلا ندع الماء يجري في هذ ه الأرض أبداً ، قلت له : نعم افعل ذلك ، قال : وإذا بالرجل قد أفاق فمسح وجهه وعينيه ويقول : لا إله إلا الله . أين أنا ، قال : وقام الرجل ليس به قلبه ، فذهبت إلى بيتي ، فلما أصبحت ونزلت أريد المسجد إذا برجل على الباب لا أعرفه ؛ فقال لي الحاج خليفة : ها هنا ، قلت : وما تريد به ؟ قال : حاجة أقولها له ، قلت له : قل لي الحاجة وأنا أبلغها إياه فإنه مشغول ، قال لي : قل له إني رأيت البارحة في النوم ثوراً عظيماً قد زيّنوه بأنواع الحُليّ واللباس ، وجاءوا يزفّونه حتى مرّوا به على دار الخليفة فوقفوه إلى أن أُخرج وراءه. وقال : نعم . هو هذا ، ثم أقبل به يسوقه والناس خلفه يزفّونه حتى خرج به من مكة ، فذبحوه وألقوا رأسه وأطرافه في بئر ، قال : فعجبت من منامه وحكيت الواقعة والمنام لأهل مكة وكبرائهم ، فاشتروا ثوراً وزيّنوه وألبسوه ، وخرجنا به نزفّه حتى انتهينا إلى موضع الحفر ، فذبحناه وألقينا رأسه وأطرافه ودمه في البئر التي سمّاها ، قال : ولما كنا قد وصلنا إلى ذلك الموضع كان الماء يفور ولا ندري أين يذهب أصلاً ، ولا نرى له عيناً ولا أثراً ، قال : فما إلاّ أنْ طرحنا ذلك في البئر ، حتى كان من أخذ بيدي وأوقفني على مكان وقال : أحفروا ها هنا ، فحفرنا ، فإذا بالماء يموج في ذلك الموضع ، وإذا طريق منقورة في الجبل يمرّ تحتها الفارس بفرسه فأصلحناها ونظّفناها فجرى الماء فيها نسمع هديره ، فلم يكن إلاّ نحو أربعة أيام ، وإذا بالماء بمكة وأخبرنا من حول البئر أنهم لم يكونوا يُعرفون في البئر ما يردونه ، فما هو إلاّ أن امتلأت وصارت مورداً . انتهى .

والشيخ شمس الدين الحنبلي المذكور في هذه الحكاية . هو ابن قيّم الجَوْزِيّة[1] ، وقال بعد ذِكرها : وهذا الرجل الذي أخبر بهذه الحكاية كنت نزيله

(١) هو العالم المصنّف المعروف محمد بن أبي بكر بن أيوب . وُلد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ .

Marfat.com

وجاره ، وخَبِرْتُه فرأيتـه من أصدق النـاس ، وأبْيَنِهِم وأعظمهم أمـانة ، وأهـل البلد كلمتهم واحدة على صِدْقه ودينه ، وشاهدوا هذه الواقعة بعيونهم . انتهى .

وبئر عبد الصمد المذكـور في هذه الحكـاية لا تُعـرف الآن ، والعين المشار إليهـا عين بازان ، ويغلب على ظنّي أنّ المـاء جـرى فيهـا لمـا عمّـرهـا أصحـاب جوبان ، والله أعلم .

ذكر المطاهر التي بمكة

بمكة مطاهر أعظمها نفعاً :

مطهرة الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر عنـد باب بني شيبـة ، وكان اشترى موضعها من الشريفين عُطَيْفَـة[1] ورُمَيْثة[2] ابني أبي نمي أميـري مكة نيابة عنـه بخمسةٍ وعشـرين ألف درهم ، وكانت عمـارتها في سنـة ثمانٍ وعشـرين وسبعمائة ، وفيها وُقفت .

ومنهـا مـطهـرة الأميـر المعـروف بـالملك نـائب السلطنـة بمصـر عنـد بـاب الحَزْوَرَة ، وأظنّ أنه عمّـرها في سنـة خمسٍ وأربعين وسبعمائـة والله أعلم ، وهي الآن معطّلة .

ومنها مطهرة الأمير صرغتمش الناصري[3] أحد كبـار الأمراء في دولـة الملك الناصر حسن بن الملك النـاصر محمـد بن قلاوون ، وهي فيمـا بين البيمارستـان

---

(١) هـو عُطَيْفَـة بن محمد بن حسين ، مـات بعد سنـة ٧٣٨ هـ . (الدرر الكـامنة ٢/٤٥٥ ، ٤٥٦ رقم ٢٦٢٨) .

(٢) رُمَيْثة : بمثلثة مصغّر ، أسد الـدين أبو عـرادة بن أبي نمي بالنـون مصغر . ولي إمـرة مكة مـع أخيه حميضة . توفي سنة ٧٤٨ هـ . (الدرر الكامنة ٢/٢٠٦ و ٢٠٧ رقم ١٧٢٨) .

(٣) قتل سنة ٧٥٩ هـ . (الدرر الكامنة ٢/٢٠٦ و ٢٠٧ رقم ١٩٧٨) .

Marfat.com

المستنصري ورباط أم الخليفة ، وتاريخ عمارتها سنة تسعٍ وخمسين وسبعمائة ، ثم عمّرها في عصرنا بعض تجّار الشام وأدارها في سنة ثمانٍ وثمانمائة أو في التي بعدها ، عُمّرت في سنة إحدى عشرة وثمانمائة من وصيّة أوصى بها بعض تجار العجم وأديرت فيها[1] .

ومنها مطهرة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بالمسعى قبالة باب المسجد الحرام المعروف بباب علي ، وكان المتولّي على عمارتها الأمير أبو بكر بن سنقر[2] الجمالي في سنة ستٍّ وسبعين وسبعمائة ، وللأشرف عليها وقف بمكة ربع فوقها ودكاكين ووقف بضواحي القاهرة .

ومنها مطهرة خلفها للنسوة ، عمّرتها أم سليمان المتصوّفة صاحبة الزاوية بسوق الليل ، وفُرغ من عمارتها في سنة ستٍّ وتسعين وسبعمائة .

ومنها مطهرة الأمير زين الدين بركة العثماني رأس النَّوَب[3] بالقاهرة ، وخشداش[4] الملك الظاهر صاحب مصر ، وهي التي بسوق العطارين الذي يقال له : سوق النداء عند باب بني شيبة ، وكان إنشاؤها وإنشاء رَبْعها ودكاكينها في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

ومنها مطهرة تُنسب إلى الأمير الْطُنْبُغَا المعروف بالطويل أحد الأمراء المقدّمين بالقاهرة في أوائل عُشْر السبعين وسبعمائة ، وأظنّها عُمّرت في هذا

---

(١) وقد عمرها الأمير مقبل البديري سنة ٨٣٣ هـ وأوقف عليها أوقافاً بالقاهرة .

(٢) توفي سنة ٧٤٩ هـ . (الدرر الكامنة ٢/١٧٦ رقم ١٩٠ .

(٣) رأس نوبة النَّوَب : وظيفة موضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحد مقدّم ألف وثلاثة طبلخاناه . (صبح الأعشى ٤/١٨) .

(٤) خشداش أو خجداش ، معرّب عن اللفظ الفارسي « خواجاتش » بمعنى الزميل . والخشداشية في عصر المماليك هم الذين نشأوا عند أستاذ واحد ، ويقابلها في الفرنسية Camarades . (أنظر : النجوم الزاهرة ١٥/١٦١ ملحوظة رقم ٢ ، ١٨٨ رقم ٣) .

Marfat.com

التاريخ ، وهي بقرب الموضع المعروف بخرابة قريش ، وبينهما الطريق إلى باب الشبيكة وإلى السويقة[1] وغير ذلك .

ومنها مطهرة عند باب الحَزْوَرَة يقال لها مطهرة الواسطي ، وما عرفت الواسطي المنسوبة إليه ولا متى وُقفت[2] .

Marfat.com

(١) هذه المطهرة باقية إلى الآن قريبة من باب العمرة . وبمناسبة توسعة المسجد الحرام هُدمت بعض هذه المطاهر .

(٢) ومن المطاهر مطهرتان أنشأتهما زوجة الملك الأشرف أينال سنة ٨٦٥ هـ ، وهما بالصفا ، ومنها المطهرة المنسوبة للواسطي ، وقفها الملك العادل نور الدين الشهيد سنة ٥٦٤ هـ وجدّدها القاضي جمال الدين يوسف سنة ٥٨٥ هـ .

Marfat.com

الباب الرابع والعشرون

في ذكر شيء عن خبر[1] "بني المحض بن جندل"[2] "ملوك مكة"

وذكر شيء من أخبار العماليق

ملوك مكة[3] ، وذِكر ولاية طَسْم للبيت الحرام

ذكر شيء من خبر بني المحض بن جندل ونسبهم

قال المسعودي في تاريخه : « وقد تنازع أهل الشرائع في قوم شعيب بن تويد[4] بن رغويل[5] بن مَدْيَن بن عيفا بن مَدْيَن بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان لسانه العربية ، منهم[6] من رأى أنهم من العرب البائدة والأمم البائدة ، وبعض من ذكرنا من الأجيال الخالية ، ومنهم من رأى أنهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن مَدْيَن بن إبراهيم الخليل ، وأنّ شعيباً أخوهم في النَّسب ، وقد كانوا عدّة ملوك تفرّقوا في ممالك متّصلة ومنفصلة ، فمنهم المسمّى : بأبي جاد ، وهَوَّز ، وحُطّي ، وكَلَمُن ، وَسَعْفَصْ ، وقُرشَت . وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل ، وأحرف الجُمَّل هي[7] أسماء هذه[8] الملوك ، وهي

---

(١) في النسخة (ك) : من خبر .

(٢) في نسخة : وملوك .

(٣) ونسبهم : في النسخة (ك) .

(٤) كذا في الأصل ، وعند المسعودي : « نويل » وفي نسخة « نوفل » .

(٥) كذا في الأصل ، وعند المسعودي : « رعويل » بالعين المهملة ، وقيل رعبيل بن مربن عنقاء بن مدين . . » .

(٦) في النسخة (ك): فمنهم ، وكذا عند المسعودي.

(٧) عند المسعودي : « على » بدل « هي » .

(٨) في النسخة (ك) : هؤلاء .

Marfat.com

الأربعة[1] والعشرون حرفاً التي عليها حساب الجُمَّل .

ثم قال المسعودي : فكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز ، وكان هَوّز وحُطّي مَلِكين ببلاد وَجّ ، وهي أرض الطائف وما اتّصل بذلك من أرض نجد ، وكَلَمُن وَسَعْفَصْ وقُرشَتْ ملوكاً بمَدْيَن ، وقيل ببلاد مهر [2] . وكان كَلَمُنْ على مُلْك مَدْيَن . ومن الناس من رأى أنه كان ملك جميع من سَمّينا مُشاعاً متّصلاً على ما ذكرنا . وأنّ عذاب يوم الظُلّة كان في ملك كَلَمُن .

ثم قال المسعودي : وقد ذكرهم المنتصر بن المنذر المُزَني بأبيات يقول فيها :

ملوك بني حُطّي وَسَعْفَصَ ذي النَّدَى ... وهوّز أرباب السنيّة [3] والحجر
هموا ملوك الحجاز ووجه [4] ... كمثل شعاع الشمس أو[5] صورة البدر

ولهذه[6] الملوك أخبار عجيبة . انتهى باختصار .

ذِكر شيء من أخبار العماليق ملوك مكة ونسبهم

أما نسبهم فذكره غير واحد من أهل الأخبار ، منهم ابن إسحاق ، لأنه قال في سيرته لتهذيب ابن هشام : وطَسْم ، وعملاق ، وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عرب كلّهم . انتهى .

وقال الزبير بن بكار فيما نقله عن ابن عبد البرّ : طَسْم ، وأميم ، بنو لاوذ ابن سام بن نوح انتهى .

---

(١) وفي نسخة للمسعودي « التسعة » .
(٢) في النسخة (ك) : مصر ، وكذا عند المسعودي .
(٣) كذا في الأصل ، وعند المسعودي : « البنية » .
(٤) كذا في الأصلَ ، وعند المسعودي : « وهم ملكوا أرض الحجاز وأوجَهَا » .
(٥) عند المسعودي : « في » بدل « أو » .
(٦) عند المسعودي : « ولهؤلاء » . راجع : مروج الذهب ٢/١٤٨ ـ ١٥٠ ففيه زيادة في الشعر .

Marfat.com

وعمليق الذي ذكره الزبير بن بكار هو عملاق الذي ذكـره ابن إسحاق ، لأنَّ ابن هشام قال بعد ذِكْره لخبر فيه ذِكر العماليق : وهم ولد عملاق ، ويقـال عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح انتهى ، وتحصّـل مما قـالوا أنّ والـد عملاق يقـال له لـوذ ولاوذ ، وسقط فيمـا ذكروه من نسب عمـلاق إرَم بين لاوذ وسـام بن نـوح على مـا ذكـره في غير مـوضع من تـاريخه ، لأنـه قال لمـا ذكر ديـانات العـرب وآراءها في الجاهلية وتفرُّقها في البلاد : وسار بعد جديس عمـلاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح لولده ومن اتّبعه ، وهـو يقول بعـد أن ذكر شعـراً : فنزل هؤلاء[1] في الحـرم والتهائم . ومنهم من صار إلى بلاد مصر والمغرب .

وقال المسعودي لما ذكر أخبـار نوح عليـه السلام مـا يوافق ذلـك أيضاً[2] . وذكر المسعودي في موطن آخر ما يقتضي سقوط إرم في نسب عملاق ، ولا منافـاة بين من أثبته في النسب وبين من أسقطه ، لأنّ من أثبتـه ذكر النسب على وجهـه ، ومن أسقـطه نسب بني لاوذ لجدّهم سـام ، لأنه يجـوز أن ينسب الإنسان إلى أبيـه وإلى جدّه ، كما قال النبيّ ﷺ :

أنـا الـنـبـيّ لا كـذب أنـا ابـن عـبـد الـمـطلب

وهو محمد بن عبـد الله بن عبد المـطلب ﷺ ، وقد قيـل : إنّ العماليق من ولد (العيص)[3] بن إسحاق بـن إبراهيم الخليل ، ذكر هذا القـول المسعودي في تاريخه في غير موضع ، لأنه قـال لما ذكـر مكة وأخبـارها وبنـاء البيت الحرام ومن تداوله من جُرْهُم وغيرهـا : « وقد كـانت العماليق بَغَتْ في الأرض ، فسلّط عليهم ملوك الأرض فـأفنتها . وقـد ذكرنـا فيمـا سلف من هـذا الكتـاب عنـد ذكـر الـروم وأنسابهم من ألحق [ولد][4] عملاق وغيرهم ممن ذكرنا بـولد عيص بـن إسحـاق

---

(١) في الأصل هنا « لنا » وقد تكون كلمة « لنا » زائدة .
(٢) مروج الذهب ٢/١٣٤ .
(٣) زيادة من النسخة (ك) .
(٤) زيادة عن مروج الذهب .

Marfat.com

ابن ابراهيم، وأن علماء العرب تنسبهم إلى غير ذلك وهو الأشهر في الناس »[1] . وذكـر في باب أخبـار الروم مـا يقتضي أنّ العمـاليق عنـد من قـال في نسبهم هـذه المقالة : من ولد البعاو بن عيصو ، وأن عيصو هو العيص بن إسحاق[2] .

وروينـا في تاريـخ الأزرقي خبراً عن ابن عبـاس رضي الله عنهمـا ، فيـه مـا يقتضي أنّ العماليق من جِمْيَر[3] . وروينـا في تاريـخ الأزرقي مثله عن عبد الله بن خيثم ، وسنذكر هذين الخبرين فيما بعد . وفي كون العماليق من جِمْير نَظَرٌ ، لأنّ العماليق من ولد إرم بن سام بن نوح ، على ما ذكر المسعـودي ، وجِمْيَر من ولـد أرفخشذ بن سام بن نوح ، وهو جِمْيَـر بن سبأ بـن يشجب بن يعـرب بن قحطان ، واسمه يقطن على مـا قال الحـازمي في العمالقـة بن غابـر ، ويقال : ابن غبـز بن شالخ بـن أرفخشـذ بن سام بن نـوح ، هذا مقتضى مـا نسبه ابن إسحـاق في نسبه جِمْيَر .

وذكر أنّ إسم أبيه سبـأ : عبد شمس ، قـال : وإنّما سُمّي سبـأ لأنه أول من سبا في العرب انتهى .

وقد اتضح مما ذكرناه نسب العماليق وشيء مّن خبرهم ، ونُتْبع ذلـك بشيء من خبرهم .

قال الفاكهي : حدّثنا عبد الله بن عمران المخـزومي العايـدي قال : حـدّثنا سعيد بن سالم القدّاح قال : قال عثمان بن ساج : أخبرنا محمد بن إسحاق قال : كان البيت في زمن هود معروفاً ، والحرم قائم فيمـا يذكـرون ، والله أعلم . وأهل مكة يومئذ العماليق ، وإنّما سُمُّوا العمـاليق لأنّ أباهم عمـلاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وكان سيّد العماليق فيما يزعمون يومئذ رجل يقال له : بكر بن معاوية ، وهو

---

(١) مروج الذهب ٢/٥٢ .
(٢) مروج الذهب ١/٣٠٨ .
(٣) أخبار مكة ١/٨٩ .

Marfat.com

الذي نزل عليه وفد عامر حين بعثوا إلى مكة يستسقون .

قال الفاكهي : وحدّثنا محمد بن علي المَرْوَزِي قال : حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سَلَمَة بن الفضل قال: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن عبدالرحمن ابن عبد الله بن حصن عن عُرْوَة بن الزُبَير ، قال : كانت الحجاز أسحر أرض الله وأكثرها ماء ، وإنّما كانت الخرق مظلّة عليها ، قال يقول عُرْوة : لقد بلغني أنّ العماليق تسرح بها في الغداة الواحدة ألفي ناضح ، بين أحمر وجون انتهى .

وروى الفاكهي بسنده إلى أبي جهم بن حُذَيفة أخباراً فيها ذِكْر شيء من حال العماليق ، فنذكر ما فيها من ذلك : ففي بعضها أنّ جبريل عليه السلام كان لا يمرّ بقرية إلاّ قال له إبراهيم : بهذه أُمِرْتَ يا جبريل ؟ فيقول له جبريل : لا ، حتى مرّ به على مكة ، وهي إذ ذاك عضاه وسلم . والعماليق يومئذ حول الحرم ، وهم يكونون بعُرَنَة ، وهم أول من نزل حول مكة ، وكانت المياه يومئذ قليلة .

وفي بعض الأخبار بعد أن ذكر إخراج الله الماء لإسماعيل : وأقبل غلامان من العماليق يريدان أن يغيّرا من ظمئهما ، فقد عطشا وأهلهما بعُرَنَة ، فنظرا إلى طير يهوي قِبَل الكعبة فاستنكرا ذلك . ثم قال بعد أن ذكر استدلالاتهما على الماء بالطير : فاتّبعا الواردة منها حتى وقفا على أبي قبيس ، فنظرا إلى الماء وإلى العريش ، فنزلا وكلّما هاجر ، وسألاها متى نزلت ؟ فأخبرتهما ، وقالا : لمن هذا الماء فقالت : لي ولإبني ، فقالا : من حفره؟ فقالت : سقيا الله ، فعرفا أنّ أحداً لا يقدر أن يحفر هناك ماء ، وعهدها هاهنا[1] بالسكنى قريب ، وليس به ماء ، فرجعا إلى أهلهما من ليلتهما، وأخبراهم،فتحوّلوا حتى نزلت معهما على الماء ، وأَنِسَتْ بهم ومعهم الذرّية ، ونشأ إسماعيل مع وِلدانهم ، وكان إبراهيم يزور هاجر في كل شهر على البراق ، يغدو غدوة فيأتي مكة ، ثم يرجع ، فيقيل في منزله

---

(١) في النسخة (ك) : وعهدهما بما هنالك قريب .

Marfat.com

بـالشام ، ونـظر من هنالـك من العماليق وإلى كثـرتهم ، وعمارة المـاء ، فسرّ[1] بذلك وقرّت به عينه . وكانت العماليق وُلاة الحكم بمكة ، فضيّعوا حرمة الحرم ، واستحلّوا منه أموراً عظاماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالـون ، فقام فيهم رجـل يقال لـه عملوق فقـال : يـا قـوم أبْقُـوا على أنفسكم ولا تفعلوا المُنْكَـر ، تـواصلوا ، ولا تستخفُّوا بحرم الله وبيتـه ، فلم يقبلوا ذلك ، وتمـادوا في هَلَكَة أنفسهم . وفيـه : فكثُر العماليق ، فنازعوهم يعني جُـرْهُماً وقـطوراً ، فنفوهم وأخـرجوهم من الحـرم كلّه ، فكانوا في أطراف الحرم لا يـدخلون الحرم ، فقـال لهم صاحبهم عملوق : ألم أقـل لكم لا تستخفُّوا بحـرمـة البيت ، ولا تنتهكـوا[2] بـه ، ولا تتجبّـروا فغلبتموني . انتهى .

وذكـر الأزرقي شيئاً من خبـر العماليق ، لأنـه قال فيمـا رويناه عنـه بـالسنـد المتقدّم قال : حدّثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء عن ابن عبـاس أنه كـان بمكة حيّ يقـال لهم العماليق ، فكانوا في عزّة وكثرة وثروة ، وكانت لهم أموال كثيـرة من خيل وإبـل[3] وماشية ، وكانت ترعى بمكة وما حولها من مَـرَّ ونُعْمان ، ومـا حول ذلـك ، وكانت الخِـرَقُ عليهم مُظِلَّة ، والأربعـة مغدقة[4] والأودية تَنسـال[5] ، والعضـاه ملتفّـة ، والأرض مبقلة ، فكـانـوا في عيش رخيّ ، فلم يـزل بهم البغي والإسـراف على أنفسهم ، والإلحـاد بالـظلم ، وإظهار المعـاصي والاضـطهـاد لمن قـاربهم ، ولم يقـابلوا مـا أوتـوا بشكـر[6] الله حتى سلبهم الله تعـالى ذلـك ، فبغضهم[7] بحبس

---

(١) في النسخة (م) : خسر .
(٢) في النسخة (ك) : ولا تنهوا .
(٣) قارن بأخبار مكة ١ / ٨٩ .
(٤) في النسخة (ع) : مقدمة .
(٥) في أخبار مكة « نجال » .
(٦) في الأصل « لشكر » والتصويب عن أخبار مكة .
(٧) كذا في الأصل وفي المطبوع من الشفاء ١ / ٣٥٥ ، وفي أخبار مكة ١ / ٩٠ « فنقصهم » .

Marfat.com

المطر عنهم وتسليط الجدْب عليهم ، وكانوا يُكْرون بمكة الظلّ ويبيعون الماء ، فأخرجهم الله تعالى من مكة بالذَّرِّ ، سلّطه الله عليهم حتى خرجوا من الحرم ، فكانوا حوله ، ثم ساقهم الله بالجدْب يضع الغيث أمامهم ويسوقهم بالجدْب ، حتى ألحقهم بمساقط رؤ وس آبائهم ، وكانوا قوماً عُرْباً من حِمْيَر ، فلما دخلوا بلاد اليمن تفرّقوا وهلكوا ، فأبدل الله عزّ وجلّ الحرم بعدهم بجُرْهُمٍ ، فكانوا سكانه ، حتى بغوا فيه واستخفّوا بحقه ، فأهلكهم الله عزّ وجلّ جميعاً[1] .

قال الأزرقي : وحدّثني جدّي إبراهيم بن محمد الشافعي قالا : حدّثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن خيثم قال : كان بمكة حيّ يقال لهم العماليق ، فأحدثوا فيها أحداثاً ، فجعل الله تعالى يقودهم بالعيث ويسوقهم بالسنة ، يضع الغيث أمامهم فيذهبون ليرجعوا ، فلا يجدون شيئاً ، فيتبعون الغيث ، حتى ألحقهم الله بمساقط رؤ وس آبائهم ، وكانوا من حِمْيَر ، ثم بعث الله عزّ وجلّ عليهم الطوفان . قال أبو خالد الزنجي فقلت لابن خيثم : وما الطوفان ؟ قال : الموت[2] ، انتهى . وهذان الجدّان هما اللذان أشرنا إلى أنهما يقتضيان أنّ العماليق من حِمْيَر ، وليس فيهما ما يشعر بأنّ أحداً من الناس أخرجهم من مكة قهراً . وقد ذكر الأزرقي خبراً يقتضي أنّ جُرْهُماً وقطوراً أخرجوا العماليق من مكة[3] ، وسيأتي هذا الخبر في أخبار جُرْهُم . وما ذكرناه عن الفاكهي يقتضي[4] ذلك أيضاً ، والله أعلم بالصواب . وسيأتي في أخبار جُرْهُمْ ما يقتضي أنّ العماليق كانوا وُلُّوا مكة حيناً مع جُرْهُم ، ولا معارضة بين هذا الخبر وبين الخبر الذي يقتضي أنّ العماليق كانوا وُلاة مكة قبل جُرْهُمْ ، لأنه يجوز أن يكون طائفة من العماليق وُلُّوا مكة قبل جُرْهُم ، وطائفة من العماليق غير الأولين وُلُّوا مكة مع جُرْهُم ، والله أعلم .

---

(١) أخبار مكة ١/٨٩ و ٩٠ .

(٢) أخبار مكة ١/٨٩ .

(٣) أخبار مكة ١/٨٥ .

(٤) في النسخة (ع) : ما يقتضي .

Marfat.com

ووقع في خبرٍ ذكره الفاكهي ما يوهم أنّ العماليق كانوا بعد جُرْهُم قال : وحدّثنا حسين بن حسن قال : حدّثنا عمرو بن عثمان قال : حدّثنا موسى بن أعين عن إسرائيل عن سماك بن حرب عن خالد بن عمر عن علي بن أبي طالب قال : أول من بنى البيت إبراهيم ، ثم هُدِم ، فبنته جُرْهُم ، ثم هُدِم البيت ، فبنته العماليق ، ثم هُدِم فبنته قريش . انتهى . ووقع في الخبر الذي رويناه عن ابن عباس في أخبار العماليق أنّ أموالهم كانت ترعى بمكة وما حولها من مَرّ ونَعمان ، فأما مَرّ البيت وما حواليه فهو من الظَّهْران الذي تسمّيه أهل مكة الوادي ، ويقال له أيضاً : وادي مَرّ . وقد ذكر السُهَيْلي خلافاً في سبب تسميته بمَرّ فقال : وسُمّي مَرّاً لمرارتها ، ولا أدري ما صحّة هذا ، انتهى كلام السهيلي[1] .

ونقل الحازمي عن الكِنْدي : إنّ مَرّاً إسم للقرية ، والظَّهران اسم للوادي انتهى . وبين مَرّ ومكة ستة عشر ميلاً على ما قال البكري[2] ، وقيل : ثمانية عشر ميلاً ، وقيل : أحد وعشرين ، حكاه ابن وضّاح ، والله أعلم . وأما نَعمان المشار إليه فهو موضع مشهور فوق عرفة على طريق الطائف من عرفة ، وفيه مزارع حسنة ، والشعراء تذكره في شعرها[3] ، وهو بفتح النون الأولى ، وفيه أخَذَ الله الميثاقَ على ذرّية آدم ، لأنّ ابن الأثير في كامله قال : روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنَعمان من عرفة ، ثم قال ابن الأثير : نَعمان بفتح النون الأولى[4] . انتهى .

ذكر ولاية طَسْم للبيت الحرام

روينا عن الأزرقي بالسند المتقدّم قال : حدّثنا مهدي[5] بن أبي المهديّ

---

(١) الروض الأُنُف ١/١١٤ وقال : « وسُمّي مَرّاً لأنّ في عرق من الوادي من غير لون الأرض شبه (الميم) الممدودة وبعدها (را) خلقت كذلك ».

(٢) معجم ما استعجم ٤/١٢١٢ .

(٣) راجع في ذلك : معجم ما استعجم ٤/١٣١٦ .

(٤) الكامل في التاريخ ١/٤٠ .

Marfat.com

قال : حدّثنا عبد الله بن مُعَاذ الصنعاني عن مَعْمَر عن قتادة قال : إنَّ عمر بن الخطاب قال لقريش إنه كان وُلاة هذا البيت قبلكم طَسْم، فاستخفّوا بحقّه ، واستحلّوا حُرْمته ، فأهلكهم الله ، ثم وَلِيَتْه بعدهم جُرْهُم فاستخفُّوا بحقه واستحلُّوا حُرْمَتَه ، فأهلكهم الله ، فلا تهاونوا به وعظِّموا حُرْمَتَه[1] انتهى .

وطَسْم أخو عملاق ، وقد سبق نسبه فأغنى عن إعادته .

(١) في النسخة (م) : قال : حدّثنا سهدي بن أبي الهدى .
(٢) أخبار مكة ١/ ٨٠ .

Marfat.com

Marfat.com

الباب الخامس والعشرون

في ذكر شيء من خبر جرهم وولاة مكة ونسبهم وذكر من ملك مكة من جرهم ومدة ملكهم لها

وما وقع في نسبهم من خلاف وفوائد تتعلّق بذلك

وذِكْر من اخرج جُرْهُماً من مكة

وكيفية خروجهم منها وغير ذلك من خبر

ذكر نسبهم

أما نسبهم فإنهم من ولد جُرْهُم بن يقطن بن عسر[1] بن شالم[2] بن الزمخشر بن سام بن نوح ، هذا مقتضى ما ذكره ابن إسحاق في سيرته وابن هشام في نسب جُرْهُم .

وذكر ابن هشام أنّ جُرْهُماً هو ابن قحطان قال : وقحطان أبو اليمن كلّها ، وإليه تجتمع ، نسبها ابن غابر بن شالخ بن أرمخشذ بن سام بن نوح انتهى ، وقيل : إنّ جُرْهُماً ابن ملك من الملائكة ، وهذا يروى عن ابن عباس ، رواه عنه الفاكهي في تاريخه ، لأنه قال : وحدّثني حسن بن حسين أبو سعيد قال : حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبي عن أبي المقوم الأنصاري واسمه يحيى بن ثعلبة عن الكلبي عن أبي صالح قال : كنّا عند ابن عباس فذكرنا جُرْهُماً فقال ابن عباس : كان المَلَك من الملائكة إذا أذنب ذنباً عظيماً أُهبط إلى الهوِيّ ، ونُزعت منه روحانية الملائكة وجُعِل في خلق ابن آدم ، فأذنب مَلَك من الملائكة يقال له عرعرا أو نحوها ذنباً فكان في الهوِيّ ، ثم هبط مكة ، فتزوّج امرأة من العماليق

---

(١) في النسخة (ك) : عنتر .
(٢) في النسخة (ك) : شالخ .

Marfat.com

فولدت له جُرْهُماً ، فذلك قول الحارث بن مضاض الجُرْهُمي[1] :

اللهم إنّ جُرْهُماً عبادك الناس طُرْفٌ وهم قلادك

انتهى . وشعر الحرث في هذا المعنى طويل ، ذكره الفاكهي وسيأتي ذلك .

وقد أنكر السهيلي هذا الخبر لأنه قال : وجُرْهُم هو الذي تتحدّث به العرب في أكاذيبها ، وكان من خرافاتها في الجاهلية أنّ جُرْهُماً ابن ملك أُهبط من السماء لذنب أصابه ، فغضب عليه من أجله ، كما أُهبط هاروت وماروت ، ثم أُلقيت فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت له جُرْهُماً ، وقال فيه قائلهم :

اللهم إنّ جُرْهُماً عبادكَا القوم[2] طرف وهم تلادكا

اهـ .

ثم قال : من كتاب الأصبهاني[3] انتهى . وقال : وقد قيل إنه كان مع نوح في السفينة وذلك أنه من ولده ، انتهى . ولم يبيّن السهيلي قائل هذه المقالة ، وقد بيّن ذلك الفاكهي في كتاب « أخبار مكة » لأنه روي فيه ذلك عن ابن عباس أنه قال : كان في السفينة ثمانون إنساناً وفيهم جُرْهُم . انتهى .

وذكر السهيلي اختلافاً في نسب قحطان الذي يُنسب إليه جُرْهُم ، وفوائد تتعلّق بقحطان ، فنذكر ذلك لِما فيه من الفائدة ، ونصّ كلامه : أما قحطان فاسمه مهزم[4] ، وكانوا أربعة إخوة فيما رُوي عن ابن منبّه : قحطان وقاحط ومِقْحَط

---

(١) سيد شاعر جاهلي قديم ، وقوله : « وهم قلادك » أي أنّ أهل مكة كالقلادة والحرم منهم قلادك ، أي قلاد بيتك .

(٢) كذا في الأصل ، وفي الروض الأنف « الناس » .

(٣) الروض الأنف ١/١٣٨ و ١٣٩ .

(٤) في المطبوع من الشفاء ١/٣٥٨ « مهوم » والتصويب عن الروض الأنف .

Marfat.com

وفالغ[1] . وقحطان أول من قيل لـه : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، وأول من قيل لـه : عِمْ صباحاً . واختُلف فيه فقيل : هو ابن غابر[2] بن شالخ[3] ، وقيل : هو ابن عبدالله أخو هود ، وقيل : هو هود نفسه ، فهو على هذا القول ابن إرم بن سام ، ومن جعل العرب كلّها من إسماعيل قالوا فيه : هو ابن تَيْمَنَ بن قيدر بن إسماعيل ، ويقال له : هو ابن الهميسع بن يَمَن .

ثم قال : وقال ابن هشام : يمن هو ابن[4] يعرب بن قحطان . ثم قال الإمام السهيلي : وقد احتجّوا لهذا القول ، أعني أنّ قحطان من ولد إسماعيل ، بقول النبيّ ﷺ : « ارموا يا بني إسماعيل فإنَّ أباكم كان رامياً » ، قال هذا القول لقوم من أسلم بن قُصَيّ ، وأسلم وأخوه خزاعة[5] ، وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ولا صحّة[6] عندي في هذا الحديث ، لأنّ اليمن لو كانت من إسماعيل مع أنّ عدنان كلّها من إسماعيل بلا شك لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب إلى إسماعيل معنًى ، لأنّ غيرهم من العرب أيضاً أبوهم إسماعيل ، ولكن في الحديث دليل ـ والله أعلم ـ على أنّ خزاعة من بني صمّة[7] أخي مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر[8] ، انتهى .

وقد اختُلف في نسب قحطان المنسوب إليه جُرْهُم اختلافاً كثيراً :

فقال محمد بن عبدة بن سليمان النّسّابة فيما رواه عنه ابن عبد البَرّ : اختلف

---

(١) في المطبوع « قالع » . والتصويب من الروض الأنف .
(٢) في الروض « عابر » بالعين المهملة .
(٣) في النسخة (ك) : عابر بن سالح . وشالخ ، معناها : الرسول أو الوكيل . (الروض الأنف ١/١٢) .
(٤) ليس في الروض كلمة « ابن » .
(٥) في الروض : « أسلم بن أقصى وأسلم أخو خزاعة » .
(٦) في الروض : « ولا حجّة » .
(٧) كذا في المطبوع ١/٣٥٨ ، وفي الروض : « قمّعة » .
(٨) الروض الأنف ١/١٩ .

Marfat.com

النّسّابون جميعاً في نسبة قحطان على ثلاثة مقالات ، تعرف أهل مكة مقالة منها على ثلاثة مقالات ، ونَسَبَتْه طائفة من إرم بن سام بن نوح ، وقالت فيه ثلاث مقالات ، ونَسَبَتْه طائفة إلى إسماعيل بن إبراهيم ، وقالت فيه ثلاث مقالات ، انتهى .

وقد بان بما ذكرناه في هذه الترجمة التي ذكرت شيء من نسب جُرْهُم وقحطان وشيء من خبرهما .

ذكر مَن ملك مكة من جُرْهُم وعن ملكهم لها وما وقع في نسبهم من الخلاف

وفوائد تتعلّق بذلك

روينا عن الأزرقي بالسند المتقدّم قال : حدّثني جدّي قال : حدّثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرني ابن إسحاق فذكر شيئاً من خبر إسماعيل بن إبراهيم وبني إسماعيل ، ثم قال : « ثم توفي نابت[1] بن إسماعيل ، فولي بعده مضاض بن عمرو الجُرْهُمي ، وهو جدّ ثابت بن إسماعيل أبو أمه ، وضمّ بني نابت[1] بن إسماعيل وبني إسماعيل إليه ، وصاروا مع جدّهم أبي[2] أمهم مضاض بن عمرو [ومع أخوالهم من جُرْهُم ، وجُرْهم وقطوراً يومئذ أهل مكة ، وعلى جُرْهُم مضاض بن عمرو][3] ملكاً عليهم ، وكانا حين ظعنا من اليمن أقبلا سيارة وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلاّ ولهم ملك يقيم أمرهم ، فلما نزلا مكة رأيا بلداً طيباً وأراما[4] وشجراً ، فأعجبهما ونزلا به ، فنزل مضاض بن عمرو بمَن معه من جُرْهُم أعلا مكة وقُعَيْقِعَان ، فجاز ذلك ونزل

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/ ٣٥٩ « ثابت » وهو تحريف ، والتصحيح من أخبار مكة .
(٢) في المطبوع « أبو » وهو خطأ نحوي .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المطبوع واستدركناه من أخبار مكة .
(٤) في أخبار مكة « وإذا ماء » .

Marfat.com

السَّمِيدَع أجياد وأسفل مكة ، فيما جاز ذلك ، وكان مضاض بن عمرو يعشر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السَّمِيدَع يعشر من دخل مكة من أسفلها ومن كَدَاء[1] ، وكُلٌّ في قومه على حاله ، لا يدخل واحد منهما على صاحبه في ملكه ، ثم إنّ جُرْهُماً وقطوراً بغى بعضها ببعض ، وتنافسوا المُلْكَ بها ، فاقتتلوا بها حتى نشب الحرب أو نشبت الحرب بينهم على المُلْك ، ووُلاة الأمر بمكة مع مضاض بن عمرو وبني نابت[2] بن إسماعيل وبني[3] إسماعيل وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدَع . فلم يزل[4] البغي حتى ساد بعضهم على بعض ، فخرج مضاض بن عمرو من قُعَيْقِعَان في كتيبة سائراً إلى السَّمِيدَع ، ومع كتيبته عِدّتها من الرماح والدّرَق والسيوف[5] تقعقع معه ، ويقال : ما سميت قعيقعان إلاّ بذلك . وخرج السَّمِيدَع بقطوراء من أجياد ومعه الخيل والرماح ، ويقال : ما سُمّي أجياد إلاّ بخروج الخيل الجياد مع السَّمِيدَع حتى التقوا (بفاضح)[6] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتِل السَّمِيدَع وفُتِحت قطوراء ، ويقال : ما سُمّي فاضح فاضحاً إلاّ بذلك ، ثم إنّ القوم تداعوا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المطابخ شِعْباً بأعلى مكة يقال له : شِعْب عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، واصطلحوا بذلك الشِعْب ، فأسلموا الأمر إلى مضاض بن عمرو ، فلما جمع أمر[7] مكة وصار ملكها له دون السَّمِيدَع ، ونحر للناس وأطعمهم وطبخ الناس وأكلوا فيقال : ما سُمّي الطابخ طابخاً إلاّ بذلك ، قال : وكان الذي بين مضاض بن عمرو والسَّمِيدَع أول بغيٍ كان بمكة فيما يزعمون ، فقال مضاض بن عمرو الجُرْهُمي في تلك الحرب يذكر السَّمِيدَع وقتله وبغيه والتماسه ما ليس له :

---

(١) في أخبار مكة « كدُيّ » .
(٢) في المطبوع « ثابت » وفي أخبار مكة « بنو نابت » .
(٣) في أخبار مكة « بنو » .
(٤) في أخبار مكة : « فلم يزل بينهم البغي حتى سار بعضهم إلى بعض » .
(٥) في أخبار مكة : « والسيوف والجعاب » .
(٦) في المطبوع من الشفاء ١/٣٥٩ « بناضح » وهو تصحيف .
(٧) في أخبار مكة : « أمر أهل مكة ».

Marfat.com

ونحن قتلنا سيّد الحيّ عَنْوَةً فأصبح فيها وهو حَيْران موجَعُ
وما كان يبغي أن يكون سوى ملك حتى أتانا السميدعُ [1]
فذاق وبالاً حين حاول مُلْكَنا وعالج منا غضّة تتجرّعُ
فنحن عمرنا البيتَ كنّا وُلاته ندافع عنه مَن أتانا وندفعُ
ومن كان يبغي أن يلي ذاك عزنا [2] ولم يك حيّ قبلنا ثم يمنعُ
وكنا ملوكاً في الدهور التي مضت ورثنا ملوكاً لا ترام فتوضعُ [3]

قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أنها سُمّيت الطابخ[4] لما كان تُبَّع نحر فيها وأطعم بها وكانت منزلته، ثم نشر الله عزّ وجلّ بني إسماعيل بمكة ، وإخوانهم[5] جُرْهُم إذ ذاك الحكّام ووُلاة مكة والبيت كانوا كذلك ، ومعهم نابت[6] بن إسماعيل ، فلما ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها انبسطوا في الأرض واتبعوا المعاطن[7] والتفسّح في الأرض ، قلّما[8] يأتون قوماً ولا ينزلون بلداً إلاّ أظهرهم الله تعالى عليهم بدينهم فوطئوهم وغلبوهم عليها ، حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العماليق ومَن كان ساكناً بلادهم التي كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم ، وجُرْهُم على ذلك بمكة وُلاة البيت لا تنازعهم إياه بنو إسماعيل لخؤولتهم وقرابتهم وإعظام الحرم أن يكون به بغي أو قتال .«حدّثني بعض أهل العلم قالوا : كانت العمالقة هم ولاة الحكم بمكة ، وضيّعوا حُرْمَةَ مكة واستحلّوا منه أموراً عِظاماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون ؛ فقام رجل منهم يقال له عملوق ، فقال : يا

---

(١) في البيت خطأ عَرُوضي ، وهو في أخبار مكة :
وما كان يبغي ان يكون سواءنا بها ملكاً حتى أتانا السّميدع
(٢) في أخبار مكة : « وما كان يبغي أن يلي ذاك غيرَنا » .
(٣) في المطبوع من الشفاء ١ / ٣٦٠ « فتوضح » وهو خطأ .
(٤) في أخبار مكة « المطابخ » .
(٥) كذا في المطبوع ، وفي أخبار مكة « أخوالهم » .
(٦) في المطبوع « ثابت » .
(٧) في أخبار مكة : « وابتغوا المعاش » .
(٨) في أخبار مكة : « فلا » .

Marfat.com

قوم ابقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم خبر من أهلك من صدر الأمم قبلكم[1] قوم هود وصالح وشعيب ، فلا تفعلوا المنكَر وتواصلوا ، ولا تستخفُّوا بحرم الله وموضع بيته ، وإيّاكم والظلم والإلحاد فيه ، فإنه ما سكنه أحد قطّ فظلم فيه وألحد[2] إلا قطع دابرهم واستأصل شأفتهم وبدّل أرضها غيرهم ، حتى لا يبقي لهم بقية ، فلم يقبلوا ذلك منه ، وتمادوا في هلكة أنفسهم ؛ قالوا : ثم إنّ جُرْهُماً وقطوراً أخرجوا سيّارةً من اليمن ، وأجدبت بلادهم عليهم ، فساروا بذراريهم وأنفسهم وأموالهم ، وقالوا : نطلب مرعى [3] تسمن فيه ماشيتنا ، فإن أعجبنا أقمنا فيه ، فإنّ كل بلاد نزل بها أحد ومعه ذرّيته وماله فهي وطنه ، وإلّا رجعنا إلى بلادنا ، فلما قدموا مكة وجدوا فيها ماءاً معيناً[4] وعضاهاً ملتفة أسلم وسمراً نباتاً أسمن [5] مواشيهم وسَعةً من البلاد ، ووقاء[6] من البرد في الشتاء ، وقالوا : إنّ هذا الموضع يجمع لنا ما نريد ، وأقاموا مع العماليق ، وكان لا يخرج من اليمن قوم إلّا ولهم ملك يقيم أمرهم ، وكان ذلك سُنَّة فيهم ، ولو كانوا نفراً يسيراً ، فلما كان مضاض بن عمرو ملك جُرْهُم والمطاع فيهم ، وكان السَّمِيدَع ملك قطورا فنزل مضاض بن عمرو أعلا[7] مكة فكان يُعَشّر من دخلها من أعلاها ، وكان حوزهم وجه الكعبة [و][8] الركن الأسود والمقام والموضع الزمزم [9] مصعّداً يميناً وشمالاً ، وقُعَيْقِعَان إلى أعلى الوادي ، ونزل السّميدَع أسفل مكة وأجياد[10] ، فكان يُعَشّر من دخل مكة من أسفلها ، وكان حَوْزُهم المسفلة وظَهْر الكعبة والركن

---

(١) في النسخة (م) : قبلهم .
(٢) في النسخة (م) : والحل .
(٣) في أخبار مكة : « نطلب مكاناً فيها مرعى » .
(٤) في النسخة (م) : اسقينا وعظاها . وفي أخبار مكة : « ماء طيباً » .
(٥) في أخبار مكة : « ملتفة من سلم ، وسمر ونباتاً يسمن مواشيهم » .
(٦) في أخبار مكة : « ودفأ » .
(٧) كذا في الأصل .
(٨) إضافة من أخبار مكة .
(٩) كذا في الأصل ، وفي أخبار مكة « موضع زمزم » .
(١٠) في أخبار مكة : « أجيادين » .

Marfat.com

اليماني والغربي وأجياد والثنيّة إلى الرمضة ، فبنيا فيها البيوت واتّسعا في المنازل وكثروا على العماليق ، فنازعهم العماليق فمنعتهم جُرْهُم وأخرجوهم من الحرم كلّه ، فكانوا في أطرافه لا يدخلون[1] ، فقال صاحبهم : ألم أقل لكم لا تستخفّوا بحُرْمة الحرم فغلبتموني ، فجعل مضاض والسّميدَع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما ، وكثروا[2] وأعجبتهم البلاد ، وكانوا قوماً عُرْباً ، وكان اللسان عربياً ، فكان إبراهيم خليل الله يزور إسماعيل ، فلما سمع لسانهم وإعرابهم ، سمع لهم كلاماً حَسَناً ، ورأى قوماً عرباً ، وكان إسماعيل قد أخذ بلسانهم وأراد أن ينكح فيهم ، وخطب إلى مضاض بن عمرو ابنته رعلة ، فزوّجه إياها ، فولدت له عشرة ذكور ، وهي أم البيت وزوجته التي غسلت رأس إبراهيم حين وضع رِجله في المقام .

ثم قال : فلم يزل أمر جُرْهُم يعظم بمكة[3] ويستفحل حتى وُلُّوا البيت ، وكانوا وُلاته وحجّابه ووُلاة الأحكام بمكة ، فجاء سيل فدخل البيت ، فانهدم ، فأعادته جُرْهُم على بناء إبراهيم عليه السلام ، وكان طوله في السماء تسعة أذرع ، وقال بعض أهل العلم : كان الذي بنى البيت لجُرْهُم أبو الجدرة فسُمّي عمرو بن الجادر وسُمّوا بنو[4] الجدرة ، وقال : إنّ جُرْهُماً استخفّت بأمر البيت والحرم وارتكبوا أموراً عظاماً وأحدثوا فيها المظالم وأحدثوا ما لم يكن . فقام مضاض بن عمرو بن الحرث فيهم خطيباً فقال : يا قوم احذروا البغي فإنه لا بقاء لأهله ، قد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفّوا بالحرم فلم يعظّموه ، وتنازعوا بينهم واختلفوا فسلّطكم الله عليهم فأخرجتموهم ، وتفرّقوا في البلاد ، فلا تستخفّوا بحقّ الحرم وحُرْمَة البيت بيت الله ، ولا تظلموا من دخله أو جاءه مُعظّماً لحرمته ، أو

---

(١) في أخبار مكة : « يدخلونه » .
(٢) في أخبار مكة : « وكثروا وربلوا » .
(٣) في المطبوع ١ / ٣٦١ « مكة » والتصويب عن أخبار مكة .
(٤) في المطبوع : « بنوه » .

Marfat.com

جاء بائعاً لسلعته ومُرْتَعِياً[1] في جواركم ، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوّفت أن تخرجوا منه خروج ذِلٍّ وصَغار ، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل الحرم ولا على زيارة البيت الذي هو لكم حَرَم وأمن والطّير تأمن فيه ، فقال قائل منهم يقال له يجدع[2] : من الذي يخرجنا منه ؟ ألَسْنا أعزّ العرب وأكثرهم رجالاً وأموالاً وسلاحاً ؟ فقال مضاض بن عمرو : إذا جاء الأمر بطل ما تقولون ، فلم يقصروا عن شيء مما كانوا يصنعون ، وللبيت خزانة في بئر في بطنه يلقى فيها الحليّ والمتاع الذي يُهدَى له ، وهو يومئذ لا سقف له ؛ وتواعد خمسة نفر من جُرْهُم أن يسرقوا ما فيها ، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم ، واقتحم الخامس ، فجعل الله عزّ وجلّ أعلاه أسفله ، وسقط منكّساً ، فهلك ، وفرّ الأربعة الأُخَر . فعند[3] ذلك مسحت الأركان الأربعة ثم قال : وقال أهل العلم : إنّ جُرْهُماً لما طغت في الحرم دخل رجل منهم وامرأة يقال لهما أساف ونائلة البيت ففجروا فيه فسخطهما[4] الله تعالى حجرين ، فأُخرجا من الكعبة فنُصبا على الصفا والمَرْوَة ليعتبر بهما من رآهما ولِيَزْدَجِر الناس عن مثل ما ارتكبا »[5] . انتهى .

وقد يشتمل هذا الخبر على أمور من حال جُرْهُم ، وفيه موضعان يقتضيان أنهم أخرجوا العماليق من مكة ، وهذا الخبر الذي أشرنا إليه بعد ذِكْرنا لخبر ابن عباس وابن خيثم في خروج العماليق من مكة لكونه يُفْهم خلافَ ما يُفْهِمُه الخبران المشار إليهما ، والله أعلم ، وأظنّ أنّ ابن الوليد الأزرقي مؤلّف « أخبار مكة » هو القائل : حدّثني بعض أهل العلم ، قالوا : كانت العماليق هم وُلاة الحكم بمكة[6] ، إلى آخر ما ذكرناه من خبر العماليق وقطورا وجُرْهُم ، ويحتمل أن يكون

---

(١) في أخبار مكة : « مرتغياً » .
(٢) في أخبار مكة : « مجدع » .
(٣) في النسخة (ك) : فمن .
(٤) في النسخة (ك) : « فمسخهما » . وكذلك في أخبار مكة .
(٥) راجع أخبار مكة ١/٨١ ـ ٨٨ .
(٦) أخبار مكة ١/٨٩ .

Marfat.com

قائل ذلك هو ابن إسحاق زيادة على ما ذكره من خبر جُرْهُم وقطورا لِما في ذلك من الفوائد الزائدة على ما ذكره أولاً ، والله أعلم .

وذكر المسعودي خبر جُرْهُم وقوم السَّميدَع على وجه يخالف ما ذكره الأزرقي عن ابن إسحاق ، وأفاد ذلك ما لم يُفِدْه غيره ، وذكر ما فيه مما يلائم خبر المشار إليهم دون ما فيه من خبر غيرهم ، إلاّ ما لا بدّ من ذكره لارتباط الكلام ، قال المسعودي : وقد أسكن إبراهيم ولده عليهما السلام مكة مع أمه هاجر . ثم قال : وكان من ظمأ إسماعيل وخبر هاجر ما كان ، إلى أن أنبع الله زمزم وأقحط اليمن ، فتفرّقت إلى البيت وجُرْهُم ، ومن هنالك من عاد ، فيمّمت العماليق نحو تِهامة يطلبون الماء والمرعى والدار المُخْصِبَة وعليهم السَّميدَع بن هوثر بن لاي بن قطور بن كركر بن حمدان[1] ، فلما اجهدت بنو كركر من المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتدّ الجهد[2] ، أقبل السَّميدَع بن هوثر يرتجز بشعر له يحثّهم على المسير ويشجّعهم فيما نزل بهم فقال :

سيروا بني كركر في البلاد إنّي أرى ذا الدهْرَ في فساد
قد ساد[3] من قحطان ذو الرشاد

فأشرف روّادهم وهم المتقدّمون منهم لطلب الماء على الوادي تنظر إلى الطّير يرتفع وينخفض ، فاستبطنوا الوادي ، فنظروا إلى العريش على الربوة الحمراء ، يعني موضع البيت ، لأنه ذكر أنه كان ربوة حمراء ، وفيها هاجر وإسماعيل ، وقد أمّنوا[4] حول الماء بالحجارة ، ومنعوه من الجريان ، ثم قال : فسلّم الرواد عليهما واستأذنوهما في نزولهم وشربهم من الماء ، فأذِنا لهم في

---

(١) في مروج الذهب : « السميدع بن هوبر بن لاوي بن قيطور بن كركر بن حيدان » ، وفي نسخة : « السميدع بن هود بن لابي بن قنطور . . » .
(٢) في المطبوع من الشفاء ١/٣٦٢ « الجهل » وهو خطأ.
(٣) في مروج الذهب : « سار » .
(٤) في مروج الذهب : « زمّت » .

النزول ، فتلقّوا من وراءهم[1] من أهلهم ، وأخبروهم خبر الماء ، فنزلوا الوادي مطمئنين مستبشرين بالماء وبما أضاء لهم الوادي من نور النُّبُوَّة وموضع البيت الحرام .

ثم قال وتسامعت جُرْهُم ببني كركر ونزولهم في الوادي ، وما هم فيه من الخصب ودرّ الضّرْع ، وهم في حال قحط ، فساروا نحو مكة وعليهم الحارث بن مُضَاض بن عمرو بن سعد بن رقب بن ظالم بن حني[2] بن نبت بن جُرْهُم ، حتى أتوا الوادي ، ونزلوا على مكة ، واستوطنوا الدار مع إسماعيل ومن نبذهم[3] من العماليق من بني كركر ، وقد قيل في كركر إنهم من العماليق وقيل من جُرْهُم ، والأشهر أنهم من العماليق .

ثم قال بعد ذكر شيء من خبر إسماعيل :

ولما قُبض إسماعيل قام بالبيت بعده نابت[4] بن إسماعيل ، ثم قام بعد نابت[4] إياس بن جُرْهُم لغلبة جُرْهُم على دار إسماعيل ، وكان ملك جُرْهُم يومئذ الحارث بن مُضَاض ، وهو من ولي البيت ، فكان ينزل هنالك في الموضع المعروف بقُعَيْقِعَان ، وكان كل من دخل مكة بتجارة عَشَّرَها عليه ، وذلك من أعلى مكة ، وملك العماليق السّميدَع بن هوثر ، فنزل أجياد من أسفل مكة ، فيعشّر من دخل مكة من ناحيته ، فكان بينهم حرب ، فخرج الحارث بن مُضَاض ملك جُرْهُم يتقعقع منه الرماح والدَّرَق ، فسُمّي الموضع بقُعَيْقِعَانِ لِما ذكرنا ، وخروج السّميدَع ملك العماليق معه الجياد من الخيل ، فعُرِف الموضع بجياد إلى هذا الوقت ، فنزلوا على الجُرْهُمِيّين فافتضحوا ، فسُمّي الموضع فاضحاً إلى هذه الغاية ، ثم اصطلحوا ونحروا الجُزُورَ وطبخوا ، فسُمّي الموضع الطابخ ، وصارت

---

(١) في المطبوع : « ولاهم » والتصحيح من مروج الذهب .
(٢) في مروج الذهب : « هيني » وفي نسخة : « ظالم بن مجالة بن هي » .
(٣) كذا في المطبوع من الشفاء ١/٣٦٣ ، وفي مروج الذهب : « تقدّمهم » وهو الأصح .
(٤) في المطبوع : « ثابت » وهو خطأ .

Marfat.com

ولايـة البيت إلى العماليق ، ثم كـانت لجُـرْهُم عليـه ، فـأقـامـوا وُلاة البيت نحـو ثـلاثمائـة سنـة ، وكـان آخـر ملوكهم الحـارث بن مُضَـاض الأصفـر بن عمـرو بن الحـــارث بن مُضَـاض الأكبـــر ، وزاد في بنـاء البيت ورفعـــه عمّـا كـــان من بنـاء إبراهيم »[1] انتهى .

وقـد أغرب المسعـودي فيما ذكـره من أنّ مَلِك جُرْهُم حين قـدموا إلى مكـة الحارث بن مُضَاض بن عمرو ، فإنّ المعروف أنّ مَلِكهم إذ ذاك مُضَاض بن عمـرو كمـا ذكر ابن إسحـاق وغيره ، وذكـر المسعودي بعـد ذلك مـا يوافق مـا ذكـره ابن اسحاق .

وقـد ذكر أنّ أول ملوك جُـرْهُم بمكة مُضَـاض بن عمرو بن غـالب الجُرْهُمي الـزبيـر بن بكـار ، لأنـه قـــال : كـان أول من وُلّي البيت من جُـــرْهُم مُضَـاض بن عمرو بن غالب الجـرهمي ، ثم ولده بعـده ، ثم بنوه كـابراً عن كـابر ، حتى بغت جُرْهُم بمكة انتهى .

وأغرب المسعودي أيضـاً فيما ذكـره من أنّ جُرْهُمـاً لما اقتتلوا مـع السّميدَع وقومه ، كانت الدائـرة على الجُرْهُمِيّين ، وأنّ ولايـة البيت صارت للعمـاليق ، ثم صـارت لجُرْهُم ، والمعـروف في قتال الفـريقين أنّ الدائـرة كـانت على السّميـدَع وقومه ، وأنه قُتِل في هذه الواقعة ، وانفرد مُضَاض بن عمرو الجُـرْهُميّ بمُلْك مكة كما هو مقتضى مـا ذكره ابن إسحـاق وغيره ، ولا أعلم للمسعـودي فيما ذكـره في ذلـك سَلَفاً ولا خَلَفـاً إلاّ شـارح العبـدونيـة ، فـإنـه ذكـر في ذلـك نحـو مـا ذكـره المسعودي ، ولعلّه قلّد المسعودي في ذلك ، فإنه متأخّر عنه ، والله أعلم .

وأفاد المسعودي ـ رحمـه الله ـ فيما ذكـره من خبر الفـريقين أموراً لم يُفِـدْها غيره فيما علمت ، منها كون السّميدَع وقومه من العماليق ، ومنها كونهم قدموا إلى مكة قبل جُرْهُم ، ومنها ما ذكره في مدّة مُلْك جُرْهُم ، وأفـاد في تاريخـه أيضاً في

---

(١) راجع مروج الذهب ٢/٤٦ ـ ٥٠ .

Marfat.com

مدّة مُلْكهم غير ذلك ، لأنه قال : ووجدت في وجه آخر من الروايات أنّ أول مَنْ ملك من ملوك جُرْهُم بمكة مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن حني بن نبت بن جُرْهُم بن قحطان مائة سنة ، ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مُضَاض مائة وعشرين سنة ، ثم ملك الحرث بن عمرو مائة سنة ، وقيل دون ذلك ، ثم ملك بعده عمرو بن الحرث مائتي سنة ، ثم ملك بعده مُضَاض بن عمرو الأصغر بن الحرث بن عمرو بن مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هني بن نبت بن جُرْهُم بن قحطان أربعين سنة[1] انتهى .

وقد ذكر شارح العبدونية مدّة ملوك جُرْهُم وترتيبهم على وفق كلام المسعودي هذا بالمعنى ، إلاّ أنه لم يذكر القول الذي ذكره المسعودي في أنّ مدّة مُلْك الحرث بن عمرو بن مُضَاض دون مائة سنة .

وذكر الشارح أيضاً في مدّة مُلْك جُرْهُم غير ما ذكره المسعودي ، ونصّ كلامه : وكانت ولاية البيت بعد نابت[2] لبني جُرْهُم نحو ثلاثمائة سنة ، وقد قيل خمسمائة سنة وستين سنة ، وقيل ستمائة سنة انتهى . والقول الثاني يوافق ما ذكره المسعودي في مدّة مُلْكهم ، وما ذكره المسعودي في نسب السّميدَع يخالف ما ذكره السُهَيْلِي في نَسَبه ، لأنّ المسعودي ذكر أنّ السّميدَع بن هوثر بن لابي بن قنطورا بن كركر بن جيدان ، والسُهَيْلي ذكر أنّ السّميدَع بن هوثر بثاء مثلثة ، قيّدها البكري ، بن لابي قطور بن كركر بن عِملاق[3] ، فوقعت المخالفة في إسمين ، أحدهما القنطور بدل قطوراً ، وجيدان بدل عملاق ، ولعلّ الصواب ما ذكره السُهَيْلي ، إلاّ أن يكون ذلك تصحيف من ناسخ النسخة التي رأيتها من تاريخ المسعودي ، ورأيت فيها ما يقتضي أنّ هوبر بالباء الموحّدة ، لأنه نَقَطَه في هذا الحرف من أسفل في غير موضع ، ونقط الطاء من قنطور ، وقد ذكر شارح

---

(١) مروج الذهب ٢/٥١ .
(٢) في المطبوع من الشفاء ١/٣٦٤ « ثابت » .
(٣) الروض الأنف ١/١٣٦ .

Marfat.com

العبدونية نَسَبَ السّميدَع كالمسعودي ، إلاَّ أنه وقع في نسبه إلى الكركر في بعض نُسَخ الشرح ابن هود ، وليس السّميدَع هذا بالسّميدَع الذي جاز به يوشع بن نون ، وإن كانا قد اتّفقا في الاسم وإسم الأب ، وفي الأنساب إلى العماليق ، ولأنّ المسعودي قال في أخبار يوشع بن نون : وسار ملك الشام وهو السّميدَع بن هوثر[1] بن ملك إلى يوشع بن نون ، فكانت له معه حروب إلى أن قتله يوشع ، واحتوى على جميع ملكه ، ثم قال : وقد قيل إنّ يوشع بن نون كان يريد[2] محاربته لملك العماليق وهو السّميدَع ، ببلاد أيْلَةَ صوب مَدْيَن انتهى[3] ، والدليل على ما ذكرناه من أنّ السّميدَع هذا ليس بالسّميدَع الذي حاربه يوشع بن نون أنّ السميدع ملك قطور كان في زمن الخليل عليه السلام على ما يقتضي كلام المسعودي في الخبر الذي سبق ذِكْرُنا له باختصار ، ويوشع المحارب للسّميدَع كان بعد الخليل عليه السلام بزمن طويل ، لأنَّ بين يوشع والخليل عدّة آباء ، فإنه على ما ذكره المسعودي ، يوشع بن نون بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وإذا كان بين يوشع والخليل هذه الآباء كان متأخّراً عن الخليل بدهر طويل ، فيكون كذلك السّميدَع ، والسّميدَع ملك قطوراً من العماليق ، والزَّبّاء الملكة من ذُرّيته على ما فهم السُهَيْلي[4] من كلام صاحب « الأغاني »[5] ، والله أعلم .

وذكر السُهَيْلي ما يقتضي أنّ قطورا الذي منهم السّميدَع هذا من جُرْهُم ، لأنه قال لما ذكر الآباء التي بين عدنان وإبراهيم عليه السلام : وذكر الطبري[6] فيهم أيضاً دَوْس العُتُق ، وكان أحسن الناس وجهاً ، وكان يقال في المثل : أعتق

---

(١) في مروج الذهب « هوبر » .
(٢) في مروج الذهب « كان بدء محاربته » .
(٣) مروج الذهب ١/٥١ .
(٤) الروض الأنف ١/١٣٦ .
(٥) في كتابه « الأمثال » كما صرّح السُهَيلي ـ الروض الأنف ١/١٣٩ .
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٢/٢٧٥ .

من دَوْس ، وهو الذي هزم جيش قَطُوراً من جُرْهُم[1] . انتهى .

وما ذكره المسعودي في نسب ملوك جُرْهُم مخالف لِما ذكره السُهَيْلي في ذلك ، وكلام المسعودي أيضاً مختلف ، لأنه ـ أعني المسعودي ـ ذكر أنّ جُرْهُماً لما ساروا نحو مكة كان عليهم الحرث بن مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب ابن ظالم بن ميّ[2] بن نبت بن جُرْهُم[3] وقال أيضاً : ووجدت في وجه آخر من الروايات أنّ أول ملك من ملوك جُرْهُم بمكة مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب ابن هني بن نبت بن جُرْهُم[4] ، وقال السُهَيْلي : وكان الحرث بن مضاض بن عمرو ابن سعد بن الرقيب بن هنيّ[5] بن نبت بن جُرْهُم قد نزل قَنَوْناً[6] من أرض الحجاز[7] ، وذكر قضية يأتي ذكرها . ووقعت المخالفة في كلام المسعودي في « هنيّ » بالهاء والنون ، وفي « ميْ » بالميم ، وفي زيادة ظالم ، بين « الرقيب » وبين « ميّ » ، و وقعت المخالفة بين المسعودي والسُهَيلي في زيادة ظالم ، وفي هنيّ هل هو هنيّ بالنون كما ذكر المسعودي ، أو هي بلا نون كما ذكر السُهَيلي ، أو هي بالميم كما ذكر المسعودي ، إلاّ أن يكون ذلك غلطاً من ناسخ أحد الكتابين فتنتفي المعارضة ، والله أعلم .

وذكر الشيخ فتح بن موسى بن حمّاد الأندلسي[8] في كتاب له نظم فيه السيرة لابن اسحاق خبراً طويلاً ، فيه ما يخالف ما ذكره المسعودي والسُهَيْلي في نسب ملوك جُرْهُم ، وفيه ما يخالف ما ذكره ابن إسحاق في سبب تسمية قُعَيْقِعَان

---

(١) الروض الأنف ١/١٢ .

(٢) عند المسعودي : « هيني » وفي نسخة « هيّ » .

(٣) مروج الذهب ٢/٤٧ .

(٤) مروج الذهب ٢/٥١ .

(٥) في الروض : « هيْ » .

(٦) في الروض : « بقَنَوْنَى » وهي القنفذة .

(٧) الروض الأنف ١/١٣٨ .

(٨) فقيه عالم بالأدب والحكمة والمنطق ولد بالجزيرة الخضراء سنة ٥٨٨ هـ . ودرس بالفائزية وتوفي بها سنة ٦٦٣ هـ . وتولّى القضاء بأسيوط بمصر ومن كتبه (نظم المفصّل للزمخشري) و (نظم الإشارات لابن سينا) « الأعلام ص ٧٦٦ » .

وأجياد وفاضح والطابـخ وغير ذلـك ، ما اقتضى ذلـك ذكره لإفـادة ذلك وغيـره من الفـوائـد ، وهـو أنّ إليـاس بن مُضَـر قـال : سـألت عمّي إيـاد بن نـزار عن أصـل ماله ـ وكان متموّلاً ـ فذكر أنه مرّت عليه سنون لم تُبعَثْ له سوى عشرة أبعرة، يعود بكراها على أهله، وذكر أنه كان أكبر إخوته، ثم قال: فخرج إياد إلى الشام بجماله فلم يجد من يكتري منه، فسمع صوتاً كالرّعد ينادي : من يحملني إلى الحرم وله وقْر جمل دُرّاً وياقوتاً وعقْياناً، ولا يجيبه أحد، فيتبع الصوت، إلى أن وجد رجلاً أعمى كالنخلة السَّحُوق، ولحيته تناطح ركبتيه ، فراعه ذلك وقال : عندي يا شيخ حاجتك قال : أدْنُ منّي ، فدنا منه فقال : أنت إياد بن نزار ؟ فقال : نعم فمن عَرَّفـك بإسمي ؟ قـال : عِلْمه عنـدي عن جدّي أنّ إيـاد بن نـزار يردّ الحـارث بن مُضَـاض إلى مكـة من طـول غـربته ، فقـال : كم جملاً عنـدك ؟ قلت : عشرة . قـال : تكفيني ، قلت : هل معك غيرك ؟ قال : لا ، ولكنّي إنّما أركب الجمل يومـاً وأتميّل ، فقلت : لفـظت له بجملة ، فلا أعود ، وبيننا وبين مكة عشرة مناهل ، فحملته ، وكلّما خسّ جمل قطرته إلى آخر ، إلى أن عارضنـا مكة . فقـال : يا بُنَيّ إني أحسب الحمـل يجمر بي ، وأظنّه واقعاً حول جبل الـطابخ ، قلت : نعم . قـال : إسمع آخـر كلامي ، قلت : نعم . قال : أنا الحـارث بن مُضَاض ، بـن عبـد المسيـح ، بـن مقبلة ، ابن عبد المراد ، بن خشرم ، بن عبد يا ليل ، بن جُـرْهُم ، بن قحطان ، بن هـود عليـه السلام . كنت ملك مكـة وما والاهـا إلى هَجَر وَمَـدْيَن وثَمُـود ، وكـان أخي عمـرو بن المُضَاض ملكـاً قبلي ، وكنّا نعلّق التيجـان على رؤ وسنا يـوماً ، ويـومـاً نعلّقها بباب الحرم ، فحضر يهوديّ بدُرٍّ وياقوت ، فاشترى منه أخي ما شـاء الله ، وأنصفه في الثمن ، ووفاه ، فباع أفخره على السوقة ، فمنع أخي ، فانتـزع جميع ما كان معه ، فأغفل اليهودي حارس التاج بباب الحرم فقتله ، وحمـل التاج ، فلم يعـرف الخبر إلا من رآه بـالبيت المقدس ، فـأرسـل أخي إلى ملكهم ، قـال : إنّ سبط بنيامين بن يعقوب يردّ التاج ويأخذ حقّ اليهـودي ، فلم يفعل ، فخـرج إليهم أخي في مائة ألف وخمسين ألفاً من أجناده ومن العمالقة وقُضَاعة ، واستنصر فأران ابن شنيف بن هِـرَقْل ، فخـرج إلينا في مـائتي ألف ، وجمـاعـة من أهـل الشـام ،

Marfat.com

فساروا إلينا ونزلوا شرقيّ هذا الجبل ، ونزلنا غربيّه ، وأوقدنا كلّنا النيران ، وطبخوا وطبخنا ، فسمّي جبل الطابخ ، ثم نزلنا قُعَيْقِعَان فتقعقعنا نحن وهم بالجُحَف والسلاح ، فسُمّي الجبل قُعَيْقِعان ، ثم لما اصطففنا خرج أخي وقال : أنا الملك عمرو بن مُضَاض فابرز لي يا سنيف[1] ، فمن أظفره الله كان المُلْك له ، ففعل ، فقتله أخي على ربوة فاضح ، فنزل إليه فجرّه برجله وفضحه بذلك ، فسُمّيت تلك الربوة ربوة فاضح ، وامتنع فأران من الوفاء بما التزمه شنيف ، فقاتلناهم ، وقتل أخي . فأران ، فانهزموا ، وتبعناهم إلى بيت المقدس ، فأذعنوا للطاعة ، فتزوّج أخي منهم بَرَّة بنت شمعون ، ولم يكن في زمانها أجمل منها ، فشفعت له أن يرحل عن قومها ، فرحل ، فلما بلغ مكة ، وكان عنده مائة رجل من أعيان بني إسرائيل رهائن على الطاعة ، فلما كانوا بأجياد سَمَّت زوجته مسكة من حديد وألقتها في فراشه ، فلما نام عليها مات ، وهربت الزوجة في الرهائن المائة على تحيّز عدوّها ، فلحقناهم وأحضرناهم ، فأمرتُ بقتلهم ، فقال أولهم للسيّاف : لا تخفض ولا ترفع وأنزل بسيفك على الأجياد ، فسُمّي موضع قَتْلهم بالأجياد ، وملكتُ وتزوّجت بها ، وقصدتني بنو إسرائيل بجنود عظيمة ، ومعهم تابوت داود عليهم السلام الذي فيه السكينة والزَّبُور ، فهزمتهم ، وأخذتْ جُرْهُم التابوت فدفنته في مزبلة ، فنهيتهم ، فعصوني ، فأخرجته ليلاً ووضعت مكانه تابوتاً يشبهه ، ونهاهم عنه هميسع ابن بنت قيدار بن إسماعيل ، فأبوا ، فأعطيته التابوت ، فسلّط الله على جُرْهُم والعمالقة عللاً كثيرة ، فماتوا إلاّ من كره فعلهم ، فملّكت ابني عمرو ، وخرجت أجول في الأرض ، فضربت الأمثال بقريتي ، وسار به إلى شِعْب الأثل عند غيضة زيتون فقال : يا بني قد خَلَوْنا وثالثنا الله الشاهد العالم الواحد ، وإذا أسديت نعمة للمرء وَجَبَ عليه شُكْرها ، وقد أسديت إليه نعمة وجب شكرها ، فعَلَيّ لك أن أُنبئك بما يُنجيك ، والذي به أهديك أحبّ إليّ مما أغنيك ، يا بني هل وُلد في آل مضر مولود اسمه محمد ؟

---

(١) في النسخة (ك) : شنيف .

قلت : لا ، قال : إنه سيولد ويأتي حينه ويعلو دينه ويُقبل أوانه ، ويشرف زمانه ، فإن أدركته فصدّق وحقّق ، وقبّل الشامة التي بين كتفيه ﷺ ، وقل له : يا خير مولود ، دعوت إلى خير معبود ، فأجب ولا تَخِب ، ثم قال :

شكرت مسارعاً نعم الأيادي لخير الناس كلّهم أبادي
إلى ابن نزار حيث الفقر حتى نزلت برحله من غير زادِ

وذكر باقي الأبيات ، ثم أتى صخرة عظيمة مطبقة على صخرة فقلعها ، ودخل معه سِرْباً ، وذكر العقبة ، إلى أن دخل لبيت فيه أربعة أسرّة ، سرير خالٍ ، وثلاثة عليهنّ رجال ، وفي البيت كرسيّ دُرّ وياقوت وعقيان ولُجَيْنٍ ، فقال لي : خذ وقْر جملك لا غير ، وقال له : هذاك الذي على يسار سريري الخالي مُضَاض أبي ، والذي على يساره سرير ابنه عبد المسيح ، والذي على يساره سرير ابنه بُقَيْلة ، وعلى رأس بُقَيْلة لوح رخام ، فيه مكتوب : أنا بُقَيْلَة بنت عبد المدان ، عشت خمسمائة سنة في طلب المُلْك ، فلم يكن ذلك ينجيني من الموت ، وعلى رأس عبد المسيح : أنا عبد المسيح ، عشت مائة سنة وركبت مائة فرس ، وافتضضت مائة بِكْر ، وقتلت مائة مبارز ، وأخذني الموت غضباً فأورثني أرضاً ، وعلى رأس مُضَاض : أنا مُضَاض عشت ثلاثمائة سنة ، أخذت مصر والقدس ، وهزمت الروم بالدروب ، ولم يكن لي بُدّ من الموت ، ثم استوى على سريره الخالي ، وإذا على رأسه مكتوب : أنا الحارث بن مُضَاض ، عشت أربعمائة سنة ، ملكتُ وجُلْتُ في الأرض ثلاثمائة سنة متفرّقاً بعد هلاك قومي جُرْهُم ، ثم قال : يا بنيّ ناولني القارورة التي في تلك الكسوة ، فناولته إيّاها ، فشرب نصفها وادَّهَن بنصفها ، وقال : إذا أتيت إخوتك وقومك فقالوا لك : من أين هذا المال ؟ فقل لهم : إنّ الشيخ الذي حملته هو الحارث بن مُضَاض الجُرْهُميّ ، يكذبونك ، فقل لهم : إنّ آيتي الحجر المدفون بجوار زمزم فيه مقام إبراهيم ، وفي الحجر الذي يليه شِعْر الحارث بن مُضَاض وهو قوله :

Marfat.com

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر[1]

الأبيات التي ذكرها ، ثم قال : ناولني القارورة الأخرى ، فناولتها ، فشربها ، فصاح صيحة فمات ، فخرجت بما معي من المال . انتهى .

هذا الخبر على ما هو مذكور في الكتاب المذكور ، إلاَّ أنّي تركت منه شيئاً لا تعلُّق له بخروجهم ، وإنّما له تعلُّق بحال إياد بن نزار ، وفيه غُلَيْطات في الخبر وقعت مصحَّفَةً في النسخة التي نقلت منها هذا الخبر ، فكتبتها على الصواب ، إلاَّ ما لم يتّجه لي فيه وجه الصواب ، فكتبته على ما وجدته في النسخة التي نقلت منها هذا الخبر ، تسمية أخي الحارث بن مُضَاض بعمر بغير واو ، ولا أدري هل ذلك صواب ؟ والصواب عمرو بالواو . وقال الأندلسي بعد ذِكره لهذا الخبر : فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه الحكاية من مخالفات ما نقله صاحب السيرة من أنّ هذا الشِعْر لعمرو بن الحارث بن مُضاض ، وهو ههنا لوالده ، قال : ويمكن الجمع بينهما بأن يكون ولده تمثّل بها لما فارقوا مكة ، ثم نبّه رحمه الله على أنّ ما في هذا الخبر من نسب الحارث بن مُضَاض مخالف لِما ذكره السُهَيلي من نسبه ، وقد سبق ما ذكره السهيلي من نسب جُرْهُم ، فأغنى عن إعادته ، ومن موجبات ذكر فتح الأندلسي هذا الخبر الاستدلال به على خلاف ما ذكره السُهَيلي فيما اعترض به على ابن إسحاق فيما ذكره في سبب تسمية أجياد ، ويذكر كلاماً ثم يتبعه بتعقّب فتح له ، لِما في ذلك من الفائدة .

قال السُهَيْلي : وأما أجياد فلم يُسَمّ بأجياد [من أجل جياد الخيال ، كما ذكر ، لأنّ جياد الخيل لا يقال فيها : أجياد ، وإنّما أجياد]:[2] جمع جِيد ، وذكر أصحاب الخبر أنّ مُضَاضاً ضرب في ذلك الموضع من أجياد مائة رجل من

(١) هذا البيت من قصيدة طويلة تُرْوَى لمُضَاض بن عمرو الحرث الجُرْهُمي ، وراجعها في صفحة ٤٧ من كتاب « تاريخ القطبي » ، وستأتي الأبيات بعد قليل ، وتُنْسَب لعمرو بن الحارث بن مُضَاض الجُرْهُميّ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من المطبوع من الشفاء ١/٣٦٨ والاستدراك من الروض الأنف ١/١٣٦ .

العمالقة ، فسُمّي الموضع بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب . انتهى .

وأما تعقّب فتح بذلك فلأنه قال : قلت وما ذكره السُهيلي لا يُلزِم ابنَ إسحاق ، لأنّ تسمية الشيء لأجل الشيء لا يلزم أن يصدق على لفظه بحاله ، بل يصدق عليه ، كما ذكروه في الطابخ وفاضح ، وقد لا يصدق كما ذكره في قُعَيْقِعَان ، فيكون كحكم الجياد مع أجياد ، وكحكم القعقعة مع قُعَيْقِعَان ، ويُحتمل أن يكون مراده لأجل أجياد الجياد ، لأنّ أعناق الخيل أول ما ظهرت هناك ، فيكون على حذف المضاف لقربه من الصفة ، على أنه لا يسلم له أنه لا يجمع جِيد على جياد ، فإنّ المنقول عن سيبويه أنّ جِيداً فعل بضمّ الفاء وسكون العين كريح ، وقد جمعوا الريح على رياح ، فكذلك الجيد على هذا التقدير يُجمع على جياد ، ويؤيّد هذا أنّ سِيبَوَيْه ذكر أنّ باب فعل يُجمع في التكسير على فُعُول وفِعَال ، وإن كان جَمْع فُعُول فيه أكثر من فِعَال ، وأما ما ذكره من أصحاب الأخبار من ضرب مُضَاض في ذلك الموضع أجياد مائة من العماليق ، فإنّ الذي نقلته من كتب جماعة أنّ الذي ضرب الرقاب هناك لم يكن مُضَاضاً ، ولا كانت المائة المقتولة من العمالقة أصلاً ، فإنّ أصحاب الأخبار قد ذكروا في حديث طويل نذكر معناه مختصراً لأنّ فيه ما يدلّ على البشارة بالنبيّ ﷺ .

وهو أنّ إلياس بن مُضَر قال : سألت عمّي إياد بن نزار عن أصل ماله ، وكان متموّلاً ، وذكر الخبر المتقدّم ، انتهى .

قلت : لا مانع من أن يكون مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمي ضرب أيضاً بأجياد أجياد مائة رجل من العمالقة لما ظهر على قطور قوم السّميدَع وهم من العمالقة كما تقدّم ، ويصحّ بذلك ما نقله السُهَيلي عن ابن هشام وغيره من أهل الأخبار ، وتكون ذلك قضية ، وما ذكره من فتح الأندلسي قضية أخرى ، وقد ذكر صاحب « الاكتفاء » ما يؤيّد ذلك ، لأنه قال : وغير ابن إسحاق يقول إنّما سُمّي بأجياد بضرب أجياد مائة رجل فيه من العمالقة ، وقيل : بل أمر بعض الملوك بضرب

Marfat.com

الرقاب فيه ، فكان يقول لسيّافه توسّط أجياد ، وهذا أو نحوه أصحّ في تسمية الموضع بأجياد مما قال ابن اسحاق انتهى .

ولا مُنافاة بين ما ذكره صاحب « الاكتفاء » من أنّ الملك قال لسيّافه توسّط الأجياد ، وبين ما تقدّم في أنّ الخبر من ابن قائل ذلك أو من المقتولين ، لإمكان أن يكون: قال الملك ذلك أيضاً لسيّافه ، كما قال المقتول لسيّافه ، لأنّ المقتول سأل ما لا يؤثّر في مقصود الملك ، فأجابه الملك إلى سؤاله والله أعلم .

وقد قيل في سبب تسميته أجياد وقُعَيْقِعَان غير ما ذكره ابن إسحق في سيرته ، لأنّ الأزرقي ذكر خبراً في خبر تُبَّع ، قال فيه : « ثم سار تُبَّع حتى قدم مكة ، فكان سلاحه بُقُعَيْقِعَان ، فيقال فبذلك سُمّي قُعَيْقِعَان ، وكانت خيله بأجياد ، ويقال : إنّما سُمِّيتْ أجياداً بأجياد خيل تُبّع » وهذا الخبر رواه الأزرقي عن جدّه عن سعيد بن سالم ، عن عثمان بن ساج عن ابن إسحق[1] .

وقد قيل في سبب تسمية أجياد وقُعَيْقِعَان والطابخ شيئاً يستغرب ، ذكره الفاكهي لأنه قال : وحدّثني عبد الله بن أبي سلمة قال : حدّثني الوليد بن عطاء ابن أبي مسلم الأعزّ عن أبي صفوان المرواني قال : حدّثنا ابن جُرَيْج قال : قال مجاهد : قال ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال : إنّ أباكم إسماعيل أول من ذلّلت له الخيل العراب فاعتقها وأورثكم حبّها ، وذلك أنّ الخيل العراب كانت كلّها وحوشاً كسائر الوحوش ، فلما أذن الله عزّ وجلّ لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت أعطى لكل واحد منهم كنزاً من كنوزه ، فأوحى الله إلى إسماعيل إني مُعْطيك كنزاً من كنوزي ذخرته لك لم أعطه أحداً قبلك ، فخرج إسماعيل وما يدري ذلك الكنز وما يدري الدعاء ، حتى أتى أجياد ، فألهمه الله تعالى الدعاء ، فدعا به وأحيط الداعي بالخيل فلم يبق في بلاد العرب كلّها فرس إلاّ أتاه وذلّله الله له وأمكنه من نواصيها ، قال ابن عباس : فبذلك سُمّيت أجياد أجياداً ، لأنها

---

(١) أخبار مكة ١/١٣٣ .

Marfat.com

اجتمعت في أجياد ، قال النبيّ ﷺ : فالخيل العراب تراث أبيكم إسماعيل فاعتقوها واركبوها . قال ابن عباس ووضع في الخيل وجاه السلاح ، فكانت كلّما أخرجت تقعقع بعضها على بعض ، فبذلك سُمّيت قُعَيْقِعَان ، وكان الطعام في الشِعْب الذي يدعى شِعْب عبد الله بن عامر فبذلك سُمّيت الطابخ انتهى .

وشِعْب عبد الله بن عامر المشار إليه هو شِعْب بأعلى مكة يُعرف عند الناس بشِعْب عامر ، وفاضح المذكور فيما سبق من الأخبار هو على ما يقول الناس جبل بسوق الليل مما يلي المُعَلاَّة ، وقد قال الكلام فيما يتعلّق بسبب تسمية أجياد وقُعَيْقِعَان والطابخ ، وفي نسب ملوك جُرْهُم وقَطُور ، ولكن تحصّل بذلك فوائد لا توجد مجتمعة ، ولله الحمد .

ذكر من أخرج جُرْهُماً من مكة وكيفية خروجهم منها

اختلفت الأخبار فيمن أخرج جُرْهُماً من مكة اختلافاً كثيراً يعسر فيه التوفيق بين الأخبار المروية في ذلك ، فقيل : إنّ بني بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة وغبشان من خُزَاعة أخرجوا جُرْهُماً من مكة ببغْيهم فيها ، وقيل : إنّ بني عمرو بن عامر ماء السماء أخرجوا جُرْهُماً من مكة حتى لم يترك جُرْهُم بني عمرو بن عامر يقيمون عندهم بمكة حتى يصل إليهم روّادهم ، وقيل : إنّ عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر أخرج جُرْهُماً من مكة حين طلب حجابة البيت لسيادته ولشرفه ، وقيل : إنّ بني إسماعيل أخرجوا جُرْهُماً من مكة بأنْ سلّط الله تعالى على جُرْهُم آفات ، وقيل : إنّ الله سلّط عليهم دواب فأهلكت كثيراً منهم ، وجلا لذلك بعضهم عن مكة ، والقول الأول ذكره ابن إسحاق ، لأنه قال : ثم إنّ جُرْهُماً بغوا بمكة واستحلّوا حلالاً من الحُرْمة وظلموا مَن دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدَى إليها ، فرق أمرهم ، فلما رأت بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة وغبشان من خُزاعة ذلك أجمعوا بجُرْهُم وإخراجهم من مكة ، فآذنوهم بالحرب ، فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغبشان ، فنفوهم من مكة ، وكانت مكة في الجاهلية لا

Marfat.com

نقرّ فيها ظلماً ولا بغياً ، لا يبغى فيها أحد إلاّ أخرجته ، فكانت تُسمَّى الناسّة ، ولا يريدها ملك يستحلّ حُرْمَتها إلاّ هلك ، فيقال : ما سُمّيت ببكة إلا أنها تبكّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها ، قال ابن إسحق : فخرج عمرو بن الحرث بن مُضَاض الجُرْهُميّ يغزو بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزم ، وانطلق هو ومَن معه من جُرْهُم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزناً شديداً ، فقال عمرو بن الحرث بن مُضَاض في ذلك ، وليس بمُضَاض الأكبر :

كأنْ لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ
بلى نحنُ كنّا أهلَها فأزالنا ... صُرُوفُ الليالي والجُدُود العواثرُ
وكنّا وُلاةَ البيتِ من بعد نابت[1] ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهرُ
ونحن وُلّينا البيت من بعد نابت[1] ... بعزّ فما تخطي لدينا المَكاثرُ
ملكنا فعززنا فأعظِم بملْكنا ... فليس لحيّ غيرنا ثَمَّ فاخرُ
ألم ينكحوا من غير شخص علمته[2] ... فأبناؤها منّا ونحن الأصاهرُ
فإنْ تنثنِ الدنيا علينا بحالها ... فإنّ لها غُبْناً وفيها التشاجرُ
فاخرجنا منها المليكُ بقدرةٍ ... كذلك بين الناس تجري المقادرُ
أقول إذا نام الخليُّ ولم أنم ... إذ العرش لا يبعُدْ سُهَيلٌ وعامرُ
وبَدَّلَتْ منها أوْجُهاً لا أحبّها ... وحِمْيَرُ قد بدّلتُها واليُحَابِرُ
وصرنا أحاديثاً وكنّا بغبطةٍ ... كذلك عضَّتْنا السّنونَ الغوابرُ
فسحّتْ دموعُ العينِ تبكي لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المشاعرُ
وتبكي لبيت ليس يُؤْذَى حمامُه ... يضلّ به آمناً وفيه العصافرُ
وفيه وحوشٌ لا تُرامُ أنيسةً ... إذا أُخرِجتْ منه فليس تغادرُ[3]

---

(١) في المطبوع من الشفاء ١/ ٣٧٠ « ثابت » وهو تحريف .
(٢) يروي الشطر الأول هكذا : وكنّا لإسماعيل صهراً وجيرة .
(٣) راجع بعض أبيات القصيدة في صفحة ٤٧ من تاريخ القطبي ، وفي كتاب الأغاني للأصبهاني ١٨/١٥ و ١٩ ، وفي أخبار مكة للأزرقي ١/٩٧ - ٩٩ ، وفي ١/١٢٧ و ١٢٨ ، وبعض الأبيات =

قال ابن هشام : قوله فأبناؤه عن غير ابن إسحق ، قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحرث يذكر بكراً وغبشان وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إنّ قَصْرَكُم ... أن تُصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا
حثُّوا المطِيَّ وأرخُوا من أزِمَّتها ... قبل الممات وقضُّوا ما تُقَضُّونا
إنّا كما كنتمو كنّا فَعَيَّرَنَا ... دهرٌ فسوف كما صِرنا تصيرونا[1]

قال ابن هشام ، هذا ما صحّ له منها : وحدّثني بعض أهل العلم بالشعر أنّ هذه الأبيات هي أول شعر قيل في العرب ، وأنها وُجِدت مكتوبة في حجر باليمن ، ولم يُسمّ قائلها[2] انتهى.

والقول الثاني في خروج جُرْهُم من مكة ذكره الأزرقي ، لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدّم إليه قال : حدّثني جدّي قال : حدّثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن الكلبي عن أبي صالح ، فذكر خبراً طويلاً فيه شيء من خبر جُرْهُمْ وخُزاعة بمكة ، وفيه أنّ ثعلبة بن عمرو بن عامر لما قدم مكة في قومه بعد تفرّقهم من بلاد سبأ لما أخبرت به طريفة الكاهنة من خرابها بسيل العَرِم ، أرسل إلى جُرْهُم وسألهم أن يفتحوا له في بلادهم قدر ما يرسل روّاده يرتادون له موضعاً ، فأبت ذلك جُرْهُم وأخشنوا له القول ، وأرسل إليهم ثعلبة يقول لهم : لا بدّ لي من المقام بهذا البلد حَوْلاً كاملاً حتى ترجع إليّ رُسُلي ، فإن تركتموني طوعاً حمدتكم وواسيتكم في الماء والرعي ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ، فإن قاتلتموني قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ، ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم ، فأبت جُرْهُمٌ أن يتركوه طوعاً ، وَتَعَبَّتْ لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، ثم انهزمت جُرْهُم ، فلم يفلت منهم إلاّ الشريد ، وكان مُضَاض بن

= في الروض الأنف ١/١٣٨ ، ومعجم البلدان ٢/٢٢٥ ، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٥ ، والكامل في التاريخ ٢/٤٣ ، والبداية والنهاية ٢/١٨٥ و ١٨٦ ، ومروج الذهب ٢/٥٠ .عيوان التواريخ ١/٤٠.

(١) قارن الأبيات هنا بالأبيات الواردة في المصادر الأخرى المشار إليها ففيها تقديم وتأخير واختلاف في الألفاظ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/١٣٩ و ١٤٠.

Marfat.com

عمرو بن الحرث بن مضاض بن عمرو قد اعتزل جُرْهُماً ولم يُعِنْ جُرْهُماً في ذلك ، وقال : كنت أحذّركم هذا ، ثم رحل هو وأهل بيته حتى نزل قَنَوْنى[1] وَحْليَ[2] وما حول ذلك ، ثم قال : وفنيت جُرْهُم وقد أفناهم السيف في تلك الحرب ، وأقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولاً ، ثم قال بعد أن ذكر تفرُّقهم في البلاد بإشارة طريفة الكاهنة لما أصابهم من الحُمَى ، وانخزعت خُزَاعة بمكة ، وأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عمرو وهو لحي ، فولي أمر مكة وصاروا أهلها ، جاءهم بنو إسماعيل ، وكانوا قد اعتزلوا حرب جُرْهُم وخُزاعة ، فلم يرحلوا إلى ذلك وسألوهم السُّكْنَى معهم ، فأذنوا لهم في ذلك ، فلما رأى ذلك مُضَاض بن عمرو بن الحرث ، وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه ، أرسل إلى خُزَاعة يستأذنها في الدخول عليهم والنزول معهم بمكة في جوارهم ، فأبت خُزَاعة ثم قال : فنزعت إبل لمُضَاض بن عمرو الجُرْهُمي من قَنَوْنَى تريد مكة ، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها ، وقد دخلت مكة ، فمضى على الجبال من نحو أجياد ، حتى ظهر على أبي قبيس يتبصّر الإبل في بطن وادي مكة ، فأبصر الإبل تُنْحر وتُؤكل لا سبيل له إليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يقتل ، فولّى منصرفاً إلى أهله ، وأنشأ يقول :

كأنْ لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ
ولم يتربّع واسطاً[3] فجنوبه ... إلى المُنْحَنَى من ذي الأراكة حاضِرُ
بل نحنُ كنّا أهلَها فإذا لنا ... صُرُوفُ الليالي والجُدُود العواثرُ
وبدّلني ربّي بها دارَ غُرْبةٍ ... بها الذئبُ يَعْوِي والعدوّ المحاصرُ

---

(١) قَنَوْنَى : هي القنفذة ، الميناء الحجازي المشهور وهو واقع في جنوب مكة . قال ياقوت : من أودية السراة يصبّ إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة قرب حلي . (معجم البلدان ٤٠٩/٤) .

(٢) حَلْي : بالفتح ثم السكون ، بوزن ظبي ، مدينة باليمن على ساحل البحر . (معجم البلدان ٢٩٧/٢) .

(٣) واسط ، هو الجبل الذي يصل بين الجادّة الموصلة إلى مِنَى ، والدرب الذي يمرّ منه المُشاة من الحجّاج والذي يعرفه أهل مكة بدرب المسكين ، وهو جنوب شرقي مكة .

فإنْ تملإ الدنيا علينا بكلبها ... ويصبحُ حالٌ بعدنا وتَشَاجُرُ
فكنّا وُلاةَ البيتِ من بعد نابتٍ ... نطوف بهذا البيتِ والخيرُ ظاهرُ
فأنكح جدّي غيرَ شخصٍ عَلِمْتُهُ ... فأبناؤه منّا ونحن الأصاهِرُ
فأخرجنا منها المليكُ بقُدرةٍ ... كذلك بالناس تجري المقادرُ[1]
أقول إذا نام الخَليُّ ولم أنَم ... إذا العرش لا يبعُدْ سُهَيْلٌ وعامرُ
وبَدَّلَتْ منهم أوْجُهاً لا أُحبّها ... وحِمْيَرُ قد بدّلْتُها والعمائر
وصِرْنا أحاديثاً وكنّا بغبطةٍ ... كذلك عقّتْنا السّنونَ الغوابرُ
وسحّتْ دموعُ العينِ تبكي لبلوةٍ ... كذا بها حَرَمٌ أمنٌ وفيها المشاعرُ
بوادٍ أنيس ليس يُؤذَى حمامُهُ ... ولا مُنَفَّرٌ يوماً وفيها العصافِرُ
وفيها وحوشٌ لا تُرامُ أنيسةً ... إذا أُخْرِجَتْ منها فما إنْ تغادرُ
فيا ليت شِعْري هل تغمر بعدنا ... جيادٌ فممضيّ سيله فالظواهرُ
فبطن مِنَى وحشٌ كأنْ لم يسرِ به ... مُضَاضٌ وفي حي عَدِيّ عمائر[2]

وقال أيضاً :

يا أيها الحيُّ سيروا إنّ قَصْرَكُم ... أنْ تُصْبِحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا
إنّا كما كنتمو كنّا فَغَيَّرَنا ... دهرٌ فسوفَ كما صِرنا تصيرونا
أزجوا المطيَّ وأرْخُوا من أزِمَّتِها ... قبل الممات وَقَضُّوا ما يُقَضُّونا
إنّ التفكُّرَ لا يُجْدِي بصاحبه ... عند البديهة : في عِلْم تُعيدونا
قَضُّوا أمورَكُم بالحزمِ إنّ لها ... أُمورَ رُشْدٍ وشُدُّوا ثَمّ مسنونا
واستنجزوا في صنيع الناسِ قبلكم ... لما استبانَ طريفٌ عنده الهُونا
كنّا زماناً ملوكَ الناسِ قبلكم ... بمسكنٍ في جوارِ اللهِ تأتونا

---

(١) كذا في جميع الأصول .
(٢) يلاحظ أنّ القصيدة تختلف في ترتيبها عما كانت عليه عندما سردها المؤلف قبل قليل وهي تختلف أيضاً في الترتيب وزيادة بعض الأبيات ونقص بعض الأبيات في المصادر المشار إليها قبل قليل في الحاشية .

Marfat.com

قال : وانطلق مُضَاض بن عمرو نحو اليمن إلى أهله وهم يتذاكرون ما حال بينهم وبين مكة وما فارقوا من أهلها وملكها ، فحزنوا على ذلك حزناً شديداً وجعلوا يقولون الأشعار في مكة[1] ، انتهى ، باختصار ، لمواضع من هذا الخبر لها تعلُّق بخبر خُزَاعة نذكرها فيما بعد وغير ذلك ، وفيما ذكرنا من كلمات ذكرناها بالمعنى .

والقول الثالث في سبب خروج جُرْهُمٍ من مكة ذكره الفاكهي ، لأنه قال : ويقال في رواية أبي عمرو الشيباني : إنّ حجابة البيت صارت إلى خُزَاعة لأنّ ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن أمريء القيس بن ثعلبة بن مازن تزوّج فهيرة بنت الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمي ، فولدت له عمرو بن ربيعة ، فلما شبّ وساد وشَرُف طلب حجابة البيت ؛ فعند ذلك نشب القتال بينهم وبين جُرْهُم ؛ ثم قال بعد أن ذكر شيئاً من خبر عمرو وأولاده ؛ وكانت بينهم حرب طويلة وقتال شديد ، ثم إنّ خُزاعة غلبوا جُرْهُماً على البيت ، وخرجت جُرْهُم حتى نزلت وادي إضَم[2] فهلكوا فيه . وفي هذا الخبر شيء من جُرْهُم ، لأنّ فيه : وذكروا ـ والله أعلم ـ أنّ أسافاً كان رجلاً من بني قَطُورا أخذ امرأة من جُرْهُم يقال لها نايلة ، ففجر بها في الكعبة ، فمسخهما الله حجرين ، فغضب عمرو من ذلك فأخرج بني مُضَاض وكانوا أخواله ، وكانوا أخرجوهم خروجاً من مكة فلحقوا باليمن ، فتفرّقوا في القبائل ، فقال بكر بن غالب بن الحرث بن مُضَاض :

وأخرجنا عمرو سواها لبلدة ... بها الذئب تعوي والعدوّ المحاصرُ

وقال أيضاً :

وكنّا وُلاةَ البيتِ والقاطنَ الذي ... إليه يُوفي نَذْرَهُ كلُّ مَحْرَمِ

---

(١) قارن بأخبار مكة ١/ ٩٠ ـ ١٠٠ ففيه اختلاف في الألفاظ .

(٢) بالكسر ثم الفتح ، ذو إضَمٍ : ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السُمَيْنة . وقيل وادٍ بجبال تهامة . وقيل واد يشقّ الحجاز حتى يفرغ في البحر . (معجم البلدان ١/ ٢١٤ و ٢١٥) .

Marfat.com

سَكَنَّـا بهـا قبـلَ الـظبّـاءِ وراثـةً ورثنا بني حيّ بن نبت بن جُرْهُم[1]
فـأزعـجنـا مـنـه وكنّـا عـقـيـلةً قبـايـلَ من كعبٍ وعَـوْفٍ وأسْلَمِ

والقول الرابع في خروج جُـرْهُم من مكة ، ذكـره المسعودي ، لأنـه قال في أثناء الخبر السابق في خبر جُرْهُم وقَطُورا : وبغت جُرْهُم في الحرم وطغت ، حتى فسق رجـل منهم بامـرأة في البيت ، وكان الـرجل يُـدعَى بإسـاف والمرأة بنـايلة ، فمسخهمـا الله حجرين صُيِّـرا ، وعُبدا تقـرُّباً بهمـا إلى الله ، فبعث الله عـزَّ وجـلَّ الرُّعافَ والنَّحلَ وغير ذلك من الآيات على جُـرْهُم ، فهلك كثير منهم ، وكثُـر ولد إسماعيل وصاروا ذوي قوّة ومَنعة ، فغلبوا على أخوالهم من جُرْهُم فأخرجـوهم عن مكـة ، فلحقوا ببـلاد جُهَيْنَة ، فـأتاهم في بعض الليـالي السيلُ فذهب بهم مكـان الموضع الذي يُدعَى بإضَم ، قد ذكر ذلك أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت الثقفي في شِعر لـه فقال :

جُـرْهُم دمثـوا تِهـامـةَ في الـدهـر فـسـالـت بـجـمـعـهـم إضَـمُ

وفي ذلك يقول الحارث بن مُضَاض الأصغر الجُرْهُميّ :

كأنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يَسْمُـرْ بمكـةَ سـامـرُ
بـل نحن كنّـا أهلَهـا فـأزا لنـا صُـرُوفُ الليالي والجُـدُودُ العواثـرُ
وكنّـا لإسمـاعيـلَ صِهْـراً وجِيـرةً ولمـا تَـدُرْ فيهـا علينـا الـدوائـرُ
وكنّـا وُلاةَ البيتِ من بعـد نـابتٍ نـطوفُ بذاك البيتِ والخيـرُ ظاهـرُ

ومن ذلك يقول عمرو بن الحرث ابنه :

وكنّـا وُلاةَ البيْتِ والقـاطنَ الـذي إليـه يُـوَفّي نَـذْرَهُ كـلُّ مُحْـرِمِ
سَكَنَّـا بهـا قبـلَ الظُّبـاءِ وراثـةً ورثنا بني حيّ بن نبت بن جُرْهُمِ[2]

انتهى

---

(١) هكذا بالأصل دون « ورثنا » ولا يستقيم الوزن بدونها .
(٢) مروج الذهب ٢/ ٥٠ و ٥١ .

Marfat.com

وذكر الزُبَير بن بكّار ما يقتضي أنّ المُخرج لجُرْهُم من مكة بعد فناء أكثرهم بالرُّعاف والنمل: بنو حارقة بن عامر ، لأنه قال : قال أبو عبيدة فلما لم تتناه جُرْهُم عن بغيهم ، وتفرّق أولاد عمرو بن عامر في اليمن ، فانخزع بنو حارثة بن عمرو إبن عامر فأوطنوا تِهامة وسُمّيت خُزَاعة ، ثم قال : بعث الله عزّ وجلّ على جُرْهُم الرُّعافَ والنمل فأفناهم ، فاجتمعت خُزَاعة لِيُجْلُوا من بقي ، ورَأَسَ خُزَاعةَ عمرو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وأمه فقيرة بنت عمرو بن الحارث بن مضاض الجُرْهُمي ، وليس بابن مُضَاض الأكبر ، فاقتتلوا ، فلما أحسّ عمرو بن الحرث بن مُضَاض بالهزيمة خرج بغزالي[1] الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول :

لا هُمَّ إنّ جُرْهُماً عبادُكَ الناس طُرُفٌ وهم تِلادُك[2]
وهم قديماً عمروا بلادك

فلم تُقبل توبته ، وألقى غَزَالَيْ الكعبة وحجر الركن في زمزم ، ثم دفنهما ، وخرج من بقي من جُرْهُم إلى إضمَ من أرض جُهَيْنَة ، فجاءهم سيل ، أيّ ، سيلٍ ، فذهب بهم ، فقال أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت[3] :

جُرْهُمَ دمثوا تهامة في الدهـ ـر فسالت بجمعهم إضَمُ

انتهى

وهذا الخبر ذكره المسعودي[4] في كون المُخْرِجِ لهم عمرو ، وفناء أكثرهم بالرُّعاف والنمل .

---

(١) هما غزالان من ذهب كانا في جوف الكعبة ، وقد وجدهما بعد ذلك عبد المطّلب حينما حفر زمزم .
(٢) قارن بالروض الأنف ١/١٣٩ .
(٣) شاعر جاهليّ مشهور أدرك البعثة ومات سنة ٩ هـ ، وكان يدّعي أنه سيكون النبيّ المنتظَر . ترجمته في : الأغاني ٤/١٢٠ ـ ١٣٣ ، الشعر والشعراء ١/٣٦٩ ـ ٣٧٢ ، سمط اللآلي ٣٦٢ ، الحيوان للدميري ٢/١٥٤ ، خزانة الأدب للبغدادي ١/١١٨ ، طبقات ابن سلام ٢٢٠ ـ ٢٢٤ ، الوافي بالوفيات ٩/٣٩٥ ـ ٤٠٠ .
(٤) مروج الذهب ٢/٥١ .

Marfat.com

والقول الخامس في سبب خروج جُرْهُم من مكة ذكره الفاكهي أيضاً ، لأنه قال في خبر ولاية إياد بن نزار الكعبة ، وحدّثني حسن بن حسين قال : حدّثنا محمد بن حبيب قال : ذكر ابن الكلبي أنّ الله تعالى سلّط على الذين يلون البيت من جُرْهُم دوابَّ شبيهة بالنغف ، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشباب ، حتى جلوا عن مكة إلى إضَم ، انتهى .

وقد بان بما ذكرناه من هذه الأخبار الاختلافُ فيمن أخرج جُرْهُماً من مكة ، وكيفية خروجهم ، وفي قائل الأبيات الرائية التي أولها :

كأنْ لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ

هل هو عمرو بن الحارثة من مُضَاض الأصغر ، كما هو مقتضى ما ذكره ابن إسحاق ، أو هو مُضَاض بن عمرو بن الحرث بن مُضَاض بن عمرو ، كما هو مقتضى الخبر الذي رواه الأزرقي عن الكلبي عن أبي صالح ، أو هو الحارث بن مُضَاض بن عمر ، كما هو مقتضى ما ذكره المسعودي ؟

وقيل : إنّ قائِل هذه الأبيات : ليس ناظم هذه القصيدة ، وقيل هو الحرث ابن عمرو بن سعد بن الرقيب ، كما هو مقتضىٰ كلام السُهَيلي في « الروض الأُنُف » .

فتحصّل من ذلك في تأويل[1] هذه الأبيات خمسة أقوال ، وليس المراد نسبة كلّها إلى كلّ من المشار إليها ، وإنّما المراد البيت الأول ، وما ذُكر معه على حسب مما وقع في كل خبر .

وقال السُهَيْلي في « الروض » أيضاً في قوله في هذه الأبيات : « ولا يبعد سُهَيْلُ وعامر »[2] : جبل من جبال مكة ، يدلّ على ذلك قول بلال رضي الله عنه :

---

(١) في النسخة « ك » : قائل .

(٢) في المطبوع من الشفاء ١ / ٣٧٥ : « ولا يبدو السهيلي : وعامر جبل » .

Marfat.com

* فهـل يبـدون لي عـامـر وطفَيـل *

على رواية من رواه هكذا »[1] . انتهى .

واختُلف في قائل[2] الأبيات النونية ، فقيل هو عمرو بن الحارث بن مُضَاض على مـا ذكـر ابن إسحـاق ، كمـا سبق . ورأيت في « أخبـار مكـة » للفـاكهي مـا يقتضي أنّ قائِل الأبيات النونية هو الحرث بن مُضَاض ، وذكـر بعضها على غيـر ما سبق ذكره ، لأنه قال : وقال الحـرث بن مُضَاض يعني بكـراً وغبشان وسـاكن مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

يـا أيهـا النـاس سيـروا إنّ قَصْـرَكم ... أن تُصبِحـوا ذاتَ يـومٍ لا تسيـرونـا
حثُّـوا المـطيَّ وأرْخُـوا من أزِمَّتِهـا ... قبـل الممـات وقضُّـوا مـا تُقَضُّـونـا
قَضُّـوا أمـورَكُمْ بـالحـزمِ إنّ لـه ... أمـراً رشيـداً وراء الحـزمِ مـأمـونـا
إنّـا عمرنـا بـدهـرٍ كـان يعجبنـا ... حتى أتـانـا زمـانٌ أظهـر الهـونـا

انتهى

واختُلف فيمن دفن الحجر الأسود وغزالَيْ الكعبة في زمزم ، هل هو مُضَاض ابن عمـرو بن الحارث بن مُضَـاض بن عمرو الجُـرْهُمي ، كما هـو مقتضى الخبـر الـذي رواه الأزرقي عن الكلبي عن أبي صـالـح ؟ أو هـو عمـرو بن الحـارث بن مُضَاض الأصغر ؟ كمـا هو مقتضى مـا ذكره ابن إسحـاق والزبيـر بن بكار عن أبي عبيدة .

وذكر الأزرقي ما يوافق ذلك في البـاب الذي تـرجم عليه بقـوله : (بـاب ما جاء في إخراج جبـريل عليـه السلام زمـزم لأم إسماعيـل عليهما السـلام) ، وعزا ذلـك لبعض العلماء ، ولم يُسمّـه في خبر ذلـك فيه شيئـاً من حـال جُـرْهُم بمكـة

---

(١) الروض الأنف ١/١٣٨ .

(٢) في النسخة (ك) : « تأويل » .

وزمـزم[1] . وفيما ذكـره المسعودي في سبب خـروج جُـرْهُم من مكـة إشعـار بـأنّ الرُّعاف والنمل الذي فني به أكثرهم أصابهم بمكة . وكذلك الذي نقله الزبيـر عن أبي عبيدة في فناء جُرْهُم .

ورأيت في بعض الأخبار ما يـوهم أنّ النمل أصـابهم في بلد جُهَيْنَة ، وهـذا الخبـر ذكره الفاكهي ، لأنـه قال : حـدّثنـا حسن بن حسين الأزدي قـال : حـدّثنـا محمد بن حبيب عن ابن[2] الكلبي قال : بينمـا الناس سُمّـار حول الكعبـة إذا هم بخَلِقٍ يطوف بها يداري رأسه بهـا ، فأجفـل الناس هـاربين ، فناداهم لا تُـرَاعُوا ، فأقبلوا إليه وهو يقول :

* لا هُمَّ ربّ البيت ذي المنــاكـب *

ثم يقول بعد أن ذكر شِعراً زيادة على ما ذكرناه قال : فنظروا فإذا هو أمرأة ، فقالوا : ما أنت ، إنسيّة أم جنّيّة ؟ قالت : بل إنسيّة من جُرْهُم .

ثم قـالت : من ينحر لي كـلّ يوم جُـزُوراً ، ويُعدّ لي زاداً وبعيـراً ، ويبلّغني بلاد الغور أعطيه مالاً كثيراً . قال : فانتُدِب لها رجُلان من جُهَيْنة ، فسارا بها أيـاماً وليالي حتى انتهيا إلى جبل جُهَيْنَة ، فأتت على قرية نمل وذرّ ، وقالت : يا هـذان ههنـا هلك قومي ، فـاحتفروا هـذا المكـان ، فـاحتفـروا عن مـال كثيـر من ذهب وفضّة ، فأوقرا بعيرها ، وقالت لهما : إيّاكما أن تلتفتا فيُخْتَلَس مـا معكما ، وأقبـل الـذرّ حتى غشيها ، فمضينـا غيـر بعيـد ، ثم التفتنـا فـاختُلِس مـا كـان احتمـلا ، فناديناها : هل من ماء ؟ قالت : نعم في موضع هذه الهضبات ، وقالت وقد غشيها الذرّ :

يـا ويـل يـا ويـلي مـن أجـلي أرى صـغـار الـذرّ يبـغي هـبـلي

---

(١) أخبار مكة ١/٥٦ .

(٢) في المطبوع من الشفاء ١/٣٧٦ « ابي » وهو خطأ .

Marfat.com

سلَطْنَ نَفَـرَيْـن عـلى مـحـمـلي لـمـا رأيـت أنـه لا بـدّ لـي
مـن مَنـعَـةٍ أُحْـرِزُ فـيـهـا مـعـقـلي

ودخل الذرُّ منخريها ومسمعيها ، فخرّت تشهق ، فهلكت ، ووجد الجهينيان الماء حيث قالت، الماء يقال له مسخى ، وهو بناحية فرس حلل إلى جانب مشعر ، فهو اليوم لجهينة[1] . انتهى .

وذكر الفاكهي خبراً يقتضي أنه لم يصب جُرْهُماً من مَعَـرَّة جيش بُخْتَ نَصَّرَ[2] ما أصاب غيرهم من العرب ، وسيأتي هذا الخبر في أخبار بني إسماعيل ، وفي ذلك دليل على رحمة الله لجُرْهُم ، وذكر الفاكهي أيضاً خبراً يقتضي أنّ جُرْهُماً حين هلكوا بقي منها بقية ، ونصّ هذا الخبر : وحدّثني الزُّبَير بن بكار قال : حدّثني عمر بن أبي بكر الموصلي عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب قال : هلكت جُرْهُم فلم يبق منها غير حيّ في بني ملكان ، وهم قليل ، وآخرون في بني الجون انتهى ، وذكر الفاكهي لعمرو بن الحارث المتقدّم ذِكره شعراً يعظ به بكراً وغبشان حين تهيّئوا لقتال جُرْهُم ، ويُعْظِم عليهم القتال في الحرم ويحذّرهم الهلاك إنْ هم فعلوا ذلك ، أوله :

نعوذ بربّ الناسِ من كلّ ظالمٍ بَغَى من بني كعبِ الملوك وجُرْهُمِ[3]

وذكر له أيضاً شعراً في شأن بكر وغبشان حين أُخرِجوا من مكة أوله :

لقد نهضتْ بكرُ وغبشانُ كلُّها تريد تُسامي جُرْهُماً في فِعالها

وذكر الفاكهي أيضاً خبراً يُسْتَغْرَب لما يقتضيه من طول حياة عمرو هذا ، لأنه قال : وحدّثني عبد الله بن أبي سَلَمة قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن

---

(١) قارن بالروض الأنف ١/١٣٧ .
(٢) هو بختنصّر ملك الفرس ، وطيء الشام وفتح بيت المقدس ، وسبى بني إسرائيل . قال المسعودي : والعامة تسمّيه « البخت ناصر » . (مروج الذهب ١/٢٢٨) .
(٣) في الأصل : « في ملوك بني كعب وجُرْهُم » ، والوزن يختلّ هكذا .

Marfat.com

عبد العزيز الزُهْري عن أبيه قال: حدّثني سعيد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنّ أبا سلمة بن عبدالأسد خرج في ناس من قريش نحو اليمن قال: وأخطأوا الطريق ، فأصابهم عطش شديد ، قال : فقال أبو سلمة بن عبد الأسد لمن معه من قريش : أي قومِ أطيعوني فإنّ ناقتي عارفة بالطريق ، قالوا : فإنّا نُطيعك قال : فخلّى عن رأس ناقته ، فساروا يومهم وليلتهم حتى كان عند قرب الصبح فإذا الناقة قد بركت ، قال أبو سلمة : ما بركت إلاّ على ماء ، قال : فنزلوا فإذا هم ببعر الغنم ، فما كان بأسرع من أن انفجر الفجر ، فنظروا فإذا بئر ، وعلى رأس البئر رجل طويل لم يُرَ مثله ، فتقدّموا إليه ، فقال الرجل : ممّن القوم ؟ فقلنا : من قريش ، فقال : من أيّ قريش ؟ قلنا : من بني مخزوم . قال : فسعى فأتى شجرة طويلة ، فإذا قفَّةٌ معلّقة في الشجرة ، فمدّ يده فأنزل القفّة وفتح رأسها ، فإذا شيخ فيها ، فرفع حاجبيه ثم قال : أبت ثلاث مرات قال : ففتح عينيه فقال : ما تشاء ؟ قال : هؤلاء قوم من قريش ، قال ادعهم إليّ ، فجاءوا ، فقال : تقدّموا إلى الشيخ ، فتقدّمنا إليه ، ففعل به مثل ما فعله الأول ثلاث مرات ، ففتح عينيه فقال : ما أنت ؟ قال : هؤلاء قوم من قريش ، فقال : من أيّ قريش أنتم ؟ قال أبو سلمة : فقلت : من بني مخزوم ، فقال : ها أنا ومخزوم ، فقال : هل تعرفون لم سُمِّيَتْ أجياد أجياداً ؟ قلنا : لا . قال : لأنّها جادت فيها الخيل ، ثم قال : لم سُمّيت قُعَيْقِعَان قعيقعان ؟ . قلنا : لا . قال : لأنها تقعقعت فيها السيوف ، ثم أنشأ يقول :

كأنْ لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ
بل نحن كنّا أهلَها فأبادَنا كروبُ الليالي والجُدُودُ العواثرُ
فهل فرحٌ يأتي بشيء تريده وهل جَزَعٌ يُنْجيكَ مما تحاذِرُ

يا بن أخي أتدري لِمَ سُمّيت قُعَيْقِعَان باسمها ؟ قلت : لا . قال : خرج القوم علينا منها عليهم السلاح تقعقع فسُمّيت بقُعَيْقِعَان . أتدري يا بن أخي لِم سُمّيتْ أجياد أجياداً؟ قلت: لا، قال: جادت بالدماء، فسمّيت أجياداً انتهى. وذكر

Marfat.com

هذا الخبر الأزرقي[1] ، إلاَّ أنه لم يُسْنِدْه كما أسنده الفاكهي . وفي غيره أنّ أبا سلمة ومن معه أصبحوا على ماء فاستقوا واستقى ، فإنه لَعَلَى ذلك ، إذ أقبل إليهم رجل فقال : مَن القوم ؟ فقالوا : من قريش . وفيه أنّ الشيخ قال لأبي سلمة بعد أن ذكر له نسبه: كأن لم يكن . الخ.

ولم يذكر الأزرقي في خبره البيت الثالث الذي ذكره الفاكهي من هذا الخبر[2] ، وهو بعيد من الصحّة لِما يلزم عليه من أن يكون عمرو بن الحارث عاش ألف سنة ، لأنّ هذه القصة إنْ صحّت فإنها قُبَيل الإسلام ، لأنّ أبا سلمة أدركها ، وإدراكه لها يقتضي أن يكون في هذا التاريخ ، لأنّ سنَّه تقرب من سنّ النبيّ ﷺ ، فإنّ ثُوَيبَة[3] مولاة أبي لهب أرضعتهما كما في الصحيح[4] عن النبيّ ﷺ ، فإذا كان كذلك فحياة عمرو إلى هذا التاريخ يقتضي أن يكون عمره ما ذكرنا ، لكونه عاش مدّة ولاية خُزاعة على مكة ، وهي خمسمائة سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة ، ومدَّة ولاية قريش وهو نحو ثلاثمائة سنة ، مع ما عاشه عمرو في ولاية قوم جُرْهُم ، وما يؤيّد ذلك أنّ السُهَيلي رحمه الله ذكر العُمْرَين ، ولم يذكره فيهم ، وهو لو كان بهذه الصفة أولى بالذِكر لعلُوّ سنّه ومقداره ، لأنه قال : ومن أطول العُمْرَيْن عمر بن وحيد واسمه رُوَيْد بن فهد بن قُضَاعة ، ثم قال : عاش رُوَيْد أربعمائة عام فيما ذكروا ، انتهى والله أعلم .

* * * * *

تم الجزء الأول من هذا الكتاب بختام هذا الباب

ويليه الجزء الثاني وأوله الباب السادس والعشرون في ذكر شيء من خبر إسماعيل عليه السلام

---

(١) أخبار مكة ١/٨٢ .

(٢) أنظر : أخبار مكة ١/٩٧ .

(٣) أنظر عنها : الإصابة ٤/٢٥٧ و ٢٥٨ رقم ٢١٣ ، والروض الأنف ١/١٨٦ .

(٤) البخاري ، رقم ٢١١٠ ، ومسلم رقم ١٤٤٩ كتاب الرضاع ، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة .

Marfat.com

الفهـــرَس

مقدمة التحقيق ٥
مقدمة المؤلف ١١

(الباب الأول) في ذكر مكة المشرَّفة وحكم دورها وإجارتها ٢٣
ذِكر حكم بيع دُور مكة وإجارتها ٤٥

(الباب الثاني) في أسماء مكة المشرَّفة ٧٥

(الباب الثالث) في ذكر حرم مكة وسبب تحريمه وتحديده
وعلاماته وحدوده ٨٥
ذكر علامات الحرم ٨٦
ذكر حدود الحرم وضبط ألفاظٍ فيها ٨٧
ذكر تحديد حدّ الحرم من جهة الطائف ٩٤
ذكر تحديد حدّ الحرم من جهة العراق ٩٩
ذكر تحديد حدّ آلحرم من جهة التنعيم ١٠٠
ذكر تحديد حدّ الحرم من جهة اليمن ١٠١

(الباب الرابع) في ذكر شيء من الأحاديث والآثار الدّالّة
على حُرْمة مكة وحَرَمها ١٠٧

ذكر شيء مما ورد في تعظيم الناس لمكة وحرمها
وفي تعظيم الذنب في ذلك ١١٥
(الباب الخامس) في ذكر الأحاديث الدّالّة على أن مكة
المشرَّفة أفضل من غيرها من البلاد ١١٩
ذكر الأحاديث الدّالّة على أن الصلاة بمسجد مكة
أفضل من الصلاة في غيره ١٢٧
(الباب السادس) في المجاورة بمكة والموت بها وشيء
من فضل أهلها ١٣٥
ذكر المجاورة بمكة ١٣٥
ذكر شيء مما جاء في الموت بمكة ١٣٧
ذكر شيء مما جاء في فضل أهل مكة ١٣٨
ذكر شيء من فضل جدّة ساحل مكة وشيء من خبرها ١٤٠
ذكر شيء من فضل الطائف وخبره ١٤٢
(الباب السابع) في أخبار عمارة الكعبة المعظَّمة ١٤٧
ذكر البيت المعمور الذي أنزله الله على آدم وشيء من خبره ١٤٩
ذكر شيء من حال الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجّاج ١٦٢
(الباب الثامن) في الكعبة المعظَّمة وذَرْعها وشاذروانها
وحِلْيتها ومعاليقها وكِسْوتها وأسمائها ١٧٣
ذكر صفة الكعبة وما أُحدث فيها من البِدْعة ١٧٣
ذكر ذرْع الكعبة من داخلها وخارجها ١٧٦
ذكر ذرع الكعبة من داخلها ١٨٠
ذكر ذرع الكعبة من خارجها ١٨١
ذكر ذرع سطح الكعبة ١٨٢
ذكر شاذروان الكعبة ١٨٣
ذكر حِلْية الكعبة المعظَّمة ١٨٥
ذكر معاليق الكعبة ١٨٩

Marfat.com

ذكر كِسْوة الكعبة ١٩٤
ذكر طِيب الكعبة وأخدامها ٢٠٥
ذكر أسماء الكعبة المعظَّمة ٢٠٦
ذكر هدم الحبش الكعبة في آخر الزمان ٢٠٨
ذكر وقت فتح الكعبة في الجاهلية والإسلام ٢٠٩
ذكر بيان جهة المصلّين إلى الكعبة من سائر الآفاق ٢١٢
(الباب التاسع) في بيان مصلّى النبي ﷺ في الكعبة ٢٢٥
ذكر قدر صلاة النبي في الكعبة ٢٢٥
ذكر من روى صلاة النبي في الكعبة يوم فتح مكة ٢٢٩
ذكر ترجيح رواية من أثبت صلاة النبي في الكعبة ٢٣٦
ذكر عدد دخول النبي الكعبة بعد هجرته ٢٥٠
(الباب العاشر) في ثواب دخول الكعبة ٢٥٥
ذكر حكم الصلاة في الكعبة ٢٦١
(الباب الحادي عشر) في ذكر شيء من فضائل الكعبة ٢٦٩
ذكر شيء من فضائل الحجر الأسود ٢٧٢
ذكر شيء مما قيل في الحكمة في اسوداد الحجر الأسود ٢٧٤
ذكر ما رؤي من البياض في الحجر الأسود ٢٧٥
ما جاء في شهادة الحجر الأسود يوم القيامة لمن أستلمه ٢٧٧
ما جاء في أنه يمين الله ٢٧٧
ذكر فضائل الركن اليماني ٢٧٩
ذكر ما جاء في استلام النبي له ٢٧٩
ذكر ما جاء في المزاحمة على استلامه هو والحجر الأسود ٢٨٠
ذكر ما جاء في عدم استحباب ذلك للنساء بحضرة الرجال ٢٨٠
ما جاء في إكثار النبي من استلامه ٢٨٠
ما جاء في تأمين الملائكة على الدعاء عنده ٢٨١
ما جاء في أن الركن اليماني باب من أبواب الجنة ٢٨١

Marfat.com

(الباب الثاني عشر) في فضل الأعمال المتعلقة بالكعبة ٢٨٣
ذكر ما ورد في ثواب الطواف عموما ٢٨٣
ما جاء في فضل الطواف في الحرّ ٢٨٥
ما جاء في فضل الطواف بعد الصبح أو العصر ٢٨٦
ما جاء في تفضيل الطواف على العمرة ٢٨٩
ما جاء في فضل الطائفين ٢٩١
ذكر بدء الطواف بهذا البيت المعظّم ٢٩٣
ذكر طواف بعض الجنّ والدوابّ والطير ٢٩٤
ما جاء من أنّ شرعية الطواف لإقامة ذكر الله ٢٩٥
ذكر ثواب النظر إلى الكعبة ٢٩٥
ذكر ثواب الحج والعُمرة ٢٩٦
(الباب الثالث عشر) في الآيات المتعلّقة بالكعبة ٢٩٩
ذكر خبر تُبَّع والهذْليّين ٣٠٢
ذكر خبر أصحاب الفيل ٣٠٥
(الباب الرابع عشر) في ذكر شيء عن أخبار الحجر الأسود ٣٠٩
ذكر ما أصاب الحجر الأسود في زمن ابن الزبيرْ ٣١١
ذكر ما أصاب الحجر الأسود في فتنة القرمطي ٣١٢
ذكر ما صنعه الحَجَبَةُ في الحجر الأسود بإثر ردّ القرامطة له ٣١٣
ذكر ما أصاب الحجر الأسود بعد فتنة القرامطة ٣١٤
ذكر صفته وقدره ٣١٤
ذكر شيء من الآيات المتعلّقة به ٣١٥
(الباب الخامس عشر) في المُلْتزَمَ والمُسْتَجَار والحطيم ٣١٧
ذكر المُلْتَزَم والمُسْتَجَار ٣١٧
ذكر الحطيم ٣١٨
ذكر بقيّة المواضع بمكة وحَرَمها التي قيل إنّ الدعاء فيها مُسْتجاب .. ٣٢١
(الباب السادس عشر) في ذكر شيء من أخبار المقام ٣٢٧

Marfat.com

ذكر حلْية المقام ٣٢٨
ذكر صفة الموضع الذي فيه المقام والمُصَلّى ٣٢٩
ذكر ذرع ما بين المقام والحجر الأسود وغيره ٣٣١
ذكر موضع المقام في الجاهلية والإسلام ٣٣٢
ذكر شيء من فضل المقام ٣٣٨
ما جاء في هلاك من تعرّض له بسوء ٣٣٨
(الباب السابع عشر) في ذكر شيء عن حِجْر إسماعيل ٣٣٩
ذكر موضعه وشيء من خبر عمارته وذَرْعه ٣٤٥
ذكر ما جاء في الحِجْر والصلاة فيه ٣٤٩
ذكر ما جاء في الدعاء في الحجر تحت الميزاب ٣٤٩
ذكر المواضع التي صلّى فيها النبيّ ﷺ حول الكعبة ٣٥١
(الباب الثامن عشر) في ذكر شيء من أخبار توسعة المسجد
الحرام وعمارته وذرْعه ٣٥٩
ذكر شيء من خبر توسعة المسجد الحرام بعد الأزرقي ومن
خبر عمارته بعده ٣٦٢
ذكر صفة هذه الزيادة ٣٦٤
ذكر ذرْع زيادة دار الندوة ٣٧٢
ذكر ذرْع باب إبراهيم ٣٧٢
(الباب التاسع عشر) في عدد أساطين المسجد الحرام وصفتها ٣٧٥
ذكر عدد أساطين المسجد الحرام ٣٧٥
ذكر عدد الأساطين التي بصحن المسجد الحرام وصفتها ٣٧٦
ذكر عدد أساطين زيادة دار الندوة ٣٧٧
ذكر عدد أساطين زيادة باب إبراهيم ٣٧٧
ذكر عدد طاقات المسجد الحرام ٣٧٨
ذكر عدد طاقات زيادة دار الندوة ٣٧٨
ذكر عدد طاقات زيادة باب إبراهيم ٣٧٨

ذكر عدد الشرافات التي بزيادة دار الندوة ٣٧٩
ذكر عدد الشرافات التي بزيادة باب إبراهيم ٣٨٠
ذكر عدد أبواب المسجد الحرام ٣٨١
ذكر منائر المسجد الحرام ٣٨٥
ذكر ما صُنع في المسجد الحرام لمصلحة ٣٨٨
ذكر صفة المقامات ٣٩١
ذكر ذرْع ما بينها وبين الكعبة ٣٩٢
ذكر كيفية صلاة الأئمة بها وحكم صلاتهم بها ٣٩٣

(الباب العشرون) في ذكر شيء من خبر زمزم وسقاية العباس ٣٧٩
ذكر حفر زمزم وعلاجها ٣٩٧
ذكر علاج زمزم في الإسلام ٣٩٩
ذكر ذرْع زمزم ٣٩٩
ذكر أسماء زمزم ٤٠٤
ذكر فضائل زمزم ٤٠٦
ذكر آداب شربه ٤١٤
حكمة التطهير بماء زمزم ٤١٤
نقل ماء زمزم إلى البلدان ٤١٥
ذكر شيء من خبر سقاية العباس ٤١٦

(الباب الحادي والعشرون) في ذكر الأماكن المباركة التي ينبغي زيارتها بمكة وحرمها وقربه ٤١٧
ما جاء في استحباب زيارة مسجد الخيف كل سبت ٤٢٤
ذكر تعيين مصلّى النبي من مسجد الخَيْف ٤٢٤
ذكر صفة مسجد الخَيْف وذرعه ٤٢٥
ذكر صفته ٤٢٥
ذكر ذرْعه ٤٢٥
ذكر عدد أروقته ٤٢٦
ذكر عدد أساطينه وصفتها ٤٢٦

Marfat.com

ذكر عدد عقوده ٤٢٧
ذكر ذرع موضع مصلّى النبيّ امام المنارة ٤٢٧
ذكر عدد شُرُفات المسجد من داخله وخارجه ٤٢٧
ذكر ذرع المنارة وصفتها ٤٢٧
ذكر ذرع السقاية المذكورة ٤٢٨
ذكر المواضع المباركة بمكة ٤٣١
ذكر شيء مما ورد في بَرَكة الموضع الذي وُلد فيه النبي ٤٣٢
ذكر صفة هذا المكان ٤٣٢
ذكر صفة هذا المكان وذرعه ٤٣٤
ذكر الدُور المباركة بمكة ٤٣٦
ذكر الجبال بمكة وحرمها ٤٤١
ذكر مقابر مكة المكرَّمة ٤٥٣

(الباب الثاني والعشرون) في ذكر أماكن بمكة المشرَّفة وحرمها التي لها تعلُّق بالمناسك وهي ستة وعشرون موضعاً ٤٦١
ذكر مقدار ما بين باب بني شيبة وعَلَمَيْ عرفات ٤٦٧
ذكر تعيين موقف النبي في عرفة ٤٨٥
ذكر مسجد عرفة وحكم الوقوف فيه ٤٨٦
ذكر هذا المسجد وشيء من صفته ٤٨٨
ذكر تسمية عرفة بعرفة ٤٨٩
ذكر حكم البناء بمنى ٥١٢
ما جاء في فضل منى وما ذُكر فيها من الآيات ٥١٥
ذكر مقدار ما بين منى ومكة ٥١٧

(الباب الثالث والعشرون) فيما بمكة من المدارس والربط والسقايات والبِرَك والآبار ٥٢٣
ذكر المدارس بمكة المكرّمة ٥٢٣
ذكر الرُّبط بمكة المكرّمة ٥٢٧

Marfat.com

ذكر السقايات والبِرَك ٥٣٨
ذكر عدد البرك بمكة وحَرَمها ٥٤١
ذكر الآبار التي بين باب المُعَلاّة ومنى ٥٤٧
ذكر الآبار التي بمنى ٥٥٠
ذكر الآبار التي بمُزْدَلفة وبعَرَفة ٥٥١
ذكر الآبار التي بظاهر مكة ٥٥١
ذكر الآبار التي بأسفل مكة ٥٥٢
ذكر عيون مكة المشرّقة ٥٥٢
ذكر المطاهر التي بمكة المشرَّفة ٥٥٩

(الباب الرابع والعشرون) في ذكر شيء من خبر
بني المحض ملوك مكة وشيء من أخبار العماليق ٥٦٣
ملوك مكة وولاية طسْم للبيت ٥٦٣
ذكر شيء من خبر بني المحض ونَسَبهم ٥٦٣
ذكر شيء من أخبار العماليق ملوك مكة ونَسَبهم ٥٦٤

(الباب الخامس والعشروون) في ذكر شيء من خبر
جُرْهم وُلاة مكة ونَسَبهم وذكر من مَلَك مكة من جُرْهم ومدّة ملكهم لها ٥٧٣
ذكر من ملك مكة من جُرْهم وعن ملكهم لها
وما وقع في نَسَبهم من الخلاف ٥٧٦
ذكر من أخرج جُرْهُماً من مكة وكيفية خروجهم منها ٥٩٤
الفهرس ٦٠٩

Marfat.com

شفاء الغرام
بأخبار البلد الحرام

تأليف قاضي مكة

الإمام العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد
ابن علي الفاسي المكي المالكي
(٧٧٥-٨٣٢ هـ)

حققه ووضع فهارسه

الدكتور عمر عبد السلام تدمري

الناشر
دار الكتاب العربي

Marfat.com